al-Mutanabbī, Abū al-Ṭayyib

شرح
ديوان المتنبّي

Sharḥ dīwān al-Mutanabbī

وضعه

عبد الرحمن البرقوقي

وقد امتازت هذه الطبعة بالدقة والبسط والاستيعاب، بحيث تلاقت في هذا الشرح جميع شروح المتنبي وشرحت فيه الشواهد والنظائر وما إليها وصار بذلك مغنياً عن جميع الشروح

الجزء الرابع

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد

مطبعة السعادة
ميدان احمد ماهر باشا (باب الخلق سابقا)
شارع الجداوي ت ٧٩٤٧٦ ص ب ٥٠٧٨

وقال يمدح أبا الفوارس دلير بن لشكروز سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ، وكان قد جاء إلى الكوفة لقتال الخارجي الذى نجم بها من بنى كلاب ، وانصرف الخارجي عن الكوفة قبل وصول دلير إليها :

كَدَعْوَاكِ كُلٌّ يَدَّعِي صِحَّةَ الْعَقْلِ ، وَمَنْ ذَا الَّذِى يَدْرِى بِمَا فِيهِ مِنْ جَهْلِ (١)

لِهَنَّكِ أَوْلَى لَائِمٍ بِمَلَامَةٍ ، وَأَحْوَجُ مِمَّنْ تَعْذُلِينَ إِلَى الْعَذْلِ (٢)

تَقُولِينَ مَا فِى النَّاسِ مِثْلَكَ عَاشِقٌ جِدِى مِثْلَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ تَجِدِى مِثْلِي (٣)

مُحِبٌّ كَنَى بِالْبِيضِ عَنْ مُرْهَفَاتِهِ ، وَبِالْحُسْنِ فِى أَجْسَامِهِنَّ عَنِ الصَّقْلِ (٤)

وَبِالسُّمْرِ عَنْ سُمْرِ الْقَنَا غَيْرَ أَنَّنِى جَنَاهَا أَحِبَّائِى وَأَطْرَافُهَا رُسْلِى (٥)

---

(١) يقول ــ للعاذلة ــ : كل أحد يدعى لنفسه صحة العقل كما تدعين أنت : يعنى أنك بلومك إياى تدعين أنك أصح عقلا منى ، ولكن ليس يعلم أحد جهل نفسه ، لأنه متى علم جهل نفسه لم يكن جاهلا .

(٢) لهنك : قال سيبويه أصلها « لله أنك » وقال أبو زيد : أصلها « لإنك » مركبة من « لام التوكيد وإن » فأبدلت همزة « إن » هاء لئلا يجتمع حرفان للتوكيد فى الصورة . يقول : أنت أولى باللوم وأحوج إلى العذل منى ، لأن من أحببته لا يلام على حبه .

(٣) مثلك : منصوب على الحال من عاشق ، لأن وصف النكرة إذا قدم عليها نصب على الحال . يقول : لها : إن وجدت لمحبوبى مثلا فى الحسن وجدت لى مثلا فى العشق : يعنى كما أن محبوبى لا مثل له ، كذلك أنا . وقد فسر مراده فيما يلى .

(٤) محب خبر عن محذوف ضمير المتكلم . والبيض : النساء . والمرهفات : السيوف . والضمير فى « مرهفاته » للمحب . يقول : أنا محب أعشق الحرب دون النساء . فإذا ذكرت البيض أردت بها السيوف ، وإذا ذكرت حسنهن كنيت به عن صقل السيوف .

(٥) يقول : وأكنى كذلك بالسمر عن الرماح السمر . ويعنى بجناها ما يجتنى منها من المعالى التى يرتقى إليها بالعوالى . يقول : فالمعالى هى أحبائى ورسلى التى تتردد بينى وبينها : هى الأسنة ــ الرماح ــ يريد : أنى أخطب المعالى بالرماح .

عَدِمْتُ فُؤَادًا لَمْ تَبِتْ فيهِ فَضْلَةٌ ... لِغَيْرِ الثَّنَايَا الْغُرِّ وَالْحَدَقِ النُّجْلِ (١)

فَمَا حَرَمَتْ حَسْنَاءُ بِالْهَجْرِ غِبْطَةً ، ... وَلاَ بَلَّغَتْهَا مَنْ شَكَى الْهَجْرَ بِالْوَصْلِ (٢)

ذَرِينِي أَنَلْ مَا لاَ يُنَالُ مِنَ الْعُلَى

فَصَعْبُ الْعُلَى فى الصَّعْبِ وَالسَّهْلُ فى السَّهْلِ (٣)

تُرِيدِينَ لُقْيَانَ الْمَعَالِي رَخِيصَةً ، ... وَلاَ بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبَرِ النَّحْلِ (٤)

---

(١) الثنايا : الأسنان التى فى مقدم الفم . والغر : البيض . والحدق : جمع حدقة ، سواد العين . والمراد بها العين . والنجل : الواسعة : يدعو على قلب يميل إلى الحسان بالعدم — الفقد — يقول : لا كان لى قلب لا فضلة فيه لغير حب ثنايا الحسان وأحداقهن ولا ينزع من الأمور إلى أرفعها ، ويحل من منازل المجد والشرف فى أجلها وأكرمها .

(٢) الغبطة : السعادة وحسن الحال . يقول : إن المرأة الحسناء إذا هجرت لم تحرم المهجور غبطة ، لأنها لو واصلته لم تبلغه الغبطة أيضا ، يريد أن الغبطة على الحقيقة إنما هى فى كسب المعالى ونيل المجد والشرف لا فى نيل اللذات ومواصلة الغانيات . فالهاء فى « بلغتها » : مفعول أول لبلغت ، وهى عائدة على الغبطة ؛ ومن شكى مفعول ثان ؛ وبالوصل : متعلق يبلغتها ؛ ومن شكى الهجر هو العاشق : أى وإن واصلته لم تبلغه غبطة . وقال الخطيب التبريزى : نهى عن الحرص فى طلب النساء. يقول : إذا هجرتها ثم وصلتها كنت أحسن موقعاً عندها وأنشط لها فزادت الغبطة ، وإذا شكوت إليها الهجر وتذللت لها هنت فى عينها ؛ فحرمتك وصلها فضلا عن تبليغك الغبطة .

(٣) يقول — للعاذلة — : دعينى أنل من العلى مالم ينل قبلى ، فإن العلى الصعبة الشاقة — وهى التى لم يبلغها أحد — فى الأمر الصعب الذى لم يركبه أحد ، وما يسهل وجوده يسهل الوصول إليه ، يعنى لا يدرك من المعالى ما تجلى قيمته إلا بتكلف ما تعظم مشقته ، وما كان منها يقرب تناوله فبحسب ذلك يكون تساهله .

(٤) رخيصة : حال . والشهد — بفتح الشين وضمها — العسل . وإبرة النحل : شوكتها . يقول — للعاذلة — : تريدين أن أدرك المعالى رخيصة — أى دون أن أبذل فيها نفسى وأعرضها للأهوال — والمعالى لا تدرك كذلك ، فإن من حاول اجتناء الشهد قاسى لسع النحل ، ولا يبلغ حلاوة العسل إلا بمقاساة مرارة اللسع . وهذا كما قال العتابى :

حَذِرَتِ عَلَيْنَا المَوْتَ وَالخَيْلُ تَلْتَقِي، وَلَمْ تَعْلَمِي عَنْ أَيِّ عَاقِبَةٍ تَجْـلِي [١]
فَلَسْتُ غَبِيناً لَوْ شَرَيْتُ مَنِيَّـــتِي بِإِكْرَامِ دِلِّيرَ بْنِ لَشْكَرَ وَزَّ لِي [٢]
تَمُرُّ الأَنَابِيبُ الخَـــوَاطِرُ بَيْنَنَا، وَنَذْكُرُ إِقْبَالَ الأَمِيرِ فَتَحْلُو لِي [٣]

وإن جسيمات الأمورِ مَشوبة بمستودعاتٍ فى بطون الأساودِ [١]

هذا: وقال الواحدى: قرئ على المتنبي لقيان ـ بضم اللام ـ وكذلك أملاه، وهو خطأ؛ والصواب: الكسر. ذكره سيبويه: وقال: هو مثل عرفان وغشيان وحرمان ووجدان وإتيان ونحو ذلك.

(١) والخيل تلتقي: يروى والخيل تدعى: يريد أصحاب الخيل؛ والجملة حالية؛ والادعاء فى الحرب: الاعتزاء والانتساب ـ وهو أن يقول: أنا فلان ابن فلان: وتجلى: تنفرج وتنكشف، يقال أجلت المعركة عن كذا قتيلا: يقول: تخافين علينا الموت عند التحام الحرب وتبارز الفرسان ولم تعلمي عن أى عاقبة تنفرج الخيل: أى هل تكون الدائرة علينا أو على العدو؟ قال العكبرى: يشير إلى الموقعة التى شهدها فى الكوفة مع الخارجى قبل وصول هذا الممدوح إليها.

(٢) الغبين: ـ المغبون ـ فعيل بمعنى مفعول: كقتيل بمعنى مقتول من غبنه فى البيع والشراء: خدعه وغلبه، وشريت ههنا: ابتعت، ويروى شربت، «ودلير» و «لشكروز»: قال الواحدى. اسمان أعجميان من أسماء الديلم: ومعناهما: الشجاع والمسعود، وقال اليازجى: «لشكروز» مركب من «لشكر» وهو الجيش و «واواز» وهو الصوت: أى صوت الجيش. يقول: وعلى فرض أن الدائرة كانت علينا، وكنت أنا من جملة الهلكى: لم أعد ذلك غبنا على، وإنما أعده ربحاً مقابل ما حصلت عليه لنفسى من إكرام هذا الممدوح.

(٣) أمر الشيء يمر إمراراً: صار مراً، ويقال مر يمر ـ بفتح الميم. وضمها ـ والأنابيب: جمع أنبوب، وهو ما بين كل كعبين: والمراد هنا: الرماح أنفسها وخطر الريح اهتز؛ و «تحلو لى» تصير حلوة. يقول: إن الرماح الخاطرة بيننا وبين أعدائنا تصير مرة علينا، يعنى أن الحرب شديدة المرارة. فإذا ذكرنا إقبال الأمير صارت حلوة لنا، لأنا نظفر على الأعداء بدولته وإقباله. هذا: وقد عاب قوم عليه قوله «فتحلولى» مع قوله «تجلى» وقالوا: كيف جمع بينهما فى القافية ولا صحة للواو؟ قال الواحدى: وليس الأمر كذلك

---

(١) الأساود: الحيات

. . . .

لأن الواو والياء إذا سكنتا وانفتح ما قبلهما جرتا مجرى الصحيح : مثل القول والمين ، وكذلك إذا انفتحا وسكن ما قبلهما : مثل أسود وأبيض ؛ وهذا مثل قول الكسعى(١)

يارب سَدِّدْنى لِنَحْتِ قَوْسِى فإنها مِنْ لَذَّتى لنفسى

* وانفعْ بِقَوْسِى ولدِى وعِرْسِى *

(١) الكسعى : نسبة إلى كسع كزفر ، وهم حى من اليمن رماة ، أو من بنى ثعلبة ابن سعد بن قيس غيلان ، واسمه غامد بن الحرث ، أو محارب بن قيس ، يضرب به المثل فى الندامة ، قال الفرزدق :

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الكُسَعِىِّ لَمَّا غَدَتْ مِنِّى مُطَلَّقَةً نَوارُ

وكان من حديثه أنه كان يرعى إبلا له فى واد فيه حمض وشوحط فإما ربى نبعة حتى اتخذ منها قوسا ، وإما رأى قضيب شوحط نابتا فى صخرة فأعجبه فجعل يقومه حتى بلغ أن يكون قوسا ، فقطعه ؛ وقال :

يارب سَدِّدْنى لنحتِ قوسِى فإنها مِنْ لَذَّتى لنفسى

* وانفعْ بقوسِى وَلَدِى وعِرْسِى *

أَنحتُ صفْراءَ كلوْنِ الوَرْسِ كَبْداءَ ليْستْ كالقِسِىِّ النُّكْسِ

حتى إذا فرغ من نحتها برى من بقيتها خمسة أسهم ثم قال :

هنَّ وربى أَسْهُمٌ حِسانُ يَلَذُّ للرمْىِ بها البَنَانُ

كأنما قوَّمها مِيزانُ فأبشِرُوا بالخِصبِ يا صِبيانُ

* إنْ لم يُعقْنِى الشؤمُ والحِرمانُ *

ثم خرج ليلا إلى قترة له ــ القترة : بيت الصائد ــ على موارد حمر الوحش ؛ فرمى عيرا منها ، فأنفذه . وأورى السهم فى الصوانة نارا ، فظن أنه أخطأ فقال :

أعوذ بالمهيمن الرحمنِ من نكد الجدِّ مع الحرمان

* مالى رأيتُ السهمَ فى الصَّوَّان *

. . . .

وقد قال البحترى

* إن سَيرَ الخليطِ حين استقلا *

ثم قال فى هذه القصيدة :

* كنْتَ من بين البرايا به أحق وأوْلى *

وقال ابن جنى : هذه قافية فيها فساد ؛ وذلك أن الواو فى «تحلولى» ردف لأنها ساكنة قبل حرف الروى . وليس فى هذه القصيدة قافية مردفة غير هذه ، وهذا عيب عندهم ، بيد أنه جاء فى الشعر القديم :

إذا كنت فى حاجة مرسلاً   فأرسل حكيما ولا توصهِ

يُورِى شَرارَ النار كالعقْيان   أخلفَ ظنّى ورجا الصبيان

ثم وردت الحمر ثانية فرمى عيرا منها فكان كالذى مضى من رميه فقال :

أعوذ بالرحمن من شرِّ القدَر   لا بارك الرحمن فى أمِّ القُتَر

أأمغِطُ السهمَ لإرهاق الضررَ   أم ذاك من سوء احتمالٍ ونظر

* أمْ ليسَ يُغنى حَذرٌ عند قدَرْ *

« المغط والإمغاط : سرعة النزع بالسهم » ثم وردت الحمر ثالثة ؛ فكان كما مضى من رميه فقال :

إنى لشؤمى وشقائى ونكَدْ   قد شفَّ منى ما أرى حرُّ الكبِدْ

* أخلَفَ ما أرجو لأهلى وولَدْ *

ثم وردت الحمر رابعة ؛ فكان كما مضى من رميه الأول فقال :

ما بالُ سهمى يُظهرُ الحُباحِبا   قد كنت أرجو أن يكون صائبا

إذ أمكن العَيرُ وأبدَى جانباً   فصار رأيى فيه رأياً كاذبا

ثم وردت الحمر خامسة ؛ فكان كما مضى من رميه ، فقال :

أبعْدَ خمسٍ قد حفظتُ عدّها   أحمِلُ قوسى وأريدُ رَدّها

وَلَوْ كُنْتُ أَدْرِى أَنَّهَــا سَبَبٌ لَهُ   لَزَادَ سُرُورِى بِالزِّيَادَةِ فِى القَتْلِ (١)

وإن بَابَ أمر عليك ألتوى   فشاور لبيباً ولا تعصــه (١)

(١) يقول : لو كنت أعلم علما ليس بالظن أن هذه الفتنة التى دعت إلى إعمال الرماح تكون سببا لمجىء الممدوح إلينا والتملى بقربه : لزاد سرورى بزيادة الفتنة وكثرة القتل . قال العكبرى: يشير إلى الوقعة التى جرت بالكوفة ولم يشهدها الممدوح وكانت سبب قدومه إلى الكوفة .

أخزَى إلهى لينها وشدَّها ،   واللهِ لا تَسْلَمَ عندى بعدها

* ولا أرجِّى ما حَيِيتُ رِفْدَها *

ثم خرج من قترته حتى جاء بها إلى صخرة فضربها بها حتى كسرها ، ثم نام إلى جانبها حتى أصبح ، فلما أصبح ونظر إلى نبله مضرجة بالدماء وإلى الحمر مصرعة حوله عض إبهامه فقطعها ، ثم أنشأ يقول :

نَدِمْتُ ندامــــة لو أن نفسى   تطاوعنى إذاً لَبَــتَرْتُ خَمْسى

تبيَّنَ لى سَــفاهُ الرأى مِنِّى   لَعَمْرُ الله حين كَسَرْتُ قوْسى

(١) وبعدها :

ولا تنطقِ الدهــرَ فى مجلس   حــديثاً إذا أنت لم تُحْصِهِ

وَنُصِّ الحديث إلى أهــله ،   فإن الوثيقــةَ فى نَصِّــه

وإنْ ناصحٌ منك يوماً دَنا ،   فلا تنأ عنه ولا تُقْصِــه

وَكَمْ من فتًى شاخصٍ عقلُه ،   وقد تعجب العينُ من شخصِهِ

وآخَــرَ تحســبه جاهلا ،   ويأتيك بالأمر من فَصِّــهِ

وهى لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، شاعر ضخم أدرك الدولة العباسية . ونص الحديث رفعه وأسنده ، والوثيقة فى الأمر : إحكامه والأخذ بالثقة ، وفص الأمر : أصله وحقيقته . يقول : أنا آتيك بالأمر من فصه : يعنى من مخرجه الذى قد خرج منه .

فَلاَ عَدِمَتْ أَرْضُ الْعِرَاقَيْنِ فِتْنَةً دَعَتْكَ إِلَيْهَا كَاشِفَ الْخَوْفِ وَالْمَحْلِ (١)

ظَلِلْنَا إِذَا أَنْبَى الْحَدِيدُ نُصُولَنَا نُجَرِّدُ ذِكْراً مِنْكَ أَمْضَى مِنَ النَّصْلِ (٢)

وَنَرْمِي نَوَاصِيهَا مِنِ اسْمِكَ فِي الْوَغَى بِأَنْفَذَ مِنْ نُشَّابِنَا وَمِنَ النَّبْلِ (٣)

فَإِنْ تَكُ مِنْ بَعْدِ الْقِتَالِ أَتَيْتَنَا فَقَدْ هَزَمَ الأَعْدَاءَ ذِكْرُكَ مِنْ قَبْلِ (٤)

---

(١) العراقان : الكوفة والبصرة ، وكاشف : لك أن تجعله منادى ، وأن تجعله حالا . والخوف : يروى البأس ؛ والبأس : الفقر أو الشدة . والمحل : الجدب . يدعو يقول : لا خلت هذه الأرض من فتنة تكون سببا لورودك ، وداعية إلى مجيئك إليها حتى تكشف عنا الخوف بسطوتك والجدب بجود راحتك :

(٢) أنبى : جعلها نابية لا تنفذ ، والنصول : السيوف . يقول : إذا نبت السيوف بأيدينا وحال دون نفاذها كثرة سلاح أعدائنا ذكرناك فنفذت سيوفنا بدولتك ، وكان ذكرك أمضى من السيف .

(٣) الضمير فى « نواصيها » لخيل الأعداء — وإن لم يجر لها ذكر — وسكن الياء فى « نواصيها » للضرورة . والوغى : الحرب ؛ والنبل : سهام العرب ؛ والنشاب : سهام العجم . يقول : إذا سميناك فى الحرب انهزم أعداؤنا ، فكأن اسمك سهام تقع فى وجوه أخيلهم ، فتكون أقتل لهم من نشابنا ونبلنا .

(٤) يقول : إن كنت أتيتنا بعد انقضاء الوقعة بيننا وبينهم ، ولم تشهد ما قصدت له من نصرتنا : فنحن إنما انتصرنا عليهم وهزمناهم بذكرك قبل وصولك ، فأنت الغالب لا نحن . وجعل « قبلا » نكرة فأعربها وكسرها كما قال الآخر :

وساغَ لِىَ الشرابُ وكنتُ قبلاً أكادُ أغصُّ بالماءِ الحميمِ (١)

---

(١) هو ليزيد بن الصعق ، وقبله :

فَنِمْتُ الليلَ إذ أوقعتُ فيكم قبائلَ عامرٍ وبنى تميمِ

وساغَ لِىَ الشرابُ . . . . « البيت »

وأغص : مضارع غصصت بالطعام غصصا — من باب تعب — والغصة : ما غص به الإنسان من طعام أو غيظ على التشبيه ، وهو هنا مستعمل مكان الشرق ، لأنه مخصوص بالماء : يقال شرق بالماء وبريقه إذا لم يبلعهما ، والحميم ، الماء الحار — وليس بمراد — ومن ثم قال أبو العباس ثعلب : سألت ابن الأعرابى عن الحميم فى هذا البيت ، فقال الحميم : الماء البارد ؛ فيكون الحميم إذن من الأضداد ، يكون الحار ويكون البارد .

وَمَازِلْتُ أَطْوِى الْقَلْبَ قَبْلَ اجْتِمَاعِنَا   عَلَى حَاجَةٍ بَيْنَ السَّنَابِكِ وَالسُّبْلِ (١)

وَلَوْ لَمْ تَسِرْ سِرْنَا إِلَيْكَ بِأَنْفُسٍ   غَرَائِبَ يُؤْثِرْنَ الْجِيَادَ عَلَى الْأَهْلِ (٢)

وَخَيْلٍ إِذَا مَرَّتْ بِوَحْشٍ وَرَوْضَةٍ   أَبَتْ رَعْيَهَا إِلَّا وَمِرْجَلُنَا يَغْلِى (٣)

وَلٰكِنْ رَأَيْتَ الْقَصْدَ فِى الْفَضْلِ شِرْكَةً   فَكَانَ لَكَ الْفَضْلَانِ بِالْقَصْدِ وَالْفَضْلِ (٤)

وَلَيْسَ الَّذِى يَتَّبَّعُ الْوَبْلَ رَائِدًا   كَمَنْ جَاءَهُ فِى دَارِهِ رَائِدُ الْوَبْلِ (٥)

(١) السنابك : أطراف الحوافر، والسبل الطرق . يقول : مازلت أنتوى زيارتك وقصدك قبل هذا الاجتماع ، وكان ذلك حاجة لا تنال إلا بقطع المسافة . فهى حاجة بين سنابك الخيل والطرق .

(٢) الجياد : الخيل ؛ ويؤثرن : يخترن . يقول : لو لم تسر إلينا لسرنا إليك بأنفس هى غريبة بين الناس لما فيها من الخلائق التى لاتوجد فى غيرها ، ومن ذلك أنها تؤثر السفر على الحضر والتعب على الدعة تحصيلا للمجد وعليا المراتب .

(٣) خيل : عطف على « نفس » ؛ والمرجل : القدر من نحاس . يقول : ولسرنا إليك بخيل سابقة طاردة للوحوش ، لاترعى الرياض قبل صيد وحشها ؛ فإذامررنا بروضة صدنا بها الوحش ونصبنا المرجل ثم رعت خيلنا : يعنى أن الكلال لا يصيب هذه الخيل بعد قطع المراحل فلا يمنعها من مطاردة الوحش وصيده قبل أن تستريح وترعى ؛ وهذا من قول امرئ القيس :

إذا ما ركبنا قال ولدانُ أهلنا   تعالَوْا إلى أن يأتِىَ الصيد نحطب

(٤) فى الفضل : متعلق بشركة. يقول : كانت نيتنا أن نقصدك والقصد مقترن بفضل القاصد : فلما اتفق مجيئك وكفيتنا بذلك مؤنة المسير إليك حصل لك فضلان : فضل كسبته بقصدك إلينا ، وفضل تنفرد به دون سائر الناس.

(٥) يتبع أصله : يتتبع ؛ فأسكن التاء الأولى وأدغمها فى الثانية ، ومثله : اطير واثاقل : والوبل : المطر الغزير. والرائد : الذى يرسله القوم يطلب لهم الكلأ ومساقط الغيث . وقوله رائد الوبل : من باب المشاكلة . يقول : ليس من يطلب المطر كمن مطر وهو فى داره ، يريد أنهم بسبب مجيئه إليهم صاروا كمن مطر ببلده لا يتعنى بنشدان الموضع الممطور ، يعنى : ليس من يقصد الخير كمن يأتيه الخير عفوا بلا قصد ولا تعب ، وقال الإمام التبريزى : أنت كالسحاب الذى جاءنا مطره ولم يحوجنا إلى السفر لنرى ما أنبته فيما بعد من الأماكن البعيدة التى تقصد للمرعى .

وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَدَّعِي الشَّوْقَ قَلْبُهُ ... وَيَحْتَجُّ فِي تَرْكِ الزِّيَارَةِ بِالشُّغْلِ (١)

أَرَادَتْ كِلَابٌ أَنْ تَفُوزَ بِدَوْلَةٍ ... لِمَنْ تَرَكَتْ رَعْيَ الشُّوَيْهَاتِ وَالإِبْلِ (٢)

أَبَى رَبُّهَا أَنْ يَتْرُكَ الوَحْشَ وَحْدَهَا ... وَأَنْ يُؤْمِنَ الضَّبَّ الخَبِيثَ مِنَ الأَكْلِ (٣)

---

(١) يقول : لست كمن يدعى الشوق ثم لا يزور ويحتج بعوائق الشغل يعنى أن من يدعى الشوق إذا كان بهذه الصفة كان كاذبا فى دعواه ، لأن من عالج الشوق زار ولم يستبعد الدار : يريد أن الممدوح لو تأخر عن المجىء إلى الكوفة لقصده أبو الطيب ولم يحتج بالشغل ؛ ومما يتصل بهذا المعنى قول القائل :

بَعِيدٌ عَنِ الكَسْلانِ أو ذِى مَلالَة ... وَأَمَّا عَلَى المُشْتَاقِ فَهْوَ قَرِيبُ

(٢) كلاب : هى القبيلة الثائرة التى قصدت إلى الكوفة ؛ وقاتلها أهلوها قبل قدوم هذا الديلمى الممدوح . وقوله لمن تركت الخ : استفهام، والشويهات جمع شويهة ،تصغير شاة . يقول . إن بنى كلاب طلبوا الإمارة وهم رعاة إبل وغنم فإذا طلبوا الإمارة فلمن تركوا رعى الإبل والغنم ؟ يعنى أنهم ليسوا أهلا لما طلبوه ، وإنما هم أهل للرعى .

(٣) يقول : أبى الله أن ينيلهم الإمارة وأن يؤمن الوحش من الصيد والضب من الأكل ، يعنى أنهم أهل بادية وديدنهم صيد الوحش وأكل الضباب الخبيثة المطعم،ويأبى الله لهم إلا هذا ، لا الإمارة التى حاولوها . . . هذا : والضب معروف وجمعه ضباب وضباب وأضب ، مثل كف وأكف ، والأنثى ضبة ، والعرب تستقذر الورل ، وهو دابة على خلقة الضب ، إلا أنه أعظم منه وتستخبثه فلا تأكله ، وأما الضب فإنهم محرصون على صيده وأكله ، وفى المثل أعق من ضب ، لأنه ربما أكل حسوله ــ أولاده ــ حين تخرج من بيضه ، ومن قولهم : لا أفعله حتى يرد الضب الماء لأن الضب لا يشرب الماء، ومن كلامهم الذى يضعونه على ألسنة البهائم قالت السمكة : ورداً ياضب ، فقال :

أصبحَ قلبي صَرِدَا * لا يشتهِي أن يرِدَا * إلا عراداً عَرِدَا

وصِلِّيانًا بَرِدَا * وعَنْكَثًا مُلْتَبِدَا

« صرداً : أى باردا ؛ والعراد : نبت صلب العيدان منتشر الأغصان ، ينبت فى البادية ، وهو النخيل ؛ وعراد عرد : على المبالغة ــ والصليان : نبت كذلك ؛ وبردا : يريد باردا ؛ ويروى زردا : أى سريع الازدراد ؛ والعنكث ، شجر يشتهيه الضب فيسحجه بذنبه حتى يتحات فيأكل المتحات »

وَقَادَ لَهَا دِلِيرُ كُلَّ طِمِـــــرَّةٍ ⁽¹⁾ تُنِيفُ بِخَدَّيْهَا سَحُوقٌ مِنَ النَّخْلِ

وَكُلَّ جَوَادٍ تَلْطِمُ الأَرْضَ كَفُّهُ ⁽²⁾ بِأَغْنَى عَنِ النَّعْلِ الْحَدِيدِ مِنَ النَّعْلِ

فَوَلَّتْ تُرِيغُ الْغَيْثَ وَالْغَيْثَ خَلَّفَتْ

وَتَطْلُبُ مَا قَدْ كَانَ فِي الْيَدِ بِالرِّجْـــلِ ⁽³⁾

---

(١) الطمرة: الفرس العالية الوثابة. وتنيف: تشرف. والسحوق: النخلة الطويلة يقول: قاد هذا الممدوح لكلاب كل فرس وثابة طويلة العنق كأن عنقها نخلة سحوق — طويلة — قد أشرف خداها من فوقها؛ وهذا من قول الآخر:

كأن الجسمَ للرائين طَـــود وهاديها كأن جِذْع سحوقُ

هذا: ويقال نخلة سحوق وجبارة ومجنونة وباسقة؛ يريدون العلو، وأنها ممتنعة لا يصل إليها أحد إلا بالتعب، وأنشدوا:

يا ربِّ أرسِل خارفَ المساكينْ عَجَاجةً ســـاطِعةَ العثانينْ

* تنفضُ ما في السُّحق المجانين *

« يعنى بخارف المساكين الريح الشديدة التى تنفض لهم التمر من رءوس النخل وعثنون الريح هيدبها إذا أقبلت تجر الغبار جرا ».

(٢) الجواد: الفرس الكريم، وبأغنى: أى بحافر أغنى، فحذف الحافر للعلم به؛ والحديد: بيان للنعل. يقول: وقاد لها كل فرس جواد، قوى الأسر. شديد الخلق يضرب الأرض بحافر مستغن عن النعل بصلابة خلقته، كما يستغنى النعل عن النعل. وسمى حافره كفا: استعارة من الإنسان كما استعير للانسان الحافر من الفرس فى قول جبيهاء الأسدى يصف ضيفا طارقا أسرع إليه:

فأبصرَ نَارِى وَهْىَ شقراء أُوقِدَتْ بليلٍ فلاحتْ للعُيُونِ النَّوَاظِرِ

فما رقدَ الوِلْدَانُ حتى رَأَيْتُه على البكرِ يمْرِيه بساقٍ وحافِــرِ

يمريه: يستخرج ما عنده من الجرى ».

(٣) ولت: أدبرت. والضمير: للقبيلة. وتريغ: تطلب. وخلفت: تركت خلفها. يقول: إن كلابا هذه كانت قبل تمردها وطمعها فى الإمارة فى أمن ونعمة، فلما طمعت فى الإمارة وجاءت إلى الكوفة محاربة هزمت وأدبرت هاربة تطلب غيثا — يعنى أمنا ونعمة — وقد خلفت أمنا كان فى يدها فصارت تطلب بأرجلها ما كان فى يدها: أى تطلب بهربها وإغذاذها سيرها على

تُحاذِرُ هَزْلَ المَـالِ وَهْيَ ذَلِيلَةٌ وَأَشْهَدُ أَنَّ الذُّلَّ شَرٌّ مِنَ الْهَزْلِ (١)
وَأَهْـدَتْ إِلَيْنَا غَـيْرَ قَاصِدَةٍ بِهِ
كَرِيمَ السَّجَايَا يَسْبِقُ الْقَوْلَ بِالْفِعْـلِ (٢)
تَتَبَّعَ آثَارَ الرَّزَايَا بِجُـودِهِ تَتَبُّعَ آثَارِ الأَسِـنَّةِ بِالْفُتْلِ (٣)

أرجلها ـ ما كان حاصلا فى أيديها . فدلت بذلك على جهل وحمق وقال ابن فورجه : يعنى أنها كانت فى غيث من أقطاع السلطان وإنعامه ، فلما عصوا وحاربوا انهزموا وولوا هاربين يطلبون مأمنا وحصنا وقد خلفوا أمنا كان حاصلا لهم . وقوله تطلب بأرجلها ما كان فى أيديها ، أى تطلب بهربها وعدوها ـ جريها على أرجلها ـ ما كان حاصلا فى أيديها ، والمعنى أنها تطلب ما كان فى أيديها آمنة مطمئنة بالانتقال والرحلة ، خائفة متوقعة ، فأشار باليد والرجل إلى الحالتين . هذا : ويقال أراغ وارتاغ : بمعنى طلب وأراد ، تقول للرجل يحوم حولك : ماذا تريغ ؟ أى ماذا تريد وتطلب ؟ وفلان يريغ كذا وكذا ويليصه : أى يطلبه ويديره ، وأنشدوا :

يُدِيرُونَنِى عن سـالِمٍ وَأُرِيغُهُ وجلدةُ بين العينِ والأنفِ سالمُ

(١) المراد بالمال ـ ههنا ـ المواشى . والهزل ـ بفتح الهاء وضمها ـ الهزال : ضد السمن . وقد هزل الرجل والدابة ـ على ما لم يسم فاعله ـ وهزل هو هزلا وهزلا ، وهزلته أنا أهزله هزلا فهومهزول ، وأهزل القوم : أى أصابت مواشيهم سنة ـ جدب ـ فهزلت . يقول : يحاذرون الهزال على مواشيهم وهم قد ذلوا بالقتل والهزيمة ، وما لحقهم من الذل شر مما يحاذرون على أموالهم من الهزال .

(٢) به : متعلق بأهدت ؛ والباء تجريد ؛ وكريم السجايا : يعنى الممدوح والسجايا : الخلائق والطبائع يقول : أهدت إلينا كلاب ـ بتمردها وعصيانها ـ من الممدوح كريم السجايا يسبق ـ فى الإحسان ـ فعله قوله ، ويتقدم ـ فى الإفضال ـ إنجازه وعده ، يعنى أنها كانت سببا فى قدومه إلينا ، وإن لم تقصد ذلك .

(٣) الرزايا : المصائب . والأسنة : أسنة الرماح ؛ وآثارها : هى الجراحات التى تحدثها : والفتل : جمع فتيلة ، وهى التى يجعل فيها الطبيب المرهم ليوصله إلى الجرح . يقول : إنه جبر أحوال الناس وأصلح مالحقهم من الرزايا والخسائر بسبب غارة بنى كلاب وآسى جروحهم وداواها بجوده ، كما تؤاسى جروح الأسنة وتداوى بالفتائل ؛ وهذا ينظر إلى قول بشامة بن حزن النهشلى :

شَفَى كُلَّ شاكٍ سَيْفُهُ وَنَوَالُهُ
مِنَ الدَّاءِ حَتَّى الثَّاكِلَاتِ مِنَ الثُّكْلِ (١)

عَفِيفٌ تَرُوقُ الشَّمْسَ صُورَةُ وَجْهِهِ
وَلَوْ نَزَلَتْ شَوْقاً لَحَادَ إِلَى الظِّلِّ (٢)

شُجَاعٌ كَأَنَّ الحَرْبَ عَاشِقَةٌ لَهُ
إِذَا زَارَهَا فَدَّتْهُ بِالخَيْلِ وَالرَّجْلِ (٣)

وَرَيَّانُ لَا تَصْدَى إِلَى الخَمْرِ نَفْسُهُ
وَعَطْشَانُ لَا تَرْوَى يَدَاهُ مِنَ البَذْلِ (٤)

فَتَمْلِيكُ دِلِّيرٍ وَتَعْظِيمُ قَدْرِهِ
شَهِيدٌ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَالعَدْلِ (٥)

وَمَا دَامَ دِلِّيرٌ يَهُزُّ حُسَامَهُ
فَلَا نَابَ فِي الدُّنْيَا لِلَيْثٍ وَلَا شِبْلِ (٦)

بِيضٍ مفارِقُنَا تغلِي مَرَاجِلُنَا نأسو بأموالِنا آثارَ أيدِينا

(١) النوال : العطاء ؛ والثاكلات : الفاقدتا أولادهن . يقول : أدرك ثأر القتلى، وأفاض جوده على الأحياء فأزال شكوى الموتور والمرزوء حتى شفى الثاكلات من حزنهن حين ثأر لهن وأنساهن الثكل بجوده . قال العكبرى : والثاكلات فى موضع نصب عطفا على « كل » والتقدير : شفى كل شاك والثاكلات . ويجوز أن يكون فى موضع جر ، ولكن العطف أولى وأظهر .

(٢) تروق : تعجب . وحاد : مال . يقول : إن الشمس تستحسن صورة وجهه ، فلو نزلت إليه الشمس شوقا إليه لمال عنها وعف : يعنى أنه عفيف عن كل أنثى حتى عن الشمس ، فلو هى نزلت إليه لحقق معنى العفة .

(٣) المراد بالخيل : الفرسان . والرجل : جمع راجل . يقول : هو شجاع يقتل ولا يقتل ، فكأن الحرب تعشقه وتحبه ، فإذا زار الحرب وأتاها استبقته وأفنت من سواه من الفرسان والرجال ، فكأنها جعلتهم فداء له ، وهو تخيل مبتكر بديع .

(٤) ريان : من الرى ، وتصدى : تعطش ؛ والصدى : العطش ؛ والبذل العطاء . يقول : إنه لايشرب الخمر ، فكأنه مرتو منها لايعطش إليها ، ولا يفتر عن البذل ، فكأنه عطشان لايروى منه .

(٥) يقول : تملكته وعظم قدره يشهدان بوحدانية الله تعالى وعدله ورأفته بعباده ، إذ ملك عليهم من هو عفيف محسن إلى عباده .

(٦) الحسام : السيف القاطع ؛ والليث : الأسد . والشبل : ولد الأسد . يقول : مادام قائم سيفه فى كفه فلا عادية لقوى على ضعيف ، لأنه يصده بسيفه أن يعدو على

وما دَامَ دِلِّيرٌ يُقَلِّبُ كَفَّهُ
فَلاَ خَلْقَ مِنْ دَعْوَى الْمَكَارِمِ فِى حِلِّ(١)

فَتًى لاَ يُرَجِّى أَنْ تَتِمَّ طَهَارَةٌ لِمَنْ لَمْ يُطَهِّرْ رَاحَتَيْهِ مِنَ الْبُخْلِ(٢)

فَلاَ قَطَعَ الرَّحْمٰنُ أَصْلاً أَتَى بِهِ
فَإِنِّى رَأَيْتُ الطَّيِّبَ الطَّيِّبَ الأَصْلِ(٣)

* * *

وقال يمدح عضد الدولة ، ويذكر وقعة وَهْشُوذَان بن محمد الكردى بالطرم ، وكان والده ركن الدولة أنفذ إليه جيشاً من الرى فهزمه وأخذ بلده :

إِثْلِثْ فَإِنَّا أَيُّهَا الطَّلَلُ نَبْكِى وَتُرْزِمُ تَحْتَنَا الإِبِلُ(٤)

الناس ، والليث والناب : مثل — أى ولو كان القوى ليثا لكان بلا ناب — وقال ابن جنى : يعنى لا تعمل أنياب الأسد ما يعمل سيفه فى كفه . فكأنها ليست موجودة ، وليس بشىء .

(١) يقول : وما دام هو يحرك يده بالبذل فلا يحل لأحد دعوى المكارم لأنه لا يجود أحد جوده .

(٢) يقول : هو مجبول على البذل والجود ، يمقت البخل ويجتويه ، فلا يرى طاهرا مبرءاً من الدنس إلا من جانب البخل وتطهر منه .

(٣) يقول : لا قطع الله أصلا أنجب لنا مثله ، وأبقى على النسل الذى نشر علينا فضله فإنى رأيت الفروع إنما تطيب بحسب طيب أصولها .

(٤) إثلث : كن ثالثا — من قولهم ثلثت الرجلين أثلثهما : إذا صرت ثالثهما — والطلل ماشخص من آثار الديار . والإرزام : حنين الإبل . يقول — للطلل — كن ثالثنا فى البكاء على فقد الأحبة ، فإنا نبكى والإبل تحن كأنها تبكى كذلك ؛ وعبارة العكبرى التى كأنها شعر منثور : كن أيها الطلل ثالثا فى البكاء على فقد الأحبة ، فنحن نبكى والإبل تحن معنا ، تساعدنا بالبكاء على ما غيرته الأيام من بهجتك ، وأذهبت من غضارتك وجدتك ؛ ووصلته من بعد أحبائنا العامرين لك ، الجامعين شمل السرور بك ، فإنا نبكى فيك ، ونوقنا ترزم ، ونندب ساكنيك ودموعنا تسجم . وفيه نظر إلى قول البحترى :

أُطْلُبَا ثالثاً سِوَاى فإنى رابعُ العيسِ والدُّجى والبيد

أَوْلاَ فَلاَ عَتْبٌ عَلَى طَلَــلٍ ... إِنَّ الطُّلُولَ لِمِثْلِهَا فُعُلُ(١)
لَوْ كُنْتَ تَنْطِقُ قُلْتَ مُعْتَذِراً ... بِى غَيْرُ مَا بِكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ(٢)
أَبْـكَاكَ أَنَّكَ بَعْضُ مَنْ شَغَفُوا ... لَمْ أَبْكِ أَنِّى بَعْضُ مَنْ قَتَلُوا(٣)
إِنَّ الَّذِينَ أَقَمْتَ وَاحْتَمَــلُوا ... أَيَّامُهُــمْ لِدِيَارِهِمْ دُوَلُ(٤)
الْحُسْنُ يَرْحَلُ كُلَّمَا رَحَــلُوا ... مَعَهُمْ وَيَنْزِلُ حَيْثُمَا نَزَلُوا(٥)

ومن هذا قول التهامى :

بكيتُ فَحَنَّتْ نَاقَتِى فَأَجَابَهــا ... صهيل جوادى حين لاحت ديارها

(١) أولا : عطف على محذوف : أى إن بكيت نخليق بك البكاء أو لم تبك فلا عتب عليك . ولمثلها : أى لمثل هذه الفعلة — يعنى عدم البكاء — وفعل : جمع فعول . يقول : إن لم تبك معنا فلا عتب عليك فإن الطلول ليس من عادتها البكاء ، فهى فاعلة لمثل هذه الفعلة من ترك المساعدة على البكاء .

(٢) يقول — للطلل — : لو كنت ذا نطق لاعتذرت إلى بأنك لو كنت ممن يبكى لما قدرت على البكاء مع ماحل بك من البلاء بسبب ارتحال الأحبة ،وهو قوله «بى غير ما بك» وقد فسر ذلك فى البيت التالى .

(٣) لم أبك أنى : أى لم أبك لأنى ، والضمير من « شغفوا وقتلوا » للأحبة والعائد محذوف : أى شغفوهم وقتلوهم . والبيت من تتمة قول الطلل ، ويروى شغفوا وقتلوا — بالبناء للمجهول — والأولى أجود . يقول : لقلت لى الذى بى أكثر من الذى بك لأنهم — الأحبة — شغفوك حبا فأذهبوا قلبك فبكيت لفراقهم ، أما أنا فإنهم قتلونى بارتحالهم — كناية عن دروسه بعدهم — والقتيل لايقدر على البكاء .

(٤) يقول للطلل : إن الأحبة الذين ارتحلوا عنك وغادروك وأقمت بعدهم أيامهم دول لديارهم : تعمر بنزولهم أيام مقامهم ، وتخرب بارتحالهم . وعبارة العكبرى : أيامهم للديار التى يحلونها ، دول سرور مستقبلة ، وأيام جذل مستأنفة ، والذى صرف عنك من ذلك يوحشك ومامنعته منهم لامحالة يؤلمك . وأقمت : يروى بضم التاء على أن هذا من كلام الطلل متصلا بالكلام المحكى عنه .

(٥) يقول : إن الحسن محصور فى الحبيب الذى معهم ، فهو يرحل برحيلهم وينزل بنزولهم ، وعبارة العكبرى : الحسن يرحل مع الذين هاجنا الحزن لرحيلهم ، وينزل معهم بالمكان الذى ينزلونه ، فلا يفارقهم انقيادا لأمرهم ، ولا يتأخر عنهم كلفاً بهم .

فِى مُقْلَتَىْ رَشَأٍ تُدِيرُهُمَا   بَدَوِيَّةٌ فُتِنَتْ بِهَا الْحِلَلُ(١)
تَشْكُو الْمَطَاعِمُ طُولَ هِجْرَتِهَا   وَصُدُودِهَا وَمَنِ الَّذِى تَصِلُ(٢)
مَا أَسْأَرَتْ فِى الْقَعْبِ مِنْ لَبَنٍ   تَرَكَتْهُ وَهْوَ الْمِسْكُ وَالْعَسَلُ(٣)

---

(١) فى مقلتى رشأ : متعلق بـ«يرحل» ـ فى البيت السابق ـ والرشأ : ولد الظبية. والحلل : جمع حلة ، وهى القوم المجتمعون فى بيوت مجتمعة للنزول : يقول : إن الحسن يرحل فى مقلتين مستعارتين من رشأ تديرهما امرأة بدويه ـ تقيم فى الباديه حينما نزلت افتتن بها القوم الذين تنزل بهم .

(٢) يقول : إن هذه المرأة قتين(١) قليلة التناول للطعام حتى لتشكو الأطعمة هجرها وصدودها ، ثم قال : ومن الذى تصل ؟ وهو استفهام ، يعنى أن الهجر ديدنها فهى لا تصل أحدا حتى الطعام ، وقوله وصدودها : قال العكبرى : روايتنا فيه عن شيخى بالنصب والجر : فالنصب عطفا على طول ، والجر عطفا على هجرتها .

(٣) ما أسأرت ، أى الذى أسأرت وأبقت : مبتدأ ؛ والخبر : تركته ؛ والقعب : قدح من خشب مقعر : وجملة « وهو المسك » حالية . يقول : إذا شربت لبنا من قدح فإن ما يبقى فيه بعد شربها منه تطيب رائحته ويحلو طعمه حتى لكأنه مسك وعسل . يريد طيب نكهتها وعذوبة ريقها . وفيه نظر إلى قول جميل :

فلو تَفلتْ فى البحر والبحرُ مالح   لعاد أُجاجُ البحرِ من ريقها عَذْبًا

هذا : وقد قلنا أسأرت : أى أبقت ، فالسؤر : بقية الشىء ، والجمع أسآر ، وفى الحديث « إذا شربتم فأسئروا » أى أبقوا شيئاً من الشراب فى قعر الإناء والنعت منه سئار ـ على غير قياس ـ لان قياسه « مسئر » قال الجوهرى : ونظيره أجبره فهو جبار قال الأخطل :

وشارِبٍ مُرْبحٍ بالكأسِ نادمَنِى   لا بالحَصُور ولا فيها بسئّارِ

« سئار ـ بالهمز ـ بوزن سعار : معناه أنه لا يسئر فى الإناء سؤراً بل يشتفه كله؛ والرواية المشهورة بسوار : أى بمعربد وثاب من سار : إذا وثب المعربد على من يشاربه والحصور الذى لا ينفق على الندامى ، وقيل الهيوب المحجم عن الشىء ، وإنما أدخل الباء لانه ذهب بلا مذهب ليس لمضارعته له فى النفى » .

---

(١) امرأة قتين : قليلة الطعم ؛ وهذا من الصفات المحمودة فى النساء .

قَالَتْ أَلاَ تَصْحُو فَقُلْتُ لَهَا ... أَعْلَمْتِنِى أَنَّ الْهَوَى ثَمَلُ (١)
لَوْ أَنَّ فَنَّا خُسْرَ صَبَّحَكُمْ ... وَبَرَزْتِ وَحْدَكِ عَاقَهُ الْغَزَلُ (٢)
وَتَفَرَّقَتْ عَنْكُمْ كَتَائِبُهُ ... إِنَّ الْمِلاَحَ خَوَادِعٌ قُتُلُ (٣)
مَا كُنْتِ فَاعِلَةً وَضَيْفُكُمُ ... مَلِكُ الْمُلُوكِ وَشَأْنُكِ الْبَخَلُ (٤)

(١) ثمل : أى سكر . يقول : قالت لى – لائمة لى على العشق – ألا تصحو من بطالتك فقلت لها أخبرتنى – فى فحوى كلامك حين أمرتنى بالصحو – أن الهوى سكر ، لأن الصحو لا يكون من غير السكر . وهذا إشارة إلى أنه كان غافلا عن حال نفسه لشدة هيمانه وأنها نبهته إلى أنه سكران من الهوى .

(٢) فناخسر : هو اسم عضد الدولة ، وصبحكم : أى أتاكم صباحا للغارة والغزل : الكلف بالنساء . يقول : لو أن عضد الدولة – مع جده وتوفره على تدبير الملك – أتاكم صباحا للغارة وبرزت له اقدحت فى قلبه غزلا فمال إليك وعاقه ذلك عن الحرب لمكانك من الحسن . وقال ابن جنى : ما أحسن ما كنى عن الهزيمة بقوله عاقه الغزل . قال ابن فورجه ناقدا : لو كانت هذه إحدى السعالى (١) لما هزمت أحداً فكيف عضد الدولة ! وما وجه الهزيمة عمن توصف بالحسن ويقال فيها بدوية فتنت بها الحلل ! وإنما هذا وصف لعضد الدولة بالرغبة عن النساء والتوفر على الجد ، ثم لما بالغ فى وصف هذه وأراد الخروج إلى المدح أتى بالغاية فى ذكر حسنها ، حتى لو أن عضد الدولة مع توفره وجده على تدبير الملك لو تعرضت له هذه المرأة لقدحت فى قلبه غزلا عاقه عن الرجوع عنها : ألا تراه يقول بعده : ما كنت فاعلة وضيفكم الخ ! وكيف يضاف المنهزم . وإنما غلط ابن جنى لما سمع قوله : وتفرقت عنكم كتائبه ، وإنما تتفرق حينئذ عنهم لتوفرها على الغزل واللهو ولذة الظفر بالحبيب .

(٣) الكتائب : جمع كتيبة ، الفرقة من الجيش . وقتل : جمع قتول . يقول : ولتفرقت كتائبه عنكم لولوعه بكم وتشاغله بذلك عن الحرب ، ثم قال : إن الحسان تخدعن العقول ، والشغف بهن قاتل ، ومن ثم تخدعين عضد الدولة – وهو من هو ؟ ! وتتفرق كتائبه من جرائك . فكأنك هزمتهم وعصفت بهم .

(٤) يقول : أى شىء كنت فاعلة وقد أتاكم ملك الملوك ضيفا ، وسبيل من حل به أن يحتفل به ويكرمه وأنت بخيلة ! يعنى بالطعام والقرى يصفها بالبخل ، والبخل والجبن من خير أخلاق النساء ، وهما من شر أخلاق الرجال

(١) السعالى : جمع سعلاة ، قيل: هم سحرة الجن ، وقيل: الغيلان الخبيثة .

أَتمنعين قِـرًى فتفتضحِى ... أم تبذلين له الذى يَسَلُ(١)
بل لا يَحُلُّ بحيثُ حـلَّ به ... بخلٌ ولا جورٌ ولا وَجَلُ(٢)
مَلِكٌ إذا ما الرُّمحُ أدركَه ... طَنَبٌ ذكرناه فيعتدلُ(٣)
إن لم يكن مَنْ قبلَه عجزوا ... عمّا يَسُوسُ به فقد غفلوا(٤)
حـتّى أتى الدُّنيا ابنُ بجدتِها ... فشكا إليه السَّهلُ والجَبَلُ(٥)
شـكوى العَليلِ إلى الكفيلِ له ... أن لا تمرَّ بجسمِه العِلَلُ(٦)

---

(١) القرى : ما يقدم للضيف من الطعام وغيره . ويسل : يسأل ، حذف الهمزة وألقى حركتها على السين يقول : أكنت لا تقومين بقراه فتفتضحى فى فعلك أم تقومين بذلك فتخرجى عن المعهود من أمرك

(٢) الضمير فى « به » : لحيث ـ والجور : خلاف العدل ـ وروى : ولا خور ؛ والخور: الضعف ، والوجل : الخوف. يقول : بل لا يسعك حينئذ البخل ، لأن المكان الذى يحل به هذا الملك لا تحل به هذه الأشياء .

(٣) الطنب : اعوجاج فى الرمح يقول : إنه ـ لاستقامته واعتداله فى الأمور ـ إذا ذكر اسمه اعتدل الرمح المعوج

(٤) يقول : إن من كان قبله من الملوك لم يحسنوا سياسة الملك إحسانه فإن لم يكن ذلك عجزا منهم عما يسوس به الناس من الحزم والعدل وما إليهما فهو غفلة منهم إذ لم يهتدوا إلى سيرته

(٥) يقال فلان ابن بجدتها للعالم بالشىء المتقن له ، وهو عالم ببجدة أمرك وبجدة أمرك وبجدة أمرك ـ بضم الباء والجيم ـ أى بدخيلته وبطانته ، وعنده بجدة ذلك — بفتح الباء — أى علمه يقول : حتى ملك الدنيا عضد الدولة وهو عالم بها وبضبط أمورها وسياسة أهلها ، فشكا إليه السهل والجبل ما لحقهما من الخلل

(٦) شكوى : مفعول مطلق يقول شكا إليه السهل والجبل كما يشكو العليل إلى الطبيب الذى يضمن له أن يشفيه من كل داء وعلة حتى لا تعاوده علة. يعنى : إن الدنيا بما كان فيها من الاضطراب والفساد كأنها كانت شاكية إلى عضد الدولة ، وهو ـ بقصده تسكين الفتنة وحسن السياسة ـ كأنه ضامن أن لا يعاود الدنيا ما شكته . وأصل هـذا قول الأخيلية :

إذا هبط الحجّاجُ أرضاً مريضةً ... تتبّعَ أقصى دائها فشفاهـا

قَالَتْ : فَلَا كَذَبَتْ شَجَاعَتُهُ أَقْدِمْ فَنَفْسُكَ مَا لَهَا أَجَلُ(١)
فَهُوَ النِّهَايَةُ إِنْ جَرَى مَثَلٌ أَوْ قِيلَ يَوْمَ وَغًى مَنِ الْبَطَلُ(٢)
عُـدَدُ الْوُفُودِ الْعَامِدِينَ لَهُ دُونَ السِّلَاحِ الشُّكْلُ وَالْعُقُلُ(٣)
فَلِشُكْلِهِمْ فِى خَيْلِهِ عَمَلٌ ، وَلِعُقْلِهِمْ فِى بُخْتِهِ شُغُلُ(٤)
تُمْسِى عَلَى أَيْدِى مَوَاهِبِهِ هِىَ أَوْ بَقِيَّتُهَا أَوِ الْبَدَلُ(٥)

---

(١) قالت شجاعته : فعل وفاعل . وقوله فلا كذبت : دعاء اعترض بين الفعل والفاعل . يقول : إنه يقتحم الأهوال غير مبال بها حتى كأن شجاعته قالت : أقدم فما لنفسك أجل تخشاه كآجال الناس : يعنى أن شجاعته زينت له الإقدام وصورت له أن أحداً لا يقدم عليه فهو باق بوقاية شجاعته إياه ، ثم دعا له بالبقاء وقال: لا كانت شجاعته كاذبة فيما قالت .

(٢) يوم وغى : يوم حرب . يقول : هو الغاية فى الشجاعة حين يراد ضرب المثل فى الشجاعة أو يراد الدعاء إلى النزال يوم الحرب والقتال .

(٣) الوفود : جمع وفد ، وهم جماعة الوافدين للعطاء . والشكل : جمع شكال، وهو ما يجعل فى قوائم الفرس . والعقل : جمع عقال . وهو ما يربط به يد البعير . يقول : إن الوفود الذين يعمدون إليه ويقصدونه لا يقصدونه بسلاح ، لأنه لا مطمع فيه بالسلاح وإنما عدتهم التى يحتاجون إليها فى قصدهم إياه هى شكل الخيل وعقل الإبل ثقة بنيل ما يرجون من عطاياه : وأسكن العين فى « الشكل » على لغة تميم ، وضمها فى « العقل » على لغه أسد .

(٤) البخت : الإبل العجمية، وهى غير العربية . يقول : إنه يعطيهم الخيل حتى يشكلوها بشكلهم والإبل حتى يعقلوها بعقلهم ، يعنى أنه يحقق آمالهم ويكون عند رجائهم فيه فيعطيهم من خيله وإبله ما يشكلون ويعقلون .

(٥) يقول : إن مواهبه تلى أمر ماله من خيل وإبل وتتصرف فيها ، فأمواله أبداً جميعها على أيدى مواهبه توزعها على عفاته فإذا صمدت إليه وفود وهب خيله وإبله كلها فى وقت معاً ، وإذا بقى منها شىء وهبه لمن يفد بعدهم ، وإلا وهب بدلها ذهباً وفضة : يعنى أن جميع أمواله فى تصرف مواهبه . وعبارة الخطيب التبريزى : خيله وإبله التى تأخذها الوفود ثلاثة أصناف : فإما أن تكون موفورة قد كان قبلها غيرها فهى تسلم إليهم وإما أن تكون قد بقيت منها بقية فهم المحكمون فيها ، وإما أن تكون استبدل غيرها

يشْتَاقُ مِنْ يَدِهِ إلَى سَــبَلٍ ... شَوْقاً إِلَيْهِ يَنْبُتُ الْأَسَــلُ[١]

سَبَلٌ تطُولُ الْمَكْرُمَاتُ بِهِ ، ... وَالْمَجْدُ لاَ الْحَوْذَانُ وَالنَّفَــلُ[٢]

وَإِلَى حَصَى أَرْضٍ أَقَامَ بِهَــا ... بالنَّاسِ مِنْ تَقْبِيلِهَــا يَلَلُ[٣]

فهم يأخذون البدل . وقال المعرى : يهب أوائل خيله وإبله لأوائل الوفود وبقيتها لمن يفد بعد ، فإذا لم يبق شيء وهب فى الوقت بدلها من العين والورق .

(١) السبل : المطر ، وهو بين السحاب والأرض : أى حين يخرج من السحاب ولم يصل بعد إلى الأرض . يريد به هنا مايجرى على يديه من المواهب والدماء ؛ وشوقا إليه : مفعول له ، عامله ينبت ، والضمير المجرور للسبل ؛ والأسل : عيدان الرماح: أى إن الناس تشتاق إلى مواهبه : والرماح تنبت شوقا إلىما يسقيها من دم الأبطال ؛ ولا يخفى ما فى البيت بين السبل وضميره من الاستخدام . وعبارة الواحدى والعكبرى: إن الناس يشتاقون إلى عطاء يده ، والرماح تنبت شوقا إلى أن تصحب يده : أى ليطعن بها ويستعملها فى الحرب ،فقوله شوقا إليه الخ:أى وينبت الأسل شوقا إليه ـ أى إلى الممدوح ـ أى إلى مباشرتها بيده . ولك أن تقول : إن : جملة شوقا إليه الخ : صفة لسبل ؛يعنى أن مايجرى على يديه من العطايا والدماء تشتاقه الناس وتنبت الرماح شوقا إليه : أى إلى ما يسقيها من دم الأبطال : يشير إلى أنه شجاع :

(٢) سبل : من رواه بالجر أبدله من الأول ؛ ومن رفعه جعله خبر مبتدأ محذوف والحوذان : نبات طيب الطعم ؛ زهره أحمر ؛ فى أصله صفرة . والنفل : نبت من أحرار البقول ، زهره أصفر . طيب الرائحة ؛ تسمن عليه الخيل . لما سمى عطاءه سبلا قال : هو سبل ـ مطر ـ ينبت المكرمات والمجد لأنه مطر مواهب ودماء يذيع بها حمده ، وتعلو مهابته ؛ وليس من المطر الذى ينمو به النبات :

(٣) وإلى عطف على « إلى سبل » وبالناس : خبر مقدم ؛ ويلل : مبتدأ مؤخر ؛ والجملة : صفة لحصى ؛ واليلل : قصر الأسنان ـ يقال رجل أيل ، والأنثى يلاء ـ وهو ضد الروق ، والروق : طول الأسنان . قال لبيد يصف أسهما :

فرَميتُ القومَ رشقاً صائباً ... ليس بالعُصْــلِ ولا بالمُقتعلْ

رَقَميَّات عليهــا ناهِض ... تُكلِحُ الأَرْوَقَ منهم والأيلْ[١]

---

(١) سهام عصل : معوجة ، والمقتعل : السهم الذى لم يبر بريا جيداً . والرقميات : سهام تنسب إلى موضع بالمدينة ، وعليها ناهض : أى عليها ريش فرخ من فراخ النسر

إنْ لَمْ تُخَالِطْهُ ضَـواحِكُهُمْ ... فَلِمَنْ تُصَانُ وَتُذْخَرُ القُبَـلُ(١)
فى وَجْهِهِ مِـنْ نُورِ خَالِقِهِ ... قُدَرٌ هِيَ الآيَاتُ وَالرُّسُـلُ(٢)
وَإذَا القُـلوبُ أبَتْ حُكُومَتَهُ ... رَضِيَتْ بِحُكْمِ سُيُوفِهِ القُلَلُ(٣)
وَإذَا الخَمِيسُ أبَى السُّجُودَ لَهُ ... سَجَدَتْ لَهُ فِيهِ القَنَا الذُّبُلُ(٤)
أرَضِيتَ وَهْشُوذَانُ ما حَكَمَتْ ... أمْ تَسْتَزِيدُ لِأُمِّكَ الهَبَلُ(٥)

يقول : ويشتاق إلى حصى أرض أقام بها ، ولكثرة ماقبل الناس ذلك الحصى بين يديه أصابهم اليلل وقصرت أسنانهم . وقال ابن جنى : من كثرة ما قبل الناس حصى الأرض بين يديه : كأنهم قد حدث فيهم انحناء وانعطاف إلى ذلك الحصى كما تنعطف الأسنان على باطن الفم . وهو معنى حسن ، ويكون اليلل على هذا : انعطاف الأسنان إلى داخل الفم وإقبالها عليه .

(١) الضواحك : التى بين الأنياب والأضراس ، وهى أربع ضواحك . يقول : إن لم تخالط الأسنان حصى أرضه لدى التقبيل ، فلمن تصان القبل وتدخر ؟ يعنى أن حصى أرضه أحق شىء بالتقبيل إعظاما له ؛ وإجلالا لقدره .

(٢) قدر : جمع قدرة ، وتروى : غرر ، جمع غرة ، بياض الشىء وحسنه . يقول : على وجهه نور من الله تعالى ذلك النور قدر من الله ، يعنى أنه يدل على قدرته تعالى ؛ وتلك القدر تقوم مقام الآيات والرسل ، لما فيها من الإعجاز وظهور الصنع : وعلى رواية غرر يكون المعنى : على وجهه نور من الله يشير إلى تمليكه ووجوب طاعته فيقوم مقام الآيات والرسل فى بيان مراده تعالى وتبليغ أوامره :

(٣) القلل : الرءوس ، جمع قلة . يقول : إذا لم تقبل القلوب ما يحكم به : ضرب رءوس أولئك الذين يأبون حكمه ، فكأنها رضيت بحكم سيوفه :

(٤) الخميس : الجيش : والقنا : الرماح . والذبل : الدقاق : يقول : إذا عصاه جيش العدو فلم يخضع له خفض رماحه لطعنه بها — وذلك سجود القنا — فحمله على الخضوع قهراً .

(٥) كان « وهشوذان » هذا قد هزمه ركن الدولة أبو عضد الدولة بالطرم — موضع فى عراق العجم — والهبل : الثكل — الفقد — تقول العرب : لأم

ناهض ، أى وفر جناحاه ونهض للطيران ، وأكلحه الأمر : أى لشدته أصابه بالكلوح وهو بدو الأسنان عند العبوس .

وَرَدَتْ بِلادَكَ غَيْرَ مُغْمَدَةٍ ، وَكَأَنَّهَا بَيْنَ الْقَنَا شُـعَلُ[(١)]
وَالْقَوْمُ فِى أَعْيَانِهِمْ خَـزَرٌ ، وَالْخَيْـلُ فِى أَعْيَانِهَا قَبَلُ[(٢)]
فَأَتَوْكَ لَيْسَ بِمَنْ أَتَوْا قِبَـلٌ بِهِمْ وَلَيْسَ بِمَنْ نَأَوْا خَلَـلُ[(٣)]

فلان الهبل ؛ يقول : أرضيت يا « وهشوذان » ما حكمت به سيوف ركن الدولة ، أم تمادى فى طغيانك ، فتستزيد لك ولأصحابك من القتل والخزى والتنكيل ؟

(١) وردت : أى السيوف ؛ وغير مغمدة : حال ؛ والقنا : الرماح ؛ والشعل : جمع شعلة ، القبس من النار ، شبه سيوف الممدوح المصلتة بشعل النار :

(٢) الخزر : ضيق العين ، وقيل أن يكون الإنسان كأنه ينظر بمؤخر عينه ، والقبل فى الخيل : أن تقبل إحدى العينين على الأخرى ، وإنما تفعل ذلك الخيل لعزة أنفسها ، والأعيان : جمع عين « تقول عيون وأعين وأعيان » قال يزيد ابن عبد المدان :

ولكننى أغدو علىَّ مُفاضـةٌ دِلاص كأعيان الجراد المُنظم[(١)]

قال ابن جنى : يقول : القوم ترك وخيلهم عزيزة الأنفس : أى أتوك عليها . قال ابن فورجه : كيف خص « ابن جنى » الترك بالذكر دون سائر أجناس العسكر ، سيما وأكثرهم ديلم ، والممدوح ديلمى ؟ وذهب عليه أن الغضبان يتخازر ، وقد سمع من ذكر خزر الغضبان مالا يحصى ، كقوله :

* خُزْرٌ عيونهم إلى أعدائهم *

وبعد : فالمعنى إذن أن القوم غضاب ، والخيل نشاط عزيزة الأنفس

(٣) يقول : أتاك قومه وليس لك بهم طاقة ، وليس بهم من القوم الذين بعدوا عنهم وانفصلوا من جملتهم اختلال ، يريد كثرة عسكر ركن الدولة أبى عضد الدولة ، وذلك أن جماعة من عسكر ركن الدولة انفصلوا عنه ، ومضوا إلى «وهشوذان» ولم يلحق عسكر ركن الدولة بهم اختلال . والمعنى أن عسكر ركن الدولة كبير لا يختل بمن انفصل عنه . فالقبل : الطاقة ؛ وبهم : يتعلق بقبل ؛ وجملة ليس بمن أتوا الخ : حال . وقوله بمن أتوا : أراد بمن أتوه ، فحذف العائد ، وكذلك بمن نأوا : أى بمن نأوا عنه .

---

(١) المفاضة : الدرع السابغة كأنها أفيضت على لابسها ، والدلاص : الصقيلة البراقه . وشبه حلقها فى الدقة والزرقة ، وتقارب السرد ، بعيون جراد نظم بعضه إلى بعض وجمع

لَمْ يَدْرِ مَــــنْ بِالرَّىِّ أَنَّهُمُ ... فَصَلُوا وَلاَ يَدْرِى إِذَا قَفَــلُوا [١]
فَأَتَيْتَ مُعْتَزِماً وَلاَ أَسَــدٌ ... وَمَضَيْتَ مُنْهَزِماً وَلاَ وَعِلُ [٢]
تُعْطِى سِــلاَحَهُمُ وَرَاحَهُمُ ... مَا لَمْ تَكُنْ لِتَنَالَهُ الْمُقَــلُ [٣]
أَسْخَى الْمُلُوكِ بِنَقْلِ مَمْلَكَةٍ ... مَنْ كَادَ عَنْهُ الرَّأْسُ يَنْتَقِلُ [٤]
لَوْلاَ الْجَهَــالَةُ مَا دَلَفْتَ إِلَى ... قَوْمٍ غَرِقْتَ وَإِنَّمَا تَفَلُوا [٥]
لاَ أَقْبَلُوا سِرًّا وَلاَ ظَفِــرُوا ... غَدْراً وَلاَ نَصَرَتْهُمُ الْغِيَــلُ [٦]

---

(١) الرى : بلد بين أرض فارس وخراسان ، وكانت قاعدة ركن الدولة ؛ والنسبة إليها : رازى . وفصلوا : يريد خرجوا ؛ وقفلوا : رجعوا . يقول : لكثرة جيوشه بالرى لم يشعروا بخروج هؤلاء من بينهم ، ولا يشعرون برجوعهم حين يرجعون ؛ يعنى أنهم لم يشعروا بالجيش الذى هزم « وهشوذان » لقلتهم بالإضافة إلى سائر الجيش ؛ ولا شعروا بقفولهم .

(٢) يخاطب «وهشوذان» يقول : أقبلت إلى الحرب ولا أسد يقدم إقدامك ، ومضيت منهزما ولا وعل ينهزم انهزامك ، نخبر «لا» فى الموضعين محذوف ـ كما ترى ـ للعلم به ؛ والوعل : تيس الجبل ، له قرنان قويان منحنيان كسيفين أحدبين .

(٣) الراح : جمع راحة ، راحة اليد . يقول ـ لوهشوذان ـ : تعطى سلاحهم من أرواح عسكرك وأكفهم من الأموال والأثاث والكراع [١] والسلب ما لم تكن العيون لتطمح أن تراه ، لمنعته وبعد نيله .

(٤) يقول : أسخى الملوك بترك مملكته ونقلها إلى من يغصبها منه من خاف انتقال الرأس عنه ؛ يعنى أنك خفت أن يقطع رأسك ، فسخوت بمملكتك لئلا ينتقل الرأس عنك قال ابن جنى : لو قال بترك مملكة : لكان أوجه ، إلا أنه اختار النقل ، لقوله آخرا : ينتقل .

(٥) دلف إليه : دنا منه ومشى إليه . يقول : لولا جهلك لما قصدت قوماً تنهزم عنهم بادنى حرب منهم ، فضرب لهذا مثلا بالغرق والتفل ، والمعنى : أنهم لكثرتهم لو بزقوا عليك لغرقوك .

(٦) الغيل : جمع غيلة ، وهى القتل على حين غفلة ، ومن حيث لا يدرى . يقول :

---

(١) الكراع ـ بضم الكاف ـ اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير .

لاَ تَلْقَ أَفْرَسَ مِنْكَ تَعْـرِفُهُ   إلاَّ إذَا ضَاقَتْ بِكَ الْحِيَـلُ[١]
لاَ يَسْتَحِى أَحَـــدٌ يُقَالُ لَهُ   نَضَلُوكَ آلُ بُوَيْهِ أَوْ فَضَـلُوا[٢]
قَدَرُوا عَفَوْا وَعَدُوا وَفَوْا سُـئِلُوا   أَغْنَوْا عَلَوْا أَعْلَوْا وَلَوْ عَدَلُوا[٣]
فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ مَا طَلَبُوا ،   فَإِذَا أَرَادُوا غَايَةً نَزَلُوا[٤]
قَطَعَتْ مَكَارِمُهُمْ صَوَارِمَهُمْ ،   فَإِذَا تَعَـذَّرَ كَاذِبٌ قَبِـلُوا[٥]

إن جيشه لا يأتون أحداً فى خفية ليظفروا غدراً وليغتالوا عدوهم ، فإنهم لا يحتاجون فى قهر عدوهم إلى الغدر والاغتيال ، فهم يقاتلون أعداءهم جهاراً .

(١) تعرفه : حال ؛ أى وأنت تعرفه . يخاطب « وهشوذان » يقول : إن الحزم أن لا تعارض من هو أقوى منك ، إلا إذا اضطررت إلى ذلك . يلومه على اختياره الحرب من أول الامر ، مع علمه أن ركن الدولة وابنه عضد الدولة أقوى منه .

(٢) استحى يستحى : بمعنى استحيا يستحيي . ونضلوك : غلبوك — من المناضلة، وهى المراماة بالسهام : يقال تناضل الرجلان فنضل أحدهما صاحبه إذا غلبه ، وكان أكثر إصابة منه — وأتى بعلامة الجمع فى « نضلوك » ، والفعل مقدم على الفاعل على لغة من يقول : أكلونى البراغيث ؛ وفضلوا : فاقوا فى الفضل : أراد : أو فضلوك . يقول : من كان مغلوباً بآل بويه لا يستحى من ذلك ، لأنهم يغلبون كل أحد .

(٣) يقول : لما قدروا عفوا . فهم يعفون عن قدرة ، ولما وعدوا وفوا بذلك الذى وعدوا ، ولما سئلوا أغنوا من سألهم ، ولمـا علوا أعلوا أولياءهم ، ولمـا ولوا الناس عدلوا فيما بينهم : أى فمن خالفهم فهو ظالم ومن ناوأهم فهو شديد الاغترار بهم .

(٤) يقول : هم فوق السماء منزلة ورتبة ، وفوق كل طلبة وحاجة ، وإذا أرادوا شيئاً هو غاية عند الناس نزلوا إليه من علو ؛ إذهم وراء كل غاية .

(٥) الصوارم : السيوف . وتعذر : تنصل واحتج لنفسه ، ومثله اعتذر . قال أبو ذؤيب :

فإنك منها والتعـــذر بعدما   لججْتَ وشطّتْ من فُطيمة دارُها

وقال لبيد يخاطب ابنتيه ويقول : إذا مت فنوحا وابكيا على حولا :

فقوما فقولا بالذى قد علـــمتما   ولا تخمشا وجْهاً ولا تحلقا الشعَرْ
وقولا هو المرء الذى لا خليـــله   أضاع ولا خان الصديق ولا غدَرْ
إلى الحوْل ثم اسمُ السلام عليكما ،   ومَن يبكِ حولا كاملا فقد اعتذر

لاَ يَشْهَرُونَ عَلَى مُخَالِفِهِمْ ... سَيْفاً يَقُومُ مَقَامَهُ الْعَذَلُ(١)
فَأَبُوا عَلِيٍّ مَنْ بِهِ قَهَرُوا ... وَأَبُو شُجَاعٍ مَنْ بِهِ كَمَلُوا(٢)
حَلَفَتْ لِذَا بَرَكَاتُ غُرَّةِ ذَا ... فِى الْمَهْدِ أَنْ لاَ فَاتَهُمْ أَمَلُ(٣)

***

يقول : إن كرمهم غلب غضبهم وكفهم عن استعمال السيوف ، فإذا اعتذر إليهم الجانى ولو كذباً قبلوا عذره تكرما .

(١) شهر السيف : جرده من غمده ؛ والعذل : اللوم . يقول ؛ إذا أذعن مخالفهم بالكلام لم يستعملوا معه السيف : يعنى لا يعجلون إلى الحرب وإنما يقدمون اللوم والوعيد ، وما دام العذل يؤثر فى المخالف لا يقصدونه بمساءة ولا ضر . يصفهم بالحلم والأناة ؛ وفى مثل هذا المعنى يقول بعض الملوك : إذا كفانى الكلام لم أرفع السوط ، وإذا كفانى السوط لم أشهر السيف .

(٢) أبو على : هو ركن الدولة أبو عضد الدولة ؛ وأبو شجاع : هو عضد الدولة : يقول : بركن الدولة قهروا الملوك وسادوهم ، وبعضد الدولة كملت لهم مملكتهم واتسع سلطانهم .

(٣) الغرة : الطلعة . و «أن» تفسيرية ؛ ولا فاته أمل : حكاية القسم . وأشار بذا الأول إلى ركن الدولة ، وبالثانى إلى عضد الدولة . يقول : لما ولد عضد الدولة ظهر على وجهه من شواهد النجابة ، ومخايل البركة والإقبال ماعلم أبوه منه أن الآمال انحازت إليهم وحصلت لهم ، فكأن وجهه وهو فى المهد كفل لهم إدراك جميع الآمال ، وأن لا يعجزهم عن بلوغها حال . وروى ابن جنى « بركات نعمة ذا » يعنى أن بركات النعمة بعضد الدولة حلفت لركن الدولة أن الآمال لا يفوته منها شىء . قال الواحدى : ويجوز أن يريد بالنعمة نعمة أبيه ركن الدولة : أى ما يملكه من العدة والعتاد تكفل لعضد الدولة بإدراك الآمال . ويروى « بركات نغمة ذا » يعنى أن أباه عرف بنغمته — صوته — لما ولد أنه يدرك به الآمال كلها .

وخرج أبو شجاع يتصيد ومعه آلة الصيد ، وكان يسير قدام الجيش يَمنة ويَسرة ، فلا يرى صيداً إلا صاده ، حتى وصلا إلى دشت الأرزن ـ وهو موضع حسن على عشرة فراسخ من شيراز ، تحف به الجبال ، وفيه غاب ومياه ومروج ، فكانت الوحوش تصاد ، وإذا اعتصمت بالجبال أخذت الرجال عليها المضايق ، فإذا أثخنها النشاب هربت من رءوس الجبال إلى الدشت فتسقط بين يديه ؛ فأقام بذلك المكان أياماً على عين ماء حسنة ، ومعه أبو الطيب ، فوصف الحال ، وأنشده فى رجب سنة أربع وخمسين وثلثمائة ، وفى هذه السنة قتل أبو الطيب ، قال :

مَا أَجْـدَرَ الأَيَّامَ وَاللَّيَالِي ... بِأَنْ تَقُولَ مَا لَهُ وَمَالِي (١)
لاَ أَنْ يَكُونَ هٰكَذَا مَقَالِي ... فَتًى بِنِيرَانِ الْحُرُوبِ صَالِ (٢)
مِنْهَا شَرَابِي وَبِهَـا اغْتِسَالِي ... لاَ تَخْطُرُ الْفَحْشَاءُ لِي بِبَالِ (٣)

---

(١) يقول : إن الأيام خليقة بأن تتظلم منى وتقول ما للمتنبى وما لى ؟ أى لأنى جشمتها من همى ما ليس فى وسعها ؛ وكان من حقه أن يقول « ومالنا » لأنه ذكر الأيام والليالى ، لكنه ذهب بهما إلى الدهر ، فكأنه قال : ماأجدر الدهر ! ويقال فلان جدير بكذا : أى خليق ؛ وأنت جدير بكذا ؛ والجمع : جدراء وجديرون

(٢) لا أن يكون الخ : أراد لا أن يكون هكذا مقالى لها بأن أتظلم منها ، فحذف « لها » للعلم به والاختصار ، كما تقول : ما أجدر زيداً بأن يقوم إليك لا أن تقوم : تريد إليه ، فتحذفه . وفتى : خبر مبتدأ محذوف : أى أنا فتى . وصلى بالنار : قاسى حرها . يقول : إن الأيام جديرة بأن تتظلم منى لا بأن أتظلم أنا منها ، لأنى فتى لا يزال يقاسى شدائد الحروب يعنى أنه تعود الصبر على الشدائد ، فلا تحفزه الأيام إلى الشكوى .

(٣) يقول : من نيران الحروب أشرب وبها أغتسل : يريد طول مخالطته الحروب وتمرسه بها وانغماسه فيها حتى صارت نيرانها عنده كالماء برداً فهو يشرب منها ويغتسل بها ؛ وهذا مثل أراد أن شدائدها هانت عليه حتى صار يستروح إليها كما يستروح إلى السلم ، ثم قال : إن الفحشاء لا تخطر له على بال . يصف نفسه بالعفة حتى لا تخطر الفحشاء على باله ، فضلا عن أن يحدث نفسه بإتيانها . والفحشاء : كل ما اشتد قبحه من الذنوب ؛ والمراد هنا : الفجور ـ الزنا ـ

لَوْ جَذَبَ الزَّرَّادُ مِنْ أَذْيَالِي ... مُخَيِّراً لِي صَنْعَتَيْ سِرْبَالِ (١)
مَا سُمْتُهُ سَرْدَ سِوَى سِرْوَالِ ... وَكَيْفَ لاَ وَإِنَّمَا إِدْلاَلِي (٢)
بِفَارِسِ الْمَجْرُوحِ وَالشَّمَالِ ... أَبِي شُجَاعٍ قَاتِلِ الأَبْطَالِ (٣)
سَاقِي كُئُوسِ الْمَوْتِ وَالْجِرْيَالِ (٤) ... لَمَّا أَصَارَ الْقُفْصَ أَمْسِ الْخَالِي (٥)
وَقَتَّلَ الْكُرْدَ عَنِ الْقِتَالِ ... حَتَّى اتَّقَتْ بِالْفَرِّ وَالإِجْفَالِ (٦)

---

(١) و (٢) و (٣) جذب : شد . والزراد : صانع الزرد ، وهى الدروع . وأراد بجذب الزراد لذيله : دعاءه إياه ، لأن الإنسان إذا أراد أن يكلم آخر فقد يجذبه من ثوبه ليقبل عليه . والسربال : القميص ، ويسمى به الدرع استعارة ، والجمع سرابيل . وسمته : كلفته . والسرد ــ ويروى الزرد ــ مداخلة حلق الدروع بعضها فى بعض . والسروال : معروف ، وهو أعجمى معرب وأكثر كلام العرب سراويل ــ بصيغة الجمع وإن لم يقصد به الجمع ــ وقوله وكيف لا : أى كيف لا أكون كذلك : فحذف للعلم به . والإدلال : الفخر والتيه ــ يقال فلان مدل بكذا . والمجروح والشمال : فرسان كانا لعضد الدولة . يقول لو خيرنى الزراد فى صنع سربال ألبسه بين أن يكون من صنعة الدرع أو من صنعة الثياب ــ أى بين أن يصنع لى درعا أو ثوبا ــ لما اخترت إلا الثوب دون الدروع . يشير بذلك إلى أن سيفه درعه ، وهو يحمى به بدنه ، وإنما حاجته أن يحصن عورته . قال الواحدى : وهذه طريقة المتنبي يترفع عن معاشرة النساء كبراً وتعففاً ، ثم قال ــ المتنبي ــ : وكيف لا أرغب عن الدروع وأنا متحصن بالممدوح ، وبه أدل وأفتخر على الناس ؟

(٤) الجريال : صبغ أحمر تشبه به الخمر . يقول : أنه يسقى أعداءه كؤوس الموت ، وأولياءه كؤوس الخمر .

(٥) القفص : جيل من الناس ينزلون بجبال كرمان ، وهو مفعول أول لأصار ؛ وأمس : مفعول ثان . يقول : لما أفنى هؤلاء القوم فصيرهم مثل أمس الدابر ، وجواب « لما » يأتى بعد .

(٦) قال الواحدى : قتلهم : ذللهم ، ومنه قول امرىء القيس :

* فى أعشار قَلْبٍ مُقَتَّلِ *

أى مذلل ؛ ويقال شراب مقتل : إذا سكنت سورته بالماء . والإجفال : الإسراع

فَهَـــالِكٌ وَطَائِعٌ وَجَالِي ... وَاقْتَنَصَ الْفُرْسَانَ بِالْعَوَالِي (١)
وَالْعُتُقِ الْمُحْـــدَثَةِ الصِّقَالِ ... سَارَ لِصَيْدِ الْوَحْشِ فِي الْجِبَالِ (٢)
وَفِي رِقَاقِ الأَرْضِ وَالرِّمَالِ ... عَلَى دِمَاءِ الإِنْسِ وَالأَوْصَالِ (٣)
مُنْفَرِدَ الْمُهْرِ عَنِ الرِّعَـــالِ ... مِنْ عِظَمِ الهِمَّةِ لاَ الْمَلاَلِ (٤)
وَشِدَّةِ الضَّنِّ لاَ الاِسْتِبْدَالِ ... مَا يَتَحَرَّكْنَ سِوَى انْسِلاَلِ (٥)

فى الحرب . والكرد : جيل معروف . يقول : ذللهم وأضعفهم ومنعهم عن أن يقاتلوا حتى اتقوه بالفرار منه والإسراع بين يديه هربا .

(١) فهالك : أى فمنهم هالك . والجالى : النازح عن وطنه ؛ والجالية : الذين جلوا عن أوطانهم . والعوالى : الرماح . يقول : فأصارهم بين هالك أفناه التعرض لحربه ، وطائع أبجاه التسليم لأمره ، ونازح عن داره خوفا منه . ثم قال : وصاد فرسان الأعداء بالرماح .

(٢) والعتق : عطف على العوالى — جمع عتيق — يقول : وصادهم بالسيوف القديمة الصنعة الجديدة الصقل . وقوله سار الخ : جواب لما أصار ؛ أى لما فعل ذلك وفرغ منه سار لصيد الوحش المعتصمة بالجبال حتى لا يسلم منه ذو منعة .

(٣) وفى رقاق : عطف على الجبال . والرقاق من الأرض : اللينة ؛ والإنس : الناس . والأوصال : المفاصل . يقول : سار للصيد وهو يطأ الدماء أينما ذهب لكثرة ما قتل .

(٤) منفرد : نصب على الحال — من سار — والرعال : القطعة من الخيل ، واحدها : رعلة . يقول سار منفرداً عن جيشه لا يريد أن يسايره أحد ، وإنما كان يفعل ذلك لعظم همته لا ضجراً منهم :

(٥) الضن : البخل . تقول : ضننت بالشىء أضن — وهى اللغة العالية — وضننت أضن ضنا وضنة ومضنة وضنانة : بخلت به ، وهو ضنين به ، ومن هذا قولهم علق مضنة ومضنة : أى شىء نفيس مضنون به ويتنافس فيه ؛ والإنسلال : مصدر انسل ، بمعنى خرج من بين أصحابه فى خفية ، ومثله التسلل ، ومنه قوله تعالى « يتسللون منكم لواذاً » يقول : وكان ينفرد عنهم ضناً بنفسه عن صحبتهم ، لا أنه يريد أن يستبدل بهم غيرهم ؛ ثم قال : إن خيله لم تكن تتحرك فى سيرها معه إلا حركات خفية هيبة له .

فَهُنَّ يُضْرِبْنَ عَلَى التَّصْهَالِ كُلُّ عَلِيلٍ فَوْقَهَا مُخْتَالِ (١)
يُمْسِكُ فَاهُ خَشْيَةَ السُّعَالِ مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلَى الزَّوَالِ (٢)
فَلَمْ يَئِلْ مَا طَارَ غَيْرَ آلِ وَمَا عَدَا فَانْغَلَّ فِى الأَدْغَالِ (٣)
وَمَا احْتَمَى بِالمَاءِ وَالدِّحَالِ
مِنَ الحَرَامِ اللَّحْمِ وَالحَلَالِ (٤)

---

(١) التصهال : الصهيل . والمختال : المعجب بنفسه المستكبر . يقول : فالخيل تضرب على الصهيل تاديبا لها ، وفوقها كل رجل عليل فى سكونه وتصاغره هيبة لعضد الدولة ، وهو فى نفسه وهمته مختال . فكل عليل مبتدأ ؛ وفوقها : خبره .

(٢) يمسك فاه : نعت عليل ؛ والزوال : الساعة تلى الظهيرة : يقول : وليس يسعل هيبة ، وقد طال مقامه من الغداة إلى الزوال ، يصف عسكره بالوقار إجلالا له ، هكذا قال أكثر الشراح ـ قال بعضهم : ولعل الأشبه بمراد المتنبى أنهم كانوا يفعلون ذلك مخافة أن ينفر الصيد إذا سمع جلبتهم كما يستدل عليه من السياق التالى هذا : ويقال طلعت الشمس والقمر والفجر والنجوم تطلع طلوعا ، ومطلعاً ومطلِعاً ، وهو أحد ما جاء من مصادر فعل يفعل على مفعل ، ومطلعاً بالفتح لغة ، وهو القياس ، والكسر الأشهر . قال الفراء : إذا كان الحرف من باب فعل يفعل ـ مثل دخل يدخل وخرج يخرج وما أشبههما ـ آثرت العرب فى الاسم منه والمصدر فتح العين ، إلا أحرفا من الأسماء ألزموها كسر العين من مفعل : من ذلك المسجد والمطلع والمغرب والمشرق والمسقط والمفرق والمجزر والمسكن والمنسك والمنبت ، فجعلوا الكسرة علامة للاسم والفتح علامة للمصدر ، راجع لسان العرب مادة « طلع »]

(٣) يئل : ينج ويرجع إلى موئل مضارع وأل أى نجا . وغير آل : أى غير مقصر اسم فاعل من ألا يألو . وعدا : ركض وجرى . والأدغال : الآجام ، وهى الشجر الكثير الملتف . وانغل : دخل فى الشجر . يقول : لم ينج من صيده الطير الذى طار ولم يقصر فى طيرانه : أى فكيف ينجو الذى قصر ؟ ولم ينج كذلك ما عدا من الوحش ، فدخل واستتر بالأدغال : أى فكيف ينجو الذى لم يلجأ إلى الأدغال ؟

(٤) الدحال : جمع دحل ، كالهوة فى الأرض يجتمع فيها ماء وينبت القصب و « من » بيان « لما » وحرام اللحم : ما كان كالخنزير والسبع والنمر ونحوها . يقول : ولم ينج أيضا ما تحصن بالماء والدحال مما يحل أكله وما لا يحل .

إنَّ النُّفُوسَ عَـــدَدُ الآجالِ　　سَقْياً لِدَشْتِ الأَرْزَنِ الطُّوَّالِ (١)
بَيْنَ المُرُوجِ الفِيحِ وَالأَغْيالِ　　مُجَاوِرِ الخِنْزِيرِ لِلرِّئْبالِ (٢)
دَانِي الخَنَانِيصِ مِنَ الأَشْبالِ　　مُشْتَرِفِ الدُّبِّ عَلَى الغَزَالِ (٣)
مُجْتَمِعِ الأَضْدادِ وَالأَشْكالِ (٤)
كَأَنَّ فَنَّا خُسْرَ ذَا الإِفْضالِ　　خَافَ عَلَيْهَا عَوَزَ الكَمالِ
فَجَاءَهَا بِالفِيلِ وَالفَيَّالِ (٥)

---

(١) دشت الأرزن : موضع بشيراز : والدشت : الصحراء ؛ والأرزن : شجر صلب تتخذ منه العصى . والطوال : مبالغة من الطويل ، وهو نعت للأرزن . يقول : إن النفوس معدة للاجال حتى تأخذها وتذهب بها ، ثم دعا لدشت الأرزن بأن يسقيه الله سقيا . وقال بعض الشراح : قوله إن النفوس عدد الآجال : أى أن عدد النفوس على عدد الرجال : يعنى أن لكل نفس أجلا ، وكان الوجه العكس : أى أن يقول : الآحال عدد النفوس ، فقلب الكلام تفننا .

(٢) الفيح : الواسعة ، جمع أفيح . والأغيال : جمع غيل ، وهو الأجمة . والرئبال : الأسد . ويجوز فى مجاور الحركات الثلاث : الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، والنصب على أنه حال ، والجر على أنه نعت لدشت . يقول : إن هذا الدشت محاط بالمروج ، وفيه كل نوع من الصيد والحيوان ، فخزيره مجاور للأسد .

(٣) الدانى : القريب ؛ الخنانيص : جمع خنوص ، ولد الخنزير . والأشبال : جمع شبل ، ولد الأسد . ومشترف : بمعنى مشرف يقال أشرف واشترف ، قال جرير :

* من كلِّ مشترف وإن بعُدَ المدى *

« يريد من كل فرس مشرف مرتفع » يقول : إن أولاد الخنازير فيه قريبة من أولاد الأسد مجاورة لها ، والدب فيه مشرف على الغزال ، لأن الدب جبلى والغزال سهلى .

(٤) يقول : إن هذا المكان قد اجتمعت فيه الأضداد من الحيوان ، يعنى المفترس كالأسد ونحوه وغير المفترس كالظبى والأرنب وكل واحـــد من هذين الفريقين أشكال .

(٥) فناخسر : اسم عضد الدولة ، والضمير فى « عليها » للأضداد والأشكال ، والفيال : الذى يسوس الفيل ، يقول : كأن الممدوح خاف على هذا الحيوانات

فَقَيِّدَتِ الأُيَّلُ فِى الجِبَالِ طَوْعَ وُهُوقِ الخَيْلِ وَالرِّجَالِ (١)
تَسِيرُ سَيْرَ النَّعَمِ الأَرْسَالِ مُعْتَمَّةً بِيَبِسِ الأَجْذَالِ (٢)
وُلِدْنَ تَحْتَ أَثْقَلِ الأَحْمَالِ قَدْ مَنَعَتْهُنَّ مِنَ التَّفَالِى (٣)

أن لا تكون كاملة نجاءها بما لم يكن فيها وهو الفيل ليكمل أمرها باجتماع الحيوانات فيها .

(١) الأيل : جمع إيل ، وهو حيوان من ذوات الظلف ، للذكور منه قرون متشعبة لا تجويف فيها ، أما الإناث فلا قرون لها . قال العكبرى : وهذا البيت الرواية فيه أيل ـ بضم الهمزة ـ على أنه جمع إيل ، والمعروف أيايل ، ووزن إيل فعل مثل القنب (١) وفعل لا يجمع على فعل إنما فعل جمع فاعل كصائم وصوم وراكع وركع وساجد وسجد أقول : وقد جاء فى اللسان أن بعضهم ذهب إلى أن « أيل » اسم للجمع ومفرد الأيايل الأيل بفتح الهمزة وكسر الياء ؛ قال الخليل ، وإنما سمى أيلا لأنه يئول إلى الجبال . وبعد : فقد اضطربت كلمة اللغويين هنا فقيل مفرد الأيايل إيل وقيل أيل وقيل إن إيل وأيل جمع أيل « راجع لسان العرب مادة أيل » وطوع : حال . والوهوق : جمع وهق وهو الحبل تؤخذ فيه الدابة وغيرها . والمراد بالخيل : الفرسان : يقول : صيدت الأيايل وقيدت بالحبال والوهوق حتى صارت طوعا لها تقاد بها .

(٢) النعم . الإبل ، أما الأنعام ، فهى الإبل والغنم والبقر . قال الفراء : النعم يذكر ولا يؤنث ، ويجمع على نعمان ، مثل حمل وحملان ، والعرب إذا أفردت النعم لم يريدوا بها إلا الإبل ، فإذا قالوا الأنعام : أرادوا بها الإبل والبقر والغنم ، وقال ابن سيدة النعم الإبل ، والشاء ؛ ويذكر ويؤنث ، والجمع أنعام وأناعيم . والارسال : جمع رسل وهو القطيع من الإبل . ومعتمة : من العمامة : والأجذال : جمع جذل ، وهو أصل الشجرة إذا قطع أعلاها . يقول . إن هذه الأيايل تسير فى الجبال سيرا لينا كما تسير الإبل بعد أن صيدت وكانت قبل ذلك شديدة العدو ـ الجرى ـ وهى ذات قرون كبار ملتفة كأنها قد اعتمت بأعواد يابسة من الأجذال .

(٣) يريد بأثقل الأحمال : القرون ، يعنى أنهن خلقن كذلك ، لأنه يكون لهن قرون حين الولادة . فالكلام منصرف إلى جنس الأيايل ـ لا إلى صغارهن ـ يصف قرون الأيايل بالثقل ، وأن هذه القرون تمنعها أن تفلى رءوسها لا عوجاجها ؛ وقال ابن جنى : يعنى بأثقل

---

(١) ضرب من الكتان .

لاَ تَشْرَكُ الأَجْسَامَ فِي الْهُزَالِ (١) إِذَا تَلَفَّتْنَ إِلى الأَظْلاَلِ (٢)
أَرَيْنَهُنَّ أَشْنَعَ الأَمْثَالِ كَأَنَّمَا خُلِقْنَ لِلإِذْلاَلِ (٣)
زِيَادَةً فِي سُبَّةِ الْجُهَّالِ (٤) وَالْعُضْوُ لَيْسَ نَافِعاً فِي حَالِ
لِسَائِرِ الْجِسْمِ مِنَ الْخَبَالِ (٥)
وَأَوْفَتِ الْفُدْرُ مِنَ الأَوْعَالِ مُرْتَدِيَاتٍ بِقِسِيِّ الضَّالِ (٦)
نَوَاخِسَ الأَطْرَافِ لِلأَكْفَالِ يَكَدْنَ يَنْفُذْنَ مِنَ الآطَالِ (٧)

الأحمال الجبال : قال ابن فورجة : بل المراد القرون لأن الواحد منها إذا قطع حمله حمار أو رجل قال الواحدى : وقول ابن جنى أظهر لأنها ولدت ولا قرون لها ، ومن البعيد أن يراد قرون أبويها . والمعنى : ولدن تحت الجبال وقرونهن لطولها وتشعبها تمنعهن من فلى رءوسهن لموجهن . وماذهبنا اليه أظهر .

(١) الهزال . رقة الجسم يقول : إن هذه القرون لا تشارك أجسامها فى الهزال .

(٢) و (٣) و (٤) السبة :العار يسب به . يقول إذا التفت الأيايل إلى ظل قرونهن رأين لها أقبح الصور لضخامتها وكثرة تعاريجها ، فكأن قرونها خلقت لإذلال من نسب إليهـا لتكون زيادة فى تعيير الجهال . يشير إلى قولهم فى الشتم : ياقرنان . وهو الذى لا غيرة له .

(٥) أراد بالعضو هنا القرن ، ولا يسمى القرن عضوا ، إذ ليس من جملة الأعضاء ولعله أطلق عليه عضواً لمجاورته العضو . والخبال : الفساد وشلل الأعضاء كنى به هنا عن عدم استطاعة هذه الأيايل الفرار . فكأنها قد أصابها شلل أمسكها عن الجرى : يقول : إذا حل بالجسم خبال فإن أحد أعضائه كيفما كان لا ينفعه ـ فى حال من الأحوال ـ من ذلك الخبال ، يريد أن عظم قرونها لم ينفعها فى الخروج من الوهوق

(٦) أوفت : أشرفت من فوق الجبال ؛ والفدر : جمع الفدور ، والفادر ، قال الأصمعى : الفادر من الوعول : الذى قد أسن ، بمنزلة القارح من الخيل ، والبازل من الإبل ، وقيل الوعل : الشاب التام . والضال : شجر ، وهو السدر البرى . يقول: وأشرفت الوعول المسنة ترتدى بقرونها كأنها ـ لا نعطافها ـ القسى التى تعمل من شجر الضال .

(٧) نواخس : حال من القسى . والآطال : جمع إطل ، وهو الخاصرة : وينفذن: يخرقن . يقول : إن أطراف هذه القرون تنخس أعجازها : أى تصيبها وتضربها وتكاد لطولها وانعطافها تنفذ من خواصرها .

لَهَا لِحًى سُــودٌ بِلاَ سِبَالِ ... يَصْلُحْنَ لِلإِضْحَاكِ لاَ الإِجْلاَلِ (١)
كُلُّ أَثِيثٍ نَبْتُهـــا مُتْفَالِ ... لَمْ تُغْذَ بِالمِســـكِ وَلاَ الغَوَالِي (٢)
تَرْضَى مِنَ الأَدْهَانِ بِالأَبْوَالِ ، ... وَمِنْ ذَكِيِّ المِســـكِ بِالدَّمَالِ (٣)

(١) اللحى : جمع لحية ؛ قال ابن سيده : اللحية اسم يجمع من الشعر ما ينبت على الخدين والذقن ؛ والجمع لحى ولحى ـ مثل ذورة وذرى ـ والسبال : الشوارب ، جمع سبلة ، الشارب : يقول : لها شعور قد تدلت من أعناقها كأنها لحى ولـكن لا شوارب لها ، وتلك اللحى تصلح لأن تضحك لا لأن تبجل وتعظم . هذا : والسبلة أيضا مقدم اللحية ، وما أسبل منها على الصدر ، ومن هذا قولهم : جاء فلان وقد نشر سبلته : إذا جاء يتوعد ، قال الشماخ :

أتتنى سُـلَيمٌ قَضَّهَا بِقَضِيضِهَا ... تُنَشِّرُ حوْلى بالبقيع سِـبالَهـا
يقولون لِى يا احلِفْ ولستُ بحالف ... أُخادعُهم عنهـا لـكيما أنالَهـا
ففرَّجْتُ غَمَّ النفس عَنِّى بحِلفةٍ ... كما قَدَّتِ الشقراء عنها جِـلالَهـا (١)

(٢) و (٣) كل أثيث : بدل من اللحى : أى كل لحية هذه صفتها . والأثيث . من الشعر : الـكثير الملتف ؛ ونبتها : فاعل أثيث ومتفال : خبيثة الرائحة . والغوالى : جمع غالية ، وهى أخلاط من الطيب . والدمال ؛ زبل الدواب ، وهو السرجين ، يقول لها لحى كثيرة الشعر منتنة الريح لم تطيب بمسك ولا بطيب بل بالبول والسرجين .

(١) سليم قبيلة ، وقضها بقضيضها : أى بأجمعهم ، وهو اسم منصوب،وضوع،وضع المصدر ، كأنه قال جاءوا انقضاضا ، وقال سيبويه: كأنه يقول انقض آخرهم على أولهم ، وأصل القض : الـكسر ، وقد استعمل الـكسر موضع الانقضاض كقولهم عقاب كاسر أى منقضة ، والبقيع الموضع المعروف بالمدينة على صاحبها أفضل الصلوات والتسليم . وتنشر حولى الخ يروى تمسح أراد أنهم يمسحون لحاهم ، وهم يتوعدونه،وقوله يااحلف أى يارجل احلف ، أو «يا» للتنبية ؛ وأخادعهم عنها : أى عن الحلفة ، فأقول لهم لا أحلف ، وأظهر أن الحلف يشق على ، وقوله لـكيما أنالها : أى الحلفة . وقوله ففرجت الخ : يريد كشفت هذا الغم عنى باليمين الـكاذبة كما كشفت الشقراء ظهرهابشق جلها عنه ، والشقراء : يريد الناقة وفى مثل بهذا المعنى يقول ابن الرومى :

وإنى لذو حَـلفٍ كاذب ... إذا ما اضطُررت فى الحال ضِيقُ
وهل من جُنـاح على مُعسرٍ ... يدافع بالله ما لا يطيـقُ

لَوْ سُرِّحَتْ فى عَارِضَىْ مُخْتَالِ لعَدَّهَا مِنْ شَبَكَاتِ المَالِ (١)
بَيْنَ قُضَاةِ السَّوْءِ وَالأَطْفَالِ (٢) شَبِيهَةِ الْإِدْبَارِ بِالإِقْبَالِ
لاَ تُؤْثِرُ الْوَجْهَ عَلَى الْقَذَالِ (٣) فَاخْتَلَفَتْ فى وَابِلَىْ نِبَالِ
* مِنْ أَسْفَلِ الطَّوْدِ وَمِنْ مُعَالِ (٤) *

(١) تسريح الشعر : حله وتخليص بعضه من بعض . والعارضان : جانبا الوجه . يقول : لو سرحت هذه اللحى حال كونها فى وجه رجل ذى احتيال لكانت له شبكة يصطاد بها أموال الناس لأن ذا اللحية الطويلة يعظم ويظن به الخير ويؤتمن ، وإذا كان محتالا خان الأمانة وفاز بها :

(٢) يقول : لعدها شبكة من الشباك التى ينصبها قضاة السوء لأخذ أموال اليتامى بما يظهرون من حلى المهابة والوقار وسيماء الخير والتقى . هذا : والسوء : الاسم — من ساءه يسوؤه سوءاً — والسوء : الفجور والمنكر : تقول هذا رجل سوء بالإضافة ، وإذا دخلت عليه الألف واللام قلت هذا رجل السوء ، قال الفرزدق :

وكنت كذئب السَّوْء لمَّا رأى دماً بصاحبه يوماً أحال على الدم (١)

قال الأخفش : ولا يقال الرجل السوء ، ويقال الحق اليقين ، وحق اليقين جميعاً ، لأن السوء ليس بالرجل ، واليقين هو الحق . قال : ولا يقال هذا رجل السوء — بالضم — وقرأ ابن كثير وأبو عمرو قوله تعالى « عليهم دائرة السوء » بضم السين ، يعنى الشر والهزيمة ؛ وقرأ باقى القراء بفتح السين ، وهو من المساءة . (راجع لسان العرب مادة « سوأ »)

(٣) الإدبار والإقبال : مصدرا أدبر وأقبل ؛ والدبر : خلاف القبل قال ، الجوهرى ودبر كل شىء ودبره : آخره ، على المثل ، قال الكميت :

أعهدَكَ من أولى الشبيبة تطلبُ عَلَى دُبُرٍ هيهات شأْوٌ مُغرِبُ (٢)

والقذال : مؤخر الرأس : يقول إذا استدبرت هذه اللحى رأيتها كما تستقبلها لعظمها وعرضها فهى تعم الوجه والقفا .

(٤) فاختلفت : عطف على قوله « وأوفت » . والوابل : المطر الكثير . والطود :

(١) أحال الذئب على الدم : أقبل عليه ، قال الفرزدق أيضاً :

فتى ليس لابن العمّ كالذئب إن رأى بصاحبه يوماً دماً فهو آكله

(٢) شأو مغرب — بكسر الراء وفتحها — بعيد .

. . . .

الجبل . وقوله : من معال ، يقال أتيته من عل ومن عال ومن معال ومن عال الدار ـ بكسر اللام ـ ومن علا ؛ قال ذو الرمة فى من «معال» :

فرّجَ عنه حَلَقَ الأغـلالِ جَذْبُ العُرَى وجِريَة الجبال

* ونغَضانُ الرحلِ من مُعالِ(١) *

وفى « أتيته من علا » يقول أبو النجم :

باتتْ تنوشُ الحوْضَ نوْشاً من عَلا نوْشاً به تقطَعُ أجوازَ الفـلا(٢)

وفى « من عل الدار » بكسر اللام قال امرؤ القيس :

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبلٍ مدبرٍ معاً كجُلْمُودِ صَخرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ(٣)

وفى « أتيته من عل » ـ بضم اللام ـ أنشد يعقوب لعدى بن زيد :

فى كِناسٍ ظاهرٍ يستُرُهُ مِن عَلُ الشفَّانَ هُدَّابُ الفَنَنْ(٤)

---

(١) أراد : فرج عن حنين الناقة حلق الأغلال ـ يعنى حلق الرحم ـ سيرنا . وكل حركة فى ارتجاف نغض ونغضان والجرية ـ بالكسر ـ حالة الجريان

(٢) باتت : أى الإبل ؛ وتنوش الحوض : تتناول ملء أفواهها من مائه ، ومن علا : أى من فوق ، يريد أنها عالية الأجسام طوال الأعناق ، وذلك النوش الذى تناله هو الذى يعينها على قطع الفلوات ؛ والأجواز : جمع جوز ، وهو الوسط : أى تتناول ماء الحوض من فوق وتشرب شربا كثيراً وتقطع بذلك الشرب فلوات فلا تحتاج إلى ماء آخر .

(٣) يقول امرؤ القيس : إن هذا الفرس مكر إذا أريد منه الكر على العدو ، ومفر : إذا أريد منه الفر ، ومقبل ، ومدبر : إذا أريد منه ذلك ، وقوله معا : يعنى أن الكر والفر والإقبال والإدبار مجتمعة فى قوته لا فى فعله ، لأن فيها تضادا ؛ ثم شبهه فى سرعة مره وصلابته بحجر عظيم ألقاه السيل من مكان عال إلى حضيض .

(٤) الشفان هنا : البرد ، وهو منصوب بإسقاط حرف الجر : أى يستره هداب الفنن من الشفان ، والهداب : كل ورق ليس له عرض كورق السرو والأثل والفنن الغصن أو ما تشعب من ورقه .

. . . .

أما قول أوس بن حجر يصف قوسا وقواسا :

فَمَلَّكَ بالليطِ الذى تحت قشرها كغرقىء بيضٍ كنّهُ القيضُ من عَلُو[١]

فإن الواو زائدة ، وهى لإطلاق القافية ، ولا يجوز مثله فى الكلام .

وفى « أتيته من عال » يقول دكين بن رجاء :

يُنجيه مِن مِثل حمام الأغلالْ وقْعُ يدٍ عَجْلَى ورِجل شِملالْ

* ظمأى النَّسا من تحتُ ريًّا من عالْ[٢] *

وأتيته من علو ؛ قال أعشى باهلة :

إنى أتتنى لسانٌ لا أُسَرُّ بها من عَلْوُ لا عجبٌ منها ولا سَخَرُ[٣]

ويروى من علو وعلو يقول : رشقت هذه الأبابيل بالنبال من أعالى الجبال وأسافلها فهى تجيء منها وتذهب بين نبال كالمطر تأتيها من كل جانب .

---

(١) الليط : جمع ليطة ـ كريش وريشة ـ قشرة القصبة والقوس والقناة وكل شيء له متانة ، والقيض قشر البيض الأعلى اليابس وغرقىء البيض : قشره الذى تحت القيض ، وملك : شدد ـ من قولهم ملكت المرأة العجين : إذا عجنته وأنعمت عجنه وأجادته ـ والذى : مفعول ملك لاصفة لليط ؛ يقول أوس : ترك شيئاً من القشر على قلب القوس تتمالك القوس به ـ أى تقوى وتشتد ـ يكنها أى : يسترها لئلا يبدو قلب القوس فيتشقق وهم يجعلون عليها عقبا إذا لم يكن عليها قشر ، ولذلك مثله بالقيض للغرقىء .

(٢) الأغلال : جمع غلل ، وهو الماء الذى يتخلل بين الشجر ، وشملال خفيفة سريعة ، والنسا — بوزن العصا — عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر ، فإذا سمنت الدابة انفلقت فخذاها بلحمتين عظمتين وجرى النسا بينهما واستبان وإذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان وماجت الربلتان : جمع ربلة باطن الفخذ ، وخفى النسا . يصف دكين فرسا . يقول : ينجى هذا الفرس من خيل مثل حمام يرد غلالا من الماء وقع يد الخ يصفه بالسرعة ثم قال إن قوائمه ليست برهلة ولا كثيرة اللحم ويحمد ذلك فيها ، ثم قال : إنها ريا من فوق يقال فرس ريان الظهر إذا سمن متناه .

(٣) من كلمة المشهورة التى يرثى بها المنتشر ، واللسان هنا : يراد بها الرسالة والكلمة والخبر

قَدْ أَوْدَعَتْهَا عَتَــلُ الرِّجَالِ ... فى كُلِّ كِبْدٍ كَبِدَىْ نِصَالِ (١)
فَهُنَّ يَهْوِينَ مِنَ الْقِــلاَلِ ... مَقْلُوبَةَ الأَظْـلاَفِ وَالإِرْقَالِ (٢)
يُرْقِلْنَ فى الْجَــوِّ عَلَى الْمَحَالِ ... فى طُرُقٍ سَرِيعَـةِ الإِيصَالِ (٣)
يَنَمْنَ فيهَا نِيمَةَ الْمِكْسَــالِ ... عَلَى الْقُفِىِّ أَعْجَــلَ الْعِجَالِ (٤)
لاَ يَتَشَــكَّيْنَ مِـنَ الْكَلاَلِ ، ... وَلاَ يُحَاذِرْنَ مِنَ الضَّـلاَلِ (٥)
فَـكَانَ عَنْهَا سَـبَبَ التَّرْحَالِ ... تَشْـوِيقُ إِكْثَارٍ إِلى إِقْلاَلِ (٦)

---

(١) العتل : القسى الفارسية . والرجال — بكسر الراء — ويروى بضمها ؛ والتثقيل : جمع راجل؛ والكبد : بالكسر وبفتح فكسر — لغتان — والنصال :جمع نصل ، الحديدة المركبة فى السهم ؛ وكبداها الناتئان وسط تلك الحديدة عن يمينها وشمالها يقول : رمت قسى الرجالة تلك الوعول فأدخلت فى كبد كل منها نصلا من نصال السهام، يعنى أن الرماة قد أثخنوها بالرماح .

(٢) يهوين: يسقطن. والقلال : جمع قلة ، أعلى الجبل . والظلف الحافر المشقوق والإرقال : ضرب من العدو . يقول : فهن يسقطن من أعالى الجبال منحدرات على ظهورهن فصارت أظلافهن مقلوبة وصار عدوهن — جريهن — على الظهور بعد أن كان على الأظلاف

(٣) يرقلن : يجرين . والمحال : فقار الظهر ، جمع محالة . يقول : هى تعدو فى الجو نازلة على ظهورها فى طرق تسرع إيصالها إلى الحضيض كما هو شأن ما يهوى سفلا :

(٤) النيمة : هيئة النوم . والمكسال : صيغة مبالغة من الكسل. وتروى: الكسال جمع كسلان . والقفى : جمع قفا . والعجال : جمع عجل وعجلان وأعجل العجال : حال . لما نزلت فى تلك الطرق على قفها جعلها كالنائم المستلق على ظهره كسلا ؛ ولكنها فى ذلك أسرع العجال لسرعة هويها .

(٥) يقول : لا يشتكين فى تلك السرعة نصبا ولا تعبا ولا إعياء ، لأنهن لا يقفن عن النزول ، ولا يخفن ضلالا ولاتيها فى طريقهن لأنها تفضى بهن إلى الأرض ألبته.

(٦) عنها : صلة الترحال ؛ والضمير للوحوش ؛ وسبب : خبر « كان » ؛ وتشويق: اسمها وتقدير الكلام : فكان تشويق إكثار إلى إقلال سبب ترحال عنها . يقول : لما أكثر من صيدها شوقه الإكثار من الصيد إلى الإقلال ، لانه مل الصيد لكثرته فكان ذلك سبب رحيله عنها .

فَوَحْشُ نَجْدٍ مِنْهُ فى بَلْبَالِ ... يَخَفْنَ فى سَلْمَى وَفى قِيَالِ (١)
نَوَافِرَ الضِّبَابِ وَالأَوْرَالِ ، ... وَالخَاضِبَاتِ الرُّبْدِ وَالرِّئَالِ (٢)
وَالظَّبْىِ وَالخَنْسَاءِ وَالذَّيَّالِ ... يَسْمَعْنَ مِنْ أَخْبَارِهِ الأَزْوَالِ
* مَا يَبْعَثُ الخُرْسَ عَلَى السُّؤَالِ (٣) *
فُحُولُهَا وَالعُوذُ وَالمَتَالِى ... تَوَدُّ لَوْ يُتْحِفُهَا بِوَالِى (٤)
يَرْكَبُهَا بِالخُطْمِ وَالرِّحَالِ ... يُؤْمِنُهَا مِنْ هٰذِهِ الأَهْوَالِ (٥)

(١) البلبال : الهم والحزن . وسلمى : أحد جبلى طىء ، والآخر أجا . وقيال: جبل بالبادية . يقول : لكثرة فتكه بالصيد خافته الوحوش حتى بات وحش نجد فى خوف وهم وكذا وحش جبل طىء ، فهى تخشى أن يقصد إليها .

(٢) نوافر — كما قال ابن جنى — حال من ضمير « يخفن » والضباب : جمع ضب ، وهو الدويبة المعروفة يأكلها العرب . والأورال — جمع ورل — دابة على خلقة الضب أعظم منه ، طويلة الذنب دقيقته . والخاضبات الربد : النعام لأنها ربد الألوان — فى لونها غبرة — فإذا أكلت الربيع اخضبت — احمرت سوقها — فيسمى الظليم خاضبا ، قال أبو دؤاد :

* له ساقا ظليم خاضب فوجىء بالرُّعب *

« راجع لسان العرب — مادة — خضب » والرئال : جمع رأل . فرخ النعام . يقول إن وحوش سائر النواحى نفرت خوفا منه .

(٣) الخنساء : المها — بقر الوحش — لخنس أنفها . والذيال : الثور الوحشى لطول ذنبه . والأزوال : جمع زول ، وهو العجيب الظريف من كل شىء . يقول : إن الوحوش تسمع من أعاجيب أخبار عضد الدولة فى الصيد ما يبعث الخرس على السؤال عنه مع عجزها عن السؤال :

(٤) فحولها : جمع فحل ، وهى رواية ابن جنى : وتروى فحولها — بفتح الفاء التى هى للجواب — كما تقول أكثرت من الجميل فالناس كلهم يشكرونك ، فأتى بالفاء لأن فعل الجميل كان سبب الشكر . والحول: جمع حائل، ضد الحامل . والعوذ: الحديثات النتاج ، جمع عائذ والمتالى : جمع المتلية ، وهى التى تتلوها أولادها ، يقول : إن أنواع الوحوش تود وتتمنى لو بعث إليها من يلى عليها فيذللها ، وتتمة الكلام فيما يلى .

(٥) يركبها : نعت وال ، والخطم : جمع خطام ، وهو الزمام ؛ وخطمت البعير : زممته ، والرحال : جمع رحل ، وهو للابل كالسروج للخيل ، يقول : هذا الوالى

وَيَخْمُسُ الْعُشْبَ وَلاَ تُبَالِى ، وَمَاءَ كُلِّ مُسْبِلٍ هَطَّالِ[1]
يَا أَقْدَرَ السُّفَّارِ وَالْقُفَّالِ لَوْ شِئْتَ صِدْتَ الأُسْدَ بِالثَّعَالِى[2]
أَوْ شِئْتَ غَرَّقْتَ الْعِدَا بِالآلِ ، وَلَوْ جَعَلْتَ مَوْضِعَ الإِلاَلِ
* لآلِئاً قَتَلْتَ بِاللآلِى[3] *

يذلل الوحش حتى تنقاد فى الأزمة والرحال ، فتصير آمنة من أهوال الطرد ومما يصيبها من خوف الصيد ؛

(١) خمس المال : أخذ خمسه ، والمسبل : من السحاب الهاطل ؛ والهطال : المتابع السيلان ، يقول : ويأخذ ذلك لوالى خمس ما ترعاه الوحش من العشب وخمس الماء الذى ترده وترضى بذلك ولا تبالى :

(٢) السفار : المسافرون ، وهم السفر ، وواحد السفر ـ فى القياس ـ سافر ، مثل صاحب وصحب، إلا أنه لم ينطق بـ«سافر»، والقفال: جمع قافل ، وهو الراجع من من سفره ، كأنه قال : يا أقدر الناس جميعاً ذاهباً كنت أم راجعا : والثعالى : الثعالب على الإبدال ، وهو خاص بالشعر ، ومثله الأرانى ، جمع أرنب قال أبو كاهل اليشكرى يشبه ناقته بعقاب :

كأن رِجْلى على شغواء حادرةٍ ظَمياء قد بُلَّ من طلٍ خوافيها
لها أشاريرُ من لحم تُتَمِّرُهُ من الثعالى وَوَخز من أرانيها[1]

يقول . لو شئت غلبت الضعيف على القوى حتى تصيد الأسود بالثعالب .

(٣) الآل : ما يرى نصف النهار كأنه ماء . والإلال جمع ألة ، وهى الحربة العريضة النصل . يقول : لو شئت غرقت أعداءك بما هو ليس بماء . ولو طعنتهم باللآلى بدل الإلال ـ الحراب ـ لقامت اللآلى فى إهلاكهم مقام الحراب لأنك مظفر منصور .

---

(١) الشغواء : العقاب ، سميت بذلك من الشغى ، وهو انعطاف منقارها الأعلى ؛ والحادرة : الغليظة ، والظمياء : المائلة إلى السواد ، وخوافيها : يريد خوافى ريش جناحها ، والأشارير : جمع أشرارة ، وهى اللحم المجفف للادخار ، وتتمر : تجففه ، واشتقاقه من التمر ، يريد بقاءه فى وكرها حتى يجف لكثرته ، والوخز : القطع من اللحم ؛ وأصل الوخز : الطعن الخفيف ، كأنه يريد ما تقطعه من اللحم بسرعة ورجلى يروى رحلى ، والثعالى : الثعالب ، والأرانى : الأرانب .

لَمْ يَبْقَ إلا طَرَدُ السَّعَالِى ... فى الظُّلَمِ الغَائِبَةِ الهِلَالِ (١)
عَلَى ظُهُورِ الإبِلِ الأُبَّالِ ... فَقَدْ بَلَغْتَ غَايَةَ الآمَالِ (٢)
فَلَمْ تَدَعْ مِنْهَا سِوَى المُحَالِ ... فى لا مَكَانٍ عِنْدَ لا مَنَالِ (٣)
يَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ وَالمَعَالِى ... النَّسَبُ الحَلْىُ وَأَنْتَ الحَالِى (٤)
بِالأَبِ لا بِالشَّنْفِ وَالخَلْخَالِ ... حَلْياً تَحَلَّى مِنْكَ بِالجَمَالِ (٥)
وَرُبَّ قُبْحٍ وَحُلًى ثِقَالِ ... أَحْسَنُ مِنْهَا الحُسْنُ فى المِعْطَالِ (٦)

---

(١) و (٢) الطرد : الصيد ، وهو مصدر طرد ، مثل الطرد ـ بالإسكان ـ والسعالى : جمع سعلاة ، وهى الغول ، يقال إنها تتمثل فى الفلوات على صورة الجن . والظلم : الليالى التى فى آخر الشهر لا يطلع فيها القمر . والأبال : جمع آبل ، وهى التى تجزىء بالكلأ عن الماء . يقول : لم يبق إلا أن تصيد الغيلان فى المهامه على ظهور الإبل ، يعنى ملكت الإنس والوحش وكففت شر كل ذى غائلة فلم يبق إلا أن تخلى المفاوز من السعالى حتى لا تؤذى السائرين فى الليالى المظلمة ، وإنما خص الإبل لأن الخيل لا تعمل فى المفاوز ، وجعلها مكتفية عن الماء بالكلأ لئلا تحتاج إلى الماء .

(٣) المحال : المستحيل الذى لا يكون . يقول : بلغت غاية آمالك وملكت كل شىء يوصف بالوجود ويدرك مكانه ولم تترك إلا المعدوم الذى لا يوصف بالمكان والوجود. وقوله فى : « لامكان » كما يقال سافرت بلا زاد .

(٤) و (٥) الحلى : ما يصاغ من الجواهر للزينة : والحالى : صاحب الحلى؛ وبالأب: متعلق بمحذوف ـ أى تحلى ـ والشنف : القرط الذى يعلق فى أعلى الأذن ؛ وحليا : مفعول العامل المحذوف يقول : النسب حلية لصاحبه وأنت الحالى بتلك الحلية ، فانت إنما تتحلى بأبيك لا بما تتزين به النساء من حليهن ، وذلك الحلى الذى هو نسبك تزين منك بالجمال ، يعنى أن أباك يزينك وأنت جماله تزينه أيضاً .

(٦) المعطال : التى لا حلى عليها . يقول : إن الحلى لا تكسب الحسن إذا كان لابسها قبيحا ، فيكون الحسن فيمن لا حلى عليه أحسن من الحلى فيمن لا حسن فيه ؛ يعنى أن من لا فضيلة له فى نفسه لا تجديه فضيلة النسب كالقبيح إذا تحلى ، وقال ابن القطاع : صحف هذا البيت كل الرواة فرووه قبح ـ بالقاف والباء ـ وهو ضد الحسن ولا معنى للقبح فى هذا البيت ، لأنه لا يجهل أحد أن الحسن خير من القبح . وقال أحسن منها ، فعاد الضمير على الحلى وحدها ولم يكن للقبح ذكر ، لأن الحلى مؤنثة

فَخْرُ الْفَتَى بِالنَّفْسِ وَالْأَفْعَالِ مِنْ قَبْلِهِ بِالْعَمِّ وَالْأَخْوَالِ (١)

* * *

والقبح مذكر ، ولا يجوز أن يغلب المؤنث على المذكر ، وإنما غرهم ذكر الحسن فظنوا أنه قبح ، وإنما هو فتخ ـ بالفاء والتاء والخاء المعجمة ـ جمع فتخة ، يقال : فتخة وفتخة وفتخ وفتخات وفتاخ وفتوخ ، وهى خواتيم بلا فصوص يلبسها نساء العرب فى أصابع أيديهن وأرجلهن . . أقول : ومما يستطرف إيراده هنا شاهدا على الفتخ ، وأنها كما قال ابن القطاع قول الدهناء بنت مسحل زوج العجاج ـ وكانت رفعته إلى المغيرة بن شعبة . فقالت له : أصلحك الله إنى منه بجمع : أى لم يفتضنى ، فقال العجاج :

الله يعـــلم يا مغيرة إننى قد دُستُها دَوْس الحصان المرسلِ
وأخذتها أخـــذ المقصّبِ شاته عَجلانَ يذبحها لقـــومٍ نُزّلِ

فقالت الدهناء :

والله لا تخدعُنى بِشَم ، ولا بتقبيل ، ولا بِضَمٍّ
إلا بزَعزاع يُسلِّى همى تسقطُ منه فَتَخِى فى كُمّى

« الزعزاع : الاسم : من زعزعه زعزعة : أى حركه » .

(١) فخر : مبتدأ ، خبره : من قبله ، والضمير فى قبله : للفخر ، وبالعم : حال من الضمير المذكور ، وقال العكبرى : الباء فى قوله «بالعم» متعلقة بفعل محذوف يدل عليه الكلام : أى لا يفخر أحد بعمه وخاله ويترك نفسه وأفعاله ، ولا يجوز أن يتعلق بالهاء فى «قبله» وإن كانت ضمير المصدر ، لأنه لا نسبة بينه وبين الفعل ، ولا يجوز تعلق حرف الجر به ويجوز أن تكون الباء مع ما بعدها فى موضع نصب على الحال من الهاء فى «قبله» وتكون أيضاً متعلقة بمحذوف : أى من قبله كائنا بالعم ، كقولك هند مررت بها من الصالحات . يقول : إنما يفتخر الفتى بشرف نفسه وحسن أفعاله من قبل أن يفتخر بعمه وخاله ، قال البحترى :

فما الفَخرُ بالعَظْمِ الرميم وإنما فخارُ الذى يَبغى الفخــارَ بنفسِه

قافيـــــــة الميم

وقال يمدح سيف الدولة وهي أول ما أنشده سنة سبع وثلاثين وثلثمائة عند نزوله أنطاكية من ظفره بحصن بَرْزُوَيْهِ ، وكان جالساً تحت فازة من الديباج * عليها صورة ملك الروم وصور وحش وحيوان :

وَفَاؤُكُمَا كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُــهْ ... بِأَنْ تُسْعِدَا وَالدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهْ (١)

---

* الفازة : مظلة تمد بعمود . وقال بعض اللغويين : هي بناء من خزف وغيرها تبنى في العساكر ، والجمع فاز :

(١) وفاؤكما كالربع : مبتدأ وخبر . وأشجاه : أي أشده شجوا ، من قولك : شجاني هذا الأمر ؛ أي أحزنني . والطاسم : الطامس الدارس . و« بأن تسعدا » : أي تساعدا وتعاونا ، متعلق بوفاء ، وذلك من الضرورات القبيحة ، لأنه لا يجوز أن يتعلق بالمبتدأ بعد الإخبار عنه شيء وسجم الدمع : سال وهطل يخاطب خليليه اللذين عاهداه على أن يساعداه على البكاء عند ربع الأحبة يقول لهما : إن وفاءكما بأن تساعداني على البكاء كهذا الربع ، فإن الربع كلما تقادم عهده كان أشجى لزائره وأشد لحزنه لأنه لا يتسلى به المحب ، وكذلك وفاؤكما كلما ضعف وقل إسعادكما لي على البكاء اشتد حزني إذ لا أجد من أتسلى به ، ثم قال والدمع أشفاه ساجمه ، كأنه يقول : إن لي العذر في البكاء ، أما أنتما فخليان ، إذ لو كنتما محزونين مثلي لاستشفيتما بالدمع ، كما هو شأن المحزون مثلي . يريد : ابكيا معي بدمع في غاية السجوم فهو أشفى للوجد ، فإن الربع في غاية الطسوم وهو أشجى للمحب . وقال ابن جني : المعنى : كنت أبكي الربع وحده فصرت أبكي وفاءكما معه ، ولذلك قال وفاؤكما كالربع : أي كلما ازددت بالربع وبوفائكما وجداً ، ازددت بكاء ، ويروى والدمع ـ بالجر ـ عطفا على الربع ، وعلى هذا يكون المعنى : وفاؤكما كالربع الدارس في الأدواء إذا لم تجريا عليه الدمع الساجم ، وفي الشفاء إذا أجريتما عليه . وعبارة ابن القطاع : وفاؤكما لي بالإسعاد عفا ودرس كالربع الذي أشجاه للعين دارسه ، فكنت أبكي الربع وحده فصرت أبكي معه وفاءكما وأشتفي بالدمع الذي هو راحة الإنسان وأشفاه للنفس ساجمه . وقال الإمام التبريزي : الشعراء وغيرهم يزعمون أن البكاء يجلو بعض الهم عن المكروب المحزون ، قال الفرزدق :

وَمَا أَنَا إلاَّ عَاشِقٌ كُلُّ عَاشِـقٍ أَعَقُّ خَلِيـلَيْهِ الصَّفِيَّيْنِ لاَئِمُهْ(١)

أَلَمْ تَرَ أَنِّى يوم جوِّ سُـوَيقةٍ بَكيتُ فنادَتْنِى هُنيدةُ مالِيَا

فقلتُ لهـا إنَّ البـكاءَ لراحةٌ به يَشْتفى من ظَنَّ أن لا تلاقيا(١)

قال التبريزى : لامهما على البكاء ، وأنهما لم يسعداه ، قال : وذهب بعض الناس إلى أنه أراد بالمخاطبين عينيه . هذا : ولمناسبة « أشجاه » روى الرواة أن المتنبي لما أنشد هذه القصيدة كان ابن خالويه حاضرا ، فقال للمتنبي تقول أشجاه وهو شجاء؟فقال له : اسكت ليس هذا من علمك ، إنما هو اسم لافعل . . يريد المتنبي أنه اسم تفضيل : أى أشده شجوا لا كما ظن ابن خالويه أنه فعل . . لأنه فى الفصيح يقال ـ كما أسلفنا ـ شجاه يشجوه شجوا : إذا حزنه , وشجاه تذكر إلفه : أى هيجه ، وشجاه الغناء : إذا هيج أحزانه وشوقه ، وأما أشجاه يشجيه إشجاء : فهو بمعنى أغصه ، والشجا :مااعترض فى حلق الإنسان والدابة من عظم أو عود أو غيرهما ، قال سويد بن أبى كاهل اليشكرى:

ويرانِى كالشجا فى حَلْقِهِ عَسِراً مَخْرَجُه ما يُنتزَعْ

وقد شجى به ـ بالـكسر ـ يشجى شجا ، قال المسيب بن زيد مناة الغنوى :

لا تُنْـكر القتْلَ وقدْ سُبِينا فِى حلقِـكُمْ عَظمٌ وقدْ شجينا

« فى حلقـكم : أراد فى حلوقـكم »

(١) قوله : وما أنا إلا عاشق : إخبار عن نفسه بالعشق بلفظ مؤكد ، ثم استأنف فقال : كل عاشق له خليلان صفيان فأعقهما فى الخلة ـ الصداقة والود ـ من لامه فى هواه ، وفى هذا تعريض بالنهى عن اللوم . يقول : إن من لامنى منكما على البـكاء والجزع اعتقدت فيه العقوق ، فـكأن لائمكما أعقـكما ؛ قال الواحدى : ومعنى الأعق ههنا : العاق ، كقول الفرزدق :

إنّ الذِى سَمَكَ السماء بنى لنـا بَيتاً دعـائِمُهُ أعزُّ وأطوَلُ

وكما قال الجاهلى :

خالى بنو أوْسٍ وخالُ سَرَاتِهِمْ أوْسٌ فأيُّهمَـا أدقُّ وألأمُ

أى فأيهما الدقيق واللئيم ؟ وليس يريد أن الدقة واللؤم اشتملا عليهما معاً ثم زاد أحدهما على صاحبه ، وقد يطلق هذا اللفظ ولا يراد به الاشتراك ، كقوله تعالى « أصحاب الجنة خير مستقراً وأحسن مقيلا » ولا خير فى مستقر أهل النار ولا حسن ، كذلك جاز أن يقول : أعق خليليه وإن لم يكن للممسك عن اللوم صفة عقوق. هذا : وروى

(١) مطلع إحدى قصائده ، وهى أول قصيدة هجا بها جريرا والبعيث

وَقَدْ يَتَزَيَّا بِالْهَوَى غَيْرُ أَهْلِهِ
وَيَسْتَصْحِبُ الْإِنْسَانُ مَنْ لَا يُلَائِمُهُ(١)

كل عاشق ، بنصب « كل » على أنه مفعول عاشق ، يريد إنى عاشق كل عاشق مصف يعد خليله العاق من لامه فى هواه

(١) التزيى : تكلف الزى ، وهو اللباس والهيئة . قال الواحدى : وفى هذا البيت تعريض بصاحبيه أنهما ليسا من أهل الهوى وإن تكلفاه واتسما به . يقول : قد يتكلف الإنسان الهوى وليس من أهله ، وفيه تعريض أيضاً بأنهما ليسا من أهل الصحبة حيث قال : قد يسأل الإنسان الصحبة من لا يكون موافقا له فى أحواله ، وهذا يدل على أن صاحبيه لم يفيا بما عاهدا من الإسعاد . هذا : ولمناسبة « يتزيا » قال ابن جنى : سألته . . أى المتنبى — عن قوله « يتزيا » هل تعرفه فى اللغة أو فى كتاب قديم ؟ قال : لا . قلت : فكيف تقدم عليه ؟ قال قد جرت به عادة الاستعمال . قلت : أترضى بشىء تورده العامة ؟ قال : ماعندك فيه ؟ قلت : قياسه يتزوى . قال : من أين لك ؟ قلت لأنه من الزى وعينه واو ، وأصله زوى ، فانقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ماقبلها ، ولأنها أيضاً ساكنة قبل الياء ، ودليل أن عينه واو أنهم لايقولون لفلان ، « زى » إذا كان له شىء واحد يستحسن حتى يجتمع له أشياء كثيرة حسنة ، فحينئذ يقال له « زى » : من زويت أى جمعت . وقال الآخر * زوى بين عينيه على المحاجم(١) * فقلت له : إلى هذا ذهبت فأصغى نحوه . . . وقد ذكره صاحب العين — أى الخليل بن أحمد — فقال تزيا فلان بزى حسن وزييته تزية — بوزن تحية — فإن ثبت فليس بناقض لما قلت إنه يتزوى ، فيجب أن يكون قلب الواو ياء تخفيفاً كقول الآخر : إن دعوا جاد وإن جادوا وبل(٢) وهو من دام يدوم ولكن لما رأى الديمة والديم

---

(١) عجز بيت للأعشى ؛ وصدره :

يَزِيدُ يغُضُّ الطَّرْفَ دُونِى كأنَّما زوى . . . . الخ

وبعده :

فلا يَنْبَسِطْ مِنْ بَيْنَ عَيْنيكَ ما انزوى ولا تلقَنِى إلاَّ وأنفكَ رَاغِم

يقال زوى مابين عينيه فانزوى : جمعه فاجتمع

(٢) عجز بيت لشاعر جاهلى يقال له جهم بن سبل ؛ وصدره :

أنا الجَواد بنُ الجوادِ بنِ سَبلْ إن ديموا . . . . الخ

بَلِيتُ بِلَى الأَطْلاَلِ إنْ لَمْ أَقِفْ بِهـــا
وُقُوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ فِي التُّرْبِ خاتِمُهُ(١)

بياء أنس بها وأخلد إليها لخفتها كما قالوا فى عيد أعياد ، وفى تحقيره عييد ، وهو من عاد يعود ، وكان قياسه عويد وأعواد ، كما قيل فى تحقير « ريح » رويح ؛ وفى جمعها أرواح ؛ وحكى اللحيانى فى نوادره : ريح وأرواح ، فهذا مما أجرى مجرى البدل اللازم لخفة الياء ، وكذلك يعزيا إن كان صحيحا من كلامهم ، فهو مما ألزم بدل الياء من الواو تخفيفا ، ولأنه قد أبدلها فى زى قصداً من طريق الاشتقاق ، والقياس يقتضى أن تكون عين الزى واواً فى الأصل ، لأن باب طويت ، ورويت مما عينه واو ولامه ياء أكثر من باب حيت وعيت مما عينه ولامه ياءان فلما اجتمع القياس والاشتقاق على قضيته لزم قبولها ورفض ما عداها وخالف وضعها .

(١) الأطلال : آثار الديار . يدعو على نفسه بأن يبلى بلى الأطلال ، إن لم يقف بأطلال الأحبة متوجعا لها منحنيا ، كما يفعل الشحيح إذا فقد خاتمه ووقف يتلمسه فى التراب ، قال ابن وكيع : وهذا مأخوذ من قول أبى نواس :

كأنى مُريغٌ فى الديارِ طَريدةً أراهـــا أمامى مرةً وورائى

وقد عاب ابن جنى هذا البيت ، قال : ليس للفظ عجزه جزالة لفظ صدره ، وليس فى وقوف الشحيح على طلب خاتمه مبالغة يضرب بها المثل . قال : والعرب تبالغ فى وصف الشيء وتجاوز الحد ، وقد تقتصر أيضا وتستعمل المقاربة . . . وهذا بعينه قد جاء فى الشعر الفصيح ، قال جرير : * هن حيارى كمضلات الخدم * والخدم : جمع خدمة ، وهى الخلخال . . قال العروضى ــ ذائداً عن المتنبى : لاعيب عليه ، لأن الشحيح إذا طلب الخاتم احتاج إلى الانحناء ليقف بصره على الخاتم ، ولو كان بدل الخاتم شيئا عظيما كالخلخال والسوار لكان يطلبه من قيام فلا يحتاج إلى الانحناء ، ولو كان صغيراً كالدرة لكان يطلبه قاعداً مكانه . يقول ــ أى المتنبى ــ : إن لم أقف بها ــ أى بالأطلال ــ منحنيا لوضع اليد على الكبد والانطواء عليها كوقوف الشحيح الطالب للخاتم . ويشهد لصحته قول ابن هرمة يذم بخيلا ؛

يمدح أباه بالسخاء وديموا ، ويروى دوموا ــ على القياس ــ من قولهم ديمت السماء تديما : أى أمطرت مطراً دائما فى سكون ، وجادوا من الجود ، وهو المطر الواسع الغزير ، أو المطر الذى لا مطر فوقه ألبتة ،ووبل : من وبلت السماء وبلا : أى أمطرت مطراً شديداً ضخم القطر .

كَئِيباً تَوَقَّانِى الْعَوَاذِلُ فِى الْهَوَى ... كَمَا يَتَوَقَّى رَيِّضَ الْخَيْلِ حَازِمُهْ (١)
قِفِى تَغْرَمِ الأُولَى مِنَ اللَّحْظِ مُهْجَتِى ... بِثَانِيَةٍ وَالْمُتْلِفُ الشَّىْءَ غَارِمُهْ (٢)

نَكَّسَ لمـا أتيت سائِلَهُ ... واعتَل تنكيسَ ناظِمِ الخرَزِ

فشبه هيأته بهيئة من ينظم الخرز فى الإطراق وتنكيس الرأس . على أنا نقول — إن التزمنا بهذا السؤال — : قد يبلغ من قيمة الخاتم مايحق للشحيح أن يطيل وقوفه على طلبه . . . وقال الواحدى — مدافعا أيضا عن المتنبى — : يقال فى جواب هذا السؤال : إن وقوف هذا الشحيح وإن كان لا يطول كل الطول فقد يكون أطول من وقوف غيره ، فجاز ضرب المثل به كقول الشاعر :

رُب ليل أمَدّ مِنْ نَفَس العا ... شِقِ طُولا قطعتُهُ بانتحاب

وقد علمنا أن ساعة من ساعات الليل تستغرق عدة أنفاس ، ولكنه لما كان نفس العاشق أطول من نفس غيره ، جاز ضرب المثل به ، وإن لم يبلغ النهاية فى الطول ، وكقول الآخر :

وليل كظل الرُّمح قصَّرَ طولَه ... دَمُ الزِّقِّ عنّا واصطفاقُ المزاهر (١)

وذلك لما كان ظل الرمح أطول من ظل غيره جعله الغاية فى الطول . . .

(١) كئيبا : أى حزينا ، حال من قوله أقف بها — فى البيت السابق — وتوقانى : تباعدنى واجتنبنى . والريض من الخيل : الصعب الذى لم يرض ، وقد يكون الريض الذى قد ذلل ، فهو من الأضداد . والحازم : الذى يسوسه ويشده بالحزام . يقول : إن العواذل اللائى يعذلننى — يلمننى — فى الهوى يحذرن جانبى وإبائى عليهن — إذا وقفت على الربع كئيبا — كما يحذر حازم الريض من الخيل جماحه أن يعضه أو يرمحه — يضربه برجله —

(٢) تغرم : جواب قفى ؛ والأولى : فاعل تغرم ؛ ومن اللحظ : بيان للأولى ؛ ومهجتى : مفعول تغرم ؛ وغرم ما أتلفه : لزمه أداؤه . يقول : إنه نظر إليها نظرة أتلفت مهجته ، فهو يقول لها قفى لأنظرك نظرة أخرى ترد مهجتى وتحيينى ، فإن فعلت كانت النظرة الثانية غرما لما أتلفته النظرة الأولى . وعبارة ابن جنى : قفى يا محبوبة تغرم اللحظة الأولى التى لحظتك مهجتى بلحظة ثانية ، لأن الأولى قد أتلفت مهجتى فوجب عليها الغرم ، فإن لحظ ثانية عاش . فتكون الأولى قد غرمت المهجة بالثانية ،

---

(١) دم الزق : الخمر . والمزاهر : جمع مزهر : آلة الطرب .

سَقَاكِ وَحَيَّانَا بِكِ اللهُ إِنَّمَا عَلَى الْعِيسِ نَوْرٌ وَالْخُدُورُ كَمَائِمُهْ[(١)]

وَمَا حَاجَةُ الأظْعَانِ حَوْلَكِ فِي الدُّجَى إِلَى قَمَرٍ مَا وَاجِدٌ لَكِ عَادِمُهْ[(٢)]

ثم ذكر الحجة الموجبة أن يطالب بالوقفة ، فقال والمتلف غارم ، وهى حكومة بحق وعبارة الخطيب التبريزى : لما نظر إليها نظرة أتلفت مهجته وأراد أن ينظر إليها أخرى لترجع إليه نفسه جعل الأولى كأنها الغارمة فى الحقيقة ، لأنها سبب التلف ؛ ومثله لقطرب :

أشتاقُ بالنظرةِ الأولى قرينتها كأننى لم أقدِّم قبلها نظرَا

وقد أخذ بعضهم هذا المعنى فقال :

يا مُسقِما جسْمى بأوّلِ نظرةٍ فى النظرة الأخرى إليكَ شِفائى

وروى الخوارزمى تغرمى — بالياء — وأصله تغرمين ، فحذف النون للجزم والخطاب للمحبوبة والمهجة هى المحبوبة ، فمهجتى فى موضع نصب بالنداء ، والأولى مفعول ، ويكون المعنى : قفى يامهجتى تغرمى النظرة الأولى التى حرمتنيها بنظرة ثانية إليك . ثم قال : ومن أتلف شيئاً غرمه : أى أنت أتلفت على النظرة الأولى التى رميتها منك أولا فاغرمها بنظرة ثانية . والرواية الأولى هى الأوجه .

(١) العيس : الإبل البيض . والنور الزهر . والكمائم أغلفة الزهر قبل أن تنفتق . جعل هؤلاء النسوة زهراً فى حسنهن ، وصفاء ألوانهن ، وطيب روائحهن وجعل الخدور لهن بمنزلة الكمائم للزهر ، ولما جعلهن زهراً بنى على هذا اللفظ السقى والتحية ؛ فإن الزهر نضرته بالماء ، وجرت العادة بأن يحيي الناس بعضهم بعضا بالأزهار والرياحين فيتناولوا شيئاً منها ، ومعنى حيانا بك الله لقاناك وحيانا بك ، وقد كشف السرى الرفاء عن هذا المعنى بقوله :

حيَّا بِهِ اللهُ عاشِقيهِ فقدْ أصبحَ رَيحانةً لمنْ عَشقَا

(٢) الأظعان : النساء فى الهوادج . وقوله «ما واجد لك عادمه» استئناف والضمير للقمر . يقول : أى حاجة لهؤلاء النسوة المسافرات معك إلى القمر بالليل ؟ فإن من وجدك لم يعدم القمر ، يعنى أنها فى الدجى تقوم مقام القمر ، قال البحترى :

أضرّت بِضَوْءِ البدْرِ والبدْرُ طالعٌ وقامت مقامَ البدْرِ لما تغيَّبا

وقال الآخر :

إنّ بيتاً أنتَ ساكِنُهُ غيرُ محتاجٍ إلى السُّرُجِ

إذَا ظَفِرَتْ مِنْكَ الْعُيُونُ بِنَظْرَةٍ … أثَابَ بِهَا مُعْيِي الْمَطِيِّ وَرَازِمُهْ(١)

حَبِيبٌ كَأنَّ الْحُسْنَ كَانَ يُحِبُّهُ … فَآثَرَهُ أوْ جَارَ فِي الْحُسْنِ قَاسِمُهْ(٢)

تَحُولُ رِمَاحُ الْخَطِّ دُونَ سِبَائِهِ … وَتُسْبَى لَهُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ كَرَائِمُهْ(٣)

وَيُضْحِي غُبَارُ الْخَيْلِ أدْنَى سُتُورِهِ … وَآخِرُهَا نَشْرُ الْكِبَاءِ الْمُلَازِمُهْ(٤)

(١) يقال أثاب فلان : رجع إليه جسمه بعد الهزال ، وصلح بدنه، والمعي: الكليل والمطى . جمع مطية ، وهى الدابة تمتطى وتركب . وذكر المطى على اللفظ كتذكير النخل والسحاب وما أشبههما من الجمع ، والرازم — كالرازح — الذى سقط من الإعياء فلا يبرح . يقول : إن الإبل الرازحة التى كلت وعجزت عن المشى . إذا نظرت إليك عاشت أرواحها ، وعادت قوتها ، وصلحت حالها مع أنها لا تعقل ، فما الظن بنا، وحياتنا برؤيتك ؟ وقال ابن فورجه : إنما يعنى بالمطى أصحابها . قال : والإبل لا فائدة لها فى النظر إلى هذه المحبوبة ، وإن فاقت حسناً وجمالا ، وإنما ركابها هم الذين يسرون بذلك وليس هذا بشىء ، لأن الإبل التى لا عقل لها إنما يؤثر فيها النظر على مقتضى المبالغة والتعمق فى المعنى ، لا على الحقيقة ، وهى عادة الشعراء فى المبالغة .

(٢) يقول : إن هذا الحبيب قد استبد بالحسن وانفرد به ، فليس لغيره فيه حظ ، فكأن الحسن أحبه فاستخلصه لنفسه دون غيره ، أو كأن الذى قسم الحسن بين الناس جار — لم يعدل — فأعطاه جميع الحسن ، ولم يبق لأحد منه نصيبا .

(٣) الخط : موضع باليمامة تقوم فيه الرماح ، وهى الرماح الخطية . والحى : الجماعة من الناس ينزلون بالبادية . يقول : هو حبيب عزيز منيع يحفظ بالرماح فلا يقع عليه سباء ، لأن رماح قومه تحول دون ذاك ، كما قال :

* بِضَمِّ الْقَنَا يُحْفَظْنَ لا بِالتَّمَائِمِ *

وكرائم الأحياء تسبى برماح قومه فيؤتى بها إليه ليخدمنه .

(٤) أدنى : أقرب . والكباء : العود الذى يتبخر به ، ونشره : رائحته . قال اللحيانى : ومثل الكباء الكبة ، قال : والجمع كباً ، وقد كبي ثوبه — بالتشديد — أى بخره ، وتكبى وا كتبى إذا تبخر بالعود ؛ قال أبو دؤاد :

يَكْتَبِينَ الْيَنْجُوجَ فى كُبَّةِ الْمَشْـ … ـتَى وَبُلْهٌ أحْلَامُهُنَّ وِسَامُ(١)

يقول : أقرب ستوره إليك أيها الطالب الوصول إليه غبار خيول قومه ، وأبعدها

(١) أى يتبخرن الينجوج — وهو العود — وكبة الشتاء شدة ضرره . وقوله وبله أحلامهن : أراد أنهن غافلات عن الخنى والحب .

وَمَا ٱسْتَغْرَبَتْ عَيْنِي فِرَاقًا رَأَيْتُهُ ... وَلاَ عَلَّمَتْنِي غَيْرَ مَا الْقَلْبُ عَالِمُهْ[1]

فَلاَ يَتَّهِمْنِي الْكَاشِحُونَ فَإِنَّنِي

رَعَيْتُ الرَّدَى حَتَّى حَلَتْ لِي عَلاَقِمُهْ[2]

عنك وأقربها منه — من الحبيب — دخان بخوره ، يصف هذا الحبيب بأنه فى غاية المنعة وغاية النعمة . وعبارة الواحدى : إن دخان العود الذى يتبخر به كثير عنده حتى صار كالحجاب بينه وبين من يطلبه ، قال : ويروى « وأولها نشر الكباء » والمعنى وأول ستر دونها مما يليها ، قال : ويمكن أن يقلب هذا فيقال : أدنى ستر إليها من الستوردونه غبار الخيل وأبعد ستر عنها نشر الكباء ، يعنى أن غبار الخيل كثير حتى وصل إليها فصار أدنى ستر منها دونها ، كذلك ارتفع دخان العود حتى يتباعد منها الدخان فصار آخر ستر دونها ، قال : وهذا أشبه بطريقة المتنبى فى إيثار المبالغة .

(١) يريد كثرة مالقى من صروف الدهر ، وما منى به من فراق الأحبة حتى لا يستغرب فراقا رآه ، ولا تريه عينه شيئا لم يعلمه قلبه ، والمصراع الثانى من قول عدى بن الرقاع :

وعلمتُ حتى لست أسألُ عالِماً ... عن حرفِ واحدةٍ لِكَى أزْدادَها[1]

ومثله لأبى الطيب :

عرفتُ الليالى قبلَ ما صنعتْ بِنا ... فلمَّا دهتنى لمْ تَزِدْنِى بها عِلْما

وقال الأعور الشنى :

لقد أصْبحتُ لا أحتاجُ فيما ... يَكونُ مِنَ الأمُورِ إلى السؤالِ

وقال ابن الرومى :

وما أحدثَ العصرانِ شيئاً نكِرتُهُ ... هما السالبانِ الواهبانِ هُمَا هُمَا

(٢) الكاشح : الذى يضمر لك العداوة . والعلاقم : جمع علقم ، وهو الحنظل .

---

(١) من كلمته التى يقول فى مطلعها :

عرف الديار توهما فاعتادها ... . [البيت]

وفيها يقول فى وصف الظبية وولدها :

تُزْجِي أغنَّ كأن إبرَةَ رَوقه ... قلم أصابَ مِنَ الدواةِ مدادها

تزجى أغن : أى تسوقه برفق ؛ والروق : القرن ، وإبرته : ما حدد من طرفه كأنه إبرة .

مُشِبٌّ الَّذِى يَبْكِى الشَّبَابَ مُشِيبُهُ   فَكَيْفَ تَوَقِّيهِ وَبَانِيهِ هَادِمُهْ(١)
وَتَكْمِلَةُ الْعَيْشِ الصِّبَا وَعَقِيبُهُ   وَغَائِبُ لَوْنِ الْعَارِضَيْنِ وَقَادِمُهْ(٢)

قال ابن جنى : سألته – أى المتنبي – وقت القراءة عليه : ما وجه التهمة فى هذا الموضع؟ قال : أن يظنوا بى جزعاً . يقول : لا يتهمنى الأعداء بالخوف من الردى والجزع من الفراق ، فإنى قد ذقت المرارات حتى ألفت ذوقها فلا أستمرها ، والعلقم أشد الأشياء مرارة ، وهو لا يحلو لأحد ، ولكن من اعتاد ذوقه سهلت عليه مرارته ، فكأنه قد حلا له . ومعنى رعيت الردى : رعيت أسباب الردى من المخاوف والمهالك ، وكنى بالعلاقم عن المرارات ، ولهذا قال «رعيت» لأن العلقم مما يرعى ، يعنى إنى لا أجزع من الفراق وإن عظم أمره واشتدت مرارته لاعتيادى ذلك ، كما قال الآخر :

وفارقتُ حتى ما أبالى مِنَ النَّوَى   وإنْ بانَ جيران علىَّ كِرامُ

وقال المؤرج السدوسى :

رُوِّعتُ بالبَينِ حتى ما أراعُ له   وبالمصائبِ فى أهْلِى وَجيرانى

وهذا المعنى ظاهر فى قول الخريمى :

لقد وقَرتنى الحادِثاتُ فما أرى   لِنازِلة مِنْ رَيبها أتوجَّعُ

(١) مشب : مبتدأ ؛ ومشيبه : خبره ؛ ولك أن تعكس ؛ وتوقاه : حذره ؛ والضمير فى « توقيه » للباكى ، وفى « بانيه ، وهادمه » للشباب . يقول : إن الذى يجزع على فقد الشباب إنما أشابه من أشبه ، والشيب حصل من لدن من حصل منه الشباب ، فلا سبيل إلى التوقى من المشيب لأن أمره بيد غيره . ولعل هذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومى :

تُضَعضِعهُ الأوقاتُ وَهْى بَقاؤُه   وتَغتاله الأقوَاتُ وَهْىَ لَه طُعْمُ
إذَا مَا رَأيتَ الشىء يُبليه عمرُهُ   وَيُفْنيه أن يبقى ففى دائِهِ عقم

(٢) العارضان : جانبا الوجه . يقول : تمام العيش هو الصبا وما يتلوه من بلوغ الأشد حتى يكون يافعا مترعرعا إلى أن يختلف إلى عارضيه لونا بياض وسواد ؛ قال الواحدى : وغائب لون العارضين هو البياض ، والقادم هو السواد السابق إلى العارض ويجوز أن يريد بالقادم : الشيب – من قدم يقدم : إذا ورد – وبالغائب : السواد الذى غاب بقدوم البياض ، ويجوز أن يكون غائب لون العارضين لون البشرة حين يغيب عنها الشعر وبياضه ، والقادم : هو لون الشعر من سواد وبياض ؛ ويجوز أن يريد

وَمَا خَضَبَ النَّاسُ الْبَيَاضَ لِأَنَّهُ قَبِيحٌ وَلٰكِنْ أَحْسَنُ الشَّعْرِ فَاحِمُهْ(١)

وَأَحْسَنُ مِنْ مَاءِ الشَّبِيبَةِ كُلِّهِ حَيَا بَارِقٍ فِي فَازَةٍ أَنَا شَائِمُهْ(٢)

عَلَيْهَا رِيَاضٌ لَمْ تَحُكْهَا سَحَابَةٌ وَأَغْصَانُ دَوْحٍ لَمْ تَغَنَّ حَمَائِمُهْ(٣)

بالغائب : لون جلد العارض المستتر بالشعر ، وبالقادم : سواد الشعر النابت ؛ وهذا هو الأولى ، لأنه يجعل تمام العيش أن يكون الإنسان صبيا ثم يافعا مترعرعا ثم ينبت شعره فيكون شابا ؛ ولم يجعل الشيب من تكملة العيش ، لأن :

من شاب في الناس مات حيا يمشى على الأرض مشى هالك

لَوْ كان عمر الفتى حِسَاباً لكان فى شيبه فذالك(١)

وبيت المتنبي من قول ابن الرومى :

سُلِبتُ سوادَ العارضين وقبله بياضهما المحمودَ إذ أنا أمردُ

(١) الفاحم : الأسود الشديد السواد . يقول : إن البياض فى الشعر حسن ، فليس يخضب البياض لأنه مستقبح ، ولكن لأن السواد أحسن منه ؛ فالخاضب إنما يطلب الأحسن من لونى الشعر . وعبارة ابن جنى : ذكر أن الشيب لم يخضب لأنه قبيح ، ولكن سواد الشعر أحسن ، والإنسان إذا شاب علم أنه كبير السن فزهد فيه ، فإذا خضب ظهر للغوانى أنه شاب فترغبن فيه .

(٢) أراد بماء الشبية : نضارتها وحسنها . والحيا : المطر : والبارق : السحاب ذو البرق . . والفازة : قبة أو خيمة أو مظلة بعمودين نصبت لسيف الدولة وكانت من ديباج ؛ والشائم : الناظر إلى البرق يرجو المطر . يقول: أحسن من الشباب الذى فقدته مطر سحاب بارق أنا أنظر اليه ، يعنى سيف الدولة ، جعله مطر سحاب لجوده وعموم نفعه ؛ وكنى بالشيم عن تعليق رجائه به بانتظار جوده ، وقد جمع له فى هذا البيت بين ضروب من المدح ـ الحسن والجود ـ واستحقاق التأميل .

(٣) الدوح : جمع دوحة ، وهى الشجرة العظيمة من أى الأشجار كانت : وتغن ـ بحذف إحدى التاءين ـ وفى رواية : لم تغن ، يصف تلك الفازة بأنها مصورة بصور رياض وأشجار ؛ بيد أنها ليست مما أنبته السحاب وحاكه ـ نسجه وصنعه ـ وأغصان تلك الأشجار لا تتغنى حمائمها ولا تتجاوب طيورها لأنها صور ليست ذات أرواح .

---

(١) فذالك : جمع فذلكة من قول الحاسب: فذلك كذا .

وَفَوْقَ حَوَاشِي كُلِّ ثَوْبٍ مُوَجَّهٍ مِنَ الدُّرِّ سِمْطٌ لَمْ يُثَقِّبْهُ نَاظِمُهْ (١)
تَرَى حَيَوَانَ الْبَرِّ مُصْطَلِحاً بِهَا يُحَارِبُ ضِدٌّ ضِدَّهُ وَيُسَالِمُهْ (٢)
إِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ مَاجَ كَأَنَّهُ تَجُولُ مَذَاكِيهِ وَتَدْأَى ضَرَاغِمُهْ (٣)
وَفِي صُورَةِ الرُّومِيِّ ذِي التَّاجِ ذِلَّةٌ لِأَبْلَجَ لَا تِيجَانَ إِلَّا عَمَائِمُهْ (٤)
تُقَبِّلُ أَفْوَاهُ الْمُلُوكِ بِسَاطَهُ وَيَكْبُرُ عَنْهَا كُمُّهُ وَبَرَاجِمُهْ (٥)
قِيَاماً لِمَنْ يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كَيُّهُ وَمَنْ بَيْنَ أُذْنَيْ كُلِّ قَرْمٍ مَوَاسِمُهْ (٦)

---

(١) الموجه : ذو الوجهين ؛ والسمط : السلك ، ويطلق على القلادة ؛ وأراد بسمط الدر : الدوائر البيض على حواشي تلك الأثواب التي اتخذت منها الفازة . شبهها بالدر لبياضها ، غير أن من نظمه لم يثقبه لأنه ليس بدر حقيق .

(٢) كانت هذه الفازة مصورة بأنواع الحيوان . يقول: ترى هذه الحيوانات مصطلحة بهذه الفازة مع أن ديدنها التفارس والتهارش ، وجعلها متحاربة لأنها نقشت على هذه الصورة : صورة المحارب ، وأراد بالمسالمة أنها جماد لا روح فيها فتقاتل .

(٣) المذاكى : المسنة من الخيل . وتدأى : تختل - يقال : دأيت الصيد ودأوت له: أى ختلته - وروى بالذال المعجمة ، يقال ذأى الإبل : إذا طردها وساقها ؛ والضراغم الأسود : يقول : إذا ضربت الريح هذا الثوب تحرك حتى كأنه يموج ، وكأن الخيل التي صورت عليه جائلة ، وكأن أسوده تختل الظباء لتصيدها وتطردها لتدركها .

(٤) الأبلج المشرق ، والذي قد وضح ما بين حاجبيه فلم يكن مقرون الحاجبين وهو من صفات السادة ؛ وروى : الأبلخ ، وهو المتكبر العظيم فى نفسه: بلخ - بالكسر - وتبلخ : أى تكبر ، فهو أبلخ . وكان قد صور ملك الروم على هذه الفازة ساجداً ، وهو ما عناه بالذلة ، وعنى بالأبلج - أو الأبلخ - سيف الدولة ، وجعله لا تاج له لأنه عربى ، وتيجان العرب : عمائمها .

(٥) البراجم : مفاصل الأصابع ، واحدتها برجمة . يقول : إن الملوك حين يلقونه يقبلون بساطه ، ولا يبلغون أن يقبلوا كمه أو يده ؛ لأنه أعظم شأنا من ذلك

(٦) قياما : مصدر لم يذكر فعله ، كأنه قال : قاموا - أى الملوك - قياما ، يريد أنهم قاموا بين يديه إجلالا وهيبة ؛ وكنى بالكى عن ضربه وطعنه ولذعة حربه ، وبالداء عن غوائل الأعداء وطغيانهم ؛ يعنى أنه يرد بالطعن والضرب من عصاه إلى طاعته كما يرد من به داء إلى الصحة بالكى . والقرم : السيد ؛ والمواسم جمع ميسم ، وهو مايوسم به

قَبَائِعُهـــا تَحْتَ المَرَافِقِ هَيْبَةً ۞ وَأَنْفَذُ مِمَّا فِي الجُفُونِ عَزَائِمُه(١)
لَهُ عَسْكَرَا خَيْلٍ وَطَـيْرٍ إِذَا رَمَى ۞ بِهَا عَسْكَرًا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ جَمَاجِمُه(٢)

ـ المكواة ـ ويقال أيضاً المياسم ـ على لفظ الميسم ـ كنى بجعل مواسمه بين آذان السادات ـ أى فى أقفائهم ـ عن قهرهم وإذلالهم .

(١) القبائع : جمع قبيعة ، وهو ما على طرف مقبض السيف من فضة أو حديد . يريد قبائع سيوف الملوك . والجفون : جمع جفن ، الغمد . يقول : قاموا بين يديه متكئين على قبائع سيوفهم هيبة له وتعظيما . ثم قال : وعزائمه أنفذ وأمضى من السيوف ـ وهى مافى الجفون .

(٢) يقول : إن له عسكرين خيله والطير التى اعتادت أن تصبحه لكثرة وقائعه حتى تأكل من لحوم القتلى ، فكأنها من عديد جيشه ؛ فإذا رمى بهما عسكر العدو لم يبق إلا عظام الجماجم ، لأن عسكر الخيل يقتلهم ، وعسكر الطير يأكل لحومهم، والضمير فى « بها » للخيل والطير ، فلما جعلهما جماعة كنى عنهما بلفظ الجمع ، ولم يكن بالتثنية للعسكرين . وقد عاب ابن وكيع هذا البيت قال : لا أدرى كيف خص الجماجم بالبقاء دون سائر العظام ؟ ولا أعرف للخيل فى هذا معنى ، بل للطير ، لأنها ـ أى الطير ـ لا تأكل عظام الموتى ، وذلك أن الخيل إذا حملت بمن عليها أهلكت العدو فتأكلهم الطير ولا تدع إلا العظام للوحش . . . ومن ثم قال بعض الشراح : يجوز أن يكون المعنى أنهم كانوا يقتلون ويأسرون ، فكانوا يأخذون رءوس القتلى يجعلونها فى أعناق الأسرى ؛ فلهذا لم تبق إلا الجماجم . . . وبعد : فما أبدع قول النابغة فى هذا المعنى :

إذا غَزَوْا بالجيشِ حلّقَ فَوْقَهُمْ ۞ عصائبُ طَيرٍ تَهْتَدِي بِعصائِبِ
يُصَاحِبْنَهُمْ حتى يُغِرْنَ مُغارَهم ۞ من الضارياتِ بالدماء الدوارب
تَراهُنّ خلفَ القومِ خُزْراً عُيُونها ۞ جُلُوسَ الشيوخِ فى ثِياب المرانبِ
جَوانحَ قد أيقنّ أن قَبِيـــله ۞ إذا ما التقى الجمعـــان أوّلُ غالب
لهنّ عليهم عادة قد عرفنهـــا ۞ إذا عُرِّضَ الخطِّىُّ فوق الـكواثبِ(١)

(١) من الضاريات الخ : أى أن هذه الطير ضاريات متدربات على دماء القتلى وخزراً عيونها : أى ضيقة العيون خلقة أو أنها تتخازر : أى تقبض جفونها لتحدد النظر . وقوله جلوس الشيوخ الخ : فالمرانب جمع مرنبانى ، وهو الثوب المبطن بفراء الأرانب . يقول

أَجِلَّتُهَا مِنْ كُلِّ طَاغٍ ثِيَابُهُ ... وَمَوْطِئُهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ مَلَاغِمُهْ(١)
فَقَدْ مَلَّ ضَوْءُ الصُّبْحِ مِمَّا تُغِيرُهُ ، ... وَمَلَّ سَوَادُ اللَّيْلِ مِمَّا تُزَاحِمُهْ(٢)
وَمَلَّ الْقَنَا مِمَّا تَدُقُّ صُدُورَهُ ، ... وَمَلَّ حَدِيدُ الْهِنْدِ مِمَّا تُلَاطِمُهْ(٣)

---

(١) الأجلة ـ جمع جل ـ ما يجعل على ظهر الدابة ؛ والملاغم ماحول الفم ممايبلغه اللسان ويصل إليه : جمع ملغم ، قال بعض اللغويين : الملاغم من كل شيء الفم والأنف والأشداق ، وذلك أنها تلغم بالطيب ، وفى الإبل بالزبد ، وتلغمت المرأة بالطيب جعلته فى الملاغم والملغم يشبه أن يكون مفعلا من لغام البعير ـ وهو زبده ـ سمى بذلك لأنه موضع اللغام ، وقيل لأعرابى : متى السير ؟ فقال : تلغموا بيوم السبت : أى اذكروه يوم السبت ؛ واشتقاقه من أنهم يحركون ملاغمهم بذكره يوم السبت . يقول : إنه يسلب ثياب كل طاغ من ملوك الروم فيتخذ منها أجلة لخيله ، ويوطىء حوافرها وجه كل باغ فيهم . قال العكبرى : وهذا مبالغة ، ولا تتم هذه الصفة إلا بعد الإمعان فى قتلهم وبلوغ الغاية من الظهور عليهم .

(٢) التاء ـ فى « تغيره وتزاحمه » ـ إما للخطاب ، وإما للخيل . وتغيره : أى تغير فيه ، فحذف الجار ونصب الضمير ـ على حد قولهم : أقمت ثلاثاً ما أذوقهن طعاماً : أى ما أذوق فيهن ـ وقد كان العرب يغيرون وقت الصبح ليتغفلوا القوم ولذلك كانوا يقولون عند الغارة : واصبحاه . يقول : لكثرة غاراتك وقت الصبح ، قد مل الصبح منها وضجر ومل الليل من مزاحمتك إياه . وهو أنك تبلغ كل موضع يبلغه الليل . وقيل فى معنى البيت مما تغيره أى تحمله على الغيرة ؛ إذ يزيد على بياضه بريق أسلحتك ، وتزاحم الليل فتذهب ظلمته بضوء أسلحتك . وقال بعضهم : تزاحم الليل بغبار خيلك ، فكأنه ليل آخر .

(٣) القنا : الرماح ، وتدق : تكسر ؛ وصدر الرمح : أعلاه . قال الواحدى : أى ملت رماح الأعداء من دقك أعاليها وملت سيوفهم من ملاطمتك إياها . وأراد بالملاطمة مقابلتها بالتروس والمجان ، فذلك ملاطمة بينهما ؛ ويجوز أن يريد المتنبى رماح جيشه

إن هذه الطير تقع على أعالى الأرض والهضاب كأنها فى ريشها ووقوفها تترقب القتلى جالسة جلوس الشيوخ إذا التفوا بأكسية المرانب يحددون النظر إلى شيء بعيد . وجواثم أى ماثلات للوقوع ، والخطى : القنا ؛ والكواثب : جمع كاثبة ، وهى من جسم الفرس ما تحت الكاهل إلى الظهر بحيث إذا نصب عليه السرج كانت أمام القربوس يضع الفارس عليها رمحه مستعرضاً .

سَحَابٌ مِنَ الْعِقْبَانِ يَزْحَفُ تَحْتَهَا ... سَحَابٌ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَقَتْهَا صَوَارِمُهْ[1]

وسيوفه ، على أن ترفع صدوره ؛ يقول ؛ ملت رماحك من كثرة ما تدق صدورها أعداءك ؛ وملت سيوفك من الشيء الذي تلاطمه لكثرة وقعها عليه . هذا : وقد عاب ابن وكيع قوله تلاطمه ، قال : الملاطمة مفاعلة لا تكون إلا بين اثنين فلو قال مع تدق « تلطم » لكان أحسن في الصناعة ، ثم قال : وأحسن من هذا قول القائل :

حَـــرَامٌ على أرماحنا طعنُ مُدبِرٍ ... وتندقُّ منها في الصدور صُدورُها

وهكذا ابن وكيع تراه كثير التفنيد لأبي الطيب حتى ليبالغ في ذلك .

(١) أي هناك سحاب من العقبان الخ ؛ والعقبان : جمع عقاب ، طائر من الجوارح قوى المخالب له منقار أعقف . واستسقت : طلبت السقيا ؛ والضمير : للسحاب الأول ، وضمير صوارمه : للسحاب الثاني ، والتأنيث في الأول : على معنى الجماعة ، والتذكير في الثاني : على اللفظ . جعل العقبان التي فوق جيشه سحابا وجعل جيشه كذلك سحاباً لما فيه من بريق الأسلحة وصب الدماء وصوت الأبطال ، وجعل الأسفل يسقي الأعلى إغرابا في الصنعة ، فهو قد شبه العقبان بسحاب يظل الجيوش ويزحف تحتها سحاب ، — يريد الجيوش — إذا استسقت العقبان بطلب الدم ، سقتها صوارمه — سيوفه — لأنها تقتل الأعداء ، فتشرب العقبان دماء القتلى ؛ وهذا المعنى — أي صحبة الطير للجيش — كثير في كلامهم ، قال الأفوه الأودي :

وتَرَى الطيرَ عـلى آثارِنا ... رأْيَ عينٍ ثقةً أن ستُمارُ

« أي تعطى الميرة بما تجد من لحوم القتلى » وقال النابغة :

إذا ما غزَوْا بالجيشِ حلّقَ فوقهم ... عصائبُ طيرٍ تهتدِي بعصائبِ

« وقد أسلفنا الكلام على هذا البيت آنفاً » وقال أبو نواس :

تتأيّا الطـــيرُ غُدوتَه ... ثِقةً بالشِّبْعِ من جَزَرِه[1]

وبيت المتنبي من قول أبي تمام :

وقد ظُلِّلَتْ عِقبانُ أعلامِهِ ضُحًى ... بِعقبانِ طَـــيرٍ في الدِّماءِ نواهِلِ

أقامتْ مع الرّاياتِ حتى كأنهـــا ... من الجيش إلا أنها لم تقـــاتلِ

---

(١) تأيا الشيء : تعمد آيته : أي شخصه ، وقصده ، وغدوته : غدوه ؛ والجزر قطع اللحم .

. . . .

هذا وقد أخبرنا العكبرى أن قوماً ممن هو مقصر فى معرفة تدقيق المعانى قد تعنتوا على المتنبى بأمرين : أولهما أن السحاب لا يسق ما فوقه . والآخر أن الطير لا تستسق وإنما تستطعم ، أما إسقاء السحاب ما فوقه فهو الذى أغرب به ، فإنه لم يجعل الجيش سحابا فى الحقيقة فيمتنع إسقاؤه لما فوقه وإنما أقامه مقام السحاب لأنه طبق الأرض لكثرته وتزاحمه ، وغطاها كما يغطى السحاب السماء ، وقد فعلت العرب ذلك فى أشعارها ، ولما جعله سحابا جعله يستسق فيسق مع أن الطير لا تصيب من القتلى ما تصيبه وهى فى الجو ، وإذا كانت تهبط إلى الأرض حتى تقع على القتلى فالسحاب الساقى عال عليها ، وأما استسقاء الطير فجار على عادة العرب فى أشعارها من استعمال هذه اللفظة تعظيما لقدر الماء كقول علقمة بن عبدة :

وفى كلِّ حىٍّ قد خبطْت بنعمة   فَحُقَّ لشأسٍ من نَداك ذنوب(١)

وكان ملك الشام قد أسر أخاه شأسا فبعث إليه بهذه الأبيات يطلب منه أن يفكه ؛ وأصل الذنوب : الدلو العظيمة إذا كان فيها الماء ؛ وقد قال رؤبة :

يا أيها المائحُ دَلْوى دونكا   إنى رأيت الناس يَحمدونكا(٢)

وهما لم يستسقيا ماء فى الحقيقة ، إنما أحدهما استطلق أسيراً ؛ والآخر طلب عطاء كثيراً

---

(١) خبطه بخير : أعطاه من غير معرفة بينهما على المثل . يخاطب ورق الشجر بعصاه ليتناثر فيعلف به إبله ، والذنوب : الحظ والنصيب ، وهى فى الأصل الدلو المملوءة ماء ، والبيت من كلمة لعلقمة بن عبدة أنشدها الحارث بن أبى شمر جبلة بن الحارث الأعرج الغسانى ملك الشام يوم وثب بخيله ورجله على المنذر بن ماء السماء اللخمى ملك الحيرة فقتله وقتل خلقا كثيراً ، وأسر من تميم مائة أسير منهم شأس بن عبدة أخو علقمة ، فأطلق له أخاه وأسرى تميم ، ومنحه مالا جزيلا . ومطلع القصيدة :

طحا بك قلب فى الحسان طروبُ   بُعَيْدَ الشباب عَصر حان مَشيب

(٢) الميح فى الاستقاء : أن ينزل الرجل إلى قرار البئر إذا قل ماؤها فيملأ الدلو بيده يميح فيها بيده ، ويميح أصحابه ، والجمع ماحة ؛ فالمائح : هو الذى يملأ الدلو من أسفل البئر ، والماتح : المستقى من أعلى البئر ، تقول العرب : هو أبصر من المائح باست الماتح ، تعنى أن المائح فوق الماتح ؛ فالمائح يرى الماتح ويرى إسته .

سَلَكْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّى لَقِيتُهُ ... عَلَى ظَهْرِ عَزْمٍ مُؤْيَدَاتٍ قَوَائِمُهْ(١)
مَهَالِكَ لَمْ تَصْحَبْ بِهَا الذِّئْبَ نَفْسُهُ ، ... وَلاَ حَمَلَتْ فِيهَا الْغُرَابَ قَوَادِمُهْ(٢)
فَأَبْصَرْتُ بَدْرًا لا يَرَى الْبَدْرُ مِثْلَهُ ، ... وَخَاطَبْتُ بَحْراً لا يَرَى الْعِبْرَ عَائِمُهْ(٣)
غَضِبْتُ لَهُ لَمَّا رَأَيْتُ صِفَاتِهِ ... بِلاَ وَاصِفٍ وَالشِّعْرُ تَهْذِي طَمَاطِمُهْ(٤)

---

(١) صروف الدهر : نوبه وحوادثه ، وعلى ظهر عزم : حال من فاعل لقيته . والمؤيد : القوى ، قال تعالى « ذا الأيد إنه أواب » أى ذا القوة . يقول : خضت حوادث الدهر حتى لقيت سيف الدولة . يصف كثرة ما عانى من الأهوال وحوادث الدهر حتى بلغ سيف الدولة ، وجعل عزمه مركوبه لأنه بعزمه يسافر ويجتاز الصعاب ، ولما جعله مركوباً استعار له ظهراً وقوائم وجعلها مؤيدات : أى قويات .

(٢) القوادم : صدور ريش الجناح من الطائر ؛ والمهالك: المفاوز؛ ونصب «مهالك» كأنه أبدلها من «الصروف» وليس نصبها على البدل ، لأنها لا تكون من صروف الدهر فى شىء ؛ ولكنها منصوبة بفعل دل عليه معنى الكلام ، كأنه قال : قطعت مهالك لو سلكها الذئب لما صحبته روحه ، لأنه يموت فيها جوعا ، ولو سلكها الغراب لم تصحبه قوادمه ولم يقدر على الطيران ؛ وخص هذين لأنهما يألفان القفار والمواضع البعيدة من الناس ، ولهذا يقال لهما « الأصرمان » ؛ وإذا عجزا عن قطع هذه المهالك فغيرهما أعجز عن قطعهما ؛ وعبارة بعض الشراح : أراد بالمهالك — أى المفاوز — مسافات الخطوب التى قطعها ، وهى بدل من صروف الدهر . يقول : الصروف التى قطعتها لو كانت مفاوز من الأرض لهلك فيها الذئب جوعا ولو سلكها الغراب لم يستطع قطعها لطولها . وخص هذين لأن الذئب من أصبر الحيوانات على الجوع ، والغراب من أسرع الطير .

(٣) عبر البحر : شطه . يقول : فأبصرت من سيف الدولة بدراً فى الصباحة والطلاقة لا يرى بدر السماء مثله بين الناس مع اطلاعه على الدنيا كلها ، وخاطبت منه بحراً فى العلم والسخاء لا يرى السابح فيه ساحله لبعده .

(٤) هذى يهذى هذيا وهذيانا : تكلم بغير معقول لمرض أو لغيره . والطماطم : جمع طمطم ، يقال رجل طمطم : إذا كان فى لسانه عجمة لا يفصح ؛ قال عنترة :

تأوى له قُلُصُ النَّعامِ كما أوَتْ ... حِزَقٌ يَمَانِيَةٌ لأعجمَ طِمْطِمِ(١)

---

(١) من معلقة عنترة . يقول : تأوى إلى هذا الظليم صغار النعام كما تأوى الإبل

وَكُنْتُ إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضًا بَعِيدَةً … سَرَيْتُ وَكُنْتُ السِّرَّ وَاللَّيْلُ كَاتِمُهُ(١)
لَقَدْ سَلَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمَجْدُ مُعْلِمًا ؛ … فَلَا الْمَجْدُ مُخْفِيهِ وَلَا الضَّرْبُ ثَالِمُهُ(٢)

وكذلك يقال : رجل طمطمى وطماطم وطمطمانى ؛ وفى لسانه طمطمانية . وفى صفة قريش : ليس فيهم طمطمانية حمير . يقول : لما رأيت صفات الممدوح لا واصف لها مع كثرة طماطم الشعر — يعنى الشعراء الذين مدحوه قبلى — غضبت لأجله ، لقصور هؤلاء الشعراء عن بلوغ وصفه .

(١) يممت : قصدت ؛ والسرى : سير الليل : يقول كنت إذا قصدت أرضاً بعيدة سريت بالليل مشتملا بالظلام كأنى سر والليل يكتم ذلك السر ، وهذا من قول البحترى

وطيّك سراً لو تكلف طيّهُ … دُجَى الليل عنا لم تسعه ضمائره

وقد نقله البحترى من قول قعنب بن ضمرة الغطفانى ، أحد شعراء الدولة الأموية :

سرينا به والليلُ داجٍ ظلامه … فكان لنا قلباً وكنا له سِرّا

وقال الصاحب بن عباد — وقد نقله من المتنبى — :

تجشمته والليل وحفٌ جناحه … كأنىَ سر والظلام ضمير(١)

(٢) قال الواحدى : يقول : هو سيف سله المجد ، يعنى أن الشرف ومعالى الأمور تستعمله وتحمله على قتال الأعداء ، فلا يغمده المجد ولا يثلمه الضرب لأنه ليس سيفاً من حديد يتثلم بالضرب : ونقل العكبرى هذا الكلام وقال : إن « معلما » حال من « المجد » : أى أعلم به الناس وأظهره . وقال آخرون : معلما — بفتح اللام — وهو الذى

اليمانية إلى راع أعجم عي لا يفصح … شبه الظليم فى سواده بهذا الراعى الحبشى وقلص النعام — أى صغارها — بإبل يمانية ، لأن السواد فى إبل اليمن أكثر ، وشبه أويها إليه بأوى الإبل إلى راعيها ، ووصفه بالعى والعجمة ، لأن الظليم لا نطق له قال الفراء : سمعت المفضل يقول : سألت رجلا من أعلم الناس عن هذا البيت فقال : يكون باليمن من السحاب مالا يكون لغيره من البلدان فى السماء ، وربما نشأت سحابة فى وسط السماء فيسمع صوت الرعد فيها كأنه فى جميع السماء فيجتمع إليه السحاب من كل جانب ، فالحزق اليمانية : تلك السحائب ؛ والأعجم الطمطم : صوت الرعد .

(١) وحف من قولهم : شعر وحف ونبات وحف ، وهو ما غزر واسود .

عَلَى عاتقِ المَلْكِ الأغَرِّ نِجَادُهُ ، وَفى يَدِ جَبَّارِ السَّمٰوَاتِ قَائِمُهْ (١)
تُحَارِبُهُ الأعْدَاءُ وَهْىَ عَبِيدُهُ ، وَتَدَّخِرُ الأمْوَالَ وَهْىَ غَنَائِمُهْ (٢)
وَيَسْتَكْبِرُونَ الدَّهْرَ وَالدَّهْرُ دُونَهُ ، وَيَسْتَعْظِمُونَ المَوْتَ وَالمَوْتُ خَادِمُهْ (٣)

يعز نفسه بعلامة فى الحرب ؛ قالوا يعنى هو سيف سله المجد ومنع به حوزته من غارة اللئام . ولما جعل المجد مقاتلا جعله معلما ، إشارة إلى قوة امتناعه به وعزته على الطالبين .

(١) الملك : روى بفتح الميم فيكون المراد به الخليفة ؛ وروى بالضم فيكون المراد المملكة . والعاتق : موضع الرداء من المنكب ؛ والأغر : الأبيض الكريم ـ ضد اللئيم ـ ونجاد السيف : حمالته : وقائمة : مقبضه . يقول : هو سيف يتقلده الخليفة على إحدى الروايتين ـ ويضرب الله به أعداءه ،فهو زين للخليفة ناصر لدين الله ، وعلى الرواية الثانية : هو سيف على عاتق المملكة نجاده يتزين به الملك فهو من الملك فى أرفع مواضعه ، ومن تأييد الله بالحد الذى يمضيه فيه فى أعلى مواقعه ، وإذا كان ذلك اكتنفه نصره وساعدته أقداره ؛ وإذن يبلغ مراده من أعدائه ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

لقد خابَ مَن أهدَى سوَيداء قلبه لِحَـــد سِنان فى يَدِ الله عامِله

وقد كرره المتنبى فى سيف الدولة بقوله :

فأنتَ حُسام المَلْكِ والله ضارب ، وأنتَ لواء الدينِ والله عاقـــد

(٢) يقول : إن أعداءه يحاربونه وهم عبيده ، لأنه يسبيهم فيسترقهم ويملك رقابهم. ويدخرون الأموال وهى غنائم له ، لأنه يحتويها بالإغارة عليها . هذا : وعبيد جمع عبد ـ مثل كلب وكليب ـ، وهو جمع عزيز ، وقد جاء فى جمع عبد : أعبد وعباد،وعبد ، مثل سقف وسقف ، وأنشد الأخفش :

أَنسِبِ العبـــدَ إلى آبائهِ أسوَدَ الجـلدةِ من قوم عُبُدْ

وفى الجمع أيضاً : عبدان ـ بالكسر ـ مثل جحشان ، وعبدان مثل تمر وتمران ، وعبدان مشددة الدال ـ . والعبدا والعبداء والمعبوداء والمعبدة : أسماء الجمع وروى بدل عبيده : عتيده ـ بالتاء المثناة فوقها ـ والعتيد : الشىء الحاضر المهيأ ؛ والعتاد : العدة والأهبة والآلة ، يقال أخذت للشىء عتاده ؛ أى آلته .

(٣) يقول : هم يعدون الدهر كبير الأمر عظيم الشأن ، لما يفعله من إسعاد قوم

وَإِنَّ الَّذِى سَمَّى عَلِيًّا لَمُنْصِفٌ ، وَإِنَّ الَّذِى سَمَّاهُ سَيْفاً لَظَالِمُهُ[(١)]
وَمَا كُلُّ سَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ حَدُّهُ ، وَتَقْطَعُ لَزْبَاتِ الزَّمَانِ مَكَارِمُهُ[(٢)]

***

وقال يمدحه ، وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية :

أَيْنَ أَزْمَعْتَ أَيُّهَذَا الْهُمَامُ نَحْنُ نَبْتُ الرُّبَى وَأَنْتَ الْغَمَامُ[(٣)]

وإشقاء آخرين ، والدهر دونه . لأنه طوع له لا يفعل من ذلك إلا ما كان على هواه ، ويستعظمون الموت لأنه أعظم حادث والموت خادمه لأنه ينفذ مراده فى أعدائه .

(١) و (٢) على : اسم سيف الدولة ؛ والهام : الرءوس. ولزبات الزمان: شدائده، جمع لزبة ، وجمعها بسكون الزاى . قال الجوهرى : أصابتهم لزبة : أى شدة وقحط ، والجمع لزبات ـ بالتسكين ـ لأنه صفة . يقول : إن الذى سماه عليا قد أنصفه ، إذ قد سماه بما يستحقه من الوصف بالعلو ؛ والذى سماه سيفاً قد ظلمه ، لأن السيف وإن عظم أثره فهو جماد ، وقد ينبو حد السيف عن قطع الهام ، أما الممدوح فإن مكارمه تذهب بشدائد الزمان وتنفيها عن العباد ، فمن أين يشبه فعله فعل السيف حتى يطلق عليه اسمه ؟ وعبارة بعض الشراح : يقول عادة السيف أن يقطع الرءوس ولا يزيد ، ولكن هذا الممدوح يقطع رءوس الأبطال بحده : أى عزمه ، ويقطع شدائد الزمان بمكارمه ، فتسميته بالسيف غير وافية بما يستحقه .

(٣) الإزماع : العزم على الأمر ؛ والهمام : الملك العظيم . والربى : جمع ربوة . يقول : أين أزمعت أن تسير أيها الملك ، ونحن الذين لا عيش لنا إلا بك ، وإذا فارقتنا لم نعش ؛ كنبت الربى لا بقاء له إلا بالغمام ، إذ لا شرب له إلا من مائه ، أما نبت غير الربى فيمكن أن يشرب من الماء الجارى ؛ وهذا من قول الآخر :

نحنُ زهر الرُّبى وجودُك غيثٌ هَلْ بغير الغيُوث يُونِقُ زهرُ؟

وعبارة العكبرى : أين أزمعت أيها الملك عنا ؛ ونحن الذين أظهرتهم نعمتك إظهار الغمام لنبت الربا ، وهو من آنق النبات ؛ ولهذا ضرب الله تعالى به المثل فى قوله « كمثل جنة بربوة أصابها وابل » ، وهو مع ذلك أقرب النبت موضعاً من الغمام ، وأشده افتقاراً إليه ؛ لأنه لا يقيم فيه ويسرع الانسكاب عنه ؛ ولهذا شبه أبو الطيب

نَحْنُ مَنْ ضَايَقَ الزَّمَانُ لَهُ فِيكَ وَخَانَتْهُ قُرْبَكَ الأَيَّامُ[(١)]
فى سَبِيلِ العُلَى قِتَالُكَ وَالسِّلْمُ وَهٰذَا المُقَامُ وَالإِجْذَامُ[(٢)]

حاله به . . وقد عاب ابن وكيع هذا البيت ، قال : أول هذه القصيدة سوء أدب لسؤاله ملكا جليلا به «أين أزمعت» قال : والبيت مأخوذ من قول ابن أبى فنن :

لعمرك إننى وأبا علىّ كنبت الأرض تصلحه السماء

(١) يقول : نحن الذين ضايقتهم الأيام فى قربك فبخلت عليهم بك فحرمتهم لقاءك وباعدت بينهم وبينك وخانتهم فى القرب منك . يريد أن الزمان يحبه ويعشقه ويغار على قربه ويريد أن ينفرد به دون الناس ، وهو معنى معروف قد تعاورته الشعراء . قال محمد بن وهب :

وحاربنى فيه رَيْبُ الزمان كأن الزمان له عاشق

وقوله ضايق الزمان له فيك : قال ابن جنى : اللام فى «له» زائدة للتأكيد كقوله تعالى « ردف لكم » أى ردفكم ، وقوله جل شأنه « إن كنتم للرؤيا تعبرون » وقول الشاعر :

أُريد لأنسى ذِكرها فكأنما تمثَّلُ لى ليلى بكل سبيل[(١)]

وقال ابن فورجه : يريد نحن من ضايقه الزمان ، فحذف الراجع إلى الموصول ، والهاء فى قوله «له» راجعة إلى الزمان . يقول : نحن الذين ضايقهم الزمان لنفسه ولأجله فيك : أى لتكون له دونهم ، كما تقول هم الذين رضيهم عمرو له : أى لنفسه ، وإلحاق اللام بالمفعول قبيح جداً . ونصب «قربك» على أنه مفعول ثان لـ«خان» ، يقال خان الزمان زيداً ملكه ، يتعدى إلى مفعولين ، ولا يجوز نصبه على الظرف . لأنه يصير ذما للممدوح ، وإقراراً بأن الزمان خانهم فى حال اقترابهم منه .

(٢) الإجذام : الإسراع فى السير ، قال طرفة بن العبد .

أحلتُ عليها بالقطيع فأجذمتْ وقد خبَّ آلُ الأمعزِ المتوقِّد[(٢)]

---

(١) لكثير عزة وقال لقيس بن الملوح وقيل لجميل وتمثل ـ بحذف إحدى التاءين ـ أى تتمثل وتتخيل ، وتراه فى قصيدة طويلة جميلة لكثير فى أمالى القالى .

(٢) من معلقة طرفة ، والإحالة الإقبال هنا ، والقطيع : السوط ، والإجذام : الإسراع فى السير ، والآل : ما يرى شبه السراب طرفى النهار ، والسراب : ما كان

لَيْتَ أَنَّا إذَا ارْتَحَلْتَ لَكَ الْخَيْلُ وَأَنَّا إذَا نَزَلْتَ الْخِيَامُ[(١)]
كُلَّ يَوْمٍ لَكَ احْتِمَالٌ جَدِيدُ وَمَسِيرٌ لِلْمَجْدِ فِيهِ مُقَامُ[(٢)]

وهو أيضاً الإقلاع عن الشيء ، قال الربيع بن زياد العبسي .

وحَرَّقَ قَيْسٌ عَلَيَّ البِلاد حتى إذا اضطرمَتْ أجذما[(١)]

يقول . إن أفعالك كلها مقصورة على العلى : قاتلت أو سالمت ؛ أقمت أو سرت ، فقصدك فى جميع ذلك طلب العلى .

(١) قال الواحدى . أى ليتنا معك نتحمل عنك المشقة فى مسيرك ونزولك فى سفرك ، هذا معنى البيت ، ولكنه أساء حيث تمنى أن يكون بهيمة أو جماداً ، ولا يحسن بالشاعر أن يمدح غيره بما هو وضع منه ، فلا يحسن أن تقول : ليتنى امرأتك فأخدمك . قال ابن جنى : طعن هليه قوم تعصبوا عليه فقالوا : الخيام يعلو من تحتها وقد جعله دونها ، فأجاب عن ذلك نظماً فقال :

* لقد نسبوا الخيامَ إلى علاء *

« وقد تقدمت هذه الأبيات » قال ابن جنى : وتلخيص المعنى : ليتنا نقيك الأذى ونتحمل عنك الردى .

(٢) الاحتمال : التحمل للسير ، وروى : ارتحال . والمقام : مصدر ميمى بمعنى الإقامة . يقول : يحدث لك كل يوم سفر جديد ، وذلك آية بعد الهمة ، كما قال تأبط شراً ؛

* كثيرُ الهوَى شتّى النوى والمسالكِ[(٢)] *

نصف النهار ، والأمعز : مكان يخالط ترابه حجارة أو حصى . يقول طرفة . أقبلت على الناقة أضربها بالسوط فأسرعت فى السير فى حال خبب آل الأماكن التى اختلط تربتها بالحجارة والحصى .

(١) قيس هو قيس بن زهير العبسى ، وكان قد ترك بلاد العرب وانتقل إلى بلاد العجم بعد إثارة الفتن فى حرب داحس . والبيت من أبيات فى الحماسة انظرها فى « حماسة أبى تمام » .

(٢) صدره :

* قليلُ التشكى للمهمِّ يُصيبهُ *

وقليل ـ ههنا ـ بمعنى النفى .

وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَاراً   تَعِبَتْ فى مُرَادِهَا الأَجْسَامُ(١)

وفى كل يوم لك سير يقيم المجد عندك فى ذلك السير ، لأن ذلك السير لطلب المجد ، أو لأن المجد مقيم معك حيثما كنت ، كما قال أبو تمام :

كلما زرته وجَدْتَ لديه   نَشَباً ظاعِناً ومجداً مُقيما

وكما قال الأزدى « إسماعيل بن إسحاق القاضى الأزدى »

المجدُ صاحبُك الذى حالفتَه   أبداً فرَوضتُه المريعةُ مرتعُكْ

فإذا رَحَلْتَ سرَيتَ تحت ظلاله   وإذا رَبَعْتَ فَفى ذُرَاهُ مربعُكْ

« المريعة : المخصبة . وربعت : أقمت . وذراه : أعاليه ، ولك أن تقرأ ذراه : بفتح الذال : أى كنفه » .

(١) يقول : إذا عظمت الهمة وكبرت النفس تعب الجسم فى تحصيل مرادها، وذلك أن الهمة تعنى الجسم فى طلب معالى الأمور ، ولا ترضى بالمنزلة الدون ، ولا تستريح أو تحصل على الرتب العالية ، كما قال العتابى :

وإن عليّاتِ الأمور مَشوبةٌ   بمستودعاتٍ فى بُطون الأساودِ(١)

قال العكبرى : وبيت المتنبى من كلام أرسطوا : إذا كانت الشهوة فوق القدرة كان هلاك الجسم دون بلوغ الشهوة . قال ابن وكيع : لم يأخذ من الحكيم ، وإنما أخذ من أهل صناعته ؛ فأخذ قوله من قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

فقالوا : ألاَ تلهو لتُدْرِكَ لذة ؟   فقلت : وكيف اللهوُ والهمُّ حاجزُ

ونفسى تُعانى أن تقيم مُرُوءتى   على غايتى فى المجدِ والجهدُ عاجزُ

ومن قول أبى زرعة :

أهلُ مجدٍ لا يحفِلون إذا نا   لوا جسيما أن تُنهكَ الأجسامُ

ومن قول الحصنى :

نفسى مُوَكّلةٌ بالمجد تطلبُهُ   ومطلبُ المجد مقرونٌ به التلفُ

ومن قول ابن جابر :

إذا ما علا المَرْءُ رَامَ العُلى   وَيَقْنَعُ بالدُّون مَنْ كان دُونَا

---

(١) الأساود : الحيات .

وَكَذَا تَطْلُعُ الْبُدُورُ عَلَيْنَا ... وَكَذَا تَقْلَقُ الْبُحُورُ الْعِظَامُ(١)
وَلَنَا عَادَةُ الْجَمِيلِ مِنَ الصَّبْـ ... ـرِ لَوَ اَنَّا سِوَى نَوَاكَ نُسَامُ(٢)
كُلُّ عَيْشٍ مَا لَمْ تُطِبْهُ حِمَامٌ ... كُلُّ شَمْسٍ مَا لَمْ تَكُنْهَا ظَلَامُ(٣)

ومن قول أبي تمام :

فعلمنا أنْ ليسَ إلاَّ بِشِقِّ النَّفْـ ... ـسِ صارَ الكَرِيمُ يُدْعى كَرِيمَا
طلبُ المجدِ يورثُ النَّفْسَ خَبْلاً ... وهُمُوماً تُقَضْقِضُ الحيزُومَا(١)

وقد أخذ هذا المعنى أبو القاسم بن الحريش فقال :

إذَا كَبُرَتْ نفسُ الفتى طال شُغْلُهُ ... فيامن يكُدُّ النَّفْسَ في طلبِ العُلى

(١) يقول : كذا ديدن البدر : يغرب تارة ويطلع تارة ، وكذا البحر يموج ويضطرب ويتحرك ، وكذلك أنت لا تستقر أو تتحرك وتسير يعني أنك بدر وبحر ، فعادتك عادتهما .

(٢) النوى : البعد . وسامه الأمر : جشمه إياه . يقول : لو كلفنا غير فراقك لصبرنا صبراً جميلا كما هي عادتنا في الصبر على المحن، بيد أنه لا صبر لنا في بعدك ولا طاقة لنا باحتمال نواك ، كما قال أبو تمام:

والصبرُ يحسُن في المواطِنِ كلِّها ... إلاَّ عَلَيْكَ فإنَّهُ مَذْمُومُ

(٣) يقول : كل عيش لم تطبه وتؤنسه بقربك هو والحمام - الموت - سواء ، وكل شمس ظلمة إذا لم تكن أنت تلك الشمس . يريد تنغص عيشه بعده ، وإظلام أيامه بفراقه ، هذا : وقوله مالم تكنها : على حد بيت أبي الأسود :

دَعِ الخمرَ يشربْهَا الغواةُ فإنني ... رأيتُ أخاها مُغنياً بمكانها
فإلاَّ يَكُنْها أو تكُنْهُ فإنه ... أخوها غذَته أمه بلبانها(٢)

(١) الخبل : الفساد ، في الأصل ، والمراد : الهم ؛ والحيزوم : الصدر . وتقضقض: تكسر وتحطم .

(٢) يقال هو أخوه بلبان أمه - بكسر اللام - ولا يقال بلبن أمه ، إنما اللبن الذى يشرب من ناقة أو شاة أو غيرهما من البهائم . يصف أبو الأسود الزبيب ، وأطلقه على مذهب العراقيين في الأنبذة ، وحض على شربه وترك الخمر بعينها ، للاجماع على تحريمها، وجعل الزبيب أخا للخمر لأن أصلها الكرمة؛ واستعار اللبان لما ذكره من الإخوة.

أَزِلِ الْوَحْشَـةَ الَّتِي عِنْدَنَا يَا مَنْ بِهِ يَأْنَسُ الْخَمِيسُ اللُّهَامُ[1]
وَالَّذِي يَشْهَدُ الْوَغَى سَاكِنَ الْقَلْـبِ كَأَنَّ الْقِتَـالَ فِيهَا ذِمَامُ[2]
وَالَّذِي يَضْرِبُ الْكَتَائِبَ حَتَّى تَتَـلَاقَى الْفِهَاقُ وَالْأَقْدَامُ[3]
وَإِذَا حَـلَّ سَاعَةً بِمَكَانٍ فَأَذَاهُ عَلَى الزَّمَانِ حَـرَامُ[4]
وَالَّذِي تُنْبِتُ الْبِلَادُ سُرُورٌ، وَالَّذِي تَمْطُرُ السَّحَابُ مُدَامُ[5]

والأجود : تسكن إياها .

(١) الخميس : الجيش . واللهام : الكثير الذى يلتهم كل شىء فيهلكه ويذهب به . يقول : أقم عندنا لتنفى الوحشة عنا يامن يأنس بوجوده الجيش العظيم ، لقوة الجيوش بمكانه ، فهم وإن كثروا يأنسون بك ، ويتشجعون على لقاء الأهوال ثقة بشجاعتك.

(٢) الذى : عطف على من — فى البيت السابق — والوغى : الحرب . والذمام : العهد : يقول : هو يحضر الحرب رابط القلب غير مضطرب الجأش ، كأن القتال عاهده على أن لا يقتل ؛ فهو يسكن إلى القتال سكونه إلى الذمام . وهذا من قول أبى تمام :

مُتسرِّعين إلى الحتوفِ كأنما بين الحتوفِ وبينهم أرحامُ

(٣) الكتيبة : الفرقة من الجيش . والفهاق : جمع فهقة ، وهى العظم الذى يكون على اللهاة ، وهو مركب الرأس فى العنق . والأقدام : جمع قدم . يقول:والذى يضرب الجيوش بسيفه ، ويقطع أعناقهم حتى تتلاقى مع الأقدام .

(٤) يقول : وإذا ألم بمكان ونزل به ساعة صار ذلك المكان فى ذمته ، فلا تلم به الحوادث ولا يصيبه الزمان بأذى من جدب وقحط . وبعبارة أخرى : إن سيف الدولة إذا نزل ببلد أجاره على الدهر ، وكف عنه صروفه وأذاه وأمن المكروه ببركته .

(٥) والذى : مبتدأ ؛ وسرور : خبره ، والجملة : عطف على الشطر الثانى من البيت السابق . يقول : والذى تنبته بلاد ذلك المكان الذى تحل به سرور ، والذى تمطره سماؤها مدام — خمر — أى يقيم السرور والطرب بذلك المكان حين تحل به ، ولعله ينظر إلى قول البحترى :

ويومٍ بالمطيرة أمطرَتنا سماءٌ صوبُ وابلِها العُقارُ[1]

---

(١) المطيرة : قرية من نواحى سامراء ، وكانت من متنزهات بغداد وسامراء : قال البلاذرى : إنها محدثة بنيت فى خلافة المأمون ، والعقار : الخمر .

كُلما قِيــــلَ قدْ تناهى أرانا
كَرَماً ما اهْتَــدَتْ إليهِ الكِرَامُ(١)
وَكِفاحاً تَكِعُّ عنهُ الأعادِى ... وَارْتِياحاً يَحارُ فِيــهِ الأنامُ(٢)
إنَّما هَيْبَةُ المُؤمَّلِ سَــيْفُ الدَّ ... وْلَةِ المَلْكِ فى القُلوبِ حُسامُ(٣)
فَكَثيرٌ مِنَ الشُّــجاعِ التَّوقِّى ... وَكَثيرٌ مِنَ البَلِيغِ السَّلامُ(٤)

* * *

وقال يمدحه أيضاً :

أنا مِنكَ بَيْنَ فَضائِلٍ وَمَكارِمٍ ... وَمِنِ ارْتياحِكَ فى غَمامٍ دائمِ(٥)

---

(١) يقول : كلما قال الناس قد بلغ النهاية فى الكرم أبدع كرما لم يهتد إليه من قبله من الكرام ؛ وهو من قول البحترى :

طلوبٌ لأقصى غايةٍ بعد غايةٍ ... إذا قيلَ يوماً قد تناهى تزيّدا

(٢) تكع : تجبن وتضعف وتعجز ، يقال كع الرجل يكع ـ بكسر الكاف ـ فهو كع وكاع : أى لا يمضى فى عزم ولا حزم ، وهو الناكص على عقبيه ؛ وفى الأثر : ما زالت قريش كاعة حتى مات أبو طالب ، فلما مات اجترءوا عليه .. الكاعة : جمع كاع ، وهو الجبان . أراد أنهم كانوا يجبنون عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حياة أبى طالب ، فلما مات اجترءوا عليه . والارتياح : الاهتزاز للبذل واصطناع المعروف . يقول : وأرانا قتالا يجبن عنه الأعداء ويعجزون ، واهتزازاً للجود يحار فيه الخلق .

(٣) يقول : إن هيبته فى القلوب تقوم مقام السيف ، فليس يحتاج إلى اللجوء إلى السيف ، لأنه مهيب تهابه الاعداء ، فلا يقدمون عليه فيحتاج إلى دفعهم عن نفسه بالسيف ، قال ابن وكيع : وهذا من قول أبى دلف :

ويصولُ الإمامُ فى حيثما صا ... لَ وفى صولةِ الإمامِ الحِمامُ

(٤) يقول : إن توقاه الشجاع وحفظ نفسه منه فى الحرب فذلك منه كثير ، والبليغ إن أمكنه أن يسلم عليه فذلك غاية بلاغته ، لأن هيبته توجب أن لا ينطق أحد بين يديه .

(٥) الارتياح : الانبساط والاهتزاز للعطاء . يقول : أنا منك بين فضائل ذاتية وهى أوصاف ذاتك ، ومكارم فعلية هى صفات فعلك ، ومن اهتزازك للعطاء فى غمام لا يقلع مطره .

وَمِنِ احْتِقَارِكَ كُلَّ مَا تَحْبُو بِهِ ؛ ... فِيمَا أُلَاحِظُهُ بِعَيْنَيْ حَالِمِ (١)
إِنَّ الْخَلِيفَةَ لَمْ يُسَمِّكَ سَيْفَهَا ... حَتَّى بَلَاكَ فَكُنْتَ عَيْنَ الصَّارِمِ (٢)
وَإِذَا تَتَوَّجَ كُنْتَ دُرَّةَ تَاجِهِ ، ... وَإِذَا تَخَتَّمَ كُنْتَ فَصَّ الْخَاتِمِ (٣)
وَإِذَا انْتَضَاكَ عَلَى الْعِدَى فِي مَعْرَكٍ ... هَلَكُوا وَضَاقَتْ كَفُّهُ بِالْقَائِمِ (٤)
أَبْدَى سَخَاؤُكَ عَجْزَ كُلِّ مُشَمِّرٍ ... فِي وَصْفِهِ وَأَضَاقَ ذَرْعَ الْكَاتِمِ (٥)

***

---

(١) تحبوبه : تسخو به . و «ما» فى قوله «فيما ألاحظه» نكرة ، وليست موصولة ، كأنه قال فى شىء ألاحظه ، والظرف معطوف على الخبر — فى البيت السابق — . يقول : إنى أستعظم احتقارك ما تعطيه وتجود به ، ومن ثم أرى نفسى كأنى لا أعاينه فى اليقظة وإنما أراه حلما . وبعبارة أخرى : لاحتقارك ما تعطيه — على كثرته — أرى نفسى فى حال كأنى أبصرها فى النوم ، لأن العادة لم تجر بذلك فى اليقظة .

(٢) الهاء فى «سيفها» : للدولة ، وأضمر للعلم ؛ وبلاك : اختبرك ؛ والصارم : القاطع يقول : لم يسمك الخليفة سيف الدولة إلا بعد أن جربك ، فكنت صارما حقيقة لا ينبو حدك ، ولا يطمع فيك عدوك ، ولا يفل عزمك .

(٣) تتوج : لبس التاج ، وكذلك تختم : أى لبس الخاتم ؛ والخاتم : بكسر التاء وفتحها . يقول : إن الخليفة يتجمل بك تجمل التاج بالدر ، والخاتم بالفص . يعنى أنك أرفع ما يترفع به الخليفة .

(٤) انتضاك : استلك ؛ وقائم السيف : مقبضه . يقول : إذا جردك الخليفة على عدو هلك ذلك العدو وعجز هو عن حملك وضاقت كفه عن قائم سيف أنت حقيقته : يعنى أنه إنما يجردك بأن يدعوك للنضج عن الخلافة ، لا بأن يتصرف فيك كيف يشاء .

(٥) المشمر : المجتهد . يقول : من شمر لوصف جودك أظهر جودك عجزه عن وصفك فهو لكثرته يعجز الواصف استيعابه ، كما قال :

وكلٌّ من أبدع فى وصفهِ ... أصبح منسوباً إلى العيِّ

ومن كتم وصف جودك ضاق ذرعه ، لأنه يريد أن يصف جودك ويعلم عجزه ، فيضيق صدره لذلك .

وقال يمدحه ، وكان سيف الدولة قد أمر غلمانه أن يلبسوا ، وقصد ميافارقين في خمسة آلاف من الجند وألفين من غلمـــانه ، ليزور قبر والدته ، وذلك سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة :

إِذَا كَانَ مَدْحٌ فَالنَّسِيبُ الْمُقَدَّمُ ... أَكُلُّ فَصِيحٍ قَالَ شِعْراً مُتَيَّمُ (١)
لَحُبُّ ابْنِ عَبْدِ اللهِ أَوْلَى فَإِنَّهُ ... بِهِ يُبْدَأُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ وَيُخْتَمُ (٢)
أَطَعْتُ الْغَوَانِي قَبْلَ مَطْمَحِ نَاظِرِي ... إِلَى مَنْظَرٍ يَصْغُرْنَ عَنْهُ وَيَعْظُمُ (٣)
تَعَرَّضَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الدَّهْرَ كُلَّهُ ... يُطَبِّقُ فِي أَوْصَالِهِ وَيُصَمِّمُ (٤)

---

(١) النسيب : التشبب بالنساء . وشبب بالمرأة : قال فيها الغزل ، ولعله من تشبيب النار وتأريثها . والمتيم : الذى استعبده الهوى . يقول : اعتاد الشعراء أن يقدموا النسيب فى أشعارهم كلما مدحوا ، فأنكر هذه العادة وقال : أ كل فصيح يقول الشعر متيم بالحب حتى يبدأ بالنسيب ؟ يعنى ليس الأمر على هذا ، فلا تجارهم فى هذه العادة .

(٢) يقول : إن حب سيف الدولة أولى من حب غيره ، فإنه إذا جرى الذكر الجميل يكون به بدؤه وختامه ، يعنى لا يذكر غيره بما يذكر هو به من الجميل ، ومن كان بهذه الصفة كان أولى بالحب من النساء اللائى ينسب بهن الشعراء .

(٣) الغوانى : جمع غانية ، وهى التى غنيت بحسنها عن الزينة . وطمح بصره إليه: ارتفع ونظره شديدا . وقوله ويعظم : أى ويعظم عنهن ، فحذف للعلم : يقول : كنت أرغب فى النساء قبل التقائى بسيف الدولة ، وتطمح عينى إلى منظره الذى حين نظرت إليه نظرت إلى منظر يصغر منظرهن عنه ، ويعظم هذا المنظر عن منظرهن ، لأن هذا ملك وسلطان ، وهن لهو وغزل . وعبارة العكبرى : أطعت الغوانى فى التشبيب بهن قبل أن يطمح بصرى إلى مملكة هذا الممدوح الذى يقل حسنهن عندها ، ويصغر شأنهن عند شأنها وقال ابن جنى : المعنى : كنت متيما بالنساء وحبهن قبل أن أتعرض للأمور العالية ، فلما قصدتها تركتهن . وقوله إلى منظر : يعنى معالى الأمور العالية ، وروايته على هذا التفسير: وأعظم : أى أنا أعظم عنه ، جعل نفسه تعظم عن المعالى .

(٤) تعرض الدهر وتعرض له : أتاه عن عرض ـ جانب ـ والتطبيق : أن يصيب

فَجَارَ لَهُ حَتَّى عَلَى الشَّمْسِ حُكْمُهُ ... وَبَانَ لَهُ حَتَّى عَلَى الْبَدْرِ مَيْسَمُ (١)

كَأَنَّ الْعِدَا فِى أَرْضِهِمْ خُلَفَاؤُهُ ؛ ... فَإِنْ شَاءَ حَازُوهَا وَإِنْ شَاءَ سَلَّمُوا (٢)

وَلَا كُتْبَ إِلَّا الْمَشْرَفِيَّةُ عِنْدَهُ ... وَلَا رُسُلٌ إِلَّا الْخَمِيسُ الْعَرَمْرَمُ (٣)

فَلَمْ يَخْلُ مِنْ نَصْرٍ لَهُ مَنْ لَهُ يَدٌ ، ... وَلَمْ يَخْلُ مِنْ شُكْرٍ لَهُ مَنْ لَهُ فَمُ (٤)

المفصل فى الضرب ؛ والتصميم : أن يمضى السيف فى الضريبة . يقول أتى الدهر عن عرض فذلله بالتطبيق والتصميم ، وإنما وصفه بهما لأنه جعله سيفا ؛ ويقال سيف مطبق وهو الذى إذا أصاب المفصل قطعه ؛ وسيف مصمم إذا كان ماضياً فى الضريبة . وحاصل المعنى أنه أخضع الدهر ، فلا يعسر عليه ما أراد ، كما قال فى البيت التالى .

(١) يقول : فحكمه جائز حتى على الشمس ، وحسنه ظاهر حتى على البدر : أى أنه أحسن منه ، فالميسم الحسن[1] وهذ ما ذهب إليه ابن جنى ، وقال العروضى : إن جاز أخذ الميسم من الوسامة ، فأخذه من الوسم أولى ليكون المعنى موافقا للمصراع الأول . يقول : كل شىء موسوم بان أنه له وتحت قهره وأمره ، حتى البدر ، وأشار بالميسم على البدر إلى مافى وجهه من السواد الذى هو أثر المحو .

(٢) يقول : إن أعداءه من الملوك كأنهم خلفاؤه ؛ حيثما كانوا من الأرض، استخلفهم على حفظ ممالكهم ، فإن شاء تركهم عليها ؛ وإن شاء أجلاهم عنها فسلموا ممالكهم إليه . والمعنى : أن أعاديه من الروم وغيرهم يتصرف فيهم كيف شاء . هذا : والخلفاء جمع خليفة ، والهاء فى « خليفة » : للمبالغة ، وجمع على الخلفاء على معنى التذكير . لا على اللفظ ؛ مثل ظريف وظرفاء ؛ ويجمع على اللفظ خلائف ـ كظريفة وظرائف ـ

(٣) المشرفية : السيوف . والخميس : الجيش . والعرمرم : الكثير . يقول : إنه لا يرسل إلى مخالفيه رسلا غير الجيوش ؛ ولا كتب له إلا السيوف : يعنى أنه لاقتداره لا يعمد فى إخضاعهم إلى الملاينة ؛ ولكن إلى القتال ؛ لأنهم أعجز من أن يقاتلوه . ولعل فى هذا نظراً إلى قول أبى تمام :

السيفُ أصدقُ أنباء من الكُتبِ ... فى حدهِ الحدُّ بين الجـد واللعبِ

(٤) يريد عظم ملكه وعموم إحسانه . يقول : كل من له يد يقوم بنصره لوقوعهم

---

(١) قال عمرو بن كلثوم فى معلقته .

ظعائنَ من بنى جُشَمِ بن بكر ... خلطن بميسَمٍ حسَباً ودِينـا

وَلَمْ يَخْلُ مِنْ أَسْمَائِهِ عُــودُ مِنْبَرٍ وَلَمْ يَخْلُ دِينَارٌ وَلَمْ يَخْلُ دِرْهَمُ (١)
ضَرُوبٌ وَمَا بَيْنَ الْحُسَامَيْنِ ضَيِّقٌ بَصِيرٌ وَمَا بَيْنَ الشُّجَاعَيْنِ مُظْلِمُ (٢)
تُبَارِى نُجُومَ الْقَذْفِ فِى كُلِّ لَيْلَةٍ نُجُومٌ لَهُ مِنْهُنَّ وَرْدٌ وَأَدْهَـــمُ (٣)
يَطَأْنَ مِنَ الأَبْطَالِ مَنْ لاَ حَمَلْنَهُ ، وَمِنْ قِصَـدِ الْمُرَّانِ مَالاَ يُقَوَّمُ (٤)

تحت طاعته ؛ ولأن نصره نصر دين الله ؛ وكل من له فم ينطق بشكره ؛ لما شملهم من إنعامه .

(١) يقول : إن سلطانه عم الدنيا حتى خطب له على منابرها وضرب باسمه الدينار والدرهم هذا : والمنبر مرقاة الخاطب ؛ سمى كذلك لارتفاعه وعلوه ـ من نبرت الشىء أنبره نبرا : رفعته ؛ وكل مرتفع : منتبر ؛ والدينار : فارسى معرب ؛ وأصله دنار ـ بالتشديد ـ بدليل قولهم : دنانير ودنينير ؛ فقلبت إحدى النونين ياء لئلا يلتبس بالمصادر التى تجىء على فعال كقوله تعالى « وكذبوا بآياتنا كذاباً » إلا أن يكون بالهاء فيخرج على أصله مثل الصنارة والدنامة ـ القصير ـ لأنه أمن الآن من الالتباس ؛ ولذلك جمع على دنانير ؛ ومثله قيراط وديباج وأصله دباج ؛ قال أبو منصور : دينار وقيراط وديباج أصلها أعجمية ؛ غير أن العرب تكلمت بها قديما فصارت عربية

(٢) يقول : إنه شجاع ذو بصر وحذق بالحرب والنزال ؛ فيضرب قرنه مكافحة وقد دنا ما بينهما حتى يضيق مضرب سيفهما ؛ وإذا ستر الغبار ـ غبار الحرب ـ نور الشمس فأظلم ما بين الشجاعين وزاغت الأبصار فإن بصره يبقى ثابتا ، فلا يخطىء مقتل قرنه ويجوز أن يكون معنى «وما بين الشجاعين مظلم» أنهما وقعا فى أمر عظيم؛ وتمثل الموت لهما ؛ ومن شأن الناس أن يقولوا أظلمت الدنيا ما بينى وبين فلان : إذا كلمه بكلمة تشق عليه وإن لم يكن ثم ظلام

(٣) نجوم القذف : هى التى ترمى بها الشياطين ؛ قال تعالى « ويقذفون من كل جانب دحوراً » ونجوم الممدوح : خيله والورد من الخيل : ما بين الكميت والأشقر يقول : إن خيله تنقض على الأعداء كالشهب المنقضة فى الهواء ؛ فى السرعة والشدة ؛ وجعلها نجوما لأنها تتلألأ فى الظلام ببريق الحديد ؛ ولأنها تستغرق الأرض بسيرها استغراق الكواكب ؛ فهى تسير فى الأرض كما تسير الكواكب فى السماء

(٤) القصد : قطع الرماح إذا انكسرت ، الواحدة : قصدة . والمران : جمع مارن ، مالان من الرماح ، يقول : إن خيله تطأ القتلى من الأبطال الذين لم تحملهم ، يعنى أبطال

فَهُنَّ مَعَ السِّيدَانِ فى البَرِّ عُسَّلٌ ، وَهُنَّ مَعَ النِّينَانِ فى المَاءِ عُوَّمُ [١]
وَهُنَّ مَعَ الغِزْلَانِ فى الوَادِ كُمَّنٌ ، وَهُنَّ مَعَ العِقْبَانِ فى النِّيقِ حُوَّمُ [٢]
إذَا جَلَبَ النَّاسُ الوَشِيجَ فَإِنَّهُ بِهِنَّ وَفى لَبَّاتِهِنَّ يُحَطَّمُ [٣]
بِغُرَّتِهِ فى الحَرْبِ وَالسِّلْمِ وَالحِجَا ، وَبَذْلِ اللُّهَا وَالحَمْدِ وَالمَجْدِ مُعْلَمُ [٤]

العدو ، وتطأ ما تكسر من قطع الرماح التى لا يمكن تقويمها لتكسرها ، وهذا من قول الحصين بن الحمام المرى :

يَطأن من القتلى ومن قِصَدِ القَنا خَباراً فما يَجْرِينَ إلا تجشما

« الخبار : الأرض الرخوة ، تتعتع فيها الدواب ، وفى المثل : من تجنب الخبار أمن العثار » .

هذا . وقوله «من لا حملنه» أراد ما حملنه ، لأن « لا » لا تدخل على الماضى إلا مكررة ، ولكنه أبدلها فراراً من ثقل اللفظ .

(١) السيدان : جمع سيد ، وهو الذئب ، وعسل : جمع عاسل — من عسلان الذئب ، وهو الإسراع والاضطراب فى الجرى — والنينان : جمع نون ، وهو الحوت ، يقول : إن خيله لكثرة غزواته عمت البر والبحر ، فهى تعدو مع الذئاب فى البر وتعوم مع الحيتان فى البحر ، حين تقصد أعاديه .

(٢) فى الواد : يريد فى الوادى ، فاجتزأ عن الياء بالكسرة وكمن : جمع كامن — من كمن : إذا اختفى — والعقبان : جمع عقاب ، وهو الطائر المعروف . والنيق : أعلى موضع فى الجبل . والحوم : جمع حائم — من حومان الطير ، وهو دورانها — يقول : إن خيله تكمن مع الغزلان فى الأودية التى فيها كناسها ، يعنى إذا كمنت للعدو أو هبطت فى الأودية فكمنت فلم تظهر ، وتقتحم على الأعداء رءوس الجبال مع العقبان التى فيها وكورها والحاصل أن الممدوح قد استوى لدى خيله وفرسان جيشه البر والبحر والسهل والوعر . فلا يبعد عنه مطلب ، ولا يمتنع عليه موضع : وذلك لقوة عزائمه ونفاذه فى مقاصده

(٣) الوشيج : شجر الرماح . واللبات : جمع لبة ، أعلى الصدر . يقول : إذا جلب الناس الوشيج من منابته ليجمعوه استعداداً لما يطرأ ، يتكسر تارة بخيله — أى بأيدى فرسانها فى الطعن — ويتكسر تارة فى صدورها ، إذا طعنه الأعداء . يريد وصف وقائع الممدوح بالشدة والاستبسال .

(٤) بغرته : متعلق بمعلم — آخر البيت — والمراد بغرته : وجهه . والحجى : العقل . واللهى : العطايا ، جمع لهية . والمعلم : الذى جعل لنفسه فى الحرب علامة يعرف بها ، يقول : هو معلم بوجهه فى هذه الأشياء : أى أنه معروف يعرف بوجهه ، فكأنه معلم

يُقِرُّ لَهُ بِالفَضْلِ مَنْ لاَ يَوَدُّهُ ،
وَيَقْضِى لَهُ بِالسَّعْدِ مَنْ لاَ يُنَجِّمُ (١)

أَجَارَ عَلَى الأَيَّامِ حَتَّى ظَنَنْتُهُ   تُطَالِبُهُ بِالرَّدِّ عَادٌ وَجُرْهُمُ (٢)

ضَلاَلاً لِهَذِى الرِّيحِ مَاذَا تُرِيدُهُ   وَهَدْياً لِهَذَا السَّيْلِ مَاذَا يُؤَمِّمُ (٣)

أَلَمْ يَسْأَلِ الوَبْلُ الَّذِى رَامَ ثَنْيَنَا   فَيُخْبِرَهُ عَنْكَ الحَدِيدُ المُثَلَّمُ (٤)

به عند الحرب إذا حارب ، وعند السلم وعند العقل والسخاء . قال الواحدى : وهذا على رواية معلم – بفتح اللام – ، ومن روى بكسر اللام قال : إنه لشدته وشهرته ، لا يحتاج أن يعلم نفسه فإنه معلم بوجهه : يعنى أن وجهه كعلامة له لشهرته ، والجيد رواية من روى للحرب معلم . يقول : بوجهه علامة لهذه الأشياء . أى إذا نظرت إليه عرفت أنه أهل لهذه الأشياء موصوف بها ، يحارب إذا رأى الحزم فى الحرب ، ويسالم إذا رأى السلم خيراً من الحرب ، ويعرف فى وجهه أنه عاقل جواد محمود ماجد .

(١) يقول : إن عدوه يشهد له بالفضل لظهوره ووضوحه ، بحيث لا يمكن أن ينكر فضله كما قيل : والفضل ما شهدت به الأعداء :

ولظهور آثار السعادة عليه يحكم له بالسعادة من لا يعرف أحكام النجوم من السعادة والنحوسة .

(٢) عاد وجرهم : قبيلتان من العرب القديمة البائدة . يقول : أجار الناس من الأيام وحفظهم منها ، فلا تقدر أن تصيبهم بمكروه حتى أطمع ذلك قبائل عاد وجرهم — على قدمهم وانعدامهم وهلاكهم فى الزمان الأول – فى أن يستنقذهم من يد العدم فتطالبه بردهم إلى الدنيا بعد أن أفنتهم الأيام .

(٣) يدعو على الريح بالضلال لأنها آذتهم فى طريقهم كما قال :

* بكَرْن ضراً وبكرت تنفعُ *

ودعا للسيل بالهداية لأنه حكى الممدوح بالجود . وقال ابن فورجه : أراد الدعاء على الريح لضررها والدعاء للمطر لنفعه . وقوله ماذا يؤمم : أى ماذا يقصد ؟ هل يقصد أن يصد سيف الدولة عن طريقه وهو لا يستطيع ذلك ؟ وقد بين هذا المعنى فى البيت التالى

(٤) الوبل : المطر الغزير . وثنينا : أى صرفنا ؛ ويخبره – بالنصب – لأنه جواب الاستفهام . يقول : هلا سأل المطر الذى قصد صرفك عن مقصدك بسكبه فتخبره السيوف التى ثلمتها وقائعك أنها لم تقدر على صرفك عن وجهك فيعلم المطر أنه لا يقدر أيضا على صرفك .

وَلَمَّا تَلَقَّاكَ السَّحابُ بِصَوْبِهِ
تَلَقَّاهُ أَعْلَى مِنْهُ كَعْباً وَأَكْرَمُ (١)
فَباشَرَ وَجْهاً طالَما باشَرَ الْقَنا وَبَلَّ ثِياباً طالَما بَلَّها الدَّمُ (٢)
تَلاكَ وَبَعْضُ الْغَيْثِ يَتْبَعُ بَعْضَهُ مِنَ الشَّأْمِ يَتْلُو الْحاذِقَ الْمُتَعَلِّمُ (٣)
فَزارَ الَّتِى زارَتْ بِكَ الْخَيْلُ قَبْرَها وَجَشَّمَهُ الشَّوْقُ الَّذِى تَتَجَشَّمُ (٤)
وَلَمَّا عَرَضْتَ الْجَيْشَ كانَ بَهاؤُهُ عَلَى الْفارِسِ الْمُرْخَى الذُّؤابَةَ مِنْهُمُ (٥)
حَوالَيْهِ بَحْرٌ لِلتَّجافِيفِ مائِجٌ يَسِيرُ بِهِ طَوْدٌ مِنَ الْخَيْلِ أَيْهَمُ (٦)

---

(١) بصوبه : أى بما ينسكب منه ويقال فلان أعلى كعبا من فلان : أى أرفع منه قدراً وأصله فى المتصارعين يكون كعب الغالب أعلى من كعب المغلوب . يقول : لما استقبلك السحاب بالمطر استقبله منك من هو أعلى منه شرفا وأوسع كرما .

(٢) باشره : تولاه بنفسه . والقنا : الرماح . يقول : إن هذا المطر باشر منك وجها طالما باشر الرماح فلم تنل منه ، وبل ثيابا طالما بلتها دماء القتلى فلم يثنه بللها ، فكيف يهاب وقع المطر من لا يهاب وقع الرماح ، ويخشى الماء من لم يخش الدماء ؟

(٣) تلاك : تبعك . ومن الشام : متعلق بتلاك . يقول : تبعك الغيث وأنت غيث ، فلا جرم أن يتبع بعضه بعضا ، وأنت أستاذ حاذق فى الجود ، فهو يتبعك ليتعلم منك الجود كما أن المتعلم للشىء يتبع من حذقه :

(٤) جشمه الشىء : كلفه إياه فتجشمه ، والذى : مفعول ثان لجشمه يقول : إن السحاب زار قبر والدتك معك وكلفه الشوق ما كلفك من المسير نحوها : أى هو يشتاق قبرها كما تشتاقه .

(٥) الذؤابة — فى الأصل — الضفيرة من شعر الرأس ، والمراد بها هنا : ما أرسل من طرف العمامة بعد تكويرها ، وأراد بالفارس المرخى الذؤابة : سيف الدولة . وإرخاء الذؤابة : كناية عن كونه معمما ؛ لأن سائر الجيش بالمغافر . يقول: لما عرضت للجيش وتصفحته كنت أنت بهاءه وجماله على عظم شأنه وتكاثر شجاعته .

(٦) التجافيف : جمع تجفاف ، ما جلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح ، وقد يلبسه الإنسان أيضا . والطود : الجبل . والأيهم : الذى لا يهتدى فيه : يقال بر أيهم وفلاة يهماء . جعل كثرة التجافيف حوله بحرا مائجا ، وجعل خيله التى تسير بهذه التجافيف طوداً عظيما ؛ يعنى أن حوله من بريق الاسلحة ولمعان التجافيف ما يشبه البحر

تَساوَتْ بِهِ الأَقْطارُ حَتّى كَأَنَّهُ ... يُجَمِّعُ أَشْتاتَ الجِبالِ وَيَنْظِمُ[1]
وَكُلُّ فَتًى لِلْحَرْبِ فَوْقَ جَبِينِهِ ... مِنَ الضَّرْبِ سَطْرٌ بِالأَسِنَّةِ مُعْجَمُ[2]
يَمُدُّ يَدَيْهِ فى المُفاضَةِ ضَيْغَمٌ ... وَعَيْنَيْهِ مِنْ تَحْتِ التَّرِيكَةِ أَرْقَمُ[3]

بكثرته ، ويحكيه ببريق جملته يشير بذلك إلى موكب من خيله ؛ وهو تخيل بديع : جعله التجافيف بحراً يسير به من الخيل جبل عظيم لا يهتدى فيه .

(١) الأشتات : المتفرقة ، جمع شت . لما جعل جيشه جبلا قال : إنه حل بين الجبال فملأ فجوة ما بينها فتساوت به أقطار الأرض كأنه جمع جبالها المتفرقة ، ونظم بعضها إلى بعض ؛ وعبارة ابن جنى : تحيط خيله بالجبال وهى كالجبل ، فكأن جيشه يؤلف بينها لسعته وكثافته ، كقول النابغة :

تَغِيبُ الشَّواهِقُ فى جَيْشِهِ ... وَتَبْدُو صِغاراً إِذا لَمْ تَغِبْ

وقال الواحدى : أى عم الأرض بكثرة خيله ، فنظم بعمومه متفرق الجبال ونواحى الأرض . وقال ابن الأفليلى ــ على رواية الأقتار بدل الأقطار ــ : الأقتار : الغبار : يشير إلى أن هذا الجيش يسحق الجبال بكثرته ، ويحطمها بعظمه ، فيستوى الرهج فى السهل والوعر ، وفى الصلب والرخوة ، ويشتمل العجاج على الجبال حتى تصير كأنها فى ذلك العجاج منتظمة ، وبما غشيها من الجيش متصلة ، كقول النابغة :

جَيْشٌ يَظَلُّ بِهِ الفَضاءُ مُعَضَّلاً ... يَدَعُ الإِكامَ كَأَنَّهُنَّ صَحارُ[1]

(٢) وكل فتى : عطف على قوله « بحر » : أى وحواليه كل فتى ، والأسنة : أطراف الرماح ، والإعجام : التنقيط . يقول : وحوله فتيان على وجوههم آثار الضرب والطعن يريد أنهم رجال حرب . وجعل أثر الضرب كالسطر لطوله ، وأثر الطعن إعجاما لذلك السطر ، لندور جراحته فهى كالنقطة ؛ وهذا المعنى ينظر إلى قوله أبى تمام :

كَتَبْتَ أَوْجُهَهُمْ مَشْقاً وَنَمْنَمَةً ... ضَرْباً وَطَعْناً يُقِّتُ الهامَ وَالصُّلُفا
كِتابَةً لا تَنِي مَقْــرُوءَةً أَبَداً ... وَما خَطَطْتَ بِها لاماً وَلا أَلِفا[2]

(٣) المفاضة : الدرع الواسعة ؛ والضيغم : الأسد ؛ والتريكة : البيضة من الحديد ؛

---

(١) الإكام : جمع أكمة ؛ وهى الرابية ؛ وصحار : جمع صحراء .

(٢) من قصيدة له بارعة يمدح بها أبا دلف ؛ والمشق : مد الحروف ؛ والنمنمة : النقش ويقات الهام : أى يجعل الهام والصلف قوتا له ؛ والهام : الرءوس ؛ والصلف ــ بضمتين ــ جمع صليف : عرض العنق ؛ وهما صليفان من الجانبين ؛ ولا تنى : لا تزال .

كَأَجْناسِها رَاياتُها وَشِعارُها ... وَمَا لَبِسَتْه وَالسِّلَاحُ الْمُسَمَّمُ(١)
وَأَدَّبَها طُولُ القِتَالِ فَطَرْفُهُ ... يُشِيرُ إِلَيْهَا مِنْ بَعِيدٍ فَتَفْهَمُ(٢)
تُجَاوِبُه فِعْلاً وَمَا تَعْرِفُ الْوَحَى ... وَيُسْمِعُها لَحْظاً وَمَا يَتَكَلَّمُ(٣)
تَجَانَفُ عَنْ ذَاتِ الْيَمِينِ كَأَنَّهَا ... تَرِقُّ لِمَيَّافَارِقِينَ وَتَرْحَمُ(٤)

تشبيها بالتريكة وهى : بيضة النعامة إذا انفلقت وخرج الفرخ فتركت . والأرقم : الحية الذكر ؛ والضمير فى يديه وعينيه : للفتى ؛ وضيغم فاعل مد ؛ وأراد مد يديه منه ضيغم فهو من باب التجريد كما تقول إن لقيت فلانا لقيت منه الأسد . وقوله وعينيه: أى ويفتح عينيه منه أرقم ؛ وهذا من باب * علفتها تبنا وماء باردا *يقول: إن هذا الفتى فى الشجاعة كالأسد ؛ وفى حدة النظر وتوقد العينين كالأرقم ؛فإذا مد يديه فى الدرع فقد مدهما أسد؛ وإذا مد عينيه من تحت الخوذة فقد مدهما أرقم .

(١) الضمير فى « كأجناسها »: للخيل ؛ والشعار : العلامة فى الحرب . والمسمم : الذى سقى السم . يقول : إن هذه الخيل عربية وكل ما معها من الرايات والسلاح والملابس عربى كذلك .

(٢) الطرف : النظر ، والضمير فى « طرفه » للفارس ، وإن لم يجر له ذكر لأن الخيل لما ذكرت لا بد لها من راكب . يقول : وأدب هذه الخيل طول تمرسها بالقتال والتقلب فى شدائد الحرب حتى إن فارسها إذا أشار إليها من بعد فهمت إشارته.

(٣) الوحى : الصوت الخفى ، وفعلا ولحظا : منصوبان على نزع الخافض ، والواو بعدها : للحال . يقول : إن هذه الخيل ـ لأدبها ـ تجاوبه بفعلها من غير أن تسمع صوته ، ويفهمها مراده باللحظ من غير أن يتكلم ، وهذا المعنى ينظر إلى قول الفرزدق:

هَلْ تَذْكُرِينَ إِذِ الرِّكَابُ مُنَاخَةٌ ... بِرِحالِها لِرَوَاحِ أَهْلِ الْمَوْسِمِ
إِذْ نَحْنُ نَسْتَرِقُ الْحَدِيثَ وَفَوْقَنَا ... مِثْلُ الضَّبَابِ مِنَ الْغُبَارِ الْأَقْتَمِ
وَكَذَاكَ نُخْبِرُ بِالْحَوَاجِبِ بَيْنَنَا ... مَافِى النُّفُوسِ وَنَحْنُ لَمْ نَتَكَلَّمِ

(٤) التجانف : الميل ، وفى التنزيل : «فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لإثم» أى مائل ، وقال الأعشى :

تجانفُ عن جَوِّ اليمامةِ ناقتى ... وما عدلَتْ من أهلِها لِسَوائِكا

وميافارقين : بلد من أعمال ديار بكر ، يقول : إن خيلك تميل عن ميافارقين رحمة لها ، لأن فيها قبر والدته ، وخشية أن تدوسها بحوافرها لو هى سارت بجانبها .

وَلَوْ زَحَمَتْهَا بِالمَنَاكِبِ زَحْمَةً ... دَرَتْ أَىُّ سُورَيْهَا الضَّعِيفُ المُهَدَّمُ (١)
عَلَى كُلِّ طَاوٍ تَحْتَ طَاوٍ كَأَنَّهُ ... مِنَ الدَّمِ يُسْقَى أَوْ مِنَ اللَّحْمِ يُطْعَمُ (٢)

---

(١) يقول : لو أن هذه الخيل زحمت ميافارقين بمناكبها ، أو لو زحمت ميافارقين الخيل بجدرها ـ وسماها مناكب : لأن الزحام يكون بالمناكب ـ يعنى لو جرت بينهما مزاحمة لدرت ـ علمت ـ ميافارقين : أى السورين يكون الضعيف المهدم ؟ يعنى أن الخيل أقوى من هذه البلدة ، فهى لو قصدتها لهدمت سورها ، فكانت تعلم أن سورها ضعيف لا يقوى على دفع خيل سيف الدولة واستعار للخيل سورا لأنه ذكرهامع البلدة وجمعهما فى المزاحمة . ولما كانت البلدة قوية بالسور استعار لقوة الخيل سوراً، قال ابن جنى : من أعجب ما جرى أن أبا الطيب أنشد هذه القصيدة عصرا وسقط سور المدينة تلك الليلة ، وكان جاهليا ـ قديما ـ هذا : وإليك تعليقات العكبرى على هذا البيت قال : الضمير فى « زحمتها » : للبلدة ، وكذلك فى « درت » : أى درت البلدة؛ ورفع أى بالابتداء ؛ وما بعده الخبر ، وهو استفهام ، ومفعول « درت » محذوف ، تقديره علمت ضعفها ، لأن «أيا» لا يعمل فيها ما قبلها كقوله تعالى «لنعلم أى الحزبين أحصى»، فرفع « أى » بأحصى ، لأنه فعل ماض على قول بعضهم ، والصحيح أن « أيا » فى الآية بمعنى الذى « وأحصى » اسم ، وقد حذف صدر الصلة ؛ والتقدير : هو أحصى و « أى » : إذا كانت بمعنى الذى وتمت صلتها : أعربت ؛ وإذا حذف صدر الصلة عادت إلى أصلها من البناء ، وهى منصوبة الموضع بنعلم . و « أى » فى البيت : مبتدأ ، والضعيف : خبره ؛ والمهدم : خبر ثان ؛ والجملة : فى موضع نصب بـ« درت »؛ فهى معلقة عن العمل ؛ و « أى » فى البيت : استفهام ؛ وروى الواحدى وغيره « سوريها » فالضمير للبلدة ؛ ورواية أبى الفتح « سورينا » أى سور البناء وسور الخيل .

(٢) على كل طاو : من صلة قوله « وكل فتى » والطاوى : الخميص الجوف : أى الضامر جوعا . يقول : كل فتى على فرس ضامر تحت فارس ضامر كأن شرابه الدم وطعامه اللحم ، فهو أبدا مستميت فى طلب الأعداء مقتحم عليهم موغل فى طلبهم ليأكل لحومهم ويشرب دماءهم ؛ ووجه آخر وهو : وكل فتى ضامر على فرس ضامر كأنه أى الفرس ـ يسقى من دمه ويطعم من لحمه : أى لضمره كأنه ليس له غذاء ولا شرب إلا من جسمه ، فهو يزداد كل يوم ضمرا ، هذا : وقد قال ابن وكيع . إن البيت مأخوذ من قول أبى الشيص :

لهَا فِي الْوَغَى زِيُّ الْفَوارِسِ فَوْقَها فَكُلُّ حِصَانٍ دَارِعٌ مُتَلَثِّمُ(١)
وَمَا ذَاكَ بُخْلاً بِالنُّفُوسِ عَلَى الْقَنَا وَلَكِنَّ صَدْمَ الشَّرِّ أَحْزَمُ(٢)

أ كل الوجيفُ لحومَها ولحومَهم فأتوكَ أنقاضا على أنقاضِ(١)

(١) الوغى : الحرب . والحصان : الذكر من الخيل . والدارع : ذو الدرع . يقول : إن لهذه الخيل فى الحرب زى فوارسها ، لأنها قد ألبست التجافيف صونا لها ، فكل فرس منها ذو دروع من التجافيف وذو لثام بما أرسل على وجهه الن الحديد .

(٢) يقول : لم يتحصنوا هم بالدرع ولم يحصنوا خيلهم بها ، ضنا بنفوسهم أن تنالها أسنة الرماح ، فإنهم شجعان لا يبالون بالقتل ، غير أنهم يقابلون شر الأعداء بمثله ، وذلك فعل الحازم اللبيب ، ومن شهد الحرب غير مستعد ولا متسلح كان ذلك خرقا وهوجا ، روى أن كثيراً أنشد عبد الملك بن مروان :

عَلَى ابْنِ أبى العَاصِى دلاصٌ حَصينَة أجادَ المسَدِّى سَرْدَهَا وَأذالهَا
يَئُودُ ضَئِيلَ القَومِ حملُ قتيرها ويَستضلع القرمُ الأشمُّ احتمالها(٢)

فقال له عند الملك : هلا مدحتنى كما مدح الأعشى صاحبه فقال :

وإذا تكُونُ كَتِيبةٌ مَلْمُومَة خرساء يُغشِى الرائدُون نهالها
كُنتَ المقدَّم غيرَ لابِسِ جُنَّةٍ بالسَّيفِ تقتلُ مُعلمًا أبطالها ؟(٣)

(١) الوجيف : ضرب من السير سريع .

(٢) من قصيدة بارعة يقول فيها :

أحاطت يَداهُ بالخلافة بعدَ ما أرادَ رِجال آخرون اغتيالها
وإن أمــير المؤمنين هو الذِى غزا كامِناتِ الود منى فنالها
تبلج لمــا جئت واهتز ضاحكا وبَلّ وسالاتى إليــه بلالها

وقوله وأذالهــا : أى أطالها .

(٣) ملمومة : كململة : مجتمعة ، وخرساء أى لايسمع لدروعها صوت للينها ، ونهالها عطاشها : أى يغشى القائدون عطاشها الأعداء وفى رواية يخشى ، وجنة — بالضم — الدرع ، وكل ما وقاك فهى جنة ؛ معلما — بكسر اللام وفتحها — من أعلم الفارس نفسه : أى جعل لها علامة كريشة أو خرقة ملونة يعرف بها مكانه . والبيتان من قصيدة يمدح بها الأعشى قيس بن معديكرب بن جبلة بن عدى بن ربيعة بن معاوية بن الحارث الكندى .

أَتَحْسِبُ بِيضُ الْهِنْدِ أَصْلَكَ أَصْلَهَا ... وَأَنَّكَ مِنْهَا ؟ سَاءَ مَاتَتَوَهَّمُ (١)

إِذَا نَحْنُ سَمَّيْنَاكَ خِلْنَا سُيُوفَنَا ... مِنَ التِّيهِ فِي أَغْمَادِهَا تَتَبَسَّمُ (٢)

وَلَمْ نَرَ مَلْكاً قَطُّ يُدْعَى بِدُونِهِ ... فَيَرْضَى وَلَكِنْ يَجْهَلُونَ وَتَحْلُمُ (٣)

أَخَذْتَ عَلَى الْأَعْدَاءِ كُلَّ ثَنِيَّةٍ ... مِنَ الْعَيْشِ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَحْرِمُ (٤)

فقال له كثير إنه وصف صاحبه بالخرق ، وأنا وصفتك بالحزامة ؛ ويريد المتنبي بالشر الأول شر الأعداء وماجاءوا به من العدد والأسلحة ، وبالثانى ماعارضوهم بمثله، وسماه شرا للمقابلة ، كقوله تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها »

(١) يقول : أتظن السيوف — لأنك سميت سيفا — أنها تشاركك فى الأصل وأنك من جملتها ، ساء هذا الوهم وهما : يعنى : أنك وإن سميت سيفا فإنك أشرف من سيوف الهند وأجل منها شأنا وأعظم أصلا رغم جلالتها ررفعتها ونفاذها وهيبتها . فهى بعض آلاتك تصرفها ولا تصرفك . هذا : ويجوز فى مضارع حسب : فتح السين وكسرها ، وهما لغتان فصيحتان .

(٢) يقول : إذا نحن سميناك سيفا خلنا — حسبنا — سيوفنا تتكبر وتعجب بأن صرت لها سميا فهى تتبسم فى أغمادها تيها — كبرا وفخرا — وهذا ينظر إلى قول أبى نواس :

تَتِيهُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ الْمُنِيرُ ... إِذَا قُلْنَا كَأَنَّهُمَا الْأَمِيرُ

قال العكبرى : وقد عاب هذا البيت من لا يعرف معانى الشعر وقال : قد وضع الشئ فى غير موضعه حيث قال تبسم من التيه ، ولا يكون من التيه إلا العبوس ، وأن يشمخ الإنسان بأنفه ، وهو فعل التائه المتكبر ، وإنما يكون التبسم من المرح والفرح وليس كما قالوا . والتبسم قد يكون من المعجب بنفسه التائه على أقرانه ، استكثارا لما عنده واستقلالا لما عند غيره ، فليس ينكر أن يكون التبسم من الإعجاب ، فكأن السيوف تبسمت إعجابا بنفسها لمشاركة الممدوح لها فى التسمية ، ففخرت بذلك السلاح والرماح .

(٣) بدونه : أى بدون قدره واستحقاقه . يقول : لم نر ملكا يلقب بدون مايستحق فيرضى بذلك ومحله فوق أن يسمى سيفاً ، ولكن الناس يجهلون قدرك وأنت تحلم عنهم فلا تؤاخذهم بجهلهم .

(٤) الثنية : طريق العقبة . يقول : أخذت على أرواح أعدائك طريق عيشهم فليس

فَلاَ مَـــوْتَ إِلاَّ مِنْ سِنَانِكَ يُتَّقَى وَلاَ رِزْقَ إِلاَّ مِنْ يَمِينِكَ يُقْسَمُ(١)

* * *

وقال يعاتب سيف الدولة ــ وأنشدها فى محفل من العرب ــ وكان سيف الدولة إذا تأخر عنه مدحه شق عليه وأحضر من لا خير فيه ، وتقدم إليه بالتعرض له فى مجلسه بما لا يحب ، وأكثر عليه مرة بعد مرة فقال يعاتبه :

وَاحَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَـــبِمُ وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمُ(٢)

يعيشون ، لأنك فرقت بينهم وبين أرواحهم بالقتل ، وأنت تعطى من تشاء ، وتحرم من تشاء لأنك ملك فى يدك البسط والقبض .

(١) هذا من قول أبى العتاهية :

فَمَا آفَةُ الآجَالِ غَيْرُكَ فِى الْوَغَى وَمَا آفَةُ الْأَمْوَالِ غَيْرُ حِبَائِـكَا

(٢) الشبم : البارد . والشبم : البرد ؛ وقد شبم الماء ــ بالكسر ــ فهو شبم ، ومطر شبم ، وغداة ذات شبم ، وقيل لابنة الخس(١) ما أطيب الأشياء ؟ قالت : لحم جزور سنمة ، فى غداة شبمة ، بشفار خذمة ، فى قدور هزمة . أرادت فى غداة باردة ، والشفار الخذمة : القاطعة ؛ والقدور الهزمة السريعة الغليان ، والشبم : الذى يجد البرد مع الجوع ، قال حميد بن ثور :

بِعَيْنَيْ قُطَامِيٍّ نَمَا فوقَ مِرْقَبٍ غَدَا شَبِمًا يَنْقَضُّ بين الهجارِسِ(٢)

يقول : واحر قلبى واحتراقه حبا وهياما بمن قلبه بارد لا يحفل بى ولا يقبل على ، وأنا عنده عليل الجسم لفرط ما أعانى وأقاسى فيه ، سقيم الحال لفساد اعتقاده فى . هذا وقوله واحر قلباه : أصله واحر قلبى ، فأبدل من الياء ألفاً طلبا للخفة ، والعرب تفعل ذلك فى النداء ، واستجلب هاء السكت وأثبتها فى الوصل كما تثبت فى الوقف ، وحرك الهاء لسكونها وسكون الألف قبلها ، وللعرب فى ذلك أمران : منهم من حرك بالضم تشبيها بهاء الضمير . وأنشدوا لامرىء القيس :

(١) الخس : رجل من إياد ، وابنة الخس : الإيادية التى جاءت عنها الأمثال ، واسمها هند ؛ وكانت معروفة بالفصاحة .

(٢) القطامى ــ بضم القاف وفتحها ــ الصقر ، مأخوذ من القطم ، وهو المشتهى اللحم ، والهجارس : الثعالب ؛ وقيل جميع ما تعسس من السباع ما دون الثعلب وفوق اليربوع .

مَالِي أُكَتِّمُ حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي ... وَتَدَّعِي حُبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأُمَمُ (١)
إِنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِغُرَّتِهِ ... فَلَيْتَ أَنَّا بِقَدْرِ الْحُبِّ نَقْتَسِمُ (٢)
قَدْ زُرْتُهُ وَسُيُوفُ الْهِنْدِ مُغْمَدَةٌ ... وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالسُّيُوفُ دَمُ (٣)
فَكَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ ... وَكَانَ أَحْسَنَ مَا فِي الْأَحْسَنِ الشِّيَمُ (٤)
فَوْتُ الْعَدُوِّ الَّذِي يَمَّمْتَهُ ظَفَرٌ ... فِي طَيِّهِ أَسَفٌ فِي طَيِّهِ نِعَمُ (٥)

وَقَدْ رَابَنِي قَوْلُهَا يَا هَنَا ... هُ وَيْحَكَ أَلْحَقْتَ شَرًّا بِشَرِّ (١)

ومنهم من يحرك بالكسر على ما يوجد كثيراً عند التقاء الساكنين .

(١) براه : أنحله وأضناه : وأكتم : مبالغة من الكتمان ، وتدعى : منصوب بأن مضمرة بعد الواو ، وسكنه ضرورة ، أو على لغة . يقول : إذا كان الناس يدعون حبه ويظهرون خلاف ما يضمرون فلم أخفى أنا حبه الذى برح بى وأسقمنى ، وأعين على نفسى بهذا الكتمان ؟

(٢) الغرة : الطلعة . يقول : إن كان يجمعنى وغيرى أن نكون محبين له ، أى إن حصلت الشركة فى حبه ، فليتنا نقتسم فواضله وعطاياه بمقدار ذلك الحب حتى أكون أوفر نصيبا من غيرى ، لأنى أوفر حبا من غيرى . وقال ابن جنى : أى إن كان يجمعنا من آفاق البلاد المتباعدة حب لغرته ، فليت أنا نقتسم بره كما نقتسم حبه .

(٣) والسيوف دم : أى مخضبة بالدم . يقول : إنه خدمه فى حالى السلم والحرب .

(٤) الشيم : جمع شيمة ، وهى الخليقة والخلق . يقول إنه كان فى الحالين أحسن الخلق وكانت أخلاقه أحسن مافيه ، وإنما المرء خلقه .

(٥) يممته : قصدته . والأسف : الحزن . يقول : — وكان سيف الدولة اتبع بعض ملوك الروم ففاته — : فوت العدو الذى قصدته ففاتك ، بأن فرمنك لاستحكام جزعه ، ظفر حيث فر منك ، فكأنك ظفرت به وإن كان فى طى هذا الظفر أسف حين لم تدركه فتقتله ، وفى طى ذلك الأسف نعم ، إذ صرف الله عنك مؤنة الحرب وحفظ جيشك مما قد يلم به من قتل وجراح .

---

(١) قولهم ياهناه : أي يارجل ، لا يستعمل إلا فى النداء . يقول : كنا متهمين فحققت الأمر

قَدْ نَابَ عَنْكَ شَدِيدُ الْخَوْفِ وَاصْطَنَعَتْ
لَكَ الْمَهَابَةُ مَالاَ تَصْنَعُ الْبُهَمُ (١)

أَلْزَمْتَ نَفْسَكَ شَيْئاً لَيْسَ يَلْزَمُهَا أَنْ لاَ يُوَارِيَهُمْ أَرْضٌ وَلاَ عَلَمُ (٢)

أَكُلَّمَا رُمْتَ جَيْشاً فَانْثَنَى هَرَباً تَصَرَّفَتْ بِكَ فِي آثَارِهِ الْهِمَمُ (٣)

عَلَيْكَ هَزْمُهُمُ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ وَمَا عَلَيْكَ بِهِمْ عَارٌ إِذَا انْهَزَمُوا (٤)

أَمَا تَرَى ظَفَراً حُلْواً سِوَى ظَفَرٍ تَصَافَحَتْ فِيهِ بِيضُ الْهِنْدِ وَاللِّمَمُ (٥)

---

(١) البهم : الأبطال الذين تناهت شجاعتهم، جمع بهمة ، ويقال للجيش بهمة ، ومنه قولهم : فلان فارس بهمة وليث غابة ، قال ابن جنى : البهمة فى الأصل مصدر وصف به ولا فعل له . وقال بعضهم : قيل للكماة بهم لأنه لا يهتدى لقتالهم : من قولهم شىء مبهم يقول : إن خوف أعدائك منك ناب عنك فى شدة تأثيره فيهم ، فصنع لك مالا تصنعه عسا كرك الشجعان ، يعنى أن مهابتك فى قلوب أعدائك أبلغ من رجالك وأبطالك الذين معك .

(٢) يواريهم : يسترهم ويكنهم . والعلم الجبل . يقول : ألزمت نفسك شيئا لم يكن ليلزمها ، وذلك رغبتك فى أن لا يوارى أعداءك أرض تشتمل عليهم أو جبل يحول بينك وبينهم ، وإباؤك إلا أن تقتلهم حتى بعد هربهم ، وهذا لا يلزمك لأنه يكفيك أن تكون قد هزمتهم ، أو تقول : ألزمت نفسك أن تتبعهم أينما فروا وتدركهم حيثما تواروا من الأرض ، وهذا أمر لا يلزمك بعد أن تكون قد هزمتهم يريد أنه لا يرجع عنهم إلا بعد قتلهم ولا يكفيه ما يكفى غيره من الظهور عليهم .

(٣) رمت : طلبت . وانثنى : ارتد ، وهربا : حال . يقول : أكلما طلبت جيشا فارتد هاربا منك وهزمته ، حفزتك همتك إلى اقتفائه واقتفاء آثاره حتى تعمل فيهم سيفك وهذا استفهام إنكار : أى ليس عليك أن تفعل وحسبك انهزامهم .

(٤) المعترك : ملتقى الحرب . يقول : عليك أن تهزمهم إذا التقوا معك فى مجال الحرب والقتال ولا عار عليك إذا انهزموا فتحصنوا بالهرب إشفاقا منك وخوفا من لقائك فلم تظفر بهم .

(٥) بيض الهند : السيوف . واللمم : جمع لمة ، وهى الشعر إذا ألم بالمنكب . يقول ليس يحلو لك الظفر إلا إذا ضربت رءوسهم بالسيف وتلاقت سيوفك وشعورهم .

يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلاَّ فِي مُعَامَلَتِي
فِيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخَصْمُ وَالْحَكَمُ(١)

أُعِيذُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً
أَنْ تَحْسَبَ الشَّحْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمُ(٢)

وَمَا انْتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَاظِرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلَمُ(٣)
أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدَبِي وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ(٤)

---

(١) يقول : أنت أعدل الناس إلا إذا عاملتنى فإن عدلك لا يشملنى ؛ وفيك خصامى وأنت الخصم والحكم ، لأنك ملك لا أحاكمك إلى غيرك ، وإنما أستعدى عليك حكمك والخصام وقع فيك . وإذن كيف ينتصف منك ؟ قال ابن جنى : هذه شكوى مفرطة لأنه قال فى موضع آخر :

وما يُوجِعُ الحِرْمانُ مِنْ كفِّ حارمٍ كما يُوجِع الحِرْمانُ من كف رازق

وإذا كان عدلا فى الناس كلهم إلا فى معاملته فقد وصفه بأقبح الجور .

(٢) قال ابن جنى : سألته — أى المتنبى — عن الهاء « فى أعيذها » على أى شىء تعود ؟ فقال : على « النظرات » وقد أجاز مثله أبو الحسن الأخفش فى قوله تعالى « فإنها لا تعمى الأبصار » فقال : الهاء راجعة إلى الأبصار وغيره من النحويين يقول : إنها إضمار على شريطة التفسير ، كأنه فسر الهاء بالنظرات ، ونظرات — كما قال التبريزى — فى موضع نصب على التمييز : أى من نظرات . يقول : إنك إذا نظرت إلى شىء عرفته على ماهو عليه فنظراتك صادقة تصدقك فلا تغلط فيما تراه فلا تحسب الورم شحما . وهذا مثل ، يقول : لاتظن المتشاعر شاعرا كما يحسب الورم سمنا .

(٣) الناظر : العين . يقول : إذا لم يميز الإنسان البصير بين النور والظلمة فأى نفع له فى بصره ؟ يعنى : يجب أن تميز بينى وبين غيرى ممن لم يبلغ درجتى كما تميز بين النور والظلمة ، لأن الفرق بينى وبين غيرى ظاهر ظهور الفرق بين النور والظلمة ، فلا ينبغى أن يستويا فى عينى البصير .

(٤) يقول : إن الأعمى على فساد حاسة بصره أبصر أدبى ، وكذلك الأصم سمع شعرى ، يعنى : أن شعره سار فى آفاق البلاد واشتهر حتى تحقق عند الأعمى والأصم أدبه ، فكأن الأعمى رآه لتحققه عنده ؛ وكأن الأصم سمعه . وكان المعرى إذا أنشدهذا البيت يقول : أنا الأعمى .

أَنامُ مِلْءَ جُفُونِى عَنْ شَوارِدِها ... وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ (١)

وَجَاهِلٍ مَدَّهُ فِى جَهْلِهِ ضَحِكِى ... حَتى أَتَتْهُ يَدٌ فَرَّاسَةٌ وَفَمُ (٢)

---

(١) الشوارد : سوائر الأشعار — من قولهم شرد البعير : إذا نفر — والضمير فى « شواردها » : للكلمات ؛ قال ابن جنى : يحتمل أن يراد بالكلمات : جمع كلمة التى هى اللفظة الواحدة ، وهذا أشد فى المبالغة . ويجوز أن يعنى بالكلمات القصائد ، وهم يسمون القصيدة كلمة . وملء جفونى موضع المصدر : أى أنام نوماً ملء جفونى . ويقال : فعلت ذلك جراك ومن جرائك : أى من أجلك . وكذلك من جلالك ومن إجلالك ، ومن جللك ، كله من أجلك قال جميل :

رَسْمِ دارٍ وَقَفْتُ فى طَلَلِهْ ... كِدْتُ أَقْضِى الغَدَاةَ من جَلَلِهْ

[أى من أجله . وقيل من جللك : من عظمك فى عينى . وقوله رسم دار : قال ابن سيده : أراد رب رسم دار ، فأضمر « رب » وأعملها فيما بعدها مضمرة] وأنشد الكسائى على قولهم : فعلته من جلالك — أى من أجلك — قول كثير :

حياتِىَ مِنْ أسماءَ والخَرْقُ بَيْنَنا ... وإكرامِىَ القَوْمَ العِدا من جلالها

[الخرق : البعد] ووحد الضمير فى « يختصم » على لفظ الخلق ، لا معناه . يقول أنا أنام ملء جفونى عن شوارد الشعر لا أحفل بها لأنى أدركها متى شئت بسهولة ، أما غيرى من الشعراء فإنهم يسهرون لأجلها ويتعبون ويختصمون . قال الواحدى : ومعنى الاختصام اجتذاب الشىء من النواحى والزوايا مأخوذ من الخصم ، وهو طرف الوعاء (١) يقول : إنهم يجتذبون الأشعار احتيالا ويجتلبونها استكراهاً .

(٢) مده : أمهله وطول له . وأصل الفرس : دق العنق ، ومنه سمى الأسد فراسا .

---

(١) جاء فى اللسان : الخصم — بالضم — جانب العدل وزاويته ، يقال للمتاع إذا وقع فى جانب الوعاء من خرج أو جوالق أو عيبة : قد وقع فى خصم الوعاء وفى زاوية الوعاء ، قال : وخصوم السحابة جوانبها . قال الأخطل يصف سحاباً :

إذا طَعَنَت فيه الجَنُوبُ تَحامَلَتْ ... بأعجاز جرَّار تَداعى خصومها

أى تجاوب جوانبها بالرعد ، وطعن الجنوب فيها سوقها إياه ، والجرار : الثقيل ذو الماء ، وتحاملت بأعجازه دفعت أواخره خصومها : أى جوانبها .

إذَا نَظَرْتَ نُيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً ... فَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْثَ مُبْتَسِمُ (١)
وَمُهْجَةٍ مُهْجَتِي مِنْ هَمِّ صَاحِبِهَا ... أَدْرَكْتُهَا بِجَوَادٍ ظَهْرُهُ حَرَمُ (٢)
رِجْلَاهُ فِي الرَّكْضِ رِجْلٌ وَالْيَدَانِ يَدٌ ... وَفِعْلُهُ مَا تُرِيدُ الْكَفُّ وَالْقَدَمُ (٣)
وَمُرْهَفٍ سِرْتُ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ بِهِ ... حَتَّى ضَرَبْتُ وَمَوْجُ الْمَوْتِ يَلْتَطِمُ (٤)
فَالْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي ... وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ (٥)

يقول : رب جاهل خدعته مجاملتي ، وتركه في جهله ـ خرقه ـ ضحكي منه حتى افترسته وبطشت به بعد زمان : يعني أنه يغضي عن الجاهل ويحلم إلى أن يجازيه ويعصف به .

(١) يقول : إذا كشر الأسد عن نابه فليس ذلك تبسما بل قصداً للافتراس . يريد أنه وإن أبدى بشره وتبسمه للجاهل ، فليس ذلك رضا عنه ، وفي مثل هذا يقول أبو تمام :

قَدْ قَلَصَتْ شَفَتَاهُ مِنْ حَفِيظَتِهِ ... فَخِيلَ مِنْ شِدَّةِ التَّعْبِيسِ مُبْتَسِمَا

(٢) المهجة : الروح . ومهجتي : مبتدأ ؛ ومن هم صاحبها : خبر ، والجملة صفة لمهجة والهم : ما اهتممت به . والجواد . الفرس الكريم . والحرم : مالا يحل انتهاكه يقول رب مهجة همة صاحبها مهجتي أي قتلي وإهلاكي أدركت هذه المهجة بفرس من ركبه أمن من أن يلحق ، فكأن ظهره حرم لا يدنو منه أحد .

(٣) يصف جواده ، يقول : لحسن مشيه واستواء وقع قوائمه في الركض كأن رجليه رجل واحدة لأنه يرفعهما معاً ويضعهما معاً ، وكذلك يداه ـ ويسمى هذا الجري النقال والمناقلة ـ ثم قال : وفعله ما تريد الكف والقدم أي أن جريه يغنيك عن تحريك اليد بالسوط والرجل بالاستحثاث ؛ وقال ابن الأفليلي : وفعله في السرعة ما تريد القدم التي بها يستعجل وفي المؤاناة وللموافقة ما تريد الكف التي بها يستوقف .

(٤) المرهف : السيف الرقيق الشفرتين . والجحفل: الجيش الكثير . وروى ابن جني : بين الموجتين : أراد موجتي الجيشين ، لأنهما يموج بعضهما في بعض . يقول : ورب سيف سرت به بين الجيشين العظيمين حتى قاتلت به والموت غالب تلتطم أمواجه وتضطرب .

(٥) البيداء : الفلاة ؛ وتعرفني : يروى تشهد لي ، ويروى بدل السيف والرمح :

صَحِبْتُ فِي الْفَلَوَاتِ الْوَحْشَ مُنْفَرِداً حَتَّى تَعَجَّبَ مِنِّي الْقُورُ وَالْأَكَمُ(١)

الضرب والطعن . وروى الواحدى : والحرب والضرب. يصف نفسه بالشجاعة والفصاحة وأن هذه الأشياء ليست تنكره لطول صحبته إياها . يقول : الليل يعرفنى لكثرة سراى فيه وطول ادراعى له ، والخيل تعرفنى لتقدمى فى فروسيتها ، والبيداء تعرفنى لمداومة قطعها واستسهالى صعبها ، والسيف والرمح يشهدان بحذقى فى الضرب بهما، والقراطيس تشهد لإحاطتى بما فيها ، والقلم عالم بإبداعى فيما أقيده ، هذا : والقرطاس والقرطاس والقرطاس والقرطس كله الصحيفة الثابتة التى يكتب فيها . وأنشد أبو زيد لخثش العقيلى يصف رسوم الدار وآثارها كأنها خط زبور كتب فى قرطاس :

كَأَنَّ بِحَيْثُ اسْتَوْدَعَ الدَّارَ أَهْلُهَا مَخَطَّ زَبُورٍ مِنْ دَوَاةٍ وَقِرْطَسِ

(١) الفلوات : القفار ، والقور : جمع قارة ، وهى الأرض ذات الحجارة السوداء ، والقور أيضا : أصاغر الجبال ؛ وأعاظم الآكام — جمع أكمة — قال منظور بن مرثد الأسدى :

هَلْ تَعْرِفُ الدار بأعلى ذِى القُورْ قد دَرَسَتْ غيرَ رَمَادٍ مَكْفُورْ

مُكْتَئِبِ اللَّوْنِ مَرُوحٍ مَمطُورْ أزمانَ عَيْناءُ سُرُورُ المسْرُورْ(١)

والقور : يروى القوز — بفتح القاف وبالزاى — وهو الكثيب الصغير . وجمعه أقواز وقيزان . قال ذو الرمة :

إلى ظُعُنٍ يَقْرِضْنَ أَقوازَ مُشْرِفٍ شمالا وَعن أيمانهنّ القَوَارِسُ(٢)

ويروى : الغور ، وهو المطمئن من الأرض ، والأكم : جمع أكمة ، الجبل الصغير . يقول : سافرت وحدى وصحبت الوحش فى الفلوات منفردا بقطعها مستأنسا بصحبة حيوانها حتى تعجب منى نجدها وغورها لكثرة ما تلقانى وحدى .

(١) قوله بأعلى ذى القور : أى بأعلى المكان الذى بالقور . وقوله قد درست غير رماد مكفور . أى درست معالم الدار إلا رمادا مكفورا ، وهو الذى سفت عليه الريح التراب فغطاه وكفره . وقوله مكتئب اللون : يريد أنه يضرب إلى السواد كما يكون وجه الكئيب ، ومروح أصابته الريح ؛ وممطور أصابه المطر ، وعيناء مبتدأ وسرور المسرور خبره والجملة فى موضع خفض بإضافة أزمان إليها . يقول : هل تعرف الدار فى الزمان التى كانت فيه عيناء سرور من رآها وأحبها .

(٢) قرض المكان يقرضه قرضا : عدل عنه وتنكبه ، ومشرف والفوارس: موضعان يقول : نظرت إلى ظعن يجزن بين هذين الموضعين .

يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ
وِجْدَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ(١)

مَا كَانَ أَخْلَقَنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمُ مِنْ أَمْرِنَا أَمَمُ(٢)

إِنْ كَانَ سَرَّكُمُ مَا قَالَ حَاسِدُنَا فَمَا لِجُرْحٍ إِذَا أَرْضَاكُمُ أَلَمُ(٣)

وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةٌ إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النُّهَى ذِمَمُ(٤)

كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْباً فَيُعْجِزُكُمْ وَيَكْرَهُ اللهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمُ(٥)

---

(١) يقول : يامن يشتد علينا فراقه بما أسلف إلينا من عوارفه كل شيء وجدناه بعدكم فإن وجدانه عدم ، يعنى لا يغنى غناءكم أحد ولا يخلفكم عندنا بدل .

(٢) ما أخلقه بكذا وأقمنه وأجدره وأحراه وأولاه : بمعنى ، وأمم قريب يقول : يقول : ما كان أحرانا ببركم وتكرمتكم فى الاعتقاد لنا على نحو أمرنا فى الاعتقاد لكم ! يعنى لو تقارب مابيننا بالحب لكرمتمونا ، لأنا أهل للتكرمة .

(٣) يقول : إن سرتم بقول حاسدنا وطعنه فينا فقد رضينا بذلك إن كان لكم به سرور ، فإن جرحا يرضيكم لا نجد له ألما ، لأن كل سرورنا فى سرورنا فى سروركم ورضانا فى رضاكم ، قال الواحدى : هذا من قول منصور الفقيه .

سُرِرْتُ بِهَجْرِكِ لَمَّا عَلِمْتُ أَنَّ لِقَلْبِكِ فِيهِ سُرُورَا
وَلَوْلَا سُرُورُكِ مَا سَرَّنِى وَلَا كُنْتُ يوماً عَلَيْهِ صَبُورا
لأنى أَرَى كُلَّ ما ساءنى إذا كان يُرضيكِ سهلا يسيرا

(٤) بيننا : خبر مقدم ؛ ومعرفة : مبتدأ مؤخر . وقوله لو رعيتم ذاك : اعتراض ؛ والإشارة إلى مضمون الجملة : أى لو رعيتم أن بيننا معرفة . والنهى : العقول . والذمم العهود . يقول : إن لم يجمعنا الحب فقد جمعتنا المعرفة وذوو العقول يراعون المعرفة ويقدرونها حق قدرها ، والمعارف عندهم عهود وذمم لا يضيعونها .

(٥) يقول : كم تحاولون أن تجدوا لى عيبا تعيبوننا وتتعلقون عليه وتعتذرون به فى معاملتى فيعجزكم وجوده ، وهذا الذى تفعلونه يكرهه الله ويكرهه الكرم الذى يأبى عليكم إلا أن تنصفونى منكم وتكافئونى بالجميل وهذا تعنيف لسيف الدولة على إصغائه إلى الطاعنين عليه والساعين بالوشاية .

مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنُّقْصَانَ عَنْ شَرَفِي أَنَا الثُّرَيَّا وَذَانِ الشَّيْبُ وَالْهَرَمُ(١)
لَيْتَ الْغَمَامَ الَّذِي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الدِّيَمُ(٢)
أَرَى النَّوَى تَقْتَضِينِي كُلَّ مَرْحَلَةٍ لَا تَسْتَقِلُّ بِهَا الْوَخَّادَةُ الرُّسُمُ(٣)

---

(١) وذان : أى العيب والنقصان . يقول : إن بعد ما بينى وبين النقصان والعيب كبعد الثريا من الشيب والهرم، فكما لا يلحقها الشيب والهرم لا يلحقنى العيب والنقصان.

(٢) الغمام : السحاب . والصواعق : جمع صاعقة ، وهى تلك النار التى تسقط أثر الرعد الشديد . والديم : جمع ديمة ، وهى مطر يدوم فى سكون . وهو معلوم أن الصواعق مهلكة وهى التى تكره وتخشى من الغمام ، والديم نافعة وهى المرجوة من الغمام ، فهو يقول : ليت الممدوح الذى يشبه الغمام والذى تصيبنى صواعقه ــ يعنى أذاه وسخطه ــ ويصيب غيرى مطره ــ يعنى بره ورضاه ــ يزيل ذلك الأذى إلى من عنده ذلك البر فينتصف الفريقان ، وهذا من قول أبى تمام :

فلو شاء هــذا الدهرُ أقصرَ شرُّهُ كما قصرَت عنا لُهاهُ وَنائلُه(١)

ومثله قول ابن الرومى :

أعنــــدىَ تَنْقَضُّ الصواعِق منكما
وَعِند ذَوِى الـكُفرِ الحيا والثرى الجَعْدُ(٢)

وقوله أيضاً :

إذا كان حظ الناسِ سُقْيا سمائِكم فحظى وَمِيض البَرْقِ أوْ زَجَلُ الرعدِ

وأخذه السرى الرفاء فقال :

وأنا الفِــــداء لمن مَخِيلةُ برقِهِ حظِّى وحظ سِوَاى من أنوائه

(٣) النوى : البعد . وتقتضينى : أى تطالبنى ، وقد ضمنه معنى تكلفنى أو تجشمنى، ولذلك عداه إلى اثنين . والوخد والرسم : ضربان من السير ؛ والوخادة : الإبل التى تسير سيراً سريعاً والرسم : جمع رسوم ، وهى الناقة التى تؤثر فى الأرض بأخفافها لسيرها الشديد . يقول : أرى البعد عنكم يكلفنى أن أقطع كل مرحلة لا تقوم بقطعها

---

(١) أقصر : كف ، ومثله قصر ؛ واللهى : جمع لهوة ، العطية ؛ والنائل : العطاء.
(٢) الحيا المطر ، وثرى جعد ؛ وتراب جعد : لين ندى .

لَئِنْ تَرَكْنَ ضُمَيْراً عَنْ مَيَامِنِنَا لَيَحْدُثَنَّ لِمَنْ وَدَّعْتُهُمْ نَدَمُ(١)
إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَرُوا أَنْ لَا تُفَارِقَهُمْ فَالرَّاحِلُونَ هُمُ(٢)
شَرُّ الْبِلَادِ مَكَانٌ لَا صَدِيقَ بِهِ وَشَرُّ مَا يَكْسِبُ الإِنْسَانُ مَا يَصِمُ(٣)

الإبل السريعة الشديدة ؛ لبعدها وشدة أهوالها . وعبارة العكبرى : أرى النوى التى أريدها ، والرحلة التى اعتقدتها ، تقتضينى تجشم كل مرحلة وافية لا تستبد بها الإبل لبعد منالها ، ولا تطيقها لشدة أهوالها .

(١) اللام فى «ليحدثن» لام جواب القسم ؛ وترك جواب الشرط لأنهما إذا اجتمعا كان الجواب للقسم ، وترك جواب الشرط ، وضمير « تركن » للوخادة والرسم . وضمير : جبل عن يمين الراحل إلى مصر من الشام قريب من دمشق . يقول : لئن لحقت ركابى بمصر ليندمن سيف الدولة على فراقى وكان كما قال .

(٢) يقول : إذا رحلت عن قوم وهم قادرون على إرضائك حتى لا تضطر إلى مفارقتهم فهم المختارون لفراقك ، فكأنهم هم الراحلون عنك ، وإليك عبارة سائر الشراح قال الواحدى : إذا سرت عن قوم وهم قادرون على إكرامك حتى لا تحتاج إلى مفارقتهم فهم المختارون للارتحال يريد بهذا إقامة عذره فى فراقهم : أى أنتم تختارون الفراق إذا ألجأتمونى إليه وقال الإمام التبريزى إن الرجل إذا فارق أناسا ، وقد ظنوا أنه غير مفارق ، لهم أسفواله ، فكأنهم هم الراحلون وقال ابن القطاع : رحلت عن المكان : انتقلت ورحلت غيرى : نقلته وسفرته ، ومعناه إذا ترحلت عن قوم قادرين على أن لا يفارقوك ، فالراحلون عنك هم . والمعنى : أنه يخاطب نفسه ويشير إلى سيف الدولة حتى لا يذمه فى رحلته قائما فى ذلك عن نفسه بحجته . وقال العكبرى : أى إذا رحل الراحل عن قوم وهم قادرون على إزاحة علته بإسعاف رغبته ، وأغفلوه حتى ترحل عنهم ، وانقطع بالزوال منهم ، فهم الذين رحلوه ، وأزعجوه وأخرجوه ، ثم قال : وهذا من قول الحكيم : من لم يردك لنفسه فهو النائى عنك وإن تباعدت أنت عنه . وقال ابن وكيع — كعادته — : هذا مأخوذ من قول أبى تمام :

وما القَفْرُ بالبِيدِ القَــواءِ بل التى نَبَتْ بى وفيها ساكِنوها هى القفر(١)

وأين هذا من ذاك . . .

(٣) يصم : يعيب . يقول : شر البلاد مكان لا يوجد فيه من يستروح إليه ويؤنس

---

(١) القواء — بفتح القاف : الخالية لا أحد بها .

وَشَرُّ مَا قَنَصَتْهُ رَاحَتِي قَنَصٌ ... شُهْبُ الْبُزَاةِ سَوَاءٌ فِيهِ والرَّخَمُ (١)
بِأَيِّ لَفْظٍ تَقولُ الشِّعْرَ زِعْنِفَةٌ ... تَجُوزُ عِنْدَكَ لا عُرْبٌ وَلاَ عَجَمُ (٢)
هٰذَا عِتَابُكَ إلاَّ أَنَّهُ مِقَةٌ ... قَدْ ضُمِّنَ الدُّرَّ إلاَّ أَنَّهُ كَلِمُ (٣)

* * *

بوده وشر ما كسبه الإنسان ما عابه وأذله ، يريد أن هبات سيف الدولة وإن كثرت ـ مع جلالتها وسعتها ـ لا تعادل تقصيره فى حقه وإيثاره لحساده .

(١) الشهب : جمع أشهب ، وهو مافيه بياض يصدعه سواد . والرخم : جمع رخمة، طائر من الجوارح الكبيرة الجثة الوحشية الطباع . وعبارة اللغة : الرخمة طائر أبقع على شكل النسر خلقة ، إلا أنه مبقع بسواد وبياض يقال له الأنوق . والجمع رخم ورخم قالوا : وهو موصوف بالغدر والموق والقذر . يقول : شر ما قنصه الصائد وظفر به : قنص يشركه فيه البزاة الشهب مع رفعتها والرخم مع ضعتها ودناءتها ؛ وهذا مثل . يعنى شر صيد صدته ما شاركتنى فيه اللئام . يريد أن سيف الدولة يجريه فى رسم العطاء مجرى غيره من خساس الشعراء : أى إذا ساوانى فى أخذ عطائك من لا قدر له ، فأى فضل لى عليه . ؟ !

(٢) الزعنفة ـ وجمعه زعانف ـ اللئام السقاط من الناس ، وهو مأخوذ من زعنفة الأديم ـ الجلد ـ وهو ما تساقط من زوائده ، أو من زعانف السمك ـ وهى أجنحته ـ أو من زعانف القميص وهى ما تخرق من أسافله وكل هذا يشبه به الأوباش ورذال الناس . وتجوز من جواز الدرهم وهو رواجه ، وروى تخور : من خوار البقر ، وهو تصحيف ، كما قال الواحدى ، وإن كان صحيحاً فى المعنى . وهذا كما يروى أن رجلا قرأ على حماد الراوية شعر عنترة

* إذ تستبيك بذِى غروب واضحٍ *

فأبدل من الباء فى « تستبيك » نونا، فضحك حماد وقال : أحسنت ، لا أرويه بعد اليوم إلا كما قرأت . يقول ـ مخاطبا سيف الدولة ـ : هؤلاء السقاط من الشعراء بأى لفظ يقولون الشعر وهم ليسوا عربا ؟ لأنهم ليست لهم فصاحة العرب، ولا كلامهم أعجمى يفهمه الأعجام : أى أنهم ليسوا شيئا . وعبارة الواحدى : هؤلاء الخساس اللئام من الشعراء بأى لفظ يقولون الشعر وليست لهم فصاحة العرب ولا تسليم العجم الفصاحة للعرب فليسوا شيئا ؟ .

(٣) المقة : المحبة . يقول : هذا الذى أتاك من الشعر عتاب منى إليك إلا أنه محبة

وقال وقد عوفى سيف الدولة مما كان به :

الْمَجْدُ عُوفِيَ إِذْ عُوفِيتَ وَالْكَرَمُ ... وَزَالَ عَنْكَ إِلَى أَعْدَائِكَ الأَلَمُ(١)
صَحَّتْ بِصِحَّتِكَ الْغَارَاتُ وَابْتَهَجَتْ ... بِهَا الْمَكَارِمُ وَانْهَلَّتْ بِهَا الدِّيَمُ(٢)
وَرَاجَعَ الشَّمْسَ نُورٌ كَانَ فَارَقَهَا ... كَأَنَّمَا فَقْدُهُ فِي جِسْمِهَا سَقَمُ(٣)
وَلَاحَ بَرْقُكَ لِي مِنْ عَارِضَيْ مَلِكٍ ... مَا يَسْقُطُ الْغَيْثُ إِلَّا حَيْثُ يَبْتَسِمُ(٤)

وود ، لأن العتاب يجرى بين المحبين * ويبقى الود ما بقى العتاب * وهو در — يعنى حسن نظمه ولفظه — إلا أنه كلمات ، وعبارة العكبرى : هذا عتابك وهو وإن أمضك وأزعجك محبة خالصة ومودة صادقة ، فباطنه غير ظاهره ، كما أنه قد ضمن الدر لحسنه ، وإن كان كلاماً معهوداً فى ظاهر لفظه .

(١) قوله وزال الخ : إنما هو خبر وليس دعاء . يريد أن أعداءه تؤلمهم عافيته لعوده بعد ذلك إلى غزوهم كما أشار إلى ذلك فى البيت التالى .

(٢) انهلت : سالت . والديم : جمع ديمة ، وهى المطر الدائم فى سكون . كانت الغارات على بلاد الروم قد انقطعت ، فلما شفى وصح اتصلت الغارات عليها ، فكأن الغارات كانت عليلة بعلته ثم صحت بصحته وسرت المكارم بصحته لأنه صاحبها وكانت الأمطار منقطعة فلما شفى صادف اتصالها شفاءه :

(٣) يقول : إن الشمس كانت قد فقدت نورها أيام مرضه ، وكأن فقد ذلك النور كان سقما لها ، وقد عاودها ذلك النور حين صح سيف الدولة ، يعظم الأمر فى علته كعادة الشعراء ، ومبالغاتهم التى قد تفضى بهم إلى مثل هذا الهذيان وقال بعض الشراح : البيت مجاز . يريد أن الشمس فقدت بهجتها فى عيون أوليائه لعلته لاغتمامهم فلما شفى عاد إليها حسنها

(٤) العارضان : شقا الفم ، وقيل جانبا اللحية ، وعارضا الوجه وعروضاه جانباه يقول : تهلل عارضاك سروراً وابتساما ، فلاح لى منهما برق لا تخصب الأرض إلا حين تبتسم ، فيبدو هذا البرق ويتبعه غيث الجود فيحيها وذهب الواحدى والعكبرى إلى أن المراد بالعارض ما يلى الناب من داخل الفم ، أو هو الناب ؟ قال الواحدى : ويريد بالبرق ظهور ثغره عند التبسم . يقول : لاح لى ببشرك وتبسمك برق لامع ونور ساطع لا يسقط الغيث إلا فى أثره ، ولا يوجد إلا فى موضعه . يشير إلى العطاء الذى يتلو تبسمه . يعنى أنه إذا تبسم بذل ماله فيصير ذلك المكان كأن الغيث قد نزل به لأنه أخصب بجوده .

يُسَمَّى الْحُسامَ وَلَيْسَتْ مِنْ مُشابَهَةٍ ... وَكَيْفَ يَشْتَبِهُ الْمَخْدُومُ وَالْخَدَمُ (١)
تَفَرَّدَ الْعُرْبُ فِي الدُّنْيا بِمَحْتِدِهِ ... وَشارَكَ الْعُرْبَ فِي إِحْسانِهِ الْعَجَمُ (٢)
وَأَخْلَصَ اللهُ لِلإِسْلامِ نَصْرَتَهُ ... وَإِنْ تَقَلَّبَ فِى آلائِهِ الْأُمَمُ (٣)
وَمَا أُخُصُّكَ فِى بُرْءٍ بِتَهْنِئَةٍ ... إِذَ سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا (٤)

* * *

---

(١) الحسام : مفعول ثان ليسمى ، والمفعول الأول : نائب الفاعل ، وهو ضمير الممدوح والواو فى « وليست » للحال ، ومشابهة : اسم ليست ، و « من » زائدة ، وخبر « ليست » محذوف : أى وليست من مشابهة بينهما ويشتبه : يتشابه يقول : إن الممدوح يسمى بالسيف والسيف لا يشبهه ، فليست التسمية بالسيف لمشابهة بينهما ، فهو أشرف من السيف ، وإن تساويا اسما ، لأن السيف يخدمه فهو مخدوم والسيف خادم ، فكيف يتشابه المخدوم والخادم ؟

(٢) المحتد : الأصل يقول : هو عربى الأصل ، فاختصت العرب بالفخر به لأنه منهم ولكن تشارك العرب والعجم فى إحسانه وعطائه ؛ لأن إحسانه شمل الجميع ، وفى مثل هذا يقول البحترى :

غَدَا قِسْمَةً عَدْلاً فَفِيكُمْ نَوَالُه ... وفى سَرْوِ نبهانَ بن عمرو مآثِرُهْ

(٣) الآلاء : النعم يقول : إن كانت الأمم مشتركة فى إنعامه فإن نصرته خالصة لدين الإسلام لا ينصر غيره من الأديان : أى أن نصرته قاصرة على تأييد الإسلام وإن كانت نعمته شائعة بين سائر الأمم

(٤) هذا من قول أبى العتاهية :

لو علِمَ الناس كيف أنت لهم ... مات ـ إذا ما ألِمتَ ـ أكثرهم

وقال سلموا على معنى « كل » لا على لفظها ، قال الجوهرى : « كل » : لفظه واحد ؛ ومعناه جمع قال : فعلى هذا تقول كل حضر وكل حضروا ـ على اللفظ مرة ، وعلى المعنى أخرى

وأنفذ شاعر إلى سيف الدولة أبياتاً فيها يشكو الفقر ويذكر أنه رآها فى المنام فقال أبو الطيب(*) :

قَدْ سَمِعْنَا ما قُلْتَ فِي الأحلامِ وأنَلْنَاكَ بَدْرَةً فِي المَنَامِ(١)
وانْتَبَهْنَا كَمَا انْتَبَهْتَ بِلاَ شَيْ ءٍ وَكَانَ النَّوَالُ قَدْرَ الكَلاَمِ(٢)
كُنْتَ فِيمَا كَتَبْتَهُ نَائِمَ العَيْـ ـنِ فَهَلْ كُنْتَ نَائِمَ الأقْلاَمِ(٣)
أيُّهَا المُشْتَكِي إذَا رَقَدَ الإعْـ ـدَامَ لاَ رَقْدَةٌ مَعَ الإعْدَامِ(٤)
إفْتَحِ الجَفْنَ وَاتْرُكِ القَوْلَ فِي النَّوْ مِ وَمَيِّزْ خِطَابَ سَيْفِ الأنَامِ(٥)
الَّذِي لَيْسَ عَنْهُ مُغْنٍ وَلاَ مِنْ هُ بَدِيلٌ وَلاَ لِمَا رَامَ حَامِي(٦)

* كان هذا الشاعر من بغداد ، ويسمى ابن المنجم وأبياته هى :

كَانَ رسم الثَّنَاءِ مِنِّيَ شِعْراً فاقَ حُسْناً كلؤلؤٍ فى نِظَامِ
لم يُقدَّر لِقاؤُكَ اليَوْمَ فَاسْتَظْهَرتُ فيه بالكُتْبِ والأقلامِ
ولِيَ الرَّسم من تطولكَ الجَمُّ وَذَاكَ الإفْضَالِ والإنْعَامِ
فتفضَّلْ بهِ وَوَقِّعْ فإنِّى مُوثَقُ الحالِ فى يدِ الإعْدَامِ
زادكَ اللهُ رِفعةً وَعُلوًّا وَسروراً يبقى على الأيَّامِ

فوقع عليها أبو الطيب بهذه الأبيات

(١) البدرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم ، سميت ببدرة السخلة ـ جلدها ـ

(٢) النوال : العطاء يقول : كان مدحك لنا فى الحلم ، وكذلك نحن أجزنا على الحلم بالحلم ، فكانت الجائزة على نحو مدحك يريد تسفيه رأيه وتحميقه إذ لم يجعل مدحه لسيف الدولة غرضا يقصده

(٣) كنى عن رداءة لفظه وخطه ، يقول : قد كان لفظك رديئا لأنك قلته فى النوم فهل كانت أقلامك نائمة حين كتبته حتى جاء الخط رديئا أيضا ؟

(٤) الإعدام الفقر يقول : أيها المشتكى الفقر إذا نام كيف أخذك النوم مع الفقر ؟

(٥) افتح الجفن : أى لا تكن غافلا ، وفيه نكتة لا تخفى يقول : إن القول الذى قلته فى النوم لا تذكره لسيف الدولة وميز مخاطبته من مخاطبة غيره أى لا تخاطبه كما تخاطب سائر الناس

(٦) يقول : لا يغنى عنه أحد ولا يقوم مقامه ، لعموم فضله ولا يكون منه بدل ؛ لجلالة قدره ، ولا يمنع منه أحد ما يطلبه ، لسعة مقدرته

كُلُّ آبائِهِ كِرَامُ بَنِي الدُّنيـا وَلَـكِنَّهُ كَرِيمُ الْـكِرَامِ (١)

* * *

وقال يمدحه ويذكر بناءه ثغر الحدث سنة ثلاث وأربعين وثلثمائه (*).

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِى الْعَزَائِمُ وَتَأْتِى عَلَى قَدْرِ الْـكِرَامِ الْمَـكَارِمُ (٢)

وَتَعْظُمُ فى عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا وتَصْغُرُ فى عينِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ (٣)

---

(١) يقول : إن عشيرته أكرم أهل الدنيا وهو أكرم عشيرته

(*) كان سيف الدولة قد سار نحو ثغر الحدث لبنائها ، وكان أهلها قد سلموها إلى الدمستق بالأمان سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، فنزلها سيف الدولة يوم الأربعاء ثامن عشر جمادى الأخرى سنة ثلاث وأربعين ، وبدأ من يومه فوضع الأساس وحفر أوله بيده ، فلما كان يوم الجمعة نازله الدمستق فى نحو خمسين ألف فارس وراجل ، ووقع القتال يوم الاثنين سلخ جمادى الأخرى من أول النهار إلى العصر ، فحمل عليه سيف الدولة بنفسه فى نحو خمسمائة من غلمانه ، فظفر به وقتل ثلاثة آلاف من رجاله وأسر خلقا كثيراً ، فقتل بعضهم وأقام حتى بنى الحدث ، ووضع بيده آخر شرفة منها فى يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب ، فقال هذه القصيدة يمدحه ، وأنشده إياها فى ذلك اليوم فى الحدث .

(٢) العزم : الجد ـ عزم على الأمر عزما : أى أراد فعله ـ وقال الليث العزم ما عقد عليه قلبك من أمر أنك فاعله والعزائم : جمع عزيمة ، وهى ما يعزم عليه من الأمر . والمكارم : جمع مكرمة ، فعل الكرم . يقول : إن العزائم إنما تكون على قدر أصحاب العزم ، فمن كان كبير الهمة قوى العزم كان الأمر الذى يعزم عليه عظيما ، وكذلك المكارم إنما تكون على قدر أهلها : فمن كان أكرم كان ما يأتيه من المكرمات أعظم . والمعنى أن الرجال قوالب الأحوال ، فإذا صغروا صغرت ، وإذا كبروا كبرت ، وهذا كقول عبد الله بن طاهر :

إنَّ الفتُوحَ عَلَى قدر الملوكِ وهمَّـاتِ الوُلاةِ وَإقدامِ المَقادِيمِ

(٣) الضمير فى « صغارها » للعزائم والمكارم . يقول : إن صغار الأمور عظيمة فى عين الصغير القدر إذ تملأ ذرعه ، وعظامها صغيرة فى عين العظيم القدر . لأن فى همته فضلة عنها . يشير بذلك إلى شرف سيف الدولة وما فعل فى الوقعة التى ذكرنا من نفاذ عزمه وجلالة قدره .

يُكلِّفُ سيفُ الدَّوْلَةِ الْجَيْشَ هَمَّهُ
وَقَدْ عَجَزَت عنهُ الجُيُوشُ الخضَارِمُ[1]

ويطلبُ عند النَّاسِ ما عِند نفسه وذٰلِكَ مالا تدَّعِيه الضَّرَاغِمُ[2]

يُفدِّى أتَمُّ الطيرِ عُمراً سِلاَحه نُسُور المَلاَ أحداثُها والقَشَاعِمُ[3]

وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِغَيْرِ مَخَالِبٍ وَقَدْ خُلِقَتْ أسْيَافُهُ وَالْقَوائِمُ[4]

---

(١) الهم : الهمة ، وهو ماهممت به من أمر لتفعله ، والخضارم : جمع خضرم ، وهو الكثير العظيم من كل شيء . يقول : يكلف سيف الدولة جيشه أن يقوم بما تقتضيه همته من الغارات والغزوات ،وهو أمر لا قبل للجيوش الكثيرة به ، لأن مافى همته ليس فى طاقة البشر تحمله .

(٢) الضراغم : الأسود . يقول : إن سيف الدولة يريد أن يكون الناس مثله شجاعة وإقداما . وذلك شيء لا تدعيه الأسود ، فكيف تبلغه البشر ؟

(٣) نسور : بدل من أتم الطير ،أو عطف بيان ، وأحداثها والقشاعم :بدل تفصيل من نسور ، والملا : بمعنى الفلاة . ويروى الفلا : جمع فلاة ، وهى الصحراء.والأحداث الشابة ، جمع حدث : والقشاعم : الطويلات العمر ويقال للحرب والمنية والذلة أم قشعم وبكل أولئك فسر قول زهير :

فَشَدَّ ولم يُفزِعْ بيوتاً كثيرةً لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم[1]

وأراد بأتم الطير : عمر النسور ، وقد بينه بالمصراع الثانى . يقول : إن النسور صغارها وكبارها تقول لأسلحته فديناك بأنفسنا ، لأنها كفتها مؤنة طلب الأقوات ، لكثرة القتلى فى وقائعه .

(٤) « ما » : نفى ، أو استفهام إنكار ؛ وخلق : مصدر خلق يخلق . والمخالب . جمع مخلب ، وهو لسباع الطير كالظفر للانسان والقوائم : جمع قائم ، وهو قائم السيف أى مقبضه . يقول . ليس يضر الأحداث من النسور ــ أى الفراخ ــ والقشاعم ــ أى

---

(١) من معلقة زهير . يقول : لحمل حصين بن ضمضم على الرجل الذى رام أن يقتله بأخيه ولم يفزع بيوتا كثيرة ؛ أى لم يتعرض لغيره عند ملقى رحل المنية ، وملقى الرحل المنزل لأن للمسافر يلقى به رحله . أراد عند منزل المنية وجعله منزل المنية لحلولها قتل حصين

هَلِ الْحَدَثُ الْحَمْرَاءُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا   وَتَعْلَمُ أَىُّ السَّاقِيَيْنِ الْغَمَائِمُ(١)
سَقَتْهَا الْغَمَامُ الْغُرُّ قَبْلَ نُزُولِهِ   فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَتْهَا الْجَمَاجِمُ(٢)
بَنَاهَا فَأَعْـلَى وَالْقَنَا تَقْرَعُ الْقَنَا   وَمَوْجُ الْمَنَايَا حَوْلَهَا مُتَلَاطِمُ(٣)
وَكَانَ بِهَا مِثْلُ الْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ   وَمِنْ جُثَثِ الْقَتْلَى عَلَيْهَا تَمَائِمُ(٤)

المسنة التى ضعفت عن طلب القوت ـ وخص هذين النوعين لعجزهما عن طلب الرزق ـ ليس يضر هذين أن لا يكون لهما مخالب قوية مفترسة بعد أن خلقت أسياف سيف الدولة فإنها تقوم بكفاية قوتها ، ولك أن تقول إن المعنى : وما ضرها لو خلقت بغير مخالب ؟ كما تقول ما ضر النهار ظلمته مع حضورك وليس النهار بمظلم لكنك تريد ما ضره لو خلق مظلما . وعبارة العكبرى ـ وهى بمعنى التفسير الأول ـ : ما يضرها أن تخلق بغير مخالب تستعملها فيما تأكله وتصرفها فيما تنشبه ، لأن سيوفه تبلغها فى ذلك ما ترغبه ، وتفعل لها ما تريده وتطلبه . هذا : وقد مر فى هذا الشرح كثير مما قاله الشعراء فى هذا المعنى، ومن مستحسن ما قيل فى ذلك قول ابن نباتة السعدى ـ وقد أخذه من المتنبى ـ :

وَيَوْمَاكَ يَوْمٌ لِلْعُفَاةِ مُذَلَّلٌ   ويوم إلى الأعداء منك عَصَبْصَبُ
إذا حَوَّمَتْ فَوْقَ الرِّمَاحِ نُسُورُهُ   أطار إليهـا الضَّرْبُ ما تترقبُ

(١) الحدث : قلعة معروفة بناها سيف الدولة فى بلاد الروم ، ووصفها بالحمراء لأنها احمرت بدماء الروم ، وذلك أن الروم غلبوا عليها وتحصنوا بها ، فأتاهم سيف الدولة وقتلهم فيها حتى تلطخت بدمائهم ، يقول : هل تعرف هذه القلعة لونها ؟ يعنى أنه غير ما كان من لونها بالدم ـ وهل تعلم أى الساقيين لها هو الغمائم : أجماجم الروم التى سقتها بالدم ، أم السحائب التى سقتها بالمطر ؟ يعنى أن الجماجم أجرت عليها من الدماء مثل ما أجرت عليها السحائب من الماء ، فهى لا تدرى أى هذين الفريقين أحق بأن يسمى بالغمائم لأنهما استويا فى السقيا وقد بين هذا المعنى فى البيت التالى . وقوله أى الساقيين الغمائم : مبتدأ وخبر سدا مسد مفعولى تعلم .

(٢) الغمام : جمع غمامة ؛ والغر : البيض .

(٣) فأعلى : أى فأعلاها . والقنا : الرماح . يقول : بناها ورماح المسلمين تقارع رماح الروم والجيشان يتقاتلان والمنايا تسلب الأرواح ، واستعار للمنايا موجاً متلاطما لكثرتها : أى لكثرة القتل ، فكأن المنايا بحر تتلاطم أمواجه .

(٤) مثل : اسم كان ، وهو خلف من موصوف : أى شىء مثل الجنون؛ وأصبحت

طَرِيدَةُ دَهْـــرٍ سَاقَهَا فَرَدَدْتَهَا ... عَلَى الدِّينِ بِالْخَطِّيِّ وَالدَّهْرُ رَاغِمُ (١)
تُفِيتُ اللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذْتَهُ ... وَهُنَّ لِمَا يَأْخُذْنَ مِنْكَ غَوَارِمُ (٢)

تامة ، والواو بعدها للحال . والتمائم : جمع تميمة ، وهى العوذة ،يتوقون بها مس الجن جعل اضطراب الفتنة فيها جنونا لها ، وذلك أن الروم كانوا يقصدونها ويحاربون أهلها فلا تزال الفتنة بها قائمة ، فلما قتل سيف الدولة الروم وعلق القتلى على حيطانها سكنت الفتنة وسلم أهلها ، فجعل جثث القتلى كالتمائم عليها حيث أذهبت ما بها من الجنون.وهو إسكان الفتنة ؛ قال أبو الطيب : مارد على أحد شيئا فقبلته إلا سيف الدولة فإنى أنشدته ومن جيف القتلى ، فقال لى : منه ، قل : ومن جثث القتلى ، فقبلت وقلت كما قال لى. قال ابن وكيع : وقد لاذ أبو الطيب بقول أبى تمام :

تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجَنُّ جُنُونُهَا ... إذا لم يعَوِّذْهَا بِنَغْمَةِ طالب

(١) الطريدة : المطرودة ؛ أى ما طردته من صيد أو غيره . والخطى:الرماح وراغم ذليل ؛ وأصل الرغم : أن يلتصق الأنف بالرغام ــ أى التراب ــ يقول : إن هذه القلعة كالطريدة أمام الدهر تعقبتها حوادثه إذ سلط عليها الروم حتى خربوها ، فأعدت بناءها ورددتها على أهل الدين ، فذل الدهر حين خالفته فيما قصد وأراد .

(٢) تفيت : من الفوت ، وأفاته الشىء : حمله على فوته ، وفاعل تفيت : ضمير المخاطب ، والليالى : مفعول أول ، وسكنه ضرورة ، أو على لغة ؛ وكل شىء : مفعول ثان . وغوارم جمع غارمة ، وغرم الدين والغصب وغير ذلك : أداه . يقول : إذا سلبت الليالى شيئا أفته عليها فلم تقدر على استرداده منك ، وهى إذا أخذت منك شيئا غرمته وروى أخذنه ــ بالنون ــ ضمير الليالى ، فتكون الليالى فاعل « تفيت » والمفعول الأول محذوف : أى من عادة الليالى إذا أخذت شيئا أن لا ترده على صاحبه فتفيته إياه ؛ فإن أخذت منك شيئا غرمته : يعنى أنت أقوى من الدهر ، فإنه لا يقدر على مخالفتك والتمرد عليك ؛ وهذا من قول بعضهم :

فــما أدْرَكَ السَّاعُونَ فِينَا بِوِتْرِهِم ... ولا فَاتَنَا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ وَاتِرُ

وقال الطرماح :

إن نَأْخُذِ النَّاسَ لا تُدْرَكْ أَخِيذَتُنَا ... أو نَطَّلِبْ نَتَعَدَّى الحقَّ فى الطَّلَبِ

وقال التبريزى وابن القطاع : من رواه بالنون أفسد المعنى ، قال ابن القطاع : قال لى شيخى محمد بن البراء التميمى : قال لى صالح بن رشد : قرأت على المتنبى أخذنه بالنون

إِذَا كَانَ مَا تَنْـــوِيهِ فِعْلا مُضَارِعًا
مَضَى قَبْـــلَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْهِ الْجَوَازِمُ[1]

فقال : صحفت يا أبا على ، قلت : وكيف قلت ؟ فقال : قلت أخذته ـ بالتاء ـ لأنى لو قلت بالنون لأفسدت المعنى والإعراب ونقضت قولى فى آخر البيت ،وذلك أن تفيت يتعدى إلى مفعولين ، فإذا جعلت « الليالى » فاعله ونصبت « كل شيء » لم يكن مفعولا ثانيا ففسد الإعراب ، وإذا قلت بالتاء جعلت « الليالى » مفعولا أولا و « كل شيء » ثانيا. وأما فساد المعنى فلو جعلت « الليالى » الفاعلة لجعلتها تفيت كل شيء ولا تغرمه ، ثم نقضته بقولى : * وهن لما يأخذن منك غوارم * وإنما المعنى تفيت ياسيف الدولة الليالى كل شيء أخذته منها فلا تغرمه لها ، وهن غوارم لك ما يأخذن فصح المعنى

(١) النحويون يسمون الفعل المستقبل مضارعا ، فالمضارع هنا المراد به المستقبل ، يقول : إذا نويت أن تفعل أمراً فكان ذلك فعلا مستقبلا مضى ذلك الذى نويته قبل أن يجزم ذلك الفعل ؛ وأراد بالجوازم : « لم ؛ و« لا ، ولام الأمر » أى إذا نوى أن يفعل أمراً مضى قبل أن يقال له لا تفعل ، لأنه يسبق بما يهم به نهى الناهين وعذل العاذلين وقبل أن يؤمر به فيقال : ليفعل كذا وليعط فلانا ولينجز ماوعد به : أى أن ما ينوى فعله يعالجه قبل أن يتصور فيه نهى أو طلب ، وعبارة بعض الشراح : إذا نويت أن تفعل أمراً وقع ذلك الفعل لوقته فصار ماضيا قبل أن تكون فيه مهلة لدخول الجازم ، وخص أدوات الجزم من عوامل المضارع ، لأنها لغير الإيجاب فإن منها للنفى وهو «لم» و « لما » ومنها للطلب ، وهو « لا » و « اللام » وبواقيها للشرط ، فكأنه يقول : إذا هممت بأمر عاجلته قبل أن يتصور فيه النفى وقبل أن يقول القائل لا تفعل أو ليفعل سيف الدولة كذا وكذا ، ولم تنتظر أن يقدر فيه شرط أو جزاء ، كأن يقال إن تفعل كذا يترتب عليه كذا لأن ما ينويه لا يتوقف على شرط ، ولا يخاف وراءه عاقبة . وعبارة العكبرى : يريد : ما أسعده الله به وأظهره له من سعده فى قصده ، فإذا كان ما ينويه فعلا مستقبلا ـ ولفظ المستقبل يقع على الدائم الذى لم ينقطع وعلى المتأخر الذى لم يقع ـ صار ذلك الفعل ماضيا بوقوعه منه ، ومتصرفا بتمكنه منه قبل أن تلحقه الجوازم ، فتثبته فيما لم يجب وتدخل عليه فتخلصه فيما لم يقع ، قال ابن وكيع : هو مأخوذ من قول أبى تمام :

خرقاء يَلْعَبُ بِالعُقُول حَبَابُهَا   كتلاعب الأفعال بالأسماء[1]

(١) من قطعة فى وصف الخمر .

وَكَيْفَ تُرَجِّى الرُّومُ وَالرُّوسُ هَدْمَهَا
وَذَا الطَّعْنُ آسَاسٌ لَهَا وَدَعَائِمُ(١)

وَقَدْ حَاكَمُوهَا وَالْمَنَايَا حَوَاكِمٌ
فَمَا مَاتَ مَظْلُومٌ وَلاَ عَاشَ ظَالِمُ(٢)

أَتَوْكَ يَجُرُّونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ سَرَوْا بِجِيَادٍ مَا لَهُنَّ قَوَائِمُ(٣)

إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرَفِ الْبِيضُ مِنْهُمُ ثِيَابُهُمُ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعَمَائِمُ(٤)

قال العكبرى : والبيت بناه على التورية .

(١) الآساس : جمع أس . قال أهل اللغة : الأس ـ وهو أصل البناء ـ يجمع على إساس مثل عس وعساس : جمع الأساس : أسس ، مثل قذال وقذل ؛ وجمع الأسس : آساس ؛ مثل سبب وأسباب . والدعائم : جمع دعامة ، وهى عماد البيت ، وكل شىء يستند إليه ويتقوى به فهو دعامة يقول . كيف يؤملون هدم هذه القلعة وهى موثقة بطعنك الذى أعملته فيهم ؟ فالطعن لها كالآساس والدعائم حيث وثقت به كما يوثق البناء بالآساس والدعائم .

(٢) جعل القلعة والروم خصمين ، والمنايا فى الحرب حاكمة بينهما فحكمت للمظلوم ـ وهو القلعة ـ بالسلامة ، فلم تترك لهم سبيلا إلى هدمها ، وحكمت على الظالم ـ وهو الروم ـ بالهلاك فأبادتهم .

(٣) السرى : سير الليل ؛ والجياد : الخيل . يقول . أتوا مدججين فى السلاح ، ولكثرة الحديد عليهم وعلى خيولهم كانت خيولهم كأنها لا قوائم لها : أى لا ترى ، لأنها محجبة بالتجافيف التى على الخيول .

(٤) البرق : اللمعان ؛ والبيض : السيوف . وبرقوا : يعنى الروم . يقول : إذا برقوا لكثرة ما عليهم من الحديد لم يفرق بين سيوفهم وبينهم لأن عمائمهم الخوذ وثيابهم الدروع ، فهم كالسيوف : فقوله ثيابهم من مثلها : أى من مثل السيوف ، يعنى من الحديد : قال العكبرى : وأشار بهذا الوصف ـ أعنى كثرة سلاح هذا الجيش ـ إلى قوته ، وعبارة بعض الشراح : إذا برقوا عند وقع الشمس عليهم لم تتميز السيوف منهم ، لأن أبدانهم مغطاة بالدروع ورءوسهم بالخوذ ، وكلها من الحديد ، فإذا برقت السيوف برقت هذه معها ؛ وعبر عن الدروع والخوذ بالثياب والعمائم على الاستعارة ، لأنها تلبس فى أمكنتها . قال العكبرى : وسمعت بعضهم ـ وكان شيخنا يقرأ عليه هذا

خَمِيسٌ بِشَرْقِ الأَرْضِ وَالْغَرْبِ زَحْفُهُ
وَفِي أُذُنِ الْجَوْزَاءِ مِنْهُ زَمَازِمُ(١)
تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ لِسْنٍ وَأُمَّةٍ فَمَا تُفْهِمُ الْحُدَّاثَ إِلاَّ التَّرَاجِمُ(٢)

الديوان ــ يقول : أخطأ أبو الطيب ، كيف ذكر العمائم والعمائم للعرب وليست للروم، فكيف جعلها للروم ؟ فضحكت من قوله وقلت له : الضمير فى « مثلها » إلى أين يعود ؟ أليس إلى البيض ، وهى السيوف ؟ فلم يدر ما قلت .

(١) الخميس : الجيش العظيم . سمى بذلك لأن له ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين . والزحف : التقدم ؛ وأصله المشى مع تثاقل . والجوزاء : نجمان معترضان فى جوز السماء : أى وسطها ، وهما من البروج ؛ والزمازم : الأصوات التى لا تفهم لتداخلها ، وأصل الزمزمة : صوت الرعد ؛ وأراد الأصوات الشديدة المتداخلة . يقول : إن هذا الجيش لكثرته طبق الأرض وبلغت أصواته السماء . قال الواحدى : وخص الجوزاء بالذكر من بين سائر البروج لأنها على صورة انسان . قال الشراح : ولم يسمع فى وصف جيش مثل هذا ومثل قول أبى تمام :

مَلأَ الملا عُصباً فكَادَ بأنْ يُرَى لاَ خَلْفَ فِيه ولا له قُدَّامُ

(٢) اللسن : اللغة ، واللسان أيضا . والحداث : جمع حادث ، بمعنى متحدث ؛ ومنه قول المجنون :

أتيتُ مع الْحُدَّاثِ ليلى فلم أبِنْ فأخْلَيْتُ فاستعْجَمْتُ عِند خلائي
ذهبْتُ فلم أصبرْ وعُدْتُ فلَمْ أبِنْ جواباً كِلا اليومين يومُ بلائِي(١)

وقول سويد بن أبى كاهل :

يُسْمِعُ الْحُدَّاثَ قولاً حسناً لو أرادوا غيره لم يستطعْ

والتراجم : جمع ترجمان ــ بفتح التاء وبضمها ــ اتباعا لضم الجيم ــ يقول : اجتمع فى هذا الجيش كل جيل من الناس وأهل كل لغة من اللغات ، فإذا كلم جيل منهم من

---

(١) قال الزجاجى فى أماليه : أخليت : وجدتها خالية ــ مثل أجبنته ــ أى وجدته جبانا ؛ فعلى هذا يكون مفعول « أخليت » محذوفا : أى أخليتها . وقد أورد البيت الأول كل من الجوهرى وابن منظور هكذا منسوبا إلى عق بن مالك العقيلى ، وفى المحكم : عند خلائيا وبلائيا

فَلِلّهِ وَقْتٌ ذَوَّبَ الْغِشَّ نَارُهُ ... فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ صَارِمٌ أَوْ ضُبَارِمُ،(١)
تَقَطَّعَ مَا لاَ يَقْطَعُ الدِّرْعَ وَالْقَنَا ... وَفَرَّ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لاَ يُصَادِمُ،(٢)
وَقَفْتَ وَمَا فِي الْمَـــوْتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ
كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُـــوَ نَائِمُ،(٣)

ليس من أهل لغته : احتاج إلى مترجم يترجم له وكل هذا إشارة إلى عظم الجيش وما قد جمع فيه من المقاتلة

(١) عنى بالغش : الضعاف من الرجال والأسلحة والصارم : السيف القاطع . والضبارم : الشجاع الجرىء ؛ وأصله الأسد الشديد الغليظ . يتعجب من ذلك الوقت الذى قامت الحرب فيه بين سيف الدولة وبين الروم يقول : ما كان مموهامغشوشاً هلك وتلاشى لرداءته كأنه ذاب بنار الحرب . ولم يبق من السيوف إلا السيف القاطع ولا من الرجال إلا الضبارم ، وبعبارة أخرى : إن نار الحرب فى ذلك اليوم سبكت الناس وأسلحتهم فأفنت ما كان رديئاً ولم يبق إلا كل سيف صارم ورجل شجاع .

(٢) يقول : تكسر من السيوف مالم يكن ماضيا يقطع الدروع والرماح ، وهرب الجبناء الذين لا يقدرون على المصادمة ومن روى « فقطع » أراد الوقت ، يعنى أن الوقت كان صعبا لم يبق معه إلا الخلص من الرجال والأسلحة

(٣) الردى : الهلاك . يقول : وقفت فى ساحة القتال حين لا يشك واقف فى الموت ، لشدة الموقف وكثرة المصارع فيه ، حتى كأنك فى جفن الردى وهو نائم فلم يبصرك وغفل عنك بالنوم فسلمت قال الواحدى : سمعت الشيخ أبا معمر الفضل ابن إسماعيل القاضى يقول : سمعت القاضى أبا الحسين على بن عبد العزيز يقول : لما أنشد المتنبي سيف الدولة هذا البيت والذى بعده أنكر عليه سيف الدولة تطبيق عجزى البيتين على صدريهما وقال له كان ينبغى أن تقول .

وقفت وما فى الموتِ شَكٌّ لواقفٍ ... ووجهك وضـــاح وثغرُك باسم
تمرُّ بك الأبطالُ كلمى هزيمـــة ... كأنك فى جفن الرَّدى وهْوَ نائم

ثم قال وأنت فى هذا مثل امرىء القيس فى قوله :

كأنى لم أركب جـــواداً لِلَذَّةٍ ... ولم أتبطن كاعِباً ذاتَ خلخالِ
ولم أسْبأ الزِّقَّ الرَّوِيَّ ولم أقُلْ ... لِخيلىَ كُرِّى كَرَّةً بعد إجفالِ

تَمُرُّ بِكَ الأَبْطَالُ كَلْمَى هَــزِيمَةً
وَوَجْهُــكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بَاسِمُ(١)

قال : ووجه الكلام فى البيتين على ما قاله العلماء بالشعر أن يكون عجز الأول مع الثانى ، وعجز الثانى مع الأل ، ليستقيم الكلام ، فيكون ، ركوب الخيل مع الأمر للخيل بالكر ، ويكون سباء الخمر مع تبطن الكاعب ؛ فقال أبو الطب : أدام الله عز مولانا ، إن صح أن الذى استدرك هذا على امرئ القيس أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعرف أن الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك : لأن البزاز يعرف جملته ، والحائك يعرف جملته وتفصيله ، لأنه أخرجه من الغزلية إلى الثوبية ، وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن السماحة فى شراء الخمر للأضياف بالشجاعة فى منازلة الأعداء ، وأنا لما ذكرت الموت فى أول البيت أتبعته بذكر الردى ليجانسه : ولما كان وجه المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسا ، وعينه من أن تكون باكية : قلت * ووجهك وضاح وثغرك باسم * لأجمع بين الأضداد فى المعنى . فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله بخمسين ديناراً من دنانير الصلات وفيها خمسمائة دينار. قال الواحدى : ولا تطبيق بين الصدر والعجز أحسن من بيتى المتنبى ، لأن قوله * كأنك فى جفن الردى وهو نائم * هو معنى قوله * وقفت وما فى الموت شك لواقف * فلامعدل لهذا العجز عن هذا الصدر ، لأن النائم إذا أطبق جفنه أحاط بما تحته ، فكأن الموت قد أظله من كل مكان كما يحدق الجفن بما يتضمنه من جميع جهاته ، فهذا هو حقيقة الموت. وقوله « تمر بك الأبطال » هو النهاية فى التطابق للمكان الذى تكلم فيه الأبطال فتكلح وتعبس . وقوله « ووجهك وضاح » لاحتقار الأمر العظيم .

(١) كلمى : جمع كليم ، بمعنى جريح . وهزيمة : أى منهزمة . وهو من باب فعيل بمعنى مفعول ، والتاء فيه للجمع ، على مذهب البصريين ، ووضاح : مشرق ، والمعنى ، ظاهر ، ولكن الإمام العكبرى أبى إلا أن يفسر البيت بعبارته المسجوعة الجميلة ، قال : أى تمر بك الجرحى من الأبطال منهزمين ، وكلمى مستسلمين ، وذلك لا يثنى عزمك ، ولا يضعف نفسك ، بل كنت حينئذ وضاحا غير متخوف ، وبساما غير متضجر ، واثقا من الله بنصره ، متيقنا بما وصلك به من جميل صنعه ، قال : وهذا كما قال مسلم بن الوليد :

يفترُّ عنــدَ اقتراب الحرب مُبتسما ‏ ‏ ‏ ‏ إذا تغيرَ وَجــهُ الفارس البطلِ

تَجاوَزْتَ مِقْــدارَ الشَّجاعَةِ وَالنُّهى
إلَى قَوْلِ قَوْمٍ أنْتَ بالْغَيْبِ عالِمُ،(١)

ضَمَمْتَ جَناحَيْهِمْ عَلَى الْقَلْبِ ضَمَّةً   تَمُوتُ الْخَوافِى تَحْتَها وَالْقَوادِمُ،(٢)

بِضَرْبٍ أتَى الْهاماتِ وَالنَّصْرُ غائِبٌ   وَصارَ إلَى اللَّبّاتِ وَالنَّصْرُ قادِمُ،(٣)

---

(١) النهى : جمع نهية ، وهى العقل ، وإلى قول قوم : صلة « تجاوزت » ، وتتمة البيت : مفعول القول . يقول : أظهرت من إقدامك وعزمك وجلدك على المخاوف ما تجاوزت به حد الشجاعة والعقل إلى ما يقول قوم من أنك تعلم الغيب وتعرف أعقاب الأمور قبل حلولها : يعنى أن ما اقتحمته من الأهوال لا تثبت أمامه شجاعة وما أظهرته من الصبر ورباطة الجأش لا يكفى فى مثله العقل والرصانة ، فكأنك قد كوشفت بالغيب وعرفت أن العاقبة لك ، فلبثت فى تلك الحال وضاحا بساما لا تكترث لما تراه حولك من الأهوال : قال ابن جنى فى تعليقاته على هـذا البيت : فى آخره بعض التنافر لأوله، لأن الشجاعة لا تذكر مع علم الغيب ، ولولا أنه ذكر العقل لكان أشد تباينا ، لأن العاقل عارف بأعقاب الأمور ، ولو كان موضع الشجاعة الفطانة : لكان أليق بعلم الغيب إلا أنه كان فى ذكر الحرب وكانت الشجاعة من ألفاظ وصفها ويجوز أن يكون ذكر الشجاعة مع علم الغيب ؛ لأنه كان قد عرف مايصير إليه فشجع ولم يحذر الموت .

(٢) يريد بالجناحين ؛ ميمنة الجيش وميسرته ، وهما جانبا العسكر . ولما سماها جناحين ؛ جعل رجالها خوافى وقوادم ؛ والجناح : يشتمل على القوادم وهى من الريش ما فوق الخوافى ، قيل إنها عشر ريشات فى مقدم جناح الطائر ، وعليها معوله فى طيرانه والخوافى : ما تحت القوادم . يقول : لففت جناحى العسكر ـ عسكر الروم ـ على القلب فأهلكت الجميع ، وقوله تموت الخوافى تحتها : أى تموت تحت مثل هذه الضمة، ولذلك عبر بالمضارع .

(٣) بضرب : متعلق بضممت ، والهامات : الرءوس ؛ واللبات : النحور . يريد سرعة انتصاره عليهم ، يقول : لم يك إلا حملة بالسيوف وقعت على هاماتهم والجيشان واقفان لا يتحقق النصر لأحدهما ، فما بلغت من الهامات إلى اللبات حتى انهزموا فكان النصر لك ، وقال ابن جنى : إذا ضربت عدوا فحصل سيفك فى رأسه لم تعتد ذلك نصرا ولا ظفرا : فإذا فلق السيف رأسه فصار إلى لبته ، فحينئذ يكون ذلك عندك نصرا ولا يرضيك مادونه . وعبارة ابن فورجة : ـ وهى فى عراض ما قلناه ـ إنما عنى

حَقَرْتَ الرُّدَيْنِيَّاتِ حتى طَرَحْتَها ... وَحتى كأنَّ السَّيفَ لِلرُّمْحِ شاتِمُ (١)

وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فإنَّما
مَفاتِيحُهُ الْبِيضُ الْخِفافُ الصَّوارِمُ (٢)

نَثَرْتَهُمُ فَوْقَ الْأُحَيْدِبِ كُلِّهِ
كما نُثِرَتْ فَوْقَ الْعَرُوسِ الدَّراهِمُ (٣)

تَدُوسُ بِكَ الْخَيْلُ الْوُكُورَ عَلَى الذُّرَى
وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ الْوُكُورِ الْمَطاعِمُ (٤)

أبو الطيب سرعة وقوع النصر وأنه لم يلبث إلاقدر وصول السيف للضروب به من الهامة إلى اللبة ، كأنه يقول : نازلت العدو والنصر غائب ، وضربتهم بالسيف وقد قدم النصر .

(١) الرديفيات : الرماح ، نسبة إلى ردينة ، امرأة باليمامة كانت هى وزوجها يعملان الرماح . يقول : تركت القتال بالرماح وازدريتها لأنها سلاح الجبناء أما سلاح الشجعان فهو السيف . لاقتضائه مقاربة مابين الفريقين فى القتال ؛ لهذا عمدت إليه واخترته ؛ ولما آثرت السيف على الرمح فى القتال صار كأن السيف يعير الرمح لأنه يطعن من بعيد ، والسيف من قريب ، فكأنه يسبه بالضعف وقلة الغناء . وعبارة العكبرى ـ التى لا تخرج عن هذا وإنما نوردها لجمالها ـ قال : إنك طرحت الرماح واستقللت فعلها ، وعدلت إلى السيوف عالما بفضلها ، واعتمدتها لخبرتك بأمرها ، فكأنها شتمت الرماح بتصغيرها لشأنها وأهانتها تسخطاً لفعلها :

(٢) البيض : السيوف ؛ والخفاف : المرهفة ؛ والصوارم : القواطع ؛ ومفاتيحه : أى مفاتيح الفتح .

(٣) الأحيدب : جبل الحدث . ونثرتهم : فرقتهم . يقول : نثرت جثثهم فوق هذا الجبل كما تنثر الدراهم على العروس ، يعنى تفرقت مصارعهم على هذا الجبل كما تتفرق مواقع الدراهم إذا نثرت ، قال العكبرى : وهذا من محاسن أبى الطيب ،وقدأشاربهذا إلى أن سيف الدولة تحكم فى الروم قتلا وأسراً ، وبثرجيشهم فوق هذا الجبل نثراً .

(٤) وكر الطائر : موضع مبيته ؛ والجمع : وكور ؛ والذرى:أعالى الجبال : يقول : إنك تتبعهم بخيلك فى رءوس الجبال حيث وكور جوارح الطير فتقتلهم هناك حتى تكثر مطاعم الطير حول وكورها . وعبارة بعض الشراح : تدوس بك الخيل فى آثار الروم وكور الطير فى رءوس الجبال وقنن الأوعار وقد كثرت الجثث من القتلى حول الوكور

تَظُنُّ فِرَاخُ الْفُتْخِ أَنَّكَ زُرْتَهَا ... بِأُمَّاتِهَا وَهْيَ الْعِتَاقُ الصَّلَادِمُ(١)
إذا زَلِقَتْ مَشَّيْتَهَا بِبِطُونِهَا ... كَمَا تَتَمَشَّى فِي الصَّعِيدِ الْأَرَاقِمُ(٢)
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ ذَا الدُّمُسْتُقُ مُقْدِمٌ ... قَفَاهُ عَلَى الْإِقْدَامِ لِلْوَجْهِ لَائِمُ(٣)
أَيُنْكِرُ رِيحَ اللَّيْثِ حَتَّى يَذُوقَهُ ... وَقَدْ عَرَفَتْ رِيحَ اللُّيُوثِ الْبَهَائِمُ(٤)

بكثرة من قتلته هنالك فرسانك ومن أهلكه من الروم جيشك وغلمانك ، وأشار بذلك — أى كثرة الجثث حول وكور الطير مع انتزاح مواضعها وامتناع أماكنها — إلى ما كان الروم عليه من شدة الهرب . وما كان أصحاب سيف الدولة عليه من قوة الطلب. وأنهم قتلوهم فى رءوس الجبال ، وأدركوهم فى أبعد غايات الأوعار .

(١) الفتخ : جمع فتخاء ، إناث العقبان، سميت بذلك لطول جناحها ولينه فى الطيران والفتخ : لين المفاصل . والأمات : جمع أم فيما لا يعقل ، وقد جاء فيه أمهات حملا على من يعقل : والعتاق : كرام الخيل ؛ والصلادم : جمع صلدم ، وهى الفرس الشديدة الصلبة . يقول : تظن فراخ العقبان — لما صعدت خيلك الجبال وبلغت أوكارها — أنها أمهاتها ؛ يعنى أن خيلك كالعقبان شدة وسرعة وضمراً ، كما قال :

نظروا إلى زُبَرِ الحديد كأنما ... يَصْعَدْنَ بينَ مناكبِ العِقْبَانِ

وقال ابن الأفليلى : تظن فراخ العقبان — لكثرة ما صيرت حول وكورها من جثث القتلى — أنك زرتها بأماتها فأمددتها بمطاعمها وأقواتها ، وإنما فعل ذلك صلادم خيلك ، وكثرة كتائب جيشك .

(٢) الصعيد : وجه الأرض ؛ والأراقم : الحيات فيها سواد وبياض . يقول : إذا زلقت الخيل فى صعودها الجبال جعلتها تمشى على بطونها فى تلك المزالق مشى الحيات على بطونها فى الصعيد ، يصف صعوبة مراقيها فى الجبال .

(٣) الدمستق . صاحب جيش الروم ، وأقدم : خلاف أدبر . وقوله قفاه —إلى آخر البيت — حال من الضمير فى « مقدم » . يقول : أكل يوم يقدم عليك الدمستق ، ثم يفر فيلوم قفاه وجهه على إقدامه قائلا له : لم أقدمت حتى عرضتنى للضرب بهزيمتك ؟ وذلك أن إقدامه سبب هزيمته والضرب فى قفاه

(٤) الليث : الأسد. ويذوقه: معناه يجربه ويختبره—يقال ذاق ماعندفلان:أى جربه— والضمير: لليث. يشير إلى أن الدمستق أجهل من البهائم لأن البهائم إذاشمت ريح الأسد وقفت ولم تتقدم . وهذا على طريق التمثيل ، والمعنى أنه يسمع خبر سيف الدولة ، ومبلغ

وَقَدْ فَجَعَتْهُ بابنهِ وَابْنِ صِهْرِهِ ... وَ بِالصِّهْرِ حَمْلاتُ الأَمِيرِ الغَوَاشِمُ (١)

مَضَى يَشْكُرُ الأَصْحَابَ فِي فَوْتِهِ الظُّبَى ... بِمَا شَغَلَتْهَا هَامُهُمْ وَالمَعَاصِمُ (٢)

وَيَفْهَمُ صَوْتَ المَشْرَفِيَّةِ فِيهِمِ ... عَلَى أَنَّ أَصْوَاتَ السُّيُوفِ أَعَاجِمُ (٣)

يُسَرُّ بِمَا أَعْطَاكَ لاَ عَنْ جَهَالَةٍ ... وَلَكِنَّ مَغْنُوماً نَجَا مِنْكَ غَانِمُ (٤)

شجاعته ، فيأتيه مقاتلا ثم ينهزم ؛ ولو هو خام عن اللقاء وانهزم من غير قتال لكان أحزم .

(١) فجعه : رزأه بشىء يكرم عليه . وجمع فعلة : فعلات بفتح العين فى الصحيح وإنما أسكن الميم من حملات ضرورة . والصهر : أهل بيت المرأة ؛ ولا يقال لأهل بيت الرجل إلا أختان ، وأهل بيت المرأة أصهار ، يقال صاهرت القوم : إذا تزوجت فيهم وأصهرت بهم : إذا اتصلت بهم وتحرمت بجوار أو نسب أو تزوج ، وقال ابن الأعرابى الصهر : زوج بنت الرجل وزوج أخته ، والختن : أبو امرأة الرجل وأخو امرأته . ومن العرب من يجعلهم أصهاراً كلهم ، ومن العرب من يجعل الصهر من الأحماء والأختان جميعاً ، والغواشم : التى لا تبالى من أخذت ؛ يقول : هلا اعتبر بمن رزئه من هؤلاء فلا يجترىء على العود إلى الإقدام ؟ وعبارة العكبرى : يريد أن حملات سيف الدولة فجعت الدمستق بابنه وأصهاره ، وهو لا يرتدع بحملاته الغواشم للأقران ، الغواصب لأنفس الفرسان ، فما للدمستق لا يكفه عن التعرض لهما أسلف سيف الدولة من الايقاع ؟

(٢) الظبى : جمع ظبة ، حد السيف ، والهام : الرءوس ؛ والمعاصم : جمع معصم ؛ أطراف السواعد . يقول : انهزم وهو يشكر أصحابه لأن السيوف اشتغلت بهم عنه ، فكأنهم وقوه السيوف برؤسهم وأيديهم حتى سبق وفات السيوف .

(٣) المشرفية : السيوف . قال أهل اللغة : المشارف : قرى من أرض اليمن ، وقيل من أرض العرب تدنو من الريف ، والسيوف المشرفية : منسوبة إليها ، يقال سيف مشرفى ولا يقال مشارفى ، لأن الجمع لا ينسب إليه إذا كان على هذا الوزن لا يقال مهالبى ولا جعافرى ولا عباقرى . يقول : إذا سمع الدمستق صوت وقع السيوف فى أصحابه فهم أنها تقتلهم ، فجد فى الهرب ، مع أن أصوات السيوف عجماء : أى ليست ذات لفظ يفهم ، والمعنى إذا سمع صليل السيوف علم أنهم مقتولون .

(٤) يقول : إن الدمستق يسر بما أخذته من أصحابه وأمتعته وأسلحته وعدته ،

وَلَسْتَ مَلِيكاً هَازِماً لِنَظِيرِهِ وَلٰكِنَّكَ التَّوْحِيدُ لِلشِّرْكِ هَازِمُ (١)
تَشَرَّفُ عَدْنَانٌ بِهِ لاَ رَبِيعَةٌ وَتَفْتَخِرُ الدُّنْيَا بِهِ لاَ الْعَوَاصِمُ (٢)
لَكَ الْحَمْدُ فِى الدُّرِّ الَّذِى لِىَ لَفْظُهُ فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ وَإِنِّىَ نَاظِمُ (٣)
وَإِنِّى لَتَعْدُو بِى عَطَايَاكَ فِى الْوَغَى فَلاَ أَنَا مَذْمُومٌ وَلاَ أَنْتَ نَادِمُ (٤)
عَلَى كُلِّ طَيَّارٍ إِلَيْهَا بِرِجْلِهِ إِذَا وَقَعَتْ فِى مِسْمَعَيْهِ الْغَمَاغِمُ (٥)

لأن هذه الأشياء كانت كالفداء له ؛ إذ نجا هو واشتغل عسكرك بها عنه ، وليس سروره جهلا بحالته ، وإن الذى انتهبت أمواله ليس من شأنه أن يسر . ولكنه حين نجا برأسه غانم وإن كان مغنوما : أى لايبالى بغيره إذا نجا هو ، لأن المسلوب إذا سلم منك بسلبه فهو سالب . قال العكبرى ؛ وهذا مثل قول بسطام ابن قيس فى المثل : السلامة إحدى الغنيمتين .

(١) التوحيد : خبر أول لـ «لكن» ؛ وهازم : خبر ثان . يقول : لست فى هزمك الدمستق ملكا هزم ملكا مثله ، ولكنك التوحيد قد هزم الشرك ، لأنك سيف الإسلام وزعيمه ، والدمستق عماد أهل الشرك وقوامه ، فكلا كما زعيم ملته .

(٢) الضمير فى «به» : للمليك : قال العكبرى : ولو كان بدل الهاء « كاف » لكان أجود حتى يكون مخاطبا . وعدنان : أبو العرب : وربيعة : بطن من عدنان ، وهى قبيلة سيف الدولة ، والعواصم : بلاد قصبتها إنطاكية . يقول : إن جميع العرب يفتخرون بك لرجوعك بالنسب إليهم ، وليس يفتخر بك رهطك فقط ، وأنت فخر لجميع الدنيا لا لبلاد مخصوصة — بلاده — لأنك أشرف أهل الدنيا .

(٣) يريد بالدر : شعره . يقول : المعانى لك واللفظ لى ، فأنت تعطينى المعانى بأفعالك ومناقبك ، وأنا أنظمها بتقييدها فيه ، وفى مثل هذا يقول ابن الرومى :

وَدُونكَ من أقاويلى مَدِيحاً غَدَا لَكَ دُرُّهُ وَلِىَ النظامُ

(٤) تعدو : تجرى وتسرع . والوغى : الحرب . يقول : إنى أمتطى فى الغزو خيلك التى أعطيتنيها ، فلست مذموما فى أخذها ، لأنى شاكر أياديك ناشر ذكرك ، ولست أنت نادما على ما أعطيتنى ، لقيامى بحق ما أوليتنى .

(٥) « على » صلة تعدو ؛ ولك أن تجعلها من صلة « نادما » : أى لست نادما على هبتك لى كل فرس طيار ، وأن تجعلها من صلة محذوف دل عليه ما تقدم كأنه قال : أقصد الوغى على كل فرس إذا سمع صوت الأبطال فى الحرب طار إليها برجله عوض الجناح ،

أَلاَ أَيُّهَا السَّيْفُ الَّذِى لَيْسَ مُغْمَدًا ... وَلاَ فِيهِ مُرْتَابٌ وَلاَ مِنْهُ عَاصِمُ (١)
هَنِيئًا لِضَرْبِ الْهَامِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَى ... وَرَاجِيكَ وَالْإِسْلاَمِ أَنَّكَ سَالِمُ (٢)
وَلِمْ لاَ يَقِى الرَّحْمٰنُ حَدَّيْكَ مَا وَقَى ... وَتَفْلِيقُهُ هَامَ الْعِدَا بِكَ دَائِمُ (٣)

***

يريد شدة سرعته فى العدو حتى كأن قوائمه أجنحة ، والغماغم : الأصوات المختلطة هى أصوات المتحاربين ؛ وما أبدع قول ابن المعتز — ولعل بيت المتنبي ينظر إليه — :

وليلٍ ككُحل العينِ خُضتُ ظلامه ... بأزرقَ لمَّاعٍ وأخضرَ صارمِ
وطيارةٍ بالرجْـل خوفاً كأنما ... تُصافِحُ رَضراضَ الحصى بالجماجمِ

(١) يقول : أنت السيف لا يتضمنه غمد — إذ هو دائما مجرد على أعدائه — وليس يرتاب — يشك — فى هذا أحد ، ولا يعصم — لا يحمى ولا يمنع — منك — شىء لا حصن ولا حديد ، ويروى : لست وفيك ومنك .

(٢) الهام : الرءوس . والعلى : المراتب العالية . وأنك سالم : فاعل هنيئا ، وهى حال محذوفة العامل ، والأصل : ثبت هنيئا : فحذف الفعل وقامت الحال مقامه ؛ وقد تقدم فى هذا الشرح القول على هنيئا بأوفى من هذا . يقول : لتهنأ هذه المذكورات بسلامتك لأنك قوامها ، فضرب الهام أنت أحذق الناس به ، والمجد أنت أكسب الناس له ، والعلا أنت جامع شملها وراجى مكارمك التى لا تمطل بفضلها ، والإسلام لأنك أعزته .

(٣) لم : استفهام إنكار : وأصلها « لم » بفتح الميم فسكنها ، وهو مخصوص بالضرورة و « ما » من قوله « ماوقى » ظرفية زمانية ، وتفليقه : حال من الرحمن . يقول : لماذا لايصونك الله سبحانه ما دامت صيانته للأشياء — أى أبدا — وأنت سيفه الذى يصول به على أعدائه ؟

وقال : وقد ورد فرسان الثغور ومعهم رسول ملك الروم يطلب المهـــدنة ، وأنشـــده إياها بحضرتهم وقت دخولهم لثلاث عشرة بقين من المحرم سنة أربع وأربعين وثلثمائة :

أَرَاعَ كَذَا كُلَّ المُلوكِ هُمَامُ ، وَسَحَّ لَهُ رُسْلَ المُـلُوكِ غَمَامُ (١)
وَدَانَتْ لَهُ الدُّنيَا فأَصْبَحَ جَالِسًا ، وَأَيَّامُهَا فِيماَ يُرِيدُ قِيــامُ (٢)
إذا زَارَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الرُّومَ غَازِياً كَفَاهَا لِمَامٌ لَوْ كَفَاهُ لِمَامُ (٣)
فَتًى تَتْبَعُ الأَزْمَانُ فى النَّاسِ خَطْـــوَهُ
لِـكُلِّ زَمَانٍ فى يَدَيْهِ زِمــامُ (٤)

---

(١) راع : أفزع وخوف ؛ والاستفهام استفهام تعجب ؛ وكذا : نائب مفعول مطلق : أى روعا كهذا الروع الذى أرى ! والهمام الملك العظيم الهمة . وسح الماء : صبه . يقول : هل راع ملك جميع الخلق كما أرى من روعك إياهم ؟ وهل تقاطرت رسل الملوك على ملك كما تقاطرت عليك ؟ وجعل توالى الرسل إلى حضرته كسح الغمام ، يعنى هل أفزع ملك قبله كل الملوك فزعا دعاهم إلى الخضوع له والاستجارة به وتتابع رسلهم عليه حتى كأنها مطر يصبه غمام ؟

(٢) دانت : أطاعت . وقيام : أى قائمة ـ كأنه من باب صاحب وصحاب ـ يقول : هل أطاعت الدنيا أحدا كما أطاعته وخضعت له ، فأصبح جالسا لا يسعى فى تحصيل مراد وقامت الأيام تسعى فى تحصيل مايريد ؟

(٣) اللمام : الزيارة القليلة ، قال جرير :

بنفسىَ من تجنُّبهُ عزيزٌ علىَّ ومَنْ زيارتُه لِمــام

يقول : إذا غزاهم كفاهم أدنى نزول منه بأرضهم لو اكتفى هو بذلك ، لـكنه لايكتفى حتى يبلغ أقاصى بلادهم .

(٤) الأزمان : جمع زمن ، وزمن مقصور من زمان ، وفى الناس : صلة «تتبع» ، والخطو : نقل القدم! والزمام: ماتقاد به الدابة يقول: إن الزمان يتبعه ويجرى فى الناس على مراده : فمن أحسن هو إليه أحسن إليه الزمان ، ومن أساء إليه أساء إليه الزمان ، حتى كأن لكل زمان زماما فى يده يقوده به كما يشاء . يشير إلى قوة سعده وإقبال جده .

تَنَامُ لَدَيْكَ الرُّسْلُ أَمْناً وَغِبْطَةً ، وَأَجْفَانُ رَبِّ الرُّسْلِ لَيْسَ تَنَامُ (١)
حِذَاراً لِمُعْرَوْرِى الْجِيَادِ فَجَاءَةً إِلَى الطَّعْنِ قُبْلاً مَا لَهُنَّ لِجَامُ (٢)
تُعَطَّفُ فِيهِ وَالْأَعِنَّةُ شَعْرُهَا ، وَتُضْرَبُ فِيهِ وَالسِّيَاطُ كَلَامُ (٣)
وَمَا تَنْفَعُ الْخَيْلُ الْكِرَامُ وَلَا الْقَنَا
إِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْكِرَامِ كِرَامُ (٤)
إِلَى كَمْ تَرُدُّ الرُّسْلَ عَمَّا أَتَوْا لَهُ كَأَنَّهُمُ فِيمَا وَهَبْتَ مَلَامُ (٥)

---

(١) الغبطة : حسن الحال . يقول : إنك تحسن إليهم وترعاهم ، فهم آمنون ما كانوا عندك والذين أرسلوهم إليك يخافونك ، لأنهم ليسوا على أمان منك ، فلا تنام أجفانهم خوفا منك ، وقد بين ذلك فى البيت التالى . هذا : ولمناسبة «ليس» من قوله ليس تنام ، قال العكبرى : « ليس» هنا تحتمل أمرين : أحدهما أن يكون استعملها استعمال «ما» : كقول العرب : ليس الطيب إلا المسك فيما حكاه سيبويه ، والثانى أن يكون فى « ليس » ضمير ، وحذف تاء التأنيث ضرورة ،والأجود أن تكون بمعنى «ما» فتخلو من الضمير ، لأنه إذا جعلها فعلاماضيا فالواجب أن يقول : ليست تنام .

(٢) حذارا: مفعول له ،وهو مصدر حاذر ، واعرورى الفرس : ركبه عريانا:وقوله إلى الطعن : متعلق بمعرورى . والقبل : جمع أقبل وقبلاء ؛ وهو الذى أقبلت إحدى عينيه على الأخرى تشاوسا وعزة نفس ؛ وقيل معنى قبلا ههنا : مقبلة ؛ تقول أقبلت قبله : أى قصدت نحوه . يقول : هم لا ينامون حذرا من سيف الدولة الذى يركب الخيل عريا إلى الحرب : يعنى لا يتوقف إلى أن تسرج وتلجم إذا دعت الحرب إلى ركوبها .

(٣) الضمير من « فيه » فى المصراعين : للطعن المذكور فى البيت السابق والأعنة . جمع عنان ، سير اللجام .والسياط : جمع سوط ، مايضرب به الراكب . يقول : إن خيله مؤدبة إذا قيدت بشعرها انقادت كما تنقاد بالعنان ، وإذ زجرت بالكلام قام ذلك مقام السياط ، قال العكبرى أراد : أن يقول والأعنة معارفها ، فما صح له الوزن ولو صح لكان حسنا ، وإنما اكتفى بشعرها ومراده المعارف .

(٤) القنا : الرماح . يقول : لاغناء إلا بالرجال والفرسان ؛ فليس تنفع كرام الخيل ولا صم الرماح إذا لم يصرفها من الأبطال كرام .

(٥) فيما وهبت : متعلق بملام . يقول : إنك تردهم عما يطلبون من الهدنة ردك لوم

وَإِنْ كُنْتَ لَا تُعْطِى الذِّمَامَ طَوَاعَةً ... فَعَوْذُ الأَعَادِى بِالْكَرِيمِ ذِمَامُ(١)

وَإِنَّ نُفُوساً أَمَّمَتْــكَ مَنِيعَةٌ ... وَإِنَّ دِمَاءً أَمَّلَتْكَ حَــرَامُ(٢)

إِذَا خَافَ مَلْكٌ مِنْ مَلِيكٍ أَجَرْتَهُ ... وَسَيْفَكَ خَافُوا وَالْجِوَارَ تُسَــامُ(٣)

لَهُمْ عَنْكَ بِالْبِيضِ الْخِفَــافِ تَفَرُّقٌ ... وَحَوْلَكَ بِالْكُتْبِ اللِّطَافِ زِحَامُ(٤)

تَغُرُّ حَــلَاوَاتُ النُّفُوسِ قُلُوبَهَا ... فَتَخْتَارُ بَعْضَ الْعَيْشِ وَهْوَ حِمَامُ(٥)

وَشَرُّ الْحِمَامَيْنِ الزُّؤَامَيْنِ عِيشَــةٌ ... يَذِلُّ الَّذِى يَخْتَارُهَا وَيُضَــامُ(٦)

اللائمين لك فى العطاء : أى كما أنك لا تصغى إلى ملامة لائم فى سخائك . فكذلك لا تقبل الهدنة ، وهذا هو المدح الموجه .

(١) الذمام : العهد ؛ وطواعة : حال : أى طائعاً . وعاذ به عوذا لجأ . يقول : إن كنت لا تعطى الروم عهدا وصلحا طواعية فلياذهم بك يوجب لهم الذمام ، لان من لاذ بالكريم وجبت له الذمة ، وإن كان عدوا : أى فقد حصل لهم ما طلبوا وإن لم تعطهم. ثم أكد هذا بالبيت التالى .

(٢) أممتك : قصدتك . والحرام : الذى لا يستباح . يقول : إن من قصدك راجيا صار منيعا بقصدك وحرمت إراقة دمه ؛ لأنها قد دخلت فى حرمتك وراجيك لا يضيع .

(٣) الملك والمليك : واحد . وسيفك : مفعول خافوا ، والواو : للحال . وتسام : تكلف ؛ والجوار : مفعول ثان لتسام . يقول : إذا خاف ملك من ملك أجرت الخائف وهم — الروم — إنما خافوا سيفك وسألوك أن تجيرهم منه ، وإذا كنت تجير من غيرك فأنت بأن تجير من نفسك أولى

(٤) البيض الخفاف : السيوف ، يقول : هم لا يحاربونك بسيوفهم ، بل يتفرقون بها عنك منهزمين ، ويزدحمون عليك بالكتب اللطيفة الأسلوب التى يتلطفون فيها لمسألتك ويتضرعون إليك ، يشير إلى عجزهم عن مقاومته فى الحرب وازدحامهم عليه فى السلم .

(٥) الضمير من « قلوبها » : للنفوس ؛ والحمام : الموت . يقول : إن حلاوة النفوس تغر قلوب أربابها وتغريها بحب الحياة حتى تختار عيشا فيه ذل أو تختار الهرب خوف القتل ؛ وذلك العيش هو الموت فى الحقيقة ، بل هو شر من الموت ، كما ذكر فى البيت التالى .

(٦) الزؤام : العاجل ، أو السريع الوحى المجهز ، وقيل الكريه . ويضام :

فَلَوْ كَانَ صُلْحاً لَمْ يَكُنْ بِشَفَاعَةٍ ، وَلٰكِنَّهُ ذُلٌّ لَهُمْ وَغَـرَامُ(١)
وَمَنٌّ لِفُرْسَـانِ الثُّغُورِ عَلَيْهِمِ بِتَبْلِيغِهِمْ مَا لاَ يَكَادُ يُرَامُ(٢)
كَتَائِبُ جَاءُوا خَاضِـعِينَ فَأَقْدَمُوا ، وَلَوْ لَمْ يَكُونُوا خَاضِـعِينَ لَخَامُوا(٣)
وَعَزَّتْ قَدِيماً فِى ذَرَاكَ خُيُـولُهُمْ وَعَزُّوا وَعَامَتْ فِى نَدَاكَ وَعَامُوا(٤)
عَلَى وَجْهِكَ الْمَيْمُـونِ فِى كُلِّ غَارَةٍ صَلاَةٌ تَوَالَى مِنْهُمُ وَسَـلاَمُ(٥)

يظلم : لما جعل عيش الذليل موتا آخر ، قال : هو شر الموتين ؛ لما فيه من تحمل الضيم وتجرع الذل والغيظ والهوان .

(١) اسم « كان » يعود على قوله ما أتوا له ، والغرام :الشر الدائم الملازم ومالا يستطاع أن يتفصى منه ، قال الله عز وجل « إن عذابها كان غراما » : أى ملحا دائما ملازما . يقول : لو كان ما طلبوه مصالحة لما افتقروا إلى التشفع بفرسان الثغور ، لأن الصلح أن ترغب فيه أنت أيضا ؛ ولكن طلبوا إليك أن تؤخر عنهم الحرب أياما،فكان ذلك ذلا لهم وعارا ملازما .

(٢) المن ـ هنا ـ : النعمة . وفرسان الثغور : يريد بهم فرسان طرسوس وأذنة والمصيصة ، وكان الروم قد وسطوهم لدى سيف الدولة فى طلب الهدنة وأن يؤخر عنهم الحرب أياما ، وذلك مالا يكادون يقدرون على طلبه إليه بأنفسهم ، فبلغهم ما كانوا لايظنون أنه يقع ، بفضل شجاعة هؤلاء الفرسان ، فلهؤلاء الفرسان المنة ، إذ بلغوهم مالم يكونوا ليبلغوه بأنفسهم ، فقوله « ومن » عطف على « ذل » ؛ ويرام : يطلب .

(٣) الكتائب :جمع كتيبة ، الجماعة من الجيش . وخام عن اللقاء : جبن ونكص على عقبيه . يقول : هؤلاء الفرسان كتائب جاءوا إليك خاضعين فأقدموا ـ اجترءوا ـ عليك بهذا الخضوع ، ولو لم يكونوا كذلك لجبنوا ولم يجسروا على لقائك .

(٤) تقول هو فى ذراه : أى فى ظله وكنفه. يقول : إنهم تعودوا إحسانك قديما إذ كانوا فى كنفك وظلك وحمايتك تحسن إليهم حتى غرقوا فى برك وإحسانك .

(٥) الميمون : ذو اليمن والبركة . والغارة : الحرب. وتوالى : تتتابع والمراد بالصلاة والسلام : التعظيم . يقول : كلما سرت فى غارة صلوا عليك وسلموا إعجابا بك وتعظيما لما يعرفونه عنك من الشجاعة والإقدام وإن كانت الإغارة عليهم ، وهذا البيت ـ والذى بعده ـ توكيد للبيت السابق .

وَكلُّ أُناسٍ يَتْبعُونَ إمَامَهُمْ ، وَأنْتَ لِأهْلِ المَكْرُمَاتِ إمَامُ (١)
وَرُبَّ جَوَابٍ عَنْ كِتَابٍ بَعَثْتَهُ ، وَعُنْوَانُهُ لِلنَّاظِرِينَ قَتَامُ (٢)
تَضِيقُ بِهِ الْبَيْدَاءُ مِنْ قَبْلِ نَشْرِهِ ، وَمَا فُضَّ بِالْبَيْدَاءِ عَنْهُ خِتَامُ (٣)
حُرُوفُ هِجَاءِ النَّاسِ فِيهِ ثَلَاثَةٌ جَوَادٌ وَرُمْحٌ ذَابِلٌ وَحُسَامُ (٤)

---

(١) يقول : إن الكرام يقتدون به لأنه إمامهم .

(٢) القتام : الغبار ؛ وأراد بالجواب : الجيش . يقول : رب جيش أقمته مقام جواب كتاب كتب به إليك ، فصار غباره يدل عليه كما يدل العنوان على الكتاب . هذا ؛ وعنوا الكتاب ما يعرف به سمى كذلك لأنه يعن الكتاب من ناحيتيه — أى يعرض — وأصله عنان — كرمان — وكلما استدللت بشىء تظهر على غيره فهو عنوان له كما قال حسان رثى عثمان :

ضَحَّوْا بأشمط عنوان السجُود به يُقطِّع الليل تسبيحاً وقرآنا

والعنوان بالضم هى اللغة الفصيحة ، قال أبو دواد الرؤاسى :

لمن طللٌ كعنوان الكتاب ببطن لُوَاقَ أو بطن الذهاب (١)

وقال أبو الأسود الدؤلى :

نظرْتَ إلى عُنوانه فنبذْتَه كنبذك نعلا أخْلقتْ من نعالكا

قال الليث : والعلوان — لغة فى العنوان — : غير جيدة ؛ وقد يقال علوان وعنيان.

(٣) البيداء الارض القفرة البعيدة . والنشر : خلاف الطى . وختام الكتاب : الطين الذى يختم به . وفضه : كسره . يقول : تضيق البيداء بهذا الجواب ولم ينشر ولم يفض عنه الختم ؛ يعنى أنه جيش كثير تضيق به الأرض الواسعة قبل انتشاره ، فكيف إذا انتشر وتفرق للحرب والغارة ؟ وقد استعار الفض والختم وهما للكتاب والجواب لما جعل الجيش كتابا وجوابا ، وهو تخيل بديع رائع .

(٤) الجواد : الفرس الكريم . والرمح الذابل : اللين . الحسام : السيف القاطع لما جعل الجيش جوابا جعل حروف هجائه هذه الأشياء ؛ أى أنه ألف من هذه الأشياء كما يؤلف الجواب من حروف الهجاء .

---

(١) هذا هو النص الصريح لهذا البيت . ولواق : أرض معروفة ، والذهاب : موضع .

أَذَا الْحَرْبِ قَدْ أَتْعَبْتَهَا فَالْهُ سَاعَةً لِيُغْمَدَ نَصْلٌ أَوْ يُحَلَّ حِـزَامُ(١)
وَإِنْ طَالَ أَعْمَارُ الرِّمَاحِ بِهُدْنَةٍ ، فَإِنَّ الَّذِى يَعْمُرْنَ عِنْدَكَ عَامُ(٢)
وَمَا زِلْتَ تُفْنِي السُّمْرَ وَهِىَ كَثِيرَةٌ ، وَتُفْنِي بِهِنَّ الْجَيْشَ وَهُوَ لُهَامُ(٣)
مَتَى عَاوَدَ الْجَالُونَ عَاوَدْتَ أَرْضَهُمْ ، وَفِيهَا رِقَابٌ لِلسُّيُوفِ وَهَامُ(٤)
وَرَبَّوْا لَكَ الْأَوْلَادَ حَتَّى تُصِيبَهَا ، وَقَدْ كَعَبَتْ بِنْتٌ وَشَبَّ غُلَامُ(٥)

---

(١) أذا الحرب : أى ياصاحب الحرب ؛ وروى : أخا الحرب : يقال هو أخو كذا أى ملازم له معروف به . ولهى الرجل عن الشىء من باب علم اشتغل عنه وتركه. يقول لقد أتعبت الحرب ، أى أتعبت أهلها بكثرة الغارات وملازمتها ، فاتركها ساعة حتى تغمد الفرسان سيوفها وتحل حزم الخيل ،

(٢) عمر الرجل يعمر — من باب فهم — : أى طال عمره : يقول: إن سلمت الرماح من التكسر بترك استعمالها فى الحرب بالهدنة بين الفريقين فقصاراها أن تبقى عندك عاما واحدا ، لأنك لاتهادن العدو أكثر من هذه المدة ، وعبارة العكبرى : إن أعمار الرماح عند غيرك دعة تطول واتساع هدنة ، وغاية أعمارها عندك عام لاتتجاوزه، لأن الانكسار يسرع إليها بمداومتك الطعن وأمد مهادنتك للروم عام ثم تعود إلى حربهم على عادتك ، وتكسر الرماح فيهم على سجيتك ، وما تترك عادتك :

(٣) السمر : الرماح ، واللهام : الكثير الذى يلتهم كل شىء ، يقول : مازلت تفنى الرماح بكثرة استعمالها فى وقائعك مع كثرتها ، وتفنى بفنائها الجيش الكثير من الأعداء

(٤) الجالون : النازحون الذين أخرجوا من ديارهم ، والهام : الرؤس ، يقول : متى عاد الروم — الذين تركوا ديارهم خوفا منك بالهدنة التى أجبتهم إليها — إلى أوطانهم عاودت أنت تلك الأوطان بالغزو وقد توفر لسيوفك ما تقطعه من الرقاب والرؤس ،

(٥) الكاعب : التى قد بدا ثديها للنهود : يقول لما هربوا منك وجلوا عن منازلهم ربو أولادهم لتسبيهم ، وقدصارت البنت كاعبا والابن شابا أى صاروا بحيث يصلحان للسبى قال العكبرى : يشير إلى أن مسالمة سيف الدولة ضرب من التدبير ؛ لأنهم يعاودون ما أخلوه من منازلهم فيكون ذلك أقرب لقتلهم وأمكن لسبيهم : هذا : وقوله حتى تصيبها أى حتى تكون العاقبة إصابتك إياها ؛ على حد قوله تعالى « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا » ،

جَرَى مَعَكَ الجَارُونَ حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا
إلَى الغَايَةِ القُصْوَى جَرَيْتَ وَقَامُوا(١)

فَلَيْسَ لِشَمْسٍ مُذْ أَنَرْتَ إِنَارَةٌ ، وَلَيْسَ لِبَدْرٍ مُذْ تَمَمْتَ تَمَامُ(٢)

* * *

وقال يمدحه ويودعه ، وقد خرج إلى إقطاع قطعه إياه بناحية معرة النعمان :

أيَا رَامِياً يُصْمِي فُؤادَ مَرَامِهِ تُرَبِّي عِدَاهُ رِيشَهَا لِسِهَامِهِ(٣)

أَسِيرُ إِلَى إِقْطَاعِهِ ، فى ثِيَابِهِ عَلَى طِرْفِهِ ، مِنْ دَارِهِ ، بِحُسَامِهِ(٤)

---

(١) يقول : جاراك الملوك فيما نهجته من المكارم حتى إذا انتهوا إلى أقصى غاياتهم ووقفوا من الكلال متخلفين عنك جريت وحدك فسبقت غايتهم ، وأصل هذا فى الخيل تجارى ، فإذا ونى بعضها سبقه الذى لم يلحقه الكلال :

(٢) يقول : فليس لشمس منهم — من الملوك — إنارة مع مايبدو من نورك ؛ ولا لبدر منهم تمام مع ما أتمه الله لك من الفضل : يعنى أن الملوك صغير كل كبير منهم عند قدرك وناقص كل من كان يتم منهم بالقياس إلى فضلك ، وعبارة بعض الشراح : أى من يشبه منهم بالشمس كسف بهاؤك مجده ، فلا إنارة له ، ومن يشبه منهم بالبدر ظهر نقصه عند ظهور فضلك :

(٣) الإصماء : إصابة المقتل فى الرمى — يقال رماه فأصماه : إذا أصاب مقتله . والمرام : المطلب . يريد أنه حسن المحاولة لما يطلبه بصير بمواضع الظفر به ، كالرامى يصيب فؤاد مرميه فيقتله لساعته. وقوله تربى الخ أى أنه يغير على أعدائه فيأخذ أموالهم وعددهم ويستعين بها على إنفاذ بأسه فيهم فجعل ما يأخذه منهم كالريش ، وبأسه كالسهام التى لا تنفذ إلا بالريش الذى عليها . وقال ابن جنى : يحتمل أمرين : أحدهما أن يكون يربون الريش فإذا تكامل رماه الممدوح بسهامه : أى أن الطائر يكون فرخا فلا يكمل حتى يتم ريشه ، فهم يربونه إلى أن يصلح أن يصاد ، والآخر أن الأعداء يربون ريشهم ليأخذه فيريش به سهامه فيكون فعلهم قوة له ، والعرب تكنى بالريش عن حسن الحال ، راش فلان فلانا ، كأنه جعل له ريشا ينهض به .

(٤) يقال أقطعه أرض كذا : إذا جعل له غلتها رزقا ؛ والإقطاع : اسم لتلك الأرض ، من التسمية بالمصدر . والطرف : الفرس الكريم . والحسام : السيف القاطع . يقول : إن جميع ما أتصرف فيه ويضاف إلى من أرض وثياب وخيل ومنازل وسلاح فهو له ، وصل إلى من نعمته وقد أجمل النابغة هذا المعنى فى قوله :

وَمَا مَطَرَتْنِيهِ مِنَ الْبِيضِ وَالْقَنَا وَرُومِ الْعِبِدَّى هَاطِلَاتٌ غَمَامِهِ (١)
فَتًى يَهَبُ الإِقْلِيمَ بِالمَالِ وَالْقُرَى وَمَنْ فِيهِ مِنْ فُرْسَانِهِ وَكِرَامِهِ (٢)
وَيَجْعَلُ مَا خُــوِّلْتُهُ مِنْ نَوَالِهِ جَزَاءً لِمَا خُوِّلْتُهُ مِنْ كَلَامِهِ (٣)

وما أغفلتُ شكرك فانتصحنى وكيف ومن عطائك جُلُّ مالى

وقد فصله النابغة أيضا فقال :

وإنّ تِلَادِى إن نظرتُ وشِكَّتى ، ومُهرى وما ضمّتْ إلىّ الأناملِ
حِبــاؤك والعِيسُ العِتاقُ كأنها هِجانُ المها تَرْدِى عليها الرحائل (١)

وقال أبو نواس :

* وكلُّ خير عندنا من عنده *

(١) البيض : السيوف . والقنا : الرماح . والعبدى : العبيد ، جمع عبد . والغمام : السحاب ؛ وهاطلات : ساكبات . يقول : وأسير كذلك فيما أمطرنى به سحاب جوده من السيوف والرماح يحملها العبيد الرومية : يعنى أنه وهبه العبيد بسلاحها .

(٢) الضمير فى «فرسانه وكرامه» : للاقليم . والإقليم : واحد أقاليم الأرض . قال ابن دريد : لا أحسب الإقليم عربيا ، وقال الأزهرى : وأحسبه عربيا ، وأهل الحساب يزعمون أن الدنيا سبعة أقاليم كل إقليم معلوم كأنه سمى إقليما : لأنه مقلوم من من الأقليم الذى يتاخمه : أى مقطوع .

(٣) خوله كذا : ملكه إياه . والنوال : العطاء . يقول : إنه يجازينى بنواله إذا مدحته بما أستفيده من الادب من كلامه ، وهذا أغرب من قوله أبى تمام :

* نأخذ من ماله ومن أدبه *

قال بعض الشراح : يشير إلى قصة الواقعة التى ذكرها فى القصيدة التى مطلعها :

طِوال قنًا تُطاعنها قصــارُ وقطرك فى ندًى ووغًى بحار

وكان سيف الدولة قد قص هذه الواقعة عليه فنظمها . يقول : أقطعنى هذه الأرض جزاء لما مدحته به فى القصيدة المذكورة ، وأنا انما استفدت معانيها منه ونظمت فيها ما قص على من كلامه ، فالفضل فيها له ، لا لى .

---

(١) الشكة : ما يلبس من السلاح ، والحباء : العطاء ، والرديان : ضرب من السير بين العدو ـ الجرى ـ والمشى الشديد ـ وجملة عليها الرحائل : حال ؛ والرحائل : جمع رحالة ، سرج من جلود ليس فيه خشب كانوا يتخذونه للركض الشديد .

فَلاَ زَالَتِ الشَّمْسُ الَّتِي فِي سَمَائِهِ ... مُطَالِعَةَ الشَّمْسِ الَّتِي فِي لِثَامِهِ (١)

وَلاَ زَالَ تَجْتَازُ الْبُدُورُ بِوَجْهِهِ ... تَعَجَّبُ مِنْ نُقْصَانِهَا وَتَمَامِهِ (٢)

***

---

(١) أراد بالشمس التي في لثامه: وجهه. يقول: لازال باقيا بقاء الشمس، فكلما طلعت في السماء كان وجهه طالعاً بإزائها، وأضاف السماء إليه مبالغة في المدح، كما قال الفرزدق:

* لنا قمراها والنجوم الطوالع *

وقال ابن جنى: أضاف السماء إليه لإشراقها عليه، كما قال الآخر:

إذا كوكبُ الخرقاء لاحَ بِسُحْرَةٍ ... سُهَيْلٌ أذاعَتْ غزلها في القرائب (١)

أضاف الكوكب إليها لجدها في عملها عند طلوعه.

(٢) جمع البدر لأنه أراد بدر كل شهر. وتعجب: أي تتعجب. يقول: لازال باقيا على توالي الأشهر تمر بدورها بوجهه فتظنه بدرا آخر لكماله، ولكنها تتعجب حين ترى أنها تنقص وهو لا يزال تاما.

---

(١) بعده:

وقالت: سماء البيت فوقكَ مُنْهِجٌ ... ولمّا تُيسِّرْ أحبُـلاً للركائب

والخرقاء: المرأة التي لا تحسن عملا، ومنه الخرقاء صاحبة ذي الرمة، فإنه أول ما رآها أراد أن يستطعم كلامها فقدم إليها دلوا، وقال أخرزيها لي، فقالت: إني خرقاء: أي لا أحسن عملا. قالوا: فأضاف الكوكب إلى الخرقاء بملابسة أنها لما فرطت في غزلها في الصيف، ولم تستعد للشتاء استغزلت قرائبها عند طلوع سهيل سحرا، وهو زمان مجيء البرد، فبسبب هذه الملابسة سمى سهيل كوكب الخرقاء. وسهيل: بدل أو عطف بيان لكوكب الخرقاء وأذاعت فرقت، وجملة قالت في البيت الثاني عطف على «أذاعت» والسماء: السقف والمنهج من أنهج الثوب، إذا أخذ في البلى وأحبل: جمع حبل، وهو الرسن ونحوه. والركائب: الإبل التي يسار عليها: أي وقالت لزوجها: سماء البيت فوق مخلق ولما تيسر للركائب أحبلا فكيف تنتجع على هذه الحالة؟

وأنشد سيف الدولة متمثلا بقول النابغة :

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ (١)

* * *

فقال أبو الطيب مرتجلا :

رَأَيْتُكَ تُوسِعُ الشُّعَرَاءَ نَيْلاً ... حَدِيثَهُمُ الْمُوَلَّدَ وَالْقَدِيمَا (٢)

---

(١) كان سيف الدولة قد أرسل سرية ، ففزع الناس لخيل — جيش — لقيت السرية ببلد الروم فركب سيف الدولة وركب معه أبو الطيب ، فوجد السرية قد ظفرت . وأراه بعض العرب سيفه فنظر إلى الدم عليه وإلى فلول أصابته فى ذلك اليوم ، فأنشد سيف الدولة متمثلا ببيتى النابغة الذبيانى :

ولا عيبَ فيهم غير أن سُيوفَهمْ ... بهنَّ فُلولٌ من قِراعِ الكتائبِ

تُخُيِّرْنَ من أزمان يوم حليمةٍ ... إلى اليوم قد جُرِّبْنَ كلَّ التجاربِ

فقال أبو الطيب هذه الأبيات .

« والفلول : الثلوم ؛ والكتائب فرق الجيش . وتخيرن : أى أى السيوف . وحليمة : امرأة كانت تطيبهم إذا قاتلوا ؛ وفيها المثل المشهور : وما يوم حليمة بسر . وإلى اليوم : صلة تخيرن : وقد جربن : حال » والبيتان من قصيدته فى عمرو بن الحارث الأصغر من ملوك بنى غسان ومطلعها :

كِلِينى لِهَمٍّ يا أُمَيمةُ ناصبِ ... وليلٍ أقاسيه بطىء الكواكب

يمدح قومه يقول : لا عيب فيهم إلا أن سيوفهم مثلمة من قراع الجيوش ، وهذا على الحقيقة فخر لهم ، وإذا لم يكن فيهم عيب إلا هذا فهو تأكيد لنفى العيب عنهم ، وهذا ما يعرف عند أهل البديع بتأكيد المدح بما يشبه الذم ، ثم قال فى البيت التالى : هى من أجود السلاح تخيرها أسلافهم والذين من بعدهم ، من ذلك اليوم إلى يومنا هذا ، وقد جربت بكل وجه من وجوه التجارب : يعنى أنه لم يكن بها عيب ، فلما انتهت إلى نوبة الممدوحين تثلمت لما نالها من شدة القراع .

(٢) النيل : العطاء ؛ وأوسع العطاء ونحوه : بسطه : وكثره . وحديثهم بدل تفصيل من الشعراء . يقول : إنك توسع العطاء للشعراء المحدثين منهم والأقدمين ، ثم بين ذلك فى البيت التالى .

فَتُعْطِى مَنْ بَقَى مالاً جَسِيماً   وَتُعْطِى مَنْ مَضَى شَرَفاً عَظِيماً (١)
سَمِعْتُكَ مُنْشِداً بَيْتَىْ زِيَادٍ   نَشِيداً مِثْلَ مُنْشِدِهِ كَرِيماً (٢)
فَمَا أَنْكَرْتُ مَوْضِعَهُ وَلَكِنْ   غَبَطْتُ بِذَاكَ أَعْظُمَهُ الرَّمِيماً (٣)

* * *

وقال يمدحه، ويذكر إيقاعه بعمرو بن حابس و بنى ضبة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ولم ينشده إياها :

ذِكَرُ الصِّبَى وَمَرَاتِعِ الآرَامِ   جَلَبَتْ حِمَامِى قَبْلَ وَقْتِ حِمَامِى (٤)

---

(١) بقى ـ بفتح القاف ـ هى لغة طىء ، ومنه قول زيد الخيل الطائى :

لعَمْرُكَ ما أخشى التصعلك ما بقَى   على الأرض قَيْسِىٌّ يسوق الأباعرا

يقول : تعطى الباقين منهم ـ أى الأحياء ـ عطاء جزيلا ، والماضين شرفاً عظيما بأن تنشد أشعارهم وتتمثل بها استحساناً لها فيكون ذلك شرفاً عظيما لهم .

(٢) زياد : اسم النابغة الذبيانى ؛ والنابغة : لقب غلب عليه. ونشيداً مفعول مطلق، وضعه موضع الإنشاد .

(٣) الغبطة : أن تتمنى مثل حال المغبوط من غير أن تريد زوالها عنه وليس بحسد، ورم العظم يرم رمة : بلى ، فهو رميم . وقوله أعظمه الرميما : وصف الأعظم ـ وهى جمع ـ بالمفرد ، لأن فعيلا وفعولا يستوى فيهما المذكر والمؤنث والمفرد والجمع قال تعالى « من يحيى العظام وهى رميم » . يقول : لم أنكر موضع زياد من الشعر وأنه أهل لأن تنشد شعره لكنى غبطت عظامه البالية لما نالته بذلك من الشرف . هذا : ومما يتصل بهذا الموقف ما يحكى أن المعتمد بن عباد صاحب قرطبة وأشبيلية أنشد يوماً فى مجلسه قول المتنبى :

وما الْحُسْنُ فى وجهِ الفتى شرَفٌ له   إذا لم يكن فى فعله والخلائقِ

وجعل يردده استحساناً له ، وفى مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الشاعر الأندلسى ، فأنشد ارتجالا ،

لئن جاد شعرُ ابن الحسينِ فإنما   بِقَدْرِ العطايا واللُّها تفتح اللَّها
تنبأ فى نَظْمِ القَرِيضِ ولو درَى   بأنَّكَ تَرْوِى شعرَه لتألَّها

(٤) ذكر : جمع ذكرى ؛ كأنهم حملوه على مؤنث التاء ، فجمعوه ـ على حد : سدرة وسدر ـ وهو قياس عند الفراء والصبى : بمعنى اللهو والتصابى : ومراتع ـ بالجر ـ

دِمَنٌ تَكَاثَرَتِ الْهُمُومُ عَلَيَّ فِي عَرَصَاتِهَا كَتَكَاثُرِ اللُّوَّامِ (١)
فَكَأَنَّ كُلَّ سَحَابَةٍ وَكَفَتْ بِهَا تَبْكِي بِعَيْنَيْ عُرْوَةَ بْنِ حِزَامِ (٢)
وَلَطَالَمَا أَفْنَيْتُ رِيقَ كَعَابِهَا فِيهَا وَأَفْنَتْ بِالْعِتَابِ كَلَامِي (٣)
قَدْ كُنْتَ تَهْزَأُ بِالْفِرَاقِ مَجَانَةً وَتَجُرُّ ذَيْلَيْ شِرَّةٍ وَعُرَامِ (٤)

معطوف على الصبى ؛ ويروى بالرفع عطفاً على ذكر ؛ والمراتع : جمع مرتع ، الموضع ترتع فيه الدواب : أى ترعى كيف شاءت . ويروى مرابع : جمع مربع ، المكان الذى يربعون — يقيمون — فيه ، يريد ديار الأحبة والآرام : الظباء البيض . وأراد بهن النساء جمع رئم — على القلب المكانى — والحمام : الموت . يقول : إن ذكر الصبى ومراتع النساء اللائى أهيم بهن جلبت على حالة هى والموت سواء ، يعنى شدة وجده على فراقهن ، فكأنه مات قبل موته لشدة الوجد .

(١) الدمن : جمع دمنة ، ما تلبد من آثار الديار بعد رحيل القوم : ودمن خبر مبتدأ محذوف : أى تلك المراتع دمن ؛ والعرصات : جمع عرصة ، ساحة الدار . يقول : لما وقفت بآثار المحبوب تكاثرت همومى شوقا إلى من كان بها كتكاثر لوامى فى حبهن .

(٢) وكفت : أى قطرت ؛ وسالت : يروى وقفت ، وعروة بن حزام : هو صاحب عفراء ، وهو أحد عشاق العرب المشهورين . شبه هطلان السحاب فى تلك الدمن ببكاء عروة بن حزام على فراق صاحبته . يريد كثرة ما تجرى عليها السحب من المطر ، بدليل أنها محت آثار تلك الديار ، ولعله ينظر فى هذا إلى قول أبى تمام

كَأَنَّ السَّحَابَ الْغُرَّ غَيَّبْنَ تَحْتَهَا حَبِيباً فَمَا تَرْقَا لَهُنَّ مَدَامِعُ (١)

ومثله لمحمد بن أبى زرعة :

كَأَنَّ صَبِيَّيْنِ بَاتَا طُولَ لَيْلِهِمَا يَسْتَمْطِرَانِ عَلَى غُدْرَانِهَا الْمُقَلَا

(٣) الكعاب : الجارية بدا ثديها للنهود . يقول : طالما رشفت ريق كعاب تلك الدمن فيها وأطالت هى — الكعاب : أى محبوبته — عتابى حتى أفحمتنى عن الكلام ، فأنا أذكر من كان بهذه الدمن وارتحل عنها فيزيد وجدى وشوقى .

(٤) المجانة : مثل الخلاعة ؛ والماجن : الذى لا يبالى بما يتكلم به ، والشرة الحدة

---

(١) السحاب جمع ، ولذلك وصفها بالغر ؛ وترقا : هو ترقأ ، خفف ، ورقأت الدمعة . جفت وانقطعت

لَيْسَ الْقِبَابُ عَلَى الرِّكَابِ وَإِنَّمَا ... هُنَّ الْحَيَاةُ تَرَحَّلَتْ بِسَلَامِ [١]
لَيْتَ الَّذِى خَلَقَ النَّوَى جَعَلَ الْحَصَى ... لِخِفَافِهِنَّ مَفَاصِلِى وَعِظَامِى [٢]
مُتَلَاحِظَيْنِ نَسُحُّ مَاءَ شُؤُونِنَا ... حَذَراً مِنَ الرُّقَبَاءِ فِى الْأَكْمَامِ [٣]

والنشاط والبطر . والعرام : الشراسة ، وقيل الخبث ؛ قال شبيب بن البرصاء يصف إبلا سمنت وحملت الشحوم :

كأنها من بُدُنٍ وإيفـــارْ ... دَبَّتْ عليها عارماتُ الأنبارْ [١]

يقول ـ مخاطبا نفسه ـ : حين كنت شابا لم تبتل بالفراق وما كنت تدرى وجد الفراق وشدته بعد ، وكنت تهزأ به لهوا وغفلة واستخفافا ، تمرح فى شرتك وعرامك غير مبال بما ستلاقيه من الشدائد .

(١) القباب : جمع قبة . والمراد بها : الهوادج واسم « ليس » ضمير الشأن ، والقباب ـ على الركاب ـ مبتدأ وخبر ؛ والجملة خبر « ليس » ؛ والركاب : الإبل ؛ وتروى القباب ـ بالنصب ـ قال العكبرى : من روى القباب بالنصب : جعله خبر « ليس » ويكون المعنى : ليس الذى تعاينه القباب . يقول : ليس هـذا الذى تراه هوادج الأحبة على الإبل ولكنها الحياة ترحلت عنا ، يعنى أنه يموت بعد فراقهن .

(٢) النوى : البعد ، والضمير فى خفافهن : للركاب ـ الإبل ـ وأراد أخفافهن ، لأن خف البعير يجمع على أخفاف ؛ والخفاف : جمع الخف ، الملبوس ، فوضع أحدهما موضع الآخر تجوزا . يقول ـ متمنيا ـ : ليت الذى خلق الفراق جعل أعضائى لأخفاف الإبل التى تحملوا عليها حصى حتى تطأنى بأخفافها .

(٣) متلاحظين [٢] : حال من فاعل « نسح » قدمت على العامل فيها وهو نسح ؛ ونسح : نسكب . والشؤون : جمع شأن ، مجرى الدمع من الرأس . وفى الأكمام : متعلق بنسح . يصف حاله وحال الحبيبة لدى الوداع ، يقول : كانت الحبيبة تنظر إلى وأنا

---

(١) الأنبار جمع نبر ؛ وهو دويبة . شبيهة بالقراد إذا دبت على البعير تورم مدبها . والبدن والبدن : السمن والاكتناز ، وإيفار : مأخوذ من الشىء الوافر ـ ويروى : وإبقار ـ يريد أنها قد أوقرت من الشحم . يقول : من سمنها ووفور شحمها ، كأنما لسعتها الأنبار فورمت جلودها .

(٢) متلاحظين : رواه الواحدى هكذا على التثنية ، وقد رواها العكبرى على صيغة الجمع .

أرواحُنا انهملَتْ وعِشْنا بَعْدَها ... مِنْ بَعْدِ ما قَطرتْ عَلَى الأقْدَامِ (١)

لَوْ كُنَّ يَوْمَ جَرَيْنَ كُنَّ كَصَبْرِنَا ... عِنْدَ الرَّحِيلِ لَكُنَّ غَيْرَ سِجَامِ (٢)

لَمْ يَتْرُكُوا لِى صاحِباً إلاَّ الأسَى ... وَذَمِيلَ دِعْبِلَةٍ كَفَحْلِ نَعامِ (٣)

وَتَعَذُّرُ الأحْرَارِ صَيَّرَ ظَهْرَهَا ... إلاَّ إلَيْكَ عَلَىَّ فَرْجَ حَرَامِ (٤)

أنظر إليها لدى الوداع ، وكلانا قد غلبه البكاء فستره بكمه خوفا من الرقباء . والأكمام : جمع كم ؛ والكم : الثوب مدخل اليد ومخرجه . والذى فى العكبرى : الآكام بدل « الأكمام » والآكام : جمع أكمة ؛ وهى التل ، والأكمام أقرب .

(١) انهملت : انسكبت . يقول : ليست الدموع ــ التى أجريناها ــ بدموع ولكنها أرواحنا جرت على أرجلنا ، ثم تعجب من الحياة بعد انسكاب هذه الأرواح ونفادها ، وفى مثل هذا المعنى يقول القائل :

وليس الذى يجرى من العينِ ماءها ... ولكنها رُوحى تذُوبُ فتَقطرُ

(٢) سجام : غزيرة كثيرة . يقول : لو كانت دموعنا فى اليوم الذى جرت فيه ــ أى يوم الرحيل ــ مثل صبرنا فى ذلك اليوم لكانت قليلة ، لكنها كانت سجاما غزيرة ، يخبر عن قلة صبره وكثرة دموعه ، هذا : و « كن » الثانية زائدة ، والعرب قد تجعل الكون زائدا فى الكلام ، وكثير من النحويين حملوا قوله تعالى « كيف نكلم من كان فى المهد صبيا » على زيادة « كان » وأنشد الفراء :

سراة بنى أبى بكر تسامَى ... على كان المسوَّمَةِ العِرابِ (١)

و « كان » فى هذا البيت زائدة بلا خلاف .

(٣) الضمير فى يتركوا : للراحلين ؛ والأسى : الحزن . والذميل : ضرب من السير سريع . والدعبلة : الناقة السريعة . وأراد بفحل النعام : الذكر . يقول : رحلوا وتركونى وحيد لم أصاحب بعدهم إلا الحزن وجداً عليهم وسير ناقة كالظليم فى عدوها وسرعتها فى الفلوات

(٤) يقول : تعذر وجود الأحرار ــ أى الكرام ــ حرم على ركوبها ــ أى الناقة إلا للقصد إليك ، لأنك الحر الذى يستحق أن يقصد ويزار ، فأنا أتجنب ركوبها إلا إليك كما أتجنب فرجاً حراما على إتيانه ــ يعنى الزنا ــ وهذا من قول أبى نواس :

---

(١) المسومة : المعلمة بعلامة لتترك فى المرعى ، أو هى من قولك : سومت فلانا :

أَنْتَ الْغَرِيبَةُ فِي زَمَانٍ أَهْلُهُ وُلِدَتْ مَكَارِمُهُمْ لِغَيْرِ تَمَامِ (١)

أَكْثَرْتَ مِنْ بَذْلِ النَّوَالِ وَلَمْ تَزَلْ عَلَمًا عَلَى الْإِفْضَالِ وَالْإِنْعَامِ (٢)

صَغَّرْتَ كُلَّ كَبِيرَةٍ وَكَبُرْتَ عَنْ لَكَأَنَّهُ وَعَدَدْتَ سِنَّ غُلَامِ (٣)

وإذا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَغْنَ مُحَمَّداً فظُهُورُهُنَّ على الرِّجالِ حَرامُ

وأخذه مهيار الديلمي فقال :

يا ناقُ ويْحَكِ عجِّلي تَصِلي هذا المنى فليَهنِكِ الطَّلَبُ

فإذا وَصَلْتِ بِنا قِبابَ قُبًا لا مَسَّ ظَهْرَكِ بعدَها قتَبُ

وهو معنى قديم متداول .

(١) الغريبة : اسم لما يستغرب ؛ والتاء فيه : للاسمية — كما فى عجيبة ونحوها — وعبارة الواحدى الهـاء فى « الغريبة » للمبالغة ، لا للتأنيث ، كما يقال راوية وعلامة . وقال التبريزى : أنت أعجوبة غريبة . كما تقول داهية دهياء ، ويقال ولد المولود لتمام ؛ وتمام : بالكسر وبالفتح . يقول : أنت غريبة هذا الزمان لأن أهله كلهم ناقصو المكارم وأنت تام الكرم بينهم .

(٢) النوال : العطاء . والعلم : العلامة التى يعرف بها الشىء : يقول : لم تزل يعرف بك الإفضال والإنعام : أى لم تزل منعما مفضلا ؛ وعبارة بعض الشراح : أى أن الإفضال والإنعام يتعرفان بك ويهتدى إليهما بأفعالك ، فأنت كالعلامة لهما .

(٣) يقول : إن كل فعلة كبيرة صغرت بجانب أفعالك العظام ، لأن أفعالك أكبر منها ، وكبرت عن أن تشبه بشىء ، فيقال كأنك كذا وأنت مع ذلك شاب لم تبلغ الحنكة بعد ، وهو أشرف لك وأمدح . وعبار بعض الشراح : أى صغرت الأفعال الكبيرة بأفعالك ، لأن أفعالك أكبر منها ؛ وكبرت عن أن تشبه بغيرك لأنك لم تدع لأحد مزية عليك . مع أنك إذا عددت أيامك لم تتجاوز سن الغلام . هذا :

اذا خليته وسومه . أى وما يريد ؛ والعراب التى ليس فيها عرق هجين ؛ وتسامى — بحذف إحدى التاءين — أى تتسامى ؛ من السمو ؛ وهو العلو . يقول : سراة هذه القبيلة تختال على تلك الخيول .

وَرَفَلْتَ فِي حُلَلِ الثَّنَاءِ وَإِنَّمَا عَدَمُ الثَّنَاءِ نِهَايَةُ الْإِعْدَامِ (١)
عَيْبٌ عَلَيْكَ تُرَى بِسَيْفٍ فِي الْوَغَى مَا يَصْنَعُ الصَّمْصَامُ بِالصَّمْصَامِ (٢)
إِنْ كَانَ مِثْلُكَ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ فَبَرِئْتُ حِينَئِذٍ مِنَ الْإِسْلَامِ (٣)
مَلِكٌ زُهَتْ بِمَكَانِهِ أَيَّامُهُ حَتَّى افْتَخَرْنَ بِهِ عَلَى الْأَيَّامِ (٤)

واللام من «لكأنه» : للتوكيد ، وأراد قول القائل لكأنه فلان أو كأنه الأسد أو البحر ، فحذف خبر « كأن » لأنه أراد مطلق التشبيه ، واستغنى عن ذكر القول بالحكاية . وقال العكبرى : وقد أدخل « لام التأكيد » على « كأن » وهو قليل جدا ، والقياس لا يمنع منه ، لأن « كاف » التشبيه تكون فى صدر الكلام : وقولك كأن زيداً عمرو : مؤدعن قولك كعمرو زيد ، فجاز دخول اللام على الكاف ، كما جاز فى قولك لزيد أفضل من بكر .

(١) رفل يرفل فى ثيابه رفلا : إذا أطالها وجرها متبختراً فهو رافل ، ورفل رفلا ؛ فهو رفل خرق — حمق — باللباس وكل عمل ، أنشد الاصمعى :

* فى الرَّكْب وَشواشٌ وفى الحى رَفِلْ *

« الوشواش : الخفيف السريع » الحلل : جمع حلة ، قالوا : ولا تكون الحلة إلا ثوبين . وقال ابن شميل : الحلة القميص والإزار والرداء . والإعدام : الفقر . يقول : إن عليك من الثناء حللا تتبختر فيهن — يريد ثناء الشعراء والمادحين عليه بما أغدق عليهم من نعمه — ونهاية الإعدام — الفقر — هو عدم الثناء لاعدم الثراء ؛ وعبارة بعض الشراح : كأنه يشير إلى ما كسبه من الثناء بجوده : أى أنه أنفق ماله على الشعراء والمادحين ، فكان بذلك هو المثرى لأن ثناءهم باق والمال يغدو ويروح :

(٢) ترى : أراد أن ترى ، فحذف «أن» وقوله بسيف : أى مع سيف والوغى : الحرب . والصمصام السيف ، وهو الصارم — القاطع — الذى لاينبو عن الضريبة ، يقول : أنت سيف فى حدتك ومضائك فلا حاجة بك إلى السيف .

(٣) « كان » الأولى ناقصة ، والثانية تامة ، بمعنى وجد ، وهى خبر الأولى ، و « أو هو كائن » . عطف على الخبر . وقوله فبرئت الخ : قسم . يقول : لم يكن مثلك ولا يكون ، قال الواحدى : هذا من المدح البارد الذى يدل على رقة دين وسخافة عقل وهو من شعر الصبا — إذ قال المتنبى هذه القصيدة فى صباه .

(٤) يقال زهى الرجل فهو مزهو : إذا تكبر وتاه : فكان حقه أن يقول زهيت

وَتَخالُهُ سَلَبَ الْوَرَى أَحْلَامَهُمْ ... مِنْ حِلْمِهِ فَهُمُ بِلاَ أَحلامِ (١)
وَإِذَا امْتَحَنْتَ تَكَشَّفَتْ عَزَمَاتُهُ ... عَنْ أَوْحَدِيِّ النَّقْضِ وَالإِبْرَامِ (٢)
وَإِذَا سَأَلْتَ بَنَانَهُ عَنْ نَيْلِهِ ... لَمْ يَرْضَ بِالدُّنْيَا قَضَاءَ ذِمَامِ (٣)
مَهْلاً أَلاَ لِلّهِ مَا صَنَعَ الْقَنَا ... فِي عَمْرِوحَابٍ وَضَبَّةَ الأَغْتَامِ (٤)

إلا أنه جاء به على لغة طيء فى قولهم بقى فى بقى ، كذلك قال زهى فى زهى فسكن الياء فلما دخلت تاء التأنيث سقطت الياء الساكنة ، وقال ابن منظور : قال ابن سيدة : وقد زهى الرجل على لفظ مالم يسم فاعله وللعرب أحرف لا يتكلمون بها إلا على سبيل المفعول به وإن كان بمعنى الفاعل ، مثل زهى الرجل ، وعنى بالأمر ونتجت الشاة والناقة وأشباهها ، وحكى ابن دريد : زها يزهو زهوا : أى تكبر ومنه قولهم : ما أزهاه ؛ وليس هذا من زهى ، لأن مالم يسم فاعله لا يتعجب منه ، قال الأحمر النحوى يهجو العتبي والفيض ابن عبد الحميد .

لنا صاحبٌ مُولع بالخِلافْ ... كثيرُ الخطا قليلُ الصوابْ
ألجُّ لَجاجاً من الخُنْفِساء ... وأزهى إذا ما مشى من غرابْ

قال الجوهرى : قلت لأعرابى من بنى سليم : ما معنى زهى الرجل ؟ قال أعجب بنفسه ، فقلت : أتقول زها إذا افتخر ؟ قال : أما نحن فلا نتكلم به . يقول : افتخرت بك الأيام على الأيام التى مضين ولم تكن فيهن .

(١) تخاله : تظنه . والورى : الخلق ، والحلم : الأناة والعقل ، ومن حلمه : أى من أجل حلمه . يقول : لرجاحة حلمه على أحلام ــ عقول ــ الناس كأنه أخذ أحلامهم فضمها إلى حلمه .

(٢) تكشفت . ظهرت ؛ وأراد بالأوحدى : الأوحد ، فزاد الياء للمبالغة . وأصل الإبرام : فتل الحبل ونحوه ، والنقض ضده . يقول : إذا اختبرته ظهرت لك عزائمه صادرة عن رجل لا نظير له فى عزماته إن أبرم أمرا أو نقضه .

(٣) البنان : أطراف الأصابع . والنيل : العطاء . والذمام هنا : الحق ؛ ونصب « قضاء » : على الحال ، ويجوز أن يكون مفعول « يرض » وبالدنيا : صلته . يقول : إذا طلبت عطاءه فأعطاك الدنيا كلها لم يرض بها فى قضاء حقك .

(٤) مهلا : مفعول مطلق نائب عن فعله : أى امهل مهلا : وألا : استفتاح ؛ ولله : كلمة تعجب . والقنا : الرماح وقوله فى عمروحاب : أراد عمرو بن حابس ــ بطن من أسد ــ فرخم المضاف

. . . .

إليه ؛ قال الواحدى : وذلك غير جائز ، لأن الترخيم حذف يلحق أواخر الأسماء في النداء تخفيفا ، والكوفيون يجيزونه فى غير النداء وينشدون :

أبا عُرْوَ لا تَبْعَدْ فكلُّ ابنِ حُرَّةٍ   سيدْعُوهُ داعِي موْتِهِ فيُجِيبُ[(١)]

والبصريون ينكرون هذه الرواية وينشدون أيا عرو ؛ وقال العكبرى : ذهب أصحابنا — يريد الكوفيين — إلى جواز ترخيم المضاف ، وأوقعوا الترخيم فى آخر الاسم المضاف إليه . وحجتهم : أنه قد جاء فى أشعار العرب القدماء ، كقول زهير بن أبى سلمى :

خُذُوا حَظَّكُمْ يا آلَ عِكرِم وَاحْفَظوا

أَوَاصِرَنا والرَّحمُ بالغيب تُذْكر[(٢)]

وقد جاء الترخيم فى قول جرير :

ألاَ أضْحَتْ حبالُكُمُ رِمَامَا   وأضْحَتْ مِنكَ شاسِعَةً أمَامَا[(٣)]

---

(١) عرو مرخم : عروة ، ولا تبعد : أى لا تهلك ؛ وهو دعاء خرج بلفظ النهى . فإن قيل : كيف قال لا تبعد وهو قد هلك ؟ فالجواب : أن العرب قد جرت عادتهم باستعمال هذه اللفظة فى الدعاء للميت ، ولهم فى ذلك غرضان : أما أولهما فهو أنهم يريدون بذلك استعظام موت الرجل الجليل ، وكأنهم لا يصدقون بموته . والثانى أنهم يريدون الدعاء له بان يبقى ذكره ولا ينسى ، لأن بقاء ذكر الإنسان بعد موته بمنزلة حياته . وقوله : فكل ابن حرة : أراد فكل ابن امرأة .

(٢) من أبيات قالها زهير لبنى سليم ، وبلغه أنهم يريدون الإغارة على غطفان . والحظ : النصيب . يقول : صونوا حظكم من صلة القرابة ، ولا تفسدوا ما بيننا وبينكم من القرابة فإن ذلك مما يعود مكروهه عليكم ، وعكرم : ترخيم عكرمة وآل عكرمة هم بنو عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان مضر ، والأواصر : جمع آصرة ، وهى ما عطفك على رجل من رحم أو قرابة أو صهر أو معروف . والرحم : موضع تكوين الولد ، وتخفف بسكون الحاء مع فتح الراء وكسرها ، ثم سميت القرابة والوصلة مع جهة الولاء : رحم ، فالرحم خلاف الأجنبى ، وهى مؤنثة فى المعنيين .

(٣) قال الأعلم : الرمام : جمع رميم ، وهو الخلق البالى . يريد أن حبال الوصل بينه وبين أمامة قد تقطعت للفراق الحادث بينهما ، وقال غيره : الرمام جمع رمة — بالضم — وهى القطعة البالية من الحبل ، وهذا البيت مطلع قصيدة لجرير .

لَمَّا تَحَكَّمَتِ الأَسِنَّةُ فِيهِمِ جَارَتْ وَهُنَّ يَجُرْنَ فِي الأَحْكَامِ[١]
فَتَرَكْتَهُمْ خَلَلَ البُيُوتِ كَأَنَّمَا غَضِبَتْ رُءُوسُهُمُو عَلَى الأَجْسَامِ[٢]
أَحْجَارُ نَاسٍ فَوْقَ أَرْضٍ مِنْ دَمٍ وَنُجُومُ بَيْضٍ فِي سَمَاءِ قَتَامِ[٣]

فهذا ترخيم فى غير النداء ، على من قال ياحار بالكسر . وضبة قبيلة مشهورة والأغتام جمع غتم جمع أغتم ورجل أغتم، وغتمى : لا يفصح شيئاً والغتمة عجمة فى المنطق والغتم فى الاصل : قطع اللبن الثخان ، ومنه قيل للثقيل الروح : غتمى ، والغتم : شدة الحر والأخذ بالنفس قال الراجز يصف إبلا .

حرقها حمض بلادٍ فِلّ وغتمُ نجم غيرِ مستقل[١]
* فما تكاد نيبها تولى *

أى غير مرتفع لثبات الحر المنسوب اليه ، وإنما يشتد الحر عند طلوع الشعرى التى فى الجوزاء . قال الواحدى : جعل هؤلاء أغتاما لأنهم كانوا جاهلين حين عصوحتى فعل ما فعل .

(١) قال العلامة العكبرى : يروى المنية بدل الأسنة ، وليس بشىء ، والأصح الأسنة ، ولهذا قال : وهن ؛ لجمع الضمير فى المبتدإ والخبر . ومن روى المنية أراد بها المنايا ، وليس هو بشىء ، إلا أنى وجدتها فى بعض النسخ فذكرتها حتى لا أخل بشىء على حسب الطاقة .

(٢) الخلل : فرجة ما بين الشيئين ، ونصبه على الظرفية . يقول : غزوتهم فى عقر دراهم حتى تركتهم خلال بيوتهم أجساما بلا رءوس كأن رءوسهم قد غضبت على أجسامهم ففارقتها .

(٣) البيض : جمع بيضة ، وهى الخوذة . والقتام : الغبار . وأحجار . خبر مبتدأ محذوف : أى هناك أحجار ناس . يصف المعركة وكثرة القتلى . يقول: صارت الأرض دما وصار مكان الحجارة ناس قتلى فوق تلك الأرض ، وصارت الخوذ نجوما لامعة فى سماء من الغبار . وبعبارة أخرى : انتشرت الجثث فى ساحة الحرب كالحجارة ، منبثة على أرض من الدم ، وامتلأ الهواء خوذا تلمع كالنجوم فى سماء من الغبار .

---

(١) الفل : الأرض القفرة ؛ وأفللنا : أى صرنا — فى فل من الأرض — ومنه يقال فلان فل من الخير : أى خال من الخير .

وَذِرَاعُ كُلِّ أَبِي فُلَانٍ كُنْيَةً حَالَتْ فَصَاحِبُهَا أَبُو الأَيْتَامِ (١)
عَهْدِي بِمَعْرَكَةِ الأَمِيرِ وَخَيْلُهُ فِي النَّقْعِ مُحْجِمَةٌ عَنِ الإِحْجَامِ (٢)
يَا سَيْفَ دَوْلَةِ هَاشِمٍ مَنْ رَامَ أَنْ يَلْقَى مَنَالَكَ رَامَ غَيْرَ مَرَامِ (٣)
صَلَّى الإِلَهُ عَلَيْكَ غَيْرَ مُوَدَّعٍ
وَسَقَى ثَرَى أَبَوَيْكَ صَوْبَ غَمَامِ (٤)

---

(١) وذراع : عطف على قوله أحجار ناس ؛ وحالت : تحولت وتغيرت . يقول هناك أحجار ناس وهناك ذراع كل أبى فلان : أى ذراع مقطوعة من رجل كان يكنى أبافلان ، فلما قتل حالت كنته فصار صاحب تلك الكنية يقال له أبو الأيتام ، لأن بنيه صاروا يتامى بهلاكه . هذا : وقد نصب كنية ـ كما قال الواحدى ـ على الحال من أبى فلان وتقديره كل أب لفلان ، لأن كل إذا كان واحداً فى معنى جماعة لا يكون إلا نكرة ، كما تقول كل رجل وكل فرس ، وهذا كما يقال : رب واحد أمه لقيت ، ورب عبد بطنه ضربت ، على تقدير رب واحد لأمه . ورب عبد لبطنه والإضافة يراد بها الانفصال . وقال ابن جنى : ويجوز نصبها بأعنى

(٢) وخيله : محجمة ، مبتدأ وخبر ، والجملة : حال سدت مسد خبر عهدى . ويروى وخيله ـ بالجر ـ عطفاً على معركة ، ومحجمة ، بالنصب على الحال ، والنقع : الغبار ، والإحجام التأخر . يقول : لم أعهد معركته إلا على هذه الحال ، خيله مقدمة أبداً تتأخر عن التأخر : أى تأنف من الرجوع فلا تقدم عليه .

(٣) رام : طلب ؛ ومنالك : أى غايتك التى تنالها . يقول : من طلب أن يبلغ غايتك فقد طلب أمراً لا مطلب فيه : أى لا يفوز طالبه . وهذا البيت منحول فى الصحيح ؛ لم لم يروه الواحدى ، لأن سيف الدولة لم يلقب بهذا اللقب إلا سنة ثلاثين وثلثمائة : لقبه به المتقى العباسى ، والقصيدة نظمت سنة إحدى وعشرين وثلثمائة .

(٤) الصلاة من الله : الرحمة والبركة . وصوب الغمام : المطر . يدعو له بالصلاة ولأبويه بالسقيا . وقوله غير مودع : حال . قال الواحدى : وقول الناس عند التوديع غير مودع معناه أنا معك قلبا وإن فارقت شخصا . ويجوز أن يكون من جهة الفأل ؛ ذكره كالاحتراس لمكان ذكر أبويه وهما قدماتا : أى وأنت حى لا يودعك أهلك . ويجوز أن يكون المعنى : أن روحى صحبتك فأنت مشيع غير مودع .

وَكَسَاكَ ثَوْبَ مَهَابَةٍ مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَرَاكَ وَجْهَ شَقِيقِكَ الْقَمْقَامِ (١)
فَلَقَدْ رَمَى بَلَدَ الْعَدُوِّ بِنَفْسِهِ فِى رَوْقِ أَرْعَنَ كَالْغِطَمِّ لُهَامِ (٢)
قَوْمٌ تَفَرَّسَتِ الْمَنَايَا فِيكُمُ فَرَأَتْ لَكُمْ فِى الْحَرْبِ صَبْرَ كِرَامِ (٣)
تَاللَّهِ مَا عَلِمَ امْرُؤٌ لَوْلَاكُمُ كَيْفَ السَّخَاءُ وَكَيْفَ ضَرْبُ الْهَامِ (٤)

***

وقال ، وقد تُحُدِّث بحضرة سيف الدولة أن البطريق أقسم عند ملكه أنه يعارض سيف الدولة فى الدرب وسأله أن ينجده ببطارقته وعدده وعُدده ، ففعل ؛ فخاب ظنه ، أنشده إياها سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وهى آخر ما أنشده بحلب :

عُقْبَى الْيَمِينِ عَلَى عُقْبَى الْوَغَى نَدَمُ مَاذَا يَزِيدُكَ فِى إِقْدَامِكَ الْقَسَمُ (٥)

---

(١) القمقام : السيد الكثير الخير الواسع الفضل ، وأصله البحر ، لأنه مجتمع الماء ، من قولهم قمقم الله عصبه : أى جمعه وقبضه ، وأراد بشقيقه : أخاه ناصر الدولة .

(٢) روق الجيش : أوله ومقدمته ، وأصله القرن ، فاستعاره . والأرعن : الجيش المضطرب لكثرته والغطم : البحر الكثير الماء ، واللهام : الجيش الكثير يلتهم كل شىء . يقول : إن أخاك قد رمى بلد العدو وحده ولم يكن معه من أهله أحد ، وهو قائد جيش يلتهم كل شىء ولا يخشى شيئا .

(٣) تفرست : تأملت . والمنايا : جمع منية : الموت . يقول : أنتم قوم تأملتكم المنايا وخبرتكم فرأتكم فى الحرب صبراً كراما ، وإذا صبروا فى الحرب كانت المنايا إليهم أسرع . قال العكبرى : وكان الوجه أن يقول فيهم : فرأت لهم ، كما تقول أنتم قوم لهم وفاء ، ولكنه حمله على المعنى ، لأنه إذا خاطبهم بالكاف كان أمدح .

(٤) الهام : الرءوس . يقول: منكم استفاد الناس البذل والشجاعة ولولا أنتم لما عرفا .

(٥) العقبى : العاقبة ؛ وعلى : متعلقة بيمين . يقول : من حلف على أن عاقبة الحرب له — أى أنه ظافر لامحالة — كانت العاقبة الندم ، لأنه ربما لا يظفر ، والقسم لا يزيد فى الإقدام ، لأن الجبان لا يقدم وإن حلف . يشير إلى تكذيب البطريق الذى حلف لملك الروم أنه لا بد أن يلقى سيف الدولة فى بطارقته ويجهد فى لقائه

وَفِى الْيَمِينِ عَلَى مَا أَنْتَ وَاعِدُهُ ... مَا دَلَّ أَنَّكَ فِى المِيعَادِ مُتَّهَمُ (١)
آلَى الْفَتَى ابْنُ شُمُشْقِيقٍ فَأَحْنَثَهُ ... فَتًى مِنَ الضَّرْبِ تُنْسَى عِنْدَهُ الْكَلِمُ (٢)
وَفَاعِلٌ مَا اشْتَهَى يُغْنِيهِ عَنْ حَلِفٍ ... عَلَى الْفِعَالِ حُضُورُ الْفِعْلِ وَالْكَرَمُ (٣)
كُلُّ السُّيُوفِ إِذَا طَالَ الضِّرَابُ بِهَا ... يَمَسُّهَا غَيْرَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ السَّأَمُ (٤)
لَوْ كَلَّتِ الْخَيْلُ حَتَّى لَا تَحَمَّلُهُ ... تَحَمَّلَتْهُ إِلَى أَعْدَائِهِ الْهِمَمُ (٥)
أَيْنَ الْبَطَارِيقُ وَالْحَلْفُ الَّذِى حَلَفُوا ... بِمَفْرِقِ الْمَلْكِ وَالزَّعْمُ الَّذِى زَعَمُوا (٦)

بهم ففعل نخيب الله ظنه ، فذكر المتنبى ذلك يرد عليه ويهجوه . وكأنه يقول : لو كنت ممن إذا قال وفى لم تحتج إلى اليمين . وماذا يزيدك : يروى « ماذا يفيدك » .

(١) فى اليمين : خبر مقدم عن الموصول — فى الشطر الثانى — يقول : إذا حلفت على ماتعده من نفسك دلت اليمين على أنك غير صادق فيما تعده لأن الصادق لا يحتاج إلى اليمين .

(٢) آلى : حلف . وابن شمشقيق : بطريق الروم . وأحنثه : ألجأه إلى الحنث ، وهو نقض الحلف فى اليمين . والكلم : الكلام . يقول : أقسم بطريق الروم أنه ظافر بسيف الدولة فاضطره إلى نقض يمينه فتى — يعنى سيف الدولة — أراه من شدة الضرب ما أذهله عن قسمه وأنساه كلامه ووعده .

(٣) فاعل : عطف على قوله فتى . وما اشتهى : مفعول فاعل . والفعال : جمع فعل . يقول : وأحنثه رجل يفعل مايريد لأنه ملك لا معارض له . ويغنيه عن القسم على مايفعله حضور فعله و كرمه : أى أنه موثوق بقوله لكرمه . وفعله ما يريد حاضر عاجل فلا يحتاج إلى أن يقسم على ما يريد فعله .

(٤) الضراب : أى المضاربة ؛ والسأم : الضجر ، وهو فاعل « يمسها » . يقول : كل السيوف إذا ضرب بها كلت ونبت إلا هذا السيف ، فإنه مهما ضرب به لا يسأم مقارعة الأبطال .

(٥) يقول : لو عجزت الخيل عن حمله إلى أعدائه لسار إليهم بنفسه ، لأن همته لا تدعه يترك القتال . وقوله: «حتى لا تحمله» — بحذف إحدى التاءين — : أى تتحمله، قال ابن جنى : الاختيار فيه الرفع : لأنه فصل الحال من « حتى » كأنه قال : حتى هى غير متحملة له ، والنصب جائز على معنى إلى أن لا تحمله :

(٦) البطريق : القائد من الروم ؛ ومفرق الملك : يريد رأسه ؛ والملك : لغة فى

وَلَّى صَوَارِمَهُ إِكْذَابَ قَوْلِهِمِ ... فَهُنَّ أَلْسِنَةٌ أَفْوَاهُهَا الْقِمَمُ(١)
نَوَاطِقٌ مُخْبِرَاتٌ فِي جَمَاجِمِهِمْ ... عَنْهُ بِمَا جَهِلُوا مِنْهُ وَمَا عَلِمُوا(٢)
الرَّاجِعُ الْخَيْلَ مُحْفَاةً مُقَوَّدَةً ... مِنْ كُلِّ مِثْلِ وَبَارٍ أَهْلُهَا إِرَمُ(٣)
كَتَلِّ بِطْرِيقِ الْمَغْرُورِ سَاكِنُهَا ... بِأَنَّ دَارَكَ قِنَّسْرِينُ وَالْأَجَمُ(٤)

الملك : يقول : أين ذهبوا وأين يمينهم التى أقسموها برأس مليكهم أن يعارضوا سيف الدولة وما زعموا من أنهم يثبتون على قتاله ويظفرون به ، والزعم كناية عن الكذب يعنى أن كل ذلك كان كذبا .

(١) وليته الأمر تولية فتولاه : أى باشره . والصوارم : السيوف القواطع: والقمم جمع قمة ، وهى الرأس ، يقول : ولى سيف الدولة سيوفه أن تكذبهم فيما ادعوا من الصبر على القتال ، فكذبتهم سيوفه بقطع رءوسهم وجعلها ـ أى السيوف ـ كالألسنة تعبر عن تكذيبهم ؛ ولما جعلها ألسنة : جعل رءوسهم كالأفواه ، لأنها ـ السيوف ـ تتحرك فى تلك الرؤوس تحرك اللسان فى الفم ؛ وهو تخيل بديع رائع .

(٢) نواطق : نعت ألسنة ، أو خبر عن محذوف ضمير الصوارم . وهذا البيت تفسير للمصراع الثانى من البيت السابق . يقول : إذا وقعت هذه السيوف فى جماجمهم أخبرتهم عن سيف الدولة بما علموا من إقدامه وشجاعته وصبره فى الحرب ، وبما جهلوا منه ، لأنهم لم يعرفوا ما عنده من البأس تمام المعرفة .

(٣) الراجع : بمعنى المرجع ، وهو خبر عن محذوف ضمير سيف الدولة . يقول : هو ـ سيف الدولة ـ الذى يرد الخيل عن غزواته وقد حفيت من كثرة المشى ، يقودها فرسانها قودا راجعا بها من كل بلد قد صيره مثل وبار فى الخراب ، وأهلك أهلها وأبادهم فصاروا مثل قوم إرم . وليس يريد أن « وبار » كان أهلها إرم ، وإنما يريد أن الديار التى رد عنها خيله كانت كوبار خرابا ، وأهلها كإرم هلاكا . ووبار : مدينة قديمة الخراب ؛ قيل كانت من مساكن عاد : أى من كل مدينة مثل وبار ، وإرم : جيل من الناس هلكوا فى قديم الدهر يقال إنهم من عاد .

(٤) تل بطريق : بلد بالروم ؛ وقنسرين : كورة بالشام بالقرب من حلب ؛ ويقال لها أيضاً قنسرون : من ألزمها الياء أعربها إعراب مالا ينصرف ومن قال بالواو أعربها إعراب الجمع السالم . هذا ، وقال الجوهرى فى ترجمة قسر : وقنسرون بلد بالشام ـ بكسر القاف والنون مشددة تكسر وتفتح ـ وأنشد ثعلب بالفتح هذا البيت لعكرشة الضبى يرثى بنيه :

وَظَنِّهِمْ أَنَّكَ المِصْبَاحُ فى حَلَبٍ ... إذا قَصَدْتَ سِوَاهَا عَادَهَا الظُّلَمُ(١)

وَالشَّمْسُ يَعْنُونَ إلاّ أَنَّهُمْ جَهِلُوا ... وَالمَوْتَ يَدْعُونَ إلاّ أَنَّهُمْ وَهِمُوا(٢)

فَلَمْ تُتِمَّ سَرُوجٌ فَتْحَ نَاظِرِهَا ... إلاّ وَجَيْشُكَ فى جَفْنَيْهِ مُزْدَحِمُ(٣)

وَالنَّقْعُ يَأْخُذُ حَرَّانًا وَبُقْعَتَهَا ... وَالشَّمْسُ تَسْفِرُ أَحْيَانًا وَتَلْتَثِمُ(٤)

سقى الله فتيانًا ورائى تركتهم ... بحاضر قنسرين من سَبَل القطر(١)

والأجم : مكان بقرب الفراديس ، وهذا تفسير لقوله من كل مثل وبار : يعنى من كل بلد خراب كتل بطريق التى اغترسا كنها بأن دارك بعيدة عنه ، فظن أنك لا تقدر على قطع ما بينك وبينه من المسافة .

(١) ظنهم : معطوف على مادخلت عليه الباء من قوله بأن دارك : أى واغتروا بظنهم وعادها : انتابها . يقول : واغتروا بظنهم أنك كالمصباح فى حلب ، ومتى فارقتها وبعدت عنها أظلمت ، يريد انتقضت عليك ولايتها وشق أهلها عصا الطاعة .

(٢) هذا كالجواب لهم على ما اغتروا فيه . يقول : ما ظنوه من أنك مصباح حقيقته أنك الشمس التى تعم كل مكان بضيائها وإن كانت بعيدة ، إلا أنهم جهلوا الحقيقة ، وما ظنوه من أنك تستبعد أرضهم قد وهموا فيه وغلطوا إذ لم يعرفوا أنهم بتحريكهم إياك إنما يدعون الموت الذى لا يتعذر عليه مكان

(٣) سروج : بلد قرب حران . والناظر : العين : أى كانت غافلة عن قدومك فلم تنتبه له إلا وقد ازدحم الجيش عليها ؛ أو تقول : لم تصبح سروج إلا وخيلك مزدحمة عليها ، جعل الصباح لها بمنزلة فتح الناظر .

(٤) النقع : الغبار . وحران : بلد من بلاد ما بين النهرين على بعد من سروج ،

---

(١) قال ابن برى : صواب إنشاده :

* سقى الله أجداثًا ورائى تركتها *

وحاضر قنسرين : موضع الإقامة على الماء من قنسرين . وبعد البيت :

لعمرى لقد وارت وضمت قبورهم ... أكفا شِدادَ القبض بالأسَل السُّمر

يُذكرُنيهم كل خيــر رأيته ... وشرٍّ فما أنفك منهم على ذُكر

يريد أنهم كانوا يأتون الخير ويجتنبون الشر ، فإذا رأيت من يأتى خيرا ذكرتهم ، وإذا رأيت من يأتى شرا لا ينهاه عنه أحد ذكرتهم .

سُحُبٌ تَمُرُّ بِحِصْنِ الرَّانِ مُمْسِكَةً   وَمَا بِهَا الْبُخْـلُ لَوْلَا أَنَّهَا نِقَمُ (١)
جَيْشٌ كَأَنَّكَ فِى أَرْضٍ تُطَاوِلُهُ   فَالأَرْضُ لَا أَمَمٌ وَالْجَيْشُ لا أَمَمُ (٢)

وبقعتها : ضبطها أبو العلاء المعرى بفتح الباء ، وقال : هى مكان كالبطحاء يعرف ببقعة حران ، قال : ولا يجوز أن تضم الباء فى هذا الموضع ، لان النقع ـ وهو الغبار ـ إذا أخذ حران فقد أخذ بقعتها ، فلا يحتاج إلى ذكره ، أما ابن جنى وجماعة معه فقد رووها بضم الباء ، وقد فسروها بأنها المكان الواسع من الأرض ، وتسفر : من سفور المرأة وهو أن تكشف عن وجهها . يقول : انتشر الغبار وتكاثف حتى بلغ حران وبقعتها ـ وذلك لعظم الحرب وكثرة الجيش ـ وحتى حجب ضوء الشمس فهى تظهر من خلاله أحيانا ثم تعود فتحتجب كأنها الحسناء تسفر أحيانا ثم تعود فتلتثم .

(١) سحب : خبر عن محذوف يرجع إلى الجيش . وحصن الران : موضع من عمل سيف الدولة . وممسكة : أى بخيلة بالمطر . شبه جيشه بالسحب لكثرته وانتشاره . يقول : تمر هذه السحب بهذا الموضع فتمسك مطرها عنه وليس إمساكها هذا بخلا وإنما هو إشفاق على دياره ، وهذه السحب نقم ، والنقم إنما تصب على ديار الأعداء .

(٢) التاء ـ فى تطاوله ـ للأرض ، والهاء : للجيش : أى تطاول الأرض جيشك : أى تغالبه طولا . والامم : القرب يقال : أخذت ذلك من أمم أى من قرب ودارى أمم داره : أى مقابلتها . وأصله القصد الذى هو الوسط ، والأمم ـ اليسير ، يقال ما سألت إلا أمما ، وقال زهير :

كأن عينى وقد سال السليل بهم   وجيرةٌ ماهُمُ لو أنهم أمم (١)

يريد : أى جيرة كانوا لو أنهم بالقرب منى ؟ يقول : بعدت الأرض فطالت كأنما تطاول أطرافها جيشك الكبير البعيد أطرافه ، فكلاهما طويل بعيد الأطراف لاقرب فيه ، ثم بين هذا بالبيت التالى .

---

(١) قال ابن برى : ويروى :

* وعـبرة ماهم لو أنهم أمم *

والسليل : واد واسع غامض ، قال ابن برى : قوله سال السليل بهم : أى ساروا سيرا سريعا . يقول : انحدروا به ، فقد سال بهم . وقوله ماهم : «ما» زائدة ؛ و «هم» مبتدأ ، وعبرة خبره أى هم لى عبرة ، ومن رواه «وجيرة ماهم» فتكون «ما» استفهامية . أى أى جيرة هم

إذا مَضَى عَلَمٌ مِنها بَدَا عَلَمٌ ... وَإِنْ مَضَى عَلَمٌ مِنْهُ بَدَا عَلَمُ(١)
وَشُزَّبٌ أَحْمَتِ الشِّعْرَى شَكَائِمَهَا ... وَوَسَّمَتْهَا عَلَى آنَافِهَا الْحَكَمُ(٢)
حَتَّى وَرَدْنَ بِسِمْنِينٍ بُحَيْرَتَهَا ... تَنِشُّ بِالْمَاءِ فِي أَشْدَاقِهَا اللُّجُمُ(٣)

(١) علم الأرض : هو الجبل ؛ وعلم الجيش : الراية . يقول : كلما مضى جبل من الأرض بدا جبل آخر ؛ وكذلك هذا الجيش : كلما مضت كتيبة منه براياتها جاءت كتيبة أخرى ، فلا الأرض تفنى ولا الجيش يفرغ . هذا : وقد جاء فى أمالى ابن الشجرى ما يأتى : قال الخطيب التبريزى : لو قال — المتنبي — وإن مضى عالم لكان أحسن ؛ لأن تكرار العلم كثير فى البيت ، قال ابن الشجرى : ولو استعمل أبو الطيب ما قال الخطيب لكان قبيحا فى صناعة الشعر لأنه أتى بذكر العلم — الذى هو الجبل — مرتين ، فوجب أن يقابله بذكر العلم — الذى هو الراية — مرتين : وإذا قال مضى عالم : دل على كثرة الجيش ، فكذلك ذكر العلم يدل على كثرة الجيش ، لأن العلم يكون تحته أمير معه جماعة وأما كراهيته لتكرار العلم فقول من جهل ما فى التكرار من التوكيد والتبيين إذا تعلق التكرار بعضه ببعض بحرف عطف أو شرط أو غيرهما من المعلقات ، وقد جاء فى الكتاب العزيز « وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله » وأيضا فيه « فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم » والتكرار فى هذا النحو حسن مقبول ، وإذا ورد التكرار فى الكتاب العزيز علمت أن التكرار فى بيت المتنبي غير معيب ، وإنما يعاب التكرار إذا ورد اللفظ فى بيتين أو ثلاثة والمعنى واحد ،

(٢) شزب : عطف على جيش ، أو على علم — الأخير — وهى جمع شازب : الفرس الضامر . وخيل شزب : ضوامر . والشعرى : يريد الشعرى اليمانية ، نجم يطلع فى فصل الصيف ، فهى تعد من نجوم القيظ ؛ لأن طلوعها حينئذ يكون مع طلوع الشمس . والشكائم : جمع شكيمة ، الحديدة المعترضة فى فم الفرس ؛ والحكم : جمع حكمة ، ما أحاط من اللجم بالحنك . يقول : وخيل حميت حدائد لجمها من حر الشمس حتى جعلت الحكم تسم أنوف الخيل ؛ يعنى لشدة الحر أحمت الشمس اللجم حتى صار مكان الحكم مثل الوسم — الكى —

(٣) سمنين : موضع . والنشيش : صوت الماء وغيره إذا غلا ، يقول : حتى وردت هذه الخيل بحيرة هذا الموضع وكرعت فى الماء فسمع للجمها نشيش فى أشداقها لشدة حرارة الحديد . يريد أنها كانت محماة ؛ فلما أصابها الماء نشت ، ويريد أنها — لسرعتها — وردت الماء وشربت بلجمها .

وَأَصْبَحَتْ بِقُرَى هِنْزِيطَ جَائِلَةً ... تَرْعَى الظُّبَى فِى خَصِيبٍ نَبْتُهُ اللِّمَمُ (١)
فَمَا تَرَكْنَ بِهَا خُلْدًا لَهُ بَصَرٌ ... تَحْتَ التُّرَابِ وَلَا بَازًا لَهُ قَدَمُ (٢)
وَلَا هِزَبْرًا لَهُ مِنْ دِرْعِهِ لِبَدٌ ... وَلَا مَهَاةً لَهَا مِنْ شِبْهِهَا حَشَمُ (٣)
تَرْمِى عَلَى شَفَرَاتِ الْبَاتِرَاتِ بِهِمْ ... مَكَامِنُ الْأَرْضِ وَالْغِيطَانُ وَالْأُكُمُ (٤)

---

(١) وأصبحت : أى الخيل ، وهنزيط : موضع ببلاد الروم . والظبى : جمع ظبة ، حد السيف ، والظبى : فاعل ترعى ، والجملة : حال من قرى . يريد فى خصيب منها . واللمم : جمع لمة ، ما ألم بالمنكب من الشعر . يقول : أصبحت الخيل جائلة بقرى هذا المكان للغارة والقتل ، والسيوف ترعى منها فى مكان خصيب نبته الشعور : يعنى رءوسهم وعبارة ابن جنى والواحدى: إن السيوف ترعى فى مكان خصيب من رءوسهم فنبت هذا المكان إنما هو اللمم ، يعنى أن السيوف تصل من الرءوس إلى مكان مثل ما يصل إليه المال الراعى ـ الماشية ـ فى البلد الخصيب .

(٢) فما تركن أى الظبى ـ السيوف ـ والخلد ضرب من الفار ليست له عيون قال ابن جنى وكذلك الواحدى : يقول : إن أهل الروم كانوا فريقين فريقا دخلوا المطامير والأسراب كالفأر إذا ريعت من شىء دخلت جحرها وفريقا توقلوا ـ صعدوا ـ فى الجبال واعتصموا بها كالبازى يطير علوا ، فجعل من دخل الأسراب خلداً ذات أعين ، ومن تحصن بالجبال بزاة لها أقدام . لأنه يريد بالفريقين ناسا . والمعنى ما تركت السيوف إنسانا دخل المطامير تحت الأرض فصار كالخلد ولا من تعلق برأس الجبل فصار كالبازى إلا أهلكته وعبارة ابن القطاع : « ما تركن من هو فى ضعفه وخفاء مكانه كالخلد ، إلا أنه ذو بصر ـ يعنى إنسانا ـ ولا تركن من هو كالبازى فى ارتفاعه إلا أنه ذو قدم » يعنى إنسانا ـ .

(٣) الهزبر الأسد ، واللبد : جمع لبدة ، كقربة وقرب ، وهى زبرة الأسد : أى ما على كتفيه من الشعر . والمهاة : البقرة الوحشية توصف بحسن العيون . والحشم : الخدم ، وهى حاشية الرجل العظيم . يقول : ولا تركت السيوف بطلا كالهزبر له مكان اللبدة درع ، ولا امرأة حسناء كالمهاة لها خدم من مثلها : يعنى نساء من الأمراء والأشراف .

(٤) الشفرات جمع شفرة ، حد السيف . والباترات . القاطعات . ومكامن الأرض : الخفيات منها . والغيطان : جمع غائط ، المطمئن من الأرض ؛ والأكم : جمع أكمة ، التل . يقول : إنهم لوشك حينهم ـ هلاكهم ـ وحلول آجالهم ـ لم يجدهم

وَجَاوَزُوا أَرْسَنَاسًا مُعْصِمِينَ بِهِ ... وَكَيْفَ يَعْصِمُهُمْ مَا لَيْسَ يَنْعَصِمُ(١)

وَمَا يَصُدُّكَ عَنْ بَحْرٍ لَهُمْ سَعَةٌ ... وَمَا يَرُدُّكَ عَنْ طَوْدٍ لَهُمْ شَمَمُ(٢)

ضَرَبْتَهُ بِصُدُورِ الْخَيْلِ حَامِلَةً ... قَوْمًا إِذَا تَلِفُوا قُدْمًا فَقَدْ سَلِمُوا(٣)

تَجَفَّلُ الْمَوْجُ عَنْ لَبَّاتِ خَيْلِهِمِ ... كَمَا تَجَفَّلُ تَحْتَ الْغَارَةِ النَّعَمُ(٤)

عَبَرْتَ تَقْدُمُهُمْ فِيهِ وَفِي بَلَدٍ ... سُكَّانُهُ رِمَمٌ مَسْكُونُهَا حُمَمُ(٥)

ينفعهم — الهرب ، ولم ينجهم من القتل ، حتى كأن المواضع التى هربوا إليها من القيطان والجبال كانت تقذف بهم وترميهم على حدود السيوف .

(١) أرسناس : نهر معروف ببلادهم ، ومعصمين : أى ممتنعين ؛ وأصله أن يستمسك الراكب بشىء خوفا من أن يصرعه فرسه . يقول : قطعوا هذا النهر مستمسكين به ظانين أنه يعصمهم منك ، وكيف يعصمهم ماليس ينعصم منك ؟ لأنك تقطعه وتركبه بالسفن والجسور وراءهم .

(٢) الطود : الجبل . والشمم : العلو والارتفاع . والبيت توكيد للبيت السابق . يقول : إن سعة بحارهم لا تصدك عنها ، لأنك تقطعها وإن كانت واسعة ، وارتفاع جبالهم لا يردك عنها ، لأنك تعلوها وتصعدها .

(٣) الضمير فى ضربته : للنهر — وهو أرسناس — وقدما — أى إقداما — حال يقول : ضربته بصدور خيلك حين عبرته وهى تحمل قوما يرون التلف فى الإقدام سلامة : أى لايهابون التلف ، بل يتهافتون عليه ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

يستعذبون مناياهم كأنهم ... لا ييأسون من الدنيا إذا قتلوا

(٤) تجفل — فى المصراعين بحذف إحدى التاءين — أى تتجفل ، والتجفل : الإسراع فى الذهاب . واللبات : جمع لبة . أعلى الصدر . والغارة : الخيل الغائرة على العدو ؛ والنعم : المواشى ، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل يقول : إن الأمواج تنهزم أمام صدور خيلهم وهى سابحة فتتتابع مسرعة كما تنهزم المواشى عند الغارة عليها فتنهزم وتجفل مسرعة .

(٥) تقدمهم أى تتقدمهم ، والضمير من « فيه » للنهر والرمم : العظام البالية . والحمم بوزن صرد : الرماد والفحم ، وكل مااحترق بالنار ، الواحدة حممة . وفى الأثر : إن رجلا أوصى بنيه عند موته فقال : إذا أنامت فأحرقونى بالنار ، ثم إذا صرت حمما فاسحقونى ، ثم ذرونى فى الريح لعلى أضل الله وقال طرفة :

وَفى أَكُفِّهِمِ النَّارُ التى عُبِدَتْ   قَبْلَ المَجُوسِ إلى ذا اليَوْمِ تَضْطَرِمُ (١)
هِنْدِيَّةٌ إنْ تُصَغِّرْ مَعْشَرًا صَغُرُوا   بِحَدِّها أوْ تُعَظِّمْ مَعْشَرًا عَظُمُوا (٢)
قَاسَمْتَها تَلَّ بِطْرِيقٍ فَكَانَ لَهَا   أَبْطَالُهَا وَلَكَ الأطْفَالُ وَالحُرَمُ (٣)

أشجاك الربعُ أم قِدَمُه   أم رماد دارس حُمَمُهْ

يقول : عبرت النهر متقدما رجالك فيه وفيما قصدت إليه من ذلك البلد الذى قتلت أهله فصاروا رمما ، وأحرقت مساكنهم فصاروا حمما . وذلك البلد هو تل بطريق .

(١) وفى أكفهم : أى أكف أصحاب سيف الدولة الذين ذكرهم فى قوله حاملة قوما — وأراد بالنار : السيوف جعل السيوف نارا ، اضطراما وإهلاكا ؛ أو لما فيها من البريق واللمعان . يقول : إنها — السيوف — نار كانت مطاعة فى كل وقت قبل أن تعبد المجوس النار ، وهى نار تضطرم إلى هذا اليوم : أى تتوقد وتبرق . وقال ابن جنى : يريد سيوفا كالنار فى الصفاء والجوهر : وقبل المجوس : يريد أنها قديمة . وعبارة الخطيب التبريزى : يريد بالنار : السيوف ، شبهها بالنار اضطراما وإهلاكا . وعبادتهم السيوف : اشتمالهم بها كما يشتمل المسلمون بالمصحف والمسيحيون بالصلب .

(٢) هندية : أى هى سيوف منسوبة إلى الهند . وقال العكبرى : جزم الشرط ولم يأت له بجواب مجزوم ولا بما يقوم مقامه . والأولى فى الشرط والجواب إذا كانا فعلين أن يكونا مستقبلين ، ويجوز أن يكونا ماضيين ؛ ويجوز أن يكون الشرط ماضيا والجواب مضارعا ، وبالعكس — كهذا ؛ وهو أضعفها ، لأن الشرط إذا أثر فى الشرط يريد أن يؤثر فى الجواب . وذكر عبد القاهر أن الشرط إذا كان ماضيا والجواب مضارعا جاز فيه الجزم والرفع ، وأنشد بيت زهير :

وإن أتاه خليـــل يوم مسغبة   يقول لا غائب مالى ولا حَرِمُ (١)

وهذا قول مردود . لأن سيبويه يجعل هذا ضرورة فى الشعر ، والشرط معترض ويقول خبر « لا » جواب ، وموضع الضرورة يؤخر الخبر إلى موضع الاعتراض ، ويقدم الاعتراض إلى موضع الخبر ، وجواب الشرط محذوف دل عليه قوله : يقول ؛ ووجه التأخير أن المعنى يقول : لا غائب مالى إن أتاه خليل .

(٣) الهاء من « قاسمتها » و« لها » : للنار : أى السيوف ؛ وتل بطريق : مفعول

---

(١) الخليل : المحتاج المعدم والفقير المختل الحال ، والمسغبة : المجاعة . وحرم : أى ممنوع .

تَلْقَى بِهِمْ زَبَدَ التَّيَّارِ مُقْرَبَةٌ ... عَلَى جَحَافِلِهَا مِنْ نَضْحِهِ رَثَمُ (١)
دُهْمٌ فَوَارِسُهَا رُكَّابُ أَبْطُنِهَا ... مَكْدُودَةٌ بِقَوْمٍ لَا بِهَا الْأَلَمُ (٢)
مِنَ الْجِيَادِ الَّتِى كِدْتَ الْعَدُوَّ بِهَا ... وَمَا لَهَا خَلْقٌ مِنْهَا وَلَا شِيَمُ (٣)
نِتَاجُ رَأْيِكَ فِى وَقْتٍ عَلَى عَجَلٍ ... كَلَفْظِ حَرْفٍ وَعَاهُ سَامِعٌ فَهِمُ (٤)
وَقَدْ تَمَنَّوْا غَدَاةَ الدَّرْبِ فِى لَجَبٍ ... أَنْ يُبْصِرُوكَ فَلَمَّا أَبْصَرُوكَ عَمُوا (٥)

ثان لقاسمتها ؛ والضمير من أبطالها : لتل بطريق . يقول : قاسمت سيوفك سكان هذه البلدة - تل بطريق - فجعلت أبطالها للسيوف فأهلكتهم وسبيت أنت الأطفال والنساء .

(١) بهم : أى بالأطفال والحرم . والزبد : رغوة الموج . والتيار : الموج الذى ينضح - يرش - والمقربة - فى الأصل - : الخيل المدناة من البيوت ، لكرمها وإعدادها للغارة والجحافل : جمع جحفلة ، وهى لذى الحافر كالشفة للانسان ؛ والنضح : الرش ؛ والرثم بياض فى شفة الفرس العليا ، يريد بالمقربة : السفن ؛ جعلها كالخيل المقربة : يعنى عبر بالسبى الماء وهم فى زوارق تشق زبد الأمواج ؛ ولما سماها مقربة استعار لها الجحافل ، وجعل ما لصق من زبد الماء بها كالرثم فى جحافل الخيل .

(٢) دهم : أى هى - المقربة - دهم ، وفوارسها : مبتدأ ؛ وركاب : خبره ؛ ومكدودة أى مجهودة بسرعة السير - خبر آخر عن ضمير « المقربة » ؛ والألم ؛ مبتدأ خبره : بقوم يقول : هى سود - لأنها مطلية بالقار ، وفوارسها تركب بطونها ، لاظهورها ، على خلاف الخيل إذا ركبت ، وهى متعبة فى سيرها ؛ إلا أن ألم هذا التعب ينال من الملاحين لامنها هى لأنهم هم الذين يعملون دونها .

(٣) الجياد : الخيل ، والجار والمجرور : خبر آخر عن ضمير « المقربة » والشيم : الأخلاق ، يقول : إن هذه السفن تعد من الخيل التى جعلتها كيدا لأعدائك لأنها تحمل جيوشك إليهم ، إلا أنه ليس لها خلقة الخيل ولا طباعها .

(٤) فى وقت : صلة نتاج ؛ وعلى عجل : بدل من الظرف قبله . والمراد بالحرف هنا : الكلمة . يقول : إن هذه السفن مما أحدثه رأيك فى وقت قريب المدة كمدة فهم السامع ذى الفهم كلمة ينطق بها ناطق : أى كانت المدة فى اتخاذها كالمدة التى يستغرقها فهم السامع الفطن حرفا : أى كلمة . قال الواحدى: ويجوز أن يريد الواحد من حروف المعجم مما له معنى : كـ« ع » ، من وعيت ، و« د » : من وديت .

(٥) الدرب : موضع ؛ وغداة الدرب : أى غداة اليوم الذى كانوا فيه على هذا

صَدَمْتَهُمْ بِخَمِيسٍ أَنْتَ غُرَّتُهُ ... وَسَمْهَرِيَّتُهُ فِى وَجْهِهِ غَمَمُ(١)

فَكَانَ أَثْبَتَ مَا فِيهِمْ جُسُومُهُمُ ... يَسْقُطْنَ حَوْلَكَ وَالْأَرْوَاحُ تَنْهَزِمُ(٢)

وَالْأَعْوَجِيَّةُ مِلْءُ الطُّرْقِ خَلْفَهُمُ ... وَالْمَشْرَفِيَّةُ مِلْءُ الْيَوْمِ فَوْقَهُمُ(٣)

إِذَا تَوَافَقَتِ الضَّرْبَاتُ صَاعِدَةً ... تَوَافَقَتْ قُلَلٌ فِى الْجَوِّ تَصْطَدِمُ(٤)

الموضع ؛ وفى لجب : حال من فاعل « عَمُوا » واللجب : الصياح واختلاط الأصوات ؛ وبكسر الجيم : نعت للجيش العظيم الذى تختلط أصواته . يقول : أرادوا أن يبصروك فى ذلك اليوم ، فلما أبصروك عموا عن الرشد والرأى ـ أى تحيروا ـ أو تقول : تمنوا فى ذلك اليوم أن يبصروك فلما أبصروك سددت عليهم مذاهب الرأى فصاروا من شدة الحيرة كالعميان . وقال الواحدى : عموا : أى غضت هيبتك عيونهم عنك فكأنهم عموا .

(١) الخميس : الجيش . « والغرة » فى الأصل : البياض فى جبهة الفرس ، وقد يراد بها الوجه والطلعة وشريف القوم . والسمهرية : الرماح ؛ والغمم : كثرة الشعر وإسباله على الوجه . جعل الجيش كأنه فرس ، وسيف الدولة فى مقدمته كالغرة ، والرماح المشرعة فى أيديهم كالغمم ، لكثرتها وتلززها ، وهذا ينظر إلى قول الآخر :

فَلَوْ أَنَّا شَهِدْنَاكُمْ نَصَرْنَا ... بِذِى لَجَبٍ أَزَبَّ مِنَ الْعَوَالِى

(الأزب ـ فى الأصل الطويل الشعر الكثيرة ؛ والعوالى : الرماح . واللجب : اختلاط الأصوات ، وذو اللجب : الجيش) .

(٢) يسقطن : أى الجسوم ، والجملة حالية ، يقول : ثبتت أجسامهم أمامك ؛ لأنك لم تترك لهم سبيلا إلى الهزيمة ، فسقطت حولك وانهزمت أرواحهم .

(٣) الأعوجية : الخيل المنسوبة إلى أعوج ـ فرس كريم كان لبنى هلال ـ وملء ـ فى المصراعين ـ حال من الضمير فى الظرف ؛ والمشرفية : السيوف ، يقول : إن الخيل كانت خلفهم مالئة الطرق لكثرتها ، وجعل السيوف ملء اليوم ، لأنها تعلو فى الجو وتنزل عند الضرب فى الهواء ، فأينما كان النهار كانت السيوف . وهذا ـ كما قال الواحدى ـ مبالغة فى القول ، وإغراق فى الوصف .

(٤) الضربات ـ بسكون الراء ـ للضرورة . والقلل : جمع قلة ، أعلى الرأس . يقول : إذا توافقت الضربات من الأبطال صاعدة فى الهواء ـ لأن اليد ترفع للضرب ـ توافقت رءوس مقطوعة بتلك الضربات متصادمة فى الهواء : يعنى أنهم لا يضربون ضربة

وَأَسْلَمَ ابْنُ شُمُشْقِيقٍ أَلِيَّتَهُ ... أَلاَّ انْثَنَى فَهْوَ يَنْأَى وَهْيَ تَبْتَسِمُ (١)
لاَ يَأْمُلُ النَّفَسَ الْأَقْصَى لِمُهْجَتِهِ ... فَيَسْرِقُ النَّفَسَ الْأَدْنَى وَيَغْتَنِمُ (٢)
تَرُدُّ عَنْهُ قَنَا الْفُرْسَانِ سَابِغَةٌ ... صَوْبُ الأَسِنَّةِ فِي أَثْنَائِهَا دِيَمُ (٣)
تَخُطُّ فِيهَا الْعَوَالِي لَيْسَ تَنْفُذُهَا ... كَأَنَّ كُلَّ سِنَانٍ فَوْقَهَا قَلَمُ (٤)
فَلاَ سَقَى الْغَيْثُ مَا وَارَاهُ مِنْ شَجَرٍ ... لَوْ زَلَّ عَنْهُ لَوَارَتْ شَخْصَهُ الرَّخَمُ (٥)

إلا قطعوا بها رأسا ، فالرءوس المقطوعة على قدر تلك الضربات، لا تخطىء لهم ضربة عن قطع رأس .

(١) أسلم : ترك ؛ وابن شمشقيق : بطريق من بطارقة الروم : أى قوادهم ؛ وأليته: يمينه . وألا ، أى أن لا ؛ و « أن » هنا : للتفسير ؛ ولا انثنى : حكاية اليمين ، وينأى : يبعد . يقول : ترك يمينه التى حلف بها وآلى أنه يثبت ولا ينهزم ولا يرجع عنك ، فانهزم وأبعد فى الهزيمة ويمينه تسخر منه وتضحك .

(٢) الأقصى : الأبعد : ضد الأدنى ـ وقد طابق بينهما ـ والمهجة : الروح . وقوله فيسرق : أراد فهو يسرق ، فرفعه . يقول : ليأسه من نفسه لا يأمل أن يستتم النفس البعيد ـ أى الطويل ـ فهو يغتنم أنفاسه القريبة سرقة من أيدى الأجل .

(٣) عنه : أى عن ابن شمشقيق ، والقنا : الرماح ، والسابغة : الدرع التامة الطويلة والصوب : الانصباب ، والديم : جمع ديمة ، المطر الدائم فى سكون ، وفى أثنائها : أى فى تضاعيفها ومطاويها ، يقول : تمنع الرماح من النفوذ فيه درع سابغة ، وقد تلطخت بالدماء التى تسيل من الأسنة عليها ، وقال ابن جنى : وقع الأسنة فى هذه الدرع كديمة المطر تتابعا .

(٤) العوالى : صدور الرماح ، وليس تنفذها : حال ، يقول : إن الرماح تؤثر فى درعه : أى تجرحها ، ولا تنفذها إلى جسمه ، حتى كأن أسنتها أقلام تخط فى القرطاس ولا تؤثر فيه ولا تخرقه .

(٥) الغيث : المطر ، وواراه : ستره وأخفاه ؛ ومن شجر : بيان لـ«ما» . وزل عنه : أخطأه ، والرخم : جمع رخمة ، طائر من الجوارح الكبيرة ، يشبه النسر فى الخلقة ، يقول : إنه لما هرب استتر فى الشجر فلم يبصره الفرسان ، ولولا ذلك لقتل وألقى للطير ،

أَلْهَى الْمَمَالِكَ عَنْ فَخْرٍ قَفَلْتَ بِهِ   شُرْبُ الْمُدَامَةِ وَالْأَوْتَارُ وَالنَّغَمُ (١)

مُقَلَّداً فَوْقَ شُكْرِ اللهِ ذَا شُطَبٍ   لاَ تُسْتَدَامُ بِأَمْضَى مِنْهُمَا النِّعَمُ (٢)

أَلْقَتْ إِلَيْكَ دِمَاءُ الرُّومِ طَاعَتَهَا   فَلَوْ دَعَوْتَ بِلاَ ضَرْبٍ أَجَابَ دَمُ (٣)

يُسَابِقُ الْقَتْلُ فِيهِمْ كُلَّ حَادِثَةٍ   فَمَا يُصِيبُهُمُ مَوْتٌ وَلاَ هَرَمُ (٤)

نَفَتْ رُقَادَ عَلِيٍّ عَنْ مَحَاجِرِهِ   نَفْسٌ يُفَرِّجُ نَفْساً غَيْرَهَا الْحُلُمُ (٥)

فكانت تجتمع – الطير – عليه فتوارى شخصه ، ودعا على الشجر الذى أخفاه بأن لايسقى الماء .

(١) الممالك : أى أصحاب الممالك ، وقفلت : رجعت ، يقول : ألهى الملوك عن مثل هذا الفخر – الذى كسبته فى هذه الغزوة – لهوهم واشتغالهم بشرب الخمر واستماع الغناء .

(٢) مقلدا : حال ، العامل فيها : قفلت ، وذا شطب : أى سيفاً فى متنه طرائق ، والضمير فى « منهما » : للشكر والسيف ، يقول : جعلت الشكر شعارك ، وتقلدت فوقه سيفا تجاهد به أعداء الله ولا شىء يستديم النعم مثلهما ؛ فقوله : لاتستدام الخ استئناف ، قال العكبرى : هو استئناف وليس بوصف لشكر الله وذا شطب : لأن أحدهما معرفة والآخر نكرة ، والمعرفة لاتوصف بالجملة ، ولا يجمع بين وصف المعرفة والنكرة ، فجرى مجرى قولك : مررت بزيد وجاءنى رجل عاقلان : أى هما عاقلان ، لأنك استأنفت الجملة .

(٣) يقول : لكثرة ماقتلت منهم كأن دماءهم صارت تطيعك ، لعلمها بأنها لاتمتنع منك كلما أردت سفكها ، حتى لو دعوتهم للقتال ولم تضربهم لسالت دماؤهم قبل الضرب إجابة لك .

(٤) يريد بالحادثة : ما يصيب الإنسان من مرض أو زمانة أو غيرها . يقول: إنك تعجل قتلهم فلا تمهلهم أن يموتوا حتف أنوفهم أو يهرموا من كبر السن . فيهلكون شباناً أصحاء الأبدان ؛ وبعبارة أخرى : إنك تفنيهم بالقتل فأنت تسابق الحوادث فيهم والموت والهرم ؛ فما تترك منهم أحداً حتى يموت حتف أنفه ولا تدعه حتى يكبر فيهرم ،

(٥) على : اسم سيف الدولة ؛ والمحاجر : جمع محجر ، وهو ما حول العين – يريد جفونه – والحلم : الرؤيا فى النوم . يقول : نفى الرقاد عن عينيه نفس كبيرة لا تسكن

الْقَائِمُ الْمَلِكُ الْهَادِي الَّذِي شَهِدَتْ
قِيَامَهُ وَهُدَاهُ الْعُرْبُ وَالْعَجَمُ(١)
ابْنُ الْمُعَفِّرِ فِي نَجْدٍ فَوَارِسَهَا
بِسَيْفِهِ وَلَهُ كُوفَانُ وَالْحَرَمُ(٢)
لاَ تَطْلُبَنَّ كَرِيماً بَعْدَ رُؤْيَتِهِ ... إِنَّ الْكِرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَداً خُتِمُوا(٣)
وَلاَ تُبَالِ بِشِعْرٍ بَعْدَ شَاعِرِهِ ... قَدْ أُفْسِدَ الْقَوْلُ حَتَّى أُحْمِدَ الصَّمَمُ(٤)

* * *

إلى الأحلام ولا ما تزينه من بلوغ الآمال ، لأن مثله فى قوة عزمه وبعد مرتقى همته لا يستريح أو يحقق بنفسه وقوة إرادته مقتضى عزيمته . وقال العكبرى : نفى رقاده عن عينيه كبير همته وقوة عزمه ونفس يفرج عن غيرها النوم والدعة واللهو . ويفرج : تروى يفرح ـ بالحاء المهملة ـ

(١) القائم : إما بالرفع ـ على أنه خبر مبتدأ محذوف : أى هو القائم ـ وإما بالجر بدلا من « على » . يقول : هو القائم بالأمور يدبرها ويمضيها على وجهها الهادى إلى دين الله ، الذى شاهدت العرب والعجم ومن بدا ومن حضر قيامه بالأمور والحروب ، وهداه فى الدين ؛ ولك أن تقول الهادى من هدى اللازم : أى المهتدى .

(٢) عفره : ألقاه على العفر : أى التراب ؛ وكوفان : اسم للكوفة ، وأراد بالحرم : مكة ـ يقول : هو ابن الذى قتل فرسان نجد وتركهم يتمرغون فى التراب وملك الكوفة والحرم . قال الواحدى : يعنى حرب أبيه أبى الهيجاء للقرامطة وإفناءه إياهم وولايته الكوفة وطريق مكة . قال العكبرى : وأنث ضمير نجد ـ بقوله فوارسها ـ على إرادة الجهة ؛ قال : ويجوز أن يكون الضمير لفرسان العرب ، وهو أجود من أن يعود على نجد .

(٣) يدا : تمييز . يقول : متى رأيته وظفرت به فلا تطلب بعده كريما ، فلا كريم بعده ، لأنه خاتمة الكرام ؛ إذ هو أسخاهم يداً .

(٤) يريد بشاعره : نفسه ، ثم قال : قد فسد قول الشعر ، فخليق به ألا يسمع ، فالصمم حينئذ محمد حتى يتفادى من سماع مثل هذا الشعر .

وقال يمدح إنساناً ، وأراد أن يستكشفه عن مذهبه ، وهى من قوله فى صباه :

كُفِّي أَرَانِي وَيْكِ لَوْمَكِ أَلْوَمَا … هَمٌّ أَقَامَ عَلَى فُؤَادٍ أَنْجَمَا(١)
وَخَيَالُ جِسْمٍ لَمْ يُخَلِّ لَهُ الْهَوَى … لَحْماً فَيُنْحِلَهُ السَّقَامُ وَلاَ دَمَا(٢)
وَخُفُوقُ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتِ لَهِيبَهُ … يَا جَنَّتِي لَظَنَنْتِ فِيهِ جَهَنَّمَا(٣)

---

(١) كفى : دعى واتركى ؛ وأرانى : يريد عرفنى وأعلمنى . وويك : أصلها ويلك، فحذفت اللام لكثرة الاستعمال ، وهى كلمة تقال فى مقام التعجب والإنكار ؛ وهم : فاعل أرانى ؛ والياء — فى أرانى — مفعول أول ولومك : مفعول ثان ؛ و« ألوما » مفعول ثالث وأنجم أى أقلع وذهب . قال الواحدى : يقال أنجمت السماء : إذا أقلعت عن المطر ؛ وأنجم المطر : أى أمسك ؛ ولا يقال أنجم الفؤاد ، ولا فؤاد منجم ، ولكنه — المتنبى — استعمله فى مقابلة أقام . يقول للعاذلة : اتركى عذلى ، فقد أرانى الهم — المقيم على فؤادى الراحل الذاهب مع الحبيب — أن لومك إياى أحق بأن يلام منى . وعلى هذا يكون « ألوما » مبنيا من اللوم ، وأفعل لا يبنى من المفعول إلا شاذا . وقال قوم : « ألوما » من المليم ، وهو الذى استحق اللوم . يقول لها : الهم أرانى لومك أبلغ فى الإلامة واستحقاق اللوم ، وهذا أبلغ فى الشذوذ . وقال الواحدى : المعنى أرانى الهم المقيم على فؤادى الراحل الذاهب مع الحبيب — أن لومك أبلغ تأثيرا وأشد على وذلك أن المحزون لا يطيق استماع اللوم ، فهو يقول لومك أوجع فى هذه الحالة ، فكفى عنى وفيه نظر إلى قول عمر بن أبى ربيعة :

تقولُ وَتُظْهِرُ وَجْداً بِنَا … وَوَجْدِىَ لو أظهرت أوجد

وقال التبريزى : يحتمل المصراع الأول أن يكون مستغنيا بنفسه: أى كفى لومك فإنى أرانى ألوم منك : أى أكثر منك لوما لنفسى ، فيكون « هم » مرفوعا بابتداء مضمر : أى هذا هم ، أو بفعل : أى أصابنى هم .

(٢) خيال : عطف على « هم » ، جعل جسمه خيالا ليدل بذلك على دقته ونحوله ، فإن الخيال اسم لما يتخيل لك لا عن حقيقة . يقول . لم يترك الهوى بجسمى محلا من لحم ودم فيعمل فيه السقام . ونصب « ينحله » لأنه جواب نفى بالفاء .

(٣) وخفوق . عطف آخر على « هم » ، والخفوق والخفقان : اضطراب القلب . واللهيب : ما التهب من النار ، ويريد بلهيب قلبه : ما فيه من حرارة الشوق والوجد .

وَإِذَا سَحَابَةُ صَدٍّ حِبٍّ أَبْرَقَتْ   تَرَكَتْ حَلَاوَةَ كُلِّ حُبٍّ عَلْقَمَا (١)

يَا وَجْهَ دَاهِيَةَ الَّذِى لَوْلَاكَ مَا   أَكَلَ الضَّنَى جَسَدِى وَرَضَّ الأَعْظُمَا (٢)

إِنْ كَانَ أَغْنَاهَا السُّلُوُّ فَإِنَّنِى   أَصْبَحْتُ مِنْ كَبِدِى وَمِنْهَا مُعْدِمَا (٣)

وعنى بالجنة : الحبيبة ، يقول : لو رأيت مافى قلبى من حر الشوق والوجد لظننت أن جهنم فى قلبى ، وانتقل من خطاب العاذلة إلى خطاب الحبيبة ، والقصة واحدة ، وإن أراد بالعاذلة الحبيبة لم يكن انتقالا ، ولكن الحبيبة لا تعذل على الهوى . ألا ترى إلى قول أبى حية النميرى :

عَذَلَتْنَا فى عِشْقِهَا أُمُّ عمرو   هل سمعتْ بالعاذلِ المعشوقِ ؟

والبيت فيه نظر إلى قول عبد الله بن الدمينة فى وداع محبوبته :

غدَتْ مُقْلتِى فى جنَّةٍ من جمالها   وقلبى غدَا منْ حُبها فى جهنم

(١) الحب : المحبوب . وأبرقت السحابة : أظهرت برقها ، والعلقم : شجر مر يقال هو شجر الحنظل ويقال لكل شىء مر : علقم ، استعار للصدود سحابا ، ولما استعار له سحابا استعار له برقا . يقول : إذا ظهرت مخايل الصدود ولاحت لوائحه : زالت حلاوة الحب واستحالت إلى مرارة .

(٢) قال ابن جنى : داهية : اسم التى شبب بها ، وقال ابن فورجه : ليست باسم علم لها ، ولكن كنى بها عن اسمها على سبيل التضجر ، لعظيم ماحل به من بلائها : أى أنها لم تكن إلا داهية على ، قال الواحدى : والوجه قول ابن جنى لترك صرفها فى البيت ، ولو لم تكن علما لكان الوجه صرفها . أقول : الوجه ما ذهب إليه ابن فورجه ، وإنما هو كناية عن اسم الحبيبة نزلها منزلة العلم عليها ، فمنعها من الصرف لذلك . يقول لوجه الحبيبة : لولاك ما تسلط الهزال على جسدى ومادق عظمى ، والرض : الدق والكسر ورضاض كل شىء : دقاقه ، فالمعنى . ضعفت حتى كأنى قد كسرت عظامى .

(٣) المعدم : الفقير ؛ ذكره فى مقابلة قوله « أغناها » وسلاه وسلاعنه سلوا : نسى ذكره وذهل عنه يقول : إن كان السلو قد أغناها عنى فليست تحتاج إلى وصلى ، فقد عدمتها وعدمت كبدى ، لأن هواها أحرق كبدى ، فأنا معدم ـ فقير ـ منها ومن كبدى أى أنها سالية عنى وأنا فقير إليها ، وعبارة بعض الشراح : يريد أنها قد سلبت كبده بحبها ؛ فإن كان السلو قد أغناها عنه حتى لا تحتاج إلى وصله فقد عدم كبده وحبيبته

غُصْنٌ عَلَى نَقَوَىْ فَلَاةٍ نَابِتٌ ... شَمْسُ النَّهَارِ تُقِلُّ لَيْلاً مُظْلِمَا(١)
لَمْ تُجْمَعِ الأَضْدَادُ فِى مُتَشَابِهٍ ... إلا لِتَجْعَلَنِى لِغُرْمِى مَغْنَمَا(٢)
كَصِفَاتِ أَوْحَدِنَا أَبِى الفَضْلِ الَّتِى ... بَهَرَتْ فَأَنْطَقَ وَاصِفِيهِ وَأَفْحَمَا(٣)
يُعْطِيكَ مُبْتَدِراً فَإِنْ أَعْجَلْتَهُ ... أَعْطَاكَ مُعْتَذِراً كَمَنْ قَدْ أَجْرَمَا(٤)

لأنه قد حرمهما جميعا : هذا . ومعدما رواها ابن جنى « مصرما » والمصرم والمعدم واحد ؛ ومثلهما : المحمق والمماق والمبلط والمعسر والمقتر والمفلس، كل أولئك : الذى لا مال له ومن كلام العرب : كلأٌ تيجع له كبد المصرم، وهو الذى لا مال له ، يحزن أن لا يكون له إبل كثيرة فيرعيها فى هذا الكلأ فأوجعته كبده .

(١) نقوى: تثنية «نقا»، وهو الكثيب من الرمل، يقال فى التثنية : نقوان ونقيان، وسمى الكثيب من الرمل نقا لأن المطر إذا أصابه نقاه وغسله كما ينقى الثوب بالغسل . والفلاة : المفازة . وتقل : تحمل ، يصف الحبيبة يقول : هى غصن — يعنى قامتها — نابت على كثيبى رمل « يعنى ردفيها » ووجهها شمس النهار تحمل من شعرها ليلا مظلما .

(٢) يريد بالأضداد : ما ذكره فى البيت السابق ـ من دقة قامتها ، وثقل ردفيها ، وبياض وجهها ، وسواد شعرها ـ وهذه ـ على تضادها ـ مجموعة فى شخص متشابه الحسن . يقول : لم تجمع هذه الأوصاف المتضادة فى شخص تماثل حسنه إلا لتجعلنى هذه الأضداد غنما لغرمى : أى لما لزمنى من عشقها وهواها، يعنى إلا لتستعبدنى وترتهن قلبى فقوله « فى متشابه » أراد شخصها الذى تشابهت أعضاؤه فى حسن الخلق وتناسبه ، والغرم : الغرام ، وهو مالزمه من عشقها وهواها ؛ والمغنم : الغنيمة ، وهو ما يغتنمه الإنسان ؛ وأصله من مال العدو ثم صار فى كل ما يصيبه الإنسان من كسب أو هبة . ويروى« لم تجمع الأضداد » على إسناد الفعل للحبيبة.

(٣) بهر الشىء : ظهر وغلب بظهوره ، كالشمس تبهر النجوم . شبه هذه الأضداد بصفات الممدوح من كونه مرا على الأعداء ، حلواً للأولياء ، طلقا لدى الندى ، جهما عند اللقاء ـ فى الحرب ـ وما أشبه ذلك . وقال : إن هذه الصفات غلبت واصفيها فلم يقدروا على وصفها فأنطق واصفيه ، لأنهم حاولوا وصفه ووصف محاسنه : ثم أفحمهم لعجزهم عن إدراكها ، والإفحام : ضد الإنطاق ، والمفحم : الذى لا يقول الشعر، وهذا ضرب من التخلص .

(٤) يقول : إنه يبتدرك بالعطاء ، فإن سبقته بالسؤال أعطاك واعتذر إليك عن تأخر عطائه عن سؤالك ، كأنه أتى بجرم ـ أى ذنب ـ وهو فى الأصل الكسب يقال

وَيَرَى التَّعَظُّمَ أَنْ يُرَى مُتَوَاضِعاً
وَيَرَى التَّوَاضُعَ أَنْ يُرَى مُتَعَظِّماً(١)

نَصَرَ الفَعَالَ عَلَى المِطَالِ كَأَنَّمَا خَالَ السُّؤَالَ عَلَى النَّوَالِ مُحَرَّماً(٢)

يَا أَيُّهَا المَلِكُ المُصَفَّى جَوْهَراً
مِنْ ذَاتِ ذِي المَلَكُوتِ أَسْمَى مَنْ سَمَا(٣)

جرم يجرم واجترم : أى كسب ، وهو يجرم لأهله ويجترم : أى يتكسب ويطلب ويحتال ، وجريمة القوم : كاسبهم ، يقال فلان جارم أهله وجريمتهم : أى كاسبهم ، قال أبو خراش الهذلى يصف عقابا شبه فرسه بها :

كأنى إذ غدوت ضمنتُ بَزِّى من العِقبان خائتةً طلوبا
جريمةَ ناهض فى رأس نِيقٍ ترى لعظام ماجمعتْ صليبا(١)

(١) التعظم: إظهار العظمة ؛ وضده التواضع،وهو أن يظهر الضعة من نفسه ووضع التواضع موضع الضعة والخساسة ، كما وضع التعظم موضع العظمة ، يقول : يرى شرفه وارتفاع رتبته فى تواضعه ،واتضاعها فى تكبره والمعنى : يرى العظمة فى أن يتواضع ، ويرى الضعة فى أن يتعظم : أى فليس يتعظم

(٢) الفعال : اسم للفعل الجميل ، والمطال : الماطلة ،وهى المدافعة ،قال الواحدى : ولو قال « المقال » : لكان أحسن ، ليكون فى مقابلة الفعال ، يقول : نصر فعله على القول ، وعطاءه على المطل : أى يعطى ولا يعد ولا يماطل ، كأنه يظن أن السؤال حرام على العطاء ، ولا يحوج إلى السؤال ، بل يسبق بعطائه السؤال ،قال الواحدى : وهذا على المجاز والتوسع ، لأن العطاء لايوصف بأنه يحرم عليه شىء ، ولكنه أراد أن يذكر تباعده عن الإلجاء إلى السؤال .

(٣) أراد بالجوهر : الأصل والنفس ، وذو الملكوت : هو الله سبحانه وتعالى ، يقول : أيها الملك الذى خلص جوهرا «أى أصلا ونفسا» من عند الله :أى أن الله تعالى

---

(١) غدوت : أى للحرب . وبزى: أى سلاحى . وخائتة : أى منقضة . يقال خانت العقاب : أى انقضت، وطلوبا : صفة لخائتة ، وجريمة : بمعنى كاسبة ، والناهض : فرخها ، والنيق : أرفع موضع فى الجبل ؛ والصليب : ودك العظام . يقول عن هذه العقاب التى شبه بها فرسه : إنها تصيد فرخها الناهض ما تأكله من لحم طير أكلته وبقى عظامه يسيل منها الودك .

نُورٌ تَظَاهَرَ فِيكَ لاهُوتِيَّةً ، فتَكَادُ تَعْلَمُ عِلْمَ مَا لَنْ يُعْلَمَا(١)
وَيَهِمُّ فِيكَ إذا نَطَقْتَ فَصَاحَةً مِنْ كلِّ عُضْوٍ مِنْكَ أَنْ يَتَكَلَّمَا(٢)

تولى تصفية جوهره لا غيره ، فهو جوهر مصفى من عند الله تعالى . قال الواحدى وهذا مدح يوجب الوهم . وألفاظ مستكرهة فى مدح البشر ، وذلك أنه أراد أن يستكشف الممدوح عن مذهبه ، حتى إذا رضى بهذا : علم أنه ردىء المذهب بادعائه الألوهية ؛ وإن أنكر : علم أنه حسن الاعتقاد ، لا يرضى بدعوى الألوهيـة لنفسه . وأسمى من سما : صفة لذى الملكوت ـ أما ابن جنى فإنه يجعله للممدوح ، لأنه قال : هو منادى ، كأنه قال : يا أعلى من علا . قال : ويجوز أن يكون موضعه رفعاً ، كأنه قال : أنت أعلى من علا .

(١) لا هوتية : هى رواية ابن جنى ، قال : ونصبها على المصدر ، ويجوز أن تكون حالا من الضمير فى « تظاهر » . قال الواحدى : وهذا خطأ فى الرواية واللفظ ، لأن النور مذكر فلا تؤنث صفته ، والرواية لا هوتيه ، وتظاهر وظهر : بمعنى ، ويجوز أن تكون بمعنى تعاون : أى أعان بعضه بعضا ، ولا هوتية : إلهية ، وهى لغة عبرانية ، يقولون لله تعالى : لا هوت ، وللانسان ناسوت ، وقال ابن جنى لو كان عربيا لكان اشتقاقه من أله الذى أدخل عليه الألف واللام فصار مختصا باسم الله تعالى ـ فى أحد قولى سيبويه ـ ويكون بوزن الطاغوت ، إلا أن الطاغوت مقلوب واللاهوت غير مقلوب ولو كان عربيا كان وزنه فعلوت بمنزلة الرهبوت والرحموت . يقول : قد ظهر فيك نور إلهى تكاد تعلم به الغيب الذى لا يعلمه أحد إلا الله سبحانه وتعالى .

(٢) يهم : أى النور ، وفصاحة : مفعول له ، وأن يتكلما : صلة « يهم » يقول: ويهم هذا النور الإلهى لظهوره أن يتكلم فيك وينطق من كل عضو من أعضائك بخلاف سائر الناس الذين لا ينطقون إلا من أفواههم جعل ظهوره فى كل عضو منه نطقا ، والمعنى : لفصاحتك يفعل النور ذلك فيك . وإليك نص كلام الواحدى : قال : قال ابن جنى: أى يهم كل عضو من أعضائك أن يتكلم بمدحك إذا نطقت لفصاحتك ، وهذا عند من يجوز زيادة « من » فى الإثبات ، وفيك ـ فى أول البيت ـ يتعلق بأن يتكلم فى آخره ؛وفيك أى فى مدحك ووصفك . قال الواحدى وليس المعنى على ماذكره ـ أى ابن جنى ـ من وجهين : أحدهما: أنه جعل ظهور النور فى كل عضو منه نطقا. واللفظ لا يشعر به، إلا أن يقال :هم به ولم يفعله ، والآخر: أنه لا يكون لقوله « إذا نطقت فصاحة » فائدة ، لأن قوله * ويهم فيك كل عضو منك أن يتكلما * أفاد المعنى المراد ، فيبقى ذلك الباقى لغوا ،

أَنَا مُبْصِرٌ وَأَظُـنُّ أَنِّى نَائِمٌ مَنْ كَانَ يَحْلُمُ بِالإِلٰهِ فَأَحْلُمَا(١)
كَبُرَ العِيَانُ عَلَىَّ حَتَّى إِنَّهُ صَارَ اليَقِينُ مِنَ العِيَانِ تَوَهُّمَا(٢)
يَامَنْ لِجُـودِ يَدَيْهِ فِى أَمْوَالِهِ نِقَمٌ تَعُودُ عَـلَى اليَتَامَى أَنْعُمَا(٣)

والمعنى أنه جعل النطق عبارة عن الظهور ، وكان ينبغى أن يقول هم — بأن يظهر — ولـكنه لم يظهر ، لا أنه ظهر النور من جميع الأعضاء بالفعل وقال قوم : لما كان تكلم العضو بالنور الإلهى — أعنى به القوة الناطقة — وكان هو الموجب لنطق اللسان وغيره أضاف الفعل إليه وقال : بهم النور فيك أن يتكلم وينطق من كل عضو من أعضائك بخلاف سائر الناس الذين لا ينطقون إلا من أفواههم ، جعل ظهوره فى كل عضو منه نطقا ، والمعنى : لفصاحتك يفعل النور ذلك .

(١) يقول : أنا مستيقظ ولـكن لعظم ما أرى منك وغرابته أظن أنى فى الحلم ؛ ثم عدل عن ذلك وقال : من يحلم بالإله حتى أحلم بك ؟ يريد أن يثبت له الألوهية امتحانا ، وعبارة الشراح : أنا أبصرك وأظن أنى أراك فى النوم ، قال هذا استعظاما لرؤيته ؛ وذلك أن الإنسان إذا رأى شيئا يعجبه وأنكر رؤيته قال : أرى هذا حلما : أى أن مثل هذا لا يرى فى اليقظة ؛ وهذا كما قال الآخر :

أبطحاء مكة هذا الذى أراه عِيانا وهـذا أنا

قال الواحدى : استفهم متعجبا مما رأى ؛ ثم حقق أنه رأى ذلك يقظان لا نائما يدل على هذا باقى البيت والمعنى : لا يحلم أحد رؤية الله تعالى ؛ ولا يراه فى النوم أحد حتى أراك أنا : أى كما لا يرى الله تعالى فى النوم : كذلك لا ترى أنت قال الواحدى : وهذه مبالغة مذمومة وإفراط وتجاوز حد ثم هو غلط فى إنكار رؤية الله تعالى فى النوم ، فإن الأخبار قد تواترت بذلك . وقد ذكر المعبرون حكم تلك الرؤيا فى كتبهم ، وروى أن ملكا من الملوك رأى فى نومه أن الله تعالى قد مات ، فقص رؤياه على المعبرين فلم يتكلموا فيها بشىء استعظاما لما رأى ، حتى قال من كان أعلمهم : تأويل رؤياك أن الحق قد مات فى بلدك لظلمك وجورك ، وذلك بأن الله هو الحق ، فعلم الملك أنه كما قال فرجع عن ظلمه وتاب .

(٢) هذا البيت تأكيد لما ذكر فى البيت السابق . يقول : قد عظم على ما أعاينه من الممدوح وحاله حتى شككت فيما رأيت ، إذ لم أر مثله ولم أسمع به حتى صار المعاين كالمتوهم المظنون الذى لا يدرك بالعيان ، أى لا يرى .

(٣) يقول : إن جودك يفرق مالك كأنه ينتقم منه كما تنتقم أنت من العدو بإهلاكه ،

حَتّى يَقُولَ النّاسَ ماذَا عاقِلاً ، وَيَقُولَ بَيْتُ المالِ ماذا مُسْلِما(١)
إذْ كارُ مِثْلِكَ تَرْكُ إذْ كارِي لَهُ إذْ لا تُرِيدُ لِما أُرِيدُ مُتَرْجِما(٢)

* * *

غير أن تلك النقم فى أموالك نعم على الأيتام لأنها مفرقة فيهم : قال الواحدى : ولو قال: على البرايا لكان أعم وأشمل لأن اليتامى مقصور على صنف من الناس .

(١) ماذا — فى المصراعين « مركبة من «ما» النافية العاملة عمل «ليس» و «ذا» الإشارية . يقول : هو يفرط فى جوده حتى ينسبه الناس إلى الجنون ، وحتى يقول بيت المال : ليس هذا مسلما ، لأنه فرق بيوت مال المسلمين ولم يدفع فيها شيئاً ؛ ومثل هذا قول أبى نواس :

جُدْت بالأموال حتى قيل ما هــذا صحيح

يريد أبو نواس : ما هذا صحيح العقل . وقد صرح بذلك فى موضع آخر فقال :

جاد بالأمــوال حتى حسبوه النـــاس حُمْقا

وتبعه أبو تمام فقال ،

ما زال يهذِى بالمكارم والنَّدَى حتى ظننّا أنه محمـــومُ

قال الواحدى : وهذا معنى بارد وقد زاده الطائى فسادا ، وأصل هذا المعنى من قول عبيد بن أيوب العنبرى :

حمراء تامكةُ السنام كأنها جملٌ بهَوْدج أهله مظعون
جادت بها عند الوَداع يمينهُ كلتا يدَىْ عُمَرَ الغداةَ يمينُ
ما كان يُعطى مثلها فى مثله إلا كريم الخِيم أو مجنونُ(١)

(٢) أذكرته كذا : بمعنى ذكرته ، والمترجم : المعبر عن الشىء مثل الترجمان . يقول : إن مثلك لا يحتاج إلى إذكار بحاجة ، لأنك تعلمها من غير تذكير ، فلست تحتاج إلى من يترجم لك عما يراد منك ، فيكون ترك الإذكار إذكارا لك . وهذا المعنى من قول أبى تمام :

وإذا الجود كان عونى على المر ء تقــاضيته بترك التقاضى

(١) تمك السنام . اكتنز وتزوى ؛ وفى الصحاح: أى طال وارتفع فهو تامك، وناقة تامك : عظيمة السنام .

وقال فى صبـــاه :

إلَى أىِّ حِــينٍ أنتَ فى زِىِّ مُحْرِمِ ... وَحَتّى مَتَى فى شِقْوَةٍ وَإلَى كَمِ (١)

وَإلاَّ تَمُتْ تَحْتَ السُّيُوفِ مُكَرَّماً ... تَمُتْ وَتُقَاسِ الذُّلَّ غَيْرَ مُكَرَّمِ (٢)

فَثِبْ وَاثِقاً باللهِ وَثْبَةَ ماجِــــدٍ

يَرَى المَوْتَ فى الهَيْجا جَنَى النَّحْلِ فى الفَمِ (٣)

***

وقال فى صبـــاه :

ضَيْفٌ أَلَمَّ بِرَأْسِى غَيْرَ مُحْتَشِمٍ ... وَالسَّيْفُ أحْسَنُ فِعلاً مِنهُ بِاللِّمَمِ (٤)

---

(١) المحرم : من الإحرام بالحج والعمرة ، وزيه العرى ، لأنه لا يلبس المخيط . يقول ـ لنفسه ـ : إلى متى أنت عريان شقى بالفقر ؟؟ ويجوز أن يريد أن المحرم لا يصيب شيئا ولا يقتل صيدا فهو يقول : إلى متى أكف عن قتل الأعداء ؟ قال الواحدى : وهو الوجه . هذا : و « كم » اسم مبنى على السكون وهو يقع عبارة عن الإخبار وعن الاستفهام ؛ وهو هنا استفهام ؛ وحركته للقافية لا لالتقاء الساكنين ، قال العكبرى : فكأنه قال : إلى كم التوانى ؟

(٢) هذا حث منه على الحرب والقتال وطلب العز . يقول : إن لم تقتل فى الحرب كريما مت غير كريم فى الذل والهوان : أى فلأن تصبر على شدة الحرب خير من أن تبقى ثم لا تنحو من الموت فى الذل

(٣) الهيجا : من أسماء الحرب . وجنى النحل : ما يجتنى من خلاياها من العسل . يقول : بادر إلى الحرب بدار شريف يستحلى الموت كما يستحلى العسل .

(٤) أراد بالضيف : الشيب ؛ كما قال الآخر :

أهلاً وسهلا بضيفٍ نزلْ ... وأستودع الله إلفاً رحلْ

[يريد الشيب والشباب] وألم : نزل . والمحتشم : المنقبض المستحي . واللمم : جمع لمة ، الشعر الذى جاوز شحمة الأذن وألم بالمنكبين . يقول : إن الشيب ظهر فى رأسه شائعاً دفعة واحدة من غير أن يظهر فى تراخ ومهلة هذا هو معنى قوله « غير محتشم » ثم فضل فعل السيف بالشعر على فعل الشيب . كما قال البحترى :

إبعَدْ بَعِدْتَ بَياضًا لا بَياضَ لهُ   لَأَنْتَ أَسْوَدُ فى عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ(١)

ودِدتُ بياضَ السيفِ يوم لقِينَنى   مكان بياضِ الشيب حل بمَفرِقى(١)

« جعل نزول السيف برأسه أحب إليه من نزول الشيب به » وقال الواحدى : إنما فضل فعل السيف بالشعر على فعل الشيب ؛ لأن الشيب يبيضه وذلك أقبح ألوان الشعر ، ولذلك حسن تغييره بالحمرة ؛ والسيف يكسبه حمرة إذا قطع اللحم . على أن ظاهر قوله « أحسن فعلا منه باللمم » : يوجب أن الشعر المقطوع بالسيف أحسن من الشعر الأبيض ؛ لأن السيف إذا صادف الشعر قطعه ؛ وإنما يكسبه حمرة إذا قطع اللحم .

(١) يقال بعد يبعد بعداً – من باب فرح – إذا ذل وهلك قال ؛ تعالى « ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود » وقوله بعدت : دعاء وبياضا : تمييز ؛ وعنى بالبياض الأول : بياض الشيب ؛ وبالثانى : المعانى الحميدة . يريد معنى قول أبى تمام :

له منظرٌ فى العين أبيض ناصعٌ   ولكنه فى القلب أسْود أسفعُ

وقد قال المتنبى فى بياض الثلج ما يشبه هذا وهو قوله :

* فكأنها ببياضها سوداء *

والظلم : جمع ظلمة ؛ بمعنى الظلام ؛ ويكون اسما لثلاث ليال من آخر الشهر . يقول إن بياض الشيب ليس ببياض فيه نور وسرور وهو أشد سوادا من الظلم ؛ لما يورى به من حلول الأجل وقطع الأمل . قال الواحدى : وقد ذهب جميع الشراح فى قوله *

* لأنت أسود فى عينى من الظلم *

إلى أن هذا من الشاذ الذى أجازه الكوفيون فى نحو قول الراجز :

* أبيضُ من أختِ بنى إباض(٢) *

---

(١) لقينني : أى الغوانى المذكورة فى البيت قبله وهو :

أجِدكَ ما وصل الغوانى بِمُطْمِعٍ   ولا القلب مِن رق الغوانى بمعتق

(٢) قيل إنه رجز لرؤبة بن العجاج وقبله . .

لقد أتى فى رمضان الماضى   جارية فى دِرْعها الفضفاضِ

تقطعُ الحديث بالإيماض   أبيضُ من أخت بنى إباض

بِحُبِّ قَاتِلَتِي وَالشَّيْبِ تَغْذِيَتِي هَوَايَ طِفْلاً وَشَيْبِي بَالِغَ الْحُلُمِ(١)

إذا الرجالُ شتَوا واشتد أكلهم فأنت أبيضهم سِربال طبّاخ(١)

وسمعت العروضى . يقول : اسود ههنا : واحد السود ، والظلم : الليالى الثلاث فى آخر الشهر التى يقال لها ثلاث ظلم . يقول : لبياض شيبه أنت عندى واحد من تلك الليالى الظلم . على أن ابن جنى قد قال مايقارب هذا، فقال وقد يمكن أن يكون لأنت أسود فى عينى كلاما تاما ، ثم ابتدأ يصفه فقال من الظلم ، كما تقول هو كريم من أحرار . وهذا يقارب ما ذكره العروضى ، غير أنه لم يحمل الظلم : الليالى .

(١) يريد بقاتلته : حبيبته ، لأن حبها قتله . وبحب قاتلتى : خبر مقدم ؛ وتغذيتى : وبعده .

مثلُ الغزالِ زين بالخضاض قبّاءَ ذاتُ كفل رَضراض

جارية : فاعل أنى والدرع : القميص ، والفضفاض : الواسع . وأخت بنى أباض معروفة بالبياض ، وبنو أباض قوم . والخضاض : نوع من الحلى والقباء : الضامرة البطن فعلاء من القبب وهو دقة الخصر . والرضراض . الكثير اللحم ، والإيماض ما يبدو من بياض أسنانها عند الضحك والابتسام، وشبهه بوميض البرق فى لمانه وتقطع الحديث بالإيماض أى إذا ابتسمت وكان الناس على حديث قطعوا حديثهم ونظروا إلى حسن ثغرها ويحتمل أن تكون هى المحدثة وأنها تقطع حديثها بالتبسم يصفها بطلاقة الوجه وسماحة الخلق . وقيل المعنى : أنهم إذا تحدثوا فأومضت إليهم — أى نظرت — شغلهم حسن عينيها فقطعوا حديثهم

(١) من أبيات لطرفة بن العبد هجا بها ملك الحيرة عمرو بن هند . وتروى هكذا

أنت ابنُ هندٍ فأخبِرْ من أبوكَ إذا لا يصلحُ الملكَ إلا كل بذاخ

إن قلت : نصر فنصر كان شرفنى قِدمًا وأبيضَهم سربال طباخ

ما فى المعالى لكم ظل ولا ورق ، وفى المخازى لكم أسناخ أسناخ

مع أبيات أخر . قال ابن الكلبى . هذا الشعر منحول وقوله . واشتد أكلهم أراد بالأكل : القوت ، وهو مضموم الهمزة . أى غلت أسعارهم. ومن روى أكلهم — بفتح الهمزة — جعل الأكل بمعنى المأكول ، وقد يكون معناه أنهم إذا شتوا لا يجدون الطعام إلا بعد جهد وشدة وجوع فإذا وجدوه بالغوا فى الأكل . والسربال القميص .

فَمَا أَمُرُّ بِرَسْمٍ لا أُسَائِلُهُ ، وَلاَ بِذَاتِ خِمَارٍ لا تُرِيقُ دَمِي (١)
تَنَفَّسَتْ عَنْ وَفَاءٍ غَيْرِ مُنْصَدِعٍ يَوْمَ الرَّحِيلِ وَشَعْبٍ غَيْرِ مُلْتَئِمِ (٢)
قَبَّلْتُهَا وَدُمُوعِي مَزْجُ أَدْمُعِهَا وَقَبَّلَتْنِي عَلَى خَوْفٍ فَمًا لِفَمِ (٣)

مبتدأ مؤخر ، وهواى وشيبى : قال ابن الشجرى : يحتملان الرفع والجر ، فالرفع بأن يكونا مبتدأين،و«طفلا» ،و«بالغ» حالين سدا مسد الخبرين، كما تقول ضربى زيدا جالسا وتقديره : هواى إذ كنت طفلا ، وشيبى إذ كنت بالغ الحلم . والجر على إبدالهما من الحب والشيب ، وحسن إبدال الهوى من الحب إذ كان بمعناه ، والعامل فى الحالين على هذا القول : المصدران ـ هواى وشيبى ـ والتقدير : تغذيق بحب قاتلى والشيب بأن هويت طفلا وشبت بالغ الحلم . وقد بين فى المصراع الثانى وقت المحبة ووقت الشيب . يقول : إن تغذيق بهذين ـ الحب والشيب ـ ثم بين ذلك بقوله . هويت وأنا طفل ، وشبت حين احتلمت ، لشدة ماقاسيت من الهوى فصارا غذائى .

(١) الرسم : أثر الديار مما كان لاصقاً بالأرض ، والطلل : ما كان شاخصا ، والخمار ما غطى به المرأة رأسها . يقول : كل رسم يذكرنى رسم دارها ، فأسأله تسليا ، وكل ذات خمار تذكرنيها ، فتريق « تسيل » دمى أى تقتلنى .

(٢) المنصدع : المنشق ، والشعب : مصدر بمعنى الفراق من قولهم« شعبته إذافرقته» والملتئم المجتمع . يقول : تنفست عند الوداع تحسرا على فراق عن وفاء : يعنى عما فى قلبها من وفاء صحيح غيرمنشق ، وفراق غيرمجتمع يريدوحزن فراق فحذف المضاف : أى أنها كانت منطوية على وفاء صحيح،وهم فراق لا يلتئم «لايجتمع» وكان تنفسها عن هذين . والمعنى . إنا افترقنا بالأجساد «لابالقلوب» لأنها كانت معى على الوفاء . قال الواحدى : ويجوز أن يريد بالشعب : القبيلة ويكون المعنى : عن فراق شعب غير مجتمع . لارتحالهم وتفرقهم فى كل وجه .

(٣) يقول : بكينا جميعا حتى امتزجت دموعى بدموعها فى حال التقبيل ؛ يعنى أنهما

يقول : إذا دخل فصل الشتاء الذى يمنع من التصرف وانقطعت الميرة وغلت الأسعار واشتد القوت ، فسربال طباخك نقى ، للؤمك ، ولو كنت كريما لا سود ، لكثرة طبخه على ما عهد من سربال الطباخين . ومثل هذا المعنى قول الآخر

ثياب طهاتك عند الشتا ء بيض تلألأ لا تدنس
وقدرك لم يعرها طارق وكلبك منجحر أخرس

والأسناخ جمع سنخ : الأصل

فَذُقْتُ ماءَ حَياةٍ مِنْ مُقَبَّلِها   لَوْصابَ تُرْباً لَأَحْيا سالِفَ الأُمَمِ (١)
تَرْنُو إِلَيَّ بِعَيْنِ الظَّبْيِ مُجْهِشَةً   وَتَمْسَحُ الطَّلَّ فَوْقَ الوَرْدِ بِالعَنَمِ (٢)

تقاربا حتى اختلطت دموعهما حال التقبيل ، ونصب « لما » على : الحال ، كقولك كلمته فاه إلى فى : أى مشافهة ؛ ومزج :قال الواحدى مصدر بمعنى المزاج « مايمزج بالشىء» سمى به الفاعل . يقول : دموعى مازجة دموعها: أى ممتزجة بها

(١) المقبل : موضع التقبيل : أى الفم ، وصاب : أى نزل من قولهم « صاب المطر يصوب صوبا » ويجوز أن يكون بمعنى أصاب ، يقال صابه وأصابه ، يقول : إن ريقها عذب طيب ، فهو ماء الحياة ؛ إذا ذاقه العاشق حيي به ، حتى لو وقع على الأرض لأحيا الموتى من الأمم السالفة . وأصل هذا المعنى للأعشى ، إذ يقول :

لو أسندَتْ مَيْتاً إلى نَحْرِها   عاش ولَمْ يُنقَلْ إلى قابِرِ

(٢) ترنو : تنظر ؛ ومجهشة ؛ متهيأة للبكاء ؛ ومراده بالطل : دموعها ؛ وهو فى الأصل المطر الخفيف . والعنم : قيل هو ضرب من الشجر ، له نور أحمر ، تشبه به الأصابع المخضوبة ، قال النابغة :

بمُخَضَّب رَخْصٍ كأن بنانهُ   عنم على أغصانه لم يُعقد(١)

قال الجوهرى : هذا يدل على أنه نبت لادود ، قال ابن برى : وقيل العنم : ثمر العوسج (٢) يكون أحمر ثم يسود إذا نضج وعقد ، ولهذا قال النابغة : لم يعقد يريد : لم يدرك بعد ، وقيل هو أطراف الخروب الشامى ، قال :

فلم أسمعْ بمرضِعَةٍ أمالتْ   لهاةَ الطفلِ بالعنم المسوكِ

وعن الأعراب القدم : العنم : شجرة صغيرة خضراء لها زهرة شديدة الحمرة ، جعل المتنبى عينها عين ظبى لسوادها ، وأراد بالورد : خدها . وبالعنم : أطراف بنانها محمرة بالخضاب ومعنى البيت من قول أبى نواس :

يا قمراً أبصرْتُ فى مأتَمٍ   ينْدبُ شجواً بين أتْرابِ
يبكى فيلقى الدُّرَّ مِنْ نَرْجِسٍ   ويلطم الوَرْدَ بِعنّابِ

---

(١) رخاصة الأنامل لينها .
(٢) العوسج : شجر من شجر الشوك ، له ثمر أحمر مدور كأنه خرز العقيق .

رُوَيْدَ حُكْمَكِ فِيناَ غَيْرَ مُنصِفَةٍ ... بالنَّاسِ كُلِّهِم أَفْدِيكِ مِنْ حَكَمِ (١)
أَبْدَيْتِ مِثْلَ الَّذِى أَبْدَيْتُ مِنْ جَزَعٍ ... وَلَمْ تُجِنِّى الَّذِى أَجْنَنْتُ مِنْ أَلَمَ (٢)
إِذًا لَبَزَّكِ ثَوْبَ الْحُسْنِ أَصْغَرُهُ ... وَصِرْتِ مِثْلِى فى ثَوْبَيْنِ مِنْ سَقَمِ (٣)
لَيْسَ التَّعَلُّلُ بالآمَالِ مِنْ أَرَبِى ... وَلاَ الْقَنَاعَةُ بالإقْلاَلِ مِنْ شِيَمِى (٤)

ومثله لابن الرومى :

كَأَنَّ تِلْكَ الدُّمُوعَ قَطْرُ نَدًى ... يَقْطُرُ مِنْ نَرْجِسٍ على وَرْدِ

وأحسن فيه الوأواء الدمشقى بقوله :

فأَمْطَرَتْ لؤلؤاً مِنْ نَرْجِسٍ وسقتْ ... وَرْداً وَعَضت على العُنَّابِ بالبَرَدِ

(١) رويد : اسم فعل بمنزلة صه ومه ، يقال رويد زيدا : أى دعه وأمهله . ونصب « حكمك » به ، وغير منصفة : حال ، والعامل فيه : حكمك : أى أن تحكمى غير منصفة : أى ظالمة ؛ ويحتمل أن يكون نداء مضافا يريد « ياغير منصفة » لحذف حرف النداء ومن حكم : فى موضع الحال : أى أفديك حاكمة ، أو تقول إنه فى موضع نصب على التمييز و « من » زائدة . يقول : دعى أو أقلى حكمك علينا وأنت ظالمة لنا ، ثم قال : أفديك بالناس كلهم من حاكم ؛ يعنى أنت حبيبة إلى وإن جرت على فى الحكم .

(٢) الجزع : نقيض الصبر ، وأجن الشىء ؛ ستره وكتمه . يقول : وافقتنى فى ظاهر الجزع للفراق ولم تضمرى ما أضمرته من وجعه . وهذا كما يقول الناشىء :

لفظى ولفظك بالشكوى قد ائتلفا ... ياليتَ شِعرى فقلبانا لِمَ اختلفا

(٣) إذن قال الزجاج : تأويله إن كان الأمر كما جرى أو كما ذكرت : يقول القائل زيد يصير إليك ، فتقول : إذن أكرمه : أى إن كان الأمر على ماتصف وقع إكرامه وتأويلها هاهنا : أنه ذكر أنها لم تجن الألم كأنه قال لو أجنفت من الألم ما أجننته إذن لبزك ـ أى لسلبك ـ ثوب الحسن أقل جزء من أجزاء الألم : أى لأذهب حسنك وظهر عليك من أثره ما يذهب نضارة حسنك ويكسوك ثوب السقم . وإنما ثنى الثوب لأن العادة فى اللباس ثوبان ؛ إزار ورداء للعرب ، ويسمونهما الحلة ، فكأنه قال : وكساك حلة السقم كما كسانى .

(٤) التعلل : تزجية الوقت (*) بالشىء اليسير بعد الشىء . يقال فلان يتعلل بكذا :

(*) يقال زجيت الشىء تزجية إذا دفعته برفق ، ويقال كيف تزجى الأيام ؛ أى كيف تدافعها . وزجيت أيامى : دافعتها بقليل من القوت أجتزىء به وأكتفى ويقال تزجيت بكذا : اكتفيت به .

وَلاَ أَظُنُّ بَنَاتِ الدَّهْرِ تَتْرُكُنِي حَتَّى تَسُدَّ عَلَيْهَا طُرْقَهَا هِمَمِي (١)
لُمِ اللَّيَالِي الَّتِي أَخْنَتْ عَلَى جِدَتِي بِرِقَّةِ الْحَالِ وَاُعْذُرْنِي وَلاَ تَلُمِ (٢)
أَرَى أُنَاساً وَمَحْصُولِي عَلَى غَنَمٍ وَذِكْرَ جُودٍ وَمَحْصُولِي عَلَى الْكَلِمِ (٣)

أى يمضى به وقته ودهره . والإقلال: الفقر وقلة ذات اليد. يقول : ليس من عادتى أن أزجى الآمال وأدافع الوقت بشىء أرجوه لعله لا يكون ولا أن أقنع باليسير ، يعنى أنه يطلب الكثير ويسافر فى طلب المال كما قال أبو الأسود الدؤلى :

وَمَا طَلَبُ الْمَعِيشَةِ بِالتَّمَنِّي وَلَكِنْ أَلْقِ دَلْوَكَ فِى الدِّلاَءِ

(١) بنات الدهر : صروفه ونوائبه التى تتولد منه وتحدث فيه قال العكبرى: والعرب تستعمل البنوة والأخوة فيمن فعل شيئا يعرف به فيقولون : هذا ابن سفر إذا كان معتادا للأسفار ، وهو أخو معروف وأبو الأضياف . يقول : لا أظن النوائب تدعنى حتى أدفعها عن نفسى بسد طريقها إلى ، وذلك أن يتقوى بالمال والأنصار .

(٢) أخنى عليه الدهر : أتى عليه وأهلكه . ومنه قول النابغة الذبيانى :

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذى أخنى على لُبَدِ (١)

والجدة : الغنى ، ورقة الحال : كناية عن الفقر . يقول ــ لمن لامه فى الفقر ــ لا تلمنى ولم الدهر الذى أتى على مالى وسلبنى الغنى .

(٣) المحصول : مصدر بمعنى الحصول ، وقد يكون المفعول مصدرا : كقولهم ليس له معقول أى عقل ، وقوله «وذكر جود» مفعول لفعل محذوف دل عليه المقام. أى وأسمع ذكر جود فهو من باب :

* عَلَفْتُهَا تِبناً وماءً بارداً * (٢)

---

(١) من قصيدة للنابغة الذبيانى يمدح بها النعمان بن المنذر ويعتذر إليه مما بلغه عنه وهى التى أولها .

يا دارَ ميــــةَ بالعلياء فالسند أقوتْ وطال عليها سالفُ الأبدِ

ولبد هو آخر نسور لقمان بن عاد ، وتزعم العرب أن لقمان هو الذى بعثته عاد فى وفدها إلى الحرم يستسقى لها ؛ فلما أهلكوا خير لقمان بين بقاء سبع بعرات سمر من أظب عفر فى جبل وعر لا يمسها القطر أو بقاء سبعة أنسر كلما هلك نسر خلف بعده نسر ، فاختار النسور فكان آخر نسوره يسمى لبدا

(٢) وماء باردا : أى وسقيتها ماء باردا . جعله العينى صدراً ؛ وأورد له عجزاً هكذا :

وَرَبَّ مَالٍ فَقِيراً مِنْ مُرُوَّتِهِ ... لَمْ يُثْرِ مِنْهَا كَمَا أَثْرَى مِنَ الْعَدَمِ (١)
سَيَصْحَبُ النَّصْلُ مِنِّي مِثْلَ مَضْرِبِهِ ... وَيَنْجَلِي خَبَرِي عَنْ صِمَّةِ الصِّمَمِ (٢)
لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لَاتَ مُصْطَبَرٍ ... فَالْآنَ أُقْحِمُ حَتَّى لَاتَ مُقْتَحَمِ (٣)

يقول : أرى قوما على صورة الناس غير أنهم عند التحصيل كالغنم لا عقل لهم ، وأسمع ذكر الجود ، ولكن لا أحصل منه إلا على الكلام دون الفعال . وهذا من قول السيد الحميرى :

قد ضيع الله ما جَمعتُ من أدبٍ ... بين الحمير وَبين الشاء والبقرِ

قال العكبرى : وهو من قول الحكيم : من كانت همته الأكل والشرب والنكاح فهو بطبع البهائم . لأنا نعلم أنها متى خلى بينها وبين ما تريده لم تفعل شيئاً غير ذلك .

(١) رب مال : معطوف على « أناسا » — فى البيت السابق — والمروة . أصلها الهمز ، يقال امرؤذو مروءة ، تخفف الهمزة فيبقى واوان ، تدغم الأولى فى الثانية ، وهى النخوة وكمال الرجولية . والإثراء : الغنى . يقول : وأرى صاحب مال ليس له مروءة ولم يستكثر منها كما استكثر من المال حتى أثرى بعد الفقر : أى لم يكثر المروءة عند كثرة المال . فقوله « أثرى من العدم »هو كما يقال استغنى من الفقر؛ وهذا المعنى من قول أبى تمام :

لا يحسَبُ الإقلالَ عُدْماً بلْ يرى ... أنّ المُقلَّ من المرُوءةِ مُعــدِمُ

(٢) النصل : نصل السيف ؛ ومضرب السيف حده ؛ والصمة الشجاع ؛ وبه سمى الصمة : أبو دريد بن الصمة ؛ والصمم جمع صمة ، وينجلى : ينكشف . يقول سيصحب السيف منى رجلا مثل حده فى المضاء ، ويتبين للناس أنى أشجع الشجعان ؛ يعنى أنه إذا قصد الحرب مضى مضاء السيف وعمل عمل الأشجع : أى أنه أشجع الشجعان .

(٣) لات : بمعنى ليس ؛ والأصل فيها « لا » فزيدت عليها التاء ، كما فى : ربت ، وثمت ، قال ابن جنى : من العرب من يجر بها ، وأنشد :

---

* حتى شتتْ همالةً عيناها

وجهـــــله غيره عجزاً وصدره ... لما حططتُ الرحل عنهـــا وارداً

ولا يعرف قائله ، وقيل: إنه لذى الرمة ، وشتت: أقامت شتاء وهمالة من هملت العين إذا صبت دمعها .

لَأُبْرِكَنَّ وُجُوهَ الْخَيْلِ سَاهِمَةً ... وَالْحَرْبُ أَقْوَمُ مِنْ سَاقٍ عَلَى قَدَمِ (١)

وَالطَّعْنُ يُحْرِقُهَا وَالزَّجْرُ يُقْلِقُهَا ... حَتَّى كَأَنَّ بِهَا ضَرْبًا مِنَ اللَّمَمِ (٢)

قَدْ كَلَمَتْهَا الْعَوَالِي فَهْيَ كَالِحَةٌ ... كَأَنَّمَا الصَّابُ مَعْصُوبٌ عَلَى اللُّجُمِ (٣)

طلبوا صُلحنا وَلاتَ أَوانٍ ... فأجبنا أن ليسَ حينَ بقاء (١)

والمصطبر بمعنى الاصطبار ؛ والمقتحم : كذلك ، بمعنى الاقتحام ، وهو الدخول فى الشىء . يقول : تكلف الصبر حتى لم يبق اصطبار ؛ فالآن أقحم : أى أقحم نفسى ، أى أوردها المهالك وأوقعها فى الحروب حتى أدرك مرادى فلا يبقى اقتحام . وعلى هذا فمفعول « أقحم » محذوف ، ولك أن تقرأها أقحم : أى أقتحم ، وقد ورد قحم يقحم — من باب خضع — بمعنى اقتحم .

(١) ساهمة : متغيرة لما يلحقها من شدائد الحرب : يقال سهم وجهه يسهم سهوما : إذا تغير وجملة والحرب أقوم الخ : حالية . يقول : لأكلفن الخيل من أهوال الحرب ما تسهم له ألوانها ولأتركن الحرب قائمة كانتصاب الساق على القدم : أى شديدة .

(٢) يحرقها : يروى يخرقها ؛ والضمير : للخيل : والجملة : عطف على الجملة الحالية فى البيت السابق — والزجر : الصياح ؛ واللمم : الجنون . يقول : والطعن يعمل فى الخيل عمل النار حتى كأنه يحرقها ، والزجر — أى الصياح بها عند اقتحامها فى الحرب أو فى الماء — يمنعها عن التأخر ، ويقلقها — أى يحركها — حتى كأن بها جنوناً . يريد أنها تضطرب لما يلحقها من ألم الطعن وخوف الزجر فكأنها مجنونة ، إذ لا تستقر ولا تثبت .

(٣) كلمتها : من الكلم الذى هو الجرح . والعوالى : الرماح . وكلح : كشر فى عبوس . والصاب : شجر إذا اعتصر خرج منه كهيئة اللبن ، وربما نزت منه نزية — أى قطرة — فتقع فى معين كأنها شهاب نار ، وربما أضعف البصر ، قال أبو ذؤيب الهذلى :

إنى أرقت فبتُّ الليلَ مُشتجراً ... كأنَّ عينِىَ فيها الصابُ مذبوحُ (٢)

---

(١) البيت لأبى زبيد الطائى النصرانى الشاعر الإسلامى من قصيدة راجعها فى الجزء الرابع من الخزانة طبعة السلفية وراجع الكلام على « لات » هناك .

(٢) يروى :

* نام الخلىُّ وبتُّ الليل مشتجراً *

والمشتجر . الذى يضع يده تحت حنكه مذكرا لشدة همه ؛ ومذبوح . أى مشقوق معصور . وأصل الذبح : الشق .

بِكُلِّ مُنْصَلِتٍ مَازَالَ مُنْتَظِرِى ... حتى أَدَلْتُ لَهُ من دَوْلَةِ الْخَدَمِ (١)

شَيْخٍ يَرَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ نَافِلَةً ... وَيَسْتَحِلُّ دَمَ الْحُجَّاجِ فى الحَرَمِ (٢)

وَكُلَّمَا نُطِحَتْ تَحْتَ العجَاجِ بِهِ ... أُسْدُ الْكَتَائِبِ رَامَتْهُ وَلَم يَرِمِ (٣)

يقول : هى عابسة فاتحة أفواهها لما أصابها من جراح الرماح ، فكأن الصاب قد شد على لجمها فهى تجد مرارته ، ومعصوب : يروى معصور ، ويروى: مذرور .

(١) بكل منصلت : متعلق بقوله لأركن . والمنصلت : الماضى فى الأمور : وأدلت له من كذا : أى أعنته عليه حتى جعلت له الدولة . يقول : لأركن الحرب قائمة بكل رجل ماض فى الأمور طالما انتظر خروجى على السلطان حتى أعطيته الدولة من الخدم الذين لايستحقون الإمارة ؛ يعنى بهم الأتراك الذين تملكوا العراق وخرجوا على السلطان .

(٢) شيخ : إما بالجر على التبعية لمنصلت ، وإما بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف : أى هو شيخ . والنافلة : خلاف الفرض ، وهى ما يحسن فعله ولا يحرم تركه . يريد أنه يستعين بمثل هذا ممن لايعتقد الدين حتى يزيل دولة الخدم . وقال ابن القطاع : كل من فسر الديوان قال : « الشيخ » هنا : واحد الشيوخ من الناس . يقول : أنتصر على أعدائى بكل شيخ ماض فى أموره ، لايبالى بالعواقب ؛ مستحل لمحارم ، سافك للدماء وهذا بالهجاء أشبه ؛ وإنما المعنى أن الشيخ هنا السيف، فإن الشيخ من أسمائه ، وكذلك العجوز قال أبو المقدام البصرى ــ واسمه جساس بن قطيب ــ :

رُبَّ شيخٍ رأيتُ فى كفِّ شيخٍ ... يضربُ المُعلمين والأبطالا

وعجوزٍ رأيتُ فى فمِ كلبٍ ... جُعِلَ الكلْبُ للأمير جمالا

سمى السيف شيخاً لقدمه لأنهم يمدحون السيوف بالقدم ، وقيل سمى شيخاً لبياضه تشبيها بالشيب ، وكذلك المعنى فى العجوز والكلب : مسمار من ذهب أو فضة يجعل فى قائم السيف . جاء فى لسان العرب: قال ابن الأعرابى: الكلب مسمار مقبض السيف ومعه الآخر يقال له العجوز ، وقيل: العجوز نصل السيف ، والكلب مافوق النصل من جانبيه: حديداً كان أو فضة .

(٣) العجاج : الغبار والكتائب : جمع كتيبة ، الفرقة من الجيش . ورامته : يريد رامت عنه : أى زالت عنه ولم يزل هو عنها ، فحذف حرف الجر وأوصل الفعل والأصل استعماله بحرف الجر ، كما قال الأعشى :

أبانا فلا رِمتَ منْ عندِنا ... فإنا بخيرٍ إذا لم تَرِمْ

تُنسى البِلادَ بُروقَ الجوِّ بارقتِي ... وتكتفي بالدَّمِ الجارِي عن الدِّيَمِ (١)

رِدِي حِياضَ الرَّدَى يا نفسُ واتْرِكي ... حِياضَ خَوْفِ الرَّدَى للشاءِ والنَّعَمِ (٢)

إنْ لمْ أذرْكِ على الأرماحِ سائلةً ... فلا دُعيتُ ابنَ أمِّ المجدِ والكرمِ (٣)

وقال الجوهرى : يقال رامه يريمه ريما : أى برحه ، ويقال لاتزمه : أى لاتبرحه، ثم قال : ويقال : رمت فلاناً ورمت من عند فلان ، بمعنى ، وأنشد بيت الأعشى : يقول : إن الأبطال تنهزم عنه ولاينهزم هو. قال ابن جنى والواحدى : والنطح إنما هو للكباش ، ولا يستعمل فى الأسود ، ولو قال كلما صدمت أورميت لكان أليق، ولكنه أراد بالنطح : القتال .

(١) بارقتى : يريد سيوفه التى لها بريق ولمعان . والديم : جمع ديمة ، وهى المطر الدائم . يقول : إذا برقت سيوفى لأعدائى فى الحرب فإن ضوءها يزيد على ضوء بروق السحاب حتى تنسى الناس البروق ، ويكثر مع ذلك سيلان الدم حتى تستغنى البلاد عن الأمطار بما أصابه من الدماء . قال العكبرى: وهذا كلام مشبع بالحماقة حتى لو قاله أحد بنى بويه أو بنى أرتق أو بنى أيوب : لنسب إلى ذلك ، وهم ملوك الأرض وحماتها، وأرباب المغازى وولاتها.

(٢) ردى : أمر — من ورد الماء يرد ورودا — والردى : الهلاك ؛ ويانفس : يروى: حوباء : أى ياحوباء ؛ والحوباء : النفس. والشاء :جمع شاة؛ والنعم: الإبل خاصة يقول — لنفسه — : ردى المهالك والحروب واتركى خوف ورود الهلاك للنعم والشاء: أى أنها هى التى لا تقاتل عن نفسها ولاتدافع عنها من الذل . وقال ابن القطاع : قد صحف هذا البيت جماعة فرووا : حياض خوف الردى — بالحاء المهملة ، قال لى شيخى: قال لى صالح بن رشدين : لما قرأت هذا البيت قرأته بالحاء المهملة ، فقال لى : لم أقل كذلك ؛ قلت فكيف قلت ؟ قال قلت خياض — بالخاء المعجمة — لأنى لو قلته بالمهملة كنت قد نقضت قولى : ردى حياض الموت ، فإنها هى حياض خوف الردى . وكل من ورد الماء فلابد أن يخوضه إما بيد ، أو فم ؛ والمعنى : ردى يانفس حياض الموت ، فإن الموت فى العز حياة ؛ واتركى خياض خوف الردى للحيوان الذى لايعقل ، ولو قال المتنبي : خياض غير الردى بالخاء أو قال : واتركى ورد خوف الردى الخ : لم يحتج إلى هذا ، إلا أن مذهبه أنه يغمض معانيه حتى لايفهما إلا العلماء .

(٣) يقول — لنفسه — : إن لم أتركك سائلة الدم على الرماح — أى إن لم أحضر الحرب

أَيَمْلِكُ المُلْكَ وَالأَسْيَافُ ظَامِئَةٌ وَالطَّيْرُ جَائِعَةٌ لَحْمٌ على وَضَمِ (١)

مَنْ لَوْ رَآنِىَ مَاءً مَاتَ مِنْ ظَمَإٍ وَلَوْ مَثَلْتُ لَهُ فى النَّوْمِ لَمْ يَنَمِ (٢)

مِيعَادُ كُلِّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ غَداً وَمَنْ عَصَى مِنْ مُلُوكِ العُرْبِ وَالعَجَمِ (٣)

حتى ليسيل الدم منى على الرماح ـ فلا دعيت أخا المجد والكرم ؛ قال العكبرى : وهو من قول ابن أيوب .

إن تقتلونى فآجالُ الكماة كما خُبِّرتُ قبلُ وما بالقتل من عارِ

وإن نجوتُ لوقتٍ غيره فعسى وكلُّ نفسٍ إلى وقتٍ ومقدار

(١) ظامئة : عطشى ، ولحم: فاعل « يملك » والوضم : الخشبة يقطع الجزار عليها اللحم ، ويضرب اللحم على الوضم مثلا للضعيف الذى لا امتناع عنده ، ويقال للمرأة : لحم على وضم ، ومنه قول القائل :

أحاذر الفقر يوماً أن يلم بها فيهتك الستر عن لحم على وضم

وذلك أن الحيوان فيه نوع امتناع ، فإذا ذبح ووضع لحمه على الوضم كان عرضة لكل أحد ، حتى الطيور والذباب . وقوله : أيملك الملك : استفهام معناه الإنكار . يقول : لا يملك الملك ضعيف ذليل لا يدفع عن نفسه كاللحم على الوضم ، وأسيافنا عطاش إلى دمه والطير جائعة لم نشبعها من لحمه ، يعنى أنه يقتل ويلقى للطيور ولا يملك . قال ابن جنى : يريد أن ملوك عصره ليس فيهم من يدفع عن نفسه .

(٢) من : بدل من قوله لحم على وضم . والظمأ : العطش ، ومثلت: انتصبت وروى عرضت ، بدل مثلت . يقول : من لو كنت ماء وكان عطشان لمنعه خوفه منى أن يشرب حتى يموت عطشا ، ولو رآنى فى النوم ماثلا له لهجر النوم خوفا من أن يرانى فى النوم ؛ وهذا ينظر إلى قول مروان بن أبى حفصة :

فإذا تنبَّهَ رُعتَه وإذا غفَى سَلَّتْ عليه سيوفَكَ الأحلامُ

(٣) ميعاد : مبتدأ ، خبره ؛ غدا ، وكل رقيق الشفرتين : أى كل سيف رقيق الشفرتين ، وهو الذى رقت شفرتاه « حداه » بكثرة الصقل . ومن عصى : أى من عصانى ، عطف على كل . يتوعد من عصاه من الملوك بقرب إيقاد نار الحرب .

فَإِنْ أَجَابُوا فَمَا قَصْدِي بِهَـــا لَهُمُ   وَإِنْ تَوَلَّوْا فَمَا أَرْضَى لَهَـا بِهِمِ (١)

* * *

وعذله أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقى ، على ما كان قد شاهــده من تهوره فقال (*)

أَبَا عَبْـــدِ الإلٰهِ مُعَاذُ إِنِّى   خَفِىٌّ عَنْكَ فى الهيجا مَقَامِى (٢)

ذَكَرْتُ جَسِيمَ مَا طَلَبِى وَأَنَّا   نُخَاطِرُ فِيهِ بِالْمُهَجِ الْجِسَامِ (٣)

---

(١) يقول : إن أطاعونى وأجابونى إلى ما أدعوهم إليه : فلست أقصدهم بسيوفى ، وإنما أقصد بها غير المطيع فأقتله بها ؛ وإن أدبروا عنى ومضوا فى عصيانهم : فلا أقتصر على قتلهم وحدهم وإنما أقتلهم وكل من رأى رأيهم

* جاء جاء فى الصبح المنير :

قال أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل : قدم أبو الطيب المتنبى اللاذقية سنة نيف وعشرين وثلاثمائة وهو فتى ، فأكرمته وعظمته لما رأيت من فصاحته وحسن سمته . فلما تمكن الأنس بينى وبينه وخلوت معه فى المنزل اغتناما لمشاهدته واقتباسا من أدبه ،قلت :والله إنك لرجل خطير تصلح لمنادمة ملك كبير ، فقال : ويحك : أتدرى ما تقول ؟ أنا نبى مرسل ، فظننت أنه يمزح ، ثم تذكرت أنى لم أسمع منه كلمة هزل قط منذ عرفته ، فقلت له : ما تقول ؟ فقال : أنا نبى مرسل كما ذكرت ؛ فقلت : مرسل إلى من ؟ فقال إلى هذه الأمة الضالة المضلة ، قلت : ماذا تفعل ؟ قال : أملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا. قلت : بماذا ؟ قال : بإدرار الأرزاق والثواب العاجل والآجل لمن أطاع وأتى ،وضرب الأعناق لمن عصى وأبى ؛ فقلت له : إن هذا أمر عظيم أخاف عليك منه أن يظهر ؛ وعذلته على ذلك ، فأنشد يقول بديها ، وذكر هذه الأبيات .

(٢) معاذ : مرفوع بالبدل من « أبا عبد الإله » . قال العكبرى : ولو كان عطف بيان لكان منصوبا منونا ، لأنهم أجروا عطف البيان مجرى الصفة . والهيجاء : من أسماء الحرب . يقول : إنك تجهل منزلتى فى الحرب ومقدار ما طبعت عليه من الجرأة والبأس ، ومن ثم تلومنى على ما أنا مقدم عليه لظنك بى العجز عن بلوغه:

(٣) الجسيم : العظيم ؛ و « ما » : زائدة ، كقوله تعالى « فبما رحمة من الله » . وكقوله الشاعر :

أَمِثْلِي تَأْخُــذُ النَّـكَبَاتُ مِنْهُ ... وَيَجْزَعُ مِنْ مُلَاقَاةِ الْحِمَامِ (١)
وَلَوْ بَرَزَ الزَّمَانُ إِلَيَّ شَــخْصاً ... لَخَضَّبَ شَعْرَ مَفْرِقِهِ حُسَامِي (٢)
وَمَا بَلَغَتْ مَشِيئَتَهَا اللَّيَــالِي ... وَلَا سَارَتْ وَفِي يَدِهَا زِمَامِي (٣)
إِذَا امْتَلَأَتْ عُيُونُ الْخَيْلِ مِنِّي ... فَوَيْلٌ فِي التَّيَقُّظِ وَالْمَنَــامِ (٤)

* * *

إن أمسِ ما شيخاً كبيراً فطالما ... عُمِرْتُ ولـكن لا أرى العمر ينفع (١)

قالوا : ويحتمل أن تـكون « ما » بمعنى الذى ، أو نكرة ، فيضمر هو بعدها ، فإذا كانت نـكرة فتقديره : جسيم شيء هو طلبى ، والمهج : الارواح . يقول: عاتبتنى على محاولة الأمر العظيم ومخاطرتنا فيه بالأرواح العظيمة .

(١) النـكبات : الشدائد تنكب الإنسان . والجزع : نقيض الصبر ، والحمام : الموت. يقول : مثلى لا تنال منه النكبات ولا تصيبه : إما لأنه حازم يدفعها بحزمه عن نفسه، وإما لأنه صابر عليها فليست تؤثر فيه .

(٢) المفرق : وسط الرأس . والحسام : السيف القاطع . يقول : إن الزمان الذى هو محل النكبات والنوائب لو كان شخصا ثم برز إلى محاربا لخضب شعر رأسه سيفى .

(٣) يقول : إن الزمان لم يبلغ مراده منى ، ومن تغيير حالى وتوهين أمرى ، وما انقدت له انقياد من يعطى زمامه فيقاد به ، وهذا كما يقوله البحترى :

لعمرُ أبى الأيام ما جارَ صرْفها ... علىّ ولا أعطيتهــا ثِنىَ مِقْوَدِى

(٤) عيون الخيل : يريد عيون أصحاب الخيل . وقوله . فويل : يريد فويل لهم . يقول : إذا امتلأت عيون أرباب الخيل من منظرى فويل لهم فى الحالتين لأنهم يخافوننى أشد الخوف ، فلا يكون لهم أمن فى اليقظة ولا لذة ولا راحة فى منامهم .

---

(١) البيت أحد أبيات عشرة أوردها أبو تمام فى حماسته لمجمع بن هلال قال : غزا مجمع بن هلال بن خالد بن مالك بن هلال بن الحارث بن تيم الله ، بن زيد بن سعد بن زيد مناة ، فلم يصب شيئا فرجع من غزاته تلك فمر بمساء لبنى تيم عليه ناس من بنى مجاشع فقتل فيهم وأسر فقال فى ذلك . إن أمس ماشيخا . إلى آخر الأبيات . قال المرزوقى فى قوله إن أمس ماشيخا : «ما» زائدة . يقول : إن صرت شيخا طاعنا فى السن هدفا لسهامه فذلك حق لأن من يعيش يكبر، ومن يكبر يهرم، وطول العمر لا يجدى إذ كان مؤداه إلى الضعف وغايته الموت .

وقال له بعض بنى كلاب : أَشْرَبُ هذه الكأس سروراً بك ، فقال :

إذَا ما شَرِبْتُ الْخَمـرَ صِرْفاً مُهَنَّأً
شَرِبْنَا الَّذِى مِنْ مِثْلِهِ شَرِبَ الْكَرْمُ(١)
ألاَ حَبَّذَا قَوْمٌ نَدَامَاهُمُ الْقَنَا يُسَقُّونَها رِيًّا وَسَاقِيهِمِ الْعَزْمُ(٢)

* * *

(١) صرفا : أى خالصة غير ممزوجة . والذى من مثله شرب الكرم : هو الماء . يريد أن شرابه الماء ، لا الخمر .

(٢) يقول : حبذا الأبطال الذين يقاتلون بالرماح ويلازمونها ملازمة النديم للنديم : أى كأنها نداماهم ، لأنهم لا يخلون من صحبتها ، ويسقونها ما يرويها من الدماء ، فهم سقاة رماحهم ، وعزمهم على الحرب يسقيهم دماء الأعداء . هذا : والندامى جمع ندام ، والندام : جمع النديم ، وهو الشريب الذى ينادمه ؛ ويقال له الندمان أيضا ؛ قال النعمان بن نضلة العدوى ، ويقال للنعمان بن عدى ، وكان عمر استعمله على ميسان :

فإن كنت نَدْمانى فبالأكبر أسقنى ولا تسقِنى بالأصغرِ المُتَثَلِّمِ
لعلَّ أميرَ المؤمنينَ يسوؤهُ تنادُمنا فى الجَوْسقِ المتهدِّمِ

ولمناسبة حبذا : فقولهم حبذا الأمر : أى هو حبيب ، قال سيبويه ، جعلوا حب مع ذا بمنزلة الشيء الواحد ، وهو عنده اسم ، وما بعده مرفوع به ، ولزم ذا حب ، وجرى كالمثل ، والدليل على ذلك أنهم يقولون فى المؤنث « حبذا » ولا يقولون « حبذه » ؛ ومنه قولهم : حبذا زيد ، فحب : فعل ماض لا يتصرف ، وأصله « حبب » على ما قاله الفراء — و « ذا » : فاعله ، وهو اسم مبهم من أسماء الإشارة ، جعلا شيئا واحداً ، فصارا بمنزلة اسم يرفع ما بعده وموضعه رفع بالابتداء ؛ و « زيد » : خبره ، ولا يجوز أن يكون بدلا من « ذا » لأنك تقول : حبذا امرأة ، ولو كان بدلا : لقلت حبذت امرأة قال جرير :

يا حبَّـذا جبلُ الريَّانِ مِنْ جَبَلٍ وحبَّـذا ساكِنُ الريَّانِ من كانا

وقال وقد مد له إنسان يده بكأس وحلف بالطلاق ليشربنها :

وَأَخٍ لَنَا بَعَثَ الطَّلَاقَ أَلِيَّةً ... لَأُعَلَّنَّ بِهٰذِهِ الْخُرْطُومِ (١)

فَجَعَلْتُ رَدِّي عِرْسَهُ كَفَّارَةً ... عَنْ شُرْبِهَا وَشَرِبْتُ غَيْرَ أَثِيمِ (٢)

* * *

وقال يمدح الحسين بن إسحق التنوخي :

مَلَامِي النَّوَى فِي ظُلْمِهَا غَايَةُ الظُّلْمِ ... لَعَلَّ بِهَا مِثْلَ الَّذِي بِي مِنَ السُّقْمِ (٣)

وحبّذا نفحاتٌ من يمانيةٍ ... تأتيك من قِبل الريّان أحيانا (١)

(١) الألية : اليمين . والتعليل : التلهية بالشيء ، وقال الشراح في قوله لأعلن :إنه من العلل ، وهو السقي مرة بعد أخرى . والخرطوم : من أسماء الخمر ، قيل لأنها إذا بزل الدن انصبت في صورة الخرطوم ، وقيل سميت بذلك لأخذها بخراطم شرابهم – أي أنوفهم – كما قيل :

ولقد شربتُ الخمر حتى خِلتُها ... أفعى تَكِشُّ على طريق المُنخر

« كشيش الأفعى : صوت تخرجه من فيها وقيل صوتها من جلدها لا من فمها فإن ذلك من فحيحها » .

(٢) العرس : الزوجة . يقول . إن هذا الأخ حلف أن أشرب وإلا فامرأته طالق فجعلت ردى امرأته وإبقاءها عليه كفارة عن شرب الخمر وشربتها غير آثم ، إذ كان قصدى بالشرب بقاء الزوجية بينهما .

(٣) النوى : البعد وهى مؤنثة . يقول : إن لومى الفراق – فى تفريقه بيننا وظلمه إيانا بالبعد – غاية الظلم منا فلعله يعشقها كعشقى إياها ، فلذلك يختارها لنفسه . ويحول بينى وبينها . وقد حقق هذا المعنى فى البيت التالى ، وهذا كما قال محمد بن وهيب :

---

(١) من قصيدته التى مطلعها :

بان الخليط ولو طوّعت ما بانا ... وقطّعوا من حبال الوصل أقرانا

وفيها يقول :

إن العيون التى فى طرفها مرضٌ ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

فَلَوْ لَمْ تَغَرْ لَمْ تَزْوِ عَنِّى لِقَاءَكُمْ
وَلَوْ لَمْ تُرِدْكُمْ لَمْ تَكُنْ فِيكُمْ خَصْمِى (١)
أَمُنْعِمَةٌ بِالْعَوْدَةِ الظَّبْيَةُ الَّتِى بِغَيْرِ وَلِىٍّ كَانَ نَائِلُهَا الْوَسْمِى (٢)

وحاربنى فيه رَيبُ الزمانِ كأن الزمان لهُ عاشِقُ

وقال البحترى :

قد بَيَّنَ البينُ المُفرِّقُ بيننا عِشقَ النَّوَى لِربيبِ ذاكَ الرَّبْرَبِ

(١) زواه : نحاه وأبعده . يقول : لو كانت النوى لا تغار عليكم لما منعت عنى لقاءكم وطوته عنى ، ولما خاصمنى بسببكم . هذا : والخصم : المخاصم ، يستوى فيه الجمع والواحد والمؤنث يقول : هم خصم ، وهوخصم وهما خصم . وهى خصم .

(٢) الوسمى : أول مطر فى السنة ، وأراد به : أول ما بدأت به من الوصال ، والولى : المطر الثانى ؛ وأراد به مابعد ذلك من الوصل . والنائل : العطاء ، وأراد به وصالها ، يقول : إنها بدأت بوصل ثم لم تعد إليه ، فليتهاأنعمت على برجوعها إلى الوصل مرة أخرى . وهذا منقول من قول ذى الرمة :

لِنِى وَلْيَةً تُمْرِعْ جنابى فإنَّنِى لِما نِلتُ من وَسْمِيٍّ نُعْماكَ شاكِرِ

(لنى : أمر من الولى : أى أمطرنى ولية منك : أى معروفا بعد معروف). والمعنى من قول بشار :

قد زُرْتِنِى زَوْرَةً فى الدَّهرِ وَاحِدَةً ثَنِّى ولا تجعليها بيضة الديك (١)

هذا : ولك أن تجعل « منعمة » خبرا مقدما ؛ والظبية مبتدأ مؤخرا : أو تجعل « الظبية » : فاعلا لمنعمة ، سدت مسد خبرها على جعلها مبتدأ بعد الاستفهام .

يصْرَعن ذا اللبِّ حتى لاحراكَ به وهن أضعفُ خلق الله أركانا

والريان : أطول جبال أجأ واليمانية : رياح الجنوب .

(١) قال أبو عبيد فى البخيل يعطى مرة ثم لا يعود : كانت بيضة الديك ؛ فإن كان يعطى شيئا ثم يقطعه آخر الدهر قيل للمرة الأخيرة كانت بيضة العقر ، وقيل إن بيضة العقر هى بيضة الديك يبيضها فى السنة مرة واحدة ، وقيل يبيضها فى عمره

تَرَشّفْتُ فَاهَا سُحْرَةً فَكَأَنَّنِي ... تَرَشّفْتُ حَرَّ الْوَجْدِ مِنْ بَارِدِ الظَلْمِ (١)
فَتَاةٌ تساوى عِقْدُهَا وَكلامُهَا ... وَمَبْسِمُهَا الدُّرِّىُّ فِى الْحُسْنِ وَالنَّظْمِ (٢)

---

(١) الترشف : المص، والسحرة : السحر. والظلم: ماء الأسنان وبريقها ؛ وإنما خص السحرة لأن الأفواه تتغير عند ذلك ، وإذا كانت طيبة النكهة فى آخر الليل كان أمدح لها ألا ترى إلى قول امرىء القيس :

كَأَنَّ المُدَامَ وَصوبَ الغَمامِ ... وريحَ الْخُزَامى وَنشرَ القُطُرْ
يُعلُّ بهِ بَرْدُ أنيابهَا ... إِذَا طَرّبَ الطَائِرَ المستَحِرْ

وقال الحارثى :

كأن بفيهَا قَهْوَةً بابِليَّةً ... بمَاء سماء بعد وَهْنٍ مِزَاجُهَا

والعاشق إذا مص ريق معشوقه زادت نار حبه تلهبا ، لذلك ـ قال :

* تَرَشّفْتُ حَرَّ الْوَجْدِ مِنْ بَارِدِ الظَّلْمِ *

ولله ابن الرومى حين بسط هذا المعنى فى هذه الأبيات البديعة :

أُعانقها والنفسُ بعدُ مَشوقَةٌ ... إليها وهلْ بعدَ العناقِ تدَانِ
وألثمُ فاها كىْ تزُول حرَارتى ... فيَشْتَدُّ ما ألْقَى من الهيمَانِ
وما كان مقدارُ الذى بى من الجوى ... لِيشفِيَه ما ترَشُفُ الشفتَانِ
كأنَّ فؤادى ليسَ يشفِى غليله ... سِوَى أن يرَى الرُّوحان يمتزجان

(٢) يقول ؛ إن كلامن قلادتها ونطقها وثغرها الذى تبسم عنه سواء فى الحسن والنظم ، فهى درية العقد والكلام والثغر . وهذا معنى متداول ، قال البحترى :

فَمِنْ لُؤْلُؤٍ تُبْدِيه عنـد ابتسامها ... ومن لؤلؤٍ عند الحديث تساقطه

فذكر شيئين ، وقال المؤمل بن أميل :

وإن نطقتْ دُرٌّ فدُرٌّ كلامُهَا ... ولَمْ أر دُرًّا قبلهـا ينظِمُ الدرا

مرة واحده فتضرب بيضة الديك مثلا للعطية القليلة التى لا يربها معطيها بر يتلوها، وقيل: إن بيضة العقر وبيضة الديك كلاهما كقولهم بيض الأنوق والأبلق العقوق ، مثل لما لا يكون .

وَنَكْهَتِهَا وَالْمَنْدَلِىُّ وَقَرْقَفٌ ... مُعَتَّقَةٌ صَهْبَاءُ فى الرِّيحِ وَالطَّعْمِ (١)

فذكر شيئاً واحدا ، وأخذ أبو المطاع بن ناصر الدولة هذا المعنى فقال :

وَمُفَارِقٍ نفسى الفِدَاءُ لِنفسِهِ ... وَدَّعْتُ صَبْرِى عَنه فى تَوْدِيعِهِ

وَرَأَيتُ منهُ مثلَ لؤلؤِ عِقدِهِ ... من ثَغْرِهِ وَحَدِيثِهِ ودموعِهِ

فزاد ذكر الدمع على المتنبى .

(١) النكهة : رائحة الفم ؛ والمندلى ، العود الذى يتبخر به ، نسبة إلى مندل : موضع بالهند يجلب منه العود ، ومثله قمار ، قال : ياقوت : بفتح القاف ويروى بكسرها : موضع ينسب إليه العود ، قال هكذا تقوله العامة ، والذى ذكره أهل المعرفة « قامرون » موضع ببلاد الهند ، يجلب منه العود النهاية فى الجودة ، قال ابن هرمة :

أحِبُّ الليل إنّ خيال سلمى ... إذا نمنا ألَمَّ بنا فزارا

كأن الركب إذ طرقتك باتوا ... بمندل أو بقارعتَىْ قمَارا

هذا : وقد يقع المندل على العود على إرادة ياء النسب وحذفها ضرورة فيقال تبخرت بالمندل ، وهو يريد المندلى ، ويدلك على صحة ذلك دخول الألف واللام فى المندل قال عمر بن أبى ربيعة :

لِمن نارٌ قُبَيْلَ الصُّبْحِ عند البيتِ ما تخبُو

إذا ما أُخْمِدَتْ يُلْقَى عليها المندلُ الرطبُ

ويروى إذا ما أوقدت ، وقال كثير :

بأطيبَ من أردان عَزَّةَ مَوْهِناً ... وَقَدْ أُوقِدَتْ بالمَنْدَلِ الرَّطْبِ نارُها

« يقال : لقيته موهنا ، أى حين يدبر الليل ، أو هو نحو من نصف الليل : أو هو ساعة تمضى من الليل » ولمناسبة بيت كثير رووا أن إحدى المدنيات قالت لكثير فض الله فاك ، أنت القائل : بأطيب من أزادان عزة .. . البيت ؟ فقال : نعم ، قالت : أرأيت لو أن زنجية بخرت أردانها بمندل رطب أما كانت تطيب ؟ هلا قلت كما قال سيدكم امرؤ القيس :

ألم ترياني كلما جئتُ طارقاً ... وَجَدْتُ بها طيبا وإن لم تَطَيَّبِ ؟

والقرقف : من أسماء الخمر ، وكذلك الصهباء ، وهذه الأشياء معطوفة على فاعل « تساوى » — فى البيت السابق يقول : استوت منها هذه الأشياء فى طيب الرائحة

جفَتْنِي كَأَنِّي لَسْتُ أَنْطَقَ قَوْمِهَا وَأَطْعَنَهُمْ وَالشُّهْبُ فِي صُورَةِ الدُّهْمِ (١)
يُحَاذِرُنِي حَتْفِي كَأَنِّيَ حَتْفُهُ، وَتَنْكُزُنِي الْأَفْعَى فَيَقْتُلُهَا سُمِّي (٢)

والذوق . قال الواحدى : وإنما يستوى فى الذوق شيئان : النكهة والخمر ، لأن العودمر الذاق ، ولكنه جمع بينها فى الريح، وأراد فى الطعم شيئين ، ثم النكهة أيضا لا طعم لها لأنها رائحة الفم ، واستفهام الكلام إلى ذكر الريح ، ثم احتاج إلى القافية وإلى إقامة الوزن فذكر الطعم فأفسد ، لاختلاف ما ذكره فى الطعم . قال العكبرى : وليس كما ذكر - أى الواحدى - لأنه - المتنبى - قال : استوت نكهتها والمندلى وقرقف ، فلما وصف القرقف احتاج أن يقول فى الريح والطعم ، ولم يرد سوى الخمر فى الطعم .

(١) الشهب من الخيل : التى فى لونها بياض قد غلب على السواد ؛ والدهم : السود. يقول : جفتنى بهجرها كأنى لست الأنصح الأشجع من عشيرتها ؛ وإنما قال هذا لأن نساء العرب يملن إلى الشجاع الفصيح ألا ترى إلى قول العنبرى لما رأته امرأته يطحن فازدرته :

تقول وصكّتْ وجهها بيمينها أَبَعْلِيَ هذا بالرَّحى المتقاعِسُ
فقلت لها لا تعجلى وتَبَيَّنِي بلائى إذا التفّتْ علىَّ الفوارسُ (١)

فذكر لها شجاعته وحسن بلائه عند الحرب لترغب فيه ، فذكر أبو الطيب أن هذه غادرة ناقضة عادة أمثالها، بجفائه ، وقوله « والشهب فى صورة الدهم » يريد إذا رؤيت الخيل الشهب سوداء لتلطخها بالدماء وجفافها عليها ، كما قال النابغة الجعدى:

وتُنكرُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَلْوانَ خَيْلِنَا مِنَ الطَّعْنِ حتى تحسَبَ الجَوْنَ أشقَرَا

(٢) الحتف : الهلاك ، ونكزته الحية : لسعته بأنفها ، فإذا عضته بنابها قيل نشطته

---

(١) بعد البيتين :

ألست أردُّ القِرْنَ يركب ردْعَهُ وفيه سنان ذو غرارين يابسُ
إذا هاب أقوام تجشّمتُ هوْلَ ما يَهاب محيّاه الألدُّ المداعسُ
لعمرُ أبيكِ الخير إنى لخادمٌ لضيفى وإنى إن ركبت لفارسُ

أبعلى هذا - بإشارة التحقير - تعجب مما رأت ، والمتقاعس الذى يخرج صدره ويدخل ظهره ، نقيض التحادب ؛ وبالرحى : تبيين ، وبلائى : مصدر أبلى الرجل إذا اجتهد فى حرب أو كرم ، ويركب ردعه : يريد يصرع منكوسا رأسه أسفله ، والغراران: الحدان

طِـــوَالُ الرُّدَيْنِيَّاتِ يَقْصِفُهَا دَمِي وَبِيضُ السُّرَيْجِيَّاتِ يَقْطَعُهَا لَحْمِي (١)

بَرَتْنِي السُّرَى بَرْىَ المُـــدَى فَرَدَدْنَنِي
أَخَفَّ عَلَى المَرْكُوبِ مِنْ نَفْسِي جِــرْمِي (٢)

قال الوحدى : الحتف لا يتصور منه الحذر وإنما يريد أن قرنى الذى منه حتفى لو قاتلنى لحذرنى كأنى حتفه : أى كأنى أقتله يقينا وأغلبه ، فهو يحذرنى حذر من تيقن هلاكه من جهة إنسان ؛ ويحتمل أن يكون هذا مجازاً ومبالغة فى وصف شجاعته. وقوله: وتنكزنى الأفعى : أى يتعرض لى أعدى أعدائى فأهلكه، وقد جعل أعداءه قسمين : حاذراً يحازره، ومتعرضا له يهلكه المتنبى ، ولما سمى عدوه أفعى : سمى قوة نفسه وشجاعته سما ، لشدة تأثيره فى عدوه .

(١) الرديفيات : الرماح ، نسبة إلى ردينة : امرأة كانت تقوم الرماح . والسريجيات السيوف ، نسبة إلى « قين » اسمه سريج . يقول : إن الرماح تنقصف قبل الوصول إلى إراقة دمى ، والسيوف تتقطع قبل أن تقطع لحمى . فجعل دمه يقصفها لما كان السبب فى قصفها . وكذلك لحمه ؛ والفعل قد ينسب إلى من كان سببا فيه ، وعبارة التبريزى : أى أنا من نفسى وعشيرتى فى منعة ، فإذا أصابنى طعن كبر الطعن فى طلب ثأرى حتى تنقصف الرماح ، وإذا ضربت تتكسر السيوف حتى يدرك ثأرى.

(٢) برتنى : أى هزلتنى ، مأخوذ من برى السهم ، وهو نحته حتى يدق ، والسرى جمع سرية ، ومن ثم أنثها ، وقال برتنى وهى سير الليل ، والمدى : جمع مدية ، وهى السكين ، وجرمى : أى جسدى ، مبتدأ مؤخر ، خبره : أخف : والجملة : حال من الضمير فى « رددننى » أو مفعول ثان لها . وهذا على رواية أخف — بالرفع — وتروى منصوبة ، فتكون حالا ، أو مفعولا ثانيا . وجرمى : بدلا من الياء فى ، « رددننى » ، وإنما أبدل « جرمى » من الضمير لإثبات الوزن وإقامة القافية ، وإلا فقد تم المعنى دونه ولا يجوز جعله فاعلا لـ« أخف » ، لأن أفعل التفضيل لا يرفع الظاهر إلا فى مسألة الكحل يقول: أذهبت السرى لحمى فجعلتنى فى خفتى على المركوب كنفسى الذى يخرج من فمى .

ويابس : يريد أنه صلب لا تأنيث فيه ، ويروى نائس من ناس ينوس إذا تحرك واضطرب وهاب : يروى « خام » بمعنى نكص وجبن والحيا : السورة والشدة ؛ والألد : الشديد الخصومة ، والداعس : المطاعن ،

وَأَبصَرَ مِنْ زَرْقَاءِ جَـــوٍّ لأنَّنِى   إذا نَظَرَتْ عَيْنَاىَ سَاوَاهُمَا عِلْمِى (١)
كأنِّى دَحَوْتُ الأَرْضَ مِنْ خِـــبْرَتِى بِهَا
كأنِّى بَنَى الإِسْـكَنْدَرُ السَّدَّ مِنْ عَزْمِى (٢)

---

(١) نصب « أبصر » عطفا على موضع الجملة ـ فى البيت السابق — فى رواية من رفع ، أو على لفظ « أخف » فى رواية من نصب وجو : قصبة اليمامة؛ وزرقاء:اسم امرأة من أهل «جو » حديدة البصر ، تدرك ببصرها الشىء البعيد ، فضربت العرب بها المثل ، فقالوا أبصر من زرقاء اليمامة ، قالوا : إنها امرأة من جديس كانت تبصر الشىء من مسيرة ثلاثة أيام ، فلما قتلت جديس طسما خرج رجل من طسم إلى حسان بن تبع فاستجاشه ورغبه فى الغنائم فجهز إليهم جيشا ، فلما صاروا من « جو » على مسيرة ثلاث ليال صعدت الزرقاء فنظرت إلى الجيش ، وقد أمروا أن يحمل كل رجل منهم شجرة يستتر بها ليلبسوا عليها . فقالت : ياقوم قد أتتكم الشجر أو أتتكم حمير ، فلم يصدقوها فقالت :

أقسمُ باللهِ لقد دَبَّ الشجرْ   أو حِمْيرٌ قد أخذت شيئاً يُجر

فلم يصدقوها . فقالت أحلف بالله لقد أرى رجلا ينهش كتفاً أو يخصف النعل ، فلم يصدقوها ولم يستعدوا حتى صبحهم حسان فاجتاحهم ، فأخذ الزرقاء فشق عينيها فإذا فيهما عروق سود من الإثمد ، وكانت أول من اكتحل بالإثمد من العرب ، وقد ذكرها الشعراء من قديم فى شعرهم : مثل النابغة فى قصيدته الدالية، والاعشى فى قصيدة عينية فضل المتنبى نفسه على زرقاء اليمامة فقال : إذا نظرت عيناى ساواهما علمى: أى أنهما لا يسبقان علمى فإذا رأيت الشىء ببصرى علمته بقلبى . وروى ابن جنى شأواهما علمى . والشأو : الأمد والغاية . يقول : إذا انظرت عيناى فغايتاهما : أن تعرف ما علمته بقلبى؛ يعنى أنه عارف بأعقاب الأمور . وروى شاءهما : أى سبقهما ، مقلوب « شأى »؛ وروى أيضاً سأواهما علمى ؛ والسأو : الهمة أى همة عينى أن تريا ما عرفت .

(٢) الدحور : البسط ؛ والإسكندر : هو ذو القرنين — الذى بنى السد بين يأجوج وبين سائر البلاد كما جاء فى القرآن الكريم ، وليس هذا موضع تبيين حقيقة هذا السد ـ وهل ذو القرنين هذا هو الإسكندر المقدونى أو خلافه ؟ يصف المتنبى كثرة أسفاره فى الأرض وتقلبه فى البلاد حتى عرف الأرض كلها ، وحتى كأنه بسطها لعلمه بها. ويذكر قوة عزمه على الأمور ؛ حتى كأن الإسكندر بنى السد من عزمه هذا : وقد فرق أهل

لِأَلْقَى ابْنَ إِسْحَاقَ الَّذِي دَقَّ فَهْمُهُ ؛ فَأَبْدَعَ حَتَّى جَلَّ عَنْ دِقَّةِ الْفَهْمِ (١)
وَأَسْمَعَ مِنْ أَلْفَاظِهِ اللُّغَةَ الَّتِي يَلَذُّ بِهَا سَمْعِي وَلَوْ ضُمِّنَتْ شَتْمِي (٢)
يَمِينُ بَنِي قَحْطَانَ رَأْسُ قُضَاعَةٍ ، وَعِرْنِينُهَا بَدْرُ النُّجُومِ بَنِي فَهْمِ (٣)
إِذَا بَيَّتَ الْأَعْدَاءَ كَانَ اسْتِمَاعُهُمْ صَرِيرَ الْعَوَالِي قَبْلَ قَعْقَعَةِ اللُّجْمِ (٤)
مُذِلُّ الْأَعِزَّاءِ الْمُعِزُّ وَإِنْ يَئِنْ بِهِ يُتْمُهُمْ فَالْمُوتِمُ الْجَابِرُ الْيُتْمِ (٥)

اللغة بين السد بالضم وبينه بالفتح فقال الزجاج : ما كان مسدوداً خلقة فهو سد ـ بالضم ـ وما كان من عمل الناس فهو سد ـ بالفتح .

(١) لألقى : متصلة بقوله برتقى السرى ؛ وأبدع : أى جاء بالأمور البديعة المبتكرة التى لم يسبق لها مثال ، يقول : تكلفت المشاق وكابدت شدائد الأسفار لألقى الممدوح المذكور الذى دق فهمه وأبدع فى دقة الفهم حتى صار أعظم من أن يوصف بدقة الفهم فيقال إنه عالم بالغيب ، أو تقول حتى صار أعظم من أن تدركه الأفهام الدقيقة

(٢) يلذ بها : يروى يلذ لها . ويقال : لذذت الشىء ولذذت به : أى استلذذته. وقوله ولو ضمنت : يروى «وإن ضمنت» . يقول : إنه صحيح اللفظ، مستحلى الكلام ، يلتذ السمع بكلامه ولو كان شتما ، لصحته وعذوبته .

(٣) قحطان : أبو قبائل اليمن ؛ وقضاعة : قبيل منه ؛ وبنو فهم : حى من قضاعة ، وهم رهط الممدوح ؛ والعرنين ـ فى الأصل ـ ما تحت ملتقى الحاجبين من الأنف. يقول إنه فى هؤلاء كاليمين من الجسد ، وفى هؤلاء كالرأس والعرنين : أى أنه رئيسهم وبه عزهم ، والعرنين يجعل مثلا فى العز ، وكذلك الأنف ، وجعله كالبدر فى « بنى فهم » الذين هم كالنجوم .

(٤) بيت الأعداء : طرقهم ليلا . والصرير والقعقعة : من مرادفات الصوت. والعوالى الرماح : يقول : إذا وافى أعداءه ليلا أخفى تدبيره ومكره وتحفظ من قبل أن يفطن له فيأخذهم على غفلة حتى يسمع صرير رماحه بين ضلوعهم قبل أن يسمعوا أصوات اللجم متحركة فى أحناك خيله . وحاصل المعنى أنه يهجم عليهم فلا يشعرون به إلا وقد طعنهم برماحه لإسراعه ولطف تدبيره . وقد زلت قدم ابن جنى فى تفسيره هذا البيت إذ قال : يبادر إلى أخذ الرمح : فإن لحق إسراج فرسه فذاك ، وإلا ركبه عريانا .

(٥) يئن ـ مضارع آن يئين ـ أى يحين ، وقوله : به ، أى على يديه ؛ والموتم : اسم فاعل ـ من أيتم ـ يقول : هو مذل الأعراب ، ومعز الأذلاء ؛ يرفع قوما ويضع

وَإنْ تمسِ دَاءً فى الْقُلُوبِ قَنَاتُهُ فَمُمْسِكُهَا مِنْهُ الشِّفَاءُ مِنَ الْعُدْمِ (١)
مُقَلَّدُ طَاغِى الشَّفْرَتَيْنِ مُحَكِّمٍ عَلَى الهَامِ إلا أنَّهُ جَائِرُ الْحُكْمِ (٢)
تَحَرَّجَ عَنْ حَقْنِ الدِّمَاءِ كأنَّهُ
يَرَى قَتْلَ نَفْسٍ تَرْكَ رَأْسٍ عَلَى جِسْمِ (٣)
وَجَدْنَا ابْنَ إسْحَاقَ الْحُسَيْنَ كَجَدِّهِ عَلَى كَثْرَةِ الْقَتْلَى بَرِيئًا مِنَ الإثْمِ (٤)
مَعَ الْحَزْمِ حَتَّى لَوْ تَعَمَّدَ تَرْكَهُ لأَلْحَقَهُ تَضْيِيعُهُ الْحَزْمَ بِالْحَزْمِ (٥)

آخرين ، ثم قال : وإن حان يتمهم — أى يتم الأعزاء — فهو الموتم وهو فى الوقت عينه الجابر اليتم : يعنى أنه يقتل الآباء ثم يحسن إلى أبنائهم الأيتام ويكفلهم بنعمته .

(١) القناة : الرمح ، ويريد بممسكها : نفسه . ومن روى فمسكها — بفتح السين أراد موضع الإمساك : وهو الكف ، مثل المدخل والمخرج ؛ ومنه : للتجريد ؛ والعدم : الفقر . يقول : إن أدوى (١) قلوب المطعونين بقناته فإن الذى أمسكها هو الذى يشفى من الفقر بعطائه ، وقد قابل بين الداء والشفاء .

(٢) الطاغى : الجائر الذى يتجاوز الحد ، وشفرتا السيف: حداه . والهام: الرءوس يصف سيفه يقول : هو مقلد سيفا جائر الشفرتين لكثرة ما يقتل ؛ محكما فى رءوس الأعداء ؛ جائراً فى حكمه ، لأنه يحكم بقتلهم جميعا ولا يبقى منهم أحداً .

(٣) تحرج عن الشىء : كف عنه وأمسك تأثما وحقن الدماء : حفظها وتركها فى أبدانها . يقول : إنه يريق دماء أعدائه ولا يبقى عليها ، فكأنه يرى ترك رأس من رءوس أعدائه على جسمه قتل نفس لا يحل له قتلها : أى يتحرج من هذا كما يتحرج من ذاك .

(٤) قال الواحدى : لما وصفه بكثرة القتل ذكر أنه لا يقتل إلا من يستحق القتل كجده — وكان غازيا يقتل الكفار — فكان بريئا من إثم القتل على كثرة ماله من القتلى وروى ابن جنى : كحده بالحاء وقال : أى كحد هذا السيف : أى أنه كثير القتل ولا إثم عليه ، لأنه لا يضع الشىء فى غير موضعه ، كما أن حد السيف كثير القتل ، وهو غير آثم كما قال أبو تمام :

إن أجرمَتْ لم تنصّل من جرائمها وَإنْ أساءت إلى الأقوام لم تُلَمِ

(٥) مع الحزم : متعلق بقوله « وجدنا » . والحزم : ضبط الإنسان أمره والأخذ

---

(١) أدواه : أحدث به داء .

وَفى الحَرْبِ حَتّى لَوْ أرادَ تأخُّرًا ۝ لَأخّرَهُ الطَّبْعُ الكَرِيمُ إلى القُدْمِ (١)

لَهُ رَحْمَةٌ تُحْيِي العِظامَ وَغَضْبَةٌ ۝ بِها فَضْلَةٌ لِلجُرْمِ عَنْ صاحِبِ الجُرْمِ (٢)

وَرِقّةُ وَجْهٍ لَوْ خَتَمْتَ بِنَظْرَةٍ ۝ عَلَى وَجْنَتَيْهِ ما انْمَحَى أثَرُ الخَتْمِ (٣)

أذاقَ الغَوانى حُسْنُهُ ما أذَقْنَنِي ، ۝ وَعَفَّ فَجازاهُنّ عَنّي عَلى الصُّرْمِ (٤)

فيه بالثقة . يقول : وجدناه ملازما للحزم حتى لو تعمد تركه لم يعد مع تركه إلا حازما لأن الحزم ملازم له ، والمعنى أنه لا ستيلاء الحزم عليه يلحقه تركه إياه بفعله حتى لو أراد ترك الحزم لم يمكنه ، وفى هذا نظر إلى قول أبى تمام :

تعوّد بَسْطَ الكفِّ حتى لوَ انه ۝ ثناها لقبضٍ لم تجبْه أنامله

وذلك أن تقول إن المعنى : أنه لو تعمد ترك ما هو حزم فى بادئ الرأى لم يكن تركه إلا لأمر يقتضيه الحزم ، لأنه يرى مالا يراه غيره ولا يضع الأشياء فى غير مواضعها .

(١) فى الحرب : عطف على « مع الحزم » ؛ والقدم : التقدم يقول : هو صاحب الحرب وفى الحرب أبدا ، حتى لو أراد تأخراً لكان تأخره تقدما إذ ليس عنده إلا التقدم والمعنى لأخره الطبع الكريم عن التأخر إلى التقدم .

(٢) يقول : بلغت رحمته إلى حد أنها تكاد تحيى العظام وهى رميم . قال الواحدى: أى فضلت عن الأحياء إلى الأموات وغضبه فضل عن صاحب الجرم فضلة هى للجرم : يعنى أنه يفنى بغضبه المجرم وتبقى من غضبه فضلة تفنى الجرم الذى اجترمه أيضاً ، بمعنى أنه بعد تنكيله بالمجرم لا يجترئ أحد أن يأتى مثل جرمه خوفا من غضبه فغضبه يفنى المجرم وجرمه

(٣) رقة الوجه : كناية عن الحياء وكرم الأخلاق . يقول : هو رقيق الوجه حياء وكرما ؛ فلو نظرت إليه لظهر على وجهه أثر نظرك كأثر الختم : ثم لا يذهب ذلك الأثر ولا ينمحى .

(٤) الغوانى : جمع غانية ، وهى الشابة التى غنيت بجمالها عن الحلى ، وقيل التى غنيت بزوجها عن الرجال ، وقيل التى غنيت ببيت أبويها فلم يقع عليها سباء . وأسكن « الغوانى » : ضرورة ، لأنها مفعول أذاق . والصرم : الهجر والمقاطعة ، بفتح الصاد وضمها ـ وقيل: الصرم المصدر ؛ والصرم : الاسم . يقول إنه لحسنه تعشقه

فِدًى مَنْ عَلَى الغَبْرَاءِ أَوَّلُهُمْ أَنَا لِهَذَا الأَبِيِّ المَاجِدِ الجَائِدِ القَرْمِ (١)

لَقَدْ حَالَ بَيْنَ الجِنِّ وَالأَمْنِ سَيْفُهُ فَمَا الظَّنُّ بَعْدَ الجِنِّ بِالعُرْبِ وَالعُجْمِ (٢)

وَأَرْهَبَ حَتَّى لَوْ تَأَمَّلَ دِرْعَهُ جَرَتْ جَزَعاً مِنْ غَيْرِ نَارٍ وَلا فَحْمِ (٣)

النساء ولكنه يعف عنهن ولا يواصلهن ، فكان ذلك منه جزاء لهن على مصارمتهن إياى .

(١) فدى خبر عن الموصول بعده ، والغبراء : الأرض . والأبى : بمعنى الآبى وهو الذى يأبى الدنايا . والجائد : الفاعل من جاد يجود ، والقرم : السيد ؛ وأصله : الفحل من الإبل يترك للفحلة ولا يحمل عليه . يقول : يفدى هذا الممدوح كل من على الأرض وأولهم أنا ، لأنه سيدهم .

(٢) حال : اعترض . يقول : لقد أخاف سيفه الجن حتى حال بينهم وبين أن يأمنوه فما ظنك بالإنس بعد خوف الجن ، والعرب والعرب واحد ، وكذلك العجم والعجم .

(٣) أرهب : أخاف ؛ والجزع : نفاد الصبر من شدة الخوف . يقول : أخاف كل أحد حتى لو نظر بهيبته إلى درعه لذابت جزعا من خوفه وجرت مجرى الماء . وهذا من قول الآخر :

لو صالَ من غضب أبو دُلَف على بيضِ السيوفِ لَذُبْنَ فى الأغماد

هذا : ويقال فحم وفحم مثل نهر ونهر ، وفى المثل : لو كنت أنفخ فى فحم : أى لو كنت أعمل فى عائدة . قال الأغلب العجلى :

هل غيرُ غار هدَّ غاراً فانهدَمْ قد قاتلوا لو ينفُخون فى فحم

* وصبروا لو صبروا على أَمْ *

يقول : لو كان قتالهم يغنى شيئاً ، ولكنه لا يغنى فكان كالذى ينفخ نارا ولا فحم ولا حطب ، فلا تتقد النار : يضرب هذا المثل للرجل يمارس أمراً لا يجدى عليه ، والفحيم كالفحم . قال امرؤ القيس :

وإذ هى سوداء مثل الفحيم تُغَشِّى المطانبَ والمنكِبا (١)

---

(١) وإذ هى سوداء ؛ يعنى اللمة ؛ وذلك دليل الشباب والفتوة ، والمطانب : جمع المطنب ، وهو حبل العاتق الممتد إلى المنكب .

وَجَادَ فَلَوْلاَ جُودُهُ غَـيْرَ شَارِبٍ ... لَقِيلَ كَرِيمٌ هَيَّجَتْهُ ابْنَةُ الْكَرْمِ (١)

أَطَعْنَاكَ طَوْعَ الدَّهْـرِ يَاابْنَ ابْنِ يُوسُفٍ ... لِشَـهْوَتِنَا ، وَالْحَاسِدُو لَكَ بِالرَّغْمِ (٢)

---

(١) غير شارب : حال . وابنة الكرم : الخمر ، يقول : جاد بالأموال فأكثر وتخرق فى الكرم ، فلولا أننا رأيناه صاحيا لقلنا كريم هيجته الخمر فحركته إلى الجود وابتعثته عليه ، وقد جانس بين الكريم والكرم ، وهـذا من قول البحترى :

صـحا واهتز للمعرو ... ف حتى قيل نشوانُ

(٢) طوع الدهر : لك أن تجعل المصدر مضافا إلى الفاعل ، فيكون المعنى : أطعناك كما أطاعك الدهر ، ولك أن تجعله مضافا إلى المفعول ، فيكون المعنى أطعناك غاية الطاعة شهوة منا لطاعتك كما نطيع الدهر — ولا ينفك أحد من طاعة الدهر — وأطاعك حاسدوك على الرغم منهم خوفا منك . هذا وقوله : الحاسدو لك ، أراد والحاسدون ، فحذف النون ، لأنه شبهه بالفعل ، كأنه قال والذين حسدوك ومثل هذا كثير ، قال عبيد بن الأبرص :

ولقد يَغْنَى به جيرانُكِ الـــمُمْسكو منكِ بأسباب الوِصالْ

أراد الممسكون ، وأنشد جميع النحويين :

والحافظو عورةَ العشيرة لا ... يأتيهم من ورائنا وكَفُ (١)

---

(١) من قصيدة لعمرو بن امرىء القيس الخزرجى ، وقبله :

نحنُ المكيثون حيث نُحمد بالمُـــكْث ونحنُ المصـــالتُ الأُنفُ

والمكيثون : جمع مكيث فعيل من المكث وهو اللبث — الانتظار — والمراد هنا الصبر والرزانة والمصالت : جمع مصلت ، وهو الماضى فى الأمور لايهاب شيئا . والأنف : جمع آنف ، من الأنفة ، وهى الحمية . والحافظو : عطف على « المصالت » والعورة : المكان الذى يخاف منه العدو ؛ والوكف : العيب والإثم . يقول : ونحن نحفظ عورة عشيرتنا فلا يأتيهم من ورائنا شىء يعابون به من تضييع ثغرهم وقلة رعايته . « راجع القصيدة وقصتها وشرحها فى الجزء ٤ ص ٢٠٥ من « الخزانة » طبعة « السلفية »

خِلْنَاكَ قَدْ أَعْطَيْتَ مِنْ قُوَّةِ الْوَهْمِ وَثِقْنَا بِأَنْ تُعْطِى فَلَوْ لَمْ تَجُدْ لَنَا (١)

وَظَنَّ الَّذِى يَدْعُو ثَنَائِى عَلَيْكَ اسْمِى دُعِيتُ بِتَقْرِيظِيكَ فِى كُلِّ مَجْلِسٍ ، (٢)

وَأَطْمَعْتَنِى فِى نَيْـــــلِ مَا لَا أَنَالُهُ

بِمَا نِلْتُ حَتَّى صِرْتُ أَطْمَعُ فِى النَّجْمِ (٣)

أراد الحافظون ، ولذلك نصب عورة ، وقرأ بعض القراء « والمقيمى الصلاة » بنصب « الصلاة » وارتفع الحاسدو : بالعطف على الضمير فى « أطمعناك » وحسن العطف على الضمير المرفوع ، وإن لم يؤكد ، لطول الكلام .

(١) خلناك : حسبناك ؛ والوهم : تخيل الشىء وتمثله كان فى الوجود أو لم يكن . وقال الجوهرى : وهمت فى الشىء ـ بالفتح ـ أهم وهما : إذا ذهب وهمك إليه وأنت تريد غيره ؛ وتوهمت : أى ظننت ؛ ووهم ـ بكسر الهاء ـ : غلط وسها . يقول : وثقنا بأنك تعطينا لما تحققناه من جودك فلو لم تعطنا لظنناك قد أعطيتنا .

(٢) التقريظ : المدح . وقوله : الذى يدعو ، أراد يدعونى ، فحذف المفعول . يقول لكثرة مدحى إياك دعيت مادحك وشاعرك ، والذى يدعونى يظن أن اسمى ثنائى عليك فيقول يامثنى فلان ـ يامادح فلان ـ وبعبارة أخرى : لقد اشتهرت بمدحك بين الناس حتى سمونى مادح فلان ، وصار الذى يريد أن يدعونى ، ينادينى بهذا اللفظ ، لظنه أنى مسمى به ؛ وقال ابن جنى : أنا أمدحك بالشعر ، فيقول الناس هذا شاعر الأمير ، فاشتق لى من مدحك اسم ، وهذا المعنى من قول الناس : من أكثر من شىء عرف به ، وقد قال جعفر بن كثير لجميل قد ملأت البلاد بذكر بثينة وصار اسمها لك نسبا وإنى لأظنها حديدة العرقوب دقيقة الظنبوب ، وقد نقل المتنبى هـذا من قول البحترى

وما أنا إلا عبـــدُ نعمتكَ التى نُسِبْتُ إليهـــا دون رهطى ومعشرى

(٣) يقول : قد نلت بجودك كل ما أردت ، ولما أدركت ذلك طمعت فيما لا ينال ، لأن من نال ما أراد طمع فيما وراءه مما لا يناله ، ولم يزل بى هذا الطمع حتى صرت أطمع فى إدراك النجوم حتى أنالها كما قال البحترى :

لِمَ لا أمدُّ يدى حتى أنال بهـــا زُهْرَ النجوم إذا ما كنت لى عَضُدا

إذا ما ضَرَبْتَ القِرْنَ ثُمَّ أجزْتَنِي   فَكِلْ ذَهَباً لى مَرَّةً مِنهُ بالكَلْمِ (١)
أبَتْ لكَ ذَمِّى نَخْوَةٌ يَمَنِيَّةٌ ،   وَنَفْسٌ بِهَا فى مَأزِقٍ أبَدًا تَرْمِي (٢)
فَكَمْ قَائِلٍ لَوْ كَانَ ذا الشَّخصُ نَفسَهُ   لَكَانَ قَرَاهُ مَكْمَنَ العَسْكَرِ الدَّهْمِ (٣)
وَقَائِلَةٍ وَالأرْضَ أعْنِي تَعَجُّباً   عَلَىَّ امْرُؤٌ يَمْشِي بِوَقْرِى مِنَ الحِلْمِ (٤)
عَظُمْتَ فَلَمَّا لَمْ تُكَلَّمْ مَهَابَةً   تَوَاضَعْتَ وَهْوَ العُظْمُ عُظْماً عَنِ العُظْمِ (٥)

***

---

(١) القرن : الكفء فى الحرب . وأجزتنى : أعطيتنى جائزة ، وهى العطاء والكلم الجرح . يقول : إذا أردت أن تعطيق وقد ضربت أحد أقرانك فى الوغى؛ فاجعل عطائى ملء جرحه ذهبا ، فإن ذلك يكون كفيلا لى بالغنى . يصفه بسعة الضربة وبعد غور جرحه ورحابته .

(٢) يمنية : تروى عربية ؛ والنخوة : الكبر ؛ يريد بها ترفعه عن الدنايا وعما يورثه عيبا ؛ والمأزق : المضيق ؛ والمراد به : ساحة الحرب يقول : ترفعك عن النقائص ونفسك التى ترمى بها أبدا فى مآزق الحرب يأبيان ذمى لك : أى لا موضع للذم فيك ، لأنك مترفع عن كل ما يزرى بك ، لأنك كريم شجاع

(٣) القرا : الظهر . والمكمن : المخبأ . والدهم : الكثير . يقول : كم من قائل يقول لو كان جسمه على قدر نفسه وهمته لاختفى وراء ظهره الجيش العظيم .

(٤) وقائلة : أى ورب قائلة . والأرض : منصوب بأعنى ، وتعجبا : مفعول له ، أو حال ؛ ولك أن تجعله مفعولا مطلقا لفعل محذوف : أى أتعجب تعجبا . وعلى امرؤ : مبتدأ وخبر وقوله : بوقرى أى بثقل وقرى : أى ثقلى : يصف رزانته وثقل حلمه يقول إن الأرض تقول تعجبت تعجبا يمشى على امرؤ ثقيل حلمه كثقلى .

(٥) الضمير من « وهو العظم » : يرجع إلى التواضع المفهوم من قوله تواضعت ، والجملة : معترضة ، وعظما : مصدر فى موضع الحال من « التاء » فى « تواضعت » وعن العظم ، متعلق بعظما . يقول : أنت عظيم القدر والنفس والهمة ، فلم يكلمك الناس مهابة لك : فلما هابوك تواضعت متعظما عن تلك العظمة ، وهذا التواضع والتعظيم عن العظمة هو عين العظمة ، لأن تواضع الشريف عن شرفه هو الشرف كل الشرف :

وقال يمدح على بن إبراهيم التنوخى :

أَحَقُّ عَافٍ بِدَمْعِكَ الْهِمَمُ　　أَحْدَثُ شَيْءٍ عَهْداً بِهَا الْقِدَمُ (١)
وَإِنَّمَا النَّاسُ بِالْمُلُوكِ وَمَا　　تُفْلِحُ عُرْبٌ مُلُوكُهَا عَجَمُ (٢)
لَا أَدَبٌ عِنْدَهُمْ وَلَا حَسَبٌ　　وَلَا عُهُودٌ لَهُمْ وَلَا ذِمَمُ (٣)
بِكُلِّ أَرْضٍ وَطِئْتُهَا أُمَمٌ　　تُرْعَى بِعَبْدٍ كَأَنَّهَا غَنَمُ (٤)

---

(١) أحق ـ أى أولى وأجدر ـ : خبر مقدم عن الهمم : والعافى: الدارس الذاهب ـ من عفت الديار : درست ـ والقدم : خلاف الحدوث . يقول : أحق عاف بأن يبكى عليه هو همم الكرام التى قد درست وذهبت: أى أنها أولى بالبكاء من الدمن والأطلال ثم قال : إن القدم أحدث الأشياء عهدا بها ـ أى بالهمم ـ أى أن دروسها قديم، وإذن لا عهد لأحد بها ، قال الواحدى : لأن المحدثات تتأخر عن القدم وإذا كان القدم أحدث الأشياء عهداً بها فلا عهد بها لأحد ، وهذا كما تقول أحدث الناس عهداً بها آدم ، دل هذا على أنه لا عهد بها لأحد من الناس وقال ابن جنى: سألته ـ أى المتنبى ـ عن معنى هذا البيت فقال : أحق ما صرفت إليه بكاءك همم الناس ، لأنها قد عفت ودرست فصار أحدثها عهدا قديما . وعبارة التبريزى : أحق عاف بأن يبكى عليه همم الكرام لأنها قد عفت كما تعفو الربوع ، فهى أحق بدمعك من كل الدارسات ، وجعل القدم أحدث الأشياء عهدا بالهمم : أى أن دروسها قديم ، فلا همم فى الأرض

(٢) يقول : إن الناس بالملوك يرتفعون ، والعرب إذا ملكهم العجم لم يفلحوا ، لما بينهما من التباين والتنافر واختلاف الطبائع واللغة ، ثم بين هذا فى البيت التالى ، هذا : وقد قال أبو عبيد : أصل الفلاح البقاء ، وأنشد للأضبط بن قريع :

لكلِّ هم من لأمور سعَةٌ　　والمُسْىُ والصبحُ لا فلاح معه

يعنى ليس مع كر الليل والنهار بقاء ، ثم كثر استعماله حتى صار يطلق على الفوز بكل ما يغتبط به ؛ وفيه صلاح حال .

(٣) الحسب : ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه ، وقيل : الحسب الفعال الصالح ؛ والذمم : جمع ذمة ، وهى الأمان والعهد .

(٤) قوله ترعى بعبد : يريد عبيد الخلفاء من الأتراك الذين كانوا يؤمرون على الناس .

يَسْتَخْشِنُ الْخَزَّ حِينَ يَلْمُسُهُ ... وَكَانَ يُبْرَى بِظُفْرِهِ الْقَلَمُ (١)
إِنِّى وَإِنْ لُمْتُ حَاسِدِىَّ فَمَا ... أُنْكِرُ أَنِّى عُقُوبَةٌ لَهُمُ (٢)
وَكَيْفَ لَا يُحْسَدُ امْرُؤٌ عَلَمٌ ... لَهُ عَلَى كُلِّ هَامَةٍ قَدَمُ (٣)
يَهَابُهُ أَبْسَأُ الرِّجَالِ بِهِ ... وَتَتَّقِى حَدَّ سَيْفِهِ الْبُهَمُ (٤)
كَفَانِىَ الذَّمَّ أَنَّنِى رَجُلٌ ... أَكْرَمُ مَالٍ مَلَكْتُهُ الْكَرَمُ (٥)
يَجْنِى الْغِنَى لِلِّئَامِ لَوْ عَقَلُوا ... مَا لَيْسَ يَجْنِى عَلَيْهِمِ الْعَدَمُ (٦)

---

(١) الخز : ثياب تعمل من الأبريسم : أى الحرير الصرف لايشوبها قطن ولا كتان. يقول : يرى من كبريائه الخز خشنا ، وكان قبلا رثا حافياً طويل الأظفار .

(٢) يقول : إنى — وإن لمت حسادى — لا أنكر أنهم معذرون فى حسدى لأنهم معاقبون بتقدمى عليهم وظهور نقصانهم بزيادة فضلى .

(٣) العلم : الجبل : أى شهير كالعلم : والهامة : الرأس ، وهذا تأكيد لبيان عذرهم فى الحسد . يقول : لم لايحسد من صار كالعلم فى كل فضل . أى اشتهر وصار كالمشار إليه ، وعلا الناس كلهم فصارت قدمه فوق الهامات : يعنى علت درجته درجاتهم ، وقد نظر فى هذا إلى قول البحترى

واعذر حسودك فيما قد خُصِصْتَ به ... إن العُلَى حَسَنٌ فِى مثلها الحسدُ

(٤) أبسأ الرجال به : أى آنسهم به وآلفهم له ، يقال بسأت بالشىء : إذا أذهبت هيبته من قلبك . وتتقى : تحذر . والبهم : جمع بهمة ، البطل الذى لايدرى من أين يؤتى من شدة بأسه . يقول : كيف لايحسد من كان من الهيبة بحيث يهابه أنيسه ، ومن الشجاعة بحيث تتقيه الأبطال ؟

(٥) كفاه الشىء : صرفه عنه ؛ وأننى : فاعل كفى . والكرم : نقيض اللؤم : يقول : منع عنى الذم أنى رجل كريم أرى مابى من الكرم أعز شىء أملكه وأصونه ببذل المال دونه وأبخل به بخل غيرى بالمال .

(٦) اللئيم الدنىء الأصل ، الشحيح النفس ، نقيض الكريم . والعدم — بفتح العين الدال ، وبضم العين وسكون الدال وبضمها — : الفقر وقلة المال . ويجنى لهم : يكسب لهم . يقول : إن غنى اللئيم لو علم يجنى عليه ما لا يجنيه الفقر ، لأن الفقر يقطع عنه الطمع ولايظهر لؤمه ، لأنه لايقصد فى حاجة ؛

هُمْ لِأَمْوَالِهِمْ وَلَسْنَ لَهُمْ وَالْعَارُ يَبْقَى وَالْجُرْحُ يَلْتَئِمْ(١)

مَنْ طَلَبَ الْمَجْدَ فَلْيَكُنْ كَعَلِيٍّ يَهَبُ الْأَلْفَ وَهْوَ يَبْتَسِمْ(٢)

وَيَطْعَنُ الْخَيْلَ كُلَّ نَافِذَةٍ لَيْسَ لَهَا مِنْ وَحَائِهَا أَلَمْ(٣)

أما الغنى فإنه يظهر لؤمه لأن الأطماع تتصل به ، ولؤمه يمنع من تحقيقها ، فيتوجه عليه الذم .

(١) الضمير فى «لسن» للأموال ، والتأم الجرح : التحم . يقول : إن اللئام مملوكون لأموالهم لأنهم يتعبون فى سبيل حفظها وجمعها ومنعها وهى كأنها تشير عليهم بأن يصونوها ولا يبذلوها فيطيعونها . وهم لا يملكونها ، لأنهم ليست لهم قدرة على البذل لها ، ولا أن يكسبوا بها محمدة فى الدنيا أو أجراً ومثوبة فى العقبى ، فضلاعن أنها صائرة إلى الوارث ؛ وإذن : فهم للأموال وليست لهم وبهذا يوصف اللئيم المكثر ، كما قال حاتم الطائى .

إذا كان بعضُ المال رَبًّا لِأهلِهِ فإنى بحمدِ الله مالى معبَّدُ

وقال الآخر :

ذرينى أكُنْ للمالِ ربا ولا يكنْ لِيَ المال ربًّا تَحْمدى غِبَّه غداً

وقال أبو نواس :

أنتَ للمالِ إذا أمسكْتَه فإذا أنفقتَه فالمال لكْ

وقال المخزومى :

إنّ رَبَّ المالِ آكِلُه وهْوَ لِلبُخّالِ أكّالُ

ثم قال : إن العار أبقى من الجرح ، لأن جرح السيف يبرأ ويلتئم ؛ أما جرح العار فإنه يبقى ولا يزول عن صاحبه .

(٢) الكاف من « كعلى » : فى موضع نصف خبر «يكن» : أى مثل على وجملة « وهو يبتسم » : فى موضع الحال . وقوله يهب الألف : أى من الدنانير .

(٣) ويطعن الخيل : أى فرسانها ؛ وكل نافذة أى كل طعنة نافذة : أى تنفذ فى المطعون إلى الجانب الآخر . والوحاء : السرعة . يقول : إن مطعونه لا يحس بألم الطعنة ، لأنها ـ لسرعتها ـ تقتله قبل أن يدرك ألمها . قال ابن جنى : لم توصف الطعنة بوحاء أسرع من هذا ، وقد قال غيره فى السيف

وَيَعْرِفُ الأَمْرَ قَبْلَ مَوْقِعِهِ   فَمَا لَهُ بَعْدَ فِعْلِهِ نَدَمُ (١)
وَالأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالسَّلاهِبُ وَالْبِيضُ لَهُ وَالْعَبِيدُ وَالْحَشَمُ (٢)
وَالسَّطَوَاتُ الَّتِى سَمِعْتَ بِهَا   تَكَادُ مِنْهَا الْجِبَالُ تَنْفَصِمُ (٣)

تَرَى ضَرَبَاتِهِ أَبَداً خِطَاباً   إلى أن يستبين له قتيل

(١) الموقع ـ ههنا ـ مصدر بمعنى الوقوع ، يريد أن يقول : إنما يندم من لا يعرف العواقب أما من يعرف الأمر قبل وقوعه ، فإنه لا يندم على فعله ؛ لأنه يعلم وجه الصواب فيه فيفعله عن بصيرة ومعرفة ، فلا يلم به بعد ذلك ما يبعثه على الندم ، وعبارة ابن جنى : إذا حمل هذا البيت على صحة الظن كان كما قال أوس بن حجر :

الألمعىُّ الذى يظنُّ بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

أى هذا الممدوح لا يندم لأنه لا يفرط فى الأمور ، وإنما يندم من ضيع حزمه وقت المنفعة ؛ وقد شرح هذا الغرض من قال :

إذا أنتَ لم تزرعْ وأبصرت حاصِداً   ندِمْتَ على التفريطِ فى زمنِ البَذْرِ

(٢) السلاهب : الخيل الطوال ، جمع سلهب وسلهبة ، يقال : فرس سلهب وسلهبة للذكر : إذا عظم وطال وطالت عظامه . والبيض . السيوف والحشم : أتباع الرجل الذين يغضبون لغضبه ويرضون لرضاه . يقول : له هذه الأشياء لأنه ملك . فقوله والأمر : ابتداء ، وما بعده : عطف عليه ، والخبر : قوله : له

(٣) السطوات : جمع سطوة ، وهى القهر بالبطش ، وسطا عليه وبه سطوا وسطوة : صال . والقصم ـ بالقاف ـ أن ينكسر الشى فيبين ، واما الفصم ـ بالفاء ـ فهو أن ينصدع الشىء من غير أن يبين . قال ذو الرمة يصف ظبيا قد انحنى فى نومه فشبهه بدملج ـ مايلبس فى المعصم من الحلى ـ قد انفصم :

كأنَّهُ دُمْلجٌ مِن فِضَّةٍ نَبَهٌ   فى ملعبٍ من عَذارَى الحَىِّ مفصومُ (١)

---

(١) شبه الغزال وهو نائم بدملج فضة قد طرح ونسى ، وكل شىء سقط من إنسان لنسيه ، ولم يهتد إليه : فهو نبه ، وجعله مفصوما لتثنيه وانحنائه إذا نام ، ونبه هنا بدل من «دملج» ويقال أصله نبهاً : أى لم يدر متى ضل . قال الأصمعى : أضلوه نبهاً لا يدرون متى ضل حتى انتبهوا له . وذهب ابن برى إلى أن النبه هنا الشىء المشهور ، قال : شبه ولد الظبية حين انعطف لما سقته أمه فروى بدملج فضة نبه أى بدملج أبيض نقى . كما

يُرْعِيكَ سَمْعاً فِيهِ اسْتِمَاعٌ إِلَى الـ ـدَّاعِي وَ فِيهِ عَنِ الْخَنَا صَمَمُ (١)
يُرِيكَ مِنْ خَلْقِهِ غَرَائِبَهُ فِي مَجْدِهِ كَيْفَ تُخْلَقُ النَّسَمُ (٢)

يقول : وله السطوات المشهورة التي يتحدث بها الناس وتتسامع أخبارها والتي تكاد الجبال تتصدع وتنهد لها لشدتها .

(١) يقال : أرعني سمعك — أي اصغ به إلى واستمع مني ؛ ومعناه اجعل سمعك لكلامي بمنزلة الموضع الذي يرعى فيه ويتصرف. والضمير من فيه في الشطرين للسمع ، والخنا : الفحش في الكلام . يقول : هو يسمع الداعي إذا دعاه واستغاث به لنصرة أو فعل مكرمة ، فهو عند ذلك سميع ، ويعرض عن الفحش كأنه به صمماً ، هذا : والداعي رواها ابن جني بدون ياء ، وقال : أراد الداعي وقد حذف القراء ياء الداعي في مواضع من القرآن الكريم وأثبتوها في مواضع ، فأثبتها أبو عمرو وورش عن نافع في قوله تعالى «أجيب دعوة الداعي إذا دعان» وصلا ؛ وحذفاها وقفا اتباعا للمصحف ، وأثبتها البزي وقفا ووصلا في قوله « يدع الداعي » في سورة القمر ؛ وأثبتها وصلا أبو عمرو وورش ، وإلى الداعي أثبتها في الحالين ابن كثير وفي الوصل نافع وأبو عمرو وحذف الجميع الباقون وصلا ووقفا اتباعاً للمصحف .

(٢) خلقه : مصدر : أي إبداعه ، وغرائبه : منصوب به ؛ والنسم : جمع نسمة وهي : نفس الروح وذو الروح . قال الشاعر :

ما صوَّرَ اللهُ حِينَ صوَّرها في سائرِ الناس مثلها نَسَمَه

يقول : إن خلقه غرائب المجد ، وإبداعه من المكارم مالم يسبق إلى مثله يعرفك ويصحح لك خلق الله عز وجل النسم ، لأن المخلوق إذا كان قادراً على خلق شيء كان الخالق أولى بالقدرة عليه . وقال ابن جني : أراك كيف يخلق الله النفوس ، يعظم قدر ما يأتيه ، كأنه شبه أفعاله بأفعال الله تعالى .

كان ولد الظبية كذلك . وقال في ملعب من عذارى الحي ؛ لأن ملعب الحي قد عدل به عن الطريق المسلوك ، كما أن الظبية قد عدلت بولدها عن طريق الصياد . وقوله مفصوم ولم يقل مقصوم ، لأن الفصم الصدع والقصم : الكسر والتبري، وإنما يريد أن الخشف — ولد الظبية — لما جمع رأسه إلى فخذه واستدار كدملج مفصوم : أي مصدوع من غير انفراج .

مِلْتُ إِلَى مَنْ يَكَادُ بَيْنَكُمَا إِنْ كُنْتُمَا السَّائِلَيْنِ يَنْقَسِمُ (١)
مِنْ بَعْدِ مَا صِيغَ مِنْ مَوَاهِبِهِ لِمَنْ أُحِبُّ الشُّنُوفُ وَالْخَدَمُ (٢)
مَا بَذَلَتْ مَا بِهِ يَجُودُ يَدٌ وَلَا تَهَدَّى لِمَا يَقُولُ فَمُ (٣)
بَنُو الْعَفَرْنَى مَحَطَّةَ الْأَسَدِ الْـ أُسْدُ وَلَكِنْ رِمَاحُهَا الْأَجَمُ (٤)

---

(١) يخاطب صاحبيه على عادة العرب . يقول : إنى عدلت إلى زيارة رجل لو جئتما ياصاحبي تسألانه يكاد ينقسم بينكما ، فيصير لكل واحد منكما نصفه إن سألتماه نفسه وهذا مبالغة فى الجود :

(٢) الشنوف : جمع شنف ، وهو ما يعلق فى أعلى الأذن ؛ أما القرط : فهو مايعلق فى شحمة الأذن . والخدم : جمع خدمة ، وهى الخلخال . وقوله من بعد : متعلق بـ «ملت» — فى البيت السابق — يقول : ملت إلى زيارته من بعد ما كثرت عطاياه عندى حتى صغت لمن أحبه الشنوف والخلاخل من الذهب الذى أعطانى : يعنى أن عطاءه وصل إلى قبل زيارته .

(٣) تهدى : اهتدى . يقول : لم تبذل يد مايجود به ، ولا اهتدى فم لأن يأتى بما يقول ، يعنى أنه أجود الناس بنانا وأفصحهم لسانا .

(٤) بنو العفرنى : مبتدأ ، خبره . الأسد . والعفرنى : الأسد القوى ، والنون زائدة وأصله من العفر ، كأنه يعفر صيده لقوته ، ومحطة : اسم جد الممدوح وهو فى موضع خفض ، لأنه بدل من « العفرنى » ، إلا أنه لاينصرف ، والأسد : صفة لمحطة — وروى الخوارزمى محطة — بالجر — جعله من الحط ، وهو الوضع أى أنه يحط الأسد عن منزلته وشجاعته . والأجم : جمع أجمة ، الغابة يأوى إليها الأسد . يقول : إن بنى محطة الذى هو أسد ، أسود مثله ، لكن غاباتهم التى يستعصمون بها ، إنما هى الرماح بدل الآجام التى يمتنع بها الأسود ، كما قال على بن جبلة :

كَأَنَّهُمْ وَالرِّمَاحُ شَائِلَةٌ أُسْدٌ عَلَيْهَا أَظَلَّتِ الْأَجَمُ

وقال أبو تمام :

آسادُ موتٍ مُخْدِرَاتٌ مالها إلاّ الصَّوارِمَ والقنا آجامُ

وقال أيضا :

أُسدُ العرين إذا ما الموتُ صبَّحها أو صبَّحته ولكن غابها الأسلُ

قَوْمٌ بُلوغُ الغُــلاَمِ عِنْدَهُمُ طَعْنُ نُحُورِ الكُماةِ لاَ الحُلُمُ(١)
كأنَّمــا يُولدُ النّدَى مَعَهُمْ لاَ صِغَرٌ عاذِرٌ وَلاَ هَــرَمُ(٢)
إذَا تَوَلّوْا عَــدَاوَةً كشَفُوا وَإنْ تَوَلّوْا صَنِيعَةً كَتَمُوا(٣)

وانرتد إلى عفرنى فنقول : يقال أسد عفرنى ولبوة عفرنى أيضا ، والنون للالحاق بسفر جل ، وناقة عفرناة : أى قوية قال عمر بن لجأ التيمى يصف إبلا

حَمَلَتْ أثقــالى مصمِّماتها غُلْبَ الذفارى وعفرْنياتها(١)

(١) قوم : أى هم قوم . والنحور : جمع نحر ، وهوموضع القلادة . والكماة : جمع كمى ، وهو البطل المستتر فى سلاحه . والحلم : البلوغ . يقول : هم قوم بلوغ الغلام عندهم أن يحمل على الأعداء فى الحرب ويطعنهم فى نحورهم ، لا أن يبلغ سن الحلم ، فذاك هو معنى الرجولية عندهم . قال أبو دلف :

علامة القــــوم فى بُلوغِهِم أن يرْضِعُوا السيف مُهجةَ البطلِ

وقال يحيى بن زيد بن على بن الحسين:

خرجنا نُقيمُ الدين بعد أعْوجاجه سويًّا ولم نخرُج لِجَمْــعِ الدّرَهم
إذا أحْــكم التنزيلُ والحــلمُ طِفلنَا فإن بُلوغَ الطفلِ ضَرْبُ الجَماجِم

(٢) الندى : الجود . والهرم : الكبر والعجز عن التصرف . يقول : إنهم نشأوا مع الجود وفطروا عليه ، فلا يحول دون جودهم حائل من عجز ،فهم أجواد على كل حال : وهذا من قول البحترى :

عريقونَ فى الإفضال يُؤْتَنَفُ الندى لناشِئِهم من حَيثُ يُؤْتنفُ العُمرُ

(٣) الصنيعة : المعروف. يقول : إذا عادوا أحداً جاهروا بعداوته ، لأنهم لايخافون عدوا ؛ وإذا اصطنعوا صنيعة أخفوها ولم يباهوا بها ، حياء ونبلا .

---

(١) الذفارى : جمع الذفرى ، والذفرى من القفا : الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذن ؛ والغلب : جمع الأغلب ، وهو الغليظ ـ يقال عنق أغلب : أى غليظ .

تَظُنُّ مِنْ فَقْدِكَ اعْتِدَادَهُمُ ... أَنَّهُمُ أَنْعَمُوا وَمَا عَلِمُوا(١)
إِنْ بَرَقُوا فَالْحُتُوفُ حَاضِرَةٌ ... أَوْ نَطَقُوا فَالصَّوَابُ وَالْحِكَمُ(٢)
أَوْ حَلَفُوا بِالْغَمُوسِ وَاجْتَهَدُوا ... فَقَوْلُهُمْ « خَابَ سَائِلِي » الْقَسَمُ(٣)

---

(١) يقول : إنهم لايعتدون بما صنعوا من المعروف ، لتناسيهم وغفلتهم عنه ، كأنهم لم يعلموا به ، كما قال الخريمى :

زاد معْرُوفَكَ عِنْدِي عِظَماً ... أنهُ عِنْدَكَ مَسْتورٌ حقِيرْ
تَتَناسَاهُ كأن لَمْ تأتِهِ ... وَهْوَ عندَ الناسِ مَشهورٌ كثيرْ

وقال الآخر :

وَمن تكرُّمِهِمْ فى المَحْل أنهمُ ... لاَ يَعلَمُ الجارُ فِيهمْ أنَّهُ جارُ

« المحل : الجدب »

(٢) برقوا : خوفوا وهددوا . والحتوف : جمع حتف ، وهو الهلاك . يقول : إذا هددوا أعداءهم حضر هلاكهم ، وإن نطقوا تكلموا الصواب والحكمة .

(٣) الغموس : اليمين التى من كذب فيها غمسته فى الإثم . يقول : إذا أرادوا أن يحلفوا يمينا يخافون فيها الإثم عند الحنث فتلك اليمين هى أن يقول حالفهم « خاب سائلى إن فعلت كذا أو لم أفعل كذا » لأن هذه اليمين أعظم شىء عليهم ومن أحسن ما سمع فى القسم قول الأشتر النخعى الشاعر الصحابى ومن أنصار سيدنا على كرم الله وجهه :

بَقَّيْتُ وَفْرِى وَانْحَرَفْتُ عَنِ العُلاَ ... وَلَقِيتُ أَضيافى بِوجهِ عبوسِ
إن لم أَشُنَّ عَلَى ابن هِندٍ غارة ... لم تخلُ يَوْماً مِن نهابِ نفوسِ
خَيْلاً كَأَمْثالِ السَّعالِى شُزَّباً ... تَغْدُو بِبيضٍ فى الكريهةِ شُوسِ
حَمِىَ الحديد عليهِم فكأنَّه ... لمَعانُ بَرقٍ أَوْ شُعاعُ شُموسِ

« السعالى : جمع سعلاة ، سحرة الجن ، أو الغول . والشزب : الضوامر . يصف الخيل بالنشاط والضمور ، والبيض : يريد الفرسان يصفهم بأنهم كرام نقية أعراضهم . وفى الكريهة : صلة شوس ، وشوس جمع أشوس وهو الشديد الجرىء على القتال . يقول إنهم شجعان فى الحرب » .

أَوْ رَكِبُوا الْخَيْلَ غَيْرَ مُسْرَجَةٍ ... فَإِنَّ أَفْخَاذَهُمْ لَهَا حُزُمُ (١)

أَوْ شَهِدُوا الْحَرْبَ لَاقِحاً أَخَذُوا ... مِنْ مُهَجِ الدَّارِعِينَ مَا احْتَكَمُوا (٢)

تُشْرِقُ أَعْرَاضُهُمْ وَأَوْجُهُهُمْ ... كَأَنَّهَا فِي نُفُوسِهِمْ شِيَمُ (٣)

لَوْلَاكَ لَمْ أَتْرُكِ الْبُحَيْرَةَ وَالْغَوْرُ دَفِيءٌ وَمَاؤُهَا شَبِمُ (٤)

وَالْمَوْجُ مِثْلُ الْفُحُولِ مُزْبِدَةً ... تَهْدِرُ فِيهَا وَمَا بِهَا قَطَمُ (٥)

---

(١) يقول : إذا ركبوا الخيل عريا لكثرة مايطرقهم المستغيث فلم يمهلهم حتى يسرجوا خيلهم صارت أفخاذهم حزما لهم تمنعهم من الوقوع إذا أجروها كما يمنع الحزام السرج أن يقع فيقع الراكب.

(٢) اللاقح : الحرب الشديدة ، شبهت بالناقة إذا حملت . والمهج : جمع مهجة دم القلب . والدارع : لابس الدرع . يقول : إذا شهدوا الحرب ونازلوا الأبطال تحكموا فى الأرواح فقتلوا من أرادوا .

(٣) الأعراض : جمع عرض ، مايمدح به الإنسان ويذم . والشيم : الخلائق أى كأن أعراضهم خلائق تشرق فى نفوسهم . يصفهم بنقاء الأعراض والوجوه والشيم ، وهذا ينظر إلى قول أبى الطمحان القينى :

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ ... دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزْعَ ثَاقِبُهُ

وقول الآخر :

فإن كان خطب أو ألمت ملمة ... كفى خابطَ الظلماء فقدَ المصابحِ

(٤) يريد بالبحيرة : بحيرة طبرية . والغور : منخفض بالشام ، بجوار بلد الممدوح ؛ والشبم : البارد . يقول : لولاك لم أترك البحيرة وماؤها بارد وجئت بلدك الدفىء الحار . وقال بعضهم : المراد بالغور : المكان المجاور طبرية ، فيكون المعنى : لولاك لم أترك البحيرة وماؤها بارد وغورها دفىء .

(٥) الموج : جمع موجة . ومن ثم قال : مثل الفحول ؛ ولك أن ترفع مثل وتنصب مزبدة ، على أن مثل خبر ومزبدة حال من الفحول ، ولك أن تعكس فتجعل « مثل » حالا من فاعل مزبدة ومزبدة خبر والضمير من « تهدر بها » للموج ، ومن « فيها » للبحيرة ، وهدر الفحل : إذا هاج وأخرج زبده ، والقطم : شهوة الضراب وهياج الفحل عند ذلك شبه الأمواج فى اضطرابها وما يسمع من صوتها بالفحول إذا هاجت واشتهت

وَالطَّـيْرُ فَوْقَ الْحُبَابِ تَحْسَبُهَا فُرْسَانَ بُلْقٍ تَخُونُهَا اللُّجُمُ (١)
كَأَنَّهَـا وَالرِّيَاحُ تَضْرِبُهَا جَيْشَا وَغًى هَازِمٌ وَمُنْهَزِمُ (٢)
كَأَنَّهَـا فِي نَهَارِهَا قَمَرٌ حَفَّ بِهِ مِنْ جِنَانِهَا ظُلَمُ (٣)
نَاعِمَـةُ الْجِسْمِ لَا عِظَامَ لَهَا لَهَا بَنَـاتٌ وَمَا لَهَا رَحِمُ (٤)

الضراب فرمت بالزبد من أفواهها؟ ومعنى تهدر فيها: تصيح فى البحيرة هديراً مثل هدير الفحول وما بها شهوة الضراب .

(١) الحباب : طرائق الماء عند اختلاف الأمواج . وقوله فرسان بلق: أراد فرسان خيل بلق ، والبلق : التى فيها سواد وبياض . جعل الأمواج بلقا لأن زبد الماء أبيض وما ليس بزبد فهو إلى الخضرة . وتخونها اللجم : الضمير للفرسان ، أى تنقطع أعنتها ، فتذهب الخيل حيث شاءت . يريد تصرف الموج على غير مراد الطائر فى كل وجه . وقال ابن جنى : تخونها اللجم : فهى تكبو : يريد رفرفة الطير على الماء ثم انغماسها فيه . قال الواحدى : وليس هذا بشىء لأن الفرس إذا انقطع لجامه لم يكب ، وليست الرفرفة والانغماس مما ذكر فى البيت ، وانما بناهما على الكبو الذى ذكره .

(٢) كأنها : أى الطير . والوغى : الحرب . شبه الطيور وهى يتبع بعضها بعضاً على وجه الماء تضربها الريح ، بجيشين : هازم ومنهزم فالهازم يتبع المهزوم . ولك أن تقول كأنها ـ أى الطير والموج ، لأن الريح تضربهما معا فتتتابع الطير على أثر الموج .

(٣) حف به : أحاط به ، قال الواحدى : وكان حقه أن يقول حفه ؛ كما روى فى الحديث « حفت الجنة بالمكاره » والجنان : جمع جنة ، وهى البستان ، شبه ماء البحيرة فى صفائه ـ وقد أحاطت به البساتين فى خضرتها الضاربة إلى السواد ـ بقمر أحاطت به ظلمات ، وخص النهار لأن هذا الوصف لها بالنهار دون الليل . قال العكبرى : وشبه شدة الخضرة حولها بالسواد على حد قوله تعالى : « مدهامتان » أى سوداوان ، وقال حف به ولم يقل حفه لأنه ضمنه معنى أحاط فعداه تعديته على حدقو له تعالى « وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن » أى لطف بى وكقوله تعالى « فليحذر الذين يخالفون عن أمره » أى يخرجون عن أمره

(٤) قال العكبرى : لما وصف البحيرة ألغز فيها فقال لا عظام لها وهى ناعمة الجسم وبناتها السمك : أى أن البحيرة ماء والسمك بناتها فهى أمهن ومالها رحم

يُبْقَرُ عَنْهُنَّ بَطْنُهَا أَبَداً وَمَا تَشَكَّى وَلاَ يَسِيلُ دَمُ (١)
تَغَنَّتِ الطَّيْرُ فِى جَوَانِبِهَا وَجَادَتِ الرَّوْضَ حَوْلَهَا الدِّيَمُ (٢)
فَهْىَ كَمَاوِيَّةٍ مُطَوَّقَةٍ جُرِّدَ عَنْهَا غِشَاؤُهَا الأَدَمُ (٣)
يَشِينُهَا جَرْيُهَا عَلَى بَلَدٍ تَشِينُهُ الأَدْعِيَاءُ وَالقَزَمُ (٤)
أَبَا الْحُسَيْنِ اسْتَمِعْ فَمَدْحُكُمُ فِى الْفِعْلِ قَبْلَ الْكَلاَمِ مُنْتَظِمُ (٥)
وَقَدْ تَوَالَى الْعِهَادُ مِنْهُ لَكُمْ وَجَادَتِ الْمَطْرَةُ الَّتِى تَسِمُ (٦)
أُعِيذُكُمْ مِنْ صُرُوفِ دَهْرِكُمُ فَإِنَّهُ فِى الْكِرَامِ مُتَّهَمُ (٧)

* * *

---

(١) لما جعلها ناعمة الجسم وجعل لها بنات كنى عن استخراج سمكها وصيدها منها بالبقر ، وهو شق البطن .

(٢) جادت : من الجود ـ بفتح الجيم ـ وهو المطر ، والديم : جمع ديمة ، وهى المطر الدائم فى سكون .

(٣) الماوية . المرآة . وجعلها مطوقة لما حولها من سواد البساتين . والأدم : الجلد ، وهو بيان للغشاء . شبه البحيرة ـ مع ما يحدق بها من البساتين ـ بالمرآة وقد جردت مما تغلف به من الجلد

(٤) يشينها : يعيبها . والأدعياء : الذين ينسبون إلى غير آبائهم . والقزم : رذال الناس وسفلتهم ، يستعمل للواحد وغيره ، يقال : هذا رجل قزم وناس قزم . يقول : إن عيب هذه البحيرة أنها فى بلد أهله لئام خساس .

(٥) يقول : إن فعلكم بمدحكم قبل أن ينظم فى الشعر : أى أنه لحسنه يثنى عليكم ، ويروى فى العقل : يعنى أن الناس عقلوا مدحكم قبل أن يتكلموا به .

(٦) العهاد : جمع عهد ، وهو المطر بعد المطر ؛ وقيل أمطار بعضها فى أثر بعض : ومنه : أى من المدح : والمطرة التى تسم : هى الوسمى ، وهو مطر الربيع الأول ، فهو الذى يسم الأرض بالنبات . شبه مدائحه فيهم بالأمطار المتتابعة لأنها تنبت لهأنعامهم عليه وأراد بالتى تسم : هذه القصيدة .

(٧) يقول : إن الدهر مولع بالكرام يأتى عليهم ويعصف بهم ، ومن ثم أسأل الله أن يعصمكم من نوائبه ، وفى هذا المعنى يقول البحترى :

وقال يمدح المغيث بن العجلى :

فُؤَادٌ مَا تُسَلِّيهِ الْمُدَامُ   وَعُمْرٌ مِثْلُ مَا تَهَبُ اللِّئَامُ (١)
وَدَهْرٌ نَاسُهُ نَاسٌ صِغَارٌ   وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ جُثَثٌ ضِخَامُ (٢)

أَلَمْ تَرَ لِلنَّوَائِبِ كَيْفَ تَسْمُو   إِلَى أَهْلِ النَّوَافِلِ وَالْفُضُولِ
وَكَيْفَ تَرُومُ لِلشَّرَفِ الْمُعَلَّى   وَتَخْطُو صَاحِبَ الْقَدْرِ الضَّئِيلِ
وَمَا تَنْفَكُّ أَحْدَاثُ اللَّيَالِي   تَمِيلُ عَلَى النَّبَاهَةِ لِلْخُمُولِ

« النوافل : جمع نافلة ، كل عطية تبرع بها معطيها من صدقة أو عمل خير . والفضول الإفضال والتفضل »

وأصل المعنى لأبى تمام :

إِنْ يَنْتَحِلْ حَدَثَانُ الدَّهْرِ أَنْفُسَكُمْ   وَيَسْلَمِ النَّاسُ بَيْنَ الْحَوْضِ وَالْعَطَنِ
فَالْمَاءُ لَيْسَ عَجِيباً أَنَّ أَعْذَبَهُ   يَفْنَى وَيَمْتَدُّ عُمْرُ الآجِنِ الأَسِنِ (١)

(١) فؤاد : لك أن تجعله مبتدأ ، محذوف الخبر : أى لى فؤاد ؛ أو خبر مبتدأ محذوف أى فؤادى فؤاد . والمدام : الخمر . واللئيم : هو الذى يتلاقى فيه الشح ومهانة النفس والآباء ، نقيض الكريم . قال ابن فورجه : يعنى أن غرضى بعيد ومرامى متعذر ، إذ لست كالناس أرضى بما يرضون به ويلهينى السكر ، ثم قال — المتنبي — : وعمر مثل ما تهب اللئام ، وهذا تأسف منه . يقول لو كان العمر طويلا لرجوت أن أدرك أغراضى بطول العمر ؛ ولكن العمر قصير ومدته قليلة ، فهو كهبة اللئام يسيرة حقيرة، فما أخوفنى أن لا أدرك طلبق بقدر ما أرجوه من العمر . قال الواحدى : وكأن هذا من قول أبى تمام :

وَكَأَنَّ الأَنَامِلَ اعْتَصَرَتْهَا   بَعْدَ كَدٍّ مِنْ مَاءِ وَجْهِ الْبَخِيلِ

(٢) يقول : إنهم صغار الأقدار والهمم وإن كانوا ضخام الأبدان ، كما قال حسان ابن ثابت :

لَا عَيْبَ بِالْقَوْمِ مِنْ طُولٍ وَمِنْ قِصَرٍ   جِسْمُ الْبِغَالِ وَأَحْلَامُ الْعَصَافِيرِ

---

(١) الآجن : الماء المتغير الطعم واللون ، والأسن : الآسن ، وهو الآجن

وَمَا أَنَا مِنْهُمُ بِالْعَيْشِ فِيهِمْ ... وَلٰكِنْ مَعْدِنُ الذَّهَبِ الرَّغَامُ (١)
أَرَانِبُ غَيْرَ أَنَّهُمُ مُلُوكٌ ... مُفَتَّحَةٌ عُيُونُهُمُ نِيَامُ (٢)
بِأَجْسَامٍ يَحَرُّ الْقَتْلُ فِيهَا ... وَمَا أَقْرَانُهَا إِلَّا الطَّعَامُ (٣)
وَخَيْلٍ مَا يَخِرُّ لَهَا طَعِينٌ ... كَأَنَّ قَنَا فَوَارِسِهَا ثُمَامُ (٤)

وقال العباس بن مرداس :

فَمَا عِظَمُ الرِّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ ... وَلٰكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وَخِيرُ

هذا : وقال أهل اللغة : الجثة : شخص الإنسان قاعداً أو نائما ، وقيل جثة الإنسان شخصه متكئا أو مضطجعا ، وقيل لا يقال له جثة إلا أن يكون قاعداً أو نائما، فأما القائم فلا يقال جثته إنما يقال قمته ، وقيل لا يقال جثة إلا أن يكون على سرج أو رحل معتما ، حكاه ابن دريد عن الأخفش ، قال وهذا شيء لم يسمع من غيره .

(١) الرغام : التراب . يقول : لست من هؤلاء الذين ذكرتهم وإن عشت فيما بينهم مثلى فى ذلك مثل الذهب الذى معدنه التراب ثم لا يعد بكونه فيه منه . هذا : والمعدن بكسر الدال — مكان كل شيء فيه أصله ومبدؤه ؛ ومنه معدن الذهب والفضة، سمى كذلك لإنبات الله فيه جوهرهما واثباته إياه فى الأرض حتى عدن — أى ثبت — فيها .

(٢) المعهود فى مثل هذا أن يقال : هم ملوك ، إلا أنهم فى طبع الأرانب ، لكنه عكس الكلام مبالغة ، فجعل الأرانب حقيقة لهم والملوك مستعارا فيهم ؛ قال ابن جنى : وهذا عادة له — للمتنبى — يختص بها . يقول هم وإن انفتحت عيونهم نيام من حيث الغفلة كالأرانب تنام مفتحة الأعين ، كما قال :

* وأنتَ إذا استَيقظتَ أيضاً فنائمُ *

وكما قال أبو تمام :

أَيْقَظْتَ هَاجِعَهُمْ وَهَلْ يُغْنِيهِمُ ... سَهَرُ النَّوَاظِرِ وَالْقُلُوبُ نِيَامُ

(٣) بأجسام : أى مع أجسام . ويحر : يشتد — من قولهم حر يومنا يحر حرارة . والاقران : جمع قرن — بكسر القاف — وهو الكفؤ فى الحرب . يقول : إنهم لا يحفلون إلا بالمآكل ، ومن ثم يموتون بالتخمة من كثرة الأكل لا فى وقائع الحروب .

(٤) خيل : معطوف على أجسام . وخر : سقط . والقنا : الرماح . والثمام : نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص ، وربما حش به وسد به خصاص البيوت ، قال الشاعر يصف ضعيف الثمام :

خَلِيلُكَ أنتَ لا مَنْ قُلْتَ خِلِّى ... وَإنْ كَثُرَ التَّجَمُّلُ وَالْكَلامُ (١)
وَلَوْ حِيزَ الحِفَاظُ بِغَيْرِ عَقْلٍ ... تجَنَّبَ عُنْقَ صَيْقَلِهِ الْحُسامُ (٢)
وَشِبْهُ الشَّىْءِ مُنْجَذِبٌ إلَيْهِ ... وَأشْبَهُنَا بِدُنْيَانَا الطَّغَامُ (٣)

ولوْ أنَّ ما أبقيتَ مِنِّى معلّق ... بعُود ثُمـامٍ مَا تأوّد عُودُها

وقولهم : هو على طرف الثمام : أى أنه ممكن لا محال . يقول : إن طعنهم لا يؤثر فى المطعون لضعفهم ، فكأنهم يطعنون بالثمام .

(١) يقول لا صديق لأحد على الحقيقة إلا نفسه ، وليس من تقول هو خليلى خليلا لك وإن كثر تملقه ، ولان لك قوله . هذا : وكما يطلق الخليل على الصديق ، يقال للفقير المختل الحال : خليل ، قال زهير :

وإنْ أتاهُ خليلٌ يَوْمَ مسْغبة ... يقول : لا غائبٌ مالى ولا حرِم

« مسغبة : مجاعة ؛ وحرم : ممنوع » .

(٢) حيز : مجهول حاز : بمعنى ملك ، والحفاظ : المحافظة على الحقوق ورعى الذمام والصقيل : الذى يعمل السيوف . والحسام : السيف القاطع يقول : لو كان فى الإمكان أن يحافظ على الوفاء ورعى الذمام مالا عقل له لكان السيف إذا ضرب به عنق الصيقل الذى صقله لا يقطعه ، يعنى أنهم لا عقول لهم ، ولذلك ليس لهم حفاظ .

(٣) الطغام : رذال الناس وغ غاؤهم ؛ قال الأزهرى : وسمعت العرب تقول للرجل الأحمق : طغامة ودغامة ، والجمع : طغام — كنعامة ونعام — وروى ابن السكيت أن رجلا كان يتردد إلى أبى مهدية الأعرابى ، وأنه سافر ، فلما قدم قال له أبو مهدية : كيف حال الناس ؟ أو نحو ذلك — فقال له : وما الحال ؟ فقال أبو مهدية : ياطغامة لقد أحفيتنى فى المسألة ، وأنت لا تدرى ما الحال : ولزمت ذلك الرجل الطغامة ، فقال فيه بعض النحويين :

مَنْ كانَ يُعْجِبُهُ الطَّغَامَةُ كلّها ... فَعليــه مَيْمُونًا أبا الضَّحّاكِ
رَجُلاً تجَمّعَتِ الطَّغَامَةُ كلُّها ... فِيهِ وحالفَها : بَرَاكِ بَرَاكِ

« قال الجوهرى : يقال فى الحرب براك براك — كقطام — أى ابركوا »

يقول : إن الشىء يميل إلى شبهه ، والدنيا خسيسة . فلذلك ألفت الخساس ، لأنهم أشباهها فى اللؤم والخسة ، والشكل إلى الشكل أميل .

وَلَوْ لَمْ يَعْـلُ إلاَّ ذُو مَحَلٍّ ... تَعَالَى الْجَيْشُ وَانْحَطَّ الْقَتَامُ(١)

وَلَوْ لَمْ يَرْعَ إلاَّ مُسْتَحِقٌّ ... لِرُتْبَتِهِ أَسَامَهُمُ الْمُسَامُ(٢)

وَمَنْ خَبَرَ الْغَوَانِي فَالْغَوَانِي ... ضِيَاءٌ فِي بَوَاطِنِهِ ظَلَامُ(٣)

إذَا كَانَ الشَّبَابُ السُّكْرَ وَالشَّيْـبُ هَمًّا ... فَالْحَيَاةُ هِيَ الْحِمَامُ(٤)

وَمَا كُلٌّ بِمَعْذُورٍ بِبُخْلٍ ... وَلاَ كُلٌّ عَلَى بُخْلٍ يُلَامُ(٥)

---

(١) ذو محل : أى ذو منزلة رفيعة . والقتام . الغبار . يقول : إن علوهم فى الدنيا لا يدل على محلهم واستحقاقهم ، ولو كان كذلك لما ارتفع الغبار فوق الجيش .

(٢) يرع : أى يكون راعيا ، وسامت الماشية . إذا رعت وهى سائمة ، وأسامها صاحبها . ويريد بالمسام ههنا : الرعية . والضمير فى « أسامهم » لقوله ملوك ـ فى أوائل القصيدة ـ يقول : لو كانت الإمارة بالاستحقاق : لوجب أن يكون أولئك الملوك رعية، ورعيتهم ملوكا يسوسونهم ، لأنهم أحق منهم بالملك وقال ابن فورجه : المسام المال المرسل فى مراعيه . يقول : هؤلاء شر من البهائم ، فلو كانت الولاية بالاستحقاق لكان الراعى لهم البهائم ، لأنها أشرف منهم وأعقل . وقال ابن جنى : المسيم الذى يدبر أمور الناس محتاج إلى من يدبره وهو مهمل بلا ناظر فى أمره ، فلو لم يل الامر إلا من يستحقه لخلا الناس من خليفة يلى أمرهم لأنه لا يستحق أن يلى عليهم .

(٣) الغوانى : جمع غانية ؛ وهى التى غنيت بحسنها عن التجمل . يقول : من جرب الغوانى فالغوانى ضياء فى الظاهر ظلام فى الباطن . يريد أنهن يتعبن من يصبو إليهن ويعلق قلبه بحبهن .

(٤) الحمام : الموت . يقول : إذا كان الإنسان فى شبيبته كالسكران لهوا وغفلة ، وفى المشيب غارقا فى بحر من الهم لضعفه واهتمامه لما فات من عمره ـ فإن حياته هى الموت على الحقيقة : أى أن حاله وحال الميت سيان . يريد أن الحياة فى الدنيا منغصة مكدرة ، فالإنسا لدى المشيب يفكر فيما فات من عمره وهو فى غفلة ؛ أو تقول : إذا كان الإنسان فى شبيبته غائصا فى سكر من اللهو والصبا ؛ وعند مشيبه غائصا فى بحر من الهم حتى لا يعى فى عمره شيئا ـ فحياته أشبه بالممات .

(٥) قال الواحدى : يقول : ليس كل أحد يعذر إذا بخل ، لأن الواجد الغنى لا عذر له فى البخل والمنع ، وليس كل أحد يلام على البخل ؛ فإن المعسر المحتاج إلى ما فى يده لا يلام فى بخله ، ووجه آخر : وهو : أن الذى لا يعذر فى بخله من ولدته الكرام ؛

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ جِيرَانِى وَمِثْلِى ... لِمِثْلِى عِنْدَ مِثْلِهِم مُقَامُ (١)
بِأَرْضٍ مَا اشْتَهَيْتَ رَأَيْتَ فِيهَا ... فَلَيْسَ يَفُوتُهَا إِلاَّ الْكِرَامُ (٢)
فَهَلاَّ كَانَ نَقْصُ الأَهْلِ فِيهَا ... وَكَانَ لِأَهْلِهَا مِنْهَا التَّمَامُ (٣)
بِهَا الْجَبَلاَنِ مِنْ صَخْرٍ وَفَخْرٍ ... أَنَافَا : ذَا الْمُغِيثُ وَذَا اللُّكَامُ (٤)
وَلَيْسَتْ مِنْ مَوَاطِنِهِ وَلٰكِنْ ... يَمُرُّ بِهَا كَمَا مَرَّ الْغَمَامُ (٥)

والذى لا يلام على بخله من كان آباؤه لئاما بخلاء ؛ لأنه لم يتعلم غير البخل ، ولم ير فى فى آبائه الكرم والجود ، فيكون هذا من قول أبى تمام :

لِكُلٍّ مِنْ بَنِى حَوَّاءَ عُذْرٌ ... وَلاَ عُذْرٌ لِطَائِىٍّ لَئِيمِ

وقال ابن جنى : هو من قول أبى نواس :

كَفَى حَزَناً أَنَّ الْجَوَادَ مُقَتَّرٌ ... عَلَيْهِ وَلاَ مَعْرُوفَ عِنْدَ بَخِيلِ

(١) مقام : مصدر ميمى ، بمعنى إقامة . يقول : لم أر مثل جيرانى فى سوء الجوار وقلة المراعاة ولا مثلى فى مصابرتهم مع فرط جفوتهم ، يشكو جيرانه ويلوم نفسه على الإقامة بينهم . وقوله لمثلى : خبر مقدم عن مقام ، والجملة : مفعول ثان لقوله « لم أر » ولك أن تقول إن مراده : ألمثلى ؟ على الاستفهام التعجبى .

(٢) يقول : كل ما تشتهى وتطلب تجده فى هذه الأرض إلا الكرام فإنهم غير موجودين فيها .

(٣) فيها : خبر « كان » ؛ ومنها : حال مقدمة عن « التمام » . يقول هلا كان نقص أهل الأرض فى الأرض ، وتمام الأرض — أى كمالها — فى أهلها ؟ يعنى أن هذه الأرض كاملة فى أحوالها ، وأهلها ناقصون فى أخلاقهم ، فهو يتمنى أن يكون كمالها فى أهلها ونقصانهم فيها لها ، إذ أن كمال الأرض مع نقص قطانها ليس يجدى شيئا .

(٤) أنافا : أشرفا وطالا . والمغيث : هو الممدوح . واللكام : جبل بالشام ، يقال له جبل الأبدال . يقول : بها جبلان أحدهما من صخر — وهو جبل اللكام — والثانى من فخر — وهو الممدوح — وقدم الصخر على الفخر صنعة وحذاقة . لما استعار للفخر جبلا عطفه على الجبل الحقيقى .

(٥) الغمام : السحاب . وإنما قال هذا لأنه ذم أهل هذه الأرض فهو يقول :

سَقَى اللهُ ابْنَ مُنْجِبَةٍ سَقَانِى ... بِدَرٍّ مَا لِرَاضِعِهِ فِطَامُ (١)
وَمَنْ إِحْدَى فَوَائِدِهِ الْعَطَايَا ... وَمَنْ إِحْدَى عَطَايَاهُ الدَّوَامُ (٢)
فَقَدْ خَفِىَ الزَّمَانُ بِهِ عَلَيْنَا ... كَسِلْكِ الدُّرِّ يُخْفِيهِ النِّظَامُ (٣)
تَلَذُّ لَهُ الْمُرُوءَةُ وَهْىَ تُؤْذِى ... وَمَنْ يَعْشَقْ يَلَذُّ لَهُ الْغَرَامُ (٤)

ليست هذه البلدة موطنا للمدوح ، ولكنه يمر بها أحيانا مرور السحاب فتصيب من نفعه ، كما قال أبو تمام :

إِنْ حَنَّ نَجْدٌ وَأَهْلُوهُ إِلَيْكَ فَقَدْ ... مَرَرْتَ فِيهِمْ مُرُورَ الْعَارِضِ الْهَطِلِ

(١) يقولون: سقى الله فلانا ، يريدون الدعاء له بالخصب والنماء ، والمنجبة : التى تلد النجباء ، وابنها : هو الممدوح ، يريد أنه نجيب ، والدر : اللبن ، والمراد به عطاياه ؛ والفطام : انفصال الولد عن ثدى أمه . يريد : أنه ليس يقطع عن بره .

(٢) من : عطف على ابن منجبة . والدوام : يروى الذمام ، أى العهد . يقول : إن فوائد الممدوح لا تقتصر على العطايا ، فإن فى التقرب منه فوائد أخرى كالشرف وعزة الجانب وما إليهما ، وعطاياه لا تنحصر فى الأموال، فإن منها العهد والحفاظ والوفاء يريد أنه لا يعامله معاملة الشعراء الذين يطلبون الجوائز . ولكن يعامله معاملة خلصائه

(٣) السلك : الخيط الذى ينظم به العقد ؛ والنظام : مصدر نظم . قال الواحدى : يعنى أنه غطى بمحاسنه مساوئ الدهر ، وتجمل الزمان به تجمل السلك إذا نظم فيه الدر ومن روى « بها » : عاد الضمير إلى العطايا ، والمعنى : لبس الزمان من عطاياه مالبس السلك من الدر وقال ابن القطاع : هذا البيت على القلب . يقول :قد خفينا بأفعاله عن حوادث الزمان ، فلا يرانا ولا نراه ، ويجوز أن يكون المعنى . استخفى الزمان عنا فلم نر أذاه ولا حوادثه واستتر عنا خوفا من هذا الممدوح . وقال آخرون : إن مآثر الممدوح قد كثرت وتواصلت على ممر الساعات ، كما يتواصل الدر فى السلك ، فامتلأ الزمان من فضائله ، وصارت لا تمر لحظة إلا وله فيها أثر بأس أو كرم ، وحينئذ لم نعد نرى إلا أفعاله وآثاره حتى صارت كأنها هى الزمان ، وخفى الزمان الذى هى منتظمة فيه كما يخفى السلك وراء الدر .

(٤) المروءة : كمال الرجولية ؛ والمراد بالغرام هنا : العذاب اللازب . قال أهل اللغة الغرام اللازم من العذاب والشر الدائم والبلاء والحب والعشق ومالا لا يستطاع أن يتفصى منه . قال الزجاج : هو أشد العذاب فى اللغة . قال الله عز وجل « إن عذابها

تَعَلَّقَهَا هَــوَى قَيْسٍ لِلَيْلَى ... وَوَاصَلَهَا فَلَيْسَ بِهِ سَــقَامُ (١)
يَرُوعُ رَكَانَةً وَيَذُوبُ ظَرْفاً ... فَمَـا تَدرِى أَشَيْخٌ أَمْ غُلَامُ (٢)
وَتَمْـلِكُهُ الْمَسَائِلُ فِى نَــدَاهُ ... وَأَمَّا فِى الْجِـدَالِ فَلَا يُرَامُ (٣)
وَقَبْضُ نَوَالِهِ شَرَفٌ وَعِـــزٌّ ... وَقَبْضُ نَوَالِ بَعْضِ الْقَوْمِ ذَامُ (٤)
أَقَامَتْ فِى الرِّقَــابِ لَهُ أَيَادٍ ... هِىَ الْأَطْوَاقُ وَالنَّاسُ الْحَمَامُ (٥)

كان غراما » . يقول : المروءة تؤذى صاحبها بما فيها من التكاليف ،وهى مع هذا تلذله كالعشق لذيذ مع ما فيه من النصب والعذاب ، كما قال المتنبى :

والعشقُ كالمعشوق يعذُبُ قربه ... للمبتلى وينـــال من حوْبائه

(١) تعلقها ، أى تعلق المروءة : أى هويها ؛ وهوى : مفعول مطلق . يقول: عشق المروءة كما عشق قيس بن الملوح المجنون ليلى العامرية، غير أنه واصل المروءة فلم يورثه حبها سقما كما أورث عشق ليلى قيسا المجنون حين لم يجد إلى وصلها سبيلا .

(٢) يروع : يفزع ويخيف: والركانة : الرزانة والوقار ؛ والظرف : خفة الروح وذكاء القلب . يقول : إنه قد جمع بين وقار الشيوخ وظرف الفتيان . هذا : وشيخ : خبر عن محذوف : أى أشيخ هو ؟ والجملة فى محل رفع سادة مسد معمولى ندرى ؛ وروى : فما يدرى .

(٣) المسائل : المطالب ؛ والندى : الجود ؛ والجدال : معروف ، يصفه بالجود وقوة العلم والفهم . يقول: إنه ينقاد لسؤال من سأله : أى أن المسائل إذا وردت عليه من جهة السؤال تملكته وانقاد لها حتى لا يستطيع رد مسألة منها بالخيبة ، أما المسائل التى ترد عليه فى الجدل فإنه لا يطاق فيها .

(٤) النوال : العطاء ؛ والذام : المذمة والعيب . يقول : إن قبول عطائه شرف وعز لآخذه ، أما قبول عطاء غيره من اللئام فهو عار وهذا كقول بعضهم

عطاؤكَ زينٌ لأمرىءٍ إن أصبتَهُ ... بخـــيرٍ وما كلُّ العطاءِ يزينُ
وَليسَ بعار لامرىءٍ بَذْلُ وجْهِهِ ... إليك كما بَعضُ السؤال يشينُ

وكقول البحترى :

وَيُعجبُنى فقرى إليك وَلَمْ يَكن ... ليعجبَنى ـ لوْلا محبتُك ـ الفقرُ

(٥) الأيادى : النعم ، والحمام عند العرب : اسم جامع لذوات الأطواق من الطير

إذا عُـدَّ الـكِرامُ فتلكَ عِجلٌ   كما الأنواءُ حينَ تُعَدُّ عامُ(١)

تَقِي جبهاتُهُمْ ما في ذَرَاهُمْ   إذا بِشِفارِها حَمِيَ اللِّطامُ(٢)

كالقماري والفواخت وساق حر . يقول : إن نعمه وأياديه قد أحاطت برقاب الناس ولازمتها كالأطواق لأعناق الحمام ، وهذا كما قال السرى الرفاء :

وَطوَّقتَ قوماً في الرِقابِ صنائعاً   كأنهمُ منها الحَمامُ المطوَّقُ

وقبلهما يقول أبو تمام :

أبقَيْنَ في الأعناقِ فعلُكَ جوهراً   أبقى مِنَ الأطواقِ في الأعناقِ

(١) عجل : قبيلة الممدوح . والأنواء : جمع نوء ، وهو سقوط نجم من منازل القمر فى المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق . يقول : إذا عد الكرام لم يتجاوز العد هذه القبيلة ، كما أن الأنواء من سقوط أولها إلى سقوط آخرها هى العام ، فكذلك عجل هم الكرام : يعنى من أراد أن يعد الكرام فى الدنيا فليقل هم بنو عجل فإنهم يشملون جميع الكرام لبطلان من عداهم ، كما أن الأنواء بطلوعها وسقوطها تشتمل جميع العام ولك أن تقول لكل شهر من شهور العام نوءا ، فإذا عدت تلك الأنواء فهى عام تام . والمعنى أن الكرم مقصور عليهم لا يتجاوزهم .

(٢) الذرى ـ بفتح الذال — كل ما استترت به ، تقول: أنا فى ذرى فلان، أى فى كنفه وستره . والشفار : جمع شفرة ـ وهى حد النصل . والضمير فى « شفارها » : للسيوف ، وإن لم يجر لها ذكر ، لدلالة الحال ، واللطام : المصادمة بالسيوف . يقول : إنهم يتلقون السيوف بوجوههم ليدفعوا عمن استذرى بهم من الحرم والوفود ، وهو من قول الحماسى « الجريش بن هلال القريعى » :

نُعرِّضُ للسيوفِ إذا التقينا   خدُوداً لا تُعرَّضُ لِلطَّامِ

وروى :

* تَقِي جبهاتُهمْ ما فى ذُراهم *

فالذرى : جمع ذروة ،وهى أعلى كل شيء . والمراد بما فى ذراهم : السيوف لأنها تقلد فى أعالى البدن . يقول : إن سيوفهم تحمى وجوههم إذا اشتدت الملاطمة بشفار السيوف

وَلَوْ يَمَّمْتَهُمْ فى الْحَشْرِ تَجْـــدُو ... لَأَعْطَوْكَ الذى صَلَّوْا وَصَامُوا[١]
فَإِنْ حَلُمُوا فَإِنَّ الْخَيْلَ فِيهِمْ ... خِفَافٌ وَالرِّمَاحُ بِهَا عُرَامُ[٢]
وَعِنْدَهُمُ الْجِفَانُ مُكَلَّلاتٍ ... وَشَزْرُ الطَّعْنِ وَالضَّرْبُ التُّؤَامُ[٣]

---

(١) يممتهم : قصدتهم . وتجدو : تطلب جدواهم . يقول : لجودهم وكرمهم لا يردون سائلا حتى لو قصدهم سائل يوم القيامة لأعطوه صلاتهم وصيامهم .

وفى هذا يقول أبو تمام :

وَلَوْ قَصُرَتْ أَمْوَالُهُ عَنْ سَمَاحِهِ ... لَقَاسَمَ مَنْ يَرْجُوهُ شَطْرَ حَيَاتِهِ
وَلَوْ لَمْ يَجِدْ فى قِسْمَةِ الْعُمْرِ حِيلَةً ... وَجَازَ لَهُ الإِعْطَاءُ مِنْ حَسَنَاتِهِ
لَجَادَ بِهَا مِنْ غَـــيْرِ كُفْرٍ بِرَبِّهِ ... وَوَاسَاهُمُ مِنْ صَوْمِهِ وَصَلاتِهِ

ويقول أبو العتاهية :

فَمَنْ لِى بِهَذَا ؟ لَيْتَ أَنِّى أَصَبْتُهُ ... فَقَاسَمْتُهُ مَالِى مِنَ الْحَسَنَاتِ

وأخذه بعضهم فقال :

وَلَوْ جَـــاءَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَائِلٌ ... تَعَرَّى لَهُ عَنْ صَوْمِهِ وَصَلاتِهِ

(٢) العرام : الشراسة ؛ وبها خبر : مقدم عن عرام . يقول : إن كانوا حلماء ذوى وقار فإن خيلهم خفاف فى العدو ـ الجرى ـ ورماحهم شرسة عارمة على الأعداء . هذا والحلم . الأناة والعقل ، يقال منه حلم ـ يحلم حلما فهو حليم ؛ أما الحلم ـ بمعنى الرؤيا فى المنام ـ ففعله حلم ـ بالفتح ـ يقال حلم واحتلم إذا رآه فى النوم ، أما الحلم ـ بالتحريك ـ وهو أن يفسد الجلد فى العمل ويقع فيه دود فيتثقب ففعله حلم ـ بالكسر ـ يقال حلم الأديم ؛ قال الوليد بن عقبة ابن أبى عقبة من أبيات يحض فيها معاوية على قتال على عليه السلام ، ويقول له أنت تسعى فى صلاح أمر قد تم فساده ، كهذه المرأة التى تدبغ الأديم الحلم ـ الذى وقعت فيه الحلمة فثقبته وأفسدته ـ فلا ينتفع به :

فَإِنَّكَ وَالْكِتَابَ إِلَى عَلِىٍّ ... كَدَابِغَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الأَدِيمُ

وقد تقدمت بقية الأبيات .

(٣) الجفان : القصاع ، جمع جفنة ؛ ومكللات : حال : أى مغطاة باللحم فهو عليها كالا كاليل ، كما قال زياد بن منقذ :

نُصَرِّعُهُمْ بأَعْيُنِنَا حَيَـــاءً ... وَتَنْبُو عَنْ وُجُوهِهِمِ السِّهَامُ(١)

قَبِيلٌ يَحْمِلُونَ مِنَ المَعَـــالِى ... كَمَا حَمَلَتْ مِنَ الجَسَدِ العِظَامُ(٢)

قَبِيلٌ أَنْتَ أَنْتَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ ... وَجَــدُّكَ بِشْرٌ المَلِكُ الهُمَامُ(٣)

لِمَنْ مَـــالٌ تُمَزِّقُهُ العَطَايَا ... وَيَشْرَكُ فِى رَغَائِبِهِ الأَنَامُ(٤)

وَلاَ نَدْعُوكَ صَـــاحِبَهُ فَتَرْضَى ... لأَنَّ بِصُحْبَةٍ يَجِبُ الذِّمَامُ(٥)

---

* ترى الجفانَ مِن الشيزَى مكللةً(١) *

والشزر : ما كان عن يمين وشمال ، والتؤام : جمع التوأم — على غير قياس — أى مزدوج ؛ والقياس : توائم . يقول : عندهم الجفان مملوءة وعندهم الضرب المتدارك المتوالى ؛ يعنى : أنهم مطاعيم مطاعين بلغوا أقصى غايات الجود والشجاعة .

(١) صرعه : طرحه ؛ والتشديد : للتكثير ، ونبا السهم عن الهدف : لم يعمل فيه. يقول : إنهم رقاق الوجوه لفرط الحياء ، فإذا نظر إليهم الناظر صرعهم — أى قدر عليهم — إذ يغلبهم الحياء احتشاما وكرما . أما إذا نازلوا العدو فى الحرب فإنهم شجعان يردون السهام بأوجههم ، وفيه نظر إلى قول العطوى(٢)

أَهَـــابُ الرِّيمَ أَرْمُقُهُ ... وأَضْرِبُ هَامَةَ الأَسَـــدِ

وَيَجْرَحُـــنى بِمُقْلَتِــهِ ... وَيَنْبُو السيفُ عَنْ جَسَدِى

(٢) قبيل خبر عن محذوف يعود إلى الممدوحين : والقبيل : الجماعة . يقول : إن المعالى مشتملة عليهم اشتمال اللحم والجلد على العظام ، يعنى أنهم للمعالى كالعظام للأجسام،

(٣) قال الواحدى : أراد قبيل أنت منهم وأنت أنت فى علو قدرك ، يعنى إذا كنت أنت منهم وجدك بشر فكفاهم بذلك فخرا ، وقد أخر حرف العطف فى قوله « وأنت » وهو قبيح جدا ، وهذا كما تقول قامت زيد وهند ، وأنت تريد قامت هند وزيد .

(٤ و ٥) الرغائب : جمع رغيبة ، وهى كل ما كان مرغوبا فيه ؛ والأنام : ما على وجه الأرض من الخلق ، وقد يراد به الناس بخصوصهم ، وقوله : لأن ، فاسم «أن»

---

(١) الشيزى : خشب أسود تتخذ منه الجفان ، قيل إنه الآبنوس ؛ وقيل شجر الجوز .

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن أبى عطية شاعر من شعراء الدولة العباسية .

تحايدُهُ كأنَّكَ سامِرِيٌّ تُصافِحُهُ يدٌ فِيها جُذامُ(١)
إذا ما العالِمونَ عرَوْكَ قالُوا أفِدْنا أيُّها الحَبْرُ الإمامُ(٢)

محذوف ضمير الشأن . والذمام : الحرمة والعهد . يقول ؛ متعجبا ، لمن هذا المال الذى تراه عندك تفرقه عطاياك ويشترك فيه الناس حتى كأن ليس له مالك مخصوص ؟ ثم قال فى البيت الثانى : إذا دعوناك صاحب هذا المال لا ترضى بذلك لأنك متى كنت صاحبه وجب عليك أن تصونه على عادتك وتحفظ له حرمة الأصحاب وعبارة الشراح : لمن هذا المال الذى تراه عندك وعطاياك تفرقه والخلق كلهم شركاء فى رغائبه، وأنت لا ترضى أن نقول هولك وندعوك صاحبه : لأن الصحبة توجب ذمامه ، وأنت لا ترعى له ذماما : أى فلمن هذا المال ؟ قال الواحدى : هذا إذا كان البيتان مقترنين ويجوز أن ينفرد كل منهما بالمعنى ، فيكون معنى البيت الأول : لمن مال هذه حاله ؟ يعنى لا مال لأحد بهذه الصفة إلا لك ، وأراد لمن مال هذه حاله غير حالك ، فحذف لدلالة المعنى ، ثم ينفرد معنى البيت الثانى عما ذكرناه ، ويروى فيرضى ـ بالياء ـ أى إذا دعوناك صاحبه رضى المال بذلك رجاء أن يبقى معك لأجل الصحبة .

(١) حاد عن الشىء : مال عنه ، وحايده محايدة : جانبه . والسامرى : واحد السوامرة ، وهم طائفة من اليهود شديدة التنطس ، إليهم نسب السامرى الذى عبد العجل الذى سمع له خوار ، قال الزجاج . وهم إلى هذه الغاية بالشام . والجذام ، داء معروف . يقول أنت تحيد عن هذا المال وتتجنبه وتنفر منه كما ينفر السامرى من مصافحة رجل فى يده جذام ، فانت تأمر بتوزيعه ولا تمسه . هذا . وقد قال الواحدى ، كان حقه أن يقول كأنك السامرى معرفا ، لأن هذا نسب له ليس باسم علم ، وهو فى القرآن معروف بأل ، إلا أن يكون أراد واحدا من قبيلته . وقال العكبرى وهذا الذى قال هو الذى أراد أبو الطيب أى كأنك رجل سامرى كما تقول هو محمدى وداودى وهارونى فتنسبه إلى نبى من الأنبياء المذكورين عليهم السلام ، كقولك حنفى وشافعى .

(٢) عراه واعتراه : إذا أتاه وقصده طالبا معروفه ، ومنه قول النابغة الذبيانى .

أتيتك عاريا خلقا ثيابى على خوفٍ تظن بىَ الظنونا

والحبر ـ بالكسر ، ويفتح : الرجل العالم ، قال الجوهرى : الحبر والحبر واحد أحبار اليهود ، وبالكسر أفصح ، وقال الفراء : إنما هو حبر بالكسر وهو أفصح ، لأنه يجمع على أفعال دون فعل ، ويقال ذلك للعالم ، كأنه من تحبير الكلام : أى تحسينه . يقول : إن العلماء يستفيدون منه ويتعلمون .

إِذَا مَا الْمُعْلِمُونَ رَأَوْكَ قَالُوا   بِهٰذَا يُعْلَمُ الْجَيْشُ اللُّهَامُ(١)
لَقَدْ حَسُنَتْ بِكَ الأَوْقَاتُ حَتَّى   كَأَنَّكَ فِى فَمِ الدَّهْرِ ابْتِسَامُ(٢)
وَأُعْطِيتَ الَّذِى لَمْ يُعْطَ خَلْقٌ   عَلَيْكَ صَلَاةُ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ

* * *

---

(١) المعلِم – بكسر اللام – الذى يشهر نفسه فى الحرب بعلامة يعرف بها أنه بطل ، يقال : أعلم الرجل نفسه ؛ ومن روى بفتح اللام فهم الذين أعلموا بعلامة . واللهام : الكثير الذى يلتهم كل ما يستقبله . يقول : إذا رآك الأبطال المعلمون قالوا هذا علامة الجيش العظيم ، لأنه ليس فى الجيش أشهر منه ، فهو دليل على قوة الجيش الذى يكون فيه أى كما أن علامة الفارس تكون دليلا على شجاعته تكون أنت دليلا على قوة الجيش الذى تكون فيه ؛ قال الواحدى : يجوز أن يكون يعلم – بفتح اللام – من العلم : أى بهذا يعرف الجيش أى أنه صاحب الجيش وفارس العسكر ، ومن روى يعلم – بكسر اللام – فمعناه أن الجيش يعلمون أنفسهم بهذا الرجل ليعرف أنهم شجعان إذا كان هو بين ظهرانيهم .

(٢) يقول : طابت بك أيام الدهر وبدت بشاشتها حتى كأن الدهر مبتسم بك ، يعنى أنها كانت متجهمة عابسة فزال بك عبوسها ، فكأنك ابتسام لها وطلاقة ، كما قال أبو تمام :

وَيَضْحَكُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَنْ غَطَارِفَةٍ   كَأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِنْ حُسْنِهَا جُمَعُ

وقال يمدح عمر بن سليمان الشرابي وهو يومئذ يتولى الفداء بين العرب والروم :

نَرَى عِظَماً بِالْبَيْنِ وَالصَّدُّ أعْظَمُ ... وَنتَّهِمُ الْوَاشِينَ وَالدَّمْعُ مِنهُمُ (١)

وَمَنْ لُبُّهُ مَعْ غَيْرِهِ كَيْفَ حَالُهُ ... وَمَنْ سِرُّهُ فِي جَفْنِهِ كَيْفَ يَكْتُمُ (٢)

وَلَمَّا الْتَقَيْنَا وَالنَّوَى وَرَقِيبُنَا ... غَفُولاَنِ عنَّا ظِلْتُ أبْكِي وَتَبْسِمُ (٣)

فَلَمْ أرَ بَدْراً ضَاحِكاً قَبْلَ وَجْهِهَا ... وَلَمْ تَرَ قَبْلِي مَيِّتاً يَتَكَلَّمُ

ظَلُومٌ كَمَتْنَيْهَا لِصَبٍّ كَخَصْرِهَا ... ضَعِيفِ الْقُوَى مِنْ فِعْلِهَا يَتَظَلَّمُ (٤)

---

(١) البين : البعد والفراق . والواشي : النمام . يقول : نستعظم البين والصدود أعظم منه ، لأن البين يقرب بقطع المسافة ومسافة الصدود لا يمكن تقريبها ، ونتهم الوشاة بإذاعة أسرارنا والدمع واحد منهم لأنه لا يرقأ ويظهر ما في القلب من الوجد ، فهو أولى بأن نتهمه بإذاعة أسرارنا . وروى ابن الشجري .

* نرى عِظَما بالصَّدِّ وَالبينُ أعظمُ *

يعني أن الحبيب إذا صد فإن العين تنظره ، وإذا فارق ، حال البعد دون النظر إليه وهو معنى حسن .

(٢) اللب : العقل ، ويكتم : يروى بالمعلوم والمجهول ، وأراد بكون سره في جفنه أنه يظهر مع ظهور الدمع فكأنه في الجفن . يقول : إذا كان عقلك مع غيرك كيف يكون حالك ؟ وإذا كان سرك في جفنك كيف تقدر على كتمانه ؟ يريد أن قلبه أسير غيره ، وهو دائم البكاء ، فالدمع يظهر سره ويفضحه .

(٣) النوى : البعد ؛ والواو فيه : واو الحال . وظلت : ظللت . يقول : ولما التقينا ، وكان البعد والرقيب في غفلة عنا ، ظللت أبكي من الوجد ، وهي تضحك تعجبا من حالي ودلالا علي .

(٤) المتنان : الجانبان الأسفلان من الظهر ؛ والخصر : ما فوقهما . وتظلم الرجل : اشتكى الظلم ، جعل نفسه في الدقة كخصرها ، وجعل ظلمها إياه بتكليفه ما لا يطيق حمله كظلم متنيها لخصرها ، ثم وصف نفسه بضعف القوى . هذا : وقد جرت عادة الشعراء — كما قال الواحدي — أن يصفوا الردف : بالعظم ، والخصر : بالهيف ، ولم يسمع ذكر سمن المتن وكثرة لحمه ، وإنما يصفون النصف الأعلى بالخفة والرشاقة ، وهو يقول

بِفَرْعٍ يُعِيدُ اللَّيْلَ وَالصُّبْحُ نَيِّرٌ ... وَوَجْهٍ يُعِيدُ الصُّبْحَ وَاللَّيْلُ مُظْلِمُ(١)

فَلَوْ كَانَ قَلْبِي دَارَهَا كَانَ خَالِيًا ... وَلَكِنَّ جَيْشَ الشَّوْقِ فِيهِ عَرَمْرَمُ(٢)

متنها ممتلىء يظلم خصرها بتكليفه حمله ، والصحيح فى هذا المعنى قول خالد بن يزيد الكاتب .

صبا كثيبا يَشتكى الهوى ... كما اشتكى خصرُكَ مِنْ ردفكا

(١) بفرع : متعلق بمحذوف تقديره تبدو ، أو تسبى ، أو تقبل بفرع والفرع : شعر الرأس . يقول : تريك النهار ليلا بشعرها ، والليل نهاراً بوجهها وفيه نظر إلى قول بكر بن النطاح :

بَيضاء تَسحبُ من قيامٍ شعرَها ... وتغيبُ فيه وهوَ جثلٌ أسحَمُ

فكأنّها فيهِ نهارٌ مُشرقٌ ... وَكأنّهُ ليلٌ عليها مُظلِمُ

« جثل : كثيف . وأسحم : أسود » وقول أبى تمام :

بَيضاء تبدُو فى الظلامِ فيكتسى ... نُوراً وَتسربُ فى النهار فيُظلمُ

« تسرب : تتوارى » . وقوله أيضاً ،

لحقنا بأخراهمْ وَقدْ حوّم الهوى ... قلوباً عهدْنا طيرَها وَهىَ وُقّعُ

فرُدّتْ علينا الشمسُ وَالليلُ راغمٌ ... بشمسٍ لهمْ منْ جانبِ الخِدْرِ تطلعُ

نضاضوءُها صبغَ الدُّجنّةِ وَانطوى ... لِبهجتها ثوبُ الظلام المجزّعُ

فوَالله ما أدرى أأحلامُ نائمٍ ... ألمّتْ بنا أمْ كانَ فى الركبِ يُوشعُ

« لحقنا بأخراهم الخ : أى قصدنا المتأخرين منهم ، وقد جعل الهوى قلوبنا تحوم حولهم كحوم الطائر على الماء بعد أن كانت ساكنة بقربهم هادئة لعدم فراقهم . وقوله ثوب الظلام المجزع : جعله مجزعا لأجل النجوم ، والتجزيع فى الشىء : أن يكون فيه لونان مختلفان »

(٢) العرمرم : العظيم الكثير . يقول : إنها رحلت وتركت دارها خالية ولكن قلبى ليس خاليا مثلها ؛ إذ أنه ملآن بالشوق إليها ، وفيه منه جيش عظيم ، فحبها لازم له لا يفارقه .

أثافٍ بِها ما بِالْفُؤَادِ مِنَ الصَّلى ... وَرَسْمٌ كَجِسْمِى ناحِلٌ مُتَهَدِّمُ(١)

بَلَلْتُ بِهَا رُدْنَىَّ وَالْغَيْمُ مُسْعِدِى ... وَعَبْرَتُهُ صِرْفٌ وَفِى عَبْرَتِى دَمُ(٢)

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ ما انْهَلَّ فِى الْخَدِّ مِنْ دَمِى ... لَما كانَ مُحْمَرًّا يَسِيلُ فَأَسْقَمُ(٣)

---

(١) أثاف : مبتدأ ، محذوف الخبر : أى فيها ؛ أو هناك أثاف . والأثافى : جمع أثفية ، وهى الحجر ينصب تحت القدر . وتقدير أثفية أفعولة من ثفيت قال الأزهرى : الأثفية حجر مثل رأس الإنسان وجمعها أثافى — بالتشديد — قال : ويجوز التخفيف . والصلى : الاصطلاء بالنار ، وإذا فتحت الصاد قصرت ، وإذا كسرت مددت . والرسم : مابقى من آثار الديار . يقول : فى ديارها أثاف بها من الصلاء مابفؤادى ، يعنى أن النار حرقتها وأثرت فيها كما أحرق الشوق والحب قلبى ، وكما أن رسم دارها بال متهدم كذلك جسمى ، لفراقها .

(٢) ردنا القميص : كماه ؛ والغيم : السحاب ؛ وأسعده : أعانه ؛ والعبرة الدمع ؛ أو تحلب الدمع ، وعبرت عينه واستعبرت : دمعت ، وعبر الرجل يعبر عبرا : إذا حزن ، وامرأة عابر وعبرى وعبرة : حزينة . قال الحارث ابن وعلة الجرمى :

يقولُ لىَ النهدى هل أنت مرد فى ... وكيف ردافُ الفرِّ أمك عابر

يُذكرنى بالرُحـــم بينى و بينه ... وقد كانَ فى نهدٍ وجَرم تدابر

نجوت نجاء لم ير الناسُ مثله ... كأنى عُقاب عند تَيْمَنَ كاسر(١)

والصرف : الخالص . يقول ؛ وقفت على دارها والسحاب يمطر كأنه يساعدنى فى البكاء ولكن دمعه كان خالصا وكان دمعى ممزوجاً بالدم .

(٣) انهل : سال وجرى . يقول : لو لم يكن دمعى دماً ما كان أحمر وما كنت هزلت وسقمت بعد انهماله .

---

(١) عابر : ثاكل ؛ وتدابر . تقاطع ، والنهدى : رجل من بنى نهد يقال له سليط سأل الحارث أن يردفه خلفه لينجو به ؛ فأبى أن يردفه ، وأدركت بنو سعد النهدى فقتلوه .

بِنفسِي الْخَيالُ الزَّائرى بَعْدَ هجعةٍ   وَقولتهُ لى بَعْدَنا الْغمضَ تطعَمُ (١)

سَلامٌ فَلوْلاَ الْخوْفُ وَالْبُخلُ عِنْـــدَهُ
لقُلْتُ أبو حَفْصٍ عَلَيْنَا الْمُسَــلِّمُ (٢)

مُحِبُّ النَّدَى الصَّابِى إِلَى بَذْلِ مَالِهِ   صُبُوًّا كَمَا يَصْبُو الْمُحِبُّ الْمُتَيَّمُ (٣)

وَأُقْسِمُ لَوْلاَ أَنَّ فِى كُلِّ شَعْرةٍ   لَهُ ضَيْغَماً قُلْنَا لَهُ أَنْتَ ضَيْغَمُ (٤)

---

(١) الهجعة : الرقدة . وقوله بعدنا . أى ـ أبعدنا بهمزة الإنكار ـ فحذف لضيق المقام ؛ وطعم الشيء ، ذاقه . يقول : أفدى بنفسى الخيال الذى زارنى بعد ما نمت وقال لى معاتباً : أتنام بعد فراقنا ؟ وهل من فارقه أحبته ينام ؟

(٢) سلام : من حكاية قول الخيال ؛ أى قال لى الخيال معاتباً ؛ أتنام بعد مفارقتنا؟ سلام ، أى عليك سلام ، ويروى سلاما ؛ أى أسلم سلاما ؛ وأبو حفص ؛ كنيةالممدوح يقول ؛ لولا أن هذا الخيال بخيل لا يجود بمطلوب وجبان لا يزور مجاهراً لحملنى الابتهاج به والإجلال له على أن أظنه الممدوح يسلم على ؛ وقال ابن جنى ؛ لولا خوفى من مفارقته أو معاتبته على نومى ، ولولا بخله لأنه لا حقيقة لزيارته ، لقلت المسلم على الممدوح ، قال الواحدى ؛ أخطأ ابن جنى فى تفسيره لأنه جعل الخوف للمتنبى ، وأن لا حقيقة لزيارته ، وما هو كذلك لا يوصف ببخل ؛ والمرأة توصف بالبخل والجبن ، ويقال إن هذين من شر أخلاق الرجال وهما من خير أخلاق النساء ؛ قالوا : وقوله بعدنا الغمض تطعم ؛ هو من قول الصنوبرى

قال ، والنومُ ممــكنٌ : غرَّ غيرى   لا تموِّهْ فلستَ بالمستهامِ

(٣) الصابى ؛ المشتاق . وتيمه الحب ؛ عبده وذلله ، والتيم ؛ العبد ، وتيم الله منه ، كما تقول عبد الله ، وقيل المتيم المضلل ،ومنه قيل للفلاة تيماء ، لأنه يضل فيها ، ويقال تيمه الحب وتامه ، قال الأصمعى ؛تيمت فلانة فلانا تتيمه وتامته تتيمه تيما فهو متيم بالنساء، ومتيم بهن ، وأنشد للقيط بن زرارة :

تامتْ فؤادَكَ لوْ يَحزُنكَ ماصنعتْ   إحْدَى نساءِ بَنِى ذُهلِ بنِ شَيبانا

يقول ؛ إنه يصبو إلى إنفاق المال على العفاة كما يصبو المحب إلى محبوبه .

(٤) الضيغم ؛ الأسد . يقول إنه يزيد على الأسد قوة وشجاعة بعدد شعر بدنه ، ولولا ذلك لقلنا إنه أسد ، ثم أكد هذا بالبيت التالى .

أَنَنْقُصُهُ مِن حَظِّهِ وَهْوَ زَائِدٌ وَنَبْخَسُهُ وَالْبَخْسُ شَيْءٌ مُحَرَّمُ (١)
يَجِلُّ عَنِ التَّشْبِيهِ لاَ الْكَفُّ لُجَّةٌ وَلاهُوَ ضِرْغَامٌ وَلاَ الرَّأْيُ مِخْذَمُ (٢)
وَلاَ جُرْحُهُ يُؤْسَى وَلاَ غَوْرُهُ يُرَى وَلاَ حَدُّهُ يَنْبُو وَلاَ يَتَثَلَّمُ (٣)
وَلاَ يُبْرَمُ الأَمْرُ الَّذِي هُوَ حَالِلٌ وَلاَ يُحْلَلُ الأَمْرُ الَّذِي هُوَ مُبْرِمُ (٤)

---

(١) يقول : إنه زاد على الأسد شجاعة ، فإن جعلناه كالأسد كنا قد نقصناه حظه وبخسناه حقه ، لانه يستحق أكثر من ذلك . هذا : ويقال بخسه حقه يبخسه فهو باخس أى نقصه .

(٢) اللجة : معظم الماء ، والضرغام : الأسد ؛ والمخذم : السيف القاطع . يقول : هو أجل من أن يشبه كفه بالبحر ونفسه بالأسد ورأيه بالسيف فكفه فوق البحر ، ورأيه أنفذ من السيف ، وهو أشجع من الأسد .

(٣) يؤسى : يداوى ــ أسوت العليل آسوه أسوا ــ والآسى : الطبيب ؛ والغور : العمق ؛ والضمير المضاف إليه : للجرح ــ أى أن جرحه أوسع من أن يعالج ، لايبرأ بالعلاج ، ولايرى غور جرحه لعمقه . ويجوز أن يكون الضمير للممدوح ، على معنى أنه بعيد الغور فى الرأى والتدبير ، فلا يدرك غورة : وحده ــ على المعنى الأول ــ يراد به حد سيفه ، وعلى الثانى : حدعزيمته ، على تشبيهها بالسيف . وينبو : أى يكل عن الضريبة . وفى إعراب البيت يقول ابن جنى : عطف بـ «لا» فى هذا البيت على مدخول «لا» فى الذى قبله فى ظاهر اللفظ ، لا فى المعنى ، وذلك لأن قوله لا الكف لجة : أى فيها مافى البحر وزيادة عليه ، ولا هو ضرغام : أى فيه مافى الضرغام من الشجاعة وزاد عليه : ولا الرأى مخذم : أى لرأيه مضاء السيف وفوق ذلك . وأما قوله ولاجرحه يؤسى : فليس يريد أنه يؤسى ويزاد عليه وكذا ولاغوره ، ولاحده وليس يريد أنه يتثلم ويزيد كما أراد فى البيت فهو فى البيت الأول مثبت فى المعنى لما نفاه فى اللفظ ، وفى الثانى ناف فى اللفظ والمعنى جميعا . قال : ألاترى إلى إحسانه الصنعة وصحة نظمه وتوفيقه بين الأضداد المتباينة ؟

(٤) يقول : ليس للأمر الذى يحكمه ناقض ، ولا الذى نقضه مبرم : يعنى أنه لايخالف فيما أراد ، هذا : وقد فك الإدغام من قوله حالل ويحلل ، ضرورة وهو من التجوزات المكروهة ؛ قالوا : وربما فعل الشاعر هذا ليشعر أنه يعلم بالضرورات ، كما قال قعنب بن أم صاحب ــ شاعر أموى ــ :

وَلاَ يَرْمَحُ الأَذْيَالَ مِنْ جَبْرِيَّةٍ
وَلاَ يَخْدُمُ الدُّنْيَا وَإِيَّاهُ تَخْدُمُ(١)

مَهْلاً أعاذِلَ قَدْ جرَّبتِ مِنْ خُلقى
أنِّى أجُودُ لأقْوَامٍ وإنْ ضَنِنوا(١)

(١) الرمح : الرفس بالرجل ؛ ويقال للمختال : إنه ليرمح الأذيال ، وذلك إذا كان يطيل ثوبه ولا يرفعه ويضربه برجله ، ومنه قول القحيف العقيلى :

يَقُولُ لِىَ الْمَفْنَى وَهُنَّ عَشِيَّةً ... بِمَكَّةَ يَرْمَحْنَ الْمُهَدَّبَةَ السُّحْلاَ

« المهدبة : الثياب التى لهاأهداب، والسحل : البيض »والجبرية: الكبر، والجبار: المتكبر الذى لايرى لأحد عليه حقا ؛ يقال جبار بين الجبرية والجبرية ـ بكسر الجيم والباء ـ والجبرية والجبروه والجبروه ،والجبروت والجبورة والجبـورة مثل الفروجة، والجبرياء والتجبار هو بمعنى الكبر ، وأنشد الأحمر :

قول مغلس بن لقيط الأسدى يعاتب رجلا كان واليا على أضاح ؛

فإنَّكَ إنْ عادَيْتَنِى غضِبَ الْحَصَى ... عَلَيْكَ وذُو الْجُبُّورَةِ الْمُتَغَطْرِف

« يقول ؛ إن عاديتنى غضب عليك الخليقة ، وما هو فى العدد كالحصى والمتغطرف؛ المتكبر » .

يقول ؛ هو على عظمته وفخامة قدره متواضع لاتزدهيه المراتب عجبا واختيالا ، وليس هو من الذين يخدمون الدنيا وينصبون فى طلب حطامها،وإنما الدنيا تخدمه وتسوق إليه أرزاقها ، بما يحمل إليه من جبايات الملك.

(١) من قصيد له يقول فيها :

ما بَالُ قومٍ صَدِيقاً ثُمَّ ليسَ لهم ... عَهْدٌ وليسَ لَهُمْ دِينٌ إذا ائْتُمِنوا
إنْ يَسْمَعوا رِيبةً طارُوا بها فرحاً ... عنى وما سَمِعُوا مِنْ صالحٍ دفنوا
صُمٌّ إذا سَمِعُوا خيراً ذُكِرْتُ بِهِ ... وإنْ ذُكرتُ بِسُوءٍ عِندهُم أذِنوا
جَهْلاً عَلَىَّ وجبُناً عَنْ عَدُوِّهِم ... لبئست الْخَلَّتَانِ : الجهل والجبنُ

ويقولون أذنت له : أى سمعت له .

وَلاَ يَشْتَهِى يَبْقَى وَتَفْنَى هِبَاتُهُ ... وَلا تَسْلَمُ الأعْدَاءُ مِنْهُ وَيَسْلَمُ(١)

أَلَذُّ مِنَ الصَّهْبَاءِ بِالْمَاءِ ذِكْرُهُ ... وَأَحْسَنُ مِنْ يُسْرٍ تَلَقَّاهُ مُعْدِمُ(٢)

وَأَغْرَبُ مِنْ عَنْقَاءَ فِى الطَّيْرِ شَكْلُهُ ... وَأَعْوَزُ مِنْ مُسْتَرْفِدٍ مِنْهُ يُحْرَمُ(٣)

وَأَكْثَرُ مِنْ بَعْدِ الأَيَادِى أَيَادِيًا ... مِنَ الْقَطْرِ بَعْدَ الْقَطْرِ وَالْوَبْلُ مُثْجِمُ(٤)

سَنِىُّ الْعَطَايَا لَوْ رَأَى نَوْمَ عَيْنِهِ ... مِنَ اللُّؤْمِ آلَى أَنَّهُ لاَ يُهَوِّمُ(٥)

---

(١) ولا يشتهى يبقى ؛ يريد أن يبقى فحذف « أن » للضرورة . يقول ؛ لا يحب أن يبقى ولا عطاء له ؛ أى إنما يحب البقاء ليعطى ، فإذا لم يكن له عطاء لم يحب البقاء ، ولا يحب أن يسلم فى نفسه مع سلامة الأعداء منه . أى أنه يحب أن يقتلهم وإن كان فى ذلك هلاكه .

(٢) الصهباء ؛ الخمر ؛ واليسر ؛ الغنى ؛ والمعدم ؛ الفقير . يقول ؛ إن ذكره على الألسنة ألذ من الخمر قد مزجت بالماء ، وأحسن من اليسر لدى المعدم .

(٣) عنقاء مغرب ؛ طائر ، يقال إنه ذهب ولم يبق إلا اسمه ، وأعوز قال ابن جنى ؛ كان الوجه أن يقول أشد إعوازا لأن ماضيه أعوز ، ولكنه جاء على حذف الزيادة ؛ والمسترفد ؛ السائل . يقول ؛ مثله فى الناس أغرب من العنقاء فى الطير ؛ وأشد إعوازا وأقل وجودا من سائل منه شيئاً يحرمه ولا يعطيه ، وهو لا يحرم أحدا ، أى فكما أن هذين لا يوجدان كذلك نظيره ومثله .

(٤) الأيادى ؛ النعم ؛ وأياديا ؛ تمييز ؛ ومن القطر ؛ صلة أكثر ؛ والقطر ؛ المطر ، والوبل : المطر الغزير ؛ والواو قبله ؛ للحال . وأثجمت السماء ؛ دام مطرها ، أراد . هو أكثر أيادى بعد الأيادى من القطر بعد القطر ، يعنى أن نعمه ومواهبه أكثر تتابعا من قطر المطر حين يكون كثيراً دائم الهطلان .

(٥) السنى ؛ الرفيع الشريف ، واللؤم ، الخسة نقيض الكرم . وآلى ؛ أقسم . والتهويم ؛ اختلاس أدنى النوم ، وأصله النوم القليل ، كأنهم يريدون به أخذ النوم فى هامة — رأس — الإنسان ، لأنه يبدأ برأسه ثم ينتشر فى سائر الجسد . يقول ؛ لو كان النوم الذى لابد منه للانسان لؤما ، لحلف أنه لا ينام

وَلَوْ قَالَ هَاتُوا دِرْهَمًا لَمْ أَجُدْ بِهِ عَلَى سَائِلٍ أَعْيَا عَلَى النَّاسِ دِرْهَمُ (١)

وَلَوْ ضَرَّ مَرْءًا قَبْلَهُ مَا يَسُرُّهُ لَأَثَّرَ فِيهِ بَأْسُهُ وَالتَّكَرُّمُ (٢)

يُرَوِّى بِكَالْفِرْصَادِ فِي كُلِّ غَارَةٍ يَتَامَى مِنَ الْأَغْمَادِ تُنْضَى فَتُوتِمُ (٣)

إِلَى الْيَوْمِ مَا حَطَّ الْفِدَاءُ سُرُوجَهُ

مُذُ الْغَزْوُ سَارٍ مُسْرَجُ الْخَيْلِ مُلْجَمُ (٤)

---

(١) يقول : إن جميع ما فى أيدى الناس من المال إنما هو من عطاياه ، حتى لو طلب درهما ليس من عطائه لأعيا على الناس — أعجزهم — وجوده

(٢) يقول : هو يرتاح إلى بأسه وكرمه ويسر بهما ، فلو كان ما يسر الإنسان يضره لضره الكرم والبأس . هذا ؛ وقد قال الجوهرى : المرء الرجل ، تقول : هذا مرء صالح ، ومررت بمرء صالح ، ورأيت مرءاً صالحا ، قال ؛ وضم الميم لغة ، تقول هذا مرء ورأيت مرءاً ومررت بمرء ، وتقول : هذا مرء ورأيت مرءاً ومررت بمرء ، معربا من مكانين ، قال وإن صغرت أسقطت ألف الوصل ، فقلت : مرىء ومريئة . وبعد ؛ فإذا أرادت التوسع فى هذه المادة فعليك بـ « لسان العرب » .

(٣) بكالفرصاد : أى بدم مثل الفرصاد فى حمرته ، والفرصاد : ثمر التوت الأحمر ؛ والغارة : اسم من أغار على القوم : إذا هجم عليهم فى منازلهم — ويتامى : مفعول « يروى » والظرف بعده : متعلق به . وأراد باليتامى : السيوف التى تفارق أغمادها ، جعلها يتامى لأنها فارقت ما كان يؤويها ويحوطها كالوالدين ، وتنضى : تسل . وتوتم ؛ مضارع أيتم يقول : إنه يروى بدم مثل الفرصاد سيوفا قد فارقت أغمادها فصارت مثل اليتامى . وتلك السيوف تيتم أولاد من يقتله بها فى كل غارة يغيرها على الأعداء .

(٤) قوله : مذ الغزو . قال ابن جنى : من رفع « الغزو » رفعه بالابتداء وخبره محذوف ، تقديره مذ الغزو واقع أو كائن ومن جره أراد مذ زمن الغز ، فحذف المضاف وقال الإمام التبريزى ؛ « الغزو » مجرور بـ « مذ » ، لأنها بمعنى « فى » ؛ كقولك أنت عندنا مذ اليوم أى فى اليوم ؛ وسار ؛ خبر مبتدأ محذوف ؛ أى هو سار — يعنى الممدوح — ومسرج ؛ يجوز أن يكون من إضافة الوصف إلى مرفوعه فيكون بفتح الراء ، أو إلى منصوبه فيكون بكسرها ، وحكم « ملجم » كذلك . يقول — كما قال سائر الشراح — : مذ الغزو إلى اليوم وهو مشتغل بعمله فى فداء أسارى المسلمين من أيدى الروم لم يحط هذا الاشتغال سروج خيله عن ظهورها ، ولكنه سار وخيوله مسرجة ملجمة لا ينفك كذلك . قال الواحدى وليس فى هذا مدح ، وإنما المعنى أنه لا يقبل الفداء ولا يدع الغزو ، بل يغزو ولا يمنعه

. . . .

الفداء . قال ؛ وما بعد هذا من الأبيات يدل على أن المعنى ماذكرنا . وإليك بعد هذا ما قال العكبرى النحوى الكوفى فى إعراب مذ ومنذ ، وكان بودنا أن نتبسط فى هذا الموضع فنورد ما قال أهل اللغة وعلماء النحو ولكنا لا نبغى أن نحيد عما شرطنا على أنفسنا وهو أن نورد كل ما أورده شراح المتنبي ليس غير ، لا نعدوه ، وحسبنا شرح الشواهد التى أوردوها ، وهو كل ما يعنينا فى هذا الشرح الذى كررنا القول بأنه كأنه شرح للمتنبي وشروحه . قال العكبرى : مذ ومنذ ؛ مركبان من « من وإذ » فغيرا عن حالهما فى إفراد كل واحد منهما فحذفت الهمزة ووصلت «من» بالذال ، وضمت الميم للفرق بين حالة الإفراد والتركيب ؛والدليل على أن كلا مركب من « من وإذ » ؛ قول بعض العرب مذ ومنذ ـ بكسر الميم ـ فدل « على أنهمامركبان وإذا ثبت أنهما مركبان كان الرفع بعدهما بتقدير فعل ، لأن الفعل يحسن بعد « إذ » ، والتقدير ما رأيته«مذ»مضى يومان و«منذ» مضى شهران، ومن خفض بهما فقد اعتبر «من»ولهذا كان الخفض بمنذ أجود لظهور نون «من» فيها تغليباً لـ« من» ، والرفع بـ«مذ»أجود،لحذف نون «من» منها تغليباً لإذ ، ويدل على أن أصل «مذ ؛ منذ » أنك لو سميت بهاقلت فى تصغيره«منيذ» وفى تكسيره «أمناذ» ؛ فترد النون المحذوفة لأن التصغير والتكسير يردان الاشياء إلى أصولها . هذا قول أصحابنا الكوفيين ؛ وقال الفراء يرتفع الاسم بعدهما بتقدير مبتدأ محذوف وذلك أنهما مركبان من « من وذو » التى بمعنى «الذى » وهى لغة مشهورة قال سنان بن الفحل .

فإن المـــاء ماء أبى وجَدِّى و بِئرِى ذُو حَفرتُ وَذُو طوَيتُ[(1)]

---

(١) أحد أبيات خمسة أوردها أبو تمام فى الحماسة لسنان بن الفحل الطائى قالها سنان حين اختصم بنو أم كهف من جرم طيء وبنو هرم بن العشراء من فزارة فى ماء وهم مخلطون متجاورون، والأبيات .

وقالوا قـــدْ جُننتَ فقلتُ كلاَّ وَربِّى ما جُننتُ وما انتشيتُ
ولـكنى ظُلِمتُ فـكِدْت أبكى منَ الظلمِ المُبيـــنِ أوْ بكيتُ
فإن المـاء ماء أبى . . . . « البيت »
وَقبلَكَ رُبّ خصمٍ قدْ تَمـــالَوْا علىَّ فمـــا هَلعْتُ ولا دَعوْتُ
ولـكنى نصبتُ لهمْ جبيـــنِي وآلةَ فارِسٍ حـــتى قرَيْتُ

يَشُقُّ بِلَادَ الرُّومِ وَالنقعُ أَبْلَقٌ ... بِأَسْيَافِهِ وَالْجَوُّ بِالنَّقْعِ أَدْهَمُ(١)

إِلَى المَلِكِ الطَّاغِي فَكَمْ مِنْ كَتِيبَةٍ ... تُسَايِرُ مِنْهُ حَتْفَهَا وَهِيَ تَعْلَمُ(٢)

وَمِنْ عَاتِقٍ نَصْرَانَةٍ بَرَزَتْ لَهُ ... أَسِيلَةِ خَدٍّ عَنْ قَرِيبٍ سَتُلْطَمُ(٣)

صُفُوفاً لِلَيْثٍ فِى لُيُوثٍ حُصُونُهَا ... مُتُونُ المَذَاكِى وَالْوَشِيجُ المُقَوَّمُ(٤)

وقال البصريون : هما اسمان فيرتفع ما بعدهما ، لأنه خبر عنهما ويكونان حرفى جر فيكون ما بعدها مجروراً بهما ، وإنما بنيا لتضمنهما معنى « من ، وإلى » فى قولك : ما رأيته مذ يومان ، معناه : ما رأيته من أول هذا الوقت إلى آخره ـ وبنيت « مذ » على السكون . لأنه الأصل فى البناء ، و« منذ » على الضم لأنه لما وجب تحريكها لالتقاء الساكنين حركت بالضم ، لأن من عادتهم أن يتبعوا الضم الضم.

(١) النقع : الغبار ، والأبلق : ما فيه سواد وبياض ؛ الأدهم : الأسود . يقول : يخترق بلاد الروم وغبار جيشه أبلق بأسيافه ـ يريد سواد الغبار ولمعان السيوف ـ والجو من فوقه أسود بالغبار لانه ليس فيه لمعان سيوف .

(٢) إلى الملك : متعلق بـ« يشق » والمراد بالملك الطاغى : ملك الروم . والكتيبة : الفرقة من الجيش ، ومنه : تجريد . والحتف ؛ الهلاك يقول ؛ يخترق بلاد الروم إلى الملك الطاغى ، فكم من كتيبة للروم تعارضه الممدوح فى مسيره إليها وهى تعلم أنه حتفها

(٣) العاتق ؛ الشابة البكر . ونصرانة أى نصرانية ، تأنيث نصران . وخد أسيل ناعم طويل . يقول ؛ كم من حسناء عاتق من نساء الروم برزت للممدوح عن سترها ـ لأنها سبيت ـ فهى تلطم وتهان وإن كانت أسيلة الخد ؟

(٤) صفوفا ؛ أى برزت صفوفا ، لأن عاتق ـ ههنا ـ فى معنى الجماعة ؛ فصفوفا ؛ حال منها . والمتون ؛ جمع متن ، الظهر ؛ والمذاكى ؛ الخيل المسنة ؛ والوشيج ؛ شجر

و « ذو » هنا ؛ اسم موصول بمعنى التى لأن البئر مؤنثة ، ومن ثم تقع مكان جميع الموصولات ولا يتغير لفظها . وتمالوا ؛ بمعنى اجتمعوا وتعصبوا على ؛ وهلعت ؛ جزعت ، ولا دعوت ؛ أى ما ناديت أحداً ولا استصرخت ، ولكنى كنت أرد الخصم بقوتى وجلادى . وقوله : وآلة فارس ؛ يريد بها آلة الحرب ، وقريت ؛ أى جمعت ، يعنى أنه خاصمهم حتى إذا بلغ الخصام بهم إلى الرماح طاعنهم فغلبهم ، وجمع الماء فى الحوض .

تَغِيبُ المَنَايَا عَنْهُمُ وَهْوَ غَائِبٌ ... وَتَقْدَمُ فى سَاحَاتِهِمْ حِينَ يَقْدَمُ (١)

أَجِدَّكَ مَا تَنْفَكُّ عَانٍ تَفُكُّهُ ... عُمَ بْنَ سُلَيْمَانَ وَمَالٌ تُقَسِّمُ (٢)

تتخذ منه الرماح : يقول ؛ برزت هذه العواتق صفوفا لهذا الممدوح الذى هو فى شجاعته كالأسد ، وقد قام فى جمع كالأسود قد تحصنت بالخيل والرماح .

(١) يقول : إذا غاب فلم يغزهم غاب عنهم الموت ، لأنه يكف عن قتلهم ، وإن قدم إليهم أهلكهم لذلك يقدم معه الموت .

(٢) نصب « أجدك » على المصدر ، كأنه قال ؛ أتجد جدك ومعناه ؛ أتجد هذا منك ، هذا أصله ، ثم صار افتتاحا للكلام . وعان ؛ أى أسير ، مبتدأ ، خبره تفكه ، وجملة « عان تفكه » خبر « تنفك » . وعم ؛ ترخيم عمر ، جرى فيه على مذهب الكوفيين وهو لحن عند البصريين ، لأن الاسم الثلاثى لا يجوز ترخيمه ، لأنه على أقل الأصول عددا ، فترخيمه إجحاف به قاله ابن جنى . وقال العكبرى : وذهب أصحابنا الكوفيون إلى جواز ترخيم الثلاثى من الأسماء إذا كان متحرك الوسط كعمر وزفر ؛ وقال البصريون والكسائى : لا يجوز وحجة . الكوفيين إذا كان سطه متحركا ماجاء من نحو « يد ، ودم » إذا الأصل فى يد « يدى » ؛ وفى دم ؛ « دمو » بدليل قول بعض العرب فى تثنيته « دموان » وقيل أصله « دمى » قال الشاعر .

فلو أنّا على حجَرٍ ذُبِحْنَا ... جرَى الدَّمَيانِ بالخبرِ اليقينِ (١)

---

(١) قبله ؛

لعمرك إننى وأبا رباحٍ ... على حالِ التكاشر منذ حين

ليُبغضنى وأبغضه وأيضاً ... يرانِى دونه وأراه دونِى

روى هذه الأبيات ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه الأصمعى ونسبها لعلى بن بدال ابن سليم . والتكاشر : يروى التجاور ، والتكاشر المباسطة ، وعلى : بمعنى مع ، والجحر بضم الجيم وسكون الحاء الشق فى الأرض ؛ وأراد بالخبر اليقين : ما اشتهر عند العرب من أنه لايمتزج دم المتباغضين ؛ أى لما امتزجا وعرف ما بيننا من العداوة . قال ابن الأعرابى ؛ معناه لم يختلط دمى ودمه من بغضى له وبغضه لى ، بل يجرى دمى يمنة ودمه يسرة قال المتلمس ؛

مُكَافِيكَ مَنْ أَوْلَيْتَ دِينَ رَسُولِهِ ... يَدًا لاَ تُؤَدِّى شُكْرَهَا الْيَدُ وَالْفَمُ[1]
عَلَى مَهَـــلٍ إِنْ كُنتَ لَسْتَ بِرَاحِمٍ ... لِنَفْسِكَ مِنْ جُودٍ فَإِنَّكَ تُرْحَمُ[2]
مَحَلُّكَ مَقْصُودٌ وَشَانِيكَ مُفْحَمُ ... وَمِثْلُكَ مَفْقُودٌ وَنَيْلُكَ خِضْرِمُ[3]
وَزَارَكَ بِى دُونَ الْمُـــلُوكِ تَحَرُّجِى ... إِذَا عَنَّ بَحْرٌ لَمْ يَجُزْ لِى التَّيَمُّمُ[4]

فهو من ذوات الياء ، والترخيم إنما وضع للتخفيف بالحذف ، والحذف قد جاز فى مثله للتخفيف ، فوجب أن يكون جائزاً ولا يجوز الترخيم فى الاسم الثلاثى الساكن الوسط كزيد ، لأنه إذا حذف الأخير وجب حذف الساكن فيبقى على حرف واحد ، وذلك لانظير له ؛ بخلاف ماإذا كان متحرك الوسط وحجة البصريين أن الترخيم حذف آخر الاسم المنادى إذا كثرت حروفه تخفيفا والثلاثى فى غاية الخفة . قوله :ومال تقسم ، أى تقسمه ، فحذف لدلالة المقام . يقول : ما تنفك تفك أسيراً وتقسم مالا .

(١) مكافيك ؛ أصله الهمز ، ولكنه لينه للضرورة ، وهو خبر مقدم ؛ ومن أوليت ؛ مبتدأ مؤخر . وأوليت ؛ أعطيت . ولا تؤدى شكرها اليد والفم ؛ أى لايؤدى شكرها فعل ولا قول . يقول إن مكافأتك إنما هى عند الله الذى عززت دين رسوله بقوة لا يؤدى شكرها قول ولا فعل .

(٢) يقول : ارفق بنفسك فإنك إن لم ترحمها من بذلك إياها فى الحرب ، فإن الناس يرحمونك .

(٣) الشانى ؛ المبغض ، وأصله الهمز ، ولكن لينه للضرورة . والمفحم ؛ الساكت الذى لايقدر على النطق،والنيل :العطاء؛ والخضرم؛ الكثير .يقول:محلك مقصود يقصده العفاة وعدوك لايستطيع أن ينطق فيك بعيب لأنه لايجد لك عيبا يعيبك به وأنت منقطع النظير لأنك قد تفردت بأشياء لم يقدر عليها غيرك ، وعطاؤك كثير .

(٤) التحرج ؛ تجنب الحرج ، وهو الإثم . وعن : ظهر . يقول : تحرجى من

أحارث إنا لو تساط دماؤنا ... تزايلن حتى لا يمس دم دما

« تساط » تخلط وقال بعضهم ؛ المعنى ؛ لو ذبحنا على جحر لعلم من الشجاع منا من الجبان بجرى دمى وجموده ، لأن من زعمهم أن دم الشجاع يجرى ، ودم الجبان لايجرى .

فَعِشْ لَوْ فَدَى الْمَمْلُوكُ رَبًّا بِنَفْسِهِ
مِنَ الْمَوْتِ لَمْ تَفْقِدْ وَفِي الْأَرْضِ مُسْلِمُ (١)

* * *

واجتاز بمكان يعرف بالفراديس من أرض قِنَّسْرِين فسمع زئير الأسد فقال:

أَجَارُكِ يَا أُسْدَ الْفَرَادِيسِ مُكْرَمُ ... فَتَسْكُنَ نَفْسِي أَمْ مُهَانٌ فَمُسْلَمُ (٢)
وَرَائِي وَقُدَّامِي عُدَاةٌ كَثِيرَةٌ ... أُحَاذِرُ مِنْ لِصٍّ وَمِنْكِ وَمِنْهُمُ (٣)
فَهَلْ لَكِ فِي حِلْفِي عَلَى مَا أُرِيدُهُ ... فَإِنِّي بِأَسْبَابِ الْمَعِيشَةِ أَعْلَمُ (٤)
إِذًا لَأَتَاكِ الْخَيْرُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ ... وَأَثْرَيْتِ مِمَّا تَغْنَمِينَ وَأَغْنَمُ (٥)

* * *

أن أقصد غيرك من الملوك مع إمكان قصدك حملنى على إيثارك بالزيارة واختصاصك بها دونهم ، ثم ضرب له المثل بالبحر وللملوك بالتراب ، وإذا حضر الماء بطل التيمم ، كما قال أبو تمام .

لبستُ سِواه أقواماً فكانوا ... كما أغْنَى التَّيَمُّمُ بالصَّعِيدِ

هذا ؛ والباء فى قوله « وزارك بى » للتعدية . تقول ؛ زرتك بزيد ، وزرتك زيدا ، وأزرت زيدا إياك .

(١) يقول : إن المسلمين جميعا مملوكون لك ، فلو كان يقبل المملوك فداء عن مالكه لم تمت مادام فى الأرض مسلم واحد ،لأنهم يفدونك بأنفسهم

(٢) يقول ـ مخاطبا أسود هذا المكان ـ : هل يكون من جاورك مكرما عزيزا فتسكن نفسى إلى جوارك ، أو يكون مهانا مخذولا ؟ والفراديس موضع بالشام . وقوله: فتسكن : جواب الاستفهام ، ومن ثم نصبه بالفاء .

(٣) يقول : إنما أطلب جوارك لآمن هؤلاء الذين أخافهم وأحذرهم .

(٤) الحلف : اسم من المحالفة ، وهى المعاهدة . يقول : هل لك رغبة فى معاهدتى على ما أريده من جوارك . فإنى أعلم منك بأسباب المعيشة والتصرف فى كسب الرزق ؟ وهذا كالترغيب لها فى جواره .

(٥) الوجهة : الجهة والناحية . وأثريت : أى كثر مالك . يقول : إن رغبت فى

وقال فى لعبة كانت تدور فسقطت عند بدر بن عمار :

مَا نَقَلَتْ فِي مَشِيئَةٍ قَدَماً وَلاَ اشْتَكَتْ مِنْ دُوَارِهَا أَلَمَا[١]
لَمْ أَرَ شَخْصاً مِنْ قَبْلِ رُؤْيَتِهَا يَفْعَلُ أَفْعَالَهَا وَمَا عَزَمَا
فَلاَ تَلُمْهَا عَلَى تَوَاقُعِهَا أَطْرَبَهَا أَنْ رَأَتْكَ مُبْتَسِماً[٢]

* * *

وخرج أبو الطيب إلى جبل حرس ، فنزل بأبى الحسين على بن أحمد المرى الخراسانى ، وكان بينهما مودة بطبرية ، فقال يمدحه :

لاَ افْتِخَارٌ إلاَّ لِمَنْ لاَ يُضَامُ مُدْرِكٍ أَوْ مُحَارِبٍ لاَ يَنَامُ[٣]

جوارى أقبل إليك الخير والرزق وكثر عندك المال ، مما تغنمينه أنت من الصيد ، وأكسبه أنا من المال والغنيمة .

(١) يقول : إنها لا تنقل قدما فى مشيتها وإرادتها : يعنى لا قصد لها ولا إرادة فى تحركها ، ولا يأخذها فى دورانها دوار فتتألم به ، لأنه لا شعور لها ولا حس ، ويروى « فى مشية » تصغير مشية .

(٢) تواقعها : أى وقوعها وسقوطها . قال ابن جنى : هذا البيت يناقض الأول ، لأنه وصفها بأنها لا تشاء ولا تحس بألم ، ثم جعلها تضطرب لابتسام الممدوح ، وليس بعيب فى صناعة الشعر لأنه مبنى على المحال .

(٣) يقول : لا فخر إلا لمن لا يظلم ، لامتناعه وقوته على دفع الظلم ، وهو إما مدرك ما طلب ، أو محارب لا ينام ولا يغفل حتى يدرك مطلوبه . هذا : وكان الوجه أن يقول لا افتخار — بفتح الراء — كما يقال : لا رجل فى الدار ، وإنما يجوز الرفع مع النفى بـ « لا » إذا عطف عليه فيرفع وينون ، فيقال : لا رجل فى الدار ولا امرأة ، ولكنه أجازه بغير عطف ، لضرورة الشعر ، أو لأنه جعل « لا » بمعنى « ليس » كبيت الكتاب :

من صدّ عن نيرانها فأنا ابنُ قيسٍ لاَ بَرَاحُ[١]

---

(١) من قصيدة عدتها خمسة عشر بيتا لسعد بن مالك أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها وشعرائها فى الجاهلية وأول القصيدة :

يا بُؤْسَ لِلحَرْب التى وَضَعَتْ أَرَاهِطَ فاسْتَرَاحُوا

وبعد البيت :

لَيسَ عَزماً ما مَرَّضَ المَرءُ فيهِ ‏ ‏ لَيسَ هَمّاً ما عاقَ عَنهُ الظَّلامُ(١)
وَاحتِمالُ الأَذى وَرُؤيَةُ جانيـ ‏ ‏ ـهِ غِذاءٌ تَضوى بِهِ الأَجسامُ(٢)
ذَلَّ مَن يَغبِطُ الذَّليلَ بِعَيشٍ ‏ ‏ رُبَّ عَيشٍ أَخَفُّ مِنهُ الحِمامُ(٣)

وجعل « من » نكرة وجر « مدرك ، أو محارب » لأنهما وصف لها ، كما يقال: مررت بمن عاقل : أى بإنسان عاقل .

(١) مرض : قصر ؛ والهم : ماهممت به فى نفسك . يقول : لايعد عزما ماقصر الإنسان فيه ، إذ العازم على الشىء لايقصر فيه ، ولا يعد همة ماحال الظلام دون طلبه ، لأن ذا الهمة لايعوقه دون إدراك طلبته شىء .

(٢) تضوى : تهزل . يقول : إن الصبر على الأذى ورؤية من يجنى عليك الأذى غذاء ينحل عليه البدن كما ينحل على الأطعمة الخبيثة ، يعنى يشق على الإنسان ذلك حتى يفضى به إلى النحول والضوى .

(٣) غبط الرجل يغبطه : إذا تمنى أن يكون مثله دون أن يتمنى زاول نعمته ، وإلا كان حسداً . والحمام : الموت ، وأخف : خبر مقدم ؛ والحمام : مبتدأ مؤخر . يقول : من عاش فى ذل فليس له عيش يغبط عليه ، ومن غبطه على ذلك العيش الذليل فهو ذليل ، لأن الموت فى العز أخف من العيش فى الذل . قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : إذا لم تتصرف النفوس فى شهواتها ومرادها ، فحياتها موت ، ووجودها عدم ؛ ومن قول تأبط شراً :

هما خُطَّتا إمّا إسارٌ وَمِنَّةٌ ‏ ‏ وإمّا دمٌ والقتلُ بالحُرِّ أجدرُ(١)

وَالحــربُ لا يبقى لجا ‏ ‏ حِمِها التَّخَيُّلُ وَالمِــرَاحُ
إلا الفتى الصَّبَّارُ فى النجـــداتِ والفــرس الوقاحُ

وقد اختارها أبو تمام فى الحماسة . وقوله: فأنا ابن قيس : أى أنا المشهور فى النجدة كما سمعت ، وأضاف نفسه إلى جده الأعلى لشهرته به ، وجملة «لابراح» حال مؤكدة لقوله أنا ابن قيس كأنه قال أنا ابن قيس ثابتاً فى الحرب ، والبراح مصدر . برح الشىء من باب تعب ، إذا زال من مكانه .

(١) من أبيات فى الحماسة يقول فيها تأبط شراً .

أقول لِلحيانٍ وقــد صفرَتْ لهم ‏ ‏ وطابِى ويومِى ضيقُ الجحر مُعْوِرُ

كُلُّ حِلْمٍ أَتَى بِغَيْرِ اقْتِدَارٍ حُجَّةٌ لَاجِىءٌ إِلَيْهَا اللِّئَامُ(١)

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيلَامُ(٢)

ضَاقَ ذَرْعًا بِأَنْ أَضِيقَ بِهِ ذَرْ عًا زَمَانِى وَاسْتَكْرَمَتْنِى الْكِرَامُ(٣)

(أراد خطتان ، فحذف النون ، طلباً للخفة)

(١) اللئيم : الخسيس ، ضد الكريم . يقول ، إن الحلم إذا لم يكن عن قدرة كان عجزا ، وهو حجة يحتج بها اللئام ، يسمون عجزهم عن مكافأة العدو حلما ، كما قال الآخر

إِنَّ مِنَ الْحِلْمِ ذُلًّا أَنْتَ عَارِفُهُ وَالْحِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكَرَمِ

(٢) يقول : إذا كان الإنسان هينا فى نفسه سهل عليه احتمال الهوان كالميت الذى لا يتألم بالجراحة ، قال بعضهم ؛ وهو من قول موسى بن جابر الحنفى — شاعر إسلامى ادرك بنى أمية — .

إذا ما علا المرء رام العُلا ويقنع بالدونِ من كان دونا

وأين هذا من ذاك ؟

(٣) زمانى ؛ فاعل ضاق ؛ والذرع ؛ الطاقة ؛ وضاق بالأمر ذرعه وذراعه ؛ أى ضعفت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مخلصا ولم يطقه ولم يقو عليه . وأصل الذرع وإنما

هما خطتا . . . . « البيت »

وبعده :

وأخرى أصادِى النفس عنها وإنها لموردُ حزم إن فعلت ومصدر

فرشتُ لها صدرى فزل عن الصفا به جُؤجؤ عبلُ ومتنٌ مُخَصَّرُ

فخالط سهلَ الأرض لم يكدح الصفا به كدحةً والموتُ خزيانُ ينظرُ

فأُبتُ إلى فهمٍ ولمْ أكُ آيباً وكمْ مثلها فارقتها وهى تصفِر

وكان بنو لحيان من هذيل أخذوا على تأبط شراً طريق جبل وجدوه فيه يجنى عسلا ولم يكن له طريق غيره ، فأقبلوا عليه وقالوا استأسر أو نقتلك ، فكره أن يستأسر وصب ما معه من العسل على الصخر ووضع نفسه عليه حتى انتهى إلى الأرض من غير طريقهم ، فصار بينه وبينهم ثلاثة أيام ونجا منهم ، فحكى الحكاية فى هذه الأبيات ، وتأمل قوله « والموت خزيان ينظر » يتجلى لك شعر الشاعر :

وَاقِفاً تَحْتَ أَخْمَصَيْ قَدْرِ نَفْسِي ... وَاقِفاً تَحْتَ أَخْمَصَيَّ الْأَنَامُ (١)

أَقَـــرَاراً أَلَذُّ فَوْقَ شَرَارٍ ... وَمَرَاماً أَبْغِي وَظُلْمِي يُرَامُ (٢)

دُونَ أَنْ يَشْرَقَ الْحِجَازُ وَنَجْدٌ ... وَالْعِرَاقَانِ بِالْقَنَـــا وَالشَّآمُ (٣)

شَرَقَ الْجَوِّ بِالْغُبَـــارِ إِذَا سَا ... رَ عَلِيُّ ابْنُ أَحْمَـــدَ الْقَمْقَامُ (٤)

الْأَدِيبُ الْمُهَذَّبُ الْأَصْيَدُ الضَّرْ ... بُ الذَّكِيُّ الْجَعْدُ السَّرِيُّ الْهُمَامُ (٥)

هو بسط اليد ، فكأنك تريد مددت يدى إليه فلم تنله . وذرعا — فى قولهم — ضاق به ذرعا — نصبوه ، لأنه خرج مفسرا محولا ، لأنه كان؛ فى الأصل ؛ ضاق ذرعى به ؛ فلما حول الفعل خرج قوله « ذرعا » مفسرا ، ومثله؛ طبت به نفسا وقررت به عينا . يقول : عجز الزمان عن أن يدخل على أمرا لا أحتمله ؛ أى لست أضيق بالزمان ذرعا وإن كثرت ذنوبه وإساآته إلى ، ثم قال: واستكرمتنى الكرام . أى وجدنى الكرام كريما صبورا على نوائب الدهر غير جزوع ، ومن قولهم استكرمت فاربط ، أى وجدت كريما فتمسك به .

(١) الأخمص . باطن القدم ، وواقفا الأولى ، حال عن ضمير المتكلم « فى البيت السابق » والثانية عن الضمير المستتر فى « واقفا » الأولى . يقول : إنه قد وقف تحت أخمص همته وقدر نفسه فى الحال التى وقف الناس فيها تحت أخمصيه . يعنى أنه وإن بلغ هذا الحد لا يزال ذلك تحت رتبة همته ، لأنها تقتضى ما هو أسمى من ذلك . وعبارة ابن جنى . نفسى عالية وإن كان جسمى يرى بين الناس ، فأنا واقف تحت قدر نفسى ، والأنام وقوف تحت إخمصى.

(٢،٣،٤) الهمزة . للاستفهام الإنكارى ، والشرار . ما تطاير من النار ، والمرام المطلب ، ويشرق يغص ، والعراقان : العراق العربى والعراق العجمى ، والقنا الرماح والشآم : الشام ، وأصله الهمزة ، والقمقام السيد ، يقول ، لا أستلذ القرار فوق شرار النار : أى لا أصبر على مقاساة الذل ، ولا أبغى مطلبا مادام ظلمى يرام ويطلب ، كأنه يقول . لا أبغى مراما مالم أدفع الظلم عن نفسى وأترك هذه المواضع غاصة بالرماح كما يغص الجو بالغبار عند ركوب هذا الممدوح . قال العكبرى ، ولعل هذه البلاد قد كانت لآبائه ــ المتنبى ــ فاغتصبت منهم ، فهو يحاول أن يستردها . . . وهذا من حماقته المعروفة ولا بد له فى كل قصيدة من مثل هذا .

(٥) الأصيد . الملك العظيم الذى لا يلتفت كبرا . والضرب . الماضى فى الأمور

وَالَّذِي رَيْبُ دَهْرِهِ مِنْ أُسَارَا ❊ وَمِنْ حَاسِدِي يدَيْهِ الْغَمَامُ[(١)]
يَتَدَاوَى مِنْ كَثْرَةِ الْمَالِ بِالْإِقْـــلالِ جُوداً كَأَنَّ مَالاً سَـــقَامُ[(٢)]
حَسَنٌ فِي عُيُونِ أَعْدَائِهِ أَقْبَـــحُ مِنْ ضَيْفِهِ رَأَتْهُ السَّوَامُ[(٣)]

وأصله الخفيف اللحم ، والجعد ، الكريم ، قالوا ، وإذا ذكر الجعد مضافا لليدين فقيل فلان جعد اليدين : كان بمعنى البخيل ، وإذا ترك بغير إضافة كان بمعنى الكريم — من الثرى الجعد ، وهو الندى — والسرى : الشريف من السرو ؛ قال الجوهرى : السرو سخاء فى مروءة ، وسرا يسرو ، وسرى — بالكسر — يسرى سرواً فيهما ، وسرو يسرو سراوة : أى صار سريا ورجل سرى : من قوم أسرياء وسرواء كلاهما عن اللحيانى ، والسراة اسم للجمع ، وليس بجمع عند سيبويه ، قال ودليل ذلك قولهم سروات . قال الشاعر :

تلقى السرى من الرجال بنفسه ❊ وابن السرى إذا سرى أسراهما

أى أشرفهما . وقولهم: قوم سراة جمع سرى : جاء على غير قياس أن يجمع فعيل على فعلة . والهمام الذى ينفذ ما يهم به .

(١) ريب الدهر ، صروفه ونوائبه . وأساراه بفتح الهمزة وضمها جمع أسرى جمع أسير . يقول ، إنه حبس صروف الدهر على مراده فلا يتمكن الدهر من إحداث شىء إلا ما يريده ولا يصيب أحدا إلا بإذنه ، وقد تخرق فى الكرم وأطلق يديه بالبذل حتى صار الغمام — السحاب — حاسدا لهما لقصوره عنهما فى البذل والسخاء

(٢) الإقلال ، قلة المال وجودا ، مفعول له ، عامله « الإقلال » أو الفعل قبله ، يقول ، كان المال لكثير سقام ، وكأن الإقلال برء ذلك السقام ، فهو يتداوى من كثرة المال بالإقلال : أى يبذل المال حتى يصير مقلا ، فيصير ذلك دواء له من الداء الذى هو الإكثار .

(٣) السوام ، الماشية ، وقوله حسن ، أى هو حسن ، وتم الكلام ، ثم قال ، وهو فى عيون أعدائه أقبح من ضيفه فى عيون ماله الراعى لأنه ينحر إبله للأضياف فهى تكرههم ، كما قال الآخر يصف الضيف .

حَبِيبٌ إلى كَلْبِ الْكَرِيمِ مُنَاخُهُ ❊ بغيضٌ إلى الكوماء[(١)] والكلبُ أبصر

---

(١) الكوماء ، الناقة الضخمة السنام

لَوْ حَمَى سَيِّداً مِنَ الْمَوْتِ حَامٍ لَحَمَاكَ الْإِجْـلَالُ وَالْإِعْظَامُ(١)
وَعَوَارٍ لَوَامِـعٌ دِينُهَا الْحِـلُّ وَلٰـكِنَّ زِيَّهَا الْإِحْرَامُ(٢)
كُتِبَتْ فِي صَحَائِفِ الْمَجْدِ بِسْمٌ ثُمَّ قَيْسٌ وَبَعْدَ قَيْسٍ السَّلَامُ(٣)

فقوله فى عيون أعدائه ، ظرف لأقبح لا « لحسن » قدمه عليه ، كقولك زيد فى الدار أحسن منك . قال ابن جنى ، ويمكن أن يكون « فى عيون أعدائه » ظرفا لحسن ، فالمعنى هو فى عيون أعدائه حسن ، إن قيل كيف يكون حسنا فى عيون أعدائه وأقبح من ضيفه إذا رأته الإبل لأنه يذبحها للأضياف فهى تكرههم؟ فجوابه أن أعداءه يرونه حسن الصورة قبيح الفعل بهم ، فهم يرونه حسنا وقبيحا، وفى الأول قبيحا لاغير

(١) لحماك الإجلال والإعظام ، أى لحماك من الموت إجلال الموت لك وإعظامه إياك فلم يجسر عليك تهيبا . وقال الواحدى . يقول : لو كان سيد محميا من الموت لحماك وحفظك منه إجلال الناس إياك ، وإعظامهم ، أى أنهم يفدونك بنفوسهم من الموت لوقبل الفداء فكنت لا تموت ؟ قال ، وقال ابن دوست ، لأنهم يهابونك فلا يقدمون عليك ، وليس المعنى فى إجلال الناس إياه ما ذكر ، لأنه ليس كل الموت القتل حتى يصح ما ذكره .

(٢) عوار ، عطف على « الإجلال » ــ فى البيت السابق ــ أى ولحماك سيوف عوار ــ مجردة ــ من الأغماد ، دينها استحلال قتل النفوس، فهى لاتتحرج من شئ ، ولكن زيها الإحرام ! أى المرى كالمحرم فى الحج ، فإنه يكون عاريا من الثياب .

(٣) يقول : كتب فى صحائف المجد بسم الله ــ وهو افتتاح الكلام ــ ثم قيس ــ وهى قبيلة الممدوح ــ ثم السلام الذى يكتب فى أواخر الكتب : يعنى أن بنى قيس قد تفردوا بالمجد ، فلا يقال لغيرهم أهل مجد . هذا ومن قال : بسم ــ بالرفع ــ أجرى « الباء » كبعض حروفها لطول صحبتها الاسم ، كما أنشد الفراء :

فلا واللهِ لا يُلْفَى لِمَا بى وَلاَ لِلِمابِهِمْ أبداً شِـفاءُ(١)

---

(١) لمسلم بن معبد الوالبى ، شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، من قصيدة أولها :

بكتْ إبلى وَحُق لها البكاء وفرقها المظالمُ والعداء

وكان سبب هذه القصيدة أن مسلما كان غائبا ، فكتبت إبله للمصدق ــ أى عامل الزكاة ــ وكان رقيع الوالبى عريفا فظن مسلم أن رقيعاً هو الذى أغرى المصدق وكان مسلم ابن أخت رقيع ، ابن عمه فقال هذه الأبيات . « انظر خزانة الأدب » ج ٢ ص ٢٦٧ سلفية » .

إِنَّمَـا مُرَّةُ بْنُ عَوْفِ بْنِ سَعْدٍ   جَمَرَاتٌ لَا تَشْتَهِيهَا النِّعَامُ(١)
لَيْلُهَا صُبْحُهَا مِنَ النَّارِ وَالْإِصْبَاحُ لَيْلٌ مِنَ الدُّخَانِ تِمَـامُ(٢)

وأنشد الآخر :

وَكَاتِبٍ قَطَّـطَ أقلاما   وَخَطَّ بِسْماً ألفـاً ولاما

ومن قال بسم ـ بالخفض ـ خفضه بالباء وأراد بسم الله ، وهذا قبيح جداً كما قال الواحدى ، أن يجعل ماليس من نفس الكلمة كالجزء منه . وقوله : وبعد قيس : من كسر السين حذف التنوين لاجتماع الساكنين ؛ ومن نصب « قيس » ذهب إلى القبيلة فلم يصرفها للتعريف والتأنيث .

(١) الجمرة : كل قبيل انضموا فصاروا يداً واحدة ولم يحالفوا غيرهم . قال أبو عبيدة : جمرات العرب ثلاثة : بنو ضبة بن أد ، وبنو الحرث بن كعب ، وبنو نمير ابن عامر . طفئت منهم جمرتان : طفئت «ضبة» لأنها حالفت الرباب، وطفئت بنو الحرث لأنها حالفت مذحج ، وبقيت نمير لم تطفأ لأنها لم تحالف ؛ وقال الجاحظ : يقال ـ لعبس وضبة ونمير ـ : الجمرات ، وأنشد لأبى حية النميرى :

لنا جمرَاتٌ لَيْسَ فى الأرض مثلُهـا   كِرَامٌ وَقَدْ جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ
نُمَيرٌ وَعَبْسٌ يُتّقى نَفيانُهـا   وضَبَّةُ قَوْمٍ بأسُهُمْ غـيرُ كَاذِبِ

وهؤلاء يسمون جمرات لشوكتهم وشدتهم ، وقد فضل المتنبى هذه القبيلة على سائر الجمرات ، إذ جعلها لاتشتهيها النعام ، لأنها قبيلة ذات بأس وشدة لاذات جمر فى الحقيقة فهى جمرات حرب ـ لا جمرات لهب ـ والنعام تشتهى جمرة النار لفرط برودة فى طبعها .

(٢) الإصباح : مصدر ، بمعنى الصبح . يقول : إنهم يوقدون نار القرى ليلا ونهارا فليلهم صبح بضوء النار التى أوقدوها للأضياف ، ونهارهم ليل بسواد الدخان إذ يستر ضياء الشمس . ويجوز أن يريد أنهم يغيرون فى النهار ويحاربون فيزول نور النهار بالغبار وهو معنى حسن ، وقد أخذه الحيص بيص فقال :

نَفَى وَاضِحَ التَّشْرِيقِ عَنْ شمسِ أرضِهِ   دُخَانُ قُدُورٍ أو عجَاجَـةُ قَسْطَلِ

وقوله تمام بكسر التاء . فليل التمام أطول ليالى الشتاء ، خصه لاشتداد ظلمته ؛ وأكثر ماجاء ليل التمام بالالف واللام والإضافة ، ولكنه أتبعه هنا للضرورة على أن المعنى تم بدونه ، وإنما أتى به لإتمام القافية .

هِمَمٌ بَلَّغَتْكُمُ رُتَبَاتٍ   قَصُرَتْ عَنْ بُلُوغِهَا الْأَوْهَامُ
وَنُفُوسٌ إِذَا انْبَرَتْ لِقِتَالٍ   نَفِدَتْ قَبْلَ يَنْفَدُ الْإِقْدَامُ(١)
وَقُلُوبٌ مُوَطَّنَاتٌ عَلَى الرَّوْ   عِ كَأَنَّ اقْتِحَامَهَا اسْتِسْلَامُ(٢)
قَائِدُو كُلِّ شَطْبَةٍ وَحِصَانٍ   قَدْ بَرَاهَا الْإِسْرَاجُ وَالْإِلْجَامُ(٣)
يَتَعَثَّرْنَ بِالرُّءُوسِ كَمَا مَرْ   رَ بِتَاءَاتِ نُطْقِهِ التَّمْتَامُ(٤)
طَالَ غِشْيَانُكَ الْكَرَائِهَ حَتَّى   قَالَ فِيكَ الَّذِي أَقُولُ الْحُسَامُ(٥)

---

(١) الانبراء التعرض للشىء ، ونفد الشىء : فنى ؛ وقبل ينفد ؛ أى قبل أن ينفد . يقول : إن نفوسهم لاتزال مقدمة فى الحرب حق تفنى وإقدامها باق على حاله ، لأنها لم تتأخر ، فنفادها قبل نفاد إقدامها ، ويجوز أن يكون المعنى أنهم يعلمون الناس الإقدام فيفنون وإقدامهم باق ؛ ويجوز أيضا أن يريد أنهم متجسمون من الإقدام ، فإذا فنيت الروح فالجسم الباقى هو الإقدام .

(٢) توطين النفس على الشىء كالتمهيد ، قال ابن سيده : وطن نفسه على الشىء وله فتوطنت : حملها عليه فتحملت وذلت له ، قال كثير :

فقلتُ لهـا يا عزَّ كلُّ مُصيبةٍ   إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النفسُ ذَلَّتِ

وأراد بالروع : الحرب . والاقتحام : الدخول فى الحرب . والاستسلام : طلب السلم والصلح . يقول : كأن دخولهم فى الحرب طلب للسلم لاسترسالهم وانبساطهم .

(٣) الشطبة : الفرس الطويلة ، وبراها : هزلها وأنحلها . وأراد براهما : أى الشطبة والحصان ، فاكتنى بضمير الأول ، كما فى قوله تعالى « والله ورسوله أحق أن يرضوه » ،

(٤) يتعثرن : أى الخيل ؛ والتمتام ، الذى يتردد لسانه بالتاء . يقول . إن خيلهم تعثر برؤوس القتلى من الأعداء كما يعثر التمتام بالتاء ، يريد : من كثرة القتلى لم يبق للخيل مجال إلا بين رؤوس القتلى .

(٥) غشيانك : إتيانك ؛ والكرائه : جمع الكريهة ، والكريهة من أسماء الحرب – فعيلة فى معنى مفعولة – . والحسام : السيف القاطع ، وهو فاعل « قال » . يقول : طال إتيانك الحروب حق إن السيف ليشهد لما أقول وأصفك به من الشجاعة

وَكَفَتْكَ الصَّفَائِحُ النَّاسَ حَتَّى قَدْ كَفَتْكَ الصَّفَائِحَ الْأَقْلَامُ(١)
وَكَفَتْكَ التَّجَارِبُ الْفِكْرَ حَتَّى قَدْ كَفَاكَ التَّجَارِبَ الْإِلْهَامُ(٢)
فَارِسٌ يَشْتَرِي بِرَازَكَ لِلْفَخْرِ بِقَتْلٍ مُعَجَّلٍ لَا يُلَامُ(٣)
نَائِلٌ مِنْكَ نَظْرَةً سَاقَهُ الْفَقْرُ عَلَيْهِ لِفَقْرِهِ إِنْعَامُ(٤)
خَيْرُ أَعْضَائِنَا الرُّءُوسُ وَلٰكِنْ فَضَلَتْهَا بِقَصْدِكَ الْأَقْدَامُ(٥)

والإقدام . يريد بشهادة السيف مابه من الفلول الدالة على كثرة الضرب ، وجعل ذلك الانفلال كالقول من السيف .

(١) الصفائح . السيوف العريضة . يقول : هاب الناس سيوفك فكفوا عنك ولم تحتج إلى قتالهم ، ثم صرت إلى أن كفتك الأقلام السيوف لما استقرلك من الهيبة فى القلوب ، وقال ابن دوست . كفتك سيوفك الناس من العساكر وغيرها حتى استغنيت عنهم ولم تحتج إليهم ؛ قال الواحدى : وهذا فيه ضعف ، لأن السيوف تحتاج إلى من يحملها ليحصل له الهيبة وهى بمجردها لا تكفيه الناس . والناس : يروى البأس .

(٢) يقول : قد جربت الأمور وعرفتها حتى لاتحتاج إلى التفكر فيها ، ثم صار الصواب ديدنك حتى صرت لاتلهم سواه ، فكفاك إلهام الله التجارب قال العكبرى . وهذا وماقبله من قول البحترى .

يَوْمَ أَرْسَلْتَ مِنْ كَتَائِبِ آرَا ئِكَ جُنْداً لَا يَأْخُذُونَ عَطَاءَ
وَيَوَدُّ الْأَعْدَاءُ لَوْ تُضْعِفُ الْجَيْ شَ عَلَيْهِمْ وَتَصْرِفُ الْآرَاءَ

(٣) البراز . المبارزة ، وهى أن يبارز الرجل قرنه . يقول : إن الفارس الذى يجعل نفسه قرينا لك ويبارزك فى الحرب ينال بذلك فخراً عظيما ، فإذا قتلته كان قد اشترى الفخر بنفسه فلا يلام عليه .

(٤) يقول : الذى ينال منك نظرة ممن ساقه الفقر إليك . أى دعاه فقره إلى زيارتك فإن للفقر منة عليه ، لأنه كان سببا لهذه النظرة .

(٥) يقول : خير أعضاء الإنسان الرأس ، لأنه مجمع الحواس ، وفيه الدماغ الذى هو محل العقل ، ولكن الأقدام صارت بقصدك أفضل من الرءوس ، لأنها كانت آلة السعى إليك ، وهذا كما قال أيضاً :

قَدْ لَعَمْرِى أقصرْتُ عَنكَ وَلِلْوَفْـــدِ ازْدِحَامٌ وَلِلْعَطَايَا ازْدِحَامُ(١)
خِفْتُ إنْ صِرْتُ فِي يمِينكَ أَنْ تأْ خُذَنِى فى هِبـاَتِكَ الْأَقْوَامُ(٢)
وَمِنَ الرُّشْدِ لَمْ أَزُرْكَ عَلَى القُرْ بِ ، عَلَى البُعْدِ يُعْرَفُ الإلْمَامُ(٣)
وَمِنَ الْخَــيْرِ بطْءُ سَيْبِكَ عَنِّى أَسْرَعُ السُّحْبِ فِى المَسِيرِ الْجَهَامُ(٤)
قُلْ فَكَمْ مِنْ جَوَاهِرٍ بِنِظَامٍ وُدُّهَا أَنَّهـَا بِفِيكَ كَلَامُ(٥)
هَابَكَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فَلَوْ تَنْهَـاهُمَا لَمْ تَجُزْ بِكَ الأيَّامُ(٦)

وإن الفِئَامَ الَّتِى حَــوْلَهُ لَتَحْسُدُ أَرْجُلَهَا الأَرْؤُس

(١) أقصر عن الشيء : تركه مع القدرة عليه . والوفد : القوم الوافدون . يقول : لم آتك حين ازدحمت عليك الوفود وازدحمت عليهم عطاياك ، وتتمة المعنى فى البيت التالى .

(٢) ذكر علة تأخره عنه ، وهى خوفه أن تأخذه الوفود فى جملة هباته . وهذا إغراق فى وصف كثرة عطاياه حتى يخاف شاعره وزائره أن يجعله من جملة تلك الهبات وهذا كقول البحترى :

ومِنْ لَوْ تَرَى فى مِلْكِهِ عُدْتَ نَائِلاً لِأَوَّلِ عَافٍ مِنْ مُرَجِّيهِ مُقْتِرِ

(٣) قوله على القرب : تم الكلام عنده ، ثم استأنف مابعده . والإلمام : الزيارة . يقول : من إصابة الرشد أنى لم أزرك وأنا قريب منك ، لأن حق الزيارة إنما يعرف إذا كانت من موضع بعيد .

(٤) البطء : اسم من الإبطاء ، وهو التأخر . والسيب : العطاء ، والجهام : السحاب الذى لاماء فيه . يقول : تأخر عطائك عنى — أى تأخر وصوله إلى بسبب تأخر زيارتى إياك — يدل على كثرة ذلك العطاء ، كالسحاب ، إنما يسرع منه ما كان جهاما — لاماء فيه — أما مايكون فيه الماء فإنه يكون ثقيل المشى :

(٥) النظام : خيط العقد ؛ وودها : مبتدأ ؛ خبره : المصدر المتصيد مما بعده . يقول — للممدوح — قل وتكلم فإن الجوهر المنظوم يتمنى أن يكون كلاما لك ، لحسن نطقك وانتظام كلماتك .

(٦) لم تجز : لم تمر يقول : إن الدهر يهابك ويأتمر بأمرك ، فلو نهيته عن المرور بك لم يمر : أى لو أمرته أن يقف لوقف .

حَسْبُكَ اللهُ مَا تَضِلُّ عَنِ الْحَقِّ ... وَمَا يَهْتَدِى إِلَيْكَ أَثَامُ(١)
لِمَ لَا تَحْذَرُ الْعَوَاقِبَ فِى غَيْـــرِ الدَّنَايَا أَمَا عَلَيْكَ حَرَامُ(٢)
كَمْ حَبِيبٍ لَا عُذْرَ فِى اللَّوْمِ فِيهِ ... لَكَ فِيـــهِ مِنَ التُّقَى لُوَّامُ(٣)
رَفَعَتْ قَدْرَكَ النَّزَاهَةُ عَنْهُ ... وَثَنَتْ قَلْبَكَ الْمَسَاعِى الْجِسَامُ(٤)
إِنَّ بَعْضاً مِنَ الْقَرِيضِ هُـــذَاءٌ ... لَيْسَ شَيْئاً وَبَعْضُهُ أَحْكَامُ(٥)

---

(١) الأثام — كسلام — جزاء الإثم، قال تعالى « يلق أثاما » وهو هنا الإثم يقول: كافيك الله، أى هو الذى يكفيك كل شر وغائلة، فأنت مع الحق لاتضل عنه، ولا يجد الإثم سبيلا إليك؛ لأنك لاتأتى ما تأثم به لعصمة الله إياك.

(٢) الدنايا. النقائص. و« أما عليك حرام — » وهى رواية ابن جنى —: يعنى ما بالك لا تحذر عاقبة شىء سوى الدنايا؛ أما عليك شىء محرم تتق عاقبته؟ وكأن هذا تأكيد لما ذكره فى البيت السابق، يعنى أن المحرمات مصروفة عنه بعصمة الله له، فلا يتهيأ له إتيانها، فلم يبق عليه ما يخشى عاقبته إلا الدنايا وروى غيره: وماعليك حرام، بأوالعاطفة وجعل « ما » موصولة معطوفة على « الدنايا » أى ماهو حرام، قال الواحدى: يعنى أنه يقدم على المهالك وكل شىء، لايتفكر فى عاقبة شىء إلا ما كان من دنيئة أو شىء حرام فإنه لا يقدم عليه، يريد لم تفعل ذلك؟ قال اليازجى: وهذا يصح لولا هذا الاستفهام، وإلا فهو تعجب فى غير محله، وحاصله الإنكار لا المدح، كما يظهر بالتأمل وقال ابن القطاع. لم تلق نفسك فى المهالك؟ أو ماتظن أن ذلك حرام؟ يشير إلى شجاعته، وعبارة ابن جنى ـ الذى روى؟« أما عليك حرام؟ » . يعنى لإفراطك فى توقى الدنايا صار كأنه لاحرام عليك غيرها. يعنى أنه لايفكر فى عاقبة شىء سوى الدنايا، فكأنه لم يحرم عليه شىء.

(٣) يصفه بتقوى الله وخشيته. يقول. كم حبيب يستحق المواصلة لتمام حسنه ولا تلام لوواصلته، لكنك مع ذلك تتركه لتقوى الله، فكأنك قد أقمت عليك من التقوى لواما يلومونك فيما لايوافق مقتضاها. وقدأكد هذا بالبيت التالى.

(٤) يقول. نزاهتك وتباعدك عن الآثام رفعا قدرك عن مواصلته، وصرفت قلبك عنه الأمور الجسام ـ العظام ـ التى تسعى فيها.

(٥) القريض. الشعر، من قرض الشىء. إذا قطعة، كأن المرء يقطعه من فكره،

مِنْهُ ما يَجْلُبُ الْبَرَاعَةُ وَالْفَضْــلُ وَمِنْهُ ما يَجْلُبُ الْبِرْسَامُ(١)

***

وورد على أبي الطيب كتاب من جدته لأمه تشكو شوقها إليه وطول غيبته عنها ، فتوجه نحو العراق ، ولم يمكنه وصول الكوفة على حالته تلك ، فانحدر إلى بغداد ، وكانت جدته قد يئست منه ، فكتب إليها كتاباً يسألها المسير إليه ، فقبلت كتابه ، وحمت لوقتها سروراً به ، وغلب الفرح على قلبها فقتلها ، فقال يرثيها :

أَلاَ لاَ أُرِى الْأَحْدَاثَ حَمْداً وَلاَ ذَمَّا فَما بَطْشُها جَهْلاً وَ لاَ كَفُّها حِلْمَا(٢)

والتقريض : صناعة القريض ، وفى المثل : حال الجريض دون القريض ، الجريض : الغصص ؛ والقريض . الشعر ، وهذا المثل لعبيد بن الابرص ، قاله المنذر حين أراد قتله فى يوم بؤسه فقال له : أنشدنى من قولك فقال عند ذلك : حال الجريض دون القريض ؛ وقال الجوهرى . القريض قول الشعر خاصة يقال قرضت الشعر أقرضه إذا قلته والشعر قريض ، قال ابن برى . وقدفرق الأغلب العجلى بين الرجز والقريض بقوله .

أرجزاً تُرِيدُ أَمْ قريضاً كِلَيْهِمَا أَجِيدُ مُسْتَرِيضاً

« مستريضاً أى واسعاً ممكنا من استراض المكان أى فسح واتسع » وهذى يهذى هذاء وهذيانا : إذا قال قولا لاطائل له . والأحكام : جمع حكم بمعنى حكمة ، والبيت من الحديث : « إن من الشعر لحكما »أى حكمة .

(١) منه : أى من القريض — الشعر — مايجلبه الفضل والبراعة : أى ما يكون عن فضل ومعرفة وتفوق ، ومنه ما يجلبه البرسام أى ما يكون عن مرض وهذيان . فقوله مايجلب : أى مايجلبه . والبرسام علة معروفة يقال برسم : إذا خلط فى مرضه .

(٢) الأحداث : نوب الدهر ومصائبه . والبطش : الأخذ بغلبة وقوة . يقول : لا أحمد الحوادث السارة ولا أذم الضارة ؛ فإنها إذا بطشت بنا أو آذتنالم يكن ذلك جهلا منها ، وإذا كفت عن البطش والضرر لم يكن ذلك حلما يعنى أن الفعل فى جميع ذلك ليس لها ، وإنما تنسب الأفعال إليها استعارة ومجازا .

إلَى مِثْلِ مَا كَانَ الْفَتَى مَرْجِعُ الْفَتَى ... يَعُودُ كَمَا أُبْدِى وَيُكْرِى كَمَا أَرْمَى (١)
لَكِ اللهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَبِيبِهَا ... قَتِيلَةِ شَوْقٍ غَيْرِ مُلْحِقِهَا وَصْمَا (٢)
أَحِنُّ إلَى الْكَأْسِ الَّتِي شَرِبَتْ بِهَا ... وَأَهْوَى لِمَثْوَاهَا التُّرَابَ وَمَا ضَمَّا (٣)

---

(١) أبدى : هى أبدئ : أى أبدأه الله : أى خلقه ، فأصله الهمز ، ولينه للضرورة ؛ وأكرى الشىء : نقص . وأرمى : أربى وزاد. يقول : إن كل واحد يرجع إلى مثل ما كان عليه من العدم ويعود إلى حالته الأولى كما أبدئ وينقص ماحدث فيه من الحياة كما زاد ؛ وإذن لاذنب للحوادث حتى أذمها أو أحمدها . هذا : وأكرى ـ كما أنه بمعنى زاد ـ أتى بمعنى نقص ، فهو من الأضداد ، يقال أكرى الرجل : قل ماله أو نفد زاده وقد أكرى زاده : أى نقص ، قال لبيد :

كَذِى زَادٍ مَتَى مَا يُكْرِ مِنْهُ ... فَلَيْسَ وَرَاءَهُ ثِقَةٌ بِزَادِ

وقال آخر يصف قدراً :

يُقَسِّمُ مَا فِيهَا فَإِنْ هِىَ قَسَّمَتْ ... فَذَاكَ وَإِنْ أَكْرَتْ فَعَنْ أَهْلِهَا تُكْرِى

« قسمت : عمت فى القسم ، وإن أكرت : أراد وإن نقصت ، فعن أهلها تنقص : أى القدر » .

(٢) لك الله : دعاء لها ؛ و« من » ـ من مفجوعة ـ : زائدة ، ومفجوعة ، فى موضع نصب على التمييز ؛ والوصم : العيب . وعنى بحبيبها : نفسه . يدعو لها ويقول : هى مفجوعة قتلت بسبب شوقها إليه ، وليس هذا الشوق مما يلحق بها عيبا ، لأنه شوق الأم إلى ولدها .

(٣) يريد بالكأس التى شربت بها : كأس الموت. ومثواها : مقامها . يعنى القبر . يقول : لا أحب البقاء بعدها وأحب ـ لأجل مقامها فى التراب ـ التراب وماضمه التراب يعنى شخصها أو كل مدفون فى التراب . وحبه التراب : يجوز أن يكون حبا للدفن فيه ، ويجوز أن يحب التراب لأنها فيه . هذا : والكأس مؤنثة وجمعها كئوس وأكؤس وكئاس ، قال أهل اللغة : الكأس الزجاجة ما دام فيها خمر ، فإذا لم يكن فيها خمر فهى قدح ؛ قال الله تعالى « يطاف عليهم بكأس من معين * بيضاء لذة للشاربين » وقال أمية ابن أبى الصلت :

مَا رَغْبَةُ النَّفْسِ فِى الْحَيَاةِ وَإِنْ ... تَحْيَا قَلِيلاً فَالْمَوْتُ لَاحِقُهَا

بَكَيْتُ عَلَيْهَا خِيفَــــةً فِى حَيَاتِهَا   وَذَاقَ كِلانَا ثُكْلَ صَاحِبِهِ قِدْمَا[1]
وَلَوْ قَتَلَ الْهَجْرُ الْمُحِبِّينَ كُلَّهُمْ   مَضَى بَلَدٌ بَاقٍ أَجَدَّتْ لَهُ صَرْمَا[2]

يُوشِــكُ مَن فَرَّ من منيَّتِهِ   فى بعضِ غِرَّاتِهِ يُوَافِقُهَا
من لم يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَــرَماً   للموتِ كَأْسٌ وَالْمَرْءُ ذَائِقُهَا[1]

(١) الشكل : الفقد . وقدما : قديما . يقول : كنت أبكى عليها فى حياتها خوفا من فقدها ، وضرب الدهر من ضرباته وفرق بيننا وتغربت عنها فذاق كل واحد منا ثكل صاحبه قبل الموت : قالوا : وفى المصراع الأول نظر إلى بيت الحماسة :

فيبكى إن نأوا شوقاً إليهم   ويبكى إن دَنَوْا خوف الفراق[2]

(٢) أجد : بمعنى جدد . والصرم : القطيعة . يقول : لو كان الهجر يقتل كل محب كما قتلها هجرى اقتل بلدها أيضا : يعنى أن بلدها كان يحبها لافتخاره بها لما لها عليه وعلى أهله من الإفضال ، ولكن الهجر إنما يقتل بعض المحبين دون بعض . قال بعض الشراح وقد نفى فى هذا البيت ما أثبته فى قوله :

لا تحسبُوا ربعكم ولا طَلَلَــهُ   أوَّلَ حىَّ فِرَاقُكُمْ قَتَلَهْ

---

(١) قال ابن برى : عبطة : أى شابا فى طراءته ، وانتصب على المصدر : أى موت عبطة وموت هرم ، فحذف المضاف ، وإن شئت نصبتهما على الحال : أى ذا عبطة وذا هرم فحذف المضاف أيضاً ، وأقام المضاف إليه مقامه .

(٢) من أبيات جميلة منها :

وَمَا فى الأرضِ أشقَى من محِبٍّ   وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى حُلْوَ الْمَذَاقِ
تراهُ باكِياً فِى كُلِّ حِــينٍ   مخافَةَ فُرْقَــةٍ أو لاشْتِيَاقِ
فيبكى . . . .   [البيت]

وبعده :

فتسخُن عينهُ عند التنــــائى   وَتَسْخُن عينهُ عند التلاقى

عَرَفْتُ اللَّيَالِي قَبْلَ مَا صَنَعَتْ بِنَا   فَلَمَّا دَهَتْنِي لَمْ تَزِدْنِي بِهَا عِلْمَا(١)
مَنَافِعُهَا مَا ضَرَّ فِي نَفْعِ غَيْرِهَا   تَغَذَّى وَتَرْوَى أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَظْمَا(٢)
أَتَاهَا كِتَابِي بَعْدَ يَأْسٍ وَتَرْحَةٍ   فَمَاتَتْ سُرُوراً بِي فَمُتُّ بِهَا غَمَّا(٣)
حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي السُّرُورُ فَإِنَّنِي   أَعُدُّ الَّذِي مَاتَتْ بِهِ بَعْدَهَا سُمَّا(٤)

---

(١) يقول : كنت عالما بالليالى وتفريقها بين الأحبة قبل أن تصنع بنا هذا التفريق فلما دهتنى هذه المصيبة لم تزدنى بها علما ، قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : من نظر بعين العقل ورأى عواقب الأمور قبل حلولها لم يجزع بحلولها . ومن قول أبى تمام :

حَلَّمَتْنِي زَعَمْتُمْ وَأَرَانِي   قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيماً

ومن قول بعض العرب وقد مات ولده فلم يجزع فقيل له فى ذلك ، فقال أمر كنا نتوقعه ، فلما وقع لم ننكره .

(٢) قال ابن فورجه : الضمير فى « منافعها » للمرثية : يعنى أنها قتين — قليلة الطعم — تؤثر بالطعام على نفسها فتجوع وتظمأ لتنفع غيرها ، ثم جعل المصراع الثانى تفسيراً للمصراع الأول فقال : غذاؤها وريها فى أن تجوع وتظمأ ، لأن سرورها بإطعام غيرها يقوم مقام شبعها وريها . وعلى هذا فقوله « ماضر » تقديره ماضرها ، والجار والمجرور التاليان فى موضع الحال من فاعل « ضر » وقال الواحدى : الضمير فى « منافعها » لليالى والأحداث : يعنى أن منافع الليالى فى مضرة غيرها من الناس ، ثم فسر ذلك فقال : غذاؤها وريها فى أن تجوع أيها المخاطب وتظمأ ، لولوعها بالإساءة بنا كأن ريها وشبعها فى جوعنا وظمئنا قال : وروى : نجوع ونظمأ ، بالنون على ماذكرنا من التفسير ، ويجوز أن يكون أن تجوع وأن تظمأ بالتاء خبراً عن الليالى ، والمعنى غذاؤها وريها جوعها وعطشها : أى لارى لها ولاشبع ، لأنها لاتروى ولا تشبع من إهلاك الأنفس وإزهاق الأرواح وتقدير « ماضر فى نفع غيرها » ما أثر فى نفع غيرها بالضرر كأنه قال : منافعها فى ضر غيرها .

(٣) الترحة : الاسم من الترح ؛ وهو الحزن ـ يقول : اشتد حزنى عليها فكأنى مت بها غما ، وماتت هى من شدة سرورها بحياتى بعد إياسها منى .

(٤) يقول : السرور حرام على فإنى بعد موتها بالسرور أعده سما فأتجنبه وأحرمه على نفسى .

تَعَجَّبُ مِنْ خَطِّى وَلَفظِى كَأَنَّهَا ترَى بِحُرُوفِ السَّطْرِ أَغْرِبَةً عُصْماَ(١)
وَتَلْثِمُهُ حَتَّى أَصَارَ مِــدَادُهُ مَحَاجِرَ عَيْنَيْهَا وَأَنْيَابَهَا سُحْماَ(٢)
رَقَا دَمْعُهَا ٱلْجَارِى وَجَفَّتْ جُفُونُهَا وَفَارَقَ حُبِّى قَلْبَهَا بَعْدَ مَا أَدْمى(٣)
وَلَمْ يُسْلِهَا إِلاَّ الْمَنَايَا وَإِنَّمَــا أَشَدُّ مِنَ السُّقْمِ ٱلَّذِى أَذْهَبَ السُّقْماَ(٤)

---

(١) تعجب ـ بحذف إحدى التاءين ـ أى تتعجب ، والباء من قوله « بحروف » للتجريد . والأغربة : جمع غراب . والعصم : جمع أعصم ، وهو الذى فى جناحه بياض والغراب الأعصم نادر الوجود . قال التبريزى : إنها كانت تتعجب من كتابى ـ عند رؤيته ـ حتى كأنها تنظر إلى مالا يوجد ، كالغراب الأعصم ووجه تعجبها أنه سافر عنها حتى يئست منه ، فلما نظرت إلى كتابه أكثرت النظر شغفاً به لا عجباً حقيقياً ، قال ابن جنى : شبه البياض الذى بين الأسطر بالبياض فى الغراب الأعصم .

(٢) المحاجر : ما حول العينين . وسحما : سودا . يقول: لم تزل تقبـل كتابى وتضعه على عينيها حتى صارت أنيابها وما حول عينيها سودا بمداده ـ حبره ـ هذا : ويقال لثم فاها ـ بالكسر ـ إذا قبلها ، وربما جاء بالفتح ، قال عمر بن أبى ربيعة ـ وقيل لجميل بن معمر :

قالت وعيشِ أبى وحرْمةِ إخوتى لأُنبِّهنَّ الحىَّ إنْ لم تخــرُجِ
فخرجتُ خِيفةَ أهلهــا فتبسَّمَتْ فعلمتُ أنْ يمينَها لم تُحْرَجِ
فلثَمْتُ فاهَا آخِــذاً بِقُرُونِها شربَ النزيفِ ببرْدِ ماءِ الحشرجِ(١)

(٣) رقأ الدمع والدم : انقطع ، فأصله الهمز ؛ ولكنه لينه هنا للضرورة يقول : لما ماتت انقطع ماكان يجرى من دمعها على فراقى ويبست جفونها عن الدمع وسليت عنى بعدما أدمى حبى قلبها فى حياتها .

(٤) يقول : لم يسلها عنى إلا الموت وقد ذهب به مانالها من السقم جزعاً

---

(١) النزيف : المحموم الذى منع من الماء، ونصب « شرب » على المصدر المشبه به ، لأن لما قبلها امتص ريقها ، فكأنه قال شربت ريقها كشرب النزيف الماء البارد ، والحشرج : الماء الذى يجرى على الرضراض صافيا رقيقا ، والحشرج : كوز صغير لطيف .

طَلَبْتُ لَهَا حظًّا فَفَاتَتْ وَفَاتَنِي وَقَدْ رَضِيتُ بِي لَوْ رَضِيتُ بِهَا قِسْمَا(١)

فَأَصْبَحْتُ أَسْتَسْقِي الْغَمَامَ لِقَبْرِهَا
وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَسْقِي الْوَغَى وَالْقَنَا الصُّمَّا(٢)

وَكُنْتُ قُبَيْلَ الْمَوْتِ أَسْتَعْظِمُ النَّوَى
فَقَدْ صَارَتِ الصُّغْرَى الَّتِي كَانَتِ الْعُظْمَى(٣)

على ، ولكن الذى أذهب ذلك السقم كان أشد عليها من السقم ، كما قال أبو تمام :

أقولُ وقد قالُوا استراح بمَوْتِهَا
مِنَ الكَرب رُوح الموت شرٌّ مِن الكَرْب

ومثله له :

أجارَكَ المكروهُ مِن مثله فاقرةٌ نَجّتك من فاقرةٍ(١)

(١) يقول : إنما سافرت وفارقتها لأطلب لها حظا من الدنيا ففاتتنى هى بموتها وفاتنى ذلك الحظ لأنى لم أدركه وكانت قد رضيت بى حظا من الدنيا لو كنت أنا قد رضيتها حظاً لى

(٢) استسقى : طلب السقيا ، والغمام : السحاب . والوغى : الحرب ، والقنا : الرماح ، والصم : الصلاب . يقول : بعد أن كنت أستسقى الحرب والرماح دماء الأعداء صرت أستسقى السحاب قبرها فأقول : سقى الله قبرها ــ على عادة العرب فى الدعاء للقبور بسقيا السماء ــ يعنى تركت الحرب وجدآبها واشتغلت بالدعاء لها : قالوا : وفيه نظر إلى قول الآخر :

وبرَغمِي أصبحت أمنحك الودّ وأهدِى إليكَ صوب الغمامِ

(٣) قبيل : تصغير قبل ؛ والنوى البعد . يقول : كنت قبل موتها أستعظم فراقها فلما ماتت صارت حادثة الفراق صغيرة وكانت عظيمة ، يعنى أن موتها أعظم من فراقها .

---

(١) الفاقرة : الداهية الكاسرة لفقار الظهر .

هَبِينِي أَخَذْتُ الثَّأْرَ فِيكِ مِنَ العِدَا
فَكَيْفَ بِأَخْذِ الثَّأْرِ فِيكِ مِنَ الْحُمَّى (١)

وَمَا انْسَدَّتِ الدُّنْيَا عَلَيَّ لِضِيقِهَا وَلَكِنَّ طَرْفًا لَا أَرَاكِ بِهِ أَعْمَى (٢)

فَوَا أَسَفَا أَنْ لَا أُكِبَّ مُقَبِّلًا لِرَأْسِكِ وَالصَّدْرِ اللَّذِي مُلِئَا حَزْمَا (٣)

---

(١) يقول : اجعليني واحسبيني بمنزلة من أخذ ثأرك من الأعداء لو قتلوك فكيف آخذ ثأرك من العلة التي قتلتك ، وهي العدو الذي لا سبيل إليه قالوا وفيه نظر إلى قول عمران بن حطان :

ولم يُغنِ عنكَ الموتَ يا حَمْزَ إذ أتى رجالٌ بأيديهم سُيوفٌ قَوَاضِبُ (١)

وأحسن فيه أبو الحسن التهامي :

لو كُنْتَ تُمْنَعُ خاض نَحْوَكَ فِتيةٌ مِنَّا بحارَ عواملٍ وشِفار (٢)

(٢) يقول : إنه قد صار لفقدها كالأعمى فانسدت عليه المسالك لذلك ، لا لأن الدنيا قد ضاقت .

(٣) الألف من قوله « فوا أسفا » : للندبة ؛ وأكب على الشيء : مثل انكب : أى انحنى على وجهه . واللذى : أراد اللذين ، فحذف النون لطول الاسم بالصلة ، وقيل بل هى لغة فى تثنية «اللذ» وأنشدوا على ذلك قول الأخطل :

أَبَنِي كُلَيْبٍ إنَّ عَمَّيَّ اللَّذَا كسرا القيود وفكَّكا الأغلالا (٣)

وقول الأشهب بن رميلة ـ شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام :

وإن الذى حانت بفلج دِماؤُهُم هُمُ القومُ كلُّ القومِ يا أُمَّ خالِدِ (٤)

---

(١) حمز : ترخيم حمزة ، وقواضب : قواطع :

(٢) عوامل : جمع عامل وعامل الرمح : صدره ، والمراد الرماح نفسها ، والشفار : جمع شفرة والشفرة ما عرض من الحديد وحدد ، والمراد السيوف .

(٣) يفتخر الأخطل على جرير ، وجرير من بنى كلب ، بمن اشتهر من بنى تغلب ومنهم الأخطل ، كعمرو بن كلثوم قاتل عمرو بن هند ، وأبى حنش عاصم بن النعمان قاتل شرحبيل بن الحارث بن عمرو آكل المرار يوم الكلاب الأول .

(٤) بعده :

هم ساعدُ الدهر الذى يُتقى به وماضر كف لا ينوء بساعد

وفلج : طريق تاخذ من طريق البصرة إلى اليمامة .

وَأَنْ لَا أُلَاقِىَ رُوحَكِ الطَّيِّبَ الَّذِى ... كَأَنَّ ذَكِىَّ الْمِسْكِ كَانَ لَهُ جِسْمَا (١)

وَلَوْ لَمْ تَكُونِى بِنْتَ أَكْرَمِ وَالِدٍ ... لَكَانَ أَبَاكِ الضَّخْمَ كَوْنُكِ لِى أُمَّا (٢)

لَئِنْ لَذَّ يَوْمُ الشَّامِتِينَ بِيَوْمِهَا ... فَقَدْ وَلَدَتْ مِنِّى لِأَنْفِهِمِ رَغْمَا (٣)

تَغَرَّبَ لَا مُسْتَعْظِمًا غَيْرَ نَفْسِهِ ... وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِخَالِقِهِ حُكْمَا (٤)

وَلَا سَالِكًا إِلَّا فُؤَادَ عَجَاجَةٍ ... وَلَا وَاجِدًا إِلَّا لِمَكْرُمَةٍ طَعْمَا (٥)

يَقُولُونَ لِى مَا أَنْتَ فِى كُلِّ بَلْدَةٍ ... وَمَا تَبْتَغِى مَا أَبْتَغِى جَلَّ أَنْ يُسْمَى (٦)

يقول : ما أشد حزنى أن لا أكب عليك مقبلا رأسك وصدرك اللذين ملئا حزامة وعقلا . يتأسف لغيبته لدى وفاتها وأنه لم يودعها قبل دفنها.

(١) يقول: ووا أسفى أنى لا ألقى روحك الطاهر الذى كأن جسمه أى جسم ذلك الروح — من المسك الذكى الشديد الرائحة.

(٢) الضخم : العظيم ؛ والجدة : تسمى أما ؛ يقول : لولم يكن أبوك أكرم والد لكانت ولادتك إياى بمنزلة أب عظيم تنسبين إليه : أى إذا قيل لك أم أبى الطيب قام ذلك مقام نسب عظيم لو لم يكن لك نسب .

(٣) لذ : طاب ؛ والشامت : الفرح بمصيبة عدوه . وبيومها : أى بيوم موتها ومن تجريد . يقول : إن كانوا قد شمتوا بموتها فقد خلفت منى من يرغم أنوفهم : أى يلصقها بالرغام — التراب — أى يذلهم ويقهرهم

(٤) يقول : ولدت منى رجلا تغرب عن بلاده : أى خرج عن بلده إلى الغربة لأنه لا يستعظم غير نفسه ، فأراد أن يغادر الذين كانوا يتعظمون عليه بغير استحقاق ، ولا يقبل حكم أحد عليه إلا حكم الله الذى خلقه

(٥) العجاجة : الغبار . يقول . ولا أسلك طريقا إلا قلب غبار الحرب ، ولا أستلذ طعم شىء إلا طعم المكارم : يعنى لا أجد لذتى إلا فى الحرب والمكارم .

(٦) ما أنت : قال بعض الشراح : أى ما أنت صانع . على حذف الخبر ، أوما تصنع على حذف الفعل وإبراز الضمير . وقال العكبرى. «ما» واقعة على صفات من يعقل فإذا قال ما أنت فالمراد أى شىء أنت فتقول كاتب أو شاعر أو فقيه . يقول : يقول الناس لى لما يرون من كثرة أسفارى : أى شىء أنت فإنا نراك فى كل بلدة وما الذى تطلبه ؟ فأقول لهم: إن ما أطلبه أجل من أن يذكر اسمه ، يعنى قتل الملوك والاستيلاء على ملكهم .

كَأَنَّ بَنِيهِمْ عَالِمُونَ بِأَنَّنِي ... جَلُوبٌ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعَادِنِهِ الْيُتْمَا(١)
وَمَا الْجَمْعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ فِي يَدِي ... بِأَصْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الْجَدَّ وَالْفَهْمَا(٢)
وَلَٰكِنَّنِي مُسْتَنْصِرٌ بِذُبَابِهِ ... وَمُرْتَكِبٌ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ الْغَشْمَا(٣)
وَجَاعِلُهُ يَوْمَ اللِّقَاءِ تَحِيَّتِي ... وَإِلَّا فَلَسْتُ السَّيِّدَ الْبَطَلَ الْقَرْمَا(٤)
إِذَا قَلَّ عَزْمِي عَنْ مَدًى خَوْفُ بُعْدِهِ ... فَأَبْعَدُ شَيْءٍ مُمْكِنٌ لَمْ يَجِدْ عَزْمَا(٥)

---

(١) اليتما : مفعول لجلوب ، والضمير فى « معادنه » لليتم . يقول : إن أبناء هؤلاء الذين يسألون عن حالى وسفرى كأنهم يعلمون أنى أجلب إليهم اليتم وأصيرهم يتامى بقتل آبائهم : أى فهم لذلك يبغضوننى .

(٢) الجد : الحظ والبخت . يقول : إن الفهم والعلم والعقل لا تجتمع مع الحظ فى الدنيا ، وليس الجمع بين الضدين كالماء والنار بأصعب من الجمع بين الحظ والفهم : أى فهما لا يجتمعان كما لا يجتمع الضدان ، وهذا كالتفسير لقول الحدونى :

إنَّ الْمُقَدَّمَ فى حِذْقٍ بِصَنْعَتِهِ ... أَنَّى توجَّهَ فيها فهوَ محرُومُ

وقد وفينا القول على هذا المعنى فى غير موضع من هذا الشرح .

(٣) بذبابه : أى بذباب السيف ، وإن لم يتقدم له ذكر ، لدلالة المقام . وذباب السيف حده ، والغشم : الظلم . يقول : لكننى إن لم أقدر على الجمع بين الجد والفهم أطلب النصرة بذباب السيف وأركب الظلم فى كل حال ؛ يعنى أظلم أعدائى بسيفى .

(٤) القرم فى الأصل : البعير الذى لا يحمل عليه وإنما يعد للفحلة ، وهو هنا السيد يقول ، وأحيى أعدائى يوم الحرب بسيفى : أى أجعله لهم بدل التحية ، كما قال عمرو بن معديكرب :

وخيلٍ قد دَلَفْتُ لهــا بخيلٍ ... تَحِيَّةُ بينهم ضَرْبٌ وَجِيعُ(١)

(٥) قل : يروى بالفاء وبالقاف ، فبالفاء ، يرتفع « خوف » لأنه فاعل ، وبالقاف ينتصب على المفعول له ؛ وفل السيف : ثلمه ، استعاره للعزم على تشبيهه بالسيف ،

---

(١) المراد بالخيل : الفرسان ؛ ودلفت : دنوت وزحفت ، من دلف الشيخ : إذا مشى مشيا لينا — وتحية مضاف ، وبينهم مضاف إليه مجرور بكسر النون ، لأنه ظرف منصرف . ووجيع بمعنى موجع ، والعرب تقول : تحيتك الضرب وعتابك السيف فهذا من هذا .

وَإِنِّى لَمِنْ قَـــوْمٍ كَأَنَّ نُفُوسَنَا
بِهَا أَنَفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَا (١)
كَذَا أَنَا يَادُنْيَا إِذَا شِئْتِ فَاذْهَـــبِى
وَيَا نَفْسُ زِيدِى فِى كَرَائِهِهَـــا قُدْمَا (٢)
فَلَا عَبَرَتْ بِى سَاعَةٌ لَا تُعِزُّنِى وَلَا صَحِبَتْنِى مُهْجَةٌ تَقْبَلُ الظُّلْمَا (٣)

* * *

وقال يمدح الأمير أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة ، وكان أبو محمد قد كثرت مراسلته إلى أبى الطيب من الرملة ، فسار إليه ، فلما دخل الرملة أكرمه أبو محمد فمدحه بهذه القصيدة :

والمدى : الغاية . وأبعد شىء : مبتدأ ، خبره : ممكن . يقول : إذا أضعف عزمى عن غاية خوف بعد تلك الغاية فإن الممكن وجوده لا ينال أيضا إذا لم يكن لدى طالبه عزم : يعنى لا يدرك شىء ألبتة إلا بالعزم عليه ، وإذا كنت تحتاج إلى العزم لنيل القريب وتدركه بالعزم ، فاعزم أيضاً على البعيد لتناله ولا يمنعك منه خوف بعده فإنه يقرب بالعزم ويمكن .

(١) الأنف : الاستنكاف من الشىء . يقول : إنى من قوم ديدنهم التعرض أبدا للحرب ليقتلوا ، فكأن نفوسنا ترى السكنى فى أجساد هى لحم وعظم عارا تأنف منه ، ومن ثم تتطلع لسكنى غيرها لتتخلص من هذا العار : أى تختار القتل على الحياة . قال الواحدى ولو قال : كأن نفوسهم لكان أوجه لإعادة الضمير على لفظ الغيبة ، لكنه قال نفوسنا لأنهم هم القوم الذين عناهم ، ولان هذا أمدح .

(٢) الكرائه : جمع كريهة ، فعيلة بمعنى مفعولة . يقول — للدنيا — : أنا كما وصفت نفسى لا أقبل ضيما ولا آسف لدنية فاذهبى عنى إن شئت فلست أبالى بك ؛ ويانفس زيدى قدما — أى تقدما — فيما تكرهه الدنيا من التعزز والتعظم عليها وترك الانقياد لها . قال الواحدى : وإن شئت قلت فى كرائهها — أى فى كرائه أهلها — يعنى زيدى تقدما فى الحروب ، وهى — الحروب — مكروهة عند أهل الدنيا ، ولذلك تسمى الحرب الكريهة ، فيكون الكلام من باب حذف المضاف .

(٣) يقول : لا مرت بى ساعة — لحظة — لا أكون فيها عزيزا ، ولا صحبتنى نفس تقبل أن يظلمها أحد .

أنا لائمى إن كنتُ وقتَ اللّوائم ... علمتُ بما بى بينَ تلك المَعالمِ (١)
ولكنّنى مما شُدِهتُ مُتيَّمٌ ... كسالٍ وقلبى بائحٌ مثلُ كاتِمِ (٢)
وقفنا كأنّا كلُّ وجدِ قلوبنا ... تمكّنَ من أذوادِنا فى القوائمِ (٣)
ودُسنا بأخفافِ المطىّ ترابَها ... فلا زلتُ أستشفى بلثمِ المناسِمِ (٤)

---

(١) أنا لائمى : أى أنا لائم نفسى إن كنت الخ . وأثبت ألف « أنا » : ضرورة لأنها لا تثبت لفظاً إلا فى الوقف . وقوله : وقت اللوائم : أى وقت لوم اللوائم . والمعالم أى معالم ديار الأحبة ، وهى حيث تظهر علامات الراحلين عن الديار من آثار النار والدواب والخيام . يذكر وقوفه على ديار الأحبة وما أصابه من الدهش والوجد لفرقتهم مما أذهب عقله حتى لم يشعر بما كان منه من الجزع والبكاء . يقول : إن كنت حين تلومنى اللوائم على فرط جزعى علمت ما بى وما الذى دهانى هناك ، فأنا لائمى : أى فأنا لائم نفسى فى قصور محقق ، لأن ثبات علمى وعقلى معى فى ديارهم بعد ارتحالهم دليل على أن هواى قاصر . وقال بعض الشراح : يعنى : إن كنت حين لامتنى اللوائم على فرط جزعى وبكائى علمت بما عرانى من ذلك فأنا لائم نفسى على تهتكى واستسلامى للوجد والعبرة ، يذكر وقوفه فى ديار الأحبة وما أدركه من الدهش والوجد لفرقتهم حتى انهتك ستره ولم يعلم .

(٢) شده الرجل ــ كدهش ــ فهو مشدوه : إذا تحير ، ويروى : مما ذهلت و« ما » قبله : مصدرية ، والمتيم : الذى تيمه الحب ــ أى عبده وذلله ــ يقول : ولكننى من فرط دهشتى ذهلت عن إدراك ما خامرنى من الوجد ، فصرت كالسالى ، وباح قلبى بما فيه من أسرار الغرام وهو لا يعلم بما فعل فكان كأنه باق على الكتمان ، وعبارة الواحدى : ولكنى من فرط دهشى وذهولى حتى كأنى ذهلت عن الهوى صرت كالسالى مع أنى متيم ، وباح قلبى بما فيه من الوجد وهو مع ذلك كالكاتم ، لأنه لم يقصد البوح ولا يدرى ما فعل .

(٣) الأذواد . جمع ذود ، وهو ما بين الثلاثة إلى العشرة من من الإبل . يقول : أطلنا الوقوف هناك ، فكأن ما فى قلوبنا من الوجد حل فى قوائم إبلنا ، لأنها وقفت ولم تبرح .

(٤) المناسم : جمع المنسم ، وهو الخف كالسنبك للحافر . يقول : لما وطئت الإبل تراب تلك المعالم . جعلت أطلب شفاء ما بى بلثم ــ تقبيل ــ أخفافها ، لأنه علق بها ذلك التراب ، وفيه نظر إلى قول الآخر :

دِيَارُ اللَّوَاتِى دَارُهُنَّ عَزِيزَةٌ ... بِطُولِ الْقَنَا يُحْفَظْنَ لاَ بِالتَّمَائِمِ (١)
حِسَانُ التَّثَنِّى يَنْقُشُ الْوَشْىُ مِثْلَهُ ... إِذَا مِسْنَ فى أَجْسَامِهِنَّ النَّوَاعِمِ (٢)
وَيَبْسِمْنَ عَنْ دُرٍّ تَقَلَّدْنَ مِثْلَهُ ... كَأَنَّ التَّرَاقِى وُشِّحَتْ بِالْمَبَاسِمِ (٣)
فَمَالِى وَلِلدُّنْيَا طِــلاَبِى نُجُومُهَا ... وَمَسْعَاىَ مِنْهَا فى شُدُوق الْأَرَاقِمِ (٤)

أَمْسَحُ الرَّبْعَ بِخَدِّي ... أَنْ مَشى فيهِ الخليلُ

(١) القنا : الرماح . والتمائم : جمع تميمة ، العوذة . يقول : ديارهن منيعةلايتوصل إليها ، وهن يحفظن بالرماح لا بالعوذ .

(٢) الوشى: النقش فى الثوب وهىالثياب المنقوشة.و«مسن» تبخترن. يقول :لنعومة أبدانهن ورقتهن إذا مشين متبخترات ينقش الوشى فى جلودهن مثل صورته ، كما قال السرى الرفاء :

رَقَّتْ عَنِ الوَشْيِ نَعْمَةً فإذا ... صافَحَ مِنْهَا الْجُسُومَ وَشَّاها

وفى مثل هذا يقول الآخر :

رَقَّ فَلَوْ مَرَّتْ به نَمْلَةٌ ... مُنْعَلَةٌ أرْجُلُها بالحريرْ
لأَثَّرَتْ فيه كما أثَّرَت ... مُدامةٌ فى عارِضٍ مُسْتَديرْ

« العارض : الخد »

(٣) التراقى : جمع ترقوة ، وهى العظام التى فوق الصدر . والمباسم : جمع المبسم ، الثغر . يقول : إن ثغورهن فى الصفاء وحسن النظم مثل الدر الذى تقلدنه،فكأن تراقيهن حليت بثغورهن ، وفى مثل هذا يقول الآخر :

تلكَ الثَّنايَا مِنْ عِقْدِها نُظِمَتْ ... أَمْ نُظِمَ العِقْدُ مِنْ ثَنَاياها

(٤) طلابى : أى مطلوبى ، مبتدأ ، خبره : نجومها . والأراقم : ذكور الحيات . يشكو الدنيا وأنها لا تسعفه ولا تحقق ما يطلبه . يقول : مالى وللدنيا أطلب معالى الأمور وأنا مرتبك فى نوائبها وخطوبها ؟ يعنى أن الدنيا عكست عليه الأمر ، هو يطلب المعالى وهى تدفعه عنها بما توقعه فيه من النوائب . وكنى بنجوم الدنيا عما فيها من الشرف والمجد والذكر . وبشدوق الأراقم عن الخطوب المهلكة والنوائب المفظعة .

مِنَ الْحِلْمِ أنْ تَسْتَعْمِلَ الْجَهْلَ دُونَهُ
إذَا اتَّسَعَتْ فِي الْحِلْمِ طُرْقُ الْمَظَالِمِ (١)

وَأنْ تَرِدَ الْمَاءَ الَّذِي شَطْرُهُ دَمٌ
فَتُسْقَى إذَا لَمْ يُسْقَ مَنْ لَمْ يُزَاحِمِ (٢)

وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا
وَبِالنَّاسِ رَوَّى رُمْحَهُ غَيْرَ رَاحِمِ (٣)

فَلَيْسَ بِمَرْحُومٍ إذَا ظَفِرُوا بِهِ
وَلَا فِي الرَّدَى الْجَارِي عَلَيْهِمِ بِآثِمِ (٤)

---

(١) الحلم : الأناة والعقل . الجهل — هنا — نقيض الحلم . والمظالم : جمع المظلمة — بكسر اللام — وهى الظلم . يقول : إذا كان حلمك داعيا إلى ظلمك ، فإن من الحلم أن تجهل لأن الحلم إنما يلجأ إليه لتدارك الشر ، فإذا تفاقم به الشر ولم يتدارك الشر إلا بالجهل كان الجهل حلما ، كما قال النابغة الجعدى :

فَلَا خيرَ فى حِلمٍ إذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوادِرُ تَحمِي صَفْوَه أنْ يُكَدَّرَا

وهذا معنى قد تداوله الناس من قديم ؛ قال العكبرى : وهو من كلام الحكيم : ثلاثة إن لم تظلمهم ظلموك : ولدك ،وزوجتك ، وعبدك: فسبب صلاحهم التعدى عليهم .

(٢) شطره : نصفه . يقول ومن الحلم أن ترد الماء الذى كثر القتل عليه حتى امتزج بدماء المقتولين عليه . يعنى أن تزاحم على الامر المتنافس عليه . وبعبارة أخرى . من الحلم أن تزاحم من يزحمك حتى ترد الماء وقد كثر عليه القتل والقتال حتى صار نصفه من دم القتلى، فتشرب منه حيث لا يمكن أن يشرب إلا الهجوم الذى يزاحم الناس . وهذا المعنى ينظر إلى قول القائل :

لَا يَشْرَبُ الماءَ إلاّ من قَلِيبِ دَمٍ وَلَا يَبِيتُ لَهُ جارٌ عَلَى وَجَلِ

(٣) و (٤) يقول : من عرف الناس حق المعرفة — كمعرفتى أنا بهم — قتلهم غير راحم لهم ، لأنهم إذا ظفروا بمن عرفهم لم يرحموه ، فإذا قتلهم — والحالة هذه — فلا إثم عليه ، على أنه إن لم يبادر بقتلهم فإنهم ميتون ألبتة حتف أنوفهم . وهذا هو مغزى قوله : « الردى الجارى عليهم ».

إِذَا صُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَصَالاً لِصَائِلٍ ... وَإِنْ قُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَقَالاً لِعَالِمِ (١)

وَإِلاَّ فَخَانَتْنِي القَوَافِي وَعَاقَنِي ... عَنِ ابْنِ عُبَيْدِ اللهِ ضُعْفُ العَزَائِمِ (٢)

عَنِ المُقْتَنِي بَذْلَ التِّلاَدِ تِلاَدَهُ ... وَمُجْتَنِبِ البُخْلِ اجْتِنَابَ المَحَارِمِ (٣)

تَمَنَّى أَعَادِيهِ مَحَلَّ عُفَاتِهِ ... وَتَحْسُدُ كَفَّيْهِ ثِقَالُ الغَمَائِمِ (٤)

وَلاَ يَتَلَقَّى الحَرْبَ إِلاَّ بِمُهْجَةٍ ... مُعَظَّمَةٍ مَذْخُورَةٍ لِلْعَظَائِمِ (٥)

---

(١) صال عليه : وثب واستطال ، يريد أنه بلغ الغاية فى الشجاعة والعلم ، فإذا صال أو قال أو فى على الغاية وكفى غيره ، وكان المقدم الذى لا يجارى ولا يشق له غبار .

(٢) يقول : وإن كنت كاذبا فيما قلت فلا وفت لى القوافى ـ أى الشعر ـ حتى أعجز عن نظمها ، وضعفت عزيمتى فى قصد الممدوح حتى يعوقنى عنه ضعف عزمى : أى فلا أصل بقعودى عنه إلى المطلوب ، ويكون حرمانى من إفضاله كالعقوبة لى على ذلك .

(٣) التلاد والتليد : المال القديم الموروث ، نقيض الطارف والطريف . يقول : عن الذى يحرص على بذل ماله التالد كما يحرص غيره على حفظ تلاده . وعبارة الواحدى : أى عن الذى يدخر البذل مالا فيقوم بذل ماله مقام مايقتنيه ؛ يعنى أنه يلازم البذل ملازمة المال المقتنى . وعبارة الخطيب التبريزى : أى إلى الجاعل بذل التلاد تلاداً له يهب التلاد ويجعل بذله تلاداً له ، هذا : وخص « التلاد » لأنه إذا كان هذا فعله بالمال القديم ، فكيف بالحادث ؟

(٤) تمنى ـ بحذف إحدى التاءين ـ أى تتمنى ؛ والعفاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف . والغمائم : السحائب ، وأراد بكونها ثقالا : أن ماءها كثير . يقول : إن أعداءه يتمنون أن يكونوا فى مكان عفاته منه ، لأن عفاته منه فى أمان من نوائب الدهر ، وهذا أقصى مايتمناه أعداؤه . ويجوز أن يكون المعنى : أن عفاته يغيرون على أمواله ويترفهون فى نعمائه ، وهذا مايتمناه أعاديه ، ثم قال : إن السحاب المثقل بالماء يحسد كفيه ، لأنهما أندى منه ، فلهذا يحسدهما لعجزه عن إدراكهما .

(٥) المهجة : النفس . يقول : ولا يستقبل الحرب إلا بنفس مرفوعة عن الدنايا لا تسف لأمر دنىء ، وهى مدخرة لكفاية الأمور العظيمة التى لا تكفى إلا بمثله .

وَذِى لَجَبٍ لاَذُو الْجَنَاحِ أَمَامَهُ ... بِنَاجٍ وَلاَ الْوَحْشُ الْمُثَارُ بِسَالِمِ (١)

تَمُرُّ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَهْىَ ضَعِيفَةٌ ... تُطَالِعُهُ مِنْ بَيْنِ رِيشِ الْقَشَاعِمِ (٢)

إِذَا ضَوْؤُهَا لاَقَى مِنَ الطَّيْرِ فُرْجَةً ... تَدَوَّرَ فَوْقَ الْبَيْضِ مِثْلَ الدَّرَاهِمِ (٣)

(١) وذى لجب : عطف على مهجة ، أى ولا يتلق الحرب إلا بجيش ذى لجب الخ. واللجب : اختلاط الأصوات . والمثار : الذى أثاره الخوف من مكمنه . قال ابن فورجه : المعنى عندى أن هذا الجيش جيش ملك تصحبه الفهود والبزاة والكلاب ، فلا الطائر يسلم منه ولا الوحش ، قال : ونكت بقوله « المثار » ، فإن الجيش الكثير يثير ما كمن من الوحوش ، لأجل ذلك قال مالك بن الريب :

بِجَيْشٍ لُهَامٍ يَشْغَلُ الْأَرْضَ جَمْعُه ... عَلَى الطَّيْرِ حَتَّى مَا يَجِدْنَ مَنَازِلاَ

وقال التبريزى . إذا طار ذو الجناح أمامه فليس بناج لكثرة الرماة فى الجيش ، وأن ثار وحش أخذ ، وقال ابن جنى : الجيش يصيد الوحوش والعقبان فوقه تسايره :

* ثِقَةً بالشِّبْعِ مِنْ جَزَرِه *

فتخطف الطير أمامه ؛ قال ابن فورجه ـ ناقداً ـ : صيد الطير بالنبل والسهام مستمر معتاد ، فلم نسبه إلى العقبان ولا مدح فى ذلك من فعلها ، فإنها تصيد الطير وإن لم تصحب جيش الممدوح .

(٢) القشاعم : النسور . يقول : تمر الشمس على هذا الجيش وهى ضعيفة من شدة غباره أو من كثرة عقبانه التى تحيم عليه وتتبعه ، ولا ينفذ ضوؤها إليه إلا من خلال ريش النسور ، وهو ما ذكره فى البيت التالى .

(٣) الفرجة ـ بضم الفاء ـ الخلل بين الشيئين : أى الانفراج ، أما بفتح الفاء فهى التفصى من الهم ونحوه ، قال أمية بن أبى الصلت :

لا تَضِيقَنَّ فِى الْأُمُورِ فَقَدْ تُكْـ ... ـشَفُ غَمَّاؤُها بغَـيْرِ احْتِيَالِ

رُبَّمَا تَكْرَه النُّفُوسُ مِنَ الْأَ ... مرِ لَهُ فرجـةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ

والبيض : جمع بيضة ؛ وهى الخوذة ، شبه ما يتساقط من الضوء فى فرج أجنحة الطير بالدراهم ، وشبهه فى موضع آخر بالدنانير ، وهو قوله :

وَأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِى ثِيَابِى ... دَنَانِيراً تَفِرُّ من الْبَنَانِ

يريد هنا أنه لكثرة اشتباك أجنحة الطير فوقه لا يصل إليه ضوء الشمس إلا من منافذ ضيقة فيقع مستديرا .

وَيَخْفَى عَلَيْكَ الْبَرْقُ وَالرَّعْدُ فَوْقَهُ مِنَ اللَّمْعِ فِي حَافَاتِهِ وَالْهَمَاهِمِ (١)
أَرَى دُونَ مَا بَيْنَ الْفُرَاتِ وَبَرْقَةٍ ضِرَاباً يُمَشِّي الْخَيْلَ فَوْقَ الْجَمَاجِمِ (٢)
وَطَعْنَ غَطَارِيفٍ كَأَنَّ أَكُفَّهُمْ عَرَفْنَ الرُّدَيْنِيَّاتِ قَبْلَ الْمَعَاصِمِ (٣)
حَمَتْهُ عَلَى الْأَعْــدَاءِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ سُيُوفُ بَــنِي طُغْجِ بْنِ جُفَّ الْقَمَاقِمِ (٤)
هُمُ الْمُحْسِنُونَ الْكَرَّ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى وَأَحْسَنُ مِنْهُ كَرُّهُمْ فِي الْمَكَارِمِ (٥)

---

(١) حافاته : جوانبه . والهماهم : جمع همهمة . وهو صوت يتردد فى الصدر لا يفهم يقول : لكثرة ما فى ذلك الجيش من بريق الأسلحة ولمعانها يخفى عليك البرق إذا برقت السماء فلا تعرفه لغلبة ضوئها عليه ، ولكثرة ما فيه من الأصوات وشدتها يخفى عليك الرعد .

(٢) الفرات : النهر المعروف ؛ وبرقة : قريه فى العراق . يقول : أرى دون وصول الأعداء إلى هذا الموضع محاربة بالسيوف يكثر فيها قطع الرؤوس حتى تطأها الخيل فتمشى فوق جماجم القتلى .

(٣) طعن : عطف على « ضرابا » . والغطاريف : جمع غطريف ، وهو السيد الكريم . والردينيات : جمع رديني ، وهو الرمح ، نسبة إلى ردينة ، امرأة من العرب كانت تقوم الرماح ، والمعاصم : جمع معصم . وهو موضع السوار من الساعد . يصف قوم الممدوح يقول : لحذقهم بالطعان كأنهم عرفوا الرماح قبل أن تشد على سواعدهم : أى فى طفولتهم .

(٤) الضمير فى « حمته » : عائد على «ما بين الفرات وبرقة » . وطغج بن جف : جد الممدوح — قال ابن جنى : والأجود أن تكسرهما وتحذف التنوين لا لتقاء الساكنين . وطغج — فى الأصل — بضم الغين ، وإنما غيره لأن العرب إذا نطقت بالأعجمى اجترأت على تغييره كيف شاءت . والقماقم : جمع قمقام ، وهو السيد المعظم ؛ وأصله البحر ، وكان حق الجمع « قماقيم » ولكنه حذف الياء ضرورة . يقول : جعلت سيوفهم هذا المكان حمى على الأعداء فلا يحومون حوله ولا يستطيع أحد أن يصل إليه من أية ناحية من نواحيه لمكانهم — بنى طغج — من القوة والشجاعة .

(٥) الكر : الرجوع على العدو بعد الفر ، للجولان فى الحرب ، وحومة كل شىء معظمه . والوغى : الحرب . يقول : إنهم يكرون فى الحرب على أعدائهم ، وكذلك يعودون

وَهُمْ يُحْسِنُونَ ٱلْعَفْوَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ ... وَيَحْتَمِلُونَ ٱلْغُرْمَ عَنْ كُلِّ غَارِمِ (١)

حَيِيُّونَ إِلَّا أَنَّهُمْ فِي نِزَالِهِمْ ... أَقَلُّ حَيَاءً مِنْ شِفَارِ ٱلصَّوَارِمِ (٢)

وَلَوْلَا ٱحْتِقَارُ ٱلْأُسْدِ شَبَّهْتُهَا بِهِمْ ... وَلَٰكِنَّهَا مَعْدُودَةٌ فِي ٱلْبَهَائِمِ (٣)

سَرَى ٱلنَّوْمُ عَنِّي فِي سُرَايَ إِلَى ٱلَّذِي ... صَنَائِعُهُ تَسْرِي إِلَى كُلِّ نَائِمِ (٤)

إِلَى مُطْلِقِ ٱلْأَسْرَى وَمُخْتَرِمِ ٱلْعِدَا
وَمُشْكِي ذَوِي ٱلشَّكْوَى وَرَغْمِ ٱلْمُرَاغِمِ (٥)

فى المكارم فيضاعفونها ، فهم يفعلون ذلك مرة بعد مرة ولا يقتصرون فى الأمرين على مرة واحدة .

(١) الغرم : مايلزم الرجل أداؤه من دية أو ضمان أو غير ذلك ؛ والرجل غارم : أى لزمه ما يغرم عنه .

(٢) الشفار : جمع شفرة ، وهى حد السيف ، والصوارم السيوف القواطع : يقول هم حييون إلا فى وقت الحرب ، فإنهم فيها صفاق الوجوه لا يلينون لأقرانهم . وهذا من قول بكر بن النطاح :

يتلقَّى النَّدَى بِوَجْـــهٍ حَيِيٍّ ... وصدور القنـــا بوَجْهٍ وَقَاحِ

(٣) قال العكبرى يقول: الأسد ـ وهى جمع أسد ـ معدودة من البهائم ، ولولا ذلك لكنت أشبهها بهم ، فأقول الأسد مثلهم ، وإنما يقع التشبيه للمفضول بالفاضل إذا كانت بينهما مناسبة ، ولا مناسبة بين هؤلاء وبين الأسود إلا بالإقدام . قال : وهذا البيت مما وقع فيه جماعة من الناس فينشدونه شبهتهم بها . وهو على الظاهر بين ، وإنما أغرب أبو الطيب .

(٤) السرى : السير ليلا . والصنائع : جمع صنيعة ، وهى المعروف . يقول:ذهب النوم عنى فى مسيرى إليه ـ الممدوح ـ وهو الذى تسير عطاياه إلى كل نائم عن قصده فضلا عمن يقصده . هذا : ويقال : سريت سرى ومسرى وأسريت ـ بمعنى ـ إذا سرت ليلا ، بالألف لغة أهل الحجاز ، وجاء القرآن العزيز بهما جميعاً ، قال تعالى : «سبحان الذى أسرى بعبده ليلا » وقال سبحانه « والليل إذا يسر » ؛ وقال حسان بن ثابت .

حَيِّ النضيرةَ رَبَّةَ الخِـــدْرِ ... أَسْرَتْ إِلَيْكَ ولم تـكُنْ تَسْرِي

(٥) اخترمهم الدهر : أهلكهم واستأصلهم . ومشكى ـ من أشكيت الرجل : إذا

كَرِيمٌ نَفَضْتُ النَّاسَ لَمَّا بَلَغْتُهُ ... كَأَنَّهُمُ مَاجَفَّ مِنْ زَادِ قَادِمِ (١)
وَكَادَ سُرُورِى لَا يَفِى بِنَدَامَتِى ... عَلَى تَرْكِهِ فِى عُمْرِىَ الْمُتَقَادِمِ (٢)
وَفَارَقْتُ شَرَّ الْأَرْضِ أَهْلاً وَتُرْبَةً ... بِهَا عَلَوِىٌّ جَدُّهُ غَيْرُ هَاشِمِ (٣)
بَلَى اللهُ حُسَّادَ الْأَمِيرِ بِحِلْمِهِ ... وَأَجْلَسَهُ مِنْهُمْ مَكَانَ الْعَمَائِمِ (٤)
فَإِنَّ لَهُمْ فِى سُرْعَةِ الْمَوْتِ رَاحَةً ... وَإِنَّ لَهُمْ فِى الْعَيْشِ حَزَّ الْغَلَاصِمِ (٥)

أزال شكواه ـ والهمزة فيه للسلب ، مثلها فى قولهم : أعتبت الرجل : أى أزلت عتبه ـ أى أرضيته ـ والرغم : القهر والإذلال ؛ والمراغم : المغاضب؛ والمراغمة : المغاضبة تقول : راغم أهله : أى نبذهم وتمرد عليهم وعاداهم . يقول : إنه يمن على الأسرى فيطلقهم من الإسار ، ويختطف الأعداء فى الحرب بسيوفه وأسنته ، ويزيل شكوى ذوى الشكوى بالإحسان إليهم ويرغم ـ يذل ـ المراغم : أى الذى يراغمه ويغاضبه .

(١) يقول : نفضت الناس لما بلغته نفض القادم حثالة زاده لاستغنائه عنها بعد القدوم وكذلك أنا : استغنيت به عن غيره .

(٢) يقول : لما اتصلت به عظم سرورى بهذا الاتصال فعظمت من أجله ندامتى على حرمانى من الاتصال به فيما مضى من عمرى حتى كاد هذا السرور لا يفى بذلك الندم . قالوا : وهذا المعنى مثل قول أبى فراس :

أيامُ عزِّى ونفاذِ أمْـرِى ... هِىَ التى أحْسَبُهَا مِن عُمرِى

(٣) شر الأرض : قال ابن جنى : هى طبرية، وفيها أعداء أبى الطيب الذين قال فيهم

أتانى وعيد الأدعياء . . . . « البيت »

وتربة : عطف على « شر الأرض » وجملة « بها علوى » : نعت لتربة . يقول : لما اتصلت به فارقت أرضاً أهلها شر الأهل ، وتربة رجل يدعى نسبه إلى على وليس من ولده ، فليس بشريف .

(٤) يقول : ابتلى الله حساده بحلمه حتى لا يقتلهم ، ورفعه فوقهم حتى يكون منهم مكان عمائمهم ؛ وذلك أن بقاءهم أصعب عليهم من الموت، لأنهم يعيشون فى ذلة وخوف كما بين ذلك فى البيت التالى .

(٥) الغلاصم : جمع غلصمة ، وهى الموضع الناتئ فى الحلق ، وقيل اللحم الذى بين الرأس والعنق . يقول : سرعة الموت راحة لهم من حسدهم ، لأن فى عيشهم وبقائهم موتا يتجدد على مر اللحظات .

كَأَنَّكَ مَا جَاوَدْتَ مَنْ بَانَ جُودُهُ ... عَلَيْكَ وَلَا قَاتَلْتَ مَنْ لَمْ تُقَاوِمِ (١)

* * *

وأقسم عليه أبو محمد أن يشرب فأخذ الكأس وقال ارتجالا :

حُيِّيتَ مِنْ قَسَمٍ وَأَفْدِي الْمُقْسِمَا ... أَمْسَى الْأَنَامُ لَهُ مُجِلًّا مُعْظِمَا (٢)

وَإِذَا طَلَبْتُ رِضَا الْأَمِيرِ بِشُرْبِهَا ... وَأَخَذْتُهَا فَلَقَدْ تَرَكْتُ الْأَحْرَمَا (٣)

* * *

وحدث أبو محمد عن مسيرهم فى الليل لكبس بادية وأن المطر أصابهم فقال :

غَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ لَكَ الْإِقْدَامُ ... فَلِمَنْ ذَا الْحَدِيثُ وَالْإِعْلَامُ

قَدْ عَلِمْنَا مِنْ قَبْلُ أَنَّكَ مَنْ لَمْ ... يَمْنَعِ اللَّيْلُ هَمَّهُ وَالْغَمَامُ (٤)

* * *

---

(١) جاودنى : غالبنى فى الجود فجدته . أى كنت أجود منه . قال الواحدى : هذا تعريض بالذين يبارون الممدوح فى الجود والشجاعة من حساده . يقول : أيها الإنسان الذى تباريه فى الجود ويظهر عليك جوده ، كأنك ما جاودته ، لأن الفضل والغلبة له عليك ، وكأنك لم تقاتل من لم تقاومه فى الحرب ، لأن من غلبك فى الحرب لم تنفعك محاربتك إياه . والمعنى أن مفاخرتهم ـ أى حساده ـ إياه ـ الممدوح ـ لا تنفعهم إذ كانت الغلبة له .

(٢) الخطاب فى « حييت » : للقسم ؛ ومن قسم : فى محل نصب على التمييز و« من » زائدة . وقوله أمسى الأنام له : فى موضع الحال من المقسم ؛ ولك أن تجعلها فى موضع خفض على الصفة للقسم ، فيكون الضمير فى « له » عائدا على القسم ، لا للمقسم .

(٣) يقول : إن شربها حرام ؛ وعصيان الأمير حرام ، لكن عصيانه أحرم من شربها فإذا شربها وترك عصيانه فقد ترك الأحرم .

(٤) همه : ما يهم به .

وقال وقد كبست أنطاكية فقتل مهره الطخرور والحِجْرُ أمه :

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومٍ ... فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ (١)

فَطَعْمُ المَوْتِ فِي أَمْرٍ صَغِيرٍ ... كَطَعْمِ المَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمِ (٢)

سَتَبْكِي شَجْوَهَا فَرَسِي وَمُهْرِي ... صَفَائِحُ دَمْعُهَا مَاءُ الجُسُومِ (٣)

قَرَيْنَ النَّارَ ثُمَّ نَشَأْنَ فِيهَا ... كَمَا نَشأَ العَذَارَى فِي النَّعِيمِ (٤)

---

(١) المغامرة : الدخول فى المهالك ؛ والغمرات : الشدائد . وفى شرف : أى فى طلب شرف . ومروم : مطلوب . يقول : إذا حاولت الشرف وخاطرت بنفسك فى سبيل الحصول عليه فلا تقنع بما دون أعلاه ؛ ولا ترض باليسير منه .

(٢) يقول : إن طعم الموت فى الأمر الهين كطعمه فى الأمر الشديد الصعب، وإذن فلا سبيل للمغامر إلا أن يقصد أسمى الامور .

(٣) صفائح : فاعل « تبكى » ؛وفرسى مفعول ، والشجو : الحزن، وهو مصدر وضع موضع الحال ، على تقدير مشجوة شجوها ؛ ثم حذف العامل وأقيم المصدر مقامه ، على حد قوله تعالى « وأقسموا بالله جهد أيمانهم » والضمير : للصفائح أيضاً ؛والصفائح جمع؛ صفيحة ، السيف العريض . وماء الجسوم كناية عن الدم يقول : ستبكى حزناعلى فرسى ومهرى سيوف دمعها الدماء ؛ يشير إلى أنه سيقتل من قتلهما فتكون دماء قتلاه التى تقطر من سيوفه دموعا تبكى بها سيوفه . وكل هذا مجاز واستعارة ــ كما ترى ــ والمعنى : أنه سيقتل من قتل فرسه ومهره .

(٤) قرين ــ من قولهم قربت الإبل الماء : إذا وردته صبيحة ليلها ــ قال الواحدى: يريد أن السيوف وردت النار . وهذا قلب للمعهود ، لأن القرب إنما يستعمل فى ورود الماء ، فجعل النار لهذه السيوف كالماء الذى ترده الشاربة ، والنار تهلك وتفنى ، وقد أنمت هذه السيوف وربتها تربية النعيم للعذارى ، يريد أنها تخلصت من الخبث وحسنت صنعتها بحسن تأثير النار فى تخليصها ، وإنما طبعت وصارت سيوفا ــ بعد أن كانت زبراً ــ قطعا ــ بالنار ، فذلك نشاؤها نشاء العذارى فى النعيم ، وقرين : هى رواية ابن جنى وتروى قرين ــ من القرى : ــ ما يقرى به الضيف ــ أى جعلت النار قرى لها فنشأن بحسن القرى ؛ وتروى : قرين النار ــ بالبناء للمعلوم ــ جعل السيوف بما تؤديه إلى النار من الخبث قارية لها. وكان حكم النماء أن يكون للمقرى ــ لا للقارى ــ فعكس موجب القرى بأن جعل النشاء ــ النشء ــ للقارى .

وَفَارَقْنَ الصَّيَاقِــلَ مُخْلَصَاتٍ وَأَيْدِيهَا كَثِيرَاتُ الْكُلُومِ (١)
يَرَى الْجُبَنَاءُ أَنَّ الْعَجْزَ عَقْلٌ وَتِلْكَ خَدِيعَةُ الطَّبْعِ اللَّئِيمِ (٢)
وَكُلُّ شَجَاعَةٍ فِي الْمَرْءِ تُغْنِي وَلاَ مِثْلَ الشَّجَاعَةِ فِي الْحَكِيمِ (٣)
وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلاً صَحِيحاً وَآفَتُهُ مِنَ الْفَهْـــمِ السَّقِيمِ (٤)
وَلَـكِنْ تَأخُذُ الآذانُ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ الْقَرَائِحِ وَالْعُلُومِ (٥)

* * *

(١) الصياقل : جمع صيقل ، وهو القين الذى يصنع السيوف . ومخلصات : أى خالصات من الخبث . والكلوم : الجراح : جمع كلم . يقول : إن الصياقل لم تستطع أن تحفظ أيديها من هذه السيوف لشدة مضائها ، فبأيدى الصياقل جراح منها .

(٢) الجبان : نقيض الشجاع . يقول : إن لؤم طبع الجبان يريه العجز عن اقتحام العظائم فى صورة العقل حتى يظن أن عجزه وجريه على حكم الجبن عقل ، وليس الأمر كذلك ، وإنما ذلك لسوء طبعه الردىء وصغر همته .

(٣) تغنى : من الغناء : يقول : إن الشجاعة كيفما كانت وفيمن كانت تغنى صاحبها وتكفيه مؤنة الخسف والعار ، ولكن الشجاعة فى الحكيم لا تقاس بها الشجاعة فى غيره لأنها تكون حينئذ مقرونة بالحزم، فتكون أبعد عن الفشل ، يريد أن العقل لا يغنى عن الشجاعة وهى تغنى كيفما كانت فتستغنى عن العقل ، ولكن إذا اجتمعا تعززت الشجاعة بالعقل هذا : ومثل ـ من قوله ولا مثل ـ اسم لا ، وإن كان مضافا إلى معرفة ، لأنه من الأسماء التى لا تتعرف بإضافتها إلى المعارف . والخبر محذوف : أى ولا مثل الشجاعة فى الحكيم موجودة .

(٤) الآفة : العاهة ؛ والضمير فى آفته : للقول ، وهذا المعنى من قول أبى تمام ـ وقد قال له أبو سعيد الضرير : ياأبا تمام لم لا تقول ما يفهم ؟ فقال له : ياأبا سعيد : لم لا تفهم ما يقال ؟

(٥) القريحة ـ فى الأصل ـ : أول ما يخرج من البئر حين تحفر؛ وقريحة الإنسان : طبيعته التى جبل عليها . لأنها أول خلقته ، ويقال لفلان قريحة جيدة ، يراد استنباط العلم بجودة الطبع . يقول : إن كل أذن تأخذ مما تسمع على قدر قريحة صاحبها وعلمه : يعنى أن الغبى الجاهل إذا سمع شيئاً لم يفهمه ولم يعلمه وكل أحد يدرك ما يسمع على قدر طبعه وعلمه ، فإذا عاب إنسان قولا صحيحا فذلك لأنه لم يفهمه » وإنما أتى من سقم

وسار أبو الطيب من الرملة يريد أنطاكية فى سنة ست وثلاثين ، فنزل بطرابلس وبها إسحاق بن إبراهيم الأعور بن كيغلغ ؛ وكان جاهلا ، وكان يجالسه ثلاثة نفر من بنى حيدرة ، وكان بينه وبين أبى الطيب عداوة قديمة ، فقالوا له : أتحب أن يتجاوزك ولا يمدحك ؟ وجعلوا يغرونه ، فراسله أن يمدحه ، فاحتج عليه بيمين لحقته لا يمدح أحداً إلى مدة ، فعاقه عن طريقه ينتظر المدة ، وأخذ عليه الطريق وضبطها ؛ ومات النفر الثلاثة الذين كانوا يغرونه فى مدة أربعين يوماً ؛ فهجاه أبو الطيب ، وأملاها على من يثق به ، فلما ذاب الثلج خرج كأنه يسير فرسه وسار إلى دمشق ، فأتبعه ابن كيغلغ خيلا ورجلا ، فأعجزهم ، وظهرت القصيدة وهى :

لِهَوَى النُّفُوسِ سَرِيرَةٌ لاَ تُعْلَمُ ... عَرَضاً نَظَرْتُ وَخِلْتُ أَنِّى أَسْلَمُ (١)

يَا أُخْتَ مُعْتَنِقِ الفَوَارِسِ فِى الوَغَى ... لَأَخُوكِ ثَمَّ أَرَقُّ مِنْكِ وَأَرْحَمُ (٢)

يَرْنُو إِلَيْكِ مَعَ العَفَافِ وَعِنْدَهُ ... أَنَّ المَجُوسَ تُصِيبُ فِيمَا تَحْكُمُ (٣)

قريحته . هـذا معنى رائع بديع ، وهو كثير ، قال جل شأنه : « وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم » ، وقال أبو العلاء المعرى :

والنجمُ تستصغرُ الأبصار صُورتَهُ ... والذَّنْبُ للطَّرف لا للنجم فى الصغر

(١) لهوى النفوس : يروى لهوى القلوب . والسريرة السر : وعرضا أى فجاءة واعتراضا عن غير قصد ، وهو منصوب على أنه مفعول مطلق : أى نظرت نظراً عرضا ، فيكون صفـة مصدر محذوف : وخلت : حسبت . يقول : إن سر الهوى لا يعرف ولا يدرى من أين يأتى ويتسرب إلى قلب العاشق ، كما قال :

إن المحبةَ أمرُهَا عجبُ ... تُلقى عليك وما لها سببُ

ثم قال : إنى نظرت إليها عن غير قصد ــ يعنى إلى المحبوبة ــ فعشقتها وكنت أظن أنى أسلم من هواها .

(٢) و (٣) معتنق الفوارس : وصف للشجاع ؛ لأنه يعتنقهم عند الضرب بالسيف . والوغى : الحرب وثم : هناك . ورنا إليه يرنو : أدام النظر . وقد اضطربت كلمة

. . . .

الشراح فى هذين البيتين ، قال ابن جنى : يرميه بأخته وبالابنة وثم إشارة إلى المكان الذى يحلو فيه للحال المكروهة ، ويجوز أن تكون إشارة إلى موضع الحرب ، يصفه بالجبن ؛ وقال العروضى : شبب بامرأة أخوها مبارز فتاك ؛ فقال لها : أخوك على قساوة قلبه وإراقته الدماء أرحم منك ؛ وكيف يرميه بالابنة وبأخته وهو يقول يرنو إليك مع العفاف ؟ وهذه العفة من جهة الإسلام ، وإلا فهو يرى أن تزوج الأخوات عند المجوس من حكمهم فمن حسنها يرى أن المجوس أصابوا فى حكمهم . قال : وقد روى أن بشاراً كان فى جماعة من نساء يداعبهن، فقلن له : ليتنا بناتك، فقال: وأنا على دين كسرى . .

وقال ابن فورجه : شبب بامرأة ومدح أخاها وزعم أنها من بيت الفوارس الأنجاد ، كما قال فى أخرى :

مَتى تَزُرْ قَوْمَ مَنْ تَهْوَى زِيارتَهَا   لاَ يُتْحِفُوكَ بغيْرِ الْبِيضِ والأَسَلِ

وكقوله أيضا :

دِيَارُ اللَّوَاتِى دارُهُنَّ عزيزةٌ   بِطُولِ الْقَنا يُحْفَظْنَ لا بالتمائم

وكقوله

* تَحُولُ رِماحُ الخطِّ دونَ سِبائِهِ *

ثم قال لحبيبته : أنت قاسية القلب ، وأخوك — على بسالته — إذا لقى العدو كان أرحم منك لى وأرق منك على ، ثم أراد المبالغة فى ذكر حسنها فقال : أخوك يود لو كان دينه دين المجوس فيتزوج بك ؛ ومن الدليل على النهاية فى الحسن أن يود أخوها أنها تحل له ، ولهذا قال أبو بكر الخوارزمى .

* تَخشَى عَلَيْهَا أُمُّها أَبَاهَا *

وقال أبو تمام فى مثل هذا :

بِأَبِى مَنْ إذَا رَآها أَبُوهــا   قَالَ حُبًّا : يا لَيْتَ أَنَّا مَجُوسُ

ومثله لعبد الصمد بن المعذل فى جارية كان يسميها بنته :

أُحِبُّ بُنَيَّتِى حُبًّــا أَرَاهُ   يَزِيدُ على محبَّــاتِ البنات

أَرَانِى مِنكِ أَهْوَى قَرْصَ خَدٍّ   وَرَشْفاً لِلثَّنَايَا وَاللِّثَاتِ

وَإِلْصاقاً بِبَطْنٍ مِنكِ بَطْنِى   وَضَمًّا لِلقُرُونِ الوارداتِ

. . . .

وَشَيْئاً لَسْتُ أَذْكُرُهُ مَلِيحاً ... بِهِ يَحْظَى الْفَتَى عِنْدَ الْفَتَاةِ
أَرَى حُكْمَ الْمَجُوسِ إِذَا الْتَقَيْنَا ... يَكُونُ أَحَلَّ من ماءِ الفراتِ

هذا وقد قال أبو على الفارسى : المجوس واليهود إنما عُرفا على حد يهودى ويهود ومجوسى ومجوس ، ولولا ذلك لم يجز دخول الألف واللام عليهما ، لأنهما معرفتان مؤنثتان فجريا فى كلامهم مجرى القبيلتين ولم يجعلا كالحيين فى باب الصرف ، وأنشد :

أَصاحِ تَرَى بُرَيْقاً هَبَّ وَهْناً ... كَنَارِ مَجُوسَ تَسْتَعِرُ اسْتِعَارا[1]

(١) قال ابن برى :صدر البيت لامرىء القيس ، وعجزه للتوأم اليشكرى . رووا أن امرأ القيس ـ وكان معنا عريضا ـ يتعرض الناس بالشر ـ ينازع كل من قال إنه شاعر ـ فأتى قتادة بن التوأم اليشكرى وأخويه الحارث وأباشريح ؛ فقال لابن التوأم: إن كنت شاعراً فملط أنصاف ما أقول وأجزها فقال : نعم فقال امرؤ القيس :

* أصاح تَرَى بُرَيقا هب وهنا *

فقال ابن التوأم

* كنار مَجُوسَ تستعر استعارا *

فقال امرؤ القيس

* أرقتُ له ونَامَ أَبُو شُرَيح *

فقال ابن التوأم

* إذا قُلتُ قد هدأ استطارا *

فقال امرؤ القيس

* كأنّ هزيزَهُ بوراء غيب *

فقال ابن التوأم

* عِشارٌ وُلّهٌ لاقت عِشارا *

رَاعَتْـكِ رَائِعَةُ الْبَيَاضِ بِعَارِضِي ... وَلَوَ أَنَّهَا الْأُولَى لَرَاعَ الْأَسْحَمُ(١)

(١) رائعة البياض : الشعرة البيضاء التي تروع الناظر ، ورواها ابن جني : راعية البياض ، قال : والراعية من الشعر : أول شعرة تطلع من الشيب ، وجمعها رواع ، وأنشد :

أَهْلاً بِرَاعِيَـــةِ لِلشَّيْبِ وَاحِدَةٍ ... تَنْعَى الشبابَ وَتَنْهَانَا عَنِ الْغَزَلِ

والأسحم : الأسود ؛ والعارض : صفحة الخد ، يقول : راعك ـ أفزعك ـ شيبي ولو كان أول لون الشعر بياضا ثم يسود لراعك الأسود إذا ظهر ، فلا تراعى ـ إذن ـ بالبياض لأنه كالسواد .

فقال امرؤ القيس

* فلمـــا أنْ عَلا كَنَفَيْ أُضاخ *

فقال ابن التوأم

* وَهَتْ أعْجازُ رَيِّقِهِ فحارا *

فقال امرؤ القيس

* فلمْ يتْرُكْ بذات السِّرِّ ظبيا *

فقال ابن التوأم

* ولم يترُكْ بجلهتهـــا حِمارا *

«هب وهنا : فالوهن بعد هدء من الليل ، وتصغير بريقا تصغير التعظيم ، كقولهم دويهية ؛ وخص نار المجوس لأنهم يعبدونها . وقوله : أرقت له : أي سهرت من أجله مرتقبا له لأعلم أين مصاب مائه ، واستطار : انتشر ، وهزيزه : صوت رعده ، وقوله بوراء غيب : أي بحيث أسمعه ولا أراه . وقوله عشار وله : أي فاقدة أولادها فهي تكثر الحنين ، ولا سيما إذا رأت عشارا مثلها ، فإنه يزداد حنينها . شبه صوت الرعد بأصوات هذه العشار من النوق . وأضاخ : اسم موضع ، وكنفاه : جانباه . وقوله: وهت أعجاز ريقه : أي استرخت أعجاز هذا السحاب ، وهي مآخيره كما . تسيل القربة الخلق إذا استرخت ، وريق المطر أوله ، وذات السر . موضع كثير الظباء والحمر ، فلم يبق هذا المطر ظبيا به ولا حمارا إلا وهو هارب أو غريق . والجلهة ما استقبلك من الوادي إذا وافيته» .

لَوْ كَانَ يُمْكِنُنِى سَفَرْتُ عَنِ الصِّبَا ... فَالشَّيْبُ مِنْ قَبْلِ الأَوَانِ تَلَثُّمُ (١)
وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْحَادِثَاتِ فَلاَ أَرَى ... يَقَقاً يُمِيتُ وَلاَ سَوَاداً يَعْصِمُ (٢)
وَالْهَمُّ يَخْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحَافَةً ... وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِىِّ وَيُهْرِمُ (٣)
ذُو الْعَقْلِ يَشْقَى فِى النَّعِيمِ بِعَقْلِهِ ... وَأَخُو الْجَهَالَةِ فِى الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ (٤)

---

(١) سفرت — من سفور المرأة — أى كشفها عن وجهها . يقول : لو أمكننى أن أظهر صباى لكشفت عنه فإنى حدث السن ، ولكن الشيب جار على عاجلا فستر شبابى فكأنه تلثم بستر ما تحته من السواد . يعنى أن على شبابه لثاما من الشيب الذى عجل إليه قبل وقته .

(٢) اليقق : الأبيض ؛ ويعصم يحفظ . يقول : ليس بياض الشعر موجبا للموت فقد يعيش الشيخ ، وليس سواده واقيا من الموت فقد يموت الشاب كما هو مشاهد .

(٣) يخترم : يقتطع ويستأصل ؛ والجسيم : العظيم الجسم . والنحافة : الهزال ؛ ونصبه على التمييز . والناصية : شعر مقدم الرأس . يقول : إن الحزن إذا استولى على المرء أذهب جسم العظيم الجسد وهزله حتى يأتى عليه من الهزال ، ويشيب الصبى قبل الأوان حتى يصير كالهرم من الضعف والعجز . يشير إلى علة مشيبه ، وأن الهم هو الذى أشابه ، كما قال أبو نواس :

وَمَا إِنْ شِبْتُ مِنْ كِبَرٍ وَلَكِنْ ... لَقِيتُ مِنَ الْحَوَادِثِ مَا أَشَابَا

(٤) يقول : إن العاقل يشقى وإن كان فى نعمة لتفكيره فى عاقبة الأمور وعلمه بتحول الأحوال ، والجاهل ينعم وهو فى الشقاوة لغفلته وقلة تفكيره فى العواقب ؛ قال البحترى :

أَرَى الْحِلْمَ بُؤْساً فِى الْمَعِيشَةِ لِلْفَتَى ... وَلاَ عَيْشَ إِلاَّ مَا حَبَاكَ بِهِ الْجَهْلُ

وقال أبو نصر بن نباتة :

مَنْ لِى بِعَيْشِ الأَغْبِيَاءِ فَإِنَّهُ ... لاَ عَيْشَ إِلاَّ عَيْشُ مَنْ لَمْ يَعْلَمِ

وقال ابن المعتز :

وَحَلاَوَةُ الدُّنْيَا لِجَاهِلِهَا ... وَمَرَارَةُ الدُّنْيَا لِمَنْ عَقَلاَ

وقال ابن ميكال :

الْعَقْلُ عَنْ دَرْكِ الْمَطَالِبِ عُقْلَةٌ ... عَجَباً لأَمْرِ الْعَاقِلِ الْمَعْقُولِ

وَالنَّاسُ قَدْ نَبَذُوا الْحِفَاظَ فَمُطْلَقٌ ... يَنْسَى الَّذِى يُولَى وَعَافٍ يَنْدَمُ(١)

لَا يَخْدَعَنَّكَ مِنْ عَدُوٍّ دَمْعُهُ ... وَارْحَمْ شَبَابَكَ مِنْ عَدُوٍّ تَرْحَمُ(٢)

لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى ... حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ(٣)

يُؤْذِى الْقَلِيلُ مِنَ اللِّئَامِ بِطَبْعِهِ ... مَنْ لَا يَقِلُّ كَمَا يَقِلُّ وَيَلْؤُمُ(٤)

وَأَخُو الدِّرَايَةِ وَالنَّبَاهَةِ مُتْعَبٌ ... والعيشُ عَيْشُ الْجَاهِلِ الْمَجْهُولِ

(١) نبذ الشيء : ألقاه وطرحه ؛ والحفاظ : المحافظة على الحقوق والعهود ؛ وأولاه كذا : أنعم به عليه . وعاف : من العفو عن الإساءة . يقول : إن الناس لا يحافظون على الحقوق ولا يراعون الأذمة – جمع ذمة : الحرمة والحق – ويتركون عرفان النعم ، فمطلق من الإسار ينسى إحسان مطلقه ، وعاف عن مسىء يندم لما يرى من كفران صنيعته وعدم شكرها . قال ابن جنى : الندم على كل حال غير مستحسن : قال الحطيئة .

مِنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ ... لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللهِ والناسِ(١)

(٢) يقول : لا تنخدع ببكاء عدو يستعطفك ولا ترحمه وارحم نفسك منه فإنك إن رحمته وأبقيت عليه ثم ظفر بك لم يرحمك ولم يبق عليك .

(٣) يقول لا يسلم للشريف شرفه من أذى الحساد والمعادين حتى يقتل حساده وأعداءه ، فإذا أراق – سفك – دماءهم سلم شرفه ، لأنه يصير مهيبا فلا يتعرض له ، قال ابن جنى : أشهد بالله لو لم يقل إلا هذا لكان أشعر الشعراء المجيدين ولكان له أن يتقدم عليهم ، قال العكبرى : وهو منقول من كلام الحكيم : الصبر على مضض الرياسة ينال به شرف النفاسة .

(٤) القليل – هنا ليس قليل العدد وإنما هو الخسيس الحقير ؛ واللئام جمع لئيم ، ضد الكريم . وضمير الفعلين الأخيرين : للقليل يقول : إن اللئيم مطبوع على أذى الكريم لعدم المشاكلة بينهما

* إن الكرام مشاغل السفهاء * «شوقى»

---

(١) قال ابن جنى : ظاهره أن « جوازيه » جمع جاز . أى لا يعدم جزاء عليه وجائز أن يكون جمع جزاء – لمشابهة اسم الفاعل المصدر – فلما جمع « سيل » على سوائل جاز أن يكون جوازيه جمع جزاء .

أَلظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النُّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لاَ يَظْلِمُ(١)
يَحْمِي ابْنَ كَيْغَلَغَ الطَّرِيقَ وَعِرْسُهُ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهَا الطَّرِيقُ الْأَعْظَمُ(٢)

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنَّنِي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ امْرِىءٍ غَيْرِ طَائِلِ
وأنى شَقِيٌّ بِاللِّئَامِ وَلاَ تَرَى شَقِيًّا بِهِمْ إِلاَّ كَرِيمَ الشَّمَائِلِ
« الطرماح بن حكيم »

(١) الشيم : جمع شيمة ، وهى الخليقة والطبيعة ، ومن شيم النفوس : يروى فى خلق النفوس . يقول . إن الناس جبلوا على الظلم ، فإذا رأيت عفيفا لا يظلم فإنما تركه الظلم لعلة كالخوف والعجز ونحوهما ؛ قال العكبرى : وهو من كلام الحكيم : الظلم من طبع النفس ، وإنما يصدها عن ذلك إحدى علتين . إما علة دينية ؛ أو علة سياسية ، كخوف الانتقام منها

(٢) قال الواحدى : إنما قال هذا لأنه ـ ابن كيغلغ ـ كان قد أخذ الطريق على المتنبي حين سأله أن يمدحه فلم يفعل وهرب منه ، ومعنى البيت من قول الفرزدق :

وَأَنْخَتَ أُمَّكَ يا جرِيرُ كَأَنَّهَا لِلنَّاسِ بَارِكَةً طَرِيقٌ مُعْمَلُ

وقد أبدع ابن الرومى فى مثل هذا إذ يقول فى امرأة ابن المعلم :

وَتَبِيتُ بَيْنَ مُقَابِلٍ وَمُدَابِرِ مِثْلَ الطَّرِيقِ لِمُقْبِلٍ وَلِمُدْبِرِ
كَأَجِيرَى الْمِنْشَارِ يَعْتَوِرَانِهِ مُتَنَازِعَيْهِ فِى فَلِيجِ صَنَوْبَرِ
وَتَقُولُ لِلضَّيْفِ الْمُلِمِّ بِسَاحَةٍ إِنْ شِئْتَ فِى أَسْتِى فَأْتِنِى أَوْ فِى حِرِى
أَنَا كَعْبَةُ النَّيْكِ الَّتِى خُلِقَتْ لَهُ فَتَلَقَّ مِنِّى حَيْثُ شِئْتَ وَكَبِّرِ
أَنَا زَوْجَةُ الْأَعْمَى الْمُبَاحِ حَرِيمُهُ
أَنَا عِرْسُ ذِى الْقَرْنَيْنِ لاَ الإِسْكَنْدَرِ
قَالَتْ إِذَا أَفْرَدْتُ عِدَّةَ نَيْكِهَا تَدْعُوا عَدِمْتُ الْفَرْدَ عَيْنَ الْأَعْوَرِ
فَإِذَا أَضَفْتُ إِلَى الْفَرِيدِ قَرِينَهُ قَالَتْ عَدِمْتُ مُصَلِّيًا لَمْ يُوتِرِ
مَا زَالَ دَيْدَنَهَا وَذَلِكَ دَيْدَنِى حَتَّى بَدَا عَلَمُ الصَّبَاحِ الْأَزْهَرِ
أَرْمِى مَشِيمَتَهَا بِرَأْسِ مُلَمْلَمٍ رَيَّانَ مِنْ مَاءِ الشَّبِيبَةِ أَعْجَرِ

أَقِمِ الْمَسَالِحَ فَوْقَ شُفْرِ سُكَيْنَةٍ إِنَّ الْمَنِيَّ بِحَلْقَتَيْهَا خِضْرِمُ(١)
وَارْفُقْ بِنَفْسِكَ إِنَّ خَلْقَكَ نَاقِصٌ وَاسْتُرْ أَبَاكَ فَإِنَّ أَصْلَكَ مُظْلِمُ(٢)
وَغِنَاكَ مَسْئَلَةٌ وَطَيْشُكَ نَفْخَةٌ وَرِضَاكَ فَيْشَلَةٌ وَرَبُّكَ دِرْهَمُ(٣)
وَاحْذَرْ مُنَاوَاةَ الرِّجَالِ فَإِنَّمَا تَقْوَى عَلَى كَمَرِ الْعَبِيدِ وَتُقْدِمُ(٤)
وَمِنَ الْبَلِيَّةِ عَذْلُ مَنْ لَا يَرْعَوِى عَنْ غَيِّهِ وَخِطَابُ مَنْ لَا يَفْهَمُ(٥)
يَمْشِى بِأَرْبَعَةٍ عَلَى أَعْقَابِهِ تَحْتَ الْعُلُوجِ وَمِنْ وَرَاهُ يُلْجَمُ(٦)

عَبْلٍ إِذَا قَلِقَ النِّسَاءُ بِحَدِّهِ نِلْنَ الْأَمَانَ مِنَ الْوِلَادِ الْأَعْسَرِ

(١) المسالح : المواضع يعلق عليها السلاح ؛ والشفر، والشافران : حرفا فرج المرأة . ويريد بحلقتيه : الفرج والرحم : والخضرم : البحر الكثير الماء ؛ شبه المنى — لكثرته فى رحمها — بالبحر .

(٢) وارفق بنفسك : يريد لا تتحكك بالشعراء كى لا يذكروا خلقك الناقص — لأنه أعور قصير — وأصلك دنىء لئيم .

(٣) يقول : أنت مكد فيكون غناك فى مسألة الناس ، وليس وراء طيشك حقيقة ، وإنما ذلك نفخة نفخت فيك ، ورضاك أن ترى ذا فيشلة — ذكر — من عبد أو ممن ماثل العبد : وربك الذى تعبده درهم . . . . يعنى أنه بخيل .

(٤) المناواة : المعاداة ، وأصله المناوأة ، لأنه من النوء وهو النهوض ؛ والكمر جمع كمرة ، وهى رأس الذكر ، يقول : لا تعاد الرجال فإنك لا تقدر عليهم ولا لك بهم طاقة : وإنما قدرتك وإقدامك على « أيور العبيد » يصفه بالأبنة .

(٥) العذل : اللوم ؛ ويرعوى : يكف ويقلع ، وعن غيه : فالغى نقيض الرشد ، ويروى : عن جهله .

(٦) العلوج : جمع علج ، وهو فى الأصل : حمار الوحش ، لاستعلاج خلقه وغلظه ، ويقال للرجل القوى الضخم من كفار العجم — غير العرب — علج وهو المراد هنا . يقول : يمشى القهقرى حبا للاستدخال ، أى أن العلوج كانت تركبه فيمشى إلى خلفه على غير العادة ، فإن من عادة المركوب أن يمشى إلى قدام ، وهو بخلاف المركوب لأنه يلجم من ورائه . . . هذا : وقوله بأربعة كان القياس أن يقول بأربع . لأنه يريد اليدين والرجلين ، لكنه ذهب إلى الأعضاء فذكر على المعنى على حد قول الأعشى :

. . . .

أرى رَجُلاً مِنهم أسيفـــا كأنما يَضُمُّ إلى كَشْحيـــهِ كفًا مُخضّبا[١]

وقد أنثوا المذكر على المعنى ، قال أبو عمرو بن العلاء : سمعت أعرابيا يمانيا يقول: فلان لغوب ــ أى أحمق ــ جاءته كتابى فاحتقرها ، فقلت له : أتقول كتابى ؟ فقال : أليس بصحيفة ؟ ومن تأنيث المذكر على المعنى تأنيث الأمثال فى قوله تعالى « فله عشر أمثالها » لأن الأمثال فى المعنى حسنات . فالتقدير عشر حسنات أمثالها ؛ وإذا أنث المذكر فتذكير المؤنث أسهل : لأن حمل الفرع على الأصل أسهل من حمل الأصل على الفرع ؛ وقوله على أعقابه : قال العكبرى : جمع فى موضع التثنية ، وحقه أن يقول على عقبيه ــ كما جاء فى التنزيل : « نكص على عقبيه ــ » ولكنهم جمعوا فى موضع الإفراد فقالوا:
شابت مفارقه ؛ وقال الشاعر :

والزعفرانُ على تَرائِبِها شَرِقٌ بِهِ اللَّبَاتُ والنَّحْرُ[٢]

فجمع التريبة واللبة بما حولها ، وإذا كان هذا جائزا فى موضع الواحد فالجمع فى موضع التثنية أجوز ، ثم قال العكبرى فى إعراب « من وراء » : حذف المضاف إليه ، والظروف إذا حذفت منهم المضافات بنيت على الضم ، كقبل وبعد وفوق وتحت ، وإنما بنيت لان المضاف إليه مقدر عندهم حتى إنها متعرفة به محذوفا ، فلما اقتصروا على المضاف جعلوه نهاية فصار كبعض الاسم وبعض الاسم لايعرب ، فإن نكروا شيئاً منها أعربوه ، فقالوا : جئت قبلا ، ومن قبل وبعدا ومن بعد قال الشاعر :

فَساغَ لِيَ الشَّرابُ وكُنتُ قَبْلاً أكادُ أغَصُّ بِالْماءِ الفُرَاتِ[٣]

وقرى من قبل ومن بعد ، فأعرب لنية التنكير: فقوله « من وراء » على نية التنكير : كأنه قال : من جهة تخالف وجهه .

---

(١) الأسيف : الغضبان . يقول : كأن يده قطعت فاختضبت بدمها ، وقال المبرد أسيفا من التأسف لقطع يده ، وقيل هو أسير قد غلت يده ، فجرح الغل ــ القيد ــ يده .

(٢) الترائب : موضع القلادة من الصدر ، واحدتها تريبة .

(٣) ويروى هذا البيت : « أكاد أغص بالماء الحميم » .
وروى * أغص بنقطة الماء الحميم * من أبيات ليزيد بن الصعق
« انظر « الخزانة » ج ١ ص ٣٨٤ « سلفية »

وَجُفُونُهُ مَا تَسْتَقِرُّ كَأَنَّهَا مَطْرُوفَةٌ أَوْ فُتَّ فِيهَا حِصْرِمُ (١)

وَإِذَا أَشَارَ مُحَدِّثًا فَكَأَنَّهُ قِرْدٌ يُقَهْقِهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ (٢)

---

(١) طرفت عينه : إذا أصيبت بشىء فدمعت . والحصرم : العنب الأخضر ، وهو معروف أنه حامض . قال الواحدى : يقول : إنه أبدا يحرك جفونه يستدعى العلوج ويشير بها إليهم فتبق وكأنها أصيبت بقذى أو عصر فيها الحصرم ، لأنها لا تفترعن التحريك : هذا : وقال العكبرى فى إعراب فت : عطف « فت » على مطروقه وليس من حق الفعل أن يعطف على الاسم ولا الاسم على الفعل ، ولكن ساغ ذلك فى اسم الفاعل واسم المفعول لما بينهما وبين الفعل من التقارب بالاشتقاق والمعنى ولذلك عملا فيه . وقد عطف الفعل على الاسم فى القرآن الكريم — فى قوله تعالى «صافات ويقبضن » وقوله « والمصدقين والمصدقات وأقرضو الله » وقال الراجز :

* تبيتُ لا تأوِى ولاَ تُفَاشا (١) *

أى لا تأوى ولا تنفش ، وكذلك صافات وقابضات والذين تصدقوا وأقرضوا .

(٢) يريد : قبح وجهه وكثرة تشنجه ، وجعل حديثه كضحك القرد ، حيث إنه ألكن عي لا يفصح ، ولهذا جعله مشيرا ، لأنه لا يقدر على الكلام فيشير ، وجعل إشارته كلطم العجوز إذا ولولت ، قال الإمام ابن الشجرى فى أماليه : عيب على أبى الطيب قوله هذا ، وقالوا لامعنى لتشبيه الحديث باللطم ، وإنما كان حقه أن يضع فى موضع تلطم تولول أو تبكى أو نحوهما ، لكن لماشبه صوت حديثه بقهقهة القرد ، وهى صوت ، شبهه بلطم عجوز ، ولطم النساء لابد أن يصحبه صوت فلما اضطرته القافية إلى ذكر اللطم الدال على الولولة والنوح اكتفى بذكر الدليل عن المدلول عليه . و «أو» للاباحة ؛ أى إن شئت شبهت حديثه بقهقهة قرد وإن شئت شبهته بعجوز تلطم . وقول ثان : وهو أنه شبه شيئين بشيئين ، شبه حديثه بقهقهة القرد وشبه إشارته فى أثناء حديثه بلطم العجوز ، لأنه من عيه لايفهم ، وجعله مشيراً بيديه لأنه لا يقدر على الإفصاح ، فهو يستعين بالإشارة إذا حدث كما أشار باقل لما عجز عن الجواب وقد مر بقوم ومعه ظبى قد اشتراه بأحد عشردرهما ، وهو متأبطه ، فقالوا له بكم اشتريته ؟ فمد يديه وفرق أصابعه وأخرج لسانه ؛ يريد بأصابعه عشرة

---

(١) نفشت الإبل والغنم تنفش نفشا ونفوشا : انتشرت ليلا فرعت بلا راع وخص بعضهم به دخول الغنم فى الزرع ومنه قوله تعالى « إذ نفشت فيه غنم القوم »

يَقْــــلِي مُفَارَقَةَ الأكُفِّ قَذَالُهُ ... حَــتَّى يَكَادَ عَلَى يَدٍ يَتَعَمَّمُ[1]

وبلسانه درهما ، فشرد الظبي ، وفي هذا التشبيه معنى آخر . وهو أنه أراد قبح وجهه وكثرة تشنجه ، فهو في القبح كوجه القرد ، وفي التشنج كوجه العجوز . فإن قيل : كيف شبه شيئين بشيئين ، وعطف بـ «أو» وهي لأحد الشيئين ، وحقه أن يعطف بالواو ؟ قلنا : إن «أو» قد وردت في كلامهم بمعنى الواو . . أقول : ومن مجيئها بمعنى الواو قول حميد بن ثور :

قومٌ إذا نَقَعَ الصَّرِيخُ رَأَيْتَهُمْ ... مِنْ بَيْنِ مُلْجِمِ مُهْرِهِ أو سافِعِ[1]

وقول النابغة الذبياني يخاطب النعمان بن المنذر :

وَاحْــكُمْ كَحُــكْمِ فَتَاةِ الحَيِّ إِذْ نَظَرَتْ ... إلى حَمَــامٍ سِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ

قَالَتْ أَلاَ لَيْتَمَا هَــذَا الحَمامُ لَنَا ... إلى حمامَتِنَـــا أوْ نِصْفُهُ فَقَدِ

فَحَسَّبُوهُ فَأَلْفَوْهُ كَمَا ذَكَرَتْ ... سِتًّا وَسِتِّينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدِ[2]

ومنه قوله تعالى « إلى مائة ألف أو يزيدون » أي ويزيدون .

(١) قلاه يقليه قلى وقلاء وقليه يقلاه . لغة طيء ، والقلى : البغض . وقال ابن سيده قليته قلى وقلاء ومقلية : أبغضته وكرهته غاية الكراهة فتركته ؛ وحكى سيبويه قلى يقلى وهو نادر ، شبهوا الألف بالهمز ، وحكى ابن جني : قلاه وقليه ، قال . وأرى يقلى . إنما هو على قلى ؛ وحكى ابن الأعرابي قليته في الهجر قلى ، مكسور ومقصور ، وحكى في البغض قليته — بالكسر — أقلاه على القياس . والقذال . جماع

---

(١) الصريخ : أي للحرب ، والسافع : أخذ الناصية بلالجام .

(٢) واحكم يريد تبصر في الأمر وكن حكيما معى ولا تقبل ممن سعى بي إليك وكن كفتاة الحي إذ وصفت فأصابت ، وفتاة الحي : هي زرقاء اليمامة ، زعموا أنها كانت تبصر من ثلاثة أيام ؛ فمر بها سرب من القطا ، فقالت :

لَيْتَ الحَمامَ لِيَهْ ... إلى حَمَامَتِيَهْ ... أوْ نِصْفُهُ قَدِيَهْ ... تَمَّ الحَمامُ مِيَهْ

فإذا هو ست وستون وإذا ضم نصفه — وهو ثلاث وثلاثون — إليه كان المجموع تسعا وتسعين فبحمامتها تكمل المائة ، وسراع : سريع الطيران ، والثمد — بفتحتين — الماء القليل لامادة له ، وحسبوه ، عدوه .

وَتَرَاهُ أَصْغَرَ مَا تَرَاهُ نَاطِقـاً وَيَكُونُ أَكْذَبَ مَا يَكُونُ وَيُقْسِمُ(١)
وَالذُّلُّ يُظْهِرُ فِي الذَّلِيلِ مَوَدَّةً وَأَوَدُّ مِنْهُ لِمَنْ يَوَدُّ الأَرْقَمُ(٢)

مؤخر الرأس ، وهو فاعل يقلى ؛ ويجوز أن يكون مفعول المفارقة — وفاعل يقلى ضمير المهجو ، أى أن قفاه يكره مفارقة الأكف ، لأنه قد ألف صحبتها فى الصفع فيكاد يتعمم على إحدى يديه ، لئلا يخلو قفاه من كف . يريد أنه صفعان تعود أن يصفع فيكاد يتعمم على يده لتصفعه يده أيضا .

(١) يقول . تراه أحقر ما يكون حين ينطق ، لأن عي فلا يكاد يبين ، أو لأنه ينطق بغير معقول ، وأكذب ما يكون إذا خلف — أى حين يكون الصدق أوجب — وذلك كما قال الآخر .

فَلاَ تَحْلِفْ فَإِنَّكَ غَـيْرُ بَرٍّ وأَكْذَبُ مَا تَـكُونُ إِذَا حَلَفْتَا

وقوله ويقسم . يريد وهو يقسم . هذا . وقد قال ابن الشجرى فى أماليه . فعل الرؤية من العين يعدى إلى مفعول واحد ، « وأصغر » نصب على المصدر لأنه أضيف إلى « ما » المصدرية . و« ناطقا » نصب على الحال ، وأفعل المضاف إلى المفضل عليه إنما هو بعض ما يضاف إليه ، فصار كقولك : سرت أشد السير ، و « أكذب » حكمه فى ذلك حكم « أصغر » ونصب « ناطقا » ترى الأول من الرؤية ، وانتصابه على الحال ، وتقديره وتراه ناطقا أحقر رؤيتك إياه ، فالتحقير تناول الرؤية فى اللفظ ، والمراد تحقير المرئى؛ والمعنى : تراه ناطقا أحقر منه إذا رأيته ساكتا ؛ ويكون كلاهما بمعنى يوجد؛ وإن جعلت « يكون » الأول ناقصا وخبره « أكذب » لم يجز ، لما ذكرته من انتصاب «أكذب» على المصدر لإضافته إلى المصدر ، والمضمر فى « يكون » عائد على المهجو؛ وخبر «كان» إذا كان مفرداً فهو واسمها عبارة عن شىء واحد بطل أن يجعل « يكون » ناقصا لفساد الإخبار عن الجثث بالأحداث ، والواو فى قوله « ويقسم» واو الحال؛ والجملة بعده حال عمل فيها « يكون » الأول ، وهى جملة ابتداء ، والمبتدأ محذوف ، والتقدير وهو يقسم فحذف هو ، وقال اليازجى : الأظهر أن « أفعل» فى الموضعين مرفوع على الابتداء ، وسدت الحال بعده مسد الخبر ، والجملة فى محل نصب بالناسخ ، لأنها فى الأصل خبر ابتداء ، كما فى قولك : هند أحسن ماتراها أو أحسن ماتكون سافرة ، فلما دخل الناسخ عمل فى المبتدأ الأول لفظا ، وفى جملة الخبر محلا ، كما تقول رأيت هنداً ، أو كانت هند أحسن ما تكون سافرة . فتامل .

(٢) أود : خبر مقدم عن الأرقم ، والأرقم ضرب من الحيات فيه سواد وبياض

وَمِنَ الْعَـــدَاوَةِ ما يَنَالُكَ نَفْعُهُ ... وَمِنَ الصَّدَاقَةِ ما يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ (١)
أَرْسَلْتَ تَسْأَلُنِي الْمَدِيحَ سَفَاهَـــةً ... صَفْرَاءُ أَضْيَقُ مِنْكَ مَاذَا أَزْعُمُ (٢)
أَتُرَى الْقِيَادَةَ فِي سِوَاكَ تَكَسُّباً ... يَا ابْنَ الأُعَيِّرِ وَهِيَ فِيكَ تَكَرُّمُ (٣)
فَلَشَدَّ مَا جَاوَزْتَ قَدْرَكَ صَاعِداً ... وَلَشَدَّ مَا قَرُبَتْ عَلَيْكَ الأَنْجُمُ (٤)

وفاعل « يود » ضمير الذليل ، والعائد محذوف أى لمن يوده : أى لمن يظهر له وده . يقول : إن الذليل يظهر المودة ـ المحبة ـ لمن أذله ، إذ ليس يقدر على مكافأته ولا امتناع عنده فيتودد إليه ، على أن الحية أقرب إلى المصافاة من الذليل إذا أظهر الود لمن يوده وهذا من قول سديف :

ذُلُّهَا أَظْهَرَ الْمَـــوَدَّةَ مِنْهَا ... وَبِهَا مِنْكُمُ كَحَزِّ الْمَوَاسِي (١)

(١) قال ابن جنى : يعنى أن عداوة الساقط تدل على مباينة طبعه فتنفع ـ يريد لا تضر ـ وصداقته تدل على مناسبته فتضر ، قال الواحدى : وهو من قول صالح بن عبد القدوس :

عَدُوُّكَ ذُو الْعَقْلِ خَيْرٌ مِنَ الـ ... ـصَّدِيقِ لَكَ الْوَامِقِ الأَحْمَقِ

« الوامق : المحب » . وعبارة بعض الشراح : أراد بالنفع ـ هنا ـ ما هو أعم منه يعنى انتفاء الضرر والبيت مبنى على الذى قبله : أى أن عداوة الذليل الذى يطوى كشحه على البغض تظهر ما أضمر من الخبث فتنفع من يعاديه بأن يطلع على دفينته فيحذر جانبه وبعكسها صداقته فإنها قد تكون سبباً يتوصل بها إلى أذاه ، لأنه يساتره العداوة ويتربص به نهزة للغدر .

(٢) صفراء : اسم أمه : يقول : هى ـ على سعتها ـ أضيق منك ، فكيف يتجه لى مدحك ؟

(٣) أعير : تصغير أعور ، قال الواحدى : وكان أبوه ـ واسمه إبراهيم ـ أعور . يقول : إن القيادة فى غيرك كسب وأنت تتكرم بها : أى تحسبها كرما .

(٤) لشد : بمعنى ما أشد ، واللام قبلها : للتوكيد ؛ و « ما » : مصدرية . يقول : ما أشد تجاوزك قدرك حين تطلب منى المديح ! وما أشد ما قربت الأنجم عندك فطمعت فى نيلها ! وأرادت بالأنجم : أبيات شعره .

---

(١) من أبيات يحرض فيها سديف بن ميمون بنى العباس على بنى أمية .

وَأَرَغْتَ مَا لِأَبِى الْعَشَائِرِ خَالِصَاً ... إِنَّ الثَّنَاءَ لِمَنْ يُزَارُ فَيُنْعِمُ(١)
وَلِمَنْ أَقَمْتَ عَلَى الْهَوَانِ بِبَابِهِ ... تَدْنُو فَيُوجَأُ أَخْدَعَاكَ وَتُنْهَمُ(٢)
وَلِمَنْ يُهِينُ الْمَالَ وَهُوَ مُكَرَّمٌ ... وَلِمَنْ يَجُرُّ الْجَيْشَ وَهُوَ عَرَمْرَمُ(٣)
وَلِمَنْ إِذَا الْتَقَتِ الْكُمَاةُ بِمَأْزِقٍ ... فَنَصِيبُهُ مِنْهَا الْكَمِىُّ الْمُعْلَمُ(٤)

---

(١) الإراغة: الطلب؛ تقول أرغت الصيد وفلان يريغ كذا وكذا ويليصه: أى يطلبه ويديره، قال عبد الله بن عمر فى ابنه سالم:

يُدِيرُونَنِى عَنْ سَالِمٍ وَأُرِيغُهُ ... وَجِلْدَةُ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالأَنْفِ سَالِمُ(١)

« يديروننى: كيريغوننى، ويقال فلان يريغنى أو يديرنى على أمر وعن أمر: أى يراودنى ويطلبه منى». يقول: طلبت من المديح ماهو خالص لأبى العشائر؛ لأنه الذى ينعم على زواره وقصاده، فقوله «خالصا» حال، أى الذى ثبت لأبى العشائر خالصا لا ينازع فيه.

(٢) ولمن: عطف على «لمن يزار» والأخدعان: عرقان فى صفحتى العنق قد خفيا وبطنا، ويقال لأقيمن أخدعيك: أى لأذهبن كبرك. والوجء: اللكز والضرب، ومراده بوجء أخدعيه: صفعه. والنهم. الزجر الشديد. يقول: والثناء لمن تزلفت إليه فأقمت ببابه ذليلا تصفع هزوًا واستخفافا، ثم تزجر مطرودا، والبيت من قول جرير:

قَوْمٌ إِذَا حَضَرَ الْمُلُوكَ وُفُودُهُمْ ... نُتِفَتْ شَوَارِبُهُمْ عَلَى الأَبْوَابِ

(٣) وهو مكرم: أى والمال مكرم يضن بمثله، فالضمير عائد على المال، ولك أن ترجعه للممدوح: أى يهين المال ويكرم عند الناس. والعرمرم. الكثير العظيم.

(٤) الكماة. جمع كمى، وهو البطل المشتمل بالسلاح. والمأزق: المضيق ومنه سمى موضع الحرب مأزقا. والمعلم: الذى وسم نفسه بسيماء الحرب. وفى هذا البيت نظر إلى قول أبى تمام:

إِنَّ الأُسُودَ أُسُودَ الْغَابِ هِمَّتُهَا ... يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فِى الْمَسْلُوبِ لَا السَّلَبِ

---

(١) قال الجوهرى: يقال للجلدة التى بين العين والأنف « سالم » وأورد هذا البيت، قال: وهذا المعنى الذى أراد عبد الملك فى جوابه عن كتاب الحجاج: إنه عندى كسالم والسلام، قال ابن برى: هذا وهم قبيح ــ أى جعله سالما اسما للجلدة التى بين العين والأنف، وإنما سالم ابن ابن عمر فجعله لمحبته بمنزلة جلدة بين عينه وأنفه

وَلَرُبَّمَا أَطَرَ الْقَنَاةَ بِفَارِسٍ ... وَثَنَى فَقَوَّمَهَا بِآخَرَ مِنْهُمُ (١)
وَالْوَجْهُ أَزْهَرُ وَالْفُؤَادُ مُشَيَّعٌ ... وَالرُّمْحُ أَسْمَرُ وَالْحُسَامُ مُصَمِّمُ (٢)
أَفْعَالُ مَنْ تَلِدُ الْكِرَامُ كَرِيمَةٌ ... وَفَعَالُ مَنْ تَلِدُ الأَعَاجِمُ أَعْجَمُ (٣)

* * *

واجتاز ببعلبك فخلع عليه على بن عسكر ، وسأله أن يقيم عنده . وكان يريد السفر إلى إنطاكية ، فقال يستأذنه :

رَوِينَا يَا ابْنَ عَسْكَرٍ الْهُمَامَا ... وَلَمْ يَتْرُكْ نَدَاكَ بِنَا هُيَامَا (٤)

---

(١) أطره : عطفه وثناه ولواه ؛ وتأطر الرمح : تثنى . يقول : إذا اعوجت قناته فى مطعون طعن بها آخر فثقفها بذلك ، يريد شدة طعنه وتتابعه

(٢) « ال » هنا نائبة عن ضمير الممدوح : أى ووجهه وفؤاده ؛ وهلم جرا ، والواو أول البيت : للحال . يقول : إذا التقى هو والكماة فى مأزق : فوجهه أزهر ــ نير مشرق أبيض ــ وفؤاده مشيع ــ أى جرىء ــ ورمحه يطعن به ، وسيفه مصمم : أى يطبق المفصل ويصيب المحز ، فلا ينبو عن الضريبة .

(٣) الفعال هنا الفعل . يقول : إن الفعل يشابه النسب والأصل ، فمن كرمت مناسبه كرمت أفعاله ، ومن كان لئيم النسب كان لئيم الفعل والأعاجم عند العرب لئام ، ولذلك جعل الأعاجم فى مقابلة الكرام ، وإنما قال ذلك لأن هذا الرجل كان روميا . وهم يسمون من لم يتكلم بلغتهم أعجم من أى جيل كان ، قال الراجز :

سَلُومُ لَوْ أَصْبَحْتِ وَسْطَ الأَعْجَمِ (١) ... فِى الرُّومِ أَوْ فَارِسَ أَوْ فِى الدَّيْلَمِ
إِذاً لَزُرْنَاكِ وَلَوْ بِسُلَّمِ

وقال حميد بن ثور :

ولم أَرَ مِثْلِى شَاقَهُ صَوْتُ مِثْلِهَا ... ولا عَرَبِيًّا شَاقَهُ صَوْتُ أَعْجَمِ

فإنه عنى بالأعجم : حمامة سمع صوتها .

(٤) الهمام : العظيم الهمة والسيد الشجاع السخى والهيام : أشد العطش .

---

(١) يقال رجل أعجم وقوم أعجم

وَصَارَ أَحَبُّ مَا تُهْدِى إِلَيْنَا ... لِغَيْرِ قِلًى وَدَاعَكَ وَالسَّلَامَا (١)
وَلَمْ نَمْلَلْ تَفَقُّدَكَ الْمَوَالِى ... وَلَمْ نَذْمُمْ أَيَادِيَكَ الْجِسَامَا (٢)
وَلَكِنَّ الْغُيُوثَ إِذَا تَوَالَتْ ... بِأَرْضِ مُسَافِرٍ كَرِهَ الْمُقَامَا (٣)

يقول : نزلنا بفنائك فروينا من عطشنا ولم تترك بنا عطشا ، يريد أنهم غمروا بإنعامه وإحسانه إليهم حتى اكتفوا . هذا : وقد قلنا إن « الهيام » هنا أشد العطش وأنشد ابن برى .

يَهِيمُ وليس اللهُ شافٍ هُيامَهُ ... بغرّاء ماغنَّى الحمامُ وأنجدا (١)

والهيام أيضا . كالجنون من العشق ، وقد هيمه الحب ، والهيام أيضا ؛ داء يأخذ الإبل فتهيم فى الأرض لا ترعى ، يقال ؛ ناقة هيماء ، قال كثير عزة .

فلا يَحْسَبُ الواشون أنّ صبابتى ... بعزة كانتْ غمرةً فتجلتِ
وأنّىَ قد أبلَلْتُ مِنْ دَنَفٍ بها ... كما أُدْنِفَتْ هيماءُ ثم استبلت (٢)

(١) القلى ؛ البغض ؛ ولغير قلى ؛ احتراس جميل . يقول ؛ قد استغنينا عن الهدايا وأردنا الارتحال فأحب ماتهديه إلينا أن نودعك ونسلم عليك .

(٢) الموالى ـ بفتح الميم ـ جمع مولى ، وهو هنا العبد ، ورواها العكبرى ؛ الموالى ـ بضم الميم ـ أى الذى يلى بعضه بعضا . والأيادى ؛ النعم . والجسام ؛ العظام . يقول ؛ لسنا نرتحل عنك لأنا مللنا تفقدك إيانا بالإحسان ولا لأنا ذممنا نعمك العظيمة .

(٣) توالت ؛ تتابعت ؛ والغمام : السحاب : وهذا تتمة لما ذكر فى البيت السابق . يقول إن المسافر إذا كثر عليه المطر مل مقامه ـ إقامته ـ واحتباسه لأجل المطر ، كذلك نحن عطاياك تأتينا وأنت قيدتنا بإحسانك وأنا مسافر أريد الارتحال ، ولولا أنى على سفر لم أملل نعمتك والمطر يسأله كل أحد إلا المسافر ؛ وكره المقاما ؛ رواها بعض الشراح ؛ كره الغماما ، وقال ؛ المعنى ؛ إنما عفنا الزيادة من إحسانك ، لأنه يقيدنا بخدمتك ويحبسنا عن السفر ، فهو كالمطر يعترض المسافر ويعوقه عن طريقه ، فيكرهه لذلك ، لأنه مكروه من نفسه .

---

(١) شاف : فى موضع نصب خبر « ليس » ؛ وإن شئت جعلته خبر « الله » ، وفى « ليس » ضمير الشأن

(٢) أبل واستبل : برأ من مرضه .

وكان مع أبى العشائر ليلا على الشراب ، فكلما أراد النهوض وهب له شيئاً ، حتى وهب له ثياباً وجارية ومهراً فقال :

أَعَنْ إِذْنِى تَهُبُّ الرِّيحُ رَهْوًا ... وَيَسْرِى كُلَّمَا شِئْتُ الْغَمَامُ (١)

وَلٰكِنَّ الْغَمَامَ لَهُ طِبَاعٌ ... تَبَجُّسُهُ بِهَا وَكَذَا الْكِرَامُ (٢)

* * *

وقال يمدح كافوراً ، وقد أهـدى إليه مهراً أدهم فى شهر ربيع الآخر سنة ٣٤٧ هـ :

فِرَاقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيْرُ مُذَمَّمِ ... وَأَمٌّ وَمَنْ يَمَّمْتُ خَيْرُ مُيَمَّمِ (٣)

وَمَا مَنْزِلُ اللَّذَّاتِ عِنْدِى بِمَنْزِلٍ ... إِذَا لَمْ أُبَجَّلْ عِنْدَهُ وَأُكَرَّمِ (٤)

سَجِيَّةُ نَفْسٍ مَا تَزَالُ مُلِيحَةً ... مِنَ الضَّيْمِ مَرْمِيًّا بِهَا كُلُّ مَخْرَمِ (٥)

---

(١) هذا استفهام معناه الإنكار . والرهو : السير السهل . يقول : الريح لا تهب ساكنة سهلة بإذنى ، وكذا الغمام لا يسرى بمشيئتى ؛ ويريد بالريح والغمام : الممدوح على تشبيهه بهما فى سرعة العطاء وكثرته — يعنى أن الذى يفعله ليس يفعله بإذنى ومشيئتى إنما يفعله طبعا طبع عليه — كما بين فى البيت التالى .

(٢) تبجسه : مبتدأ ؛ وبها : خبره ؛ والتبجس : التفجر .

(٣) فراق مبتدأ ، محذوف الخبر ؛ أى لى فراق ؛ وقال العكبرى : فراق خبر لمبتدأ محذوف ، ويجوز رفعه بإضمار فعل أى حدث فراق . وأم : أى قصد ؛ ويممت : قصدت يقول — عند ارتحاله — : هذه الحالة التى أنا فيها فراق ، والذى أفارقه — يعنى سيف الدولة — غير مذموم — وهذا الفراق هو فى الوقت عينه قصد لإنسان آخر — يعنى كافورا — وهو خير مقصود .

(٤) عنده : أى فيه ، يقول : لا أقيم بمكان للذة العيش وطيب الحياة إذا لم أكن مكرما معظما . لأنه مع الذل لا يطيب لى

(٥) مليحة ، مشفقة خائفة ، يقال : ألاح من الأمر ؛ إذا أشفق منه . والمخرم الطريق فى الجبل . يقول : هذا الفراق أو هذا الذى أذكره من أنفق والاحتفاظ بكرامتى سجية — طبيعة — نفسى التى هى أبداً خائفة من أن تظلم ويبخس حقها من الإكرام ، وأنا أرمى بها كل طريق هاربا عن الضيم والذل .

رَحَلْتُ فَكَمْ بَاكٍ بِأَجْفَانِ شَادِنٍ عَلَيَّ وَكَمْ بَاكٍ بِأَجْفَانِ ضَيْغَمِ (١)
وَمَا رَبَّةُ الْقُرْطِ الْمَلِيحِ مَكَانُهُ بِأَجْزَعَ مِنْ رَبِّ الْحُسَامِ الْمُصَمِّمِ (٢)
فَلَوْ كَانَ مَا بِي مِنْ حَبِيبٍ مُقَنَّعٍ عَذَرْتُ وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ مُعَمَّمِ (٣)
رَمَى وَاتَّقَى رَمْيِي وَمِنْ دُونِ مَا اتَّقَى هَوًى كَاسِرٌ كَفِّي وَقَوْسِي وَأَسْهُمِي (٤)
إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ (٥)

---

(١) الشادن : ولد الغزال ؛ والضيغم : الأسد . يقول : فكم من رجال ونساء بكوا على فراقى وجزعوا لارتحالى عنهم ! فالباكى بجفن الشادن : المرأة المليحة الحسناء ، والباكى بأجفان الضيغم : الرجل الشجاع الكريم : قال ابن جنى . بأجفان ضيغم : يريد سيف الدولة ، وهذا وفاء لما أوعده به من قوله :

* لَيَحْدُثَنَّ لِمَنْ فَارَقْتُهُ نَدَمُ *

(٢) القرط : الذى يعلق فى شحمة الأذن . ومكانه : فاعل المليح ؛ والحسام : السيف القاطع ، والمصمم : الذى يطبق المفاصل ؛ ولك أن تجعله صفة لرب . يقول : لم تكن المرأة بأجزع على فراقى من الرجل .

(٣) يقول : لو كان الذى أشكوه من الغدر بى كان من امرأة عذرتها ، لأن شيمة النساء الغدر ، ولكنه من رجل فلا أعذره . فكنى بالحبيب المقنع : عن المرأة ؛ وبالحبيب المعمم : عن الرجل .

(٤) قال الواحدى : هذا مثل يقول : لم يحسن إلى — أى سيف الدولة — ولم أهجه لحبى إياه ، فضرب المثل لإساءته إليه بالرمى ، ولأمنه من المكافأة — المجازاة — بالهجاء بالاتقاء ، يحب يكسر كفه وقوسه وسهامه إن أراد أن يرميه ؛ والمعنى أن حبى إياه منعنى عن مكافأته بالإساءة ، فكان كرام يرمينى وهو وراء جنة — سترة — من حبى تمنعنى من أن أرميه .

(٥) يعتاده : ينتابه ؛ ومن توهم : بيان لـ «ما» . يقول : إذا كان فعل المرء سيئا قبيحاً ساء ظنه بالناس لسوء ما انطوى عليه ، وإذا توهم فى أحد ريبة أسرع إلى تصديق ما توهمه لما يجد من مثل ذلك فى نفسه . وعبارة الواحدى : المسىء يسىء الظن ، لأنه لا يأمن من أساء إليه . وما يخطر بقلبه من التوهم على إساءة غيره يصدق ذلك ، فكلما سمع عن شخص كلام سوء يظنه فيه لسوء وهمه وفعله ، وهو كقول الآخر :

وَمَا فَسَدَتْ لِى يَشْهَدُ اللهُ نِيَّةٌ عَلَيْكَ بَلِ اسْتَفْسَدْتَنِي فَاتَّهَمْتَنِى

وَعادَى مُحِبِّيهِ بِقَوْلِ عُدَاتِهِ ... وَأَصْبَحَ فى لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمِ (١)
أُصَادِقُ نَفْسَ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ ... وَأَعْرِفُهَا فى فِعْلِهِ وَالتَّكَلُّمِ (٢)
وَأَحْلُمُ عَنْ خِلِّى وَأَعْلَمُ أَنَّهُ ... مَتَى أَجْزِهِ حِلْمًا عَلَى الْجَهْلِ يَنْدَمِ (٣)

---

(١) يقول : ولسوء ظنه يعادى الذين يحبونه بوشاية أعدائه . فلا يميز صديقه من عدوه ؛ إذ يشك فى كل أحد ويصبح فى كل أموره حائراً بسبب أنه يصدق ما يتوهمه .

(٢) يريد بالنفس : المعانى الكريمة والفضائل الإنسانية التى تستشف من الإنسان بذكر لطف حسه ودقة علمه ، وأنه قبل أن يقع بينه وبين من يحبه معرفة يصادق نفسه أولا ، ويستدل عليها بكلامه وفعله ، قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : الائتلاف بالجواهر قبل الائتلاف بالأجسام .

(٣) يقول : وأصفح عن خليلى علما بأنى متى جازيته على سفهه وجهله بالحلم ندم على قبيح فعله ، فاعتذر إلى وأعتبنى ـ أرضانى ـ ورجع إلى مرادى ، وهذا من قول سالم ابن وابصة :

وَنَيْرَبٍ مِنْ مَوَالى السُّوءِ ذِى حَسَدٍ ... يقتَاتُ لَحمِى وما يشفيهِ مِن قَرَمِ (١)
دَاوَيْتُ صَدْرًا طَوِيلاً غِمْرُهُ حِقدًا ... مِنْهُ وَقَلَّمْتُ أَظْفاراً بِلاَ جَلَمِ (٢)
بِالْحَزْمِ وَالخَيْرِ أُسْدِيهِ وَأُلْحِمُهُ ... تَقْوَى الإلهِ ومالَمْ يَرْعَ مِنْ رَحِمِ
فَأَصْبَحَتْ قَوْسُهُ دُونِى مُوَتَّرَةً ... تَرْمِى عَدُوِّى جِهارًا غَيْرَ مُكْتَتِمِ
إنّ فى الحِلْمِ ذُلاً أنْتَ عارِفُهُ ... والحِلْمُ عن قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الكَرَمِ

ومن روى

وأحلم عن خلى وأعلم أننى ... متى أجزه يوماً على الجهل أندم

يكون المعنى ؛ متى جهلت عليه كما جهل على ندمت على ذلك . لأن السفه والجهل ليسا من أخلاق فى شىء

---

(١) رجل نيرب : وذو نيرب : ذوشر ونميمة ؛ والقرم : شدة الشهوة إلى اللحم
(٢) الغمر ؛ الحقد والغل . والجلم : أحد شقى المقراض ، وإنما هما جلمان

وَإِنْ بَذَلَ الإِنْسَانُ لِى جُودَ عَابِسٍ ... جَزَيْتُ بِجُودِ التَّارِكِ الْمُتَبَسِّمِ (١)
وَأَهْوَى مِنَ الْفِتْيَانِ كُلَّ سَمَيْذَعٍ ... نَجِيبٍ كَصَدْرِ السَّمْهَرِىِّ الْمُقَوَّمِ (٢)
خَطَتْ تَحْتَهُ الْعِيسُ الْفَلَاةَ وَخَالَطَتْ ... بِهِ الْخَيْلُ كَبَّاتِ الْخَمِيسِ الْعَرَمْرَمِ (٣)
وَلَا عِفَّةٌ فِى سَيْفِهِ وَسِنَانِهِ ... وَلَكِنَّهَا فِى الْكَفِّ وَالْفَرْجِ وَالْفَمِ (٤)
وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ ... وَلَا كُلُّ فَعَّالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ (٥)
فِدًى لِأَبِى الْمِسْكِ الْكِرَامُ فَإِنَّهَا ... سَوَابِقُ خَيْلٍ يَهْتَدِينَ بِأَدْهَمِ (٦)

---

(١) يقول : إنى لا آخذ من الإنسان الصلة ــ العطية ــ حتى يكون معها بشر وبشاشة وإذا بذلها وهو عابس جدت عليه بترك تلك الصلة وأنا مبتسم راض بتركها ، وقال ابن القطاع : صحف هذا البيت سائر الرواة فرووه بجود التارك ؛ ولا معنى للتارك ، وإنما هو الباذل ، ومعناه ؛ وإن بذل الانسان لى جوده وهو عابس الوجه غير منشرح الصدر جازيته مجازاة من بذل لى جوده وهو ضاحك ولم أكافئه .

(٢) السميدع ، والسميذع ؛ السيد الكريم الجميل الجسم الموطأ الأكناف وقيل هو الشجاع . والنجيب . الفاضل الكريم ــ ضد اللئيم ــ والسمهرى ؛ الرمح القوى الصلب وصدره ؛ مقدمه مما يلى السنان . يقول : أحب من الفتيان كل سيد يغشى الناس بيته للضيافة ، نجيب جميل طويل القد كالرمح المقوم .

(٣) خطت ؛ جابت وقطعت ؛ والضمير من تحته ؛ للسميذع . والعيس ؛ الإبل البيض والكبة ؛ الحملة فى الحرب ــ من قولهم كبه لوجهه ؛ إذا ألقاه ــ قال بعض العرب ؛ طعنته فى الكبة ؛ طعنة فى السبة ، فأخرجتها من اللبة ، فقيل له كيف طعنته فى السبة ؟ هى حلقة الدبر ــ فقال إن رمحه كان قد سقط من يده فأكب ليأخذه فطعنته ، والخميس الجيش من خمس فرق . والعرمرم ؛ الكثير . يقول : قد سافر كثيرا وقطعت به الإبل الفلوات وشهد الحروب وألفها ، فخالطت به الخيل الجيوش وحملاتها .

(٤) يقول : ليس بعفيف السيف والرمح ، فإنه إذا شهد الحرب قتل الأقران ولم يتعفف عن دمائهم ، وإنما عفته فى كفه ، لا يأخذ من مال أحد شيئاً ، وفى فرجه لا يقرب الزنا ، وفى فمه ، فهو يمسك لسانه عن كل مالا يحل ولا أكل إلا من حل .

(٥) يقول : ليس كل من أحب الأمر الجميل يصنعه ولا كل من يصنعه يتممه

(٦) فدى : خبر مقدم ؛ والكرام : مبتدأ مؤخر والأدهم : الأسود . جعل الكرام

أَغَرُّ بِمَجْدٍ قَدْ شَخَصْنَ وَرَاءَهُ … إِلَى خُلُقٍ رَحْبٍ وَخَلْقٍ مُطَهَّمِ (١)
إِذَا مَنَعَتْ مِنْكَ السِّيَاسَةُ نَفْسَهَا … فَقِفْ وَقْفَةً قُدَّامَهُ تَتَعَلَّمِ (٢)
يَضِيقُ عَلَى مَنْ رَاءَهُ الْعُذْرُ أَنْ يُرَى … ضَعِيفَ الْمَسَاعِي أَوْ قَلِيلَ التَّكَرُّمِ (٣)
وَمَنْ مِثْلُ كَافُورٍ إِذَا الْخَيْلُ أَحْجَمَتْ … وَكَانَ قَلِيلاً مَنْ يَقُولُ لَهَا أَقْدُمِي (٤)
شَدِيدُ ثَبَاتِ الطِّرْفِ وَالنَّقْعُ وَاصِلٌ … إِلَى لَهَوَاتِ الْفَارِسِ الْمُتَلَثِّمِ (٥)

كخيل سوابق ، وجعله كأدهم يتقدم تلك السوابق وهن يجرين على أثره . يعنى أنه إمام الكرام وسابقهم .

(١) أغر : أى بأدهم أغر ، فهو نعت لأدهم ؛ وبمجد : متعلق بأغر ، وشخصن رفعن أبصارهن ، والرحب ؛ الواسع ومطهم : تام. يقول: إن هذا الأدهم أغر غير أن غرته المجد لا البياض ، وهذه السوابق قد مدت أعينها وراء هذا الأغر تنظر منه إلى خلق واسع وخلق تام الجمال .

(٢) يقول : إذا لم تحسن السياسة فوقفة واحدة فى مجلسه — وهو يتعاطى سياسة — الأمور — تكفيك لأن تتعلم منه السياسة .

(٣) راءه : مقلوب « رآه » ؛ والعذر : فاعل يضيق . والمساعى : جمع مسعاة . وهى السعى فى طلب المجد . يقول: من رآه ورأى أفعاله لم يكن له عذر فى أن يكون ضعيف المساعى ، قليل الكرم ؛ يعنى منه تتعلم هذه الأشياء ، فمن رآه ولم يتعلمها منه فهو غير معذور ، وقد جعل ابن جنى هذا داخلا فى الهجاء على معنى لم أر مثله فى خسته ولؤم أصله إذا كان له مسعاة وتكرم فلا عذر لأحد بعده فى تركها كما قال الآخر :

لا تيأسَنَّ مِنَ الإمارةِ بَعْدَمَا … خَفَقَ اللِّواء على عِمَامَةِ جَرْوَلِ

(٤) يقول : من مثله إذا أحجمت الكتيبة — تأخرت — وقل من يحثها على ورود المعركة ؟ أى أنه يحث الجيش عند الإحجام ويشجعه على لقاء العدو . قال الواحدى : والرواية اقدمى — بضم الدال — أى تقدمى : من قدم يقدم إذا تقدم ؛ ومن روى اقدمى — بفتح الدال — فمعناه ردى الحرب — من الورود — من قدم يقدم قدوما .

(٥) الطرف : الفرس ؛ والنقع : الغبار ؛ واللهوات : جمع لهاة ، وهى اللحمة المتدلية فى أقصى الحلق ، وكأنه جمعها على إرادة اللهاة واللوزتين من باب التغليب . يقول . إذا سطع الغبار وثار حتى وصل إلى لهوات من شد على فمه اللثام اتقاء الهواء والغبار ،

أَبَا المِسْكِ أَرْجُو مِنْكَ نَصْرًا عَلَى العِدَا وَآمُلُ عِزًّا يَخْضِبُ البِيضَ بِالدَّمِ (١)
وَيَوْمًا يَغِيظُ الحَاسِدِينَ وَحَالَةً أُقِيمُ الشَّقَا فِيهَا مَقَامَ التَّنَعُّمِ (٢)
وَلَمْ أَرْجُ إِلَّا أَهْلَ ذَاكَ وَمَنْ يُرِدْ مَوَاطِرَ مِنْ غَيْرِ السَّحَائِبِ يَظْلِمِ (٣)
فَلَوْ لَمْ تَكُنْ فِى مِصْرَ مَا سِرْتُ نَحْوَهَا
بِقَلْبِ المَشُوقِ المُسْتَهَامِ المُتَيَّمِ (٤)
وَلَا نَبَحَتْ خَيْلِى كِلَابُ قَبَائِلٍ كَأَنَّ بِهَا فِى اللَّيْلِ حَمَلَاتِ دَيْلَمِ (٥)

فهو حينئذ ثابت فى المعركة لا يحجم ولا يتأخر ولا يتسرب إليه الفزع . ومن روى الطرف — بفتح الطاء — أى العين ، فمعناه أن عينه لا تبرق (١) ولا يتداخله الفزع .

(١) أبا المسك : أى يا أبا المسك ؛ والبيض : السيوف . يقول : أرجو منك أن تنصرنى على أعدائى بحسن رأيك وتؤتينى عزا أتمكن به منهم وأخضب سيوفى بدمائهم

(٢) يقول : أرجو أن أدرك بعزك حالة شقائى فيها عندى مثل التنعم أى أشق فى حرب الأعداء فأتنعم بهذا الشقاء ؛ ويجوز أن يكون المعنى ؛ أنى أبدل تنعم الأعداء بالشقاء لما أجلب لهم من الحسد لنعمق والغيظ لمكانى فيشقون بى .

(٣) يقول: أنت أهل لأن يرجى لديك مارجوته، ولم أضع الرجاء منك فى غير موضعه كمن يرجو مطرا من غير سحاب فيقال له ظلمت — أى وضعت الشىء فى غير محله حين رجوت المطر من غير موضعه .

(٤) المستهام : الذى ذهب على وجهه من عشق ونحوه . والمتيم ؛ الذى ملك عليه الحب أمره واستعبده .

(٥) الديلم ؛ جيل من الترك ، كانت بينهم وبين العرب عداوة ؛ فصار اسمهم عبارة عن الأعداء ، حتى جاء أن الديلم هم الأعداء ، قال عنترة :

شَرِبَتْ بِمَاءِ الدُّحْرُضَيْنِ فَأَصْبَحَتْ زَوْرَاءَ تَنْفِرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ (٢)

---

(١) برق البصر يبرق ، من باب طرب: إذا تحير فلم يطرف .

(٢) قيل إن الديلم فى بيت عنترة ، رجل من ضبة ، وهو الديلم بن ناسك بن ضبة

وَلاَ اتَّبَعَتْ آثَارَنَـــا عَيْنُ قَائِفٍ   فَلَمْ تَرَ إلاَّ حَافِراً فَوْقَ مَنْسِمِ (١)
وَسَمْنَا بِهَا الْبَيْدَاءَ حَتَّى تَغَمَّرَتْ   مِنَ النِّيلِ وَاسْتَذْرَتْ بِظِلِّ الْمُقَطَّمِ (٢)

وقال ابن جنى ؛ سأل أبا الطيب بعض من حضر فقال ، أتريد بالديلم الأعداء أم هذا الجيل من العجم ؟ فقال ؛ من العجم. وحملات جمع حملة، وأسكنه ضرورة . يقول إنه كان يمر بالليل فى طريقه إلى مصر على القبائل فتصول كلابها على خيله كأنها أعداء تحمل عليها .

(١) القائف : الذى يقفو الآثار ـ يتبعها — والمنسم . خف البعير . يقول : إن الذى اتبعنا واقتفى آثارنا ليردنا عن المسير إليك لم ير إلا آثار الإبل والخيل ، أى لم يدركنا لسرعة سيرنا ، وكان من عادتهم إذا طالت الرحلة أن يركبوا الإبل ويجنبوا الخيل ، ، فلذلك قال إلا حافراً فوق منسم . أى إلا أثر حافر فوق أثر خف ومن هذا قول مقاس العائذى (١) .

أولى فأولى يا امرء القيس بعدما   خصفنا بآثار المطى الحوافرا

[يقال خصفت الإبل الخيل : تبعتها]

(٢) تغمرت : أى شربت قليلا من الغمر ، وهو القدح الصغير ؛ واستذرت . نزلت فى ذراه : أى فى كنفه وناحيته ؛ والمقطم : الجبل المعروف بمصر . يقول : وسمنا البيداء بآثار خيلنا وركابنا — يعنى سرنا فى أرض غفل لا أثر بها لسالك فصارت آثار الخيل والإبل كالسمة لها ـ أى العلامة ـ حتى وردت النيل ـ نيل مصر ـ فشربت منه دون الرى ، وذلك لأنها وردت الماء مكدودة فقل شربها ، ومنه قول طفيل الغنوى :

وذلك أنه لما سار ناسك إلى أرض العراق وأرض فارس استخلف الديلم ولده على أرض الحجاز ، فقام بأس أبيه وحوض الحياض ، وحمى الأحماء ؛ ثم إن الديلم لما سار إلى أبيه أو حشت داره وبقيت آثاره ، فقال عنترة فى ذلك ما قال ،والدحرضان هما دحرض ووسيع — ما آن قد حرض لآل الزبرقان بن بدر ووسيع لبنى أنف الناقة وقيل أراد عنترة أن عداوتهم كعداوة الديلم للعرب كما قال .

جاءوا يَجُرُّونَ البرُود جرّا   صُهبَ السِّبَالِ ينتُفون شرا

أراد أن عداوتهم كعداوة الروم للعرب ، والروم صهب السبال ، وألوان العرب السمرة والأدمة إلا قليلا .

(١) مسهر بن النعمان من بنى عائذة ، شاعر مقل مجيد ، وهذا البيت من أبيات نجدها فى « المفضليات »

وَأَبْلَخَ يَنْهى بِاخْتِصَاصِى مُشِيرُهُ عَصَيْتُ بِقَصْدِيهِ مُشِيرِى وَلُوَّمِى (١)

فَسَاقَ إِلَىَّ الْعُرْفَ غَــيْرَ مُكَدَّرٍ وَسُقْتُ إِلَيْهِ الشُّكْرَ غَيْرَ مُجَمْجَمِ (٢)

قَدِ اخْتَرْتُكَ الْأَمْــلَاكَ فَاخْتَرْ لَهُمْ بِنَا

حَدِيثًا وَقَدْ حَــكَّمْتُ رَأْيَكَ فَاحْــكُمِ (٣)

فَأَحْسَنُ وَجْهٍ فِى الْوَرَى وَجْهُ مُحْسِنٍ وَأَيْمَنُ كَفٍّ فِيهِمِ كَفُّ مُنْعِمِ (٤)

أَنَخْنَا فَسُمْنَاهَا النِّطَــافَ فَشَارِبٌ قَلِيلاً وَآبٍ صَدَّ عَنْ كُلِّ مَشْرَبِ

« النطاف : جمع نطفة ، وهى الماء الصافى ـ قل أو كثر ـ » وسامه الأمر سوما : كلفه إياه أو عرضه عليه .

(١) الأبلخ : العظيم فى نفسه ، وهو من صفات الملوك ، ويروى بالجيم ، فهو الجميل الوجه ، وهو عطف على « المقطم » . وقوله بقصديه : أى بقصدى إياه . يقول : واستذرت بظل أبلخ يعصى من يشير عليه بتركى بأن يختصنى دون غيرى ، كما أنى عصيت من أشار على بترك المسير إليه . قال الواحدى : يقال إنه أراد بهذا ابن حنزابة ـ جعفر بن الفرات ـ وزير الأسود ولم يكن المتنبى مدحه قال ابن جنى : هو مما يجوز نقله إلى الهجاء . وابن جنى يحاول دائما أن يوجه مدائح المتنبى فى كافور إلى الهجاء ، ولعل له عذراً فى ذلك ، وهو أدرى بدهاء المتنبى ومكانة كافور لديه .

(٢) العرف : المعروف . والمجمجم : من قولهم جمجم كلامه ؛ إذا عماه وستره ولم يأت به على الوجه الذى يهتدى إليه . يقول ؛ لم يكدر إحسانه إلى بالمن ولم ينغصه بالأذى ، فكان شكرى به صريحا خالصا غير مشوب . قال ابن جنى ؛ هذا النفى يشهد بما ذكرته من قلب المدح إلى الهجاء .

(٣) قوله اخترتك الأملاك ؛ يريد اخترتك من الأملاك ـــ الملوك ـــ فحذف «من» وأوصل الفعل ، كما فى قوله تعالى « واختار موسى قومه سبعين رجلا » . يقول ؛ اخترتك من بين ملوك الدنيا ، وآثرتك بقصدى إياك دونهم ، فاختر لهم بنا حديثا من مدح أو هجاء ، بمنع أو حرمان ؛ أى أنهم سيتحدثون بنا وبما كان منا ، فاختر ما تريد؛ من ثناء وإطراء بالبر والإحسان أو ذم وهجاء بالبخل والحرمان ، فأنت الحكم فيما تختار ؛ يعنى إن أحسنت مكافأتى صوبوا رأيى فى قصدك ومدحك وإلا شمتوا بى وذموك .

(٤) أيمن : من اليمن ، وهو البركة . قال الواحدى : هذا البيت يورى عن هجائه

وَأَشْرَفُهُمْ مَنْ كَانَ أَشْرَفَ هِمَّةً ... وَأَكْبَرَ إِقْدَاماً عَلَى كُلِّ مُعْظَمِ (١)
لِمَنْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرِدْ بِهَا ... سُرُورَ مُحِبٍّ أَوْ إِسَاءَةَ مُجْرِمِ (٢)
وَقَدْ وَصَلَ المُهْرُ الَّذِي فَوْقَ فَخْذِهِ ... مِنِ اسْمِكَ مَا فِي كُلِّ عُنْقٍ وَمِعْصَمِ (٣)
لَكَ الْحَيَوَانُ الرَّاكِبُ الْخَيْلَ كُلُّهُ ... وَإِنْ كَانَ بِالنِّيرَانِ غَيْرَ مُوَسَّمِ (٤)

بقبح الصورة وأنه لا منقبة له يمدح بها ، غير أنه إذا أحسن بالإعطاء فوجهه أحسن الوجوه ويده أيمن الأيدى بالإنعام ، وكذلك البيت الذى بعده .

(١) معظم؛ أى أمر عظيم. قال الواحدى : يريد أنه خال عما يمدح به الملوك من حسب أو نسب أو شرف تليد — قديم موروث — فإن لم يستحدث لنفسه شرفا بعلو همة وإقدام لم يكن له خصلة يمدح بها .

(٢) لمن : استفهام إنكار . يقول: إنما تراد الدنيا ويتناحر عليها ويتنافس فيها لنفع الأولياء وضر الأعداء وليس تصلح لغير هذين ، قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم إذا لم تصن بالمال أبناء الجنس ، وتقتل به أعداء النفس فما تصنع بالأعراض ؟

(٣) المعصم : موضع السوار من الزند، يريد أن «المهر» الذى أهداه إليه كان موسوما باسمه ليعلم أنه من خيله ، وأن ذلك غير خاص بالخيل ،فإن كل حيوان موسوم باسمه كذلك يعنى أنه يملك جميع الأحياء ، فكأنهم موسومون باسمه ، وإن لم يوسموا حقيقة — كما كشف عن ذلك فى البيت التالى — هذا : والمهر هو الصغير السن من الخيل، و« الأنثى » مهرة وجمع المذكر : أمهار ومهار . ومهارة ؛ وجمع المؤنث : مهر ومهرات . قال الربيع بن زياد العبسى يحرض قومه فى طلب دم مالك بن زهير العبسى ، وكانت فزارة قتلته لما قتل حذيفة بن بدر الفزارى :

أَفَبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ ... تَرْجُو النِّسَاءُ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ
مَا إِنْ أَرَى فِى قَتْلِهِ لِذَوِى الْحِجَى ... إِلَّا الْمَطِىَّ تُشَدُّ بِالْأَكْوَارِ
وَمُجَنَّبَاتٍ مَا يَذُقْنَ عَذُوفَةً ... يَقْذِفْنَ بِالْمُهَرَاتِ وَالْأَمْهَارِ (١)

(٤) أراد بالحيوان الراكب الخيل : الإنسان ؛ والموسم : المعلم . يقول :لك الخيل

---

(١) المجنبات : الخيل تجنب إلى الإبل ويقال ما ذاق عذوفا ولا عذوفة — بالذال والدال — أى ماذاق شيئا .

وَلَوْ كُنْتُ أَدْرِى كَمْ حيَاتِى قَسَمْتُهَا ... وَصَيَّرْتُ ثُلْثَيْهَا انْتِظَارَكَ فَاعْلَمِ (١)
وَلٰكِنَّ مَا يَمْضِى مِنَ الْعُمْرِ فَائِتٌ ... فَجُدْ لِى بِحَظِّ الْبَادِرِ الْمُتَغَنِّمِ (٢)
رَضِيتُ بِمَا تَرْضَى بِهِ لِى مَحَبَّةً ... وَقُدْتُ إِلَيْكَ النَّفْسَ قَوْدَ الْمُسَلِّمِ (٣)
وَمِثْلُكَ مَنْ كَانَ الْوَسِيطَ فُؤَادُهُ ... فَكَلَّمَهُ عَنِّى وَلَمْ أَتَكَلَّمِ (٤)

* * *

وقال يذكر حُمّى كانت تغشاه بمصر ويعرض بالرحيل عن مصر ، وذلك في ذى الحجة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة :

مَلُومُكُمَا يَجِلُّ عَنِ الْمَلَامِ ... وَوَقْعُ فَعَالِهِ فَوْقَ الْكَلَامِ (٥)

ومن يركبها وكل حيوان وإن كانت غير معلمة ، ومراده بالخيل ما هو أعم منها من الحيوان وإنما خصها بالذكر لمكان ذكر المهم .

(١) هذا استبطاء لما يرجوه منه . يقول : لو كنت أعرف كم مقدار بقائى فى الدنيا لجعلت ثلثى ذلك المقدار مدة انتظار عطائك ، وهذا من قول مسلم بن الوليد :

لَوْ كَانَ عِنْدَكَ مِيثَاقٌ يُخَلِّدُنَا ... إِلَى الْمَشِيبِ انْتَظَرْنَا سَلْوَةَ الْكِبَرِ

(٢) البادر : المسرع ؛ والمتغنم : الذى يغتنم الشىء : يقول : ما فات من العمر لا يعود : أى أن ما بقى من الحياة غير طويل ، فإن الماضى غير مستدرك ، فجدلى بحظ من يستعجل ويبادر إلى الأمور ويغتنمها وقت القدرة والإمكان .

(٣) هذا كالعود من عتاب الاستبطاء . يقول : إن كنت ترضى بتأخير ما أرجوه فأنا أرضى به أيضا محبة لك ، وانجذابا إلى هواك وموافقة لرضاك لأنى قدت نفسى إليك قود من سلم إليك أمره تصرفه كما تشاء .

(٤) يقول : مثلك فى كرمك وسماحتك يكون فؤاده وسيطا بينه وبينى فيكلمه عنى ولا يحوجنى إلى الكلام .

(٥) الفعال : بمعنى الفعل . يقول ـ لصاحبيه اللذين يلومانه على تجشم الأسفار وإخطاره بنفسه فى طلب المعالى ـ : ملومكما ـ يعنى نفسه ـ أجل من أن يلام ، لأن فعله يجوز طوق القول ، فلا يدرك فعله بالوصف والقول ، ولأنه لا مطمع للائم فيه بأن يطيعه أو يخدعه هو بلومه ، وذهب ابن القطاع إلى أن الكلام : بمعنى الجراحات ، قال

ذَرَانِى وَالْفَلَاةَ بِلَا دَلِيلٍ ... وَوَجْهِى وَالْهَجِيرَ بِلَا لِثَامِ (١)
فَإِنِّى أَسْتَرِيحُ بِذِى وَهٰذَا ... وَأَتْعَبُ بِالْإِنَاخَةِ وَالْمُقَامِ (٢)
عُيُونُ رَوَاحِلِى إِنْ حِرْتُ عَيْنِى ... وَكُلُّ بُغَامِ رَازِحَةٍ بُغَامِى (٣)
فَقَدْ أَرِدُ الْمِيَاهَ بِغَيْرِ هَادٍ ... سِوَى عَدِّى لَهَا بَرْقَ الْغَمَامِ (٤)

المعنى ملومكما يجل عن لو مكما ووقع فعال لومكما فوق الكلام : أى الجراحات ، فالكلام بكسر الكاف — جمع كلم —

(١) ذرانى : دعانى واتركانى . والفلاة : الصحراء . ونصب الفلاة والهجير لأنهما مفعولان معهما . ووجهى : عطف على «الياء» من ذرانى ، والهجير حر نصف النهار يقول : دعانى مع الفلاة أسلكها بغير دليل لاهتدائى فيها وخبرتى بمسالكها ، ودعانى مع الهجير أسير فيه بغير لثام يقى وجهى ، لأنى قد اعتدت ذلك .

(٢) الإناخة : النزول ؛ والمقام : مصدر ميمى ، بمعنى الإقامة وقوله بذى وهذا يعنى بالفلاة والهجير . يقول : راحتى فيهما وتعبى فى النزول والإقامة .

(٣) الرواحل جمع راحلة وهى الناقة وبغام الناقة : صوت لا تفصح به وبغمت الناقة تبغم بغاما : قطعت الحنين ولم تمده ورزحت الناقة : سقطت من الإعياء . قال الواحدى قال ابن جنى : معناه أن حارت عينى ، فأنا بهيمة مثل رواحلى ، وعينى عينها وصوتى صوتها ، كما تقول : إن فعلت كذا فأنت حمار ، وأنت بلا حاسة ، وزاد ابن فورجه هذا بيانا فقال : يريد أنه بدوى عارف بدلالات النجوم فى الليل ، فيقول إن تحيرت فى المفازة فعينى البصيرة عين راحلتى ، ومنطقى الفصيح : بغامها ، وقال التبريزى : عيون رواحلى تنوب عنى إذا ضللت أهتدى بها وصوتها إذا احتجت إلى أن أصوت ليسمع الحى يقوم مقام صوتى ، وإنما قال « بغامى » على الاستعارة .

(٤) يقول : لا أحتاج فى ورود الماء إلى دليل يدلنى سوى أن أعد برق الغمام ، وأستدل بذلك على المطر فأتبع موقعه ، على عادة العرب فى عدها بروق الغمام ، وذلك أن العرب كانوا إذا لاح البرق عدوا سبعين برقة ، وقيل مائة ، فإذا كملت وثقوا بأن البرق برق ماطر ، فرحلوا يطلبون موضع الغيث . قال قائلهم :

سقَى اللهُ جيرانًا حَمِدتُ جِوارهم ... كرامًا إذا عُدُّوا وفوقَ كِرامِ
يَعُدُّونَ برق المُزْنِ فِى كلِّ مَهْمهٍ ... فَمَا رِزْقُهُمْ إلا بُروقُ غَمامِ

يُذِمُّ لِمُهْجَتِي رَبِّي وَسَيْفِي ... إِذَا احْتَاجَ الوَحِيدُ إِلَى الذِّمَامِ (١)
وَلاَ أُمْسِي لِأَهْلِ البُخْلِ ضَيْفاً ... وَلَيْسَ قِرًى سِوَى مُخِّ النَّعَامِ (٢)
فَلَمَّا صَارَ وُدُّ النَّاسِ خِبًّا ... جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامٍ بِابْتِسَامِ (٣)
وَصِرْتُ أَشُكُّ فِيمَنْ أَصْطَفِيهِ ... لِعِلْمِي أَنَّهُ بَعْضُ الأَنَامِ (٤)
يُحِبُّ العَاقِلُونَ عَلَى التَّصَافِي ... وَحُبُّ الجَاهِلِينَ عَلَى الوَسَامِ (٥)

---

(١) يقال أذم له : أى أعطاه الذمة ، وهى العهد والخفارة ، والمهجة : الروح، يقول من احتاج فى سفره إلى ذمة ليأمن بذلك ، فإنى أكون فى ذمة الله وذمة سيفى يعنى : لا أستصحب أحداً فى سفرى لآمن بصحبته .

(٢) وليس قرى : أى وليس لى قرى . فخبر « ليس » محذوف ، والجملة : حال. يقول : لا أمسى ضيفا للبخيل وإن لم يكن لى طعام البتة ـ لأنه لامخ للنعام ـ ويجوز أن يريد بهذا أن البخيل لاقرى عنده ، ويروى مح ـ بالحاء المهملة ـ وهوصفرة البيض وقيل مافى جوف البيض من أصفر وأبيض كله مح . والمعنى على هذا لو لم يكن لى قرى سوى بيض النعام شربته ولم آت بخيلا .

(٣) الخب ، الخداع . يقول : لما فسد ود الناس وصار خداعا يبشون بوجوههم وكشحهم منطو على الخبث عاملتهم بمثل ما يعاملوننى به ؛ فهم يكاشروننى وأنا أكاشرهم أى ابتسمت إليهم كما يبتسمون إلى .

(٤) يقول : لعموم الفساد فى الخلق كلهم صرت إذا اصطفيت ـ اخترت ـ أحداً لمودتى لم أكن على ثقة من مودته لعلمى أنه من جملة الخلق . حكى عن المتنبى أنه قال : كنت إذا دخلت على كافور وأنشده يضحك إلى ويبش فى وجهى حتى أنشدته هذين البيتين فما ضحك بعدهافى وجهى إلى أن تفرقنا . فعجبت من فطنته وذكائه .

(٥) الوسام والوسامة : حسن الصورة . يقول : العاقل إنما يحب من يحبه لأجل صفاء الود بينهما . فمن أصفى له الود أحبه ، أما الجاهل الأحمق فإنه يحب على جمال الصورة ، وذلك حب الجهال ـ الحمق ـ لأنه ليس كل جميل المنظر يستحق المحبة كخضراء الدمن (١) رائق اللون وبىء المذاق .

---

(١) أصل الدمن : ما تدمنه الإبل والغنم من أبعارها وأبوالها ـ أى تلبده فى مرابضها فربما نبت فيها النبات الحسن النضير وأصله من دمنة ، فذلك النبت هو خضراء الدمن وفى الحديث « إياكم وخضراء الدمن ، قيل : وما ذاك يارسول الله قال : المرأة الحسناء

وَآنَفُ مِنْ أَخِي لِأَبِي وَأُمِّي ... إِذَا مَا لَمْ أَجِدْهُ مِنَ الْكِرَامِ (١)
أَرَى الْأَجْدَادَ تَغْلِبُهَا كَثِيراً ... عَلَى الْأَوْلَادِ أَخْلَاقُ اللِّئَامِ (٢)
وَلَسْتُ بِقَانِعٍ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ ... بِأَنْ أُعْزَى إِلَى جَدٍّ هُمَامِ (٣)
عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ قَدٌّ وَحَدٌّ ... وَيَنْبُو نَبْوَةَ الْقَضِمِ الْكَهَامِ (٤)
وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَعَالِي ... فَلَا يَذَرُ الْمَطِيَّ بِلَا سَنَامِ (٥)
وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئاً ... كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ (٦)

---

(١) آنف : أى أستنكف . وقوله لأبى وأمى : حال ؛ أى مولودا لهما ـ يعنى الأخ الشقيق ـ

(٢) يقول . إذا لؤمت الأخلاق غلبت الأصل الطيب الكريم حتى يكون صاحبها لئيما وإن كان من أصل كريم ، كما قال آخر :

أَبُوكَ أَبٌ حُرٌّ وَأُمُّكَ حُرَّةٌ ... وَقَدْ يَلِدُ الْحُرَّانِ غَيْرَ نَجِيبِ

وقال آخر :

لئن فخرتَ بآباء لهُمْ شرف ... لقدْ صدَقْتَ ولكن بئس ماولدُوا

(٣) أعزى : أنسب . والهمام : السيد الشجاع السخى . يقول : لا أقنع من الفضل بأن أنسب إلى جد فاضل ، يعنى إذا لم أكن فاضلا بنفسى لم يغن عنى فضل جدى

(٤) القد : القامة، وحد : أى حد السيف . يريد بمن له قد وحد : الشاب الذى لم يهدم الهرم جسمه ولم يذهب الكبر بقوته ، ونبا السيف : كل عن الضريبة ، والقضم السيف الذى فيه فلول ؛ والكهام : الذى لا يقطع يقول : عجبت لمن توافرت له قوة الشباب وبأسه ثم لا ينفذ فى الأمور ولا يكون ماضياً .

(٥) المطى : الإبل ؛ والسنام : ما شخص من ظهر البعير . يقول : وعجبت لمن وجد الطريق إلى معالى الأمور فلا يبادر إلى قطعها ليصل إليها ، ولا يتعب مطاياه فى ذلك الطريق حتى تذهب أسنمتها .

(٦) يقول : ولا عيب أبلغ من عيب من قدر أن يكون كاملا فى الفضل فلم يكمل :

فى المنبت السوء » شبه المرأة بما ينبت فى الدمن من الكلأ له غضارة وهو وبىء المرعى منتن الأصل .

أَقَمْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ فَلاَ وَرَائى ... تَخُبُّ بِىَ الْمَطِىُّ وَلاَ أَمَامِى (١)
وَمَلَّنِىَ الْفِرَاشُ وَكَانَ جَنْبِى ... يَمَلُّ لِقَاءَهُ فى كُلِّ عَامِ (٢)
قَلِيلٌ عَائِدِى سَقِمٌ فُؤَادِى ... كَثِيرٌ حَاسِدِى صَعْبٌ مَرَامِى (٣)
عَلِيلُ الْجِسْمِ مُمْتَنِعُ الْقِيَامِ ... شَدِيدُ السُّكْرِ مِنْ غَيْرِ الْمُدَامِ (٤)
وَزَائِرَتِى كَأَنَّ بِهَا حَيَاءً ... فَلَيْسَ تَزُورُ إِلاَّ فى الظَّلاَمِ (٥)
بَذَلْتُ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا ... فَعَافَتْهَا وَبَاتَتْ فى عِظَامِى (٦)
يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفْسِى وَعَنْهَا ... فَتُوسِعُهُ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ (٧)
إِذَا مَا فَارَقَتْنِى غَسَّلَتْنِى ... كَأَنَّا عَاكِفَانِ عَلَى حَرَامِ (٨)

أى لا عذر له فى ترك الكمال إذا قدر على ذلك ثم تركه، والعيب ألزم له من الناقص الذى لا يقدر على الكمال . يشير بهذه الابيات إلى نفسه ويعرض بالرحيل عن مصر .

(١) الخبب : ضرب من السير ؛ والركاب : الإبل . يقول : أقمت بمصر لا تسير بى الإبل إلى خلف ولا إلى قدام ، يعنى أنه لزم الإقامة بها لا يريم .

(٢) يقول : إن مرضه قد طال حتى مله الفراش وكان هو يمل الفراش وإن لاقاه جنبه فى العام مرة واحدة ، لأنه أبداً كان يكون على سفر .

(٣) يقول : إنى بمصر غريب فليس يعودنى بها إلى القليل من الناس، وفؤادى سقيم لتراكم الأحزان على ، وحسادى كثير لوفور فضلى ، ومرامى – مطلبى – صعب لأنى أطلب الملك .

(٤) قوله من غير المدام : أى أنى سكران من غير خمر ، وإنما من الضعف والهموم

(٥) وزائرتى : أى ورب زائرة لى – يريد الحمى وكانت تأتيه ليلا – يقول : كأنها حيية إذ كانت لا تزورنى إلا فى دجنات الظلام .

(٦) المطارف : جمع مطرف ، وهو رداء من خز فى جنبه علمان . والحشايا : جمع حشية ، وهى ما حشى من الفراش مما يجلس عليه . وعافتها : كرهتها وأبتها . يقول : هذه الزائرة – يعنى الحمى – لا تبيت فى الفراش ، وإنما تبيت فى عظامى .

(٧) يقول : جلدى لا يسعها ولا يسع أنفاسى للصعداء، والحمى تذهب لحمى وتوسع جلدى بما توردہ على من أنواع السقام .

(٨) قال الواحدى : يريد أنه يعرق عند فراقها ، فكأنها تغسله لعكوفها على مايوجب

كَأنَّ الصُّبْحَ يَطْرُدُهَا فَتَجْرِى مَدَامِعُهَا بِأرْبَعَةٍ سِجَامِ (١)
أُرَاقِبُ وَقْتَهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ مُرَاقَبَةَ الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ (٢)
وَيَصْدُقُ وَعْدُهَا وَالصِّدْقُ شَرٌّ إذَا أَلْقَاكَ فِى الْكُرَبِ الْعِظَامِ (٣)
أَبِنْتَ الدَّهْرِ عِنْدِى كُلُّ بِنْتٍ فَكَيْفَ وَصَلْتِ أنْتِ مِنَ الزِّحَامِ (٤)
جَرَحْتِ مُجَرَّحاً لَمْ يَبْقَ فِيهِ مَكَانٌ لِلسُّيُوفِ وَلاَ السِّهَامِ (٥)
أَلاَ يَالَيْتَ شِعْرَ يَدِى أتُمْسِى تَصَرَّفُ فِى عِنَانٍ أوْ زِمَامِ (٦)

الغسل ، وإنما خص الحرام للقافية ، وإلا فالاجتماع على الحلال كالاجتماع على الحرام فى وجوب الغسل. وقال ابن الشجرى: وإنما خص الحرام لأنه جعلها زائرة غريبة ولم يجعلها زوجة ولا مملوكة .

(١) سجم الدمع :سال انسكب : أى بأربعة أدمع .يقول : إنها تفارقه عند الصبح ، فكأن الصبح يطردها وكأنها تكره فراقه فتبكى باربعة أدمع . يريد كثرة الرحضاء وهو عرق الحمى ، والدمع يجرى من الموقين ، فإذا غلب وكثر جرى من اللحاظين أيضا . والموق . طرف العين مما يلى الأنف ؛ واللحاظ : طرفها مما يلى الصدغ .

(٢) يقول : إنه لجزعه من ورودها يراقب وقت زيارتها خوفا لا شوقا

(٣) يقول : إنها صادقة الوعد فى الورود ـ لأنها لاتتخلف عن ميقاتها ـ وذلك الصدق شر من الكذب لأنه صدق يضر ولا ينفع ، كمن أوعد ثم صدق فى وعيده .

(٤) يريد ببنت الدهر : الحمى ؛ وبنات الدهر. شدائده . يقول :للحمى-: عندى كل نوع من أنواع الشدائد ، فكيف لم يمنعك ازدحامها من الوصول إلى ؟ وهذا من قول الآخر :

أتيتُ فؤادَهَا أشكُو إليهِ فلم أخْلُصْ إليهِ منَ الزحامِ

(٥) يقول : لقد جرحت رجلا من كثرة ملاقاته الحروب لم يبق فيه مكان لضرب السيوف ولا للسهام .

(٦) يقولون ليت شعرى ماحال فلان ؟ أى ليتنى أشعر ؛ وخبر « ليت » محذوف : أى ليت شعرى حاصل ونحوه ؛ والعنان : سير اللجام ، والزمام : المقود . يقول : ليت يدى علمت هل تتصرف بعد هذا فى عنان خيل أو زمام إبل ؟ يعنى ليتنى علمت : هل أصح وأبرأ فاسافر على الخيل والإبل ؟

وَهَلْ أَرْمِى هَوَاىَ بِرَاقِصَاتٍ مُحلّاَةِ الْمَقَاوِدِ بِاللُّغَامِ[١]
فَرُبَّتَمَا شَفَيْتُ غَلِيلَ صَدْرِى بِسَيْرٍ أَوْ قَنَاةٍ أَوْ حُسَامِ[٢]
وَضَاقَتْ خُطَّةٌ فَخَلَصْتُ مِنْهَا خَلَاصَ الْخَمْرِ مِنْ نَسْجِ الْفِدَامِ[٣]
وَفَارَقْتُ الْحَبِيبَ بِلَا وَدَاعٍ وَوَدَّعْتُ الْبِلَادَ بِلَا سَلَامِ[٤]

---

(١) هواى : يعنى ما يهواه ويطلبه ، وبراقصات : أى بإبل تسير الرقص ، وهو ضرب من الخبب ، يقال رقص البعير رقصا إذا خب ؛ ومحلاة : من الحلية ؛ واللغام : زبد يخرج من فم البعير . يقول : وهل أقصد ما أهواه من المطالب والمقاصد بإبل تسير الرقص وقد جمد الزبد على مقاودها فصار عليها مثل الحلى الفضية ؟ وهذا كما قال منصور النميرى :

وَيَقْطَعُ البيدَ منها كلُّ يعملةٍ خُرْطُومُها بِاللُّغامِ الْجَعْدِ مُلتفِعُ[١]

(٢) الغليل : العطش ، ويراد به كل ما حز فى الصدر ، والقناة : الرمح . والحسام السيف القاطع . يقول : إنه لما كان صحيحا كان يسافر ويقاتل فيشفى غليله بالسير إلى ما يهواه ، وبالسيف والرمح .

(٣) الخطة : الأمر والقصة ، والفدام : ما يجعل على فم الإبريق ونحوه ليصفى به ما فيه . يقول : ربما ضاق أمر على فخلصت منه كما تخلص الخمر من النسيج الذى تشد به أفواه الأباريق .

(٤) يقول : وربما فارقت الحبيب بلا وداع لعجلتى ؛ يريد أنه قد هرب من أشياء كرهها فلم يقدر على توديع الحبيب ولا على أن يسلم على أهل ذلك البلد الذى هرب منه .

---

(١) لغام جعد : متراكب مجتمع ، وذلك إذا صار بعضه فوق بعض على خطم البعير أو الناقة ، يقال : جعد اللغام ، قال ذو الرمة :

تنجو إذا جعلتْ تَدْمَى أخشتُها واعتمّ بالزَّبَدِ الجعْدِ الخراطيمُ

« تنجو : تسرع السير ، والنجاء : السرعة ، وأخشتها جمع خشاش، وهى حلقة تكون فى أنف البعير » .

يَقُولُ لِيَ الطَّبِيبُ أَكَلْتَ شَيْئًا وَدَاؤُكَ فِي شَرَابِكَ وَالطَّعَامِ (١)
وَمَا فِي طِبِّهِ أَنِّي جَــوَادٌ أَضَرَّ بِجِسْمِهِ طُولُ الْجِمَامِ (٢)
تَعَوَّدَ أَنْ يُغَبِّرَ فِي السَّرَايَا وَيَدْخُلَ مِنْ قَتَامٍ فِي قَتَامِ (٣)
فَأُمْسِكَ لَا يُطَالُ لَهُ فَيَرْعَى وَلَا هُوَ فِي الْعَلِيقِ وَلَا اللِّجَامِ (٤)
فَإِنْ أَمْرَضْ فَمَا مَرِضَ اصْطِبَارِي وَإِنْ أُحْمَمْ فَمَا حُمَّ اعْتِزَامِي (٥)
وَإِنْ أَسْلَمْ فَمَا أَبْقَى وَلَـكِنْ سَلِمْتُ مِنَ الْحِمَامِ إِلَى الْحِمَامِ (٦)

---

(١) و (٢) الجمام : الراحة . يقول : إن الطبيب يظن أن سبب دائى الأكل والشرب فيقول: أكلت كذا وكذا مما يضر، وليس فى طبه أن الذى أضر بجسمى طول لبثى وقعودى عن الأسفار ، كالفرس الجواد ، يضر بجسمه طول قيامه فى المرابط ، فيفتر ويبلى .

(٣) السرايا : جمع سرية ، وهى القطعة من الجيش تسرى إلى العدو ؛ والقتام : الغبار وأراد بدخول القتام : حضور الحرب . يقول : تعود هذا الجواد ـ يعنى نفسه أن يثير الغبار فى الجيوش ويخرج من حرب فيدخل فى غيرها .

(٤) فأمسك : أى الجواد . ولا يطال له : أى لا يرخى طوله ، وهو حبل طويل تشد به قائمة الدابة وترسل فى المرعى . يقول : أمسك هذا الجواد لا يرخى له الطول فيرعى فيه ولا هو فى السفر فيعتلف من المخلاة ـ التى تعلق على رأسه ـ وليس هو فى اللجام . وهذا مثل ضربه لنفسه ، وأنه حليف الفراش ، ممنوع عن الحركة ، وجائز أن يكون هذا المثل قد ضربه لحالته مع كافور .

(٥) أحمم : من الحمى . يقول : إن كنت قد مرضت فى بدنى فإن صبرى وعزمى باقيان على ما كانا عليه لم يمرضا بمرض جسمى .

(٦) الحمام : الموت . يقول : وإن سلمت من الحمى لم أبق خالدا ، ولكنى أسلم من الموت بها إلى الموت بغيرها ، وهذا قريب من قول طرفة بن العبد :

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى لَـكَالطِّوَلِ الْمُرْخَى وَثِنْيَاهُ بِالْيَدِ (١)

---

(١) الطول : الحبل الطويل جدا ، أو حبل طويل تشد به الدابة ويمسك صاحبه بطرفه ويرسلها ترعى .

تَمَتَّعْ مِنْ سُهَادٍ أَوْ رُقَادٍ ... وَلاَ تَأْمُلْ كَرًى تَحْتَ الرِّجَامِ [1]

فَإِنَّ لِثَالِثِ الحَالَيْنِ مَعْنًى ... سِوَى مَعْنَى انْتِبَاهِكَ وَالمَنَامِ [2]

* * *

وقال يهجو كافوراً :

مِنْ أَيَّةِ الطُّرْقِ يَأْتِي نَحْوَكَ الكَرَمُ ... أَيْنَ المَحَاجِمُ يَا كَافُورُ وَالجَلَمُ [3]

جَازَ الأُلَى مَلَكَتْ كَفَّاكَ قَدْرَهُمُ ... فَعُرِّفُوا بِكَ أَنَّ الكَلْبَ فَوْقَهُمُ [4]

ومن قول الآخر .

إِذَا بَلَّ مِنْ دَاءٍ به خَالَ أَنَّهُ ... نَجَا وَبِهِ الدَّاءُ الَّذِي هُوَ قَاتِلُه [1]

(١) السهاد . السهر والكرى . يريد به النوم ، والرجام . القبور ـ واحدها رجم وأصلها حجارة ضخام تجعل على القبر ، ومنه قول عبد الله بن مغفل : لا ترجموا قبرى أى لا تجعلوا عليه الرجم ـ أى لا تسنموه بل سووه بالأرض . يقول : مادمت حياً فتمتع من حالى السهر والنوم ولا ترج النوم فى القبر : وفيه نظر إلى قول الآخر .

تَمَتَّعْ بِالرُّقَادِ عَلَى شِمَالٍ ... فَنَوْمُكَ قَدْ يَطُولُ عَلَى الْيَمِينِ

(٢) يريد بثالث الحالين . الموت . يقول : إن الموت حال غير حالى السهر والنوم فلا يتمتع فيه بشىء .

(٣) المحاجم . جمع المحجمة ، وهى القارورة يحجم بها الجلد . والجلم . أحد شقى المقراض وهما جلمان . يقول . لا طريق للكرم إليك ، فإنك لست منه فى شىء ، إنما أنت أهل لأن تكون حجاما ـ مزينا ـ فأين آلة الحجامة حتى تشتغل بها ؟ وفيه إشارة إلى أن الذى اشتراه قديما كان حجاما .

(٤) الألى . أى الذين ؛ وقدرهم ؛ مفعول « جاز » . يقول : إن هؤلاء الذين تملكهم قد تجاوزوا قدرهم بالبطر والطغيان . فملكك الله عليهم تحقيرا لهم ووضعا من قدرهم ، حين ملكهم كلب .

---

(١) بل : برأ وصح . والداء الذى هو قاتله : الهرم .

لَا شَىْءَ أَقْبَحُ مِنْ فَحْلٍ لَهُ ذَكَرٌ تَقُودُهُ أَمَةٌ لَيْسَتْ لَهَا رَحِمُ(١)
سَادَاتُ كُلِّ أُنَاسٍ مِنْ نُفُوسِهِمِ وَسَادَةُ الْمُسْلِمِينَ الْأَعْبُدُ الْقَزَمُ(٢)
أَغَايَةُ الدِّينِ أَنْ تُحْفُوا شَوَارِبَكُمْ يَا أُمَّةً ضَحِكَتْ مِنْ جَهْلِهَا الْأُمَمُ(٣)
أَلَا فَتًى يُورِدُ الْهِنْدِىَّ هَامَتَهُ كَيْمَا تَزُولَ شُكُوكُ النَّاسِ وَالتُّهَمُ(٤)
فَإِنَّهُ حُجَّةٌ يُؤْذِى الْقُلُوبَ بِهَا مَنْ دِينُهُ الدَّهْرُ وَالتَّعْطِيلُ وَالْقِدَمُ(٥)
مَا أَقْـــدَرَ اللهَ أَنْ يُخْزِى خَلِيقَتَهُ وَلَا يُصَدِّقَ قَوْمًا فِى الَّذِى زَعَمُوا(٦)

---

(١) قال الواحدى . يريد بالفحل ذى الذكر ، رجال عسكره ، وبالأمة التى لارحم لها ، الأسود — كافوراً — يوبخهم بانقيادهم له ، يقول : لاشىء أقبح فى الدنيا من رجل ينقاد لأمة حتى تقوده إلى ماتريد ؛ وقال ابن فورجه ؛ يريد أن ابن طغج فحل له ذكر وكافورا خصى ، فهو كالأمة من حيث إنه خصى لكنه قدخالفها بكونه لارحم له، فكأنه أنقص من أمة ، فهذا إغرابه ، يقول : لم تملكه أمرك وأنت فحل وهو أمة فى العجز ودناءة القدر ؟

(٢) القزم : رذال الناس وسفلتهم ؛ يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع ، وروى ابن جنى : القزم — بضمتين — وهو جمع ، مثل أسد وأسد . وهذا إغراء لأهل مملكته به . يقول : كل جيل وأمة يملكهم من هو من جنسهم ، فكيف ساد المسلمين عبيد رذال لئام ؟

(٣) أحفى شاربه : استأصله . يقول — لأهل مصر — : لا شىء عندكم من الدين إلا إحفاء الشوارب حتى ضحكت منكم الأمم ، وهذا إنكار عليهم طاعة الأسود وتقريره فى المملكة .

(٤) الهندى : السيف ، نسبة إلى الهند ، والهامة : الرأس : يحرض على قتله، يقول ألا رجل منكم يقتله حتى يزول عن العاقل الشك والتهمة ؟ وذلك أن تملك مثله يشكك العاقل فى حكمة البارى — جل شأنه — حتى يفضى به إلى أن يظن أن الناس معطلون عن صانع يدبرهم .

(٥) يقول : إن الدهرى يقول لو كان للعالم مدبر وكانت الأمور جارية على تدبير حكيم : لما ملك هذا العبد .

(٦) ولا يصدق قوما : أى لا يجعلهم صادقين . يقول — كما قال الواحدى —: إن الله

وقال يهجوه أيضاً :

أَمَا فِى هَـــذِهِ الدُّنْيَا كَرِيمٌ تَزُولُ بِهِ عَنِ الْقَلْبِ الْهُمُومُ (١)
أَمَا فِى هَـــذِهِ الدُّنْيَا مَكَانٌ يُسَرُّ بِأَهْلِهِ الْجَارُ الْمُقِيمُ (٢)
تَشَابَهَتِ الْبَهَائِمُ وَالْعِبِـــدَّى عَلَيْنَا وَالْمَوَالِى وَالصَّمِيمُ (٣)
وَمَا أَدْرِى أَذَا دَاءٌ حَدِيثٌ أَصَابَ النَّاسَ أَمْ دَاءٌ قَدِيمُ (٤)
حَصَلْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ عَلَى عَبِيدٍ كَأَنَّ الْحُرَّ بَيْنَهُمُ يَتِيمُ (٥)
كَأَنَّ الْأَسْــوَدَ اللَّابِىَّ فِيهِمْ غُرَابٌ حَوْلَهُ رَخَمٌ وَبُومُ (٦)

تعالى قادر على إخزاء الخليقة بأن يملك عليهم اثنيا ساقطا من غير أن يصدق الملاحدة الذين يقولون بقدم الدهر . يشير إلى أن تأمير مثله إخزاء للناس ، وأن الله تعالى فعل ذلك عقوبة لهم وليس كما يقول الملحدة ، وذهب بعضهم إلى أنه يحتمل أن يكون المراد أن الله قادر أن يخزى الملحدين ويكذب زعمهم بأن يسلط عليه ـ على كافور ـ من يقتله ويبطل حجتهم .

(١) يشكو خلو الدنيا من الكرام يقول : أما فيها كريم يؤنس به ويستروح إليه وتزول به الهموم ؟

(٢) يقول : إن كل الأمكنة التى وصل إليها قد عمها اللؤم والأذى ، أليس فى الدنيا مكان يحفظ أهله الجار ويرعونه فيسر بجوارهم ؟

(٣) العبدى : العبيد، جمع عبد ، والمراد بهم هنا : العباد — أى الناس — والموالى جمع مولى ، المملوك، والصميم: الصريح النسب الخالص . يقول : عم الجهل الناس كلهم الذين هم عبيد الله — حتى التبسوا علينا بالبهائم ؛ إذ أشبهوها فى الجهل، وملك المملوكون فالتبس الصميم — الأحرار — بالموالى — أى الذين كانوا عبيدا أرقاء — وذلك أن نفاذ الأمر يترجم عن علو القدر . والإمارة إذا صارت إلى اللئام : التبسوا على هذا الأصل بالكرام ، يعنى أن التملك إنما يستحقه الكرام ، فإذا صار إلى اللئام ظنوا كراما

(٤) يقول : لست أدرى أهذا الذى أصاب الناس من تملك العبيد واللئام : عليهم حدث الآن ، أم هو قديم كان قبلنا فيما تقدم ؟

(٥) يعنى : أن الحر بينهم مجفو مهان كاليتيم .

(٦) اللابى : نسبة إلى اللاب ، بلد بالنوبة ، ويقال أسود لوبى ونوبى : نسبة إلى

أُخِذْتُ بِمَدْحِهِ فَرَأَيْتُ لَهْوًا   مَقَالِى لِلْأُحَيْمِقِ يَا حَلِيمُ(١)
وَلَمَّا أَنْ هَجَوْتُ رَأَيْتُ عِيًّا   مَقَالِى لِابْنِ آوَى يَا لَئِيمُ(٢)
فَهَلْ مِنْ عَاذِرٍ فِى ذَا وَفِى ذَا   فَمَدْفُوعٌ إِلَى السَّقَمِ السَّقِيمُ(٣)
إِذَا أَتَتِ الْإِسَاءَةُ مِنْ لَئِيمٍ   وَلَمْ أَلُمِ الْمُسِيءَ فَمَنْ أَلُومُ(٤)

* * *

ودخل عليه صديق له بالكوفة و بيده تفاحة ندٍّ عليها اسم فاتك ، وكانت مما أهداه له ، فاستحسنها الرجل ، فقال المتنبى :

يُذَكِّرُنِى فَاتِكًا حِلْمُهُ   وَشَىْءٌ مِنَ النَّدِّ فِيهِ اسْمُهُ(٥)

اللوبة والنوبة ، وهما فى الأصل : الأرض التى قد ألبستها حجارة سود . والبوم : الطائر المعروف الذى يسكن الخراب ، و به يضرب المثل فى الشؤم والرخم : طائر من الجوارح الكبيرة الجثة الوحشية الطباع . شبه الأسود بالغراب — وهو طير خسيس كثير العيوب وشبه أصحابه أيضا بخساس حول الغراب .

(١) أخذت : رواها الواحدى بصيغة المجهول . قال : أى أكرهت ، وتروى أخذت بصيغة المعلوم — أى شرعت ؛ و« لهواً » مفعول ثان مقدم ؛ ومقالى : مفعول أول . يقول : أكرهت على مدحه فرأيتنى لاهيا . أن أصف الأحمق بالحلم وأن أمدحه بما ليس فيه .

(٢) ولما أن هجرت : أى ولما هجوت : فـ « أن » زائدة . والعى : ضد الفصاحة : عيي فى منطقه عيا : إذا لم يوفق إلى التعبير عما فى نفسه — وابن آوى : ضرب من الكلاب البرية تنذر بالسبع بصياحها . يقول : ولما هجوته وهو ظاهر اللؤم ؛ كان نسبق إياه إلى اللؤم عيا ، لأن التكلم بما لا يحتاج فيه إلى بيان : عى ، ومن قال لابن آوى — وهو من الأم السباع وأخسها — يالئيم ، كان متكلفا .

(٣) يقول : فهل من عاذر لى يقوم بعذرى فى مدحه وهجائه — فإنى كنت مضطراً لم يكن لى فيهما اختيار ، كالسقم يطرأ على السقيم من غير اختياره ؟

(٤) يعتذر من تكلفه هجاءه يقول : إذا أساء إلى وضيع لئيم ولم أوجه اللوم إليه فإلى من أوجه ؟ وهذا من قول أبى تمام :

إذا أنا لم ألم عثرات دهر   أصبت به الغداة فمن ألوم

(٥) الند : عود يتبخر به ؛ والضمير فى « اسمه » : لفاتك .

وَلَسْتُ بِنَاسٍ وَلَكِنَّنِي يُجَدِّدُ لِي رِيحَهُ شَمُّهُ(١)
وَأَيَّ فَتًى سَلَبَتْنِي الْمَنُونُ وَلَمْ تَدْرِ مَا وَلَدَتْ أُمُّهُ(٢)
وَلَا مَا تَضُمُّ إِلَى صَدْرِهَا وَلَوْ عَلِمَتْ هَالَهَا ضَمُّهُ(٣)
بِمِصْرَ مُلُوكٌ لَهُمْ مَالُهُ وَلَكِنَّهُمْ مَا لَهُمْ هَمُّهُ(٤)
فَأَجْوَدُ مِنْ جُودِهِمْ بُخْلُهُ وَأَحْمَدُ مِنْ حَمْدِهِمْ ذَمُّهُ(٥)
وَأَشْرَفُ مِنْ عَيْشِهِمْ مَوْتُهُ وَأَنْفَعُ مِنْ وُجْدِهِمْ عُدْمُهُ(٦)
وَإِنَّ مَنِيَّتَهُ عِنْدَهُ لَكَالْخَمْرِ سُقِّيهِ! كَرْمُهُ(٧)

---

(١) الضمير فى « ريحه » : لفاتك ؛ وفى « شمه » : للند .

(٢) المنون : الموت ؛ وأمه : تنازعه كل من « تدر » و « ولدت » أى لم تدر أمه ما ولدت .

(٣) هالها : أفزعها . يقول : لو علمت أمه التى كانت تضمه إلى صدرها فى صغره أنه شجاع فاتك قتال : لفزعت منه ولهالها ضم ذلك الولد إلى صدرها .

(٤) قوله بمصر ملوك : يعرض بكافور ، وهمه — أى همته — يقول : إن لهم مالا كثيراً مثل ماله ولكن ليس لهم مثل علو همته ، وهذا من قول أشجع السلمى :

وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِى الْغِنَى وَلَكِنَّ مَعْرُوفَهُ أَوْسَعُ

وقول الآخر :

ولم يكُ أكثرَ الفِتْيان مالاً ولكن كانَ أوسعَهم ذِراعا

(٥) يقول : إذا بخل كان أجود منهم ، وإذا ذم كان أحمد منهم . وقال العكبرى : المعنى أنه لا يبخل بشىء تمتد يده إليه ، فإذا لم يجد شيئا يهبه كان يعده من نفسه بخلا . قال : وقوله أحمد من أحمدهم : أى لا يذم إلا بالإسراف فى الجود والمخاطرة بنفسه فى الإقدام ، وهذا أحمد من حمدهم .

(٦) الوجد : الغنى ؛ والعدم : الفقر . يقول : إنه وهو ميت أشرف منهم وهم أحياء ، وهو فى حال عدمه أنفع منهم وهم أغنياء ؛ لأنه كان يجود بما يجد ، وهم يبخلون مع الوجد والغنى .

(٧) المنية : الموت ؛ والخمر : تذكر وتؤنث ، فمن ذكرها ذهب بها إلى النبيذ . يقول إن المنية كانت منه تنبث فى الناس ثم عادت عليه فأهلكته ؛ وبعبارة أخرى : إنه كان

فَذَاكَ الَّذِى عَبَّــه مَاءَهُ وَذَاكَ الَّذِى ذَاقَهُ طَعْمَهُ(١)
وَمَنْ ضَاقَتِ الأَرْضُ عَنْ نَفْسِهِ حَرًى أنْ يَضِيقَ بِهَا جِسْمُهُ(٢)

* * *

وقال يذكر مسيره من مصر ويرثى فاتــكا ، وأنشأها يوم الثلاثاء لتسع خلون من شعبان سنة ٣٥٢ :

حَتَّامَ نَحْنُ نُسَارِى النَّجْمَ فى الظُّلَمِ وَمَا سُرَاهُ عَلَى خُفٍّ وَلاَ قَدَمِ(٣)

يسق المنية لأعدائه ، فلما مات سقيها ، فكانت فى ذلك كالخمر التى أصلها الكرم ومنه خرجت . ثم عادت فسقيها الكرم وردت إليه .

(١) عبه : جرعه وشربه ، قال ابن جنى : يعنى أن الزمان أتى من موته بما فيه نقض العادة ، وذلك أن الماء مشروب لا شارب ، والطعم مذوق لا ذائق ،فموته كانقلاب الأمر وهو أن يعب الماء مع كونه مشروباً ، ويذوق الطعم مع كونه مذوقا . وقال ابن فورجه عند ابن جنى أن الضمير فى « عبه » لفاتك ، وكذلك الهاء فى « ذاقه » ـ على ما ذكر فى تفسيره ـ وليس كذلك ، لأنه قد قال فى البيت الذى قبله : إن الموت الذى أصابه هو بمنزلة الخمر سقيها الكرم : أى كانت المنية مما يسقيه الناس بسيفه فصارت شرابا له ، ثم قال : فذاك الذى عبه ـ يعنى الخمر ـ هو ماء الكرم فعبه ، وذاك الذى ذاقه هو الموت وهو طعم نفسه الذى كان يموت به الخلق ؛ قال الواحدى : والمعنى على ماقاله ابن فورجه لكنه لم يبينه بياناً شافيا، والمعنى أن هذا مثل ،وهو أن الكرم إذا سقى الخمر فشربه فقد شرب ماء نفسه ، والذى ذاقه من طعم الخمر هو طعم الكرم : كذلك موت « فاتك » لما أهلكه . فشرب شراب الموت وذاق طعمه ، فكأنه شرب شراب نفسه وذاق طعم نفسه.

(٢) حرى : أى خليق وجدير . يقول : إن من ضاقت الأرض عن همته لخليق أن يضيق جسمه بهمته فلا يسعها ، وإذا لم يسعها ولم يطق احتمالها هلك ، لعظم مايطلبه كما قال الآخر :

* عَلَى النفوسِ جِناياتٌ مِنَ الهِمَمِ *

(٣) حتام : هى « حتى » و « ما » ، حذفت ألف « ما » لامتزاجها بـ« حتى » ـ وكثرة

وَلاَ يُحِسُّ بِأَجْفَانٍ يُحِسُّ بِهَـــا فَقْدَ الرُّقَادِ غَرِيبٌ بَاتَ لَمْ يَنَمِ (١)
تُسَوِّدُ الشَّمْسُ مِنَّا بِيضَ أَوْجُهِنَا وَلاَ تُسَوِّدُ بِيضَ الْعُذْرِ وَاللِّمَمِ (٢)
وَكَانَ حَالُهُمَا فِى الْحُكْمِ وَاحِدَةً لَوِ احْتَكَمْنَا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى حَكَمِ (٣)
وَنَتْرُكُ الْمَـــاءَ لاَ يَنْفَكُّ مِنْ سَفَرٍ مَاسَارَ فِى الْغَيْمِ مِنْهُ سَارَ فِى الْأَدَمِ (٤)
لاَ أُبْغِضُ الْعِيسَ لَكِنِّى وَقَيْتُ بِهَـــا
قَلْبِى مِنَ الْحُزْنِ أَوْ جِسْمِى مِنَ السَّقَمِ (٥)

استعمالها ، ويجوز إثباتها على الأصل . ونسارى : نفاعل — من السرى وهو السير ليلا — والنجم : اسم جنس — أى النجوم — قال تعالى « وبالنجم هم يهتدون »، والواو من « وما سراه » — حالية ، والخف للبعير: بمنزلة الحافر للدابة . يقول : إلى متى نسرى مع النجوم فى ظلم الليل وليست تسرى هى على خف — كالإبل — ولا على قدم كالناس أى أن النجوم لا يصيبها الكلال من السرى كما يصيبنا ويصيب مطايانا .

(١) فاعل « يحس » الأولى ؛ يعود على « النجم » ، وفاعل « يحس » الثانية : غريب . يقول : إن النجوم لا يؤثر فيها عدم النوم كما يؤثر فى رجل بعيد عن أهله بات يسرى ساهراً : يعنى نفسه .

(٢) العذر : جمع عذار ، وأصلها ، عذر « بضم الذال » ولكنه أسكنها هنا على لغة والعذار : جانب اللحية « أى الشعر الذى يحاذى الأذن » واللمم : جمع لمة ،وهوالشعر المجاوز شحمة الأذن والذى يلم بالمنكب . يقول : إن الشمس تغير ألواننافتسودوجوهنا البيض ؛ ولكنها لا تؤثر ذلك التأثير فى شعورنا البيض ، وهذا من قول أبى تمام :

تَرَى قَسَمَاتِنا تَسْوَدُّ فيها وما أَخْلاقُنَـــا فيها بسُود

« القسمات — بفتح السين وكسرها — الوجوه »

(٣) الحكم : الحاكم ؛ واحتكمنا : تحاكمنا . يقول : لو احتكمنا إلى حاكم من حكام الدنيا لحكم بأن ما يسود الوجه يسود الشعر ، ولكن الله قضى بأن الشمس إنما تسود الوجه ولا تسود الشعر ، ومن ثم لا تجرى فى شأنها على أحكام الناس .

(٤) الأدم — بفتحين وبضمتين — جمع أديم وهو الجلد المدبوغ . يقول : ونجعل الماء لا يزال مسافراً : إما فى السحاب ، وإما فى قربنا ، لأنا نغترفه من السحاب فنودعه روايانا .

(٥) العيس : الإبل . يقول . ليست الإبل بغيضة إلى ، فليس إتعابى إياها فى السفر

طَرَدْتُ مِنْ مِصْرَ أَيْدِيهَا بِأَرْجُلِهَا ... حَتَّى مَرَقْنَ بِنَا مِنْ جَوْشَ وَالْعَلَمِ (١)
تَبْرِى لَهُنَّ نَعَامُ الدَّوِّ مُسْرَجَـــةً ... تُعَارِضُ الْجُدُلَ الْمُرْخَاةَ بِاللُّجُمِ (٢)

بغضا لها منى ، ولكنى أسافر عليها لأنفى قلبي من الحزن أو جسمى من السقم ، وذلك أن السقيم إذا غير الهواء والماء وسافر صح جسمه ، وكذلك المحزون: يتنسم روح الهواء أو يصير إلى مكان يسر فيه بالإكرام .

(١) أيديها وأرجلها : أى العيس ، ، وأسكن الياء فى « أيديها » ضرورة كقول الراجز يصف إبلا بالسرعة :

كَأَنَّ أَيْدِيهِنَّ بِالقَاعِ القَرِقْ ... أَيْدِى نِسَـــاءٍ يَتَعَاطَيْنَ الْوَرِقْ (١)

ومرقن : أى خرجن - من مرق السهم من الرمية : إذا خرج من الجانب الآخر وجوش والعلم : مكانان يقول : حثثتها على السير وأعجلتها حتى كأن أرجلها طاردة لأيديها ، كما قال بعض العرب :

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ جَـــدَّ نَجَاؤُهَا ... طَرِيدَانِ وَالرِّجْلَانِ طَالِبَتَا وِتْرِ (٢)

وذلك أن اليد أمام الرجل كالمطرود يكون أمام الطارد . شبه خروجها من هذين المكانين بخروج السهم من الرمية لسرعة سيرها ، ولذلك قال ؛ « مرقن » .

(٢) تبرى ؛ تعارض - يقال برى له وانبرى له . إذا عارضه- قال أبو النجم :

* يَبْرِى لَهَا مِنْ أَيْمُنٍ وَأَشْمُلِ (٣) *

والدو : الفلاة ؛ وأراد بنعام الدو : الخيل ، جعلها كالنعام فى سرعة عدوها وظهر بقوله مسرجة أنها الخيل والجدل . جمع جديل ، وهو حبل من أدم أو شعر فى عنق البعير . يقول : تنبرى الخيل للعيس وتعارض أزمتها بلجمها وأعنتها ؛ أى تباريها فى السير ؛ وكأن هذا من قلب التشبيه . أراد أن هذه الإبل تبارى الخيل وتعارض أعنتها بالزمام ، فقلب الكلام تفننا ومبالغة فى وجه الشبه فى المشبه حتى صار أكمل فيه من المشبه به . وقال ابن جنى يقول - المتنبى - : الخيل - لعلو أعناقها وإشرافها - تبارى أعناق الإبل : فتكون اللجم فى أعناقها كالجدل - الأزمة - فى أعناق الإبل .

---

(١) قاع قرق : مستو وقد شرحنا هذا البيت فى موضع آخر من هذا الشرح .

(٢) النجاء : السرعة .

(٣) يبرى : روى يأتى ؛ يصف ظليما ونعامة يقول : كلما أسرعت إلى أدحيها- وهو مبيضها - عرض لها يمينا وشمالا ، مزعجا لها .

فِى غِلْمَةٍ أَخْطَرُوا أَرْوَاحَهُمْ وَرَضُوا ... بِمَا لَقِينَ رِضَا الْأَيْسَارِ بِالزُّلَمِ (١)
تَبْدُو لَنَا كُلَّمَا أَلْقَوْا عَمَائِمَهُمْ ... عَمَائِمٌ خُلِقَتْ سُوداً بِلَا لُثُمِ (٢)
بِيضُ الْعَوَارِضِ طَعَّانُونَ مَنْ لَحِقُوا ... مِنَ الْفَوَارِسِ شَلَّالُونَ لِلنَّعَمِ (٣)
قَدْ بَلَّغُوا بِقَنَاهُمْ فَوْقَ طَاقَتِهِ ... وَلَيْسَ يَبْلُغُ مَا فِيهِمْ مِنَ الْهِمَمِ (٤)
فِى الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا أَنَّ أَنْفُسَهُمْ ... مِنْ طِيبِهِنَّ بِهِ فِى الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ (٥)

---

(١) غلمة : جمع غلام . وأخطروا أرواحهم : أى خاطروا بها . ولقين : أى الأرواح والأيسار : جمع يسر ، وهم الذين يتقامرون ويجتمعون على الميسر . والزلم : السهم من سهام الميسر . يقول : سرت من مصر فى غلمة حملوا أرواحهم على الخطر لبعد المسافة وصعوبة الطريق ، ورضوا بما يستقبلهم من فوز أو تهلكة ، كما يرضى المقامرون بما يخرج لهم بالأزلام .

(٢) اللثم : جمع لثام ، ما يلقى على الوجه من طرف العمامة . يقول : إن هؤلاء الغلمة كلما ألقوا عمائمهم التى على رءوسهم ظهر من شعورهم على رءوسهم عمائم سود ليس لها لثم ، وذلك أن العرب تجعل العمائم بعضها لثماً على الوجه وبعضها على الرأس ، فهو يقول إن شعورهم على رءوسهم كالعمائم وليس فيها شىء على وجوههم : يعنى أنهم مرد لم تتصل شعر العوارض والوجوه بشعر الرأس ـ كما بين ذلك فى البيت التالى .

(٣) العوارض . جمع عارض ، صفحة الخد ، وشلالون : طرادون . والنعم : الماشية وغلب على الإبل . يقول : إنهم مرد صعاليك[١] قتالون للفوارس طرادون للنعم، يغيرون عليها أينما وجدوها .

(٤) بلغوا ـ بالتشديد ـ مبالغة فى بلغوا ـ بالتخفيف ـ ورواها بعض الشراح بلغوا ـ بالتخفيف ـ وقال فى تعليقه : وجه الكلام أن يقال بلغوا ـ بتخفيف اللام ـ والباء بعده للتعدية ، فيكون الجزء مطويا والقنا : يذكر ويؤنث ، وفوق هنا اسم متمكن مفعول « بلغوا » يقول : قد استفرغوا وسع الرماح طعنا ومع ذلك لم تبلغ الرماح غاية هممهم :

(٥) الضمير فى « به » للقنا . يقول : هم أبداً فى القتال والغارة ، كفعل أهل الجاهلية ، إلا أن أنفسهم طابت بالقتل وسكنت إليه ، فكأنهم فى الأشهر الحرم أمنا وسكونا ، وكان أهل الجاهلية يأمنون فى الأشهر الحرم ، لأن القتال يترك فيها ،

---

(١) لصوص ، قطاع طريق ، وصعاليك العرب : ذؤبانها ولصوصها .

نَاشُوا الرِّمَاحَ وَكَانَتْ غَيْرَ نَاطِقَةٍ ... فَعَلَّمُوهَا صِيَاحَ الطَّيْرِ فِي الْبُهَمِ (١)

تَخْدِي الرِّكَابُ بِنَا بِيضاً مَشَافِرُهَا ... خُضْراً فَرَاسِنُهَا فِي الرُّغْلِ وَالْيَنَمِ (٢)

مَكْعُومَةً بِسِيَاطِ الْقَوْمِ نَضْرِبُهَا ... عَنْ مَنْبِتِ الْعُشْبِ نَبْغِي مَنْبِتَ الْكَرَمِ (٣)

وعبارة ابن القطاع : المعنى أنهم لتمرنهم فى الحرب والقتل فى مثل أحوال الجاهلية ، إلا أن أنفسهم غير خائفة من الحرب ، لشجاعتهم وثقة بظهورهم على أعدائهم ، فكأنهم فى الأشهر الحرم ، هذا : والأشهر الحرم أربعة ، ثلاثة سرد ، وهى ذو القعدة ، وذو الحجة والمحرم ، وواحد فرد وهو رجب .

(١) ناشو : تناولوا . والبهم : جمع بهمة ، وهو الشجاع الذى لا يدرى من أين يؤتى يقول : تناولوا الرماح وكانت جمادا لا تنطق فأسمعوا الناس صريرها فى طعان الشجعان فصارت كأنها طير تصيح ، وهذ من قول هلال المازنى (١) .

تَصِيحُ الرُّدَيْنِيَّاتُ فِينَا وَفِيهِمُ ... صِيَاحَ بَنَاتِ الْمَاءِ أَصْبَحْنَ جُوَّعَا

ومثله قول بعض العرب .

زُرْقٌ تَصَايَحْنَ فِى الْمُتُونِ كَمَا ... هَاجَ دَجَاجَ الْمَدِينَةِ السَّحَرُ

(٢) خدت الناقة تخدى . أى أسرعت مثل وخدت وخودت قال الراعى .

حَتَّى غَدَتْ فِى بَيَاضِ الصُّبْحِ طَيِّبَةً ... رِيحَ الْمَبَاءَةِ تَخْدِى وَالثَّرَى عَمِدُ (٢)

والركاب ، الإبل ، والمشافر . جمع المشفر ، وهو للبعير بمنزلة الشفة للانسان . والفراسن . جمع فرسن ، لحم خف البعير . والرغل والينم ؛ نبتان . يقول ، تسير الإبل بنا وهى بيض المشافر باللغام - زبد أفواه الإبل - وقال ابن جنى : لأنها لا تترك ترعى لشدة السير فيجف اللغام على أشداقها . خضر الفراسن لكثرة وطئها هذين النبتين

(٣) كعم البعير : شد فمه كيلا يعض أو يأكل ، ومثله : عكم . يقول : إن السياط

---

(١) شاعر إسلامى

(٢) ضمير « غدت » بقرة وحشية تقدم ذكرها ، ومباءتها : مكنسها ، وعمد شديد الابتلال ، وإنما نصب ريح المباءة لما نون طيبة ، وكان حقها الإضافة ، فضارع قولهم : هو ضارب زيدا .

وَأَيْنَ مَنْبِتُهُ مِنْ بَعْـــد مَنْبِتِهِ أَبِى شُجَاعٍ قَرِيعِ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ (١)
لاَ فَاتِكٌ آخَرٌ فِى مِصْرَ نَقْصِــدُهُ وَلاَ لَهُ خَلَفٌ فِى النَّاسِ كُلِّهِمِ (٢)
مَنْ لاَ تُشَابِهُهُ الْأَحْيَــاءُ فِى شِيَمٍ أَمْسَى تُشَابِهُهُ الْأَمْوَاتُ فِى الرِّمَمِ (٣)

كانت تمنعها من المرعى ، فكأنما قد شدت أفواهها ؛ وهذا من قول ذى الرمة :

* يَهْمَاءُ خَابِطُها بالخوف مَــكْعُومُ *

[أى لا يتكلم فيها خوفا ، فكأن الخوف قد كعم فمه] وكنا نضربها عن الرعى فى منبت العشب لأنا نبغى منبت الـكرم . والبيت من قول الأسدى :

إِلَيْـــكَ أَمِيرَ المؤمنينَ رَحَلْتُها من الطَّلْحِ تبْغِى مَنْبِتَ الزَّرَجُونِ

« الزرجون : الـكرم ، ويعنى بمنبت الزرجون : الشأم ، لأنها أكثر البلاد عنباً » .

(١) القريع : السيد وأصله : الفحل المختار للفحلة ، وسمى قريعا لذلك، ولأنه يقرع الناقة ، قال ذو الرمة :

وقدْ عارَضَ الشِّعْرَى سُهَيْلٌ كأنَّهُ قريعُ هِجانٍ عارَضَ الشولَ جافِرُ (١)

يقول : أين منبت الـكرم بعد موت هذا الرجل الذى كان منبت الـكرم وكان سيد العرب والعجم ! وهذا استدراك — كما ترى — لما ذكره فى البيت السابق .

(٢) يقول : ليس لنا فى مصر رجل آخر مثله فى جوده فنقصده ، وليس له خلف مثله كرما وشجاعة ، فقوله : لا فاتك : كأنه يقول لا رجل آخر مثل « فاتك » ومن ثم نعته بنكرة .

(٣) الشيم : الخلائق ، جمع شيمة ، والرمم : العظام البالية . يقول : من لم يكن له شبيه من الأحياء فى شيمه وأخلاقه صار الأموات يشابهونه فى العظام البالية : أى مات فأشبه الأموات وأشبهوه .

---

(١) يقال للبعير إذا أكثر الضراب حتى ينقطع : قد جفر فهو جافر وفى الأثر أن عليا كرم الله وجهه رأى رجلا فى الشمس فقال : قم عنها فإنها مجفرة : أى تذهب شهوة النـكاح ، وعارضها : أى جانبها وعدل عنها .

عَدِمْتُهُ وَكَأَنِّى سِرْتُ أَطْلُبُهُ فَمَا تَزِيدُنِى الدُّنْيَا عَلَى الْعَدَمِ (١)
مَا زِلْتُ أُضْحِكُ إِبْلِى كُلَّمَا نَظَرَتْ إِلَى مَنِ اخْتَضَبَتْ أَخْفَافُهَا بِدَمِ (٢)
أُسِيرُهَا بَيْنَ أَصْنَامٍ أُشَاهِدُهَا وَلَا أُشَاهِدُ فِيهَا عِفَّةَ الصَّنَمِ (٣)
حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِى قَوَائِلُ لِى أَلْمَجْدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ (٤)

---

(١) يقول : لكثرة أسفارى وترددى فى الدنيا كأنى أطلب له نظيرا ، ولكنى لا أحصل إلا على العدم : أى لا أجد مثله بعده .

(٢) إبلى ـ بسكون الباء ـ تخفيف إبل ـ بكسرها ـ يقول : مازلت أسافر على إبلى إلى من لا يستحق القصد إليه ، فلو أنها مما يضحك لضحكت إذا نظرت إلى من جشمتها جوب الفلوات إليه حتى اختضبت أخفافها بالدم استخفافا به . وفى الكلام محذوف به يتم المعنى تقديره : إلى من اختضبت أخفافها بدم فى قصده أو فى المسير إليه : قال العكبرى : وفيه تعريض ببعض أهل بغداد .

(٣) أسار دابته : كسيرها ، ويروى أسيرها ـ مضارع سرت ـ أى أسير عليها . وعنى بالأصنام : قوما يطاعون ويعظمون ، وهم كالجماد لا اهتزاز فيهم للكرم ولا أريحية للجود ، ثم فضل الصنم عليهم فقال : ليست لهم عفة الصنم لأن الصنم وإن لم ينفع فهو غير موصوف بالفضائح والقبائح ، وهؤلاء لا يعفون عن منكر ولا قبيح .

(٤) يقول : حتى عدت إلى وطنى وقد علمت أن المجد إنما يدرك بالسيف لا بالقلم ، لأن ذا الفضل لا يعظم ولا يهاب كما يهاب صاحب السيف ، ولا يدرك من معانى المجد والشرف ما يدركه ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

أَلسَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ فِى حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

هذا : وقال العلامة العكبرى : قطع ـ المتنبى ألف الوصل فى أول النصف الثانى ، وقد ذكره سيبويه فى الضرورات — أى الضرورات الشعرية — وأنشد للأعشى

إِذْ سَامَهُ خُطَّتَىْ خَسْفٍ فَقَالَ لَهُ إِعْرِضْهُمَا هَكَذَا أَسْمَعْهُمَا حَارِ

وحسن هذا أنه حكاية عن قائل . قال ، ولقطع ألف الوصل أربع مراتب : الأولى أن تكون فى أول البيت ، وهذا لا ضرورة فيه كقول القطامى :

أَلضَّارِبُونَ عُمَيْراً عَنْ بُيُوتِهِمِ بِالتَّلِّ يَوْمَ عُمَيْرٌ ظَالِمٌ عَادِ

والثانية : هكذا لأبى الطيب ، والثالثة أن تكون بعد حرف ساكن كقول جميل :

أُكْتُبْ بِنَا أَبَداً بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ ... فَإِنَّمَا نَحْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْخَدَمِ (١)

أَسْمَعْتِنِي وَدَوَائِي مَا أَشَرْتِ بِهِ ... فَإِنْ غَفَلْتُ فَدَائِي قِلَّةُ الْفَهَمِ (٢)

مَنِ اقْتَضَى بِسِوَى الْهِنْدِيِّ حَاجَتَهُ ... أَجَابَ كُلَّ سُؤَالٍ عَنْ هَلٍ بِلَمِ (٣)

أَلَا لَا أَرَى اثْنَيْنِ أَحْسَنَ شِيمَةً ... عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ مِنِّي وَمِنْ جُمْلِ (١)

وكقول قيس بن الخطيم :

إِذَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ سِرٌّ فَإِنَّهُ ... بِنَثٍّ وَتَكْثِيرِ الْحَدِيثِ قَمِينُ (٢)

والرابعة — وهى أقبح الضروورات — أن تكون ألف الوصل بعد متحرك كقول الراجز :

* وكلُّ اثنين إلى افتراق *

قال : ولو ترك قيس بن الخطيم الاثنين وقال الخليل للتخلص من الضرورة وكذلك الراجز وقد قيل إنهما نطقا به على الصواب وغيره الرواة .

(١) الكتاب : مصدر كالكتابة وهذا من حكاية قول الأقلام . يقول : قالت لى الأقلام اخرج على الناس بالسيف واقتلهم ثم اكتب بنا ما فعلت بالسيف وما تقول من الشعر فى ذلك ، فإن القلم كالخادم للسيف ، جعل الضرب بالسيف كالكتابة به ، وهذا من قول البحترى :

تَعْنُو لَهُ وُزَرَاءُ الْمُلْكِ خَاضِعَةً ... وَعَادَةُ السَّيْفِ أَنْ يَسْتَخْدِمَ الْقَلَمَا

(٢) هذا جواب منه للأقلام ، يقول — لها — : أسمعتنى قولك ، والذى أشرت به على هو الدواء الذى يشفى ما بى ، فإن تركت مشورتك ولم أفطن لها صار دائى هو قلة الفهم ، لا ما أظنه من قلة إنصاف الناس وعدم تقديرهم إياى .

(٣) هذا : تأكيد لما أشارت به الأقلام عليه من استعمال السيف ، يقول من طلب حاجته بغير الهندى — السيف — أجاب سائله عن قوله : هل أدركت حاجتك ؟ بقوله

---

(١) حدثان الدهر : ما يحدث فيه من النوائب والنوازل ، وجمل — بضم الجيم وسكون الميم — اسم امرأة .

(٢) نث الحديث ينثه نثا : أفشاه : وقمين : أى جدير ، وبنث متعلق به ، وتكثير عطف على «بنث» . وبعده

وَإِنْ ضَيَّعَ الْإِخْوَانُ سِرّاً فَإِنَّنِي ... كَتُومٌ لِأَسْرَارِ الْعَشِيرِ أَمِينُ

تَوهَّمَ القَوْمُ أنَّ العَجزَ قَرَّبنَــــا وَفِي التَّقرُّبِ مَا يَدْعُو إلَى التُّهَمِ (١)
وَلَمْ تَزَلْ قِلَّةُ الإنْصَافِ قَاطِعَـــةً بَيْنَ الرِّجَالِ وَلَوْ كَانُوا ذَوِي رَحِمِ (٢)

لم أدرك، أولم أصل أو لم أظفر، ونحو ذلك. قال القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز صاحب الوساطة بين المتنبي وخصومه : كان الواجب أن يقول : عن هل بلا . لأن الطالب بغير السيف يقول : هل تتبرع لى بهذا المال؟ فيقول المسئول: لا ، فأقام «لم» مقام «لا» لأنهما حرفا نفى : قال الواحدى : وهذا ظلم منه — من القاضى — للمتنبي ، وقلة فهم من القاضى ، ولو أراد ذلك الذى ظنه لقال أجيب عن كل سؤال بـ«هل» بـ«لا» ، لأن المقتضى مجاب ليس هو المجيب ، والذى أراد المتنبي أن الناس يسألونه : هل أدركت حاجتك ؟ هل وصلت إلى بغيتك ؟ فيجيب ويقول لم أدرك ، لم أبلغ لم أظفر ، لم أصل إلى ما أطاب هذا ، وأعرب هل ولم وهما حرفان لأنهما قد صارا علمين على لفظهما ، وقال ابن جنى : جعل «هل» و «لم» اسمين فجرهما و « هل » حرف استفهام و «لم» حرف نفى ، قال : ويجوز أن تكون الكسرة فى « لم » كسرة الساكن إذا احتيج إلى تحريكه للقافية. كقول النابغة * وكأن قد (١) * وحكى الخليل قال قلت . لأبى الدقيش — الأعرابى — هل لك فى ثريدة كأن ودكها عيون الضياون ؟ فقال أسد الجواب لهل أوحاه — أسرعه (٢)

(١) يقول : إن القوم الذين قصدناهم بالمديح توهموا أن العجز عن طلب الرزق قربنا إليهم ثم قال : ولهم الحق فى أن يتوهموا ذلك ، لأن بعض التقرب قد يدعو إلى التهمة ، لأنك إذا تقربت إلى إنسان توهمك عاجزا محتاجا إليه .

(٢) الإنصاف : إعطاء الحق . قال ابن الأعرابى : أنصف إذا أخذ الحق وأعطى، قال : وتفسيره أن تعطيه من نفسك النصف، أى تعطيه من الحق كالذى تستحق لنفسك ؛

---

(١) قطعة من بيت هو :

أَزِفَ التَّرحلُ غَيرَ أنَّ رِكَابَنَا لمَّا تَزُلْ بِرِحَالِنَــا وكأنْ قَدِ

(٢) قال الأزهرى : أبو الدقيش كنية واسمه الدقش قال يونس سألت أبا الدقيش ما الدقش ؟ فقال : لا أدرى قلت : ما الدقيش ؟ فقال ولا هذا قلت فاكتنيت بما لا تعرف ما هو ؟ قال : إنما الكنى والأسماء علامات ، وقال أبو زيد . دخلت على أبى الدقيش الأعرابى وهو مريض فقلت له كيف تجدك يا أبا الدقيش؟ قال أجد مالا أشتهى وأشتهى مالا أجد وأنا فى زمان سوء ، زمان من وجد لم يجد، ومن جاد لم يجد . والضياون جمع ضيون : السنور الذكر أو دويبة تشبهه .

فَلَا زِيَارَةَ إِلَّا أَنْ تَزُورَهُمُ أَيْدٍ نَشَأْنَ مَعَ الْمَصْقُولَةِ الْخُذُمِ (١)
مِنْ كُلِّ قَاضِيَةٍ بِالْمَوْتِ شَفْرَتُهُ مَا بَيْنَ مُنْتَقَمٍ مِنْهُ وَمُنْتَقِمِ (٢)
صُنَّا قَوَائِمَهَا عَنْهُمْ فَمَا وَقَعَتْ
مَوَاقِعَ اللُّؤْمِ فِى الْأَيْدِى وَلَا الْكَزَمِ (٣)
هَوِّنْ عَلَى بَصَرٍ مَا شَقَّ مَنْظَرُهُ فَإِنَّمَا يَقَظَاتُ الْعَيْنِ كَالْحُلُمِ (٤)

والرحم : القرابة . يقول: إن ترك الإنصاف يدعو إلى التقاطع بين الناس ولوكانوا أقارب فما الظن بمن لا قرابة بينهم . يشير إلى إعراضه عن القوم الذين ذكرهم لأنهم لم ينصفوه فى قصده لهم . وهذا من قول الآخر :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الْهِجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ

(١) الخذم : جمع خذوم : أى القاطع : يعنى السيوف ، وأيد فاعل تزورهم يقول: فلا أزورهم بعد ذلك إلا بأيد قد ألفت القتال ونشأت فى صحبة السيوف ، يعنى إذا لم ينصفوا فإنى لا أزورهم إلا محاربا .

(٢) من كل . بيان المصقولة الخذم ، وشفرته : أى حده فاعل قاضية : يقول : من كل سيف تقضى شفرته بالموت بين الفريقين ، الظالم والمظلوم :

(٣) قوائمها : مقابضها ؛ واللؤم : خسة الأصل ضد الكرم ، والكزم : قصر اليد ، وناقة كزماء : قصر خطامها ، يقول : صنا قوائم السيوف فما وقعت إلا فى أيدينا التى لا لؤم فيها ولا قصر : يعنى أنهم لا يحسنون العمل بالسيوف ونحن أربابها نشأت أيدينا معها ، والمعنى أنهم لم يسلبونا سيوفنا فتقع فى أيديهم التى هى مواقع اللؤم والقصر عن بلوغ الحاجة ،

(٤) ما شق منظره : ماصعبت رؤيته . يقول : هون على العين ماشق عليها النظر إليه مما تراه من المكاره ، وهبك تراه فى الحلم . لأن ماتراه فى اليقظة شبيه بما تراه فى المنام ، لأنهما يمكثان قليلا ثم يزولان، فكأنهمالم يكونا . وروى منظره — بفتح الراء فيكون المراد الشىء الذى يشق البصر ويفتحه باقتضائه النظر إليه ؛ والضمير على هذا : للبصر، وعلى الرواية الأولى لـ«ما» .قال الواحدى: ولم يعرف ابن جنى شيئاً من هذا وقال يقال شق بصر الميت شقوقا ، الفعل للبصر ، قال : ومعنى البيت : هون على بصرك شقوقه ومقاساة النزع . . . وهذا كلام _ كما تراه _ فى غاية الفساد والبعد عن الصواب وقال ابن القطاع : قول ابن جنى هون على بصرك شقوقه ومقاساته النزع والحشرجة

وَلاَ تَشْكُ إِلَى خَلْقٍ فَتُشْمِتَهُ ... شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْغِرْبَانِ وَالرَّخَمِ (١)

وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ لِلنَّاسِ تَسْتُرُهُ ... وَلاَ يَغُرَّكَ مِنْهُمْ ثَغْرُ مُبْتَسِمِ (٢)

غَاضَ الْوَفَاءُ فَمَا تَلْقَاهُ فِي عِدَةٍ ... وَأَعْوَزَ الصِّدْقُ فِي الْإِخْبَارِ وَالْقَسَمِ (٣)

سُبْحَانَ خَالِقِ نَفْسِي كَيْفَ لَذَّتُهَا ... فِيمَا النُّفُوسُ تَرَاهُ غَايَةَ الْأَلَمِ (٤)

الدَّهْرُ يَعْجَبُ مِنْ حَمْلِي نَوَائِبَهُ ... وَصَبْرِ جِسْمِي عَلَى أَحْدَاثِهِ الْحُطُمِ (٥)

وَقْتٌ يَضِيعُ وَعُمْرٌ لَيْتَ مُدَّتَهُ ... فِي غَيْرِ أُمَّتِهِ مِنْ سَالِفِ الْأُمَمِ (٦)

صحيح ، فإن الحياة كالحلم . قال العكبرى : وهو من قول الحكيم : كرور الأيام أحلام ، وغداؤها أسقام وآلام

(١) يقول : لا تشك إلى أحد ماينزل بساحتك من ضر وشدة فتشمته بشكواك ، فتكون شكواك كشكوى الجريح إلى الطير التى ترقب أن يموت فتأكله ، وعبارة التبريزى الناس بعضهم أعداء بعض ، فمن شكا حاله إليهم فهو كمثل جريح اجتمعت عليه الطير لتأكل لحمه ؛ فهو يشكو إلى من ليس عنده رحمة ، لأن الغربان — جمع غراب — والرخم جمع رخمة — طائر من الجوارح الخسيسة — إنما يجتمعان حول الجريح ليأكلا لحمه .

(٢) يقول : احذر الناس واستر حذرك منهم ولا تغتر بابتسامهم إليك ، فإنهم يضمرون فى قلوبهم مالا يبدون لك من الغدر والخداع . قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم الحيوان كله متغلب وليس من السياسة شكوى بعض إلى بعض

(٣) غاض : قل ونقص ، وأعوز الشىء : عز فلا يكاد يوجد يقول : لا ترى الوفاء فى عدة : أى إذا وعدك أحد بشىء لم يف به ، ولا يوجد الصدق فى إخبار ولا قسم : أى إذا أخبرك أحد بشىء لم يصدق فيه ، وإذا حلف لم يصدق .

(٤) يتعجب من أن الله سبحانه جعل لذته فى جوب المفاوز والتمرس بالمهالك واقتحامها وهو غاية ألم النفوس . قال العكبرى : وهو من قول الحكيم : النفس الشريفة ترى الموت بقاء لدركها أماكن البقاء ، وهذه حالة تعجز الخلق عن ركوبها .

(٥) الحطم — بالضم — جمع حطوم ، وبفتح الطاء ، جمع الحطمة : أى التى تحطم من ألمت به . وصبر جسمى : يروى : وصبر نفسى .

(٦) وقت : أى لى وقت ، فهو مبتدأ محذوف الخبر ، أو تقول : إن التقدير : هو وقت فيكون « وقت » خبر مبتدأ محذوف . يقول : لى وقت أو هو وقت يضيع فى مخالطة

أتى الزّمانَ بَنُوهُ فى شَبيبَتِهِ فَسَرَّهُمْ وَأَتَيْنـــاهُ عَلَى الْهَرَمِ (١)

* * *

وقال يمدح عضد الدولة وقد نثر عليهم الورد وهم قيام بين يديه حتى غرقوا فيــه :

قَدْ صَـدَقَ الْوَرْدُ فى الّذِى زَعَمَا أنَّكَ صَـيَّرْتَ نَثْرَهُ دِيَمَا (٢)

كَأنَّمـــا مائِجُ الْهَوَاءِ بِهِ بَحْرٌ حَـوَى مِثْلَ مائِهِ عَنَما (٣)

أهل هذا الدهر ومصاحبتهم ، لأنهم سفلة أنذال يضيع الوقت بصحبتهم؛ وليت مدة عمرى كانت فى أمة أخرى من الأمم السالفة التى تقدر الرجل حق قدره . يشكو من أهل دهره ويتأسف على ضياع وقته فى معاشرتهم .

(١) يقول : إن بنى الزمان من الأمم السالفة جاءوا فى حدثان الدهر وجدته فسرهم وأتاهم بما يفرحون ، ونحن أتيناه وقد هرم وخرف فلم نجد عنده ما يسرنا ، وقد أخذ أبو الفتح البستى هذا المعنى وجنس اللفظ فقال :

لا غَرْوَ إنْ لم نَجِدْ فِى الدَّهْرِ مُخْتَرَفاً فَقد أتيناهُ بَعْدَ الشَّيْبِ وَالخرَفِ

وقد نظر المتنبى فى بيته إلى قول من قال :

وَنحنُ فِى عَدَمٍ إذْ دَهْرُنا جَذَعٌ فالآنَ أمسى وَقد أوْدَى بهِ الخَرَفُ

(٢) نثره . أى منثوره ــ أى ما نثر منه ــ والديم : جمع الديمة ، وهى المطر الدائم فى سكون ، يريد أن الورد لكثرة ما نثر عليهم كأنه يقول لهم : قد صيرنى الأمير مطرا . يقول : قد صدق الورد فيما قاله ، لأنا نراه كذلك .

(٣) مائج : يروى مازج ، والعنم : شجر له ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب ، قال النابغة :

بمُخَضَّبٍ رَخْصِ الْبَنانِ كَأنَّهُ عَنَمٌ عَلَى أغْصانِهِ لمْ يُعْقَدِ (١)

يقول : كأن الهواء ــ وهو مائج بهذا الورد عند نثره بحر من العنم ، يريد كثرة الورد فى الهواء ، حتى صار كأنه بحر قد حوى العنم مثل مائه كثرة .

---

(١) لم يعقد : يريد لم يدرك بعد .

نَاثِرُهُ نَاثِرُ السُّيُوفِ دَماً ... وَكُلَّ قَوْلٍ يَقُولُهُ حِكَماً(١)
وَالْخَيْلَ قَدْ فَصَّلَ الضِّيَاعَ بِهَا ... وَالنِّعَمَ السَّابِغَاتِ وَالنِّقَمَا(٢)
فَلْيُرِنَا الْوَرْدُ إِنْ شَكَا يَدَهُ ... أَحْسَنَ مِنْهُ مِنْ جُودِهِ سَلِماً(٣)
وَقُلْ لَهُ لَسْتَ خَيْرَ مَا نَثَرَتْ ... وَإِنَّمَا عَوَّذَتْ بِكَ الْكَرَمَا(٤)

---

(١) يقول : إن الذى نثر هذا الورد هو الذى ينثر السيوف : أى يفرقها فى أعدائه وهى دم ـ أى متطلخة بالدم ـ فكأنها دم ، وينثر كل قول يقوله وهو حكم : أى إذا قال قولا قال حكمة . هذا : ومن نصب « كل » فعلى أنه معطوف على المعنى ، كما تقول : هذا ضارب زيد وعمرا ، ومنه قوله تعالى « وجاعل الليل سكناً والشمس » يريد فى قراءة الحرميين ، وأبى عمرو وابن عامر . على معنى : وجعل الشمس .

(٢) الخيل : عطف على ما قبله . قال الواحدى : والسابغات : التامات ، ويقال فصل العقد إذا نظم فيه أنواع الخرز فجعل كل نوع مع نوع ثم فصل بين الأنواع بذهب أو شىء آخر ، هذا هو الأصل فى تفصيل العقود ، ثم يسمى نظم العقد تفصيلا ، فيقال عقد مفصل : إذا كان منظوما ؛ ومنه قول امرىء القيس :

* تَعَرُّضَ أَثْنَاءِ الْوِشَاحِ الْمُفَصَّلِ(١) *

والمعنى أنه جمع هذه الأشياء بالخيل : أى تمكن من جمعها بالخيل وجعل جمعها تفصيلا . لأنها أنواع ، فجعل ذلك كتفصيل العقد . يقول : إنه ينثر الخيل ـ أى يفرقها فى الغارة ـ ثم ذكر أنه جمع بها هذه الأشياء التى ذكرها من النعم لأوليائه والنقم لأعدائه انتهى كلام الواحدى ، ويؤخذ من كلامه أن « النعم » عنده ـ عطف على « الخيل » ، ولكن الأوجه جعلها عطفا على « السيوف » أى والذى ينثر الخيل ـ أى يفرقها ـ فى الضياع فينظمها بها ، والذى ينثر النعم على أوليائه والنقم على أعدائه .

(٣) أحسن منه : مفعول ثان لـ« يرنا » ، والضمير فى « منه » للورد . يقول : إن يده تنثر ما هو أحسن من الورد ـ يريد الدنانير والدراهم ـ فإن كان الورد يشكو يده ـ لأنها نثرته ـ فليرنا شيئاً أحسن منه سلم من جود يده .

(٤) عوذه : رقاه رقية تدفع عنه السوء . يقول : قل للورد لست أفضل ما نثرت

---

(١) من معلقته ، وصدره :

* إِذَا مَا الثُّرَيَّا فِى السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ *

خَوْفاً مِنَ العُيُونِ أنْ يُصَابَ بِهَا   أصَابَ عَيْناً بِهَا يُصَابُ عَمًى (١)

يد هذا الملك ، وإنما خشيت أن تصيبه أعين الناس حين يرون سعة بذله بذلك . فتركه وقاية لكرمه من أعينهم إذا رأوه يجود بما لا قيمة له .

(١) خوفا : مفعول له عامله عوذت ، وبها يصاب : رواها ابن جنى « بها يعان » من قولهم عين الرجل فهو معين ومعيون : إذا أصابته العين ـ وقوله أصاب عينا إلى آخره دعاء ؛ وعمى : فاعل أصاب يقول : أعمى الله عينا يصاب بها .

قال الواحدى : وهذه الأبيات فى نثر الورد غير مليحة ، وليس المتنبى من أهل الأوصاف ، قال العكبرى : إنما المتنبى ممن يحسن الأوصاف فى كل فن ، وإنما هذا الذى يأتى له فى البديهة والارتجال ـ أو فى وقت يكون على شراب أو غيره فلا يعتد به ، ولو كان أبو الفتح ابن جنى عمل صوابا لكان أسقطه من شعره .

قافية النون

وعزم سيف الدولة على لقاء الروم فى السنَبُوس سنة أربعين وثلثمائة وبلغه أن العدو فى أربعين ألفا ، فتهيبتهم أصحابه ، فأنشد أبو الطيب بحضرة الجيش :

نَزُورُ دِيَارًا مَا نُحِبُّ لَهَا مَغْنَى ... وَنَسْأَلُ فِيهَا غَيْرَ سَاكِنِهَا الْإِذْنَا(١)

نَقُودُ إِلَيْهَا الْآخِذَاتِ لَنَا الْمَدَى ... عَلَيْهَا الْكُمَاةُ الْمُحْسِنُونَ بِهَا الظَّنَّا(٢)

وَنُصْفِي الَّذِي يُكْنَى أَبَا الْحَسَنِ الْهَوَى

وَنُرْضِي الَّذِي يُسْمَى الْإِلَهَ وَلَا يُكْنَى(٣)

---

(١) المغنى : المنزل الذى كان به أهلوه فغنى بهم . لما قال نزور والزيارة تقتضى المحبة نفى أن يكون محبا لتلك الديار ، لأنها ديار أعداء . يقول : نزور هذه الديار على غير محبة لمغنى من مغانيها لأنها ديار عدو ، وإذا أردنا زيارتها طلبنا الإذن فى ذلك من غير ساكنها أى استأذنا فى الإسراع إليها والتشعب فيها للاغارة: سيف الدولة ،لا أصحابها الروم .

(٢) المدى : الغاية . والكماة : جمع كمى ، وهو البطل المستتر فى السلاح . يقول : نقود إلى هذه الديار خيلا تبلغ بنا الغاية التى نترامى إليها وتحرز لنا قصب السبق ، عليها فرسان قد جربوها وعرفوها فأحسنوا بها الظن لكثرة ماانتصروا عليها .

(٣) نصفى : نمحض . وأراد بالذى يكنى أبا الحسن : سيف الدولة ، لأن اسمه على ، والذى : مفعول أول لنصفى ؛ مفعول ثان . وقوله يسمى الإله ولا يكنى : أى أنه سبحانه لا كنية له ، وتعالى عن الولد حتى يكنى به يقول : ونصفى سيف الدين مودتنا فنقاتل أعداءه ونقيه بأنفسنا ونرضى الله بمجاهدة أهل الحرب . هذا ويقال كنيت فلانا ، إذا دعوته بكنيته تعظيما له أن تدعوه باسمه . والعرب ـ كما قال العكبرى ـ كانت تكنى أولادها وهم صغار تفاؤلا أن يصيروا آباء . وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل بيت أبى طلحة الأنصارى وكان له ولد صغير من أم سليم ـ وهى أم أنس بن مالك ـ فكان يقول له ـ أى لولده ـ « يا أبا عمير : مافعل النغير (١) .

---

(١) النغير تصغير النغر ، وهو فرخ العصفور أو طائر يشبه العصفور أو من صغار العصافير تراه أبدا صغيرا ضاويا ، وكان لهذا الولد نغر .

وَقَدْ عَلِمَ الرُّومُ الشَّقِيُّونَ أَنَّنَا ... إِذَا مَا تَرَكْنَا أَرْضَهُمْ خَلْفَنَا عُدْنَا (١)
وَأَنَّا إِذَا مَا الْمَوْتُ صَرَّحَ فِي الْوَغَى ... لَبِسْنَا إِلَى حَاجَاتِنَا الضَّرْبَ وَالطَّعْنَا (٢)
قَصَدْنَا لَهُ قَصْدَ الْحَبِيبِ لِقَاؤُهُ ... إِلَيْنَا وَقُلْنَا لِلسُّيُوفِ هَلُمُّنَّا (٣)
وَخَيْلٍ حَشَوْنَاهَا الْأَسِنَّةَ بَعْدَمَا ... تَكَدَّسْنَ مِنْ هَنَّا عَلَيْنَا وَمِنْ هَنَّا (٤)

---

(١) يقول : إذا أبنا من أرضهم عدنا إليها : أى فلا نكف عن قتالهم .

(٢) صرح : برز وظفر ؛ والوغى : الحرب . يقول : إذا صار الموت صريحاً فى الحرب بارزاً ليس دونه قناع توسلنا إلى ما نطلبه بالطعن بالرماح والضرب بالسيوف : أى اتخذنا الضرب والطعن وقاء لنا منه وتوسلنا بهما إلى مانطلبه .

(٣) لقاؤه مرفوع بـ«حبيب» : أى المحبوب لقاؤه يقول : قصدنا الموت كما يقصد ما يحب لقاؤه وقلنا للسيوف هلمى إلينا أدخل على « هلمى » نون التوكيد ، فحذف الياء لالتقاء الساكنين ، ثم أشبع فتحة النون فصار هلمنا . ومن ضم « الميم » خاطب السيوف مخاطبة من يعقل ، كقوله تعالى « ادخلوا مساكنكم » ثم أسقط الواو من « هلموا » لاجتماع الساكنين ثم أشبع الفتحة ولأئمة النحو فى هلم كلام كثير ولعل أوجهه ما قاله الخليل ابن أحمد قال : أصله لم من قولهم : لم الله شعثه أى جمعه ، كأنه قال : لم نفسك إلينا . أى اقرب و«ها» للتنبيه ، وحذف ألفها لكثرة الاستعمال ، وجعلا اسما واحدا يستوى فيه الواحد والجمع والتأنيث والتذكير فى لغة أهل الحجاز ، قال الله تعالى : « والقائلين لإخوانهم هلم إلينا » وأهل نجد يصرفونها فيقولون للاثنين : هلما ، وللجمع : هلموا ، وللمرأة : هلمى ، وللنساء : هلممن . والأول أفصح ، وقد توصل باللام فيقال : هلم لك ، وهلم لكما ، كقولهم : هيت لك ، وإذا أدخلت عليه النون الثقيلة قلت هلمن يارجل ، وللمرأة هلمن — بكسر الميم — وفى التثنية : هلمان للمذكر والمؤنث جميعا ، وهلمن يارجال ، وهلممنان يانسوة . وإذا قيل لك هلم إلى كذا : قلت : إلام أهلم — بفتح الألف والهاء — كأنك قلت : إلام « ألم » وتركت الهاء على ما كانت عليه ، وإذا قال لك هلم كذا وكذا : قلت : لا أهلمه ، أى لا أعطيه .

(٤) يريد بالخيل : خيل العدو ، وحشوناها الأسنة : أى جعلنا الأسنة حشوا لها بأن طعناها بها . وتكدسن : أى الخيل — أى خيل العدو — أى اجتمعن علينا وركب بعضهن بعضا من كثرتها . و«هنا» بمعنى ههنا ، ومنه قول العجاج :

* هُنَا وَهُنَا وَعَلَى الْمَسْجُوحِ *

ضُرِبْنَ إلَيْنَا بالسِّيَاطِ جَهَالَةً   فَلَمَّا تَعَارَفْنَا ضُرِبْنَ بِهَا عَنَّا(١)
تَعَدَّ القُرَى وَالْمُسْ بِنَا الجَيْشَ لَمْسَةً   نُبَارِ إلى مَا تَشْتَهِي يَدُكَ اليُمْنَى(٢)
فَقَدْ بَرَدَتْ فَوْقَ اللُّقَانِ دِمَاؤُهُمْ   وَنَحْنُ أُنَاسٌ نُتْبِعُ البَارِدَ السُّخْنَا(٣)

« يصفه بالعطاء : أي يعطى يمينا وشمالا ؛ وعلى سجيحته : أي طبيعته » . وقد أخذ المتنبى قوله حشوناها الأسنة من قول الوليد بن المغيرة :

وَكَمْ مِنْ كَرِيمِ الجَدِّ يَرْكَبُ رَدْعَهُ   وآخَرَ يَهْوِى قَدْ حَشَوْنَاهُ ثَعْلَبَا

« يقال للقتيل ركب ردعه : إذا خرلوجهه على دمه ، وأصل الردع : التلطخ بالزعفران ، والثعلب . طرف الرمح الداخل فى جبة السنان »

(١) قال ابن جنى : كانت خيل الروم قد رأت عسكرا لسيف الدولة فظنوهم روما ، فأقبلوا نحوهم مسترسلين ، فلما تحققوا الأمر ولوا هاربين ، ولهذا قال « جهالة » ووصل ضربنا بـ « إلى » و « عن » فقال ضربن إلينا ، و « عنا » على تضمينه معنى « حثثن » ونحوه .

(٢) تعد : تجاوز ؛ ونبار : نسابق . وروى نبادر : من المبادرة وهى الإسراع يقول ـ لسيف الدولة ـ تجاوز القرى إلى الصحراء وحارب بنا جيش الروم وأدننا منهم دنو اللامس من الملموس نسابق يدك اليمنى إلى تبليغك ماتريد من الظفر بهم : أى أن الظفر يكون أسرع إليك مما لوتناولته بيدك ، هذا : وقد قال العكبرى فى تفسير الغريب من هذا البيت : المباراة أن يفعل الرجل كما يفعل الآخر ، وباراه إذا جربه واختبره ، وكذا الابتيار ، وأنشد للكميت .

قبيح بمثلى نعتُ الفتا   ةِ إما ابتهاراً وإما ابتيارا

ولكن أهل اللغة يقولون : إن الذى بمعنى الاختبار هو البور . قال الأصمعى : بار يبور بورا إذا جرب ، قالوا : ويقال للرجل إذا قذف امرأة بنفسه إنه فجر بها ، فإن كان كاذبا فقد ابتهرها ، وإن كان صادقا فهو الابتيار ، افتعال ـ من برت الشىء أبوره : إذا خبرته ـ وأنشدوا بيت الكميت هذا ،وقول الكميت « إما ابتهارا وإما ابتيار » أى إما بهتانا وإما اختبارا بالصدق لاستخراج ما عندها .

(٣) اللقان موضع بالروم . يقول . تقادم عهدنا بسفك دمائهم وقد برد ماسفكناه وعادتنا أن نتبع البارد من دماء الأعداء السخن منها ، يعنى لاننفك من سفك دمائهم ، فإذا برد ماسفكناه أتبعناه دما طريا حارا .

وَإنْ كُنْتَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ العَضْبَ فِيهِم
فَدَعْنَا نَكُنْ قَبْلَ الضِّرَابِ القَنَا اللُّدْنَا(١)

فَنَحْنُ الأُلَى لاَ نَأْتَلِي لَكَ نُصْرَةً
وَأَنْتَ الَّذِي لَوْ أَنَّهُ وَحْدَهُ أَغْنَى(٢)

يَقِيكَ الرَّدَى مَنْ يَبْتَغِي عِنْدَكَ العُلاَ
وَمَنْ قَالَ لاَ أَرْضَى مِنَ العَيْشِ بِالأَدْنَى(٣)

فَلَوْلاَكَ لَمْ تَجْرِ الدِّمَاءُ وَلاَ اللُّهَا
وَلَمْ يَكُ لِلدُّنْيَا وَلاَ أَهْلِهَا مَعْنَى(٤)

وَمَا الخَوْفُ إلاَّ مَا تَخَوَّفَهُ الفَتَى
وَلاَ الأَمْنُ إلاَّ مَا رَآهُ الفَتَى أَمْنَا(٥)

* * *

---

(١) العضب : القاطع ؛ والقنا : الرماح ؛ واللدن : اللينة . ويقال رمح لدن — بفتح اللام — ورماح لدن — بضمها — يقول : إن كنت فيهم سيفا قاطعا فدعنا نتقدم إليهم تقدم الرماح ، فنكون أمامك كما تكون الرماح أمام السيوف . قيل إن سيف الدولة لما أحرق البقعة توجه إلى قلعة « سمندو » وبلغه أن العدو بها معه أربعون ألفا ، فتهيب جيشه المسير إليهم ، فلما أنشد هذا البيت ، قال له سيف الدولة قل لهؤلاء — وأشار بيده إلى من حوله من العرب والعجم — يقولوا كما تقول حتى لاننثنى عن الجيش ، فما تحمل أحد منهم بكلمة .

(٢) الألى : الذين ؛ ولا نأتلى : لانقصر ، ونصرة : تمييز . يقول : نحن الذين لانقصر فى نصرتك ، وأنت لو اكتفيت بنفسك فى قتال الأعداء لاستغنيت عنا .

(٣) الردى : الموت ، والأدنى : الدون : يعنى بهذا نفسه ، لأنه يطلب بخدمته العلى ولا يرضى عنده بالعيش الدنىء ، فكأنه يقول أقيك بنفسى .

(٤) اللها : جمع لهية ، وهى العطية . يقول : لولاك لم تكن شجاعة ولا جود ، لأن الدماء إنما تجرى بشجاعتك وقتلك الأعداء والعطايا تجرى بجودك ، ولولاك لم يظهر للدنيا ولا لأهلها معنى .

(٥) هذا تعريض بجيش سيف الدولة ، وذلك أنه أراغهم على الذهاب إلى الروم ، فخافوا خوفا منهم على أنفسهم . يقول : الخوف على الحقيقة ما يراه الإنسان خوفا ، فإن خاف شيئاً غير مخوف فقد صار خوفا ، وإن أمن غير مأمون فقد تعجل الأمن ؛ وهذا من قول دعبل :

هِيَ النَّفْسُ مَا حَسَّنْتَهُ فَمُحَسَّنٌ لَدَيْهَا وَمَا قَبَّحْتَهُ فَمُقَبَّحُ

وقال يمدحه وقد أهدى له ثياب ديباج ورمحا وفرساً معها مهرها ، وكان المهر أحسن :

ثِيَابُ كَرِيمٍ مَا يَصُونُ حِسَانَهَا ... إِذَا نُشِرَتْ كَانَ الْهِبَاتُ صِوَانَهَا(١)
تُرِينَا صَنَاعُ الرُّومِ فِيهَا مُلُوكَهَا ... وَتَجْلُو عَلَيْنَا نَفْسَهَا وَقِيَانَهَا(٢)
وَلَمْ يَكْفِهَا تَصْوِيرُهَا الْخَيْلَ وَحْدَهَا ... فَصَوَّرَتِ الأَشْيَاءَ إِلاَّ زَمَانَهَا(٣)
وَمَا ادَّخَرَتْهَا قُدْرَةً فِي مُصَوَّرٍ ... سِوَى أَنَّهَا مَا أَنْطَقَتْ حَيَوَانَهَا(٤)
وَسَمْرَاءَ يَسْتَغْوِي الْفَوَارِسَ قَدُّهَا ... وَيُذْكِرُهَا كَرَّاتِهَا وَطِعَانَهَا(٥)

---

(١) ثياب — بالرفع — على أنه مبتدأ محذوف الخبر ، أو فاعل لفعل محذوف : أى عندى ثياب كريم . أو أتتنى ثياب كريم . والصوان : التخت ، وهو ما يصون الثياب ويحفظها . يقول : أتتنى ثياب من كريم لايصون الثياب الحسنة ، إنما يهبها ، فليس لها صوان غير الهبات : أى أنه لايصونها فى الصوان وإنما يهبها ، ويجوز أن يريد بقوله « كان الهبات صوانها » : أن ما يصونها من لفاف ومنديل كان هبة أيضا ، كما قال فى موضع آخر :

* أولُ محمُولٍ سيبِهِ الحمَلْهْ *

(٢) الصناع : المرأة الحاذقة بالعمل . والقيان : جمع قينة ، وهى الجارية . يقول : إن ناسجتها من الروم قد نقشت عليها صور ملوك الروم ، فهى ترينا إياهم فيها ، وترينا كذلك صورة نفسها وجواريها .

(٣) يقول : لم تكتف بتصوير الخيل وحدها ، بل صورت الأجسام وما يمكن تصويره فلم تترك شيئا إلا صورته ماعدا الزمان ، لأنه لاصورة له ، فلذلك لم تصوره .

(٤) يقول : إن هذه الصناع لم تدخر عن الثياب المذكورة شيئاً هو فى وسع المصور إلا بذلته ، غير أنها لم تقدر على إنطاق ما صورت من حيوان ، فهذا فقط هو الذى لم تستطعه . هذا : وقوله « ادخرتها » لايتعدى إلى مفعولين لكنه أضمر فعلا فى معناه يتعدى إلى مفعولين ، كأنه قال : وماحرمتها قدرة .

(٥) سمراء : عطف على قوله ثياب كريم — فى البيت الأول — وقد كانت فى جملة الهبات . يريد قناة سمراء ، واستغواء قدها الفوارس إطماعه إياهم بطوله وملاسته وشرائط كماله فى تصريفه واستعماله ، وإظهار عجزهم عنه إذا باشروا ذلك ، وتذكيرهم الكر والطعن .

رُدَيْنِيَّةٌ نَمَّتْ فَكَادَ نَبَاتُهَا يُرَكِّبُ فِيهَا زُجَّهَا وَسِنَانَهَا[١]
وَأُمُّ عَتِيقٍ خَالُهُ دُونَ عَمِّهِ رَأَى خَلْقَهَا مَنْ أَعْجَبَتْهُ فَعَانَهَا[٢]
إِذَا سَايَرَتْهُ بَايَنَتْهُ وَبَانَهَا وَشَانَتْهُ فِى عَيْنِ الْبَصِيرِ وَزَانَهَا[٣]
فَأَيْنَ الَّتِى لَا تَأْمَنُ الْخَيْلُ شَرَّهَا وَشَرِّى وَلَا تُعْطِى سِوَاىَ أَمَانَهَا[٤]
وَأَيْنَ الَّتِى لَا تَرْجِعُ الرُّمْحَ خَائِبًا إِذَا خَفَضَتْ يُسْرَى يَدَىَّ عِنَانَهَا[٥]
وَمَالِى ثَنَاءٌ لَا أَرَاكَ مَكَانَهُ فَهَلْ لَكَ نُعْمَى لَا تَرَانِى مَكَانَهَا[٦]

---

(١) ردينية : أى أنها مما عملته ردينة ، امرأة كانت تعمل الرماح ، والزج حديدة تجعل فى أسفل الرمح . والسنان : الذى يجعل فى أعلاه . يقول : لحسن نباتها ـ الذى أنبته الله ـ كاد نباتها يجعلها ذات زج وسنان .

(٢) أم عتيق : عطف أيضا على ثياب . والعتيق : الكريم من الخيل . وعانها : أصابها بعينه . يقول : وفرس أنثى لها مهر كريم خال ذلك المهر فى الشرف دون عمه ؛ يعنى أن أباه كان أكرم من أمه ، لأن العم والأب أخوان كما أن الخال والأم أخوان، فإذا كان العم أكرم من الخال فالأب أكرم من الأم ، وقوله رأى خلقها الخ. يقول : كأنها مصابة بالعين لقبح خلقتها . يريد أن الفرس كانت قبيحة ، أما المهر فكان جميلا .

(٣) شانته : عابته وقوله فى عين البصير : لعله يريد البصير بأمر الخيل دون غيره ويحتمل أن يكون البصير من أبصرها ولم يكن له علم ، لأن بصره قد كفاه يقول : إذا سايرت الأم المهر ظهر بينهما البون وبانت مزيته عليها ، لأن المهر أكرم من الأم وأجمل فهى تشين المهر بقبحها ، ولأنها أمه ، والمهر يزينها بحسنه ، ولأنه ابنها .

(٤) يقول : هلا أهديت إلى فرسا إذا ركبتها خافت الفرسان شرها وشرى ، ولا يحسن ركوبها غيرى ؟ أى لا تنقاد لغيرى ، يعنى أين التى تصلح للحرب ؟

(٥) العنان : سير اللجام . يقول : وأين الفرس التى تصلح للطعان فلا ترد الرمح فى الحرب خائبا إذا طاعنت عليها وقرطت عنانها(*) بيدى اليسرى : يريد أن هذه لا تصلح لذلك . هذا : ويقال رجعه يرجعه وأرجعه يرجعه فى لغة هذيل .

(٦) يقول : ليس لى ثناء إلا وأنا أراك أهلا له أثنى عليك به ، فهل لك نعمى ـ نعمة ـ لا تعرفنى أهلا لها فتدخرها عنى .

(*) قرط الفارس عنان فرسه : مد يده بالعنان فجعله على قذال فرسه ، وهى تحضر تجرى ـ والمراد : أرخى العنان

ومد نهر قويق وهو نهر بحلب حتى أحاط بدار سيف الدولة ، وخرج أبو الطيب من عنده فبلغ المـاء إلى صدر فرسه فقال أبو الطيب مرتجلا :

حَجَّبَ ذَا الْبَحْرَ بِحَارٌ دُونَهُ ... يَذُمُّهَا النَّـاسُ وَيَحْمَدُونَهُ (١)
يَامَاءُ هَـلْ حَسَدْتَنَا مَعِينَهُ ... أَمِ اشْتَهَيْتَ أَنْ تُرَى قَرِينَهُ (٢)
أَمِ انْتَجَعْتَ لِلْغِنَى يَمِينَهُ ... أَمْ زُرْتَهُ مُكَثِّراً قَطِينَهُ (٣)
أَمْ جِئْتَهُ مُخَنْدِقاً حُصُونَهُ ... إِنَّ الْجِيَادَ وَالْقَنَا يَكْفِينَهُ (٤)
يَارُبَّ لُجٍّ جُعِلَتْ سَفِينَـهُ ... وَعَازِبِ الرَّوْضِ تَوَفَّتْ عُونَهُ (٥)

---

(١) يريد بالبحر : سيف الدولة ؛ وبالبحار : أمواه ذلك النهر ، ثم قال : هى دونه فى الشرف والنفع ، وأنها قامت له مقام الحاجب : فمنعت الناس من زيارته ، فهى لذلك مذمومة وهو محمود ، قال العكبرى : يقال إن سيف الدولة رأى فى المنام أن حية طوقت داره ، فعظم ذلك عليه ، ففسر ذلك أنه ماء ، فأمر أن يحفر بين داره وبين قريق حتى أدار الماء حول الدار ، وكان بحمص رجل ضرير من أهل العلم يفسر المنامات ، فدخل على سيف الدولة ، فقال له كلاما معناه : إن الروم تحتوى على دارك . فأمر به فأخرج بعنف ، وقدر الله تعالى أن الروم فتحوا حلب ، واحتووا على دار سيف الدولة، فدخل عليه الضرير بعد ذلك ، فقال : هذا ما كان من المنام ، فأعطاه شيئا .

(٢) المعين : الماء الذى يخرج من الأرض ، من عين ونحوها . يقول هل حسدتنا عليه فحجبت بيننا وبينه ، أم أردت أن تكون مثله فى الندى فزخرت وزدت .

(٣) أصل الانتجاع : طلب المرعى ، ويقال انتجعه : أى قصده يطلب معروفه . والقطين : الجماعة يسكنون مكانا ، والمراد : حشمه وأتباعه وأهل منزله قال :

نهته فلما لم تر النهى عاقه ... بكت فبكى مما شجاها قطينها

يقول : أم جئته تطلب معروفه لتصير غنيا ، أم أتيته زائرا لتكثير من عنده فى مجلسه ؟

(٤) الخندق : معروف ، وهو الحفير حول المدينة . يقول : أم جئته لتحفر خندقا لحصونه منعاً للعدو ؟ لاحاجة به إلى الخندق ، لأن جياده ـ خيله ـ ورماحه تمنعه وتغنيه عن الخنادق والحصون .

(٥) اللج : جمع لجة ، ولجة البحر : معظمه ؛ والسفين : جمع سفينة ؛ والعازب :

وَذِى جُنُونٍ أذْهَبَتْ جُنُونَهُ ... وَشَرْبِ كَأسٍ أكْثَرَتْ رَنِينَه[(١)]
وَأبْدَلَتْ غِنَاءَهُ أنِينَــــهُ ... وَضَيْغَمٍ أوْلَجَها عَرِينَـــه[(٢)]
وَمَلِكٍ أوْطَأهَا جَبِينَـــهُ ... يَقُودُهَا مُسَهَّـــداً جُفُونَه[(٣)]
مُبَاشِراً بِنَفْسِـــهِ شُئُـــونَهُ ... مُشَرَّفاً بِطَعْنِهِ طَعِينَـــه[(٤)]
* عَفِيفَ مَا فِى ثَوْبِهِ مَأمُونَه[(٥)] *

البعيد والعون : جمع عانة ، وهى القطعة من حمر الوحش . وتوفتها : أخذتها وافية ، وقيل أهلكتها . يقول : رب ماء عظيم عبرته خيله فكن له كالسفين ، ورب روض بعيد المراعى أهلكت خيله حمره وجميع مافيه من أنواع الوحش فصادتها بجملتها .

(١) وذى جنون : أى ورب ذى جنون — يعنى عاصيا متمردا مغرورا بجهله — أذهبت الخيل جنونه : أى أذلته حتى انقاد وأطاع ، ثم قال : ورب شرب — اسم جمع بمعنى الشاربين — أى رب قوم لاهين بشرب الخمر هجمت عليهم خيله وأعملت فيهم القتل حتى كثر رنينهم — أى صياحهم وبكاؤهم — على قتلاهم ، هذا : ويجمع « الشرب » على « شروب » ، قال الأعشى :

هو الواهبُ المُسمعاتِ الشُّرُو ... بَ بينَ الحرير وبين الكَتَن[(١)]

(٢) الضمير فى « غناءه ، وأنينه » للشرب ؛ والضيغم : الأسد ، والعرين : مأوى الأسد . يقول : وأبدلت الخيل غناء الشرب وطربه أنينا ، لما ألم به من قتل ذويه ، ثم قال : ورب رجل مثل الأسد عزة وقوة أدخل خيله أرضه فوطئتها وأخذت بلاده .

(٣) يقول : ورب ملك عظيم من الملوك عصاه فقتله فوطئت خيله جبينه وهو يقودها إليه لايعطى جفنه حظا من النوم لسرعة السير واتصاله .

(٤) طعينه : مطعونه . يقول : إذا طعن إنسانا شرفه بطعنه إياه ، لأنه رآه أهلا للمبارزة والمحاربة .

(٥) يقول : إنه عفيف الفرج مأمونه لايقرب الزنا .

---

(١) الكتن : الكتان ، حذف الأعشى « الألف » من الكتان وسماه الكتن للضرورة قال ابن سيده : لم أسمع الكتن فى الكتان إلا فى شعر الأعشى ، والمسمعات : المغنيات جمع مسمعة .

أبْيَضَ ما في تاجِهِ مَيْمُونَهُ(١) بَحْرٌ يكونُ كُلُّ بَحْرٍ نُونَهُ(٢)

* شَمْسٌ تَمَنَّى الشَّمْسُ أنْ تكونَهُ(٣) *

إنْ تَدْعُ يا سَيْفُ لِتَسْتَعِينَهُ يُجِبْكَ قبلَ أنْ تُتِمَّ سِينَهُ(٤)

أدامَ مِنْ أعدائِهِ تَمْكِينَهُ مَنْ صانَ مِنْهُمْ نَفْسَهُ وَدِينَهُ(٥)

* * *

وقال يمدحه عند منصرفه من بلد الروم سنة خمس وأربعين وثلثمائة وأنشده إياها بآمد :

أَلرَّأْيُ قَبْلَ شَجاعَةِ الشُّجْعانِ هُوَ أوَّلٌ وَهِيَ المَحَلُّ الثَّانِي(٦)

فَإذَا هُما اجْتَمَعا لِنَفْسٍ مِرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ العَلْياءِ كُلَّ مَكانِ(٧)

---

(١) يقول : إنه أبيض الوجه مباركه .

(٢) النون : الحوت . يقول : هو بحر — أى كثير العطاء — يصغر كل ملك بالإضافة إليه .

(٣) يقول : إن الشمس تتمنى أن تكونه ، لأنه أشرف منها وأكثر مناقب ، وذكر الضمير فى «تكونه» لأنه عنى بالشمس الأولى الممدوح .

(٤) يقول : إن تدعه أيها المخاطب فقلت ياسيف ـ مستعيناً ـ ، أجابك قبل إتمام سين السيف . يريد سرعة إجابته للداعى .

(٥) من صان : فاعل أدام ، وهذا دعاء . يقول : أدام الله ـ الذى صان هذا الممدوح وصان دينه من أعدائه ـ تمكينه منهم ـ من أعدائه ـ فالضمير فى « نفسه » للممدوح ، وفى « دينه » لله سبحانه وتعالى .

(٦) الرأى : مبتدأ ، خبره : الظرف بعده : وقوله هو أول الخ : استئناف . يقول : إن العقل مقدم على الشجاعة ، فإن الشجاعة إذا لم تصدر عن عقل أتت على صاحبها وأوردته موارد الهلاك ولم تعد شجاعة ، وإنما هى خرق . والحاصل أن العقل — فى ترتيب المناقب — هو الأول ، والشجاعة ثان له .

(٧) هما : فاعل لمحذوف يفسره المذكور ، والأصل : إذا اجتمعا اجتمعا ، فحذف الفعل الأول وانفصل ضميره ، والمرة — بكسر الميم — القوة والشدة ، والمراد الإباء وعزة النفس ، وأصل المرة إحكام الفتل ، يقال أمر الحبل إمراراً ، وتروى حرة بدل مرة .

وَلَرُبَّمَا طَعَنَ الفَتَى أَقْرَانَهُ ... بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الأَقْرَانِ (١)
لَوْلَا العُقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضَيْغَمٍ ... أَدْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الإِنْسَانِ (٢)
وَلَمَا تَفَاضَلَتِ النُّفُوسُ وَدَبَّرَتْ ... أَيْدِي الكُمَاةِ عَوَالِيَ المُرَّانِ (٣)
لَوْلَا سَمِيُّ سُيُوفِهِ وَمَضَاؤُهُ ... لَمَّا سُلِلْنَ لَكُنَّ كَالأَجْفَانِ (٤)
خَاضَ الحِمَامَ بِهِنَّ حَتَّى مَا دُرِي ... أَمِنِ احْتِقَارٍ ذَاكَ أَمْ نِسْيَانِ (٥)

وتروى مرة — بضم الميم — من المرارة : يقول : إذا اجتمع العقل والشجاعة لنفس تأبى الذل والضيم ولا تلين قناتها للأعداء : بلغت أعلى المبالغ من العلى .

(١) الأقران : جمع قرن — بكسر القاف — وهو الكفء في الحرب ، يؤكد تفضيل العقل ، يقول : قد يطعن الفتى أقرانه بالمكيدة ولطف التدبير ودقة الرأى قبل أن يصرح بالقتال .

(٢)و(٣) الضيغم : الأسد ، والمراد بأدنى ضيغم : أدون ؛ فأدنى : أخس وأدون . وأدنى إلى شرف : أى أقرب . والكماة : جمع كمى ، وهو البطل المشتمل بالسلاح . والعوالى : صدور الرماح . والمران: الرماح اللينة . يقول : إنما تتفاضل نفوس الحيوان بالعقل ، فالآدمى أفضل من البهيمة بعقله، ثم يتفاضل بنو آدم بالعقل أيضاً ، كما قال المأمون :الأجسام أبضاع ولحوم ، وإنما تتفاضل بالعقول ، فإنه لالحم أطيب من لحم . وقوله ودبرت : أى ولما دبرت أى إنما توصلوا إلى استعمال الرماح في الحرب بالعقل ، ولولا العقل ماعرفت الأيدى تدبير الطعان بالرماح . يريد أن الشجاعة إنما تستعمل بالعقل . قال الخطيب التبريزى : غزت «تميم» حنيفة فاستاقت أموالا ورجالا ، فباتت حنيفة ثلاثا ، ثم تبعوهم ، فقيل لغلام منهم : كيف صنع قومك بحوافر الخيل حتى لحقوهم بعد ثلاث ؟ قال : جعلوا المران أرشية الموت ؛ فاستبقوا بها أرواحهم .

(٤) سمى سيوفه : يعنى سيف الدولة . والأجفان : جمع جفن ، وهو غمد السيف . يقول : لولا سيف الدولة ماأغنت السيوف شيئا ، ولكانت في قلة الغناء كالأجفان ، لأن السيف إنما يعمل بالضارب ، وهذا مثل قول عمرو بن معد يكرب الزبيدى أحد فرسان العرب ، وقد أعطى سيفه الصمصامة لرجل فلم يعمل به شيئاً فقال : إنما يفعل الساعد لا السيف .

(٥) يقول: خاض الحمام-الموت- بسيوفه حتى لم يعلم أذلك الخوض من احتقار للموت أم

وَسَعَى فَقَصَّرَ عَنْ مَدَاهُ فى الْعُلَى ... أَهْلُ الزَّمَانِ وَأَهْلُ كُلِّ زَمَانِ (١)
تَخِذُوا الْمَجَالِسَ فى الْبُيُوتِ وَعِنْدَهُ ... أَنَّ السُّرُوجَ مَجَالِسُ الْفِتْيَانِ (٢)
وَتَوَهَّمُوا اللَّعِبَ الْوَغَى وَالطَّعْنُ فى الْـ ... ـهَيْجَاءِ غَيْرُ الطَّعْنِ فى الْمَيْدَانِ (٣)
قَادَ الْجِيَادَ إِلَى الطِّعَانِ وَلَمْ يَقُدْ ... إِلاَّ إِلَى الْعَادَاتِ وَالأَوطَانِ (٤)
كُلُّ ابْنِ سَابِقَةٍ يُغِيرُ بِحُسْنِهِ ... فى قَلْبِ صَاحِبِهِ عَلَى الأَحْزَانِ (٥)
إِنْ خُلِّيَتْ رُبِطَتْ بِآدَابِ الْوَغَى ... فَدُعَاؤُهَا يُغْنِى عَنِ الأَرْسَانِ (٦)

نسيان للموت وغفلة عنه ؟ ودرى : مجهول «درى» لغة طىء . وثانى مفعولى «درى» محذوف سد مسده جملة الاستفهام .

(١) المدى : الغاية ؛ وأهل الزمان : أى أهل الزمان الحاضر : فـ« أل » فيه للعهد الحضورى : أى قصر عن بلوغ مابلغ أهل زمانه وأهل كل زمان غيره .

(٢) تخذوا واتخذوا : بمعنى . يقول : إن أهل الزمان مجالسهم فى البيوت ، أما هو فإنه يرى أن الفتى لايليق به أن يتخذ البيوت مجالس ، وإنما سروج الخيل يقضى أيامه عليها فى الغارة على أعدائه .

(٣) الوغى والهيجاء : من أسماء الحرب . وقوله والطعن إلى آخره : كلام مستأنف يقول : وظنوا أن الحرب لعب : أى إذا لعبوا فى الميدان فتطاعنوا بالرماح ظنوا أن ذلك هو الحرب ، والطعن فى اللعب غير الطعن فى الحرب ، لأن طعن اللعب طعن مع إبقاء ولا إبقاء فى الحرب . يريد أن أهل زمانه لاهون ، أما هو فلا يعرف غير الجد وطلب العلى .

(٤) يقول : إذا قاد خيله إلى طعان الأبطال فى الحرب ، فقد قادها إلى ماهو عادة له وإلى وطنه ، لأنه من المعركة فى وطن .

(٥) كل : إما بالرفع على أنه خبر عن ضمير محذوف يعود على الجياد ، وإما بالنصب على أنه بدل من الجياد ، وابن سابقة : أى كل فرس ولدته سابقة من الخيل . يقول : كل فرس كريم إذا نظر إليه صاحبه راقه وسر بحسنه وبدد أحزانه .

(٦) الوغى : من أسماء الحرب ؛ والأرسان : جمع رسن ، ما يكون فى رأس الدابة تمنع به من التصرف . يقول إن خيله مؤدبة بآداب الحرب إذا خليت لم تبرح من مكانها

فى جَحْفَلٍ سَتَرَ العُيُونَ غُبارُهُ فَكَأَنَّمَا يُبْصِرْنَ بِالآذَانِ(١)
يَرْمِي بِهَا البَلَدَ البَعِيدَ مُظَفَّرٌ كُلُّ البَعِيدِ لَهُ قَرِيبٌ دَانِ(٢)
فَكَأَنَّ أَرْجُلَهَا بِتُرْبَةِ مَنْبِجٍ يَطْرَحْنَ أَيْدِيَهَا بِحِصْنِ الرَّانِ(٣)
حَتَّى عَبَرْنَ بِأَرْسَنَاسَ سَوَابِحاً يَنْشُرْنَ فِيهِ عَمَائِمَ الفُرْسَانِ(٤)
يَقْمُصْنَ فِى مِثْلِ المُدَى مِنْ بَارِدٍ يَذَرُ الفُحُولَ وَهُنَّ كَالخِصْيَانِ(٥)

فكأنها مربوطة ، وإذا دعوتها أتتك ، فلا تحتاج إلى جذبها بالرسن ؛ قال ابن جنى : وهذا كقوله .

تُعَطَّفُ فِيهِ والأَعِنَّةُ شَعْرُهَا وتُضْرَبُ فيه والسِّيَاطُ كَلامُ

(١) الجحفل : الجيش العظيم . وفى جحفل : حال من الجياد . يقول : قاد خيله فى جيش عظيم قد تكاثف غباره حتى ستر العيون ؛ فلا تبصر فيه الخيل مع صدق حاسة نظرها ؛ ولكنها إذا أحست شيئاً نصبت آذانها ، فكأنها تبصر بآذانها ، وهذا من بديع التخيل ، وفيه نظر إلى قول البحترى :

ومُقَدَّمِ الأُذُنينِ تَحسِبُ أنه بهما رأى الشخصَ الَّذى لِأَمامِه

(٢) يريد بالمظفر : سيف الدولة . يقول : إنه رجل قد عوده الله الظفر والنصر ؛ فلا يبعد عليه شىء ، فالبعيد فى نظره كالقريب فى نظر غيره . لعزمه على الأمور .

(٣) منبج : بلد بالشام : — على مرحلتين من حلب — وحصن الران : من بلاد الروم . يريد سعة خطورها فى العدو ـ الجرى ـ يقول : كأن أرجلها بالشام وأيديها بالروم لبعد مواقع أيديها من أرجلها ، أى كأنها تقصد أن تبلغ الروم بخطوة واحدة . قال ابن جنى : وبين « منبج » و « حصن الران » مسيرة خمس ليال .

(٤) أرسناس : نهر بالروم ، بارد الماء جداً ، يريد ـ لسرعتها فى السباحة ـ تنتشر عمائم فرسانها .

(٥) يقمصن : يثبن . والمدى : جمع مدية ـ السكين . يقول : إن الخيل تثب فى هذا النهر الذى هو كالمدى ـ السكاكين ـ لضرب الريح إياه حتى صيرته طرائق كأنها مدى من ماء بارد يذر ـ يدع ـ الفحل كالخصى لتقلص . خصيتيه لشدة برده

وَالمَـــاءُ بَيْنَ عَجَاجَتَيْنِ مُخَلَّصٌ تَتَفَرَّقَانِ بِهِ وَتَلْتَقِيَانِ (١)
رَكَضَ الأَمِـــيرُ وَكَاللُّجَيْنِ حَبَابُهُ وَثَنَى الأَعِنَّـــةَ وَهْوَ كَالعِقْيَانِ (٢)
فَتَلَ الحِبَالَ مِنَ الغَدَائِرِ فَوْقَهُ وَبَنَى السَّفِينَ لَهُ مِنَ الصُّلْبَانِ (٣)
وَحَشَاهُ عَادِيَةً بِغَيْرِ قَوَائِمٍ عُقْمَ البُطُونِ حَوَالِكَ الأَلْوَانِ (٤)
تَأْتِي بِمَا سَبَتِ الخُيُولُ كَأَنَّهَـــا تَحْتَ الحِسَانِ مَرَابِضُ الغِزْلَانِ (٥)

---

(١) العجاجة : الغبرة . يقول : إن الجيش صار فريقين فى عبور هـذا النهر : فريق عبروا ، وفريق لم يعبروا ، ولـكل واحد منهما عجاج ــ غبار ــ والماء بينهما، فالعجاجتان تفترقان بالمـا وتلتقيان من فوقه لشدة انتشارهما ؛ وقال ابن جنى : يعنى عجاجة المسلمين وعجاجة الروم قال الواحدى : وليس كما ذكر ، لأنهم عند عبور النهر ماكانوا قاتلوا الروم بعد . ولـكن البيت التالى يؤيد ماذهب إليه ابن جنى . قال ابن جنى : ربما حجز الماء بين عجاجتين وربما جازتاه فالتقتا ، وقلما تثور العجاجة فى الشتاء ؛ قال : وسألته : أى المتنبى ــ عند القراءة عن هذا ، فذكر أنه شاهده ، قال ؛ وكان فى حزيران ــ وقال هو من أبرد المياه فى كل وقت ، لأنه يذوب من الثلج .

(٢) اللجين : الفضة ؛ والحباب : الفقاقيع التى تعلو المـاء ؛ والأعنة : جمع عنان ، ما يكون فى رأس الفرس ؛ والعقيان : الذهب . يقول : عبر سيف الدولة هذا النهر وركض خيله إلى الروم والمـاء أبيض كالفضة ، فلما قتلهم وجرت فيه دماؤهم عاد وقد احمر كالذهب

(٣) الغدائر : جمع غديرة ، وهى الخصلة من الشعر ؛ والسفين : جمع سفينة . يقول اتخذ حبال سفنه من ذوائب سباياه من نسائهم ، واتخذ خشبها من الصلبان التى استولى عليها من معابدهم ، وذلك لـكثرة ما غنم وسبى .

(٤) حشاه : فعل ماض ، والضمير للماء . وعادية : أى راكضة، من العدو ــ الركض ــ وعقم : جمع عقيم ، وهو الذى لا يلد ؛ والحوالك : الشديدة السواد : يقول : حشا ماء النهر سفنا تعدو ولا قوائم لها ، وهى عقم لا تلد ، وألوانها سوداء لأنها مقيرة ــ مطلية بالقار ــ شبه السفن بالخيل العادية والخيل لها قوائم ، ومن عادتها أن تنتج ، فبين أنه أراد السفن .

(٥) يقول إن هذه السفن تحمل النساء التى سبتها الفوارس وكأنهن غزلان والسفن

رٌ تَعَوَّدَ أَنْ يُذِمَّ لِأَهْلِهِ ... مِنْ دَهْرِهِ وَطَوَارِقِ الحَدَثَانِ (١)

فَتَرَكْتَهُ وَإِذَا أَذَمَّ مِنَ الْوَرَى ... رَاعَاكَ وَاسْتَثْنَى بَنِي حَمْدَانِ (٢)

الْمُخْفِرِينَ بِكُلِّ أَبْيَضَ صَارِمٍ ... ذِمَمَ الدُّرُوعِ عَلَى ذَوِي التِّيجَانِ (٣)

مُتَصَعْلِكِينَ عَلَى كَثَافَةِ مُلْكِهِمْ ... مُتَوَاضِعِينَ عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ (٤)

يَتَقَيَّلُونَ ظِلَالَ كُلِّ مُطَهَّمٍ ... أَجَلِ الظَّلِيمِ وَرِبْقَةِ السِّرْحَانِ (٥)

مرابض لها ، هذا : والمرابض جمع مربض ، وهو مأوى الغنم والوحش ويجمع مربض على مرابض وأرباض ، قال العجاج يصف الثور الوحشى ؛

واعْتَادَ أرباضا لهـا آرِىٌّ ... مِنْ معدِنِ الصِيرانِ عُدْمُلِىُّ (١)

(١)و(٢) بحر أى هو — النهر — بحر الخ . وأذم له من فلان . أجاره منه . والحدثان : حوادث الدهر ونوائبه . وقوله وإذا أذم ، جملة حالية : والورى : الخلق . وبنو حمدان : عشيرة سيف الدولة . يقول : هذا النهر الذى عبره سيف الدلة بحر تعود أن يجير أصحابه من حوادث الدهر بأن يمنع العدو من العبور إليهم ، ولكن لما عبرته أنت تركته يجير أهله من كل أحد إلا من بنى حمدان ، يعنى أن غيرك لا يقدر على عبوره .

(٣) المخفرين: نعت بنى حمدان ، أو منصوب على المدح . ويقال : خفرت الرجل : إذا أجرته وأخفرته: إذا نقضت عهده . والأبيض: السيف .والصارم :القاطع . والذمم جمع ذمة : يقول : إن بنى حمدان هم الذين ينقضون عهود الدروع التى على الملوك بسيوفهم لما جعل الملوك فى ذمم الدروع لأنهم تحصنوا بها وهى وقاءلهم ، فكأنهم فى خفارتها ، جعل سيوف بنى حمدان تنقض تلك الذمم بهتك دروعهم والوصول إلى أرواحهم .

(٤) التصعلك . التشبه بالصعاليك ، وهم المتلصصون الذين لامال لهم وعلى كثافة ملكهم : أى مع عظمة ملكهم وضخامته . يقول : هم على عظم ملكهم كالصعاليك . لتعرضهم للغارات وشدائد الأسفار . وهم مع عظم شأنهم يتواضعون للناس كرماً ولينا

(٥) التقيل : النوم فى القائلة ، وهى نصف النهار . والمطهم : الحسن التام الخلق من الخيل . والأجل وقت الشىء الذى يحل فيه ويراد به أجل الموت وهو صفة لمطهم ؛

---

(١) اعتادها : أتاها ورجع إليها ، وقوله لها آرى : أى لها آخية من مكانس البقر لا تزول ، ولها أصل ثابت فى سكون الوحش ، بها قال ابن السكيت. وقد تسمى الآخية آريا ، وهو حبل تشد به الدابه فى محبسها ، والعدملى: القديم

خَضَعَتْ لِمُنْصُلِكَ المَناصِلُ عَنْوَةً ... وَأذَلَّ دِينُكَ سائِرَ الأَدْيانِ(١)
وَعَلَى الدُّرُوبِ وَفِى الرُّجُوعِ غَضاضَةٌ ... وَالسَّيْرُ مُمْتَنِعٌ مِنَ الإِمْكانِ(٢)
وَالطُّرْقُ ضَيِّقَةُ المَسالِكِ بِالقَنا ... وَالكُفْرُ مُجْتَمِعٌ عَلَى الإِيمانِ(٣)
نَظَرُوا إلَى زُبَرِ الحَدِيدِ كَأَنَّما ... يَصْعَدْنَ بَيْنَ مَناكِبِ العِقْبانِ(٤)

والظليم الذكر من النعام . والربقة : العروة من حبل يشد بها . والسرحان : الذئب . يقول : إذا خرجوا فى الغارات استظلوا عند اشتداد الحر بظل خيولهم ، يعنى أنهم مثل البدو لا ظل لهم ، فإذا قالوا — من القيلولة — لجأوا إلى ظلال خيلهم .

ومعنى قوله :

* أجل الظليم وربقه السرحان *

أنها — الخيل — إذا طردت النعام والذئاب أدركتها فقتلتها ومنعتها من العدو :

وهذا من قول امرئ القيس :

* بمنجرد قيد الأوابد هيكل *

وامرؤ القيس : هو أول من قال «قيد الأوابد» ثم تبعه الشعراء قال ابن الرومى فى الغزل :

وحديثها السحرُ الحلالُ لوَ انَّهُ ... لَمْ يَجْنِ قتلَ المُسْلِمِ المتحرِّزِ
إن طالَ لَمْ يُملِلْ وَإن هى أوجزَتْ ... وَدَّ المحدَّثُ أنها لَمْ تُوجِزِ
شركُ العقُولِ وَنُزْهَةٌ ما مِثلُها ... لِلمُطْمَئِنِّ وَعُقْلَةُ المُستوفِزِ

ورواية يتقيلون : هى رواية ابن جنى ، وذهب فى معناها مذهبا غير الذى أسلفنا ، قال يتقيلون من قولهم فلان يقيل أباه ؛ إذا كان يتبعه ، والمعنى يتقيلون آباءهم السابقين فى الشرف والسبق إليه كالفرس المطهم . وقال ابن فورجه وابن القطاع : إنما الرواية يتفيأون ، يعنى أنهم يستظلون فى شدة الحر بأفياء خيلهم يصفهم بالتعرب والتبدى — أى التشبه بأهل البادية .

(١) المنصل : السيف ؛ وعنوة : أى قهرا .

(٢)و(٣)و(٤) على الدروب : صلة نظروا فى البيت الثالث — أو حال من ضميره ؛ والدروب : المداخل إلى الروم . والغضاضة : الذلة والعار — أى ما يغض من الإنسان ؛ والقنا : الرماح . والمراد بالكفر والإيمان . أصحابهما والزبر : جمع زبرة ، وهى القطعة من الحديد والمراد : السيوف ، والعقبان : جمع عقاب ، الطائر المعروف . يقول : حين

وَفَوَارِسٍ يُحْيِي الْحِمَامُ نُفُوسَهَا ... فَكَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْحَيَوَانِ (١)
مَا زِلْتَ تَضْرِبُهُمْ دِرَاكًا فِي الذُّرَى ... ضَرْبًا كَأَنَّ السَّيْفَ فِيهِ اثْنَانِ (٢)
خَصَّ الْجَمَاجِمَ وَالْوُجُوهَ كَأَنَّمَا ... جَاءَتْ إِلَيْكَ جُسُومُهُمْ بِأَمَانِ (٣)

كنا على الدروب وقد اشتدت الحال حتى تعذر علينا الانصراف والرجوع ، لما فى ذلك من العار والفضاضة وتعذر التقدم لكثرة الجيوش أمامنا وقد ضاقت الطرق لكثرة الرماح واشتباكها وأهل الكفر قد أحاطوا بأهل الإيمان وتكاثروا عليهم – فى هذه الأحوال وفى هذا المكان نظر الروم إلى سيوف المسلمين ترتفع فى الهواء – عند رفع الأبطال إياها للضرب – كأنها تصعديا مناكب العقبان ، فلا يرونها إلا فوق رءوسهم أو تقول : فى هذه الأحوال نظر الروم إلى المسلمين وهم مقنعون فى الحديد، حتى كأنهم قطع الحديد ، لاشتماله عليهم ، وهم فوق خيل كالعقبان فى خفتها وسرعتها .

(١) فوارس : عطف على « زبر الحديد » . والحمام : الموت . يقول : ونظروا إلى فوارس إذا قتلوا فى الحرب حيوا : أى يرون حياتهم فى قتلهم فى الحرب ، وكأنهم ليسوا من الحيوان ، لأن الحيوان لا يحيي بهلاكه ، يعنى أنهم غزاة مجاهدون فى سبيل الله من استشهد منهم بالقتل صار حياً مرزوقا عند الله ، كما قال سبحانه وتعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » وهذا ينظر إلى قول أبى تمام :

يَسْتَعْذِبُونَ مَنَايَاهُمْ كَأَنَّهُمُ ... لَا يَيْأَسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا

وقال ابن القطاع : هو مأخوذ من قول زهير نقله نقلا :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا ... كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهْ

وهو من الأخذ الخفى ، لأن زهيرا جعل الممدوح يسر بما يعطى سائله حتى كأنه يأخذه ، وجعل المتنبى هؤلاء الفرسان يسرعون إلى القتل فى الحرب حتى كأنه حياة .

(٢) الدراك : للتتابعة . والذرى جمع ذروة ، وهى أعلى كل شىء . يقول : مازلت تضربهم ضربا متتابعا فى أعالى أبدانهم ، يعمل السيف الواحد فيه عمل سيفين ، من السرعة ، أو لأنه ينفذ المضروب إلى آخر فيقطعه أيضا ، فكأنه سيفان . وقال ابن جنى : يريد أنك سيف ومعك سيف ، فالضرب ضرب سيفين .

(٣) الضمير فى « خص » يعود على الضرب والجماجم : جمع جمجمة ، وهى عظم الرأس المشتمل على الدماغ . يقول : إن هذا الضرب لا يقع إلا فى وجه أو فى رأس ، لأنه

فَرَمَوْا بِمَا يَرْمُونَ عَنْهُ وَأَدْبَرُوا ... يَطَوُّونَ كُلَّ حَنِيَّةٍ مِرْنَانِ (١)
يَغْشَاهُمُ مَطَرُ السَّحَابِ مُفَصَّلاً ... بِمُثَقَّفٍ وَمُهَنَّدٍ وَسِنَانِ (٢)
حُرِمُوا الَّذِى أَمَلُوا وَأَدْرَكَ مِنْهُمُ ... آمَالَهُ مَنْ عَادَ بِالْحِرْمَانِ (٣)
وَإِذَا الرِّمَاحُ شَغَلْنَ مُهْجَةَ ثَائِرٍ ... شَغَلَتْهُ مُهْجَتُهُ عَنِ الإِخْوَانِ (٤)

أوحى قتلا ، ولا يتعرض لسائر الجسد ، فكأن أجسامهم أمنت إليك بأمان ، ومن ثم لا تتعرض لها .

(١) الحنية : القوس . والمرنان : التى يسمع لها رنين . يقول : رموا قسيهم التى كانوا يرمون عنها ثم انهزموا مدبرين يطوّان فى هزيمتهم تلك القسى . التى رموك بها .

(٢) مفصلا : من تفصيل القلادة ، وهو أن يجعل بين كل لؤلؤتين خرزة والمثقف : المقوم ، يعنى الرمح . والمهند : السيف الهندى . والسنان : الزج الذى فى أسفل الرمح يقول : كان وقع السلاح كوقع المطر أى دفعة دفعة ؛ وأراد بالسحاب : الجيش ؛ وبالمطر الوقعات التى تقع بهم من السيوف والرماح ؛ وهى تقع بهم مفصلة ، لأنهم يضربون تارة بالرماح وتارة بالسيوف .

(٣) يقول : حرموا ما أملوا من الظفر بك ، فصار من عاد منهم إلى بيته بالحرمان بعد نفسه مدركا أمله ، لأنه نجا بنفسه ، و« عاد » يروى عاذ — بالذال المعجمة — من عذت بالشىء : امتنعت به ، وعلى هذه الرواية يكون المعنى : أدرك أمله منهم من لجأ إلى الرضى بالحرمان فترك الحرب وسلم بنفسه . هذا : ويقال أملت الشىء تأميلا ، وأملته آمله أملا .

(٤) المهجة : الروح . والثائر : طالب الدم . يقول إذا تناوشت الرماح صاحب ثأر شغلته صيانة روحه عن إدراك ثأر إخوانه . يعنى أن الروم لما أحسوا بالتهلكة خذل بعضهم بعضا وشغلوا بأنفسهم عن إدراك ثأر قتلاهم وهنا زلت قدم ابن القطاع ، فذهب فى تفسير البيت إلى غير الذى ذكرنا وخبط خبط عشواء ، قال : هذا البيت من معانيه الغامضة . وذلك أنه فى مدح سيف الدولة ، وظاهره هجاء محض ، لأنه يقول : شغلت سيف الدولة مهجته عن إخوانه ؛ وهذا غاية الهجو ، لأن العرب مدحت الرئيس بقتاله عن أصحابه وبذله مهجته دونهم ، وقد قال : إن سيف الدولة اشتغل بالدفاع عن الإخوان ، فحذف الجار ، وقد قيل فيه : إن معناه : إذا الرماح شغلن مهجة ثائر مشغول بمهجته اشتغل سيف الدولة ، بالدفاع عن الإخوان ، فالأول يكون الضمير فيه لسيف الدولة ،

هَيهاتَ عاقَ عَنِ العِوادِ قَواضِبٌ كَثُرَ القَتيلُ بِها وَقَلَّ العاني (١)
وَمُهَذَّبٌ أَمَرَ المَنايا فيهِمِ فَأَطَعنَهُ في طاعَةِ الرَّحمَنِ (٢)
قَد سَوَّدَت شَجَرَ الجِبالِ شُعورُهُم فَكَأَنَّ فيهِ مُسِفَّةَ الغِربانِ (٣)
وَجَرى عَلى الوَرَقِ النَجيعُ القاني فَكَأَنَّهُ النارَنجُ في الأَغصانِ (٤)
إِنَّ السُيوفَ مَعَ الَّذينَ قُلوبُهُم كَقُلوبِهِنَّ إِذا التَقى الجَمعانِ (٥)

والثانى يكون « شغلته » صفة لثائر ، وهذا إن سلم من الهجاء صح به المعنى ، فإن الكلام يحتمل فى الحذف مالا يحتمله، والصحيح من معنى هذا البيت أن قوله «عن» بمعنى الباء ، فيكون المعنى شغلت سيف الدولة مهجته بإخوانه ؛ وهو مثل قوله تعالى « وماينطق عن الهوى » أى بالهوى .

(١) العواد : المعاودة ، مصدر عاود ، بمعنى عاد . والقواضب : السيوف ؛ والعانى : الأسير . يقول : بعد ما أملوا من العود إلى القتال فقد عاقهم عن ذلك سيوف كثرت بها القتلى منهم وقل من يجرح ولا يموت فيؤسر .

(٢) مهذب : عطف على « قواضب » : يقول : يعوقهم عن العودة مهذب — يعنى سيف الدولة — أطاعته المنايا فى إهلاكهم — أى الروم — وهذه الطاعة : أى طاعة المنايا له هى طاعة لله سبحانه ، لأنه جهاد فى سبيل الله .

(٣) المسفة : من قولهم أسف الطائر : إذا دنا من الأرض فى طيرانه . والضمير فى قوله « فيه » للشجر . يقول : كثرت قتلاهم حتى أطارت الريح شعورهم على أشجار الجبال فاسودت بها فكأن الغربان وقعت عليها . شبه سواد شعورهم على الأشجار بالغربان السود .

(٤) النجيع : الدم . والقانى : الشديد الحمرة . وأصله الهمز فلينه للتصريع . والنارنج : معروف . يقول : لما بعثر شعورهم على الأشجار اسودت، ولما جرت دماؤهم على ورق الشجر احمر ، فصار لحمرته كأنه النارنج فى الأغصان .

(٥) يقول : إن السيوف إنما تعين الشجعان الذين لايفزعون فى الحرب ، كمالا تفزع هى ولما ذكر قلوبهم استعار لها — للسيوف — قلوباً ؛ وهذا من قول البحترى :

وَما السيفُ إلاَّ بَزُّ غادٍ لِزينةٍ إذا لَمْ يَكنْ أَمضَى من السَّيفِ حامِلهُ

قال ابن جنى : قوله إن السيوف مع : يدل على معنى النصر والمعونة ، كما تقول : الله معنا : أى معين وناصر ، وليست فى معنى الصحبة ، لأنها لو كانت كذلك لم يكن لها

تَلْقَى الْحُسَامَ عَلَى جَرَاءَةِ حَدِّهِ ... مِثْلَ الْجَبَانِ بِكَفِّ كُلِّ جَبَانِ (١)
رَفَعَتْ بِكَ الْعَرَبُ الْعِمَادَ وَصَيَّرَتْ ... قِمَمَ الْمُلُوكِ مَوَاقِدَ النِّيرَانِ (٢)
أَنْسَابُ فَخْرِهِمِ إِلَيْكَ وَإِنَّمَا ... أَنْسَابُ أَصْلِهِمِ إِلَى عَدْنَانِ (٣)
يَا مَنْ يُقَتِّلُ مَنْ أَرَادَ بِسَيْفِهِ ... أَصْبَحْتُ مِنْ قَتْلَاكَ بِالْإِحْسَانِ (٤)
فَإِذَا رَأَيْتُكَ حَارَ دُونَكَ نَاظِرِي ... وَإِذَا مَدَحْتُكَ حَارَ فِيكَ لِسَانِي

***

وقال فى صباه فى المكتب :

أَبْلَى الْهَوَى أَسَفاً يَوْمَ النَّوَى بَدَنِي ... وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ (٥)

نفع ، والمراد أن السيوف تنصر الذين قلوبهم كقلوبها ، وإنما يريد إذا كانوا ماضين فى الحرب كانت السيوف قاطعة ماضية .

(١) تلق : أى أيها المخاطب . والحسام : السيف القاطع . وعلى جراءه حده : أى مع جراءة حده : يريد مع مضائه فى الضريبة ، فعبر عن ذلك بالجراءة لمقابلة الجبان . يقول : إن السيف الماضى إذا كان فى يد الجبان لم يغن فى يده شيئاً ، كما لايغنى الجبان، لأن الفعل للضارب .

(٢) العماد : الأبنية الرفيعة ، يذكر ويؤنث : الواحدة عمادة ، ويقال: فلان رفيع العماد : إذا كان فى قومه شريفا ، فهم يعنون عماد بيت الشرف ، والعرب تضع البيت موضع الشرف فى النسب والحسب ؛ والقمم : جمع قمة وهى أعلا الرأس ؛ والمواقد : جمع موقد . يقول : ارتفعت بك العرب وشرفت وقاتلوا الملوك فأوقدوا على رءوسهم نار الحرب ، ولك أن تقول : قاتلوا الملوك فقطعوا رءوسهم وجعلوا جماجمهم أثافى ، احتقاراً لهم .

(٣) يقول : هم ينتسبون من جهة آبائهم إلى عدنان ، ولكنهم فى الفخر والشرف ينتسبون إليك .

(٤) يقول : أنت تقتل من أردت بسيفك : أى لايمتنع منك قتل من أردت ، لكنك أحسنت إلى وغمرتنى بإحسانك حتى قتلتنى : أى استعبدتنى بالمنة والإحسان .

(٥) يقال : بلى الثوب يبلى بلى وبلاء وأبلاه غيره يبليه إبلاء . والأسف : شدة الحزن ؛ ونصب « أسفا » على المصدر ، وعامله محذوف دل عليه ماتقدمه ، لأن « إبلاء

رُوحٌ تَرَدَّدُ فى مِثلِ الخِلالِ إذَا   أطَارَتِ الرِّيحُ عَنهُ الثَّوبَ لَمْ يَبِنِ(١)

الهوى بدنه » يدل على أسفه ، كأنه قال أسفت أسفا : ويوم النوى : ظرف لـ« أبلى » ويجوز أن يكون معمول المصدر الذى هو قوله « أسفا » ، والنوى : البعد ؛ والوسن : النوم . ومعنى إبلاء الهوى البدن : إذهابه لحمه وقوته بما يورد عليه من شدائده ؛ وخص يوم النوى ، لأن برح الهوى إنما يشتد عند الفراق . والهوى عذب مع الوصال ، سم مع الفراق ، كما قال السرى الرفاء :

وأرَى الصبابةَ أرْيَةً مالَمْ يَشُبْ   يَوْماً حَلاوتَهــــا الفِرَاقُ بِصَابِهِ

« أرية : فعلة من الأرى ، وهو العسل » . يقول: أفضى الهوى ببدنى إلى الأسف والهزال يوم الفراق ، وأبعد هجر الحبيب بين جفنى والنوم ، أى لم أجد بعده نوما .

(١) روح : مبتدأ ، محذوف الخبر : أى لى روح . والروح : يذكر ويؤنث ؛ ومن ثم لك أن تجعل « تردد » فعلا ماضيا ـ على تذكير الروح ـ وأن تجعله مضارعا ـ على تأنيثها ـ وأصله تتردد ـ بتاءين ـ فحذفت إحداهما للتخفيف . والخلال : هو ذلك العود الدقيق الذى تخلل به الأسنان . يقول : لى روح تذهب وتجىء فى بدن مثل الخلال فى النحول والدقة إذا طيرت الريح عنه الثوب الذى عليه لم يظهر ذلك البدن لدقته : أى إنما يرى لما عليه من الثوب فإذا ذهب عنه الثوب لم يظهر ويجوز أن يكون معنى « لم يبن » لم يفارق أى أن الريح تذهب بالبدن مع الثوب لخفته . قال الواحدى : وأقرأنى أبو الفضل العروضى فى مثل الخيال ، قال ـ العروضى ـ : أقرأنى أبو بكر الشعرانى خادم المتنبى : الخيال ، قال ولم أسمع الخلال إلا بالرى فما دونه ؛ يدل على صحة هذا أن الوأواء الدمشقى سمع هذا البيت فأخذه فقال :

ومَا أبْقَى الهوَى والشوْقُ مِنى   سِـــوَى رُوحٍ تَرَدَّدُ فى خيالِ
خَفِيتُ على النوائِبِ أنْ تَرَانى   كأنَّ الرُّوحَ مِـــنى فى مُحالِ

وهذا المعنى ـ كما قال الواحدى والعكبرى ـ كثير قد ألمت به الشعراء القدامى والمحدثون ، وأحسن ماقيل فيه قول بعضهم :

بَرَانى الهوَى بَرْىَ المُدى وأذابنِي   صُدُودُكَ حتى صِرتُ أنحلَ مِن أمْسِ
فلستُ أرَى حتى أراكَ وإنمـــا   يَبينُ هباءُ الذرِّ فى ألَقِ الشمسِ

وقول الآخر :

لَمْ يبقَ إلا نفَسٌ خافتٌ   ومُقْلَـــةٌ إنسانُها باهِتُ

كَفَى بِجِسْمِي نُحُولاً أَنَّنِي رَجُــلٌ لَوْلاَ مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِي[1]

(١) الباء فى « بجسمى » : زائدة ؛ وجسمى : مفعول « كفى » ونحولا : تمييز ؛ وأنى رجل : فى تأويل مصدر ، فاعل « كفى » . يقول — اصاحبه — : كفانى فعل النحول بى أنى رجل لو لم أتكلم لم يقع على البصر : أى إنما يستدل على بصوتى ، كما قال أبو بكر الصنوبرى :

ذُبْتُ حتى ما يُسْتَدَلُّ على أنْ ى حَيٌّ إلاَّ بِبَعْضِ كلامى

وأصل هذا المعنى قول الأخطل :

ضفادِعُ فى ظَلماء ليل تجاوبَتْ فدلَّ عليها صَوْتُها حيَّةَ البَحرِ

ونزولا على حكم خطتنا فى هذا الشرح نورد ماذكره ابن الشجرى فى تعليقته النحوية على هذا البيت قال فيه سؤال فى الإعراب بين « كفى بجسمى نحولا » وبين « كفى بالله » و « أن » المفتوحة تكن مع مدخولها فى تأويل المصدر كقولك : بلغنى أنك ذاهب ، أى ذهابك ، فبأى مصدر تتقدر ؟ وجملة « لولا مخاطبتى » وصف لرجل ، و « رجل » من قبيل الغيبة ، فكيف عاد إليه منها ضمير متكلم ؟ وكان الوجه أن يقال: لولا مخاطبته إياك لم تره ؟ الجواب : إن « كفى » مماعلمت فيه زيادة الباء تارة مع فاعله، وتارة مع مفعوله : ودخولها على مفعوله قليل ، فزيادتها مع الفاعل مثل : كفى بالله . والمعنى : كفى الله ، والذى يدلك على أنها مزيدة فى « كفى بالله » قول سحيم :

* كَفَى الشيْبُ والإسْلام لِلمرْء نَاهِيا *

وأما زيادتها مع المفعول ، ففى مثل قول حسان :

* وَكَفَى بنا فضْلا على مَنْ غيرنا[1] *

وكفى بجسمى ، لأن فاعل كفى : « أن » ومابعدها ، وأسبك لك من ذلك فاعلا بما دل الكلام عليه من النفى بـ«لم»، وامتناع الشىء لوجود غيره بـ«لولا»، والتقدير: كفى بجسمى نحولا انتفاء رؤيتى لولا وجود مخاطبتى ، و « نحولا » نصب على التفسير ، والتفسير فى هذا النحو للفاعل دون المفعول ، وقوله : « كفى بالله وكيلا » فوكيلا تفسير

(١) تقدم أن « من » زائدة بين « على » ومجرورها وهو « غيرنا » وعجزه :

* حبُ النبيِّ محمــــد إيَّانا *

. . . .

لاسم الله ، ونحولا : تفسير لانتفاء الرؤية ، كما أن « فضلا » فى بيت حسان تفسير لحب النبى صلى الله عليه وسلم إياهم ، فهذا فرق فى الإعراب بين « كفى بالله » وبين « كفى بجسمى » من حيث كان بالله فاعلا ووكيلا ، و« بجسمى » مفعولا ، وإنما زيدت الباء فى نحو كفى على معناه إذ كان معناه اكتف بالله ، ونظيره : حسبك بزيد ، وأما قوله : « أنى رجل » خبر موطىء ، والخبر فى الحقيقة هو الجملة التى وصف بها رجل ، والخبر الموطىء هو الذى لايفيد بانفراده عما بعده ، كالحال الموطئة فى نحو : « إنا أنزلناه قرآناً عربيا » ألا ترى أنك لو اقتصرت هنا على رجل ، لم تحصل به فائدة ؟ وإنما الفائدة مقرونة بصفته ، فالخبر كالزيادة فى الكلام ، فلذلك عاد الضميران اللذان هما « الياءان » فى « مخاطبق » و « ترى » إلى الياء فى « أنى » ولم يعودا على رجل ، لأن الجملة فى الحقيقة خبر عن « الياء » فى « أنى » وإن كانت بحكم اللفظ صفة « لرجل » ولو قلت « إن رجل » لما كان هو الياء التى فى « أنى » من حيث وقع خبراً عنها عاد الضميران إليه على المعنى كان قولا ؛ ونظيره عود الياء إلى « الذى » فى قول على عليه السلام :

* أَنَا الَّذِى سمتنِى أُمِّى حَيدَرَهْ * (١)

لما كان فى المعنى « أنا » وليس هذا مما يحمل على الضرورة ، لأنه قد جاء مثله فى القرآن « بل أنتم قوم تجهلون » فتجهلون فعل خطاب وصف به قوم ، وقوم من قبيل الغيبة ، كما ترى ، ولم يأت بالياء ولكنه جاء وفق المبتدأ الذى هو « أنتم » فى الخطاب ولو قيل : « بل أنتم قوم » لم تحصل بهذا الخبر فائدة ، ومما جاء فى الشعر بغير ضرورة قوله :

أَأُكْرَمُ مِنْ لَيْلَى عَلَىَّ فَتَبْتَغِى ... بِهِ الجاهَ أَمْ كُنْتُ امرَأً لاَ أُطِيعها

---

(١) قال أبو العباس ثعلب : لم تختلف الرواة فى أن هذه الأبيات لعلى بن أبى طالب رضوان الله عليه :

أَنَا الَّذِى سَمَّتْنِى أُمِّى الْحَيْدَرَهْ ... كَلَيْثِ غَابَاتٍ غَلِيظ القَصَرَهْ

* أَكِيلُكُمْ بالسَّيْفِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ *

الحيدرة : الأسد ؛ والقصرة : أصل العنق ؛ والسندرة : مكيال كبير ، وقيل اسم امرأة كانت تكيل كيلا وافيا .

وقال فى صباه على لسان بعض التنوخيين وقد سأله ذلك :

قُضَاعَةُ تَعْلَمُ أَنِّى الْفَتَى الَّذِى ادَّخَرَتْ لِصُرُوفِ الزَّمَانِ(١)

وَمَجْدِى يَدُلُّ بَنِى خِنْدِفٍ عَلَى أَنَّ كُلَّ كَرِيمٍ يَمَانِ(٢)

أعاد من « أطيعها» ضمير متكلم ، ولم يعد ضمير غائب وفاقا لامرىء ، فهذا دليل إلى دليل التنزيل .

(١) قضاعة : بطن من حمير ، وهى قبيلة التنوخى . والفتى : أصله الكريم الشجاع القوى . يقول : قبيلتى تعلم أنى فتاها الذى يحتاجون إليه فيدخرونه لدفع ما ينزل بهم من الحوادث لمكانه من الشجاعة وسداد الرأى. وليلاحظ أن هذه الأبيات هى على لسان غيره وهو من أهل اليمن .

(٢) خندف : امرأة إلياس بن مضر ، ينسب إليها أحد نخذى مضر . يقول : إن شرفى يدلهم على أن كل كريم يمنى — أى من قبائل اليمن — لأنى منهم . ولنعد إلى خندف قال الأخباريون : خندف هى بنت عمران بن الحاف بن قضاعة ، وهى امرأة إلياس بن مضر ، ولدت له مدركة . وطابخة وقمعة ، وكان اسم مدركة « عامرا » واسم طابخة « عمرا » ، قيل إنهم كانوا فى إبل لهم يرعونها فصاد عامر وعمرو صيداً ، فقعدا يطبخانه فعدت عادية على إبلهما فقال عامر لعمرو : أتدرك الإبل ، أم تطبخ هذا الصيد ؟ فقال بل أطبخ ، فلحق عامر بالإبل ، فجاء بها ، فلما رجعا على أبيهما حدثاه بشأنهما ، فقال لعامر : إنك مدركة ، وقال لعمرو : أنت طابخة ، فجاءت أمهما تمشى فقال لها : أنت خندف(١) وأما قمعة فيقال إن خزاعة من ولده ، من ولد عمرو بن لحى الذى هو ابن قمعة ابن إلياس ، وهو عمرو الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيته يجر قصبه فى النار »(٢) .

وقال محمد بن إسحق بن يسار صاحب المغازى فى أول كتابه : ولد معد بن عدنان أربعة : نزار بن معد وقضاعة بن معد — وكان قضاعة بكر معد ، وكان به يكنى — وقنص ابن معد ، فأما قضاعة فيمت إلى حمير بن سبأ ، وكان اسم سبأ « عبد شمس » ، وإنما

---

(١) الخندفة: مشية كالهرولة ، فسميت خندف لأنها خندفت فى أثر ابنها : أى أسرعت ، وأما « قمعة » فسمى كذلك لأنه انقمع فى البيت .

(٢) القصب : الأمعاء .

أنا ابنُ اللِّقـــاء أنا ابنُ السَّخاء أنا ابنُ الضِّراب أنا ابنُ الطِّعانِ[1]
أنا ابنُ الفيافِي أنا ابنُ القوافِي أنا ابنُ الشُّروجِ أنا ابنُ الرِّعانِ[2]
طويلُ النِّجادِ طويـــلُ العمادِ طويلُ القناةِ طويلُ السِّنانِ[3]

سمى سبأ ، لأنه أول من سبى فى العرب ، واليمن تقول : قضاعة ابن مالك ، وأنشد عمرو بن مرة الجهنى :

نحنُ بنو الشيخ الهجانِ الأزهر[1] قُضاعةَ بنِ مالكِ بنِ حميرِ
* النسبِ المعروفِ غيرَ المُنكرِ *

وأما «قنص» فهلكت ، وهم ملوك الحيرة الذين منهم النعمان بن المنذر ؛ وقوله «كل كريم يمان» يريد : من قبائل اليمن الذين ينسبون إلى سبإ ، وقد جاء فى مدح اليمن ما فيه كفاية ؛ ويكفيهم فخرا قوله عليه الصلاة والسلام : «الإيمان يمان ؛ وأجد ريح الرحمن من قبل اليمن ، والحكمة يمانية ، وأهل اليمن ألين قلوبا»

(١) جرت عادة العرب أن يقولوا لكل من لزم شيئا أنه ابنه حتى قالوا لطير الماء : ابن الماء . واللقاء : ملاقاة الأقران فى الحرب ، والضراب : مصدر ضارب يضارب ضرابا ، وهو من ضرب السيف . والطعان : كذلك ، مصدر طاعن يطاعن طعانا ، وهو من الطعن بالرمح . يقول : أنا صاحب هذه الأشياء لا أفارقها .

(٢) الفيافى : جمع فيفاء ، وهى الفلاة ؛ والقوافى : جمع قافية ، وهى فى الأصل آخر البيت ، وقد يقولون للقصيدة قافية . والرعان : جمع رعن ، وهو أنف الجبل الشاخص منه . يقول : أنا صاحب الفلوات لكثرة جوبى إياها وصاحب القصائد أجيدها وأبدع فيها ، وصاحب الجبال لكثرة سلوكى طرقها .

(٣) النجاد : حمالة السيف ، وطولها دليل على طول القامة ، والطول مما تتمدح به العرب .

* وإنّ أعزّاء الرجالِ طِيالُها *

والعماد : عمود الخيمة الذى تقوم عليه ، وذلك مما يمدح به ، لأنه يدل على كثرة

---

(١) الهجان : الكريم ؛ والهجان من كل شىء : الخالص ، مأخوذ من الهجان ، وهو الأبيض .

حَدِيدُ اللِّحَاظِ حَدِيدُ الحِفَاظِ   حَدِيدُ الحُسَامِ حَدِيدُ الجَنَانِ[1]
يُسَابِقُ سَيْفِي مَنَايَا العِبَادِ   إِلَيْهِمْ كَأَنَّهُمَا فِي رِهَانِ[2]

غاشيته وزواره . وطول القناة ـ الرمح ـ يدل على قوة حاملها لأنه لا يقدر على استعمال القناة الطويلة إلا القوى .

(١) اللحاظ : طرف العين مما يلى الصدغ . يريد أن بصره حديد يرى مقاتل عدوه فى الحروب . والحفاظ : المحافظة على ما يجب حفظه . والحسام . السيف القاطع . والجنان : القلب يقول : هذه الأشياء منى حديدة ـ قوية ـ

(٢) المنايا : جمع منية ، وهى الموت . والرهان : السباق . يقول : سيفى يبادر آجال الناس ليسبقها فيقتلهم قبل انقضاء آجالهم ، قال عنترة :

وَأَنَا المَنِيَّةُ فى المواقِفِ كلها   وَالطعنُ مِنِّى سابقُ الآجالِ

ومثله قول أبى تمام :

يكادُ حِينَ يُلاقِى القِرنَ مِنْ حَنَقٍ   قَبلَ السِنانِ عَلَى حَوبائِهِ يَرِدُ[1]

هذا : والرهان من قولهم راهنت فلانا على كذا — أى خاطرته — وهو الرهن الذى كانوا يرهنون فى سباق الخيل ، وقد جاء رهنته وأرهنته بمعنى ، وأنشدوا لهمام بن مرة وفى الصحاح لعبد الله بن همام السلولى :

فَلما خشِيتُ أظافِيرهمْ   نجوتُ وأرْهَنتهمْ مالكا
غَرِيباً مُقيماً بدارِ الهوا   نِ أهوَنْ علىَّ بِهِ هالكا
وأحْضَرتُ عُذْرِى عليهِ الشهوَ   دَ إنْ عاذِراً لى وَإنْ تاركا
وقدْ شَهِدَ الناسُ عندَ الإما   مِ أنى عَدو لِأعدْائكا

قال أبو العباس ثعلب : كل الرواة قالوا وأرهنتهم ، إلا الأصمعى فإنه رواه وأرهنهم عطفا لفعل مستقبل على فعل ماض وشبهه بقولهم : قمت وأصك وجهه ، لأن الواو واو الحال . فيجعل « أصك » حالا للفعل ، وقد عاب الأخفش قراءة ابن كثير وابن العلاء فرهن مقبوضة » وقال : هى قبيحة ؛ لأنه لا يجمع فعل على فعل إلا شاذا ، إلا أن يكون رهن جمع رهان مثل ثمر وثمار ، ورهان جمع رهن ؛ وغاب عن الأخفش

(١) الحوباء : النفس .

يَرَى حَدُّهُ غَامِضَاتِ الْقُلُوبِ إِذَا كُنْتُ فِى هَبْوَةٍ لاَ أَرَانِى (١)
سَأَجْعَلُهُ حَكَماً فِى النُّفُوسِ وَلَوْ نَابَ عَنْهُ لِسَانِى كَفَانِى (٢)

* * *

وقال أيضا فى صباه :

كَتَمْتُ حُبَّكِ حَتَّى مِنْكِ تَكْرِمَةً ثُمَّ اسْتَوَى فِيكِ إِسْرَارِى وَإِعْلاَنِى (٣)

جمعهم سقفا على سقف ، فقد قرأ أهل الكوفة ونافع وابن عامر « ولبيوتهم سقفا من فضة » وهذا جمع سقف ، فكان الأولى أن يعيب على هؤلاء جمعهم سقفا على سقف « راجع لسان العرب والعكبرى »

(١) الضمير فى « حده » للسيف ، والهبوة : الغبار . وغامضات القلوب : الغامضة فى الأبدان ، وإنما خصها دون سائر الأعضاء الغامضة ، لأنها مقاتل بلا شك . يقول : يرى حد سيفى قلوب الأعداء فيهتدى إليها حين يظلم الغبار فى الحرب حتى لا يرى الفارس نفسه ؛ وهذا من قول زيد الخيل :

وَأَسْمَرَ مَرْفُوعٍ يَرَى مَا أَرَيْتُهُ بَصِيرٍ إِذَا صَوَّبْتُهُ بِالْمَقَاتِلِ

[يريد إذا هيأته نحو العدو ؛ وبالمقاتل : صلة بصير] . وقال أبو تمام :

مِنْ كُلِّ أَزْرَقَ نَظَّارٍ بِلاَ نَظَرٍ إِلَى الْمَقَاتِلِ مَا فِى مَتْنِهِ أَوَدُ

هذا : قوله : لا أرانى قال الواحدى : لا يجوز أرانى بمعنى أرى نفسى ، وإنما يجوز ذلك فى أفعال معدودة نحو ظننتى وحسبتنى وبابهما ؛ وقد جاء شاذا : فقدتنى وعدمتنى ، ولا يقال ضربتنى ولا رأيتنى ولا أكرمتنى ، وإنما يقال ضربت نفسى وأكرمت نفسى فكان الواجب أن يقول: لا أرى نفسى ، وقد جاء رأيتنى ، فحمله على هذا .

(٢) الحكم : بمعنى الحاكم . يقول : سأقتل من أعدائى من شئت ولسانى كسيفى فى الحدة ، فلو جعلت لسانى مكان سيفى لا كتفيت به ، لأنى أبلغ من التأثير فى أعدائى بلسانى ما يبلغه السيف . قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى : ولو ناب اللسان عن السيف ـ بأن يطيعوا أمرى ـ لم أستعمل فيهم السيف .

(٣) يقول : تكرمت بكتمان حبك حتى كتمته منك أيضا ـ ويجوز أن يكون معنى

كَأَنَّهُ زَادَ حَتَّى فَاضَ مِنْ جَسَدِي   فَصَارَ سُقْمِي بِهِ فِي جِسْمِ كِتْمَانِي(١)

* * *

ودخل على علىّ بن إبراهيم التنوخى فعرض عليه كأساً فيها شراب أسود ، فقال ارتجالاً :

إِذَا مَا الْكَأْسُ أَرْعَشَتِ الْيَدَيْنِ   صَحَوْتُ فَلَمْ تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنِي(٢)

تكرمة : إكراما للحب وإعظاما له حتى لا يطلع عليه — ثم تغيرت الحال حتى صار الإعلان والإسرار سواء ، يعنى لم ينفع الإسرار وصار كالإعلان؛ حيث ظهر الحب بالشواهد الدالة عليه وبطل الكتمان .

(١) يقول : كأن الحب زاد حتى لم أقدر على إمساكه وكتمانه ؛ ثم فاض عن جسدى كما يفيض الماء إذا زاد على ملء الإناء ، وصار سقمى بالحب فى جسم الكتمان : أى سقم كتمانى وضعف ، وإذا سقم الكتمان صح الإفشاء والإعلان . وعبارة ابن الشجرى فى أماليه : شبه أبو الطيب حبه بالأشياء المائعة فوصفه بالفيض ثم قال ـ المتنبى ـ فصار سقمى لما أفرط حبى فى الزيادة وصار كالشىء الفائض — صار سقمى قويا به وانتقل إلى جسم كتمانى فأذابه وأضعفه . فلما ضعف الكتمان ظهر الحب لضعف مخفيه . قال : وقال أبو الفتح ـ ابن جنى ـ دل الكتمان على ، قال وهذا فى بدائعه ، وفى هذا القول اختلال فى الإعراب وفساد فى المعنى وتناقض فى اللفظ ، وذلك أنه إذا عاد الضمير من كأنه إلى الكتمان وجب إعادة الضمائر التى بعده إلى الكتمان ، فيصير التقدير : كأن الكتمان زاد حتى فاض فصار سقمى به ـ أى بالكتمان ـ فى جسم كتمانى ؟ففى هذا اختلال فى الإعراب كما ترى وقد جعل الكتمان هو الذى أسقمه ، مع أن الحب هو المسقم له .

(٢) أرعشت : من الرعشة ، وهى الرعدة: أى حركت اليدين لسكر شاربها وقوله بينى وبينى أى بينى وبين عقلى . يقول : غيرى يشرب الخمر حتى ترعش يداه سكرا ، أما أنا فإنى أبقى على صحوى : أى لا أشربها حتى لا تحول الكأس بينى وبين عقلى ، قال ابن جنى . وجاء به من طرز كلام الصوفية ، كقول قائلهم :

عَجِبْتُ مِنْــكَ وَمِنِّى   أَفْنَيْتَنِي بِكَ عَنِّى

أَقَمْتَــنِى بِمَقَــامٍ   ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَنِّى

هَجَرْتُ الْخَمْرَ كَالذَّهَبِ الْمُصَفَّى فَخَمْرِى مَاءُ مُزْنٍ كَاللُّجَيْنِ (١)
أُغَارُ مِنَ الزُّجَاجَةِ وَهْىَ تَجْرِى عَلَى شَفَةِ الأَمِيرِ أَبِى الْحُسَيْنِ (٢)
كَأَنَّ بَيَاضَهَا وَالرَّاحُ فِيهَا بَيَاضٌ مُحْدِقٌ بِسَوَادِ عَيْنِ (٣)
أَتَيْنَاهُ نُطَالِبُــــهُ بِرِفْدٍ يُطَالِبُ نَفْسَهُ مِنْهُ بِدَيْنِ (٤)

* * *

---

(١) المزن : جمع مزنة ، السحابة البيضاء ؛ واللجين : الفضة . وقوله كالذهب المصفى : حال من « الخمر » وقد قابل بين الفضة وبين الذهب . يقول : لاأشرب الخمر وحسبى الماء .

(٢) هذا من قول أبى تمام :

أُغَارُ مِنَ الْقَمِيصِ إِذَا عَلَاهُ مَخَافَةَ أَنْ يُلَامِسَهُ الْقَمِيصُ

ومن قول الخبز أرزى :

مِنْ لُطْفِ إِشْفَاقِ وَدِقَّةِ غَيْرَتِى أَنِّى أَغَارُ عَلَيْكَ مِنْ مَلَكَيْكَا
وَلَوِ اسْتَطَعْتُ جَرَحْتُ لَفْظَكَ غَيْرَةً أَنِّى أَرَاهُ مُقَبِّــلاً شَفَتَيْكَا

وقال الواحدى : ولقد أساء أبو الطيب ، لأن الأمراء لايغار على شفاههم : ويقول من يعذره — المتنبى — إنما يغار لأنه يرفع شفتيه عن رتبة الكأس والخمر ، لأنهما — أى شفتيه — للأمر والنهى والألفاظ الحسنة والأمر بالصلة . ويجوز أن الزجاجة نالت ما لم ينله أحد ، فهو يغار حيث لا تستحق الزجاجة ذلك

(٣) الضمير فى « بياضها » للزجاجة ، والراح · الخمر ؛ وأحدق به : أحاط به ، يقول : كأن الزجاجة البيضاء — وفيها هذه الخمر السوداء — بياض محدق بسواد عين .

(٤) الرفد : العطاء . يقول : إن الرفد الذى سألناه إياه عده هو دينا على نفسه واجب الأداء لمكانه من الكرم والأريحية ، كما قال أبو تمام :

غَرِيمٌ لِلْمُلِمِّ بِهِ وَحَاشَا نَدَاهُ مِنْ مُمَاطَلَةِ الْغَرِيمِ

وقال أيضا :

إِلَّا نَدًى كَالدَّيْنِ حَلَّ قَضَاؤُهُ إِنَّ الْكَرِيمَ لِمُعْتَفِيهِ غَرِيمُ

وقال يمدح بدر بن عمار وقد سار إلى الساحل ، ثم عاد إلى طبرية ، وكان أبو الطيب قد تخلف عنه ، فقال يعتذر إليه :

أَلْحُبُّ ما مَنَعَ الْكَلَامَ الْأَلْسُنَا وَأَلَذُّ شَكْوَى عَاشِقٍ ما أَعْلَنَا[1]

---

(١) ما — فى الشطرين موصولة بمعنى « الذى » خبر عن المرفوع قبلها . يقول : حق الحب أن يمنع لسان صاحبه من الكلام فلا يقدر على وصف ما فى قلبه منه كما قال المجنون :

ولمّا شَكَوْتُ الحُبَّ قالَتْ كَذَبْتَنِى فما لِى أرى الأعضاءَ منكَ كَوَاسِيَا
فما الحُبُّ حتّى يلصَقَ الجِلْدَ بالحَشَا وتَخْرَسَ حتّى لا تُجيبَ المُنَادِيَا

وكما قال قيس بن ذريح :

وما هُوَ إلاّ أن أراها فُجَاءَةً فأبْهَتَ حتى ما أكادُ أجيبُ

قال الواحدى : والظاهر أن « ما » — فى قوله ما منع — نفى ، لأن المصراع الثانى حث على إعلان العشق ، وإنما يعلن من قدر على الكلام ، وهذا كما يقول أبو نواس :

فَبُحْ باسْمِ مَنْ تَهْوَى ودعنى مِنَ الكُنَى
فلا خَيْرَ فى اللّذّاتِ مِنْ دونِهَا سِتْرُ

ويقول على بن الجهم :

تهتَّكْ وبُحْ بالعشقِ جهراً فقلّما يطيبُ الهوى إلاّ لِمُنْهَتِكِ السترِ

ويقول السرى الرفاء :

ظَهرَ الهوى وتهتَّكتْ أستارُهُ والحُبُّ خيرُ سبيلِهِ إظهارُهُ
أعصِى العواذِلَ فى هواه جَهَارَةً فألَذُّ عيشِ المُستهام جِهَارُهُ

ولعل مادعا الواحدى إلى جواز أن تكون « ما » نفيا ؛ هو ما يظهر من التناقض فى البيت إذا جعلت « ما » موصولة ، ومن ثم قال بعض الشراح عقب شرحه البيت بما شرحناه للتفصى من هذا التناقض . فقد وقع المحب فى بلاء بين هذين أى بين كون حق الحب أن يغلب على اللسان وبين كون ألذ الشكوى: الإعلان . هذا : و« الألسنا » يروى بفتح السين — أى الذلق اللسان ؛ وبضمها : جمع لسان ؛ واللسان : الجارحة ، واللغة أيضا . وقد يؤنث ويذكر ، قال أعشى باهلة :

لَيْتَ الْحَبِيبَ الْهَاجِرِى هَجْرَ الْكَرَى ‏ ‏ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَاصِلِى صِلَةَ الضَّنَا[(١)]
بِنَّا فَلَوْ حَلَّيْتَنَا لَمْ تَدْرِ مَا ‏ ‏ أَلْوَانُنَا مِمَّا امْتُقِعَنْ تَلَوُّنَا[(٢)]
وَتَوَقَّدَتْ أَنْفَاسُنَا حَتَّى لَقَدْ ‏ ‏ أَشْفَقْتُ تَحْتَرِقُ الْعَوَاذِلُ بَيْنَنَا[(٣)]

إِنِّى أَتَتْنِى لِسَانٌ لا أُسَرُّ بِهَا ‏ ‏ مِنْ عَلْوَ لاَعَجَبٌ مِنْهَا وَلاَ سَخَرُ[(١)]

وإذا ذكر : كان على معنى الكلام ، قال الحطيئة :

نَدِمْتُ عَلَى لِسَانٍ فَاتَ مِنِّى ‏ ‏ فَلَيْتَ بِأَنَّهُ فِى جَوْفِ عِكْمِ[(٢)]

ومن أنثه : قال فى جمعه ألسن ؛ كذراع وأذرع ؛ ومن ذكره : قال فى جمعه ألسنة كحمار وأحمرة ، وهذا قياس ماجاء على فعال من المذكر والمؤنث ، وقد تقدم ذلك فى هذا الشرح مستوفى .

(١) هجر وصلة : مفعولان مطلقان ؛ ووأصلى : خبر « ليت » ؛ والكرى: النوم ؛ والجرم : الذنب ؛ والضنى : المرض والهزال . يقول : ليت الحبيب الذى هجرنى من غير ذنب كهجر النوم لأجفانى يواصلنى كمواصلة الضنى لجسمى من أجل صده وبعده عنى : يعنى أن الضنى ملازم له ، فتمنى أن يكون وصل الحبيب ملازما له ملازمة الضنى جسده .

(٢) بنا : افترقنا ، ويروى « بتنا ولوحليتنا » و« بتنا » تامة ؛والواو بعدها حالية ، و« امتقعن » يروى سفعن:وهو بمعنى امتقعن؛وحليتنا :وصفت حليتنا؛ وهى هيئة الشخص ومايتميز به ، وامتقع لونه : تغير حياء أو خيفة ؛ وتلونا : مفعول له . يقول : فارقنا أحبابنا ولعظم مانالنا من ألم الفراق لو أردت أن تصفنا ماقدرت لتغير ألواننا ، فكنت لاندرى بأن لون تصفنا .

(٣) أشفقت : خفت . وقوله تحترق : أراد أن تحترق ، فحذف « أن » وبقى الفعل مرفوعا ، وقد مرت له نظائر . والعواذل :جمع العاذلة ـ اللائمة ـ يقول : لشدة حرارة الوجد صارت أنفاسنا كالنار المتوقدة حتى خفت على العواذل أن يحترقن فيما بيننا ، قال الواحدى : وإنما خاف ذلك لأنه كان ينم على مافى قلوبهم من حرارة الهوى . وقال

---

(١) مطلع قصيدته التى يرثى بها المنتشر بن وهب الباهلى .

(٢) فليت بأنه : يروى فليت بيانه: ويروى وددت بأنه ؛ والعكم : داخل الجنب ، على المثل بالعكم الذى هو النمط تجعله المرأة كالوعاء تدخر فيه متاعها .

أَفْدِي الْمُوَدِّعَــــةَ الَّتِي أَتْبَعْتُهَا ... نَظَراً فُرَادَى بَيْنَ زَفْرَاتٍ ثُنَا[(١)]
أَنْــكَرْتُ طَارِقَةَ الْحَوَادِثِ مَرَّةً ... ثُمَّ اعْتَرَفْتُ بِهَا فَصَارَتْ دَيْدَنَا[(٢)]
وَقَطَعْتُ فِي الدُّنْيَا الْفَلاَ وَرَكَائِبِي ... فِيهَا وَوَقْتَيَّ الضُّحَى وَالْمَوْهِنَا[(٣)]

الخطيب التبريزى : وجه الإشفاق أن ينم إحراقهن على ما كانوا فيه من حر أنفاسهم . هذا : وقد قلنا أشفقت : أى خفت ، ونزيد هنا أن الشفقة الخيفة والمحبة ، وهى الاسم من الإشفاق ، وكذلك الشفق قال الشاعر إسحاق ابن خلف ، وقيل هو لابن المعلى :

تَهْوَى حَيَاتِي وأَهْوى مَوْتَهَا شفقاً ... والموْتُ أَكرمُ نَزَّالٍ على الحرَم

وأشفقت عليه فأنا مشفق وشفيق ، وإذا قلت أشفقت منه فإنما تعنى حذرته ، وأصلهما واحد ، ولا يقال شفقت ، وقال ابن دريد : شفقت وأشفقت بمعنى ، وأنكره أهل اللغة .

(١) فرادى : اسم جمع لفرد ؛ والزفرات : جمع زفرة ، وهى النفس الحار ، وسكن « فاء » ضرورة . و« ثنا » — من قولهم جاء القوم ثناء — أى اثنين ، وإنما قصرها للقافية . يقول : أفدى بنفسى هـذه المحبوبة التى قد ودعتنى ، فكلما نظرت إليهـا نظرة واحـدة زفرت زفرتين ، لشـدة ما فى صـدرى من حرارة الوجد .

(٢) الديدن : العادة ، تقول : مازال ذلك ديدنه وديدانه ودينه ودأبه وعادته وسدمه وهجيره وهجيراه .

يقول . أنـكرت حوادث الدهر أول ما طرقتنى وقلت ليست تقصدنى وإنما أخطأت فى قصدى ، ثم لمـا كثرت وتتابعت أقررت بها وعرفت أنها تأتينى ، فصارت عادة لى لا تفارقنى ولا أنفك منها ، وهذا المعنى من قول الآخر :

رُوِّعْتُ بِالْبَيْنِ حتى ما أُرَاعُ لَهُ ... وَبِالْحَوَادِثِ فى أهلى وَجِيرَانِى

(٣) الفلا : جمع فلاة ، المفازة البعيدة . والركائب : جمع ركاب ، وهى الإبل ؛ والموهن : نحو نصف الليل . يصف كثرة أسفاره وتردده فى الدنيا حتى قطع الفلوات بالمسير ، وقطع المركوب أيضا بكثرة الإتعاب ، وقطع الليل والنهار بقطع المسافات ، يعنى أنه قطع المكان والزمان والمركوب ، يريد أنه أفنى كلا منها بأسفاره : هذا : وقد قال صاحب الصحاح : الضحى مقصورة تؤنث وتذكر ؛ فمن أنث ذهب إلى أنها جمع ضحوة ،

وَوَقَفْتُ مِنهَا حَيْثُ أَوْقَفَنِي النَّدَى وَبَلَغْتُ مِنْ بَدْرِ بْنِ عَمَّارِ الْمُنَا(١)

ومن ذكر ذهب إلى أنه اسم على فعل مثل صرد ونغر (١) ، وهو ظرف غير متمكن ؛ مثل سحر ، يقول لقيته ضحى وضحى ، إذا أردت به ضحى يومك لم تنونه، قال ابن برى : ضحى مصروف على كل حال ، قال الجوهرى : ثم بعد الضحى : الضحاء ، ممدود مذكر ، وهو عند ارتفاع النهار الأعلى ، تقول منه أقمت بالمكان حق أضحيت ، كما تقول من الصباح أصبحت ، ومنه قول عمر رضى الله عنه: أضحوا بصلاة الضحى : أى صلوها لوقتها ولا تؤخروها إلى ارتفاع الضحى ، ويقال أضحيث بصلاة الضحى : أى صليتها فى ذلك الوقت ؛ وقد أسلفنا القول على «الضحى» فى هذا الشرح بأن وفى من ذلك .

(١) منها : أى من الدنيا ؛ ويروى : فيها . ويقال وقفت ووقفنى زيد ووقفت دابق ووقفت وقفا للمساكين ، فقوله أوقفنى الندى : معناه عرضنى للوقوف ، قال أبو عمرو بن العلاء : لو قال رجل فلان أوقفنى ـ أى عرضنى للوقوف ـ لم أر بذلك بأسا ؛ وأوقفته : لغة عند بعضهم : والمنى : جمع منية ، وهى الشىء الذى تتمناه . يقول: وقفت من الدنيا حيث حبسنى الجود ـ يريد عند الممدوح ـ أى لما انتهى إليه انقطع عن السفر ، لأنه أدرك عنده ما كان يتمناه ، وهذا من المخالص الحسنة . هذا : وحذف التنوين من « عمار » ـ كما قال الشراح وكما أسلفنا فى هذا الشرح على نظائر لذلك ـ لالتقاء الساكنين كقوله تعالى « وآتينا ثمود الناقة » ، قال العكبرى : قرأه القراء كلهم بغير تنوين ، وكلهم صرف « ثمود » إلا حمزة وحفصا ووافقهما أبو بكر فى آخر سورة النجم، وصرف الكسائى فى موضع الجر فى هود عند قوله تعالى « لثمود » ، قال : وقد يجوز عندنا ـ وهو كوفى ـ إسقاط التنوين فى الشعر ، وشاهدنا قول العباس بن مرداس يوم حنين للنبى صلى الله عليه وسلم :

وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلا حابسٌ يفوقانِ مِرداسَ فى مجمع(١)

فكلهم رووه مرداس ـ من غير تنوين .

(١) الصرد : طائر ضخم الرأس ، أبيض البطن ، أخضر الظهر ، يصطاد صغار الطير ، الجمع صردان ، والنغر : طائر يشبه العصفور ، تراه صفيرا ضاويا ، وتصغيره نغير ، وجمعه نغران .

(١) تقدم القول على هذا البيت فى غير موضع من هذا الشرح .

لِأَبِى الْحُسَيْنِ جَدًى يَضِيقُ وِعَاؤُهُ عَنْهُ وَلَوْ كَانَ الْوِعَاءُ الْأَزْمُنَا(١)
وَشَجَاعَـــةٌ أَغْنَاهُ عَنْهَا ذِكْرُهَا وَنَهَى الْجَبَانَ حَدِيثُهَا أَنْ يَجْبُنَا(٢)
نِيطَتْ حَمَـــائِلُهُ بِعَاتِقِ مِحْرَبٍ مَا كَرَّ قَطُّ وَهَلْ يَكُرُّ وَمَا انْثَنَى(٣)
فَـكَأَنَّهُ وَالطَّعْنُ مِنْ قُدَّامِـــهِ مُتَخَوِّفٌ مِنْ خَلْفِهِ أَنْ يُطْعَنَا(٤)
نَفَتِ التَّوَهُّمَ عَنْهُ حِـــدَّةُ ذِهْنِهِ فَقَضَى عَلَى غَيْبِ الْأُمُورِ تَيَقُّنَا(٥)

---

(١) الجدا : العطاء ـ أى ماتعطيه مجتديك ـ يقول: إن عطاء لايسعه وعاء ولوكان ذلك الوعاء الدهور مع سعتها للعالم بما فيه ، وإذا ضاقت الدهور عن شىء فحسبك به عظما .

(٢) شجاعة : عطف على « جدى » ـ فى البيت السابق ـ يقول : إن ذكر شجاعته واشتهارها بين الناس أغناه عن إظهارها واستعمالها ، فكل أحد يهابه لما يسمع من شجاعته ، وذلك أيضا يشجع الجبان ،لأنه يسمع مايتكرر فيترك حينئذ الجبن .

(٣) نيطت: علقت . والحمائل : علائق السيف والعاتق : مابين المنكب والعنق. والمحرب : صاحب الحرب الممارس لها ، ويعنى به : الممدوح ـ على جهة التجريد ـ وكر عليه فى الحرب : عطف ؛ وانثنى : رجع . يقول : علقت حمائل سيفه بعاتق رجل تمرس بالحرب واعتركها واعتركته ، ماكر قط ، لأن الكر يكون بعد الفر ، وهو لم ينثن عن حرب ولم يول العدو ظهره ، فكيف يكر ؟ وهذا منقول من قول الآخر .

اللهُ يَعْلَمُ إِنِّى لَسْتُ أَذْكُرُهُ وكيفَ أَذكُرُهُ إذ لست أنساهُ

قال ابن جنى : الشعراء الفصحاء القدماء والمحدثون قديصفون الكر بعد الانحياز، لأن الحرب خدعة وتحتاج إلى الإطراد والطرد ـ إلا أنه بالغ ولم يجعله يكر لأنه لاينثنى.

(٤) يقول : اشدة إقدامه فى الحرب لا يرجع ولا يلتفت إلى خلفه ، فهو أبدا مقدم ؛ فكأنه يخاف طعنا من خلفه ، فهو يتقدم خوفا مما وراءه ، كما قال بكر بن النطاح :

كَأَنَّكَ عِنْدَ الطَّعْنِ فِى حَوْمَةِ الوَغَى تَفِرُّ مِنَ الصَّفِّ الَّذِى مِنْ وَرَائِـكَا

(٥) التوهم : خلاف التيقن. وهذاكأنه اعتذار مما ذكر من إفراطه وإقدامه فقال : إن فطنته تقفه على عواقب الأمور حتى يعرفها يقينا ، لاوهما .

يَتَفَزَّعُ الجَبَّارُ مِنْ بَغَتَاتِهِ ... فَيَظَلُّ فى خَلَوَاتِهِ مُتَكَفِّنَا(١)
أَمْضَى إرَادَتَهُ فَسَوْفَ لَهُ قَدٌ ... وَاسْتَقْرَبَ الأَقْصَى فَثَمَّ لَهُ هُنَا(٢)
يَجِدُ الحَدِيدَ عَلَى بَضَاضَةِ جِلْدِهِ ... ثَوْبًا أَخَفَّ مِنَ الحَرِيرِ وَأَلْيَنَا(٣)
وَأَمَرُّ مِنْ فَقْدِ الأَحِبَّةِ عِنْدَهُ ... فَقْدُ السُّيُوفِ الفَاقِدَاتِ الأَجْفُنَا(٤)

---

(١) الجبار: العظيم الشديد البطش. وبغتاته، جمع بغته،وهو مايفعل فجأة؛ والتكفن: لابس الكفن. يقول: إن الرجل الجبار يخاف أن يأخذه بغتة ويهجم عليه من حيث لايدرى فيظل لابس كفنه توقعا لبغتته وتأهبا للموت. ومتكفنا؛ قال الواحدى: يروى متلفنا؛ والتلفن: التندم على مافات؛ يعنى أنه يندم على معاداته.

(٢) سوف: للاستقبال؛ وقد: لما مضى ومقاربة الحال؛ والأقصى: الأبعد. وثم: للمكان البعيد المتراخى؛ وهنا: يستعمل فيما قرب ودنا. يقول: هو ماضى الإرادة، فما يقال فيه سوف يكون: يقول عنه قد كان، والبعيد عنده قريب لقوة عزمه، فما يقال فيه ثم — هنالك — يقال هو هنا، يعنى أن ما يكون من العزائم مستقبلا عند غيره يعده ماضيا لأنه سيقع لا محالة، فكأنه قد وقع، ومايكون من المطالب بعيدا على غيره يعده حاصلا بين يديه ثقة منه بأنه لا يفوته. هذا وقد استعمل هذه الكلمات ـ سوف وقد وهنا ـ استعمال الأسماء، ولذلك أعرب «قد» ونونها.

(٣) البضاضة: مثل الغضاضة، يقال غض بض: أى طرى لين. يقول: إنه تعود لبس الدروع فى الحروب حتى صار يجدها خفيفة لينة كالحرير على بضاضته ونعومته، وفى هذا نظر إلى قول البحترى:

مُلُوكٌ يَعُدُّونَ الرِّمَاحَ مَخَاصِراً ... إذا زَعْزَعُوها والدُّرُوعَ غَلَائِلَا(١)

(٤) أمر: خبر مقدم؛ وفقد السيوف: مبتدأ مؤخر. والأجفن: جمع جفن، غمد السيف، ويجمع جفن على أجفان وجفون أيضاً. يقول: إن الحرب أحب إليه من الغزل والتشبب، فإذا فقد سيوفه كان ذلك أشد عليه من فقد أحبته، ووصف سيوفه بأنها فاقدة لجفونها — أغمادها — لأنها أبداً مستعملة فى الحروب.

---

(١) المخاصر: جمع مخصرة، مايأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه من قضيب وسوط ونحوهما، وقد يتوكأ عليه، وكانت من شعار الملوك والغلائل: جمع غلالة، شعار يلبس تحت الثوب.

لاَ يَسْتَكِنُّ الرُّعْبُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ   يَوْماً وَلاَ الإِحْسَانُ أَنْ لاَ يُحْسِنَا(١)
مُسْتَنْبِطٌ مِنْ عِلْمِهِ مَا فِي غَدٍ   فَكَأَنَّ مَا سَيَكُونُ فِيهِ دُوِّنَا(٢)

---

(١) استكن : من الكن ، أى توارى وخفى . والإحسان — الأول — مصدر أحسنت الشيء إذا حذقته وعلمته ؛ والإحسان الثانى : ضد الإساءة ، وألا يحسنا : فى موضع نصب ، لأنه مفعول المصدر — الذى هو الإحسان — ولو قال ولا إحسان أن لا يحسنا : كان أقرب إلى الفهم من استعماله بالألف واللام — وإن كان المعنى سواء — فإن قولك أعجبنى ضرب زيد : أقرب إلى الفهم من قولك أعجبنى الضرب زيدا . يقول : إن الرعب — الخوف والفزع — لا يستكن بين ضلوعه أبداً لأنه شجاع لا يخشى مخلوقا، ثم قال : وهو لا يحسن أن لا يحسن : أى لا يعرف ترك الإحسان — حتى إذا رام أن لا يحسن لم يعرف ذلك ولم يمكنه ، وهذا من قول الآخر :

يُحْسِنِ أَن يُحْسِنَ حَتَّى إِذَا   رَامَ سوى الإِحْسَانِ لَمْ يُحْسِنِ

وقال ابن فورجه : الإحسان ضد الإساءة . يقول : لا يستكن الإحسان حتى يحسن — أى لا يثبت حتى يفعله — وعلى هذا الإحسان : الهم به . يقول : إذا هم بالإحسان لم يصبر عليه حتى يفعله ، وقال ابن الشجرى : الإحسان : ضد الإساءة ، يتعدى بحرف الجر — بالباء ، وإلى — قال كثير عزة :

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لاَ مَلُومَةٌ   لَدَيْنَا وَلاَ مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتِ(١)

والثانى : يكون بمعنى إجادة العمل إذا كان حاذقا فى فعله ، وفعله يتعدى بنفسه ، قال الله تعالى « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » وقال امرؤ القيس :

وَقَدْ زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ الْيَوْم أَنَّنِى   كَبِرْتُ وَأَنْ لاَ يُحْسِنَ اللَّهْوَ أَمْثَالِي

(٢) الاستنباط : الاستخراج : وأصله من استنباط الماء ؛ ونبط الماء : نبع ؛ وأنبط الحفار : بلغ الماء . والضمير من « فيه » لعلمه . ودون الشيء : جمعه فى ديوان — أى فى كتاب — . يقول : هو من ذكائه وفطنته يعرف بعلمه ما يقع فيما يستقبل ، فكأن ماسيكون قد كتب فى علمه . والمعنى أن علمه صحيفة الكائنات ، ويروى من يومه : يعنى أنه يستدل بما فى يومه على ما سيقع فى غد فيعرفه .

---

(١) تقلى الشيء : تبغض ؛ وقد خاطبها ثم غايب ،

تَتَقَاصَرُ الْأَفْهَامُ عَنْ إِدْرَاكِهِ ... مِثْلَ الَّذِى الْأَفْلَاكُ فِيهِ وَالدُّنَا[١]

مَنْ لَيْسَ مِنْ قَتْلَاهُ مِنْ طُلَقَائِهِ ... مَنْ لَيْسَ مِمَّنْ دَانَ مِمَّنْ حُيِّنَا[٢]

لَمَّا قَفَلْتَ مِنَ السَّوَاحِلِ نَحْوَنَا ... قَفَلَتْ إِلَيْهَا وَحْشَةٌ مِنْ عِنْدِنَا[٣]

أَرِجَ الطَّرِيقُ فَمَا مَرَرْتَ بِمَوْضِعٍ ... إِلَّا أَقَامَ بِهِ الشَّذَا مُسْتَوْطِنَا[٤]

---

(١) الدنا : جمع دنيا ـ مثل كبر وصغر ، فى جمع كبرى وصغرى ـ . يقول : إن أفهام الناس تتقاصر عن إدراك هذا الممدوح كما تقاصرت عن علم الشىء المحيط بالأفلاك وبالأرضين ، فإن أحداً لا يعرف ماوراء الأفلاك وراء العالم إلى ما ينتهى من الأعلى والأسفل . فقوله «مثل» بالنصب ـ صفة لمصدر محذوف : أى تقاصرا مثل تقاصرها عن إدراك الذى الخ . ورواها بعضهم مثل ـ بالرفع ـ على أنها خبر مبتدأ محذوف : أى فهو مثل الذى الخ . وقال العكبرى : قال أبو الحسن عفيف الدين على بن عدلان : الرواية الصحيحة مثل — بالرفع — ويكون التقدير هو مثل ؛ يعنى أن الأفهام تتقاصر عن هذا الممدوح فى معرفة حقيقته ، فهو مثل علم الله تعالى ؛ ومن رواه بالنصب يحتاج إلى حذف كثير يخل حذفه بالمعنى ، ويكون التقدير مثل تقاصر الأفهام عن علم الله تعالى هذا : وقد قال ابن جنى : لقد أفرط — المتنبى — جداً ، لأن الذى فيه الأفلاك والدنا : هو علم الله تعالى وتقدس .

(٢) الطليق : الذى أطلق من القتل ؛ أو الأسير أطلق عنه إساره ، الجمع : طلقاء . ودان : خضع وأطاع ؛ وحينا ـ بضم الحاء ـ أى أهلك ؛ وروى بفتح الحاء على المعلوم : أى ممن أهلكه . يقول : من أفلت من سيفه فلم يقتله فهو ممن أطاقه ومن عليه بالعفو ومن لم يطعه وليس من أهل طاعته فهو من الهالكين .

(٣) قفل : رجع . والسواحل : بلاد الساحل . يقول : لما غبت عنا إلى السواحل عرتنا ، لك وحشة فلما رجعت ذهبت إلينا تلك الوحشة من عندنا إلى المكان الذى انصرفت منه إلينا :

(٤) أرج الطيب يأرج أرجا وأريجا : إذا فاح ؛ والأرج والأريج : توهج ريح الطيب : قال أبو ذؤيب الهذلى :

كَأَنَّ عَلَيْهَا بَالَةً لَطَمِيَّةً ... لَهَا مِنْ خِلَالِ الدَّأْيَتَيْنِ أَرِيجُ[١]

---

(١) أراد بالبالة الرائحة والشمة ، مأخوذ من بلوته ، أى شممته وأصلها بلوة فقدم

لَوْ تَعْقِلُ الشَّجَرُ الَّتِى قَابَلْتَها   مَدَّتْ مُحَيِّيَــةً إِلَيْكَ الأَغْصُنا(١)
سَلَكَتْ تَماثِيلَ القِبَابِ الجِنُّ مِنْ   شَوْقٍ بِهَا فَأَدَرْنَ فِيكَ الأَعْيُنا(٢)

والشذا : شدة ذكاء الريح الطيبة، قال العجير السلولى، وقيل لعمرو بن الأطنابة :

إذا ما مَشَتْ نَادَى بما فى ثيابها   ذكىُّ الشَّذا والمَنْدَلىُّ المطيَّرُ(١)

يقول : طاب الطريق الذى سلكته ففاحت رائحته ، فما مررت بطريق إلا صارت الرائحة الطيبة مقيمة فيه لاتريم .

(١) محيية : حال من فاعل « مدت » . والأغصنا : مفعول مدت ؛ وإليك : متعلق بـ« مدت » ، وهذا المعنى كثير ؛ قال الفرزدق :

يَكَادُ يُمسكُهُ عِرْفَانَ رَاحَتِهِ   رُكْنُ الحَطِيمِ إذا ما جاء يستلمُ

وقال البحترى :

فَلَوَ اَنَّ مُشْتَاقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا   فِى وُسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ المِنْبَرُ

(٢) القباب : جمع قبة ، وهى الخيمة . أو البيت المستدير من بيوت العرب . والمراد بالتماثيل : الصور المنقوشة على القباب . يقول : إن الصور التى فيها تكاد من صحتها وإتقانها كأن أرواح الجن سلكتها — تخللتها — شوقا إليك فأدارت — الصور — أعينها ، قال ابن جنى : كان بدر قد خرج من المدينة ثم عاد إليها فضربت القباب ، ثم قال : ماأعلم أنه وصفت صورة بأنها تكاد تنطق بأحسن من هذا . وقال الواحدى : المعنى : اشتاقت الجن إليك فتوارت بتماثيل القباب للنظر إليك : وتماثيل القباب : هى القباب فيكون فاعل « أدرن » الجن ؛ يعنى أن الجن من الشوق الذى بها إلى رؤيتك دخلت فى الصور المنقوشة على القباب التى فوقك لتراك .

الواو وصيرها ألفا ، واللطيمة واللطمية العنبرة التى لطمت بالمسك فتفتقت به حتى نشبت رائحتها والدأية : فقار الكاهل فى مجتمع مابين الكتفين .

(١) إذا مامشت : يروى إذا اتكأت : وقيل الشذا فى هذا البيت — المسك ، والمندلى : العود الهندى ، منسوب إلى « مندل » بلد بالهند يجلب منه العود والمطير ، قال ابن جنى : هو العود، وإذا كان كذلك كان بدلا من المندلى ، وقيل ضرب من صنعته ، وقيل المطير المشقق المكسر .

طَرِبَتْ مَرَاكِبُنَا فَخِلْنَـا أَنَّهَا ... لَوْلاَ حَيَاءٌ عَاقَهَا رَقَصَتْ بِنَـا(١)
أَقْبَلْتَ تَبْسِمُ وَالْجِيَـادُ عَوَابِسٌ ... يَخْبُبْنَ بِالْحَلَقِ الْمُضَاعَفِ وَالْقَنَا(٢)
عَقَدَتْ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عِثْـيَراً ... لَوْ تَبْتَغِى عَنَقاً عَلَيْهِ أَمْكَنَا(٣)
وَالْأَمْرُ أَمْرُكَ وَالْقُـلُوبُ خَوَافِقٌ ... فى مَوْقِفٍ بَيْنَ الْمَنِيَّـةِ وَالْمُنَى(٤)
فَعَجِبْتُ حَتَّى مَا عَجِبْتُ مِنَ الظُّبَى ... وَرَأَيْتُ حَتَّى مَا رَأَيْتُ مِنَ السَّنَا(٥)

---

(١) المراكب : جمع مركب ، بمعنى مركوب ، يعنى الخيل . يقول : لسرورها بقدومك طربت حتى ظننا أنها لولا الحياء لرقصت بنا : يعنى أن السرور بقدومك غاب حتى ظهر فى البهيمة التى لا تعقل .

(٢) قوله تبسم : فى موضع الحال — أى باسما — والجياد: الخيل ، جمع جواد — على غير قياس — والعوابس : جمع عابس ، وهو المكلح الوجه . والخبب : ضرب من العدو . الحلق المضاعف : الدروع — والحلق : جمع حلقة ؛ والمضاعف : الكثير ، والقنا : الرماح . يقول : أقبلت ضاحكا وجيادك عوابس لطول سيرها وإثقالها بالدروع والقنا الطوال وما قاست من شدة الحروب .

(٣) السنابك : جمع سنبك ، وهو طرف مقدم الحافر . والعثير : الغبار . والعنق : ضرب من السير عليه سريع . يقول : عقدت سنابك الخيل فوقها غبارا كثيفا لو تطلب السير عليه لأمكن من كثافته ، وهذا المعنى من قول العتابى :

تَبْنِى سَنَابِكُهَا مَنْ فَوْقَ أَرْؤُسِهِمْ ... سَقْفاً كَوَاكِبُهُ الْبِيضُ الْبَوَاتِيرُ

وأخذه العتابى من قول الأول :

وأَرْعَنَ فِيـهِ لِلسَّوَابِـغِ لُجَّةٌ ... وَسَقْفُ سماء أَنْشَـأَتْهُ الْحَوَافِرُ

[الأرعن : الجيش ؛ والسابغ : الدروع] .

(٤) خوافق : مضطربة ؛ والمنية : الموت ؛ والمنى : جمع منية ، مايتمناه الإنسان من الخير . يقول : أمرك مطاع حتى فى حال الحرب حيث اضطراب القلوب ، والناس بين خائف يتوقع القتل وبين مؤمل الظفر بالعدو ، ومقتول قدلقى منيته ، وقاتل قد أدرك أمنيته : أى فإن كنت فى هذه الحال مطاعا فما ظنك بغيرها ؟ .

(٥) الظبى : جمع ظبة ، حد السيف ، والمراد : السيف نفسه ؛ والسنا : الضوء . يريد وصف يوم قدومه إذ رأى السيوف والأسلحة مع عسكره . يقول : عجبت من

إِنِّى أَرَاكَ مِنَ الْمَكَارِمِ عَسْكَراً فى عَسْكَرٍ وَمِنَ الْمَعَالى مَعْدِنَا(١)
فَطِنَ الْفُؤَادُ لِمَا أَتَيْتُ عَلَى النَّوَى وَلِمَا تَرَكْتُ مَخَافَــةً أَنْ تَفْطَنَا(٢)
أَضْحَى فِرَاقُكَ لِى عَلَيْهِ عُقُوبَةً لَيْسَ الَّذِى قَاسَيْتُ مِنْهُ هَيِّنَا(٣)
فَاغْفِرْ فِدًى لَكَ وَاحْبُنِى مِنْ بَعْدِهَا لِتَخُصَّنِى بِعَطِيَّــةٍ مِنْهَا أَنَا(٤)
وَانْهَ الْمُشِــيرَ عَلَيْكَ فِىَّ بِضَلَّةٍ فَالْحُرُّ مُمْتَحَنٌ بِأَوْلَادِ الزِّنَا(٥)

كثرة السيوف فى ذلك اليوم حتى ذهلت فعجزت عن العجب ، ورأيت من الضوء وتألق الحديد ما خطف نظرى ؛ فرجع وهو حسير ، فلم أتمكن من الرؤية . قالوا : وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

عَلَى أَنَّهَا الْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا عَجَائِبَ حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ

(١) يقول إنى أراك عسكراً فى عسكر من المكارم: أى أنت فى نفسك عسكر وحولك عسكر آخر من المكارم ، وأراك معدنا من المعالى : أى أصلالها ، فهى تؤخذ منك .

(٢) فطن للشىء — بكسر الطاء وفتحها — يقول — كما قال الواحدى — : إن قلبك يعرف ما فعلته فى حال بعدك وما تركته فلم أفعله خوفاً من أن تعلم فتعاتبنى عليه : أى فلست فى حاجة إلى وشاية الواشين . وكان قد وشىء به إليه، وكأنه قد اعترف بتقصيره ـ كما يدل على ذلك سياق الأبيات — وقال اليازجى : إن فؤادى لم يغفل عما فعلته فى حال بعدك من التقصير فى خدمتك وما أهملته من المسير معك ، لأنى كنت خائفا أن تفطن له فتعاتبنى عليه : يعنى أنى لم أغفل عن ذلك التقصير ولو لم يوش به إليك ، فظن أن المراد بالفؤاد فؤاد المتنبى ، وليس بشىء .

(٣) عليه : أى على مافعلته . والضمير فى « منه » يعود على الفراق . يقول : صار فراقك عقوبة لى على ما فعلته مما كرهته ، أى فحسبى هذا عقوبة .

(٤) فاغفر : أى فاغفر لى ـ أى ذنبى أو تقصيرى ـ وفدى : خبر عن محذوف . أى أنا فدى لك . وحباه : أعطاه . والحباء — بكسر الحاء — العطاء ومن بعدها : أى من بعد هذه المرة ، أو من بعد المغفرة ؛ ومنها : خبر مقدم عن الضمير بعده ، والجملة : صفة لعطية . يقول فاغفر لى هذا الذنب الذى فرط منى فدى لك نفسى ، وأعطنى بعد المغفرة لأكون مخصوصاً بعطية منها نفسى : يعنى إذا عفوت عنى وأعطيتنى كنت قد خصصتنى بعطاء أنا من جملته لأنه إذا عفا عنه فقد وهبه نفسه .

(٥) الضلة : الضلال ؛ قال الواحدى : كان الأعور بن كروس قد وشى به إلى بدر

وَإِذَا الْفَتَى طَرَحَ الْكَلَامَ مُعَرِّضاً ... فِى مَجْلِسٍ أَخَذَ الْكَلَامَ اللَّذْعَنَا(١)
وَمَكَايِدُ السُّفَهَاءِ وَاقِعَــةٌ بِهِمْ ... وَعَدَاوَةُ الشُّعَرَاءِ بِئْسَ الْمُقْتَنَى(٢)
لُعِنَتْ مُقَارَنَةُ اللَّئِيمِ فَإِنَّهَا ... ضَيْفٌ يَجُرُّ مِنَ النَّدَامَةِ ضَيْفَنَا(٣)

ابن عمار لما سار وتأخر عنه المتنبي . يقول : أشار عليك بهجرانى وحرمانى ، وهذا ضلال ، لأنى لا أستحق ذلك ، وقال ابن جنى : ضلة : أى إذا قبلت منه ما أشار به عليك وأطعته فى ضلالت ، يهدده بالهجاء ، وعنى بالحر : نفسه ، وبأولاد الزنا : الوشاة وهذا تعريض بابن كروس . هذا : والأصل فى هذا المعنى قول مروان بن أبى حفصة :

مَا ضَرَّنِى حَسَدُ اللِّئَامِ وَلَمْ يَزَلْ ... ذُو الفضلِ يَحْسُدُهُ ذَوُو التَّقْصِيرِ

وقال أبو تمام :

لَقَدْ آسَفَ الْأَعْدَاءَ مَجْــدُ ابْنِ يُوسُفٍ
وَذُو النَّقْصِ فى الدُّنْيَا بِذِى الفضلِ مُولَعُ

(١) اللذعنا : يريد الذى عناه ، يعنى أنه عرض بذكر أولاد الزنا ، وقد فهم هذا التعريض من عناه به ، فهو يأخذه لنفسه .

(٢) السفيه : الذى لاعقل له ولا رأى ، وأصله الذى لايعرف أن يدبر أمره ، والأصل فيه الخفة ، وتسفهت الريح الغصون : حركتها واستخفتها قال ذو الرمة :

مَشَيْنَ كَمَا اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسَفَّهَتْ ... أَعَالِيَهَــا مَرُّ الرياحِ النَّوَاسِمِ

وتسفهت الريح الشجر : أى مالت به ، وناقة سفيهة الزمام إذا كانت خفيفة السير ، ومنه قول ذى الرمة يصف سيفا :

وَأَبْيَضَ مَوْشِيِّ القَمِيصِ نَصَبْتُهُ ... عَلَى ظَهْرِ مِقْلَاتٍ سَفِيهٍ جَدِيلُهَا

[يعنى خفيف زمامها ، يريد أن جديلها يضطرب لاضطراب رأسها ، والمقلات . التى تلد واحداً ثم تقلت رحمها فلا تحمل] . وتسفهت فلانا عن ماله : إذا خدعته عنه : وعنى بالسفهاء : السعاة ، والوشاة : الذين وشوا به . يقول : كيدهم يعود عليهم بالشر ، ثم قال : وإذا عودى الشاعر ألحق بعرض عدوه ما يبقى لاصقا به بقاء الدهر . وهذا تهديد بالهجاء

(٣) الضيفن : الذى يتبع الضيف ، ونونه زائدة ، وهو فعلن ، إذا أخذ من الضيافة ، وإن أخذ من الضفن — وهو الثقيل الكثير اللحم — فوزنه فيعل . قال الشاعر :

غَضَبُ الْحَسُودِ إِذَا لَقِيتُكَ رَاضِياً ... رُزْءٌ أَخَفُّ عَلَيَّ مِنْ أَنْ يُوزَنَا[١]
أَمْسَى الَّذِي أَمْسَى بِرَبِّكَ كَافِراً ... مِنْ غَيْرِنَا مَعَنَا بِفَضْلِكَ مُؤْمِنَا[٢]
خَلَتِ الْبِلَادُ مِنَ الْغَزَالَةِ لَيْلَهَا ... فَأَعَاضَهَاكَ اللهُ كَيْ لَا تَحْزَنَا[٣]

***

إِذَا جَاءَ ضَيْفٌ جَاءَ لِلضَّيْفِ ضَيْفَنٌ ... فَأَوْدَى بِمَا تُقْرَى الضُّيُوفُ الضيافِنُ

الضيافن : فاعل أودى ؛ وبما تقرى الضيوف : أى بما تقراه الضيوف » .

يقول : إن مخالطة اللئيم مذمومة ملعونة لما تجر وراءها من الندامة ، فهى كضيف يليه ضيف من الندامة ؛ والأصل فى هذا ماجاء فى بعض الآثار : « الجليس السوء كصاحب الكير — أى الحداد — إن لم يصبك من شرره أصابك من دخانه ، والجليس الصالح كالدارى — يعنى العطار — إن لم يصبك طيبه أصابك من ريحه » .

(١) الرزء : المصيبة . يقول : إذا كنت راضيا عنى لم أكترث بعد ذلك لغضب الحسود ، لأنه يكون فى هذه الحالة من أهون الأرزاء على فهو رزء لو كان مما يوزن لم يستحق أن يوزن لخفته .

(٢) من غيرنا : حال من اسم أمسى — الثانية — ومعنا : متعلق ، بمؤمنا ؛ ومؤمنا : خبر أمسى — الأولى — يقول : من كان يكفر بالله من غيرنا أمسى مؤمنا معنا بفضلك : أى أن من يخالفنا فى الإيمان بالله يوافقنا فى الإقرار بفضلك .

(٣) الغزالة : اسم الشمس . يقول : جعلك الله عوضا من الشمس للبلاد وأهلها عند فقد الشمس بالليل كيلا يحزنوا . هذا : وقد قال ابن جنى : إن سيبويه لايجيز تقديم ضمير الغائب المتصل على الحاضر فى مثل قولك مافعل الرجل الذى أعطاهك زيد — على معنى الذى أعطاه إياك — فتأتى بالضمير المنفصل وتدع المتصل، وأبو العباس يجيزه ، فالصواب عند سيبويه : فأعاضها إياك ، ولكن الشعر موقف ضرورة ، فيجوز فيه مالايجوز فى غيره قال العكبرى : والصواب عند أهل النحو إذا اجتمع ضمير المخاطب والغائب فالواجب تقديم ضمير المخاطب ، فكان الواجب : فأعاضكها الله : ويقال عاضه وأعاضه وعوضه .

وقال وقد سأله الجلوس :

يَابَدْرُ إِنَّكَ وَالْحَدِيثُ شُجُونُ ... مَنْ لَمْ يَكُنْ لِمِثَالِهِ تَكْوِينُ (١)

لَعَظُمْتَ حَتَّى لَوْ تَكُونُ أَمَانَةً ... مَا كَانَ مُؤْتَمَنًا بِهَا جِبْرِينُ (٢)

بَعْضُ الْبَرِيَّةِ فَوْقَ بَعْضٍ خَالِيًا ... فَإِذَا حَضَرْتَ فَكُلُّ فَوْقٍ دُونُ (٣)

* * *

---

(١) قوله والحديث شجون : جملة معترضة بين اسم « إن » وخبرها كقول القائل :

وَقَدْ أَدْرَكَتْنِي وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ ... أَسِنَّةُ قَوْمٍ لَا ضِعَافٍ وَلَا عُزْلِ (١)

وقولهم الحديث شجون : مثل ، معناه الحديث ذو شجون : أى ذو فنون وطرائق مشتبكة مختلطة . يقول : إنك الرجل الذى لم يكون الله مثله ولم يخلقه ، قال الواحدى : وأشار بقوله « والحديث شجون » إلى أن تحت قوله « من لم يكن لمثاله تكوين » معانى كثيرة لا تحصى .

(٢) اللام فى « لعظمت » رابطة لقسم مضمر ، على تقدير « قد » بعدها : أى لقد عظمت وجبرين : لغة فى جبريل ، كما يقال فى إسماعيل : اسمعين ، وفى إسرائيل : إسرائين . يقول : لو كنت أمانة لكانت هذه الأمانة عظيمة حتى لا يؤتمن بتأديتها جبريل الأمين على وحى الله وكتبه إلى أنبيائه . قال الواحدى : وهذا إفراط وتجاوز حد يدل على قلة دين وسخافة عقل

(٣) البرية : الخلق ؛ وخاليا : حال . وقد أجرى « فوق ، ودون » مجرى الأسماء ، فأعربهما إعرابها . يقول : إذا خلا الناس منك تباينوا وكانوا درجات يعلو بعضها بعضا ، فإذا حضرت بينهم استووا كلهم فى التقصير عنك وصار أشرفهم وأعلاهم دونك .

---

(١) من أبيات لرجل من بنى دارم أسرته بنو عجل فلما أنشدهم إياها أطلقوه ، وقبله :

وقَائِلَةٍ مَا بَالُهُ لَا يَزُورُنَا ... وقد كُنْتُ عن تلكَ الزِّيارَةِ فى شُغْلِ

وبعده :

لَعَلَّهُمُ أَنْ يُمْطِرُونِى بِنِعْمَةٍ ... كما صابَ ماءُ الْمُزْنِ فِى البلدِ الْمَحْلِ

فَقَدْ يُنْعِشُ اللهُ الْفَتَى بَعْدَ عَثْرَةٍ ... وَتَصْطَنِعُ الْحُسْنَى سَرَاةُ بَنِى عِجْلِ

وقال يمدح أبا عبيد الله محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب الخصيبي وهو يومئذ يتقلد القضاء بأنطاكية :

أَفَاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضٌ لِذَا الزَّمَنِ ... يَخْلُو مِنَ الْهَمِّ أَخْلَاهُمْ مِنَ الْفِطَنِ (١)

وَإِنَّمَا نَحْنُ فِي جِيــلٍ سَوَاسِيَةٍ ... شَرٍّ عَلَى الْحُرِّ مِنْ سُقْمٍ عَلَى بَدَنِ (٢)

حَوْلِي بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمُ خِلَقٌ ... تُخْطِي إِذَا جِئْتَ فِي اسْتِفْهَامِهَا بِمَنِ (٣)

---

(١) الأغراض : جمع غرض ، وهو الهدف يرمى بالسهم ؛ والضمير فى « أخلاهم » للناس يقول : إن الأفاضل من الناس كالأغراض للزمان يرميهم بنوائبه ويقصدهم بالمحن ، فلا يزالون محزونين لبعد هممهم ولطف إحساسهم واهتمامهم بمادق وجل من عبر الدهر وصروفه فكأنهم هم المقصودون بها وإنما يخلو من الحزن من كان خاليا من الفطنة . وحاصل المعنى أن الزمان إنما يقصد بشره الأفضل ، قال حكيم : على قدر الهمم تكون الهموم ، وذلك أن العاقل يفكر فى عواقب الأمور فلا يزال مهموما ، وأما الجاهل فلا يفكر فى شىء من هذا . وفى هذا المعنى يقول الجاهلى ذو الأصبع العدوانى :

أَطَافَ بِنَارِيبُ الزَّمَانِ فَدَاسَنا ... لَهُ طَائِفٌ بِالصَّالِحِينَ بَصِيرُ

ويقول البحترى :

أَلَمْ تَرَ لِلنَّوَائِبِ كَيْفَ تَسْمُو ... إِلَى أَهْلِ النَّوَافِلِ وَالْفُضُولِ

(٢) الجيل : ضرب من الناس . وسواسية : يعنى متساوين فى الشر واللؤم ، ولا يقال فى الخير ؛ وشر تفضيل بمعنى أشر ، والمراد بالحر هنا : الكريم — ضد اللئيم — يقول : نحن فى جيل من الناس قد تساووا فى الشر دون الخير ، فليس فيهم من يركن إليه ويعول عليه .

(٣) خلق : جمع خلقة ، وهى الصورة التى يخلق عليها الشىء أراد بها الأشباح والأشخاص . ويروى : حلق — بالحاء — جمع حلقة ، وهى القوم يجتمعون مستديرين . وهو معلوم أن « من » يستفهم بها عمن يعقل ، و «ما» عما لا يعقل ، تقول للجماعة من الناس : من أنتم ؟ وتقول : ماهذه القطعة أغنم هى أم إبل أم خيل ؟ . يقول : حولى من هؤلاء الناس جماعة كالبهائم ، إذا أردت الاستفهام عنهم فقل : ما أنتم ، ولا تقل : من أنتم ، وإلا عدوت الصواب : قالوا — وفى البيت — نظر إلى قوله تعالى « إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل » .

لاَ أقْـــتَرِى بَلَدًا إلاَّ عَلَى غَرَرٍ وَلاَ أمُرُّ بِخَلْقٍ غَيْرِ مُضْطَغِنِ (١)
وَلاَ أُعَاشِرُ مِنْ أمْلاَكِهِمْ أحَدًا إلاَّ أحَقَّ بِضَرْبِ الرَّأسِ مِنْ وَثَنِ (٢)
إنِّى لأعْـــذِرُهُمْ مِمَّا أعَنِّفُهُمْ حَتَّى أعَنِّفُ نَفْسِى فِيهِمِ وَأنِى (٣)
فَقْرُ الْجَهُولِ بِلاَ عَقْلٍ إلَى أدَبٍ فَقْرُ الْحِمَارِ بِلاَ رَأسٍ إلَى رَسَنِ (٤)

---

(١) تقول : قروت البلاد واستقريتها : إذا تتبعتها تخرج من بلد إلى بلد. والغرر : الاسم ـ من قولهم غرر بنفسه إذا عرضها للهلكة ـ ومضطغن : ذو ضغن وحقد . يقول : لاأسافر إلا على خطر وخوف على نفسى من الحساد والأعداء . ولا أمر بأحد لا يكون له على حقد ؛ يعنى أنهم جهال أعداء لذوى الفضل والعلم ، فلجهلهم وفضلى يعادوننى .

(٢) الأملاك : جمع ملك . كجمل وأجمال والوثن: الصنم. يقول: لاأخالط أحدا من ملوكهم إلا وهو يستحق القتل . مثله مثل الصنم الذى لا يستحق إلا أن يحطم وبفصل بين رأسه وبدنه حق لا يبق على خلقة الإنسان . ويجوز أن يكون ضرب الرأس كناية عن الإهانة والإذلال يقول هو أحق بالإذلال من الصنم ؛ وإنما خص الصنم لأنه أراد أنهم ـ أى الملوك ـ صور لا معنى وراءها . كالأصنام التى يفتن بها أقوام يعبدونها وهى تماثيل لا معنى وراءها .

(٣) التعنيف : التعيير واللوم ؛ والعائد على الموصول : محذوف : أى مما أعنفهم عليه و « حتى » ابتدائية ، وأنى : بمعنى أفتر ، قال تعالى : « ولا تنيا فى ذكرى » ومنه : الأناة من النساء ، وهى التى فيها فتور عند القيام وتأن ، قال أبوحية النميرى :

رَمَتْهُ أنَاةٌ مِنْ رَبِيعَـــةِ عَامِرٍ نَؤُومُ الضُّحَى فى مأتَمٍ أىِّ مأتَمِ (١)

يقول : إنى أجعل لهم عذرا فيما ألومهم به من الغفلة واللؤم حتى أعود على نفسى باللوم وأنى ـ أى أقصر ـ فى لومهم ، أما عذرهم فهو أنهم جهال ، والجاهل لا يلام على ترك المكارم والرغبة عن المعالى ، وقد بين هذا فى البيت التالى .

(٤) الجهول : الكثير الجهل ـ والجهل : ضد العقل ؛ والرسن : الحبل الذى تقاد به الدابة ، قال ابن مقبل :

---

(١) قال الجوهرى : المأتم عند العرب : النساء يجتمعن فى الخير والشر ، وأنشد هذا البيت ثم قال : فهذا لا محالة مقام فرح .

وَمُدْقِعِينَ بِسُبْرُوتٍ صَحِبْتُهُمُ عَارِينَ مِنْ حُلَلٍ كَاسِينَ مِنْ دَرَنِ (١)
خُرَّابِ بَادِيَةٍ غَرْثَى بُطُونُهُمُ مَكْنُ الضِّبَابِ لَهُمْ زَادٌ بِلاَ ثَمَنِ (٢)
يَسْتَخْبِرُونَ فَلاَ أُعْطِيهِمِ خَبَرِى وَمَا يَطِيشُ لَهُمْ سَهْمٌ مِنَ الظِّنَنِ (٣)
وَخَلَّةٍ فى جَلِيسٍ أَتَّقِيهِ بِهَا كَيْمَا يُرَى أَنَّنَا مِثْلاَنِ فى الوَهَنِ (٤)

هَرِيتٌ قَصِيرُ عِذَارِ اللِّجَامِ أَسِيلٌ طَوِيلُ عِذَارِ الرَّسَنْ (١)

يقول : إن الجاهل لا يفتقر إلى الأدب إذ لا عقل له؛ وأول ما يحتاج إليه الإنسان : العقل الذى به يعقل ، ثم يتأدب بعد ذلك ، فإذا لم يكن عاقلا لم يحتج إلى أدب ، كالحمار ما لم يكن له رأس لم يحتج إلى الرسن .

(١) الواو : واو « رب » ؛ والمدقع : الذى لا شئ له ، من دقع – بالكسر – إذا لصق بالتراب ، والدقعاء : التراب ، وفيه معنى الخضوع . والسبروت : الأرض لا نبات فيها ، ومنها سمى الرجل المعدم : سبروت . ويقال للقفر : سبروت من ثم . والحلل . جمع حلة ، وقالوا : الحلة رداء وقميص ، وتمامها : العمامة . والدرن : الوسخ والقذر . يقول: رب قوم صعاليك يجلسون لفقرهم على التراب عارين من الثياب كاسين من الوسخ والقذر صحبتهم .

(٢) خراب : جمع خارب وهو الذى يسرق الإبل خاصة ، ثم سمى به كل لص . وغرثى : جمع غرثان ، وهو الجوعان ؛ وغرثى : خبر مقدم ؛ وبطونهم : مبتدأ مؤخر ومكن الضباب : بيضها ، جمع مكنة ، والضباب : جمع ضب ، الدويبة المعروفة . يقول : هم لصوص سراق فلوات ليس لهم زاد ، ومن جوعهم يأكلون بيض الضباب ، يحصلون عليه بلا ثمن .

(٣) طاش السهم : خرج عن صوب الرمية ولم يصب . والظنن : جمع ظنة ، وهى ما تظنه بالإنسان من سوء . يقول : يسألونى عن خبرى فلا أخبرهم وأكتمهم أمرى وهم لا تخطئ ظنونهم بأنى أنا المتنبى الذى سمعوا به ، ولكنى أكتم خبرى عنهم خوفا من غائلتهم .

(٤) أتقيه : رواها بعضهم « أتقيه » . والخلة : الخصلة المحمودة والمذمومة ، ويرى

---

(١) هريت واسع الشدقين ، ومنه يقال للخطيب من الرجال : أهرت الشقشقة ، وقصير عذار اللجام : يريد أن مشق شدقيه مستطيل ، وإذا طال الشق قصر عذار اللجام ، ولم يصفه بقصر الخد وإنما وصفه بطوله ، بدليل قوله : طويل عذار الرسن :

وَكِلْمَةٍ فى طَرِيقٍ خِفْتُ أُعْرِبُهَا ... فَيُهْتَدَى لِى فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى اللَّحَنِ (١)
قَدْ هَوَّنَ الصَّبْرُ عِنْدِى كُلَّ نَازِلَةٍ ... وَلَيَّنَ الْعَزْمُ حَدَّ الْمَرْكَبِ الْخَشِنِ (٢)
كَمْ مَخْلَصٍ وَعُلاً فى خَوْضِ مَهْلَكَةٍ ... وَقِتْلَةٍ قُرِنَتْ بِالذَّمِّ فى الْجُبُنِ (٣)
لاَ يُعْجِبَنَّ مَضِيماً حُسْنُ بِزَّتِهِ ... وَهَلْ يَرُوقُ دَفِيناً جَوْدَةُ الْكَفَنِ (٤)

يظن والوهن : الضعف . يقول : رب خصلة فى جليس لى أستقبله بمثلها من نفسى — أى أتخلق بمثلها — حتى يظننى مثله فى ضعف الرأى ، كما قال الآخر :

أُحَامِقُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ ... وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أُعَاقِلُهْ

يريد المتنبى أنه يخفى نفسه وفضله خوفا من الحسد .

(١) خفت أعربها أى خفت أن أعربها، وقد تقدم لذلك نظائر. وأصل الإعراب التبيين، ومنه الأثر «والثيب :تعرب عن نفسها» وأصل معنى اللحن: العدول عن الظاهر إما خطأ وإما إلغازا وفطنة. ويسمى الفطن لحنا، ومنه الحديث «ولعل بعضكم ألحن بحجته» أى أفطن لها ، والمراد هنا : الخطأ . يقول : رب كلام أردت ترك الإعراب فيه لئلا يهتدى إلى ولا يطلع على أنى المتنبى فلم أقدر على ذلك . يريد أنه مطبوع على الفصاحة لا يقدر أن يحيد عنها إلى اللحن .

(٢) النازلة : الحادثة من حوادث الدهر تنزل بالإنسان . ومراده بالمركب الخشن ما يركبه من الأمور الشاقة يقول : صبرى جعل كل حادثة تلم بساحتى سهلة هينة ،وعزمى ألان المركب الخشن . يريد لا أشتكى النوازل ، بل أصبر عليها ، ولا أستخشن الخطوب الصعبة لقوة عزمى إذا عزمت .

(٣) العلى : جمع العليا ، وهى فى الأصل اسم المكان العالى ، ثم استعملت بمعنى الرفعة والشرف . والقتلة : المرة من القتل يقول : كم من خلاص وعلو لمن خاض المهالك وكم من قتل مع الذم للجبان ؟ يعنى أنه كثيرا ما يتخلص خائض المهالك المقدم عليها مع ما يكسب من الرفعة ، وكثيرا ما يقتل الجبان المحجم مع ما يلحقه من المذمة والعار .

(٤) المضيم . المظلوم ؛ والبزة : اللباس ، وراقه الشىء : أعجبه ، والدفين: المدفون وأراد بحسن البزة : اليسر وسعة الرزق .

يقول : لاينبغى للمظلوم أن يسر بسعة رزقه — التى من آثارها حسن البزة — مع ماهو فيه من الذل ، فإنه مثل الميت الذى دفن ، والميت لا يسر بحسن كفنه . شبه المظلوم الذى لا يدفع الظلم عن نفسه بالميت ، وجعل ثوبه الحسن كالكفن .

لِلّهِ حَالٌ أُرَجِّيهَا وَتُخْلِفُنِى ... وَأَقْتَضِى كَوْنَهَا دَهْرِى وَيَمْطُلُنِى (١)

مَدَحْتُ قَوْماً وَإِنْ عِشْنَا نَظَمْتُ لَهُمْ ... قَصَائِداً مِنْ إِنَاثِ الخَيْلِ وَالحُصُنِ (٢)

تَحْتَ العَجَاجِ قَوَافِيهَا مُضَمَّرَةً ... إِذَا تُنُوشِدْنَ لَمْ يَدْخُلْنَ فِى أُذُنِ (٣)

فَلَا أُحَارِبُ مَدْفُوعاً إِلَى جُدُرٍ ... وَلَا أُصَالِحُ مَغْرُوراً عَلَى دَخَنِ (٤)

مُخَيِّمُ الجَمْعِ بِالبَيْدَاءِ يَصْهَرُهُ ... حَرُّ الهَوَاجِرِ فِى صُمٍّ مِنَ الفِتَنِ (٥)

---

(١) يقال عند التعجب من شىء : لله هو . والإخلاف : ضد الإنجاز وأقتضى : أطالب ، وكونها — أى حصولها — مفعول ثان لأقتضى ؛ ودهرى : مفعول أول : أى أطالب دهرى بحصولها . ومطله حقه : سوفه ولم يقضه . يقول : إنه يرجى أن يصل إلى حال ترضيه ، وتلك الحال تخلف رجاءه فلا يصل إليها ، ويطالب دهره بحصولها فيماطله فى تبليغه إياها : وعبارة الواحدى: المعنى ههنا أن القادر على تمكينى من هذه الحال التى أرجو بلوغها وهى تخلفنى : أى لا تصل إلى ولا تنجز وعدى وأسأل دهرى حصولها وهو يمطلنى — هو الله تعالى .

(٢) الحصن جمع حصان ، وهو الذكر الفحل من الخيل . يقول : مدحت قوما لا يستحقون المدح — لشحهم وجهلهم — ولكن إن عشت غزوتهم بخيل إناث وذكور . جعل الخيل قصائد بدل القصائد التى مدحهم بها .

(٣) تحت العجاج : خبر مقدم ، وقوافيها : مبتدأ مؤخر ؛ ومضمرة: حال، والعجاج الغبار . والمضمرة من الخيل : المعدة للسباق ، يقول : قوافى هذه القصائد خيل مضمرة تحت العجاج ، وليست من القوافى التى إذا أنشدت دخلت الآذان . قال العكبرى: وصفها بالتضمير وهو مدح للخيل ، وكذلك القوافى فى الشعر إذا جادت جاد الشعر ، قال ابن الأعرابى : استجيدوا القوافى فإنها حوافر الشعر .

(٤) مدفوعا . حال ، وكذلك مغرورا . والجدر: جمع جدار ، وهو الحائط ؛ والدخن الفساد والغش والعداوة فى القلب ، ومنه الحديث « هدنة على دخن » ومثله الدخل . يقول : لست ممن يعتصم فى الحرب بالأبنية والجدر ، ولا أصالح أعدائى إذا أغرونى ونافقونى أى لا أصالحهم إلا على بذل الرضا ، و « مدفوعا » : رواه ابن جنى : مرفوعا ؛ أى يرفع إلى الجدر فيحارب عليها .

(٥) مخيم : خبر عن محذوف : أى أنا ؛ والجمع : الجيش ، وهو فاعل التخييم فى المعنى . والبيداء : الصحراء وصهرت الشمس دماغه : أذابته والهواجر : جمع هاجرة

أَلْقَى الْكِرَامُ الْأُلَى بَادُوا مَكَارِمَهُمْ ... عَلَى الْخَصِيبِيِّ عِنْدَ الْفَرْضِ وَالسُّنَنِ (١)
فَهُنَّ فِي الْحَجْرِ مِنْهُ كُلَّمَا عَرَضَتْ ... لَهُ الْيَتَامَى بَدَا بِالْمَجْدِ وَالْمِنَنِ (٢)
قَاضٍ إِذَا الْتَبَسَ الْأَمْرَانِ عَنَّ لَهُ ... رَأْيٌ يُخَلِّصُ بَيْنَ الْمَاءِ وَاللَّبَنِ (٣)
غَضُّ الشَّبَابِ بَعِيدٌ فَجْرُ لَيْلَتِهِ ... مُجَانِبُ الْعَيْنِ لِلْفَحْشَاءِ وَالْوَسَنِ (٤)

وهى منتصف النهار . والصم : الشداد . وهذا البيت تأكيد لما ذكره فى البيت السابق يقول : إن عساكره قد نصبوا خيامهم فى الصحراء يذيبهم حر الهواجر فى فتن صم — شديدة — قال الواحدى : ويجوز أن تقول فى فتن لا يهتدى فيها كالحية الصماء التى لا تجيب الراقى .

(١) الألى : الذين ؛ وبادوا . هلكوا ؛ والخصيبى : هو الممدوح ، نسبة إلى جده . يقول : إن الكرام الذين بادوا ألقوا مكارمهم على هذا الممدوح : أى ورثوه إياها وفوضوها إلى عهدته ، فهى عنده بجانب فروض الدين وسننه ، يحافظ عليها كما يحافظ على هذه . وعبارة الواحدى : فهو يستعملها — أى المكارم — عند ما يلزمه كالفريضة ، وعند مالا يلزمه كالسنة ، فصارت مكارم الكرام عنده تحت تصرفه .

(٢) الحجر — فى الأصل — المنع ، وحجر القاضى على فلان : منعه من التصرف ، وفلان فى حجر فلان : أى فى كنفه ، وبدا — ملين من المهموز — أى بدأ . والمنن جمع منة وهى النعمة . يقول : لما ورث المكارم بعد هلاك ذويها جعلها فى حجره يربيها ويكفلهم فى جملة اليتامى الذين يكفلهم ، فكان كلما عرضت له اليتامى بدأ بالمجد والمنن — التى هى من جملة المكارم المكفولة عنده — فأفاضها عليهم ، قال الواحدى: وإنما ذكر اليتامى لأنه يمدح قاضيا والقضاة يتكفلون أمر الأيتام ، وذهب ابن فورجه فى معنى هذا البيت والذى قبله مذهبا غير الذى ذكرنا ، قال : يعنى : أن المكارم قل راغبوها وكان لها من الكرام آباء ، فلما هلكوا كفلوها هذا الممدوح ، لأنه قاض ، والقضاة تكفل اليتامى ، فجعلوه كفيلها ، فهو يربيها مع سائر الأيتام ، غير أنه يؤثر المكارم بحسن التربية على سائر الأيتام . وهذا معنى قوله « كلما عرضت له اليتامى بدا بالمجد والمنن » أراد بدأ بالمكارم ، فأقام « المجد والمنن » مقامها ؛ لأنهما فى معناها .

(٣) عن : ظهر . يقول: هو قاض ذكى فطن ألمعى إذا التبس الأمران واشتبه بعضهما ببعض فصل بينهما برأيه ولو كانا ممتزجين امتزاج الماء باللبن :

(٤) شباب غض : أى ناعم ناضر ، والوسن : النوم . قال الواحدى : « قوله بعيد فجر ليلته » فيه وجهان : أحدهما أن ليلته طويلة لسهره فيما يكسبه من الدين والعلم ،

شَرَابُهُ النَّشْحُ لاَ لِلرِّيِّ يَطْلُبُهُ وَطَعْمُهُ لِقِوَامِ الْجِسْمِ لاَ السِّمَنِ (١)
أَلْقَائِلُ الصِّدْقَ فِيهِ مَا يَضُرُّ بِهِ وَالْوَاحِدُ الْحَالَتَيْنِ السِّرِّ وَالْعَلَنِ (٢)
أَلْفَاصِلُ الْحُكْمَ عَيَّ الْأَوَّلُونَ بِهِ وَالْمُظْهِرُ الْحَقَّ لِلسَّاهِي عَلَى الذِّهِنِ (٣)
أَفْعَالُهُ نَسَبٌ لَوْ لَمْ يَقُلْ مَعَهَا
جَدِّي الْخَصِيبُ عَرَفْنَا الْعِرْقَ بِالْغُصُنِ (٤)

وليس هو ممن يقصر ليلته باللذات . والثانى : أنه أراد بالفجر : بياض الشيب ؛ وبالليل سواد الشباب ، والمعنى أن بياض الشيب بعيد عنه ، لأنه شاب غض الشباب وقوله « مجانب العين للفحشاء والوسن » : أى أن عينه بعيدة عن النظر إلى ما لا يحل ، وعن النوم أيضا لطول سهره .

(١) نشح الشارب نشحا : إذا شرب شربا قليلا دون الرى . (*) قال ذو الرمة يصف الوحش :

فَانْصَاعَتِ الْحُقْبُ لَمْ تَقْصَعْ صَرَائِرَهَا وَقَدْ نَشَحْنَ فَلَا رِيٌّ وَلَا هِيمُ

(الحقب : الدهر وقيل السنة . وانصاعت : فرت ؛ وقصع العطشان : غلته بالماء إذا سكنها ؛ والصرائر : جمع صارة ؛ أى العطش ، وهذا الجمع نادر ؛ والهيم : الإبل العطاش : أى ولا هى هيم) والطعم : الطعام : يقول : لا ينال من الطعام والشراب إلا القدر الذى يقيم به جسمه وليس يشرب للرى ولا يأكل للسمن ، شأنه فى ذلك شأن الحكماء الزهاد ؛ قال حكيم : الناس يحبون الحياة ليأكلوا ، وأنا آكل لأحيا .

(٢) لك أن تنصب « الصدق » على المفعولية ، وأن تجره على الإضافة تشبيها بالحسن الوجه ؛ والضمير من « فيه » للصدق . والسر : ما يسره الإنسان ؛ والعلن ضده يقول هو يقول الحق والصدق وإن كان فيه ضرر عليه ، ولا يضمر خلاف ما يظهر رئاء الناس وإنما سره وعلنه سواء .

(٣) فصل الحكم : قضاه وقطع به ؛ وعيى بالأمر : إذا عجز عنه ؛ والساهى : الغافل ؛ والذهن : الفطن الذكى . يقول : هو يفصل برأيه وعلمه الحكم الذى عجز عنه السابقون ، ويظهر حق الخصم الغبى على الخصم الذكى .

(٤) جدى الخصيب : مبتدأ وخبر ؛ والجملة : مقول القول ، و « عرفنا » : جواب

(*) أول الشرب : النشح ثم التغمير ثم الرى ثم النقع والتحبب ثم البغر وهو عطش يأخذ الإبل فتشرب فلا تروى وتمرض وتموت .

الْعَارِضُ الْهَتِنُ ابْنُ الْعَارِضِ الْهَتِنِ ابْـ ـنِ الْعَارِضِ الْهَتِنِ ابْنِ الْعَارِضِ الْهَتِنِ (١)

قَدْ صَيَّرَتْ أَوَّلَ الدُّنْيَا وَآخِرَهَا آبَاؤُهُ مِنْ مُغَارِ الْعِلْمِ فِي قَرَنِ (٢)

كَأَنَّهُمْ وُلِدُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ وُلِدُوا أَوْ كَانَ فَهْمُهُمُ أَيَّامَ لَمْ يَكُنِ (٣)

« لو » . يقول : إن أفعاله الكريمة تدل على كرم أصله وتقوم له مقام النسب؛ حتى لو لم يقل جدى فلان لكانت أفعاله كافية فى الدلالة عليه ، كما يستدل بالغصن على الأصل ، وهذا المعنى من قول بعضهم:

وَإِذَا جَهِلْتَ مِنِ امْرِىءٍ أَعْرَاقَهُ وَأُصُولَهُ فَانْظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ

ومثله قول أبى تمام :

فُرُوعٌ لا تَرِفُّ عَلَيْكَ إِلَّا شَهِدْتَ بِهَا عَلَى طِيبِ الْأُرُومِ

(رف النبات : اهتز نضارة ؛ والأروم ـ بفتح الهمزة ـ الأصل، وبضم الهمزة : جمع)

(١) العارض ؛ السحاب المعترض فى الأفق . والهتن : الكثير الصب ، مثل الهطل يقول : هو جواد ابن آباء أجواد . هذا : وقد عيب لفظ « هتن » على المتنبي لأنه يقال سحاب هاتن ولا يقال هتن ، ولكن جاء به قياسا على « هطل » وهو من النوادر . وقال العكبرى : وقد عاب قوم أيضا هذا البيت على المتنبي وقالوا : من العى تكرار اللفظ ، قال : فسمعت شيخى أبا الفتح نصر بن محمد الوزير الجزرى يقول : إن كان هذا عيبا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم أصله فقد قال صلوات الله عليه : « يوسف الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم » وإنما تكرر الألفاظ لشرف الآباء .

(٢) المغار : الحبل المحكم الفتل ؛ والقرن : الحبل يقرن به البعيران . ومن مغار : فى موضع حال من قرن مقدمة ، وفى قرن : فى موضع المفعول الثانى لصيرت . يمدحهم بكثرة التجارب والعلم بالدنيا ، يقول : إن آباءه قد أحاطوا علما بأحوال الدنيا ـ ماضيها وغابرها ـ حتى كأنهم وصلوا أولها بآخرها . وقال ابن جنى :هذا مثل ضربه ، يريد أنهم ضبطوا العلم وقيدوا به الأحكام والشرائع ، فيكون تقدير أول الدنيا : أول أحكام الدنيا : أى الأحكام التى تكون فى الدنيا وتجرى فيها . والمعنى أن آباءه كانوا علماء ، وقال ابن فورجه : مدحهم برواية الحديث ، يعنى أنهم ضابطون للأيام عارفون بالأخبار ؛ وما ذكرناه أولا هو الأظهر ، يدل عليه البيت التالى .

(٣) هذا تأكيد لما فى البيت السابق ؛ و« كان »هنا تامة ؛ بمعنى الحدوث والوقوع ،

اَلْخَاطِرِينَ عَلَى أَعْــدَائِهِمْ أَبَدًا ‏ ‏ مِنَ الْمَحَامِدِ فِي أَوْقَى مِنَ الْجُنَنِ (١)
لِلنَّاظِرِينَ إِلَى إِقْبَالِهِ فَرَحٌ ‏ ‏ يُزِيلُ مَا بِجِبَاهِ الْقَوْمِ مِنْ غَضَنِ (٢)
كَأَنَّ مَالَ ابْنِ عَبْدِ اللهِ مُغْتَرَفٌ ‏ ‏ مِنْ رَاحَتَيْهِ بِأَرْضِ الرُّومِ وَالْيَمَنِ (٣)
لَمْ نَفْتَقِدْ بِكَ مِنْ مُزْنٍ سِوَى لَثَقٍ ‏ ‏ وَلاَ مِنَ الْبَحْرِ غَيْرَ الرِّيحِ وَالسُّفُنِ (٤)
وَلاَ مِنَ اللَّيْثِ إِلاَّ قُبْحَ مَنْظَرِهِ ‏ ‏ وَمِنْ سِوَاهُ سِوَى مَا لَيْسَ بِالْحَسَنِ (٥)

ومن ثم تكتفى بالفاعل . يقول : إنهم — لعلمهم بأحوال الدنيا والأمور بما سلف من شؤون الأزمنة المتقدمة ، كأنهم وجدوا فى تلك الأزمنة فولدوا قبل الزمان الذى ولدوا فيه ، أو كأن فهمهم كان موجودا فى الأيام التى لم يكن موجودا فيها فاطلعوا على ما كان فى تلك الأيام .

(١) يقال خطر الرجل يخطر : إذا مشى متبخترا . والجنن : جمع جنة ، وهى كل ما استترت به من سلاح ونحوه . يقول : يمرون على أعدائهم متبخترين وعليهم من المحامد مايقى أعراضهم من الذم أكثر مما يقى السلاح . هذا : ونصب « الخاطرين » بمضمر : أى أذكر ، أو أمدح ، ونحو ذلك .

(٢) الغضن : تكسر الجلد . يقول : إنه يقبل على الزائرين إقبالا يفرحون به فيزول حزنهم وتنبسط وجوههم ، والمسرور يكون بشا طلقا ، والمحزون يكون منزوى جلدة الوجه .

(٣) يقول : إن عطاياه عمت القريب والبعيد فهى تسافر وتصل إلى من نأى عنه ، فكأنها تؤخذ من راحتيه فى أرض الروم واليمن كما تؤخذ فى داره . والحاصل : أن ماله يقرب من القاصى قربه من الدانى ؛ قال الشراح : وأما ذكره هذين الإقليمين دون غيرهما فلما بينهما من البعد ، فإقليم الروم هو القريب منه واليمن هو البعيد عنه ، ليطابق بين القرب والبعد ، وإن عطاءه يعم القريب والبعيد .

(٤) المزن : جمع مزنة ، السحابة البيضاء أو ذات الماء . واللثق : الوحل الذى يصير من أثر الماء بعد امتزاجه بالتراب . يقول : لم نفقد بوجودك من السحاب سوى الوحل الذى يكون من مائه ، ولا من البحر غير ركوب السفن والتعرض لعواصف الرياح ، يعنى أن الممدوح سحاب وبحر ، ولكن نفعه خالص لا يشوبه مايكدره ؛ قال العكبرى : وقوله : بك بمعنى « فيك » ؛ وحروف الجر يقوم بعضها مقام بعض .

(٥) يقول : ولم نفقد بوجودك من الاسد وشجاعته وإقدامه إلا قبح منظره ولا

مُنْذُ احْتَبَيْتَ بِأَنْطَاكِيَةَ اعْتَدَلَتْ ... حَتَّى كَأَنَّ ذَوِى الأَوْتَارِ فى هُدَنِ (١)
وَمُذْ مَرَرْتَ عَلَى أَطْوَادِهَا قَرِعَتْ ... مِنَ السُّجُودِ فَلاَ نَبْتٌ عَلَى القُنَنِ (٢)
أَخْلَتْ مَوَاهِبُكَ الأَسْوَاقَ مِنْ صَنَعٍ ... أَغْنَى نَدَاكَ عَنِ الأَعْمَالِ وَالمِهَنِ (٣)

من كل شيء آخر إلا كل ما كان غير حسن : يعنى أن جميع محاسن الدنيا مجتمعة فيك ، وجميع القبائح منفية عنك .

(١) الاحتباء : أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بعمامته أو بحمائل سيفه أو نحو ذلك، وقد يحتبي بيديه ، والاسم الحبوة، والحبوة ، والحبوة : الثوب الذى يحتبى به ، وجمعها حبى ـ مكسور الأول ـ وحبى ، قال ابن السكيت فى إصلاحه ويروى بيت الفرزدق :

وَمَا حُلَّ من جَهْلٍ حُبَى حُلمائِنا ... ولا قائِلُ المعروف فِينا يُعَنَّفُ

بالوجهين جميعاً ، فمن كسر كان مثل سدرة وسدر ، ومن ضم فمثل عرفة وغرف ، وتحـبى مثل احتبى ، قال ساعدة بن جؤية :

أَرْىُ الجَوَارِسِ فى ذُؤابَةِ مُشْرِفٍ ... فِيهِ النُّسُورُ كَمَا تَحَبَّى المَوْكِبُ (١)

والأوتار : جمع وتر ، وهو الثأر . والهدن : جمع هدنة ، وهى السكون بين المتحاربين . يقول : مذ جلست محتبيا للحكم بهذه البلدة استوى أمرها واستقام حتى كأن أصحاب الأحقاد قد تصالحوا وتهادنوا فزال الشر والظلم والخلاف بينهم ، وذلك بعدلك وحسن سيرتك فيهم .

(٢) الأطواد : جمع طود ، وهو الجبل ، وقرعت : من قرع الرأس ، وهو ذهاب شعره ؛ و «لا» عاملة عمل «ليس» ؛ والقنن : جمع قنة ، وهى أعلى موضع فى الجبل . يقول : لما مررت على الجبال عرفت أنك فوقها وأعلى منها وأرجح حلما ـ مع بعدها من التمييز ـ فخضعت هيبة لك ، وجعل الخضوع سجوداً لما بينهما من الملابسة ؛ وبالغ فى السجود حتى جعله يتعدى الجبين إلى الرأس ، وأنه يتوالى حتى يذهب ما عليها من النبت فصارت قرعاء .

(٣) الصنع : الصانع الحاذق . والمهن : جمع مهنة ، وهى الخدمة والتبذل فى التصرف

---

(١) الأرى : العسل، وجرست النحل الشجر للعسل: إذا أكلته،ومنه قيل للنحل : جوارس ، وفيه النسور الخ . يقول : استدارت النسور فيه كأنهم ركب محتبون وفى ذؤابة مشرف : أى فى أعلى الجبل .

ذَا جُودُ مَنْ لَيْسَ مِنْ دَهْرٍ عَلَى ثِقَةٍ ... وزُهْدُ مَنْ لَيْسَ مِنْ دُنْيَاهُ فِي وَطَنِ (١)
وَهَــذِهِ هَيْبَةٌ لَمْ يُؤْتَهَا بَشَرٌ ... وَذَا اقْتِدَارُ لِسَانٍ لَيْسَ فِي الْمُنَنِ (٢)
فَمُرْ وَأَوْمِ تُطَعْ قُدِّسْتَ مِنْ جَبَلٍ ... تَبَارَكَ اللهُ مُجْرِي الرُّوحِ فِي حَضَنِ (٣)

* * *

وقال يمدح أبا سهل سعيد بن عبد الله بن عبيد الله ابن الحسن الأنطاكى :

قَدْ عَلَّمَ الْبَيْنُ مِنَّا الْبَيْنَ أَجْفَانَا ... تَدْمَى وَأَلَّفَ فِي ذَا الْقَلْبِ أَحْزَانَا (٤)

يقول : خلت الأسواق من الصناع حتى عطلوها استغناء بعطائك عما كانوا يعملون، يعنى أن مواهبك قد فشت بين الناس وعمت حتى أصاب أهل الأسواق منها ما استغنوا به عن العمل واستغنى به الفقير عن خدمة الناس .

(١) يقول : هذا الجود الذى نشاهده منك جود من لا يأمن الدهر ويعلم أن المال للحادثات . ، فهو يجود به ليحوز به الحمد والأجر ، وزهدك هذا زهد من علم أن الدنيا دار قلعة ومحل نقلة ودار فناء فلا يشتغل بعمارتها وجمع المال لها .

(٢) هيبة : تروى : همة . والمنن : جمع منة — بضم الميم — وهى القوة . يقول: لك هيبة وعظمة فى قلوب الناس لم يؤتها أحد ، ولك قوة منطق ليس هناك مثلها .

(٣) أوم : أصلها أومىء ؛ حذفت الهمزة ، وتروى: وأومىء ، ويصح بها الوزن ؛ و « قدست » دعاء ؛ وجبل : تمييز ، و « من » زائدة ؛ وحضن : جبل بنجد ؛ ومنه المثل : أنجد من رأى حضنا — يقال للذى يبلغ حاجته وإن كان فى غير بلاد نجد ولا قريبا منها — يقول : مر من شئت وأومىء — أشر — فإنك مطاع كجبل ذى روح فى ثباته ووقاره ورزانته .

(٤) البين ، البعد والفراق ، ومنا : حال من « الأجفان » مقدمة عليها ؛ والبين: مفعول ثان « لعلم » مقدم ؛ وأجفانا : مفعول أول، وتدمى: صفة ؛ لـ« أجفانا » كأنه قال : أجفانا دامية ، وقال التبريزى : أراد أن تدمى ، « فحذف » أن يقول : إن فراق الاحبة علم أجفاننا الدامية — من طول البكاء — أن يبتعد بعضها عن بعض — كنى به عن ادامة السهر — كما قال .

* وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ *

وجعل الفراق يؤلف الحزن إغرابا فى الصنعة ، مثله :

أَمِلْتُ سَاعَةَ سَارُوا كَشْفَ مِعْصَمِهَا   لِيَلْبَثَ الْحَيُّ دُونَ السَّيْرِ حَيْرَانَا(١)

وَلَوْ بَدَتْ لَأَتَاهَتْهُمْ فَحَجَّبَهَا   صَوْنٌ عُقُولَهُمُ مِنْ لَحْظِهَا صَانَا(٢)

بِالْوَاخِدَاتِ وَحَادِيهَا وَبِي قَمَرٌ   يَظَلُّ مِنْ وَخْدِهَا فِي الْخِدْرِ حَشْيَانَا(٣)

تَصَارَمَتِ الأَجْفَانُ لَمَّا صَرَمْتِنِي   فَمَا تَلْتَقِي إِلاَّ عَلَى عَبْرَةٍ تَجْرِى

(١) ضمير « ساروا » للأحبة ، وإن لم يتقدم لهم ذكر ، لدلالة المقام ؛ والمعصم : موضع السوار ؛ ويلبث : يقيم ؛ والحى : القوم النازلون والظاعنون . يقول : رجوت وتمنيت عند رحيل الأحبة أن تكشف معصمها – أى تظهره – عند ركوب الهودج ليراه القوم فيقفوا متحيرين عن المسير فأزود من إقامتها .

(٢) تاه يتيه ويتوه : ضل وتحيره ، وأتاهه غيره : أضله وحيره . والصون : الحفظ وعقولهم : مفعول « صان » . يقول : لو ظهرت هذه المحبوبة لهم لحيرتهم بجمال طلعتها ولكن حجبها عنهم صون صان عقولهم عن لحظها ، يعنى أنها صانت نفسها عن البروز والظهور وذلك الصون صان عقولهم عن لحظها ولحظ : مصدر يجوز أن يكون مضافا إلى الفاعل ، ويجوز أن يكون مضافا إلى المفعول : أى لو لحظوها لطارت عقولهم ، أو لحظتهم لأخذت عقولهم .

(٣) الباء : للتعدية ، والواخدات : المسرعات . يريد : الإبل . وأصل الوخد : للنعام واستعمل فى سير الإبل . وخد البعير يخدو وخدا ووخدانا : وهو أن يرمى بقوائمه مثل مشى النعام . والحادى : الذى يسوق الإبل بالغناء . والخدر . خدر المرأة ، ما يكنها ويسترها . وخشيانا : خائفا . يقول : يفدى بالإبل الواخدة – المسرعة – فى السفر وبحاديها وبنفسى قمر يظل فى خدره خائفا مذعوراً من سرعة سير الإبل وهزها له وهو لم يتعود السفر ، وخشيانا : يروى « حشيانا » – من الحشى ، وهو تواتر النفس من تعب ونحوه قال الشماخ :

تُلاَعِبُنِي إِذَا ما شِئْتُ خَوْدٌ(١)   عَلَى الأَنماطِ ذَاتُ حَشًى قَطِيعِ

(أى ذات نفس متقطع من سمنها ؛ وقطيع : نعت لحشى . والأنماط : جمع نمط ،

---

(١) خود : نعت لبهكنة فى قوله .

ولوْ أنى أشاءُ كننتُ نفسى   إلىَ بيضاء بهكنة شموعِ

والبهكنة : التارة الغضة ، والشموع : اللعوب الضحكوك .

أَمَّا الثِّيَابُ فَتَعْرَى مِن مَحَاسِنِهِ ... إِذَا نَضَاهَا وَيَكْسَى الحُسْنَ عُرْيَانَا(١)
يَضُمُّهُ المِسْكُ ضَمَّ المُسْتَهَامِ بِهِ ... حَتَّى يَصِيرَ عَلَى الأَعْكَانِ أَعْكَانَا(٢)
قَدْ كُنتُ أُشْفِقُ مِن دَمْعِي عَلَى بَصَرِي ... فَالْيَوْمَ كُلُّ عَزِيزٍ بَعْدَكُمْ هَانَا(٣)

ضرب من البسط له خمل رقيق) : وفى حديث عائشة رضى الله عنها «أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من بيتها ومضى إلى البقيع ، فتبعته ـ تظن أنه دخل بعض حجر نسائه فلما أحس سوادها قصدقصدها ،فعدت ؛ فعدا على أثرها ، فلم يدركها إلا وهى فى جوف حجرتها ، فدنا منها ـ وقد وقع عليها البهر والربو ـ فقال لها : مالى أراك حشيا رابية ؟» أى مالك قد وقع عليك الحشى ؟ وهو الربو والبهر والنهيج الذى يعرض للمسرع فى مشيته والمحتد فى كلامه من ارتفاع النفس وتواتره . يقول المتنبي : إن وخدها يزعجه لشدة ترفه فيتتابع نفسه . قال العكبرى : وأنكر بعض من لا يعرف اللغة على أبى الطيب لفظة « حشيان » ، وقال لم أسمعها ، وكأنه لم يسمع قول الآخر ـ هو أبو جندب الهذلى ـ :

فَنَهْنَهْتُ أُولَى القَوْمِ عَنْهُم بِضَرْبَةٍ ... تَنَفَّسَ مِنْهَا كُلُّ حَشْيَانَ مُحْجَرِ

(١) نضا عنه الثوب : خلعه وألقاه ؛ ويكسى : بمعنى يكتسى ، يقال كسوته ثوبا أكسوه وكسى يكسى فهو كاس : إذا اكتسى . يقول : إذا خلع الثياب عريت من محاسنه لأنه يزين الثياب بحسنه ، وإذا عرى عن الثوب كان مكسوا بالحسن .

(٢) الأعكان : الأطواء فى بطن الجارية ، من السمن ، وهى جمع عكن ، جمع عكنة ، وتمكن بطن الجارية . يقول: إن المسك يحبه كالمستهام به ويلتف عليه حتى يصير المسك أعكانا على أعكان بطنه .

(٣) يقول . كنت أشفق ـ أخاف ـ على عينى من البكاء ، أما وقد افترقنا فقدهان على كل عزيز لبعدكم ، يعنى أن يهون عليه فقد البصر فى البكاء على فراقهم ،وهذا منقول من قول أبى نواس فى الأمين :

وَكُنتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ المَوْتَ وَحْدَهُ ... فَلَمْ يَبْقَ لى شَىْءٌ عَلَيْهِ أُحَاذِرُ

وأخذه أبو نواس من قول امرأة من العرب :

كُنْتَ السَّوَادَ لِنَاظِرِى ... فَعَلَيْكَ يَبْكِى النَّاظِرُ
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ ... فَعَلَيْكَ كُنْتُ أُحَاذِرُ

تُهْدِى الْبَوَارِقُ أَخْلاَفَ الْمِيَاهِ لَكُمْ ... وَلِلْمُحِبِّ مِنَ التَّذْكَارِ نِيرَانَا(١)
إِذَا قَدِمْتُ عَلَى الأَهْوَالِ شَيَّعَنِى ... قَلْبٌ إِذَا شِئْتُ أَنْ يَسْلاَكُمُ خَانَا(٢)
أَبْدُو فَيَسْجُدُ مَنْ بِالسُّوءِ يَذْكُرُنِى ... وَلاَ أُعَاتِبُهُ صَفْحاً وَإِهْوَانَا(٣)
وَهَكَذَا كُنْتُ فِى أَهْلِى وَفِى وَطَنِى ... إِنَّ النَّفِيسَ غَرِيبٌ حَيْثُمَا كَانَا(٤)
مُحَسَّدُ الْفَضْلِ مَكْذُوبٌ عَلَى أَثَرِى ... أَلْقَى الْكَمِىَّ وَيَلْقَانِى إِذَا حَانَا(٥)

---

(١) البوارق : السحائب ذوات البرق . والأخلاف : الضروع ، واستعار للمياه أخلافا لأنها تغذو النبات كما تغذو الأم بالإرضاع ولدها . يقول : إذا برقت السحائب بشرتكم بالقطر — المطر — فهى تهدى إليكم الماء وتنبت لكم الكلأ وتهدى للمحب نيرانا أى تذكى نيران شوق — لأنها تلمع من جانبكم الذى ارتحلتم إليه فيتجدد بها شوق ،

(٢) قدمت — بفتح الدال — تقدمت ، وبكسرها : وردت . وشيعنى : تبعنى؛ وأسلاكم مثل أسلو كم : يقول : قلبى يتبعنى ويطيعنى فى كل هول إلا على السلو ، فإنه لا يطيعنى وإنما يخوننى ؛ وفيه نظر إلى قول البحترى :

أَحْنُو عَلَيْكِ وَفِى فُؤَادِى لَوْعَةٌ ... وَأَصُدُّ عَنْكِ وَوَجْهُ وُدِّى مُقْبِلُ
وَإِذَا طَلَبْتُ وِصَالَ غَيْرِكِ رَدَّنِى ... وَلَهٌ عَلَيْكِ وَشَافِعٌ لَكِ أَوَّلُ

(٣) الصفح : الإعراض . والإهوان : الإهانة — أخرجه على الأصل للضرورة ، كما قال الآخر :

صَدَدْتَ فَأَطْوَلْتَ الصُّدُودَ وَقَلَّمَا ... وِصَالٌ عَلَى طُولِ الصدود يدُوم

(يريد : فأطلت فجاء به على الأصل) . يقول : إذا ظهرت لمن يذكرنى بالسوء فى غيبتى عظمنى وخضع لى ، وأنا أعرض عن عتابه إعراضا عنه واحتقارا له ، لأنه لا يقدر أن ينظر إلى فى حضرتى .

(٤) يقول : وكنت وأنا فى وطنى وبين أهلى غريبا قليل المرافق والمساعد ، ثم قال وكذلك النفيس العزيز : غريب حيث كان ، ولو فى وطنه وبين أهله لأن هذه الغربة إنما هى لفقد النظير ، لا لفقد النسيب ؛ قال أبو تمام :

غَرَّبَتْهُ الْعُلَى عَلَى كَثْرَةِ الأَهْ ... لِ فَأَضْحَى فِى الأَقْرَبِينَ جَنِيبَا
فَلْيَطُلْ عُمْرُهُ فَلَوْ مَاتَ فِى مَرْ ... وَمُقِيماً بِهَا لَمَاتَ غَرِيبَا

(٥) محسد : خبر مبتدأ محذوف : أى أنا محسد الفضل؛ والمحسد : من يحسد كثيراً

لاَ أَشْرَئِبُّ إِلَى مَالَمْ يَفُتْ طَمَعاً ‏ وَلاَ أَبِيتُ عَلَى مَافَاتَ حَسْرَانَا(١)
وَلاَ أُسَرُّ بِمَا غَيْرِى الْحَمِيدُ بِهِ ‏ وَلَوْ حَمَلْتَ إِلَىَّ الدَّهْرَ مَلآنَا(٢)
لاَ يَجْذِبَنَّ رِكَابِى نَحْوَهُ أَحَدٌ ‏ مَادُمْتُ حَيًّا وَمَا قَلْقَلْنَ كِيرَانَا(٣)
لَوِ اسْتَطَعْتُ رَكِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُمُ ‏ إِلَى سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بُعْرَانَا(٤)

والكمى : البطل المستتر بسلاحه . وحان حينه : قرب أجله . يقول أنا محسود الفضل فى كل مكان ويكذب على إذا قمت وخرجت من مشهد ومجمع والشجاع إذا حان حينه لقينى فى المعركة ؛ فقوله مكذوب على أثرى : أى يكذب على أعدائى على أثرى وخلفى ووقت خروجى من محفل ، وهو من قول البرج التغلبى :

يَغْتَابُ عِرْضِى خَالِياً ‏ وَإِذَا تَلاَقَيْنَا اقْشَعَرْ

وقال سويد بن أبى كاهل :

وَيُحَيِّينِى إِذَا لاَقَيْتُهُ ‏ وَإِذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِى رَتَعْ

(١) أشرأب إلى الشىء : تطلع نحوه ؛ ومن كلمة لعائشة رضى الله عنها : «اشرأب النفاق وارتدت العرب» ، قال أبول عبيد : اشرأب ارتفع وعلا وكل رافع رأسه مشرئب وأنشد لذى الرمة يصف الظبية ورفعها رأسها :

ذَكَرْتُكِ إِذْ مَرَّتْ بِنَا أُمُّ شَادِنٍ ‏ أَمَامَ الْمَطَايَا تَشْرَئِبُّ وَتَسْنَحُ

وحسران : فعلان من الحسرة : يقول : لا أتطلع إلى مالم يفت من الدنيا، ولا أتحسر على مافات : أى لا أبالى بالدنيا ، فلا أتطلع إلى شىء ، ولا أتحسر على شىء ، وفيه نظر إلى قول الآخر :

إِنَّ الْغَنِىَّ الَّذِى يَرْضَى بِعِيشَتِهِ ‏ لاَ مَنْ يَظَلُّ عَلَى مَافَاتَ مُكْتَئِبَا

(٢) الحميد : المحمود . يقول : لا أسر بالشىء الذى آخذه من غيرى، لأنه هو المحمود على إعطائه ، ونفسى تأبى ذلك ، ولو ملأت الدهر لى عطايا :

(٣) الركاب : الإبل . وقلقلن : حركن . والكيران : جمع كور ، وهو رحل الجمل يقول : لا أقصد أحداً ما حييت وما حركت ركابى أكوارها ، يعنى ليس هناك من يستحق أن أقصده وأنتجع إليه . قال العكبرى : هذا قوله وقد قصد بعد هذا جماعة ، بل يشهد له آخر الشعر ...

(٤) بعرانا : جمع بعير ، وهو حال من «الناس» . يريد بالناس : جماعة بأعيانهم

فَالْعِيسُ أَعْقَلُ مِنْ قَوْمٍ رَأَيْتُهُمُ   عَمَّا يَرَاهُ مِنَ الْإِحْسَانِ عُمْيَانَا(١)
ذَاكَ الْجَوَادُ وَإِنْ قَلَّ الْجَوَادُ لَهُ   ذَاكَ الشُّجَاعُ وَإِنْ لَمْ يَرْضَ أَقْرَانَا(٢)
ذَاكَ الْمُعِدُّ الَّذِى تَقْنُو يَدَاهُ لَنَا   فَلَوْ أُصِيبَ بِشَىْءٍ مِنْهُ عَزَّانَا(٣)

كما يدل على ذلك البيت التالى . قال الواحدى : يقول : لو قدرت لأظهرت ماوراء ظواهرهم من المعانى البهيمية وإظهار ذلك بإجرائهم مجرى سائر الحيوان بالركوب ، وإنما كنت أفعل ذلك لأنه لا عقل لهم ، قال الصاحب ابن عباد ينقد المتنبى : أراد أن يزيد على الشعراء فى ذكر المطايا ، فأتى بأخزى الخزايا ، قال : ومن الناس أمه ، فهل ينشط لركوبها ؟ وللممدوح أيضا عصبة لا يحب أن يركبوا إليه . قال الواحدى : وليس الأمر على ما قال . لأن الشاعر إذا ذكر الناس فإنه يخرج من جملتهم كثيراً من الناس كما قال السرى الرفاء :

أَلاَ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَمَيِّتاً
أَسِيرُ ثَقِيفٍ عِنْدَهُمْ فى السَّلاَسِلِ

لم يفضل السرى أحداً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بهذا البيت — وإن كان قد أكد بقوله حياً وميتاً — على أن المتنبى خصص فى البيت التالى .

(١) العيس : الإبل البيض . وعما : متعلق بعميانا ؛ و « عميانا » مفعول ثان لرأيت وفاعل يراه : ضمير الممدوح . يقول : الإبل أعقل من قوم وجدتهم قد عموا عما رآه هذا الممدوح من الإحسان فلم يهتدوا لفعله ، وقد ظهر بهذا البيت أنه إنما يمتطى من الناس اللئام الذين عموا عن طريق الإحسان ، فلم يروا منه مارآه الممدوح .

(٢) الجواد : السخى الذى يجود بماله ، والأقران : جمع قرن — بكسر القاف — وهو الكفء فى الحرب . يقول : لا يمكننا أن نصفه فى جوده بصفة فوق الجواد وإن كان لفظ الجواد قليلا عليه ، وهو الشجاع وإن كان لا يرضى له قرينا ممن يقال لهم شجعان يعنى أنه فوق كل جواد وفوق كل شجاع ، وإن قل أن يقال له أنت الجواد وأنت الشجاع إذ لا يكفى أن يوصف بما يوصف به غيره .

(٣) المعد : المهيء الشىء لوقت الحاجة . وتقنو : أى تقتنى — يقال قنوت الشىء أقنوه قنوا — وعزيت الرجل : سليته عن حزنه . يقول : إن مايجمعه من المال ويقتنيه إنما يقتنيه للشعراء والوافدين ، فلو أصيب بشىء من ذلك المال عزانا ، لأن ذلك المال لنا وإن كان فى يده .

خَفَّ الزَّمَانُ عَلَى أَطْرَافِ أَنْمُلِهِ حَتَّى تُوُهِّمْنَ لِلأَزْمَانِ أَزْمَانَا(١)
يَلْقَى الْوَغَى وَالْقَنَا وَالنَّازِلَاتِ بِهِ
وَالسَّيْفَ وَالضَّيْفَ رَحْبَ الْبَاعِ جَذْلَانَا(٢)
تَخَالُهُ مِنْ ذَكَاءِ الْقَلْبِ مُحْتَمِيًا وَمِنْ تَكَرُّمِهِ وَالْبِشْرِ نَشْوَانَا(٣)
وَتَسْحَبُ الْحِبَرَ الْقَيْنَاتُ رَافِلَةً فِي جُودِهِ وَتَجُرُّ الْخَيْلُ أَرْسَانَا(٤)
يُعْطِي الْمُبَشِّرَ بِالْقُصَّادِ قَبْلَهُمُ كَمَنْ يُبَشِّرُهُ بِالْمَاءِ عَطْشَانَا(٥)
جَزَتْ بَنِي الْحَسَنِ الْحُسْنَى فَإِنَّهُمُ فِي قَوْمِهِمْ مِثْلُهُمْ فِي الْغُرِّ عَدْنَانَا(٦)

---

(١) الأنمل : أطراف الأصابع . يقول : إن الزمان فى يده وتحت تصرفه فهو يصرفه على إرادته ، فكأن أنامله أزمان للأزمان لتقليبها إياها ، والزمان يقلب الأحوال وأنامله تقلب الزمان ، فكأنها زمان للزمان .

(٢) الوغى : الحرب ؛ والقنا : الرماح : والنازلات : حوادث الدهر تنزل بالإنسان ورحب الباع : واسع الصدر ، وجذلانا : فرحا مستبشرا . يقول : هو شجاع جلد يلقى الأمور الصعاب فرحاً مسروراً .

(٣) محتميا : متوقدا شديد الحرارة ، والبشر : طلاقة الوجه وتهلله والنشوان : السكران . يقول : لحدة قلبه وذكائه كأنه متوقد ، ومن كرمه وتهلل وجهه كأنه سكران.

(٤) الحبر : جمع حبرة — بكسر ففتح — وهى ثياب تعمل فى اليمن ، والقينات : جمع قينة وهى الجارية المغنية ، ورفل فى ثيابه يرفل . إذا أطالها وجرها متبخترا . والأرسان . جمع رسن ، وهو الحبل . يقول : إن جميع ماتنفقه هو من ماله ، فما تلبسه الجوارى وترفل فيه من ثياب الحسن فهو من جوده ، وكذلك ماتجر خيلنا من الأرسان

(٥) عطشانا : حال من « الهاء » فى يبشره . يقول : من يبشره بالزوار والعفاة قبل إتيانهم يعطيه لبشارته كما يعطى من يبشره بالماء وهو عطشان ، يعنى : أنه يعطى القصاد ويعطى الذى بشرهم من قبلهم أيضا لشدة كرمه وارتياحه للبذل ؛ ولعله ينظر إلى قول أبى تمام :

يُبَشِّرُهُ خُدَّامُهُ بِعُفَاتِهِ كَمَا بَشَّرَ الظَّمْآنَ بِالْمَاءِ وَاشِلُهْ

« وشل الماء وشلا فهو واشل : سال أو قطر ؛ وجبل واشل : يقطر منه الماء ؛ والوشل : الماء القليل والماء الكثير ، فهو من الأضداد » :

(٦) الضمير فى « مثلهم » عائد على القوم . والغر : جمع الأغر ، وهو السيد الشريف.

مَاشَيَّدَ اللهُ مِنْ مَجْـــدٍ لِسَالِفِهِمْ   إِلاَّ وَنَحْنُ نَرَاهُ فِيهِمِ الآنَا(١)
إِنْ كُوتِبُوا أَوْ لُقُوا أَوْ حُورِبُوا وُجِدُوا   فِى الخَطِّ وَاللَّفْظِ وَالْهَيْجاءِ فُرْسَانَا(٢)
كَأَنَّ أَلْسُنَهُمْ فِى النُّطْقِ قَدْ جُعِلَتْ   عَلَى رِمَاحِهِمِ فِى الطَّعْنِ خِرْصَانَا(٣)
كَأَنَّهُمْ يَرِدُونَ الْمَوْتَ مِنْ ظَمَإٍ   أَوْ يَنْشَقُونَ مِنَ الْخَطِّىِّ رَيْحَانَا(٤)

وعدنانا : بدل من الغر . قال ابن جنى : كان للمدوح من ولد الحسن بن على عليهما السلام . والحسنى : ضد السوأى . وقالوا : المراد بها الجنة يقول : كانت الحسنى جزاء لهم ، فإنهم فى قومهم مثل قومهم فى عدنان الغر ؛ يعنى أنهم خير قومهم ، وقومهم خير عدنان ، وهذا من قوله تعالى « فله جزاء الحسنى ».

(١) يقول إنهم حماة المجد حافظوا على شرف آبائهم وأحسابهم فلم يهدموه ولم يضيعوا شيئا منه فهو فيهم الآن كما كان قديمـا . وأصل التشييد والإشادة إحكام البناء ورفعه ، فاستعير لرفع الصوت ؛ يقال أشاد بذكره : أى رفع من قدره وأشاعه ، أفرد به الجوهرى الخير ، وذهب غيره من أهل اللغة إلى أنه يقال أشاد فلان بذكر فلان فى الخير والشر والمدح والذم إذا شهره ورفعه والسالف : واحد السالف ، وهم الذين مضوا .

(٢) قال الواحدى : هذا تفصيل ما أجمله فى البيت الذى قبله : يعنى أنهم كتاب فضلاء شجعان كآبائهم فهم فرسان الكتابة والبلاغة والحرب ، وليس يريد بقوله لقوا ملاقاة الأقران فى القتال ، لأنه ذكر الحرب بعده ، إنمـا يريد ملاقاة الأقران فى الخطابة والمكالمة .

(٣) الخرصان : جمع خرص ، وهو حلقة السنان ، والمراد بها هنا : الأسنة نفسها . يقول : إن أسنتهم ماضية نافذة مضاء ألسنتهم فى النطق . فكأن ألسنتهم قد جعلت خرصانا على رماحهم . فهو كما ترى أراد تشبيه الألسنة ، فعكس التشبيه وحول وجه الكلام مبالغة فى مضاء الألسنة وذلاقتها حتى صارت الأسنة تشبه بها هذا منقول من قول البحترى :

وَإِذَا تَأَلَّقَ فِى النَّدِىِّ كَلاَمُهُ الْ   مَصْقُولُ خِلْتَ لِسَانَهُ مِنْ عَضْبِهِ

(٤) الظمأ : العطش ؛ وينشقون : يشمون ؛ والخطى : الرمح ، نسبة إلى الخط ، موضع باليمامة . يقول : لسهولة الحرب عليهم واسترواحهم إليها صار الموت عندهم لذيذاً كالماء للظمآن ؛ وصارت الرماح شهية كالريحان الذى يشم وهذا بسبيل من قول البحترى :

أَلْكَائِنِينَ لِمَنْ أَبْغِي عَدَاوَتَهُ أَعْدَى الْعِدَا وَلِمَنْ آخَيْتُ إِخْوَانَا(١)
خَلَائِقُ لَوْ حَوَاهَا الزِّنْجُ لَانْقَلَبُوا ظُمْيَ الشِّفَاهِ جِعَادَ الشَّعْرِ غُرَّانَا(٢)
وَأَنْفُسٌ يَلْمَعِيَّاتٌ تُحِبُّهُمُ لَهَا اضْطِرَاراً وَلَوْ أَقْصَوْكَ شَنْآنَا(٣)

يَتَزَاحَمُونَ عَلَى الْقِتَالِ لَدَى الْوَغَى كَتَزَاحُمِ الْإِبِلِ الْعِطَاشِ بِمَوْرِدِ

(١) نصب « الكائنين » على « المدح » كأنه قال: أمدح ، أو أعنى . وأعدى العدى خبر الكائنين . وهذا مثل قول البحترى :

أَخٌ لِيَ لَا يُدْنِي الَّذِي أَنَا مُبْعِدٌ لِشَيْءٍ وَلَا يَرْضَى الذي أَنَا سَاخِطُهْ

(١) خلائق : خبر مبتدأ محذوف : أى هذه خلائق ؛ والخلائق : جمع خليقة ، وهى السجية ؛ والزنج : جيل من السودان وظمى الشفاه : دقاق الشفاه مع سمرة كأنها لم ترتو فتغلظ ؛ والزنجى يوصف بغلظ الشفاه حتى شبهوها بمسافر الإبل ، قال الفرزدق :

فَلَوْ كُنْتَ ضَبِّيًّا عَرَفْتَ قَرَابَتِي وَلَكِنَّ زَنْجِيًّا عَظِيمَ الْمَشَافِرِ(١)

وغران : جمع أغر . وهو الأبيض المشرق ؛ والجعد من الشعر : خلاف المسترسل . يقول : إنهم قوم لهم محامد وخصال جميلة لوحواها الزنج على قبح صورهم لغطت هذا القبح وصاروا عند الناس كمن خلقتهم خلقة حسنة ، وصاروا مع سوادهم كأنهم بيض ، ومع غلظ مشافرهم كأنهم ظمى الشفاه . وعبارة بعض الشراح : هذه الخلائق الشريفة لا تعرف إلا فى كرام الناس وساداتهم فلو حواها الزنج على مايعرفون به من الخسة والهمجية لصيرتهم كراما بيض الجلود حسان الصور ، قال ابن القطاع : قد أخذ عليه فى هذا البيت قوله « جعاد الشعر » إذكأنه قال : لانقلبوا من الجعودة إلى الجعودة ، لأن شعور الزنج جعاد ، قال : والمعنى أنهم انقلبوا إلى حد الاعتدال لأن شعور الزنج زائدة الجعودة .

(٣) أنفس : معطوف على « خلائق ؛ واليلمعى : الألمعى الحاد الفطنة . وقوله لها : أى لأجلها ؛ وأقصوك : أبعدوك ؛ والشنآن : البغض ، يحرك ويسكن . يقول : ولهم

---

(١) هجا الفرزدق رجلا من ضبة فنفاه عنها ونسبه إلى الزنج ، وأصل المشفر للبعير . واستعاره للانسان لما قصد من تشنيع الخلق ، والقرابة التى بين ضبة وبينه أنه من تميم بن مر بن أد بن طابخة ، وضبة هو أبو أد بن طابخة .

الوَاضِحِــــينَ أُبُوَّاتٍ وَأَجْبِنَةً ... وَوَالِدَاتٍ وَأَلْبَــــابًا وَأَذْهَانَا(١)

يَاصَائِدَ الْجَحْفَلِ المَرْهُوبِ جَانِبُهُ ... إِنَّ اللَّيُوثَ تَصِيدُ النَّاسَ أُحْدَانَا(٢)

وَوَاهِبــــاً كُلُّ وَقْتٍ وَقْتُ نَائِلِهِ ... وَإِنَّمَا يَهَبُ الْوُهَّابُ أَحْيَانَا(٣)

أَنْتَ الَّذِي سَبَكَ الأَمْوَالَ مَكْرُمَةً ... ثُمَّ اتَّخَذْتَ لَهَا السُّؤَّالَ خُزَّانَا(٤)

عَلَيْكَ مِنْكَ إِذَا أُخْلِيتَ مُرْتَقِبٌ ... لَمْ تَأْتِ فِى السِّرِّ مَالَمْ تَأْتِ إِعْلَانَا(٥)

أنفس ذكية فطنة تحبهم ـ أيها المخاطب ـ لأجلها ضرورة ، ولو أبعدوك بغضالك ؛ يعنى أن من عادوه يحبهم ، لما فيهم من الفطانة ، فحبهم ضرورة .

(١) الواضحين : نصب على المدح : أى أذكر ، أو أعنى ، ونحوهما . والأبوة : مصدر الأب ، يريد الآباء ؛ والأجبنة : جمع جبين ؛ والألباب : جمع لب ، العقل ، يقول : هم معروفو الآباء ، وأنسابهم طاهرة ، ووجوههم حسنة جميلة ـ أو متهللة ـ كرما ، مشرقو العقول والأذهان . يقال فلان واضح الجبين : إذا كان حسن المنظر بهيا ، كما قال ابن غنمة :

* كأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلُ *

(٢) الجحفل : الجيش العظيم . وأحدانا : جمع واحد ، وأصله وحدان . يقول : أنت تصيد الجيش كله والليث يصيد الناس واحداً واحدا ، فأنت أشد بطشاً من الليث .

(٣) كل وقت : مبتدأ خبره وقت نائله والجملة صفة لواهباً ؛ والنائل : العطاء . الوهاب : جمع واهب ، وقد روى بفتح الواو ، صيغة مبالغة . يقول : إن الأجواد يجودون الحين بعد الحين ، وأنت جواد تجود كل الأوقات .

(٤) السبك : الإذابة والإفراغ ؛ ومكرمة : مفعول ثان لسبك ـ على تضمينه معنى حول ـ والمكرمة فعل الكرم : يقول : إنه سبك أمواله وأحالها مكارم ثم جعلها فى أيدى العفاة فكأنه اتخذهم خزانا لأمواله . وعبارة الواحدى : سبك الأموال ـ أى جمعها وصفاها واستخلصها ـ ثم اتخذ السؤال خزانا مكرمة ، أى سلمها إليهم كما يسلم المال إلى الخازن ، وهذا من قول البحترى :

جُمَلٌ مِنْ لُهًى يُشَكِّكْنَ فِى القَوْ ... مِ أَهُمْ مُجْتَدُوهُ أَمْ خُزَّانُهْ(١)

(٥) أخليت : يروى بالبناء للمجهول — أى وجدت خاليا — ويروى بفتح الهمزة :

---

(١) اللها : جمع لهوة ، العطية ، وقيل أفضل العطايا وأجزلها .

لَا أَسْتَزِيدُكَ فِيمَا فِيكَ مِنْ كَرَمٍ ... أَنَا الَّذِي نَامَ إِنْ نَبَّهْتُ يَقْظَانَا(١)

فَإِنَّ مِثْلَكَ بَاهَيْتُ الْكِرَامَ بِهِ ... وَرَدَّ سُخْطاً عَلَى الأَيَّامِ رِضْوَانَا(٢)

وَأَنْتَ أَبْعَدُهُمْ ذِكْرًا وَأَكْبَرُهُمْ ... قَدْرًا وَأَرْفَعُهُمْ فِي الْمَجْدِ بُنْيَانَا

قَدْ شَرَّفَ اللهُ أَرْضًا أَنْتَ سَاكِنُهَا ... وَشَرَّفَ النَّاسَ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانَا(٣)

أى صادفت مكانا خاليا ، كما يقال أكذبته : أى صادفته كذابا ، وأجبنته : صادفته جبانا والمرتقب : الرقيب . يقول : لست تفعل فى الخلا مالا تفعله فى الملا ، وفى السر مالا تفعله فى العلن ؛ فلك من نفسك رقيب عليك ؛ وهذا ينظر إلى قول عبد الله بن الدمينة :

وَإِنِّى لَأَسْتَحْيِيكَ حَتَّى كَأَنَّمَا ... عَلَىَّ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مِنْكَ رَقِيبُ

(١) يقول : لقد بلغت الغاية فى الكرم . فلو أنى استزدتك كرما كنت جاهلا محلك من الكرم . وكنت كمن نبه يقظان واليقظان لاينبه ، كذلك أنت لاتستزاد كرما ، قال العكبرى : إنما قال نام ولم يقل نمت ، لأنه لما كان فى الضمير ذم لم يرده إلى نفسه ، وهذا من أدق ما فى شعره وأدله على حكمه واستيلائه على قصب السبق فى شعره ، ولو تأملت شعره لوجدت فيه كثيرا من هذا ، وإذا كان فى الضمير مدح أعاده إلى نفسه ، ألا ترى إلى قوله :

* وَإِنِّى لَمِنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نُفُوسَنَا *

فأعاد الضمير إليه ولم يقل « نفوسهم » ؛ وهذا من البلاغة والحذق .

(٢) باهيت : فاخرت ؛ والسخط : ضد الرضى . ورضوانا مصدر ، يقال بكسر الراء وضمها . يقول : مثلك من أفاخر الكرام به لأنهم يقصرون عن مدى مكارمه ، ومثلك يرد الساخط على الأيام راضيا ، بإحسانك وإنعامك .

(٣) قال ابن جنى : لايعجبنى قوله سواك لأنه لايليق بشرف ألفاظه ولو قال أنشاك أو نحوه لكان أليق . قال العروضى : سبحان الله : أتليق هذه اللفظة بشرف القرآن ولا تليق بلفظ المتنبى ؟ قال الله تعالى : « الذى خلق فسوى » وقال « بشرا سويا » وقال « فسواك فعدلك » وقال « ثم سواك رجلا » . قال ابن فورجه : قرأت على أبى العلاء المعرى ومنزلته فى الشعر ما قد علمه من كان ذا أدب فقلت له يوما فى كلمة : ما ضرأبا الطيب لو قال مكان هذه الكلمة كلمة أخرى أوردتها فأبان لى عوار الكلمة التى ظننتها ثم قال لى : لاتظنن أنك تقدر على إبدال كلمة واحدة من شعره بما هو خير منها ، فجرب إن كنت مرتابا ، وها أنا أجرب ذلك منذ هذا العهد ، فلم أعثر بكلمة لو أبدلتها بأخرى كان أليق بمكانها ؛ وليجرب من لم يصدق يجد الأمر على ما أقول :

وقال فى مجلس أبى محمد بن طغج وقد أقبل الليل وهما فى بستان :

زَالَ النَّهَارُ وَنُورُ مِنْـــكَ يُوهِمُنَا ۞ أَنْ لَمْ يَزُلْ وَلِجُنْحِ اللَّيْلِ إِجْنَانُ (١)

فَإِنْ يَكُنْ طَلَبُ الْبُسْتَانِ يُمْسِكُنَا ۞ فَرُحْ فَكُلُّ مَكَانٍ مِنْكَ بُسْتَانُ (٢)

***

وقال فى بطيخة من الند فى غشاء من الخيزران عليها قلادة لؤلؤ وعلى رأسها عنبر قد أدير حولها كانت فى يد أبى العشائر (*) :

مَا أَنَا وَالْخَمْـــرُ وَبِطِّيخَـــةٌ ۞ سَوْدَاءُ فِي قِشْرٍ مِنَ الْخَيْزُرَانْ (٣)

---

(١) جنح الليل — بضم الجيم وكسرها — طائفة منه ؛ وجنوح الليل : إقباله وجنه الليل وأجنه : ستره . يقول : إذا أبصرنا نور وجهك ظننا أن النهار باق لم يزل، مع أن الليل قد أظلم .

(٢) يقول : إن كنا إنما نبقى فى هذا البستان رغبة فى البستان فسر منه ، فكل مكان كنت فيه فهو بستان بك .

(*) قد تقدمت قطع أخرى فى هذه البطيخة .

(٣) من رفع « الخمر » عطفه على « أنا » ومن نصب : جعل الواو بمعنى « مع » وإعراب بطيخة : إعراب الخمر ، وأنشدوا :

يَا زِبْرِقَانُ أَخَا بَنِي خَلَفٍ ۞ مَا أَنْتَ وَيْبَ أَبِيكَ وَالْفَخْرُ (١)

وقال الهذلى :

فَمَا أَنَا وَالسَّـــيْرَ فِي مَتْلَفٍ ۞ يُبَرِّحُ بِالذَّكَرِ الضَّابِطِ (٢)

---

(١) للمخبل السعدى ، وبعده :

هَلْ أَنْتَ إِلاَّ فِى بَنِي خَلَفٍ ۞ كَالإِسْكَتَيْنِ عَلاَهُمَا الْبُظْرُ

ومعنى ويب أبيك : التصغير له والتحقير ، وبنو خلف : رهط الزبرقان بن بدر . يقـول : من ساد مثل قومك فلا فخر له فى سيادتهم ، وشبههم إذا اجتمعوا حوله بالبظر بين الإسكتين والإسكتان ـ بكسر الهمزة ـ جانبا الفرج ، والشاهد رفع الفخر .

(٢) المتلف : المفازة ، والتبريح : المشقة ، وأراد بالذكر جملا . لأن الذكر أقوى من الناقة ، والضابط القوى . يقول : مالى أتجشم المشاق بالسير فى الفلوات المتلفة والشاهد نصب السير « أنظر شرح ابن يعيش للمفصل باب المفعول معه » .

يَشْغَلُنِي عَنْهَا وَعَنْ غَيْرِهَا ... تَوْطِينِيَ النَّفْسَ لِيَوْمِ الطِّعَانْ[١]
وَكُلُّ نَجْلَاءَ لَهَا صَائِكٌ ... يَخْضِبُ مَا بَيْنَ يَدِي وَالسِّنَانْ[٢]

* * *

وقال وقد بلغ أبا الطيب أن قوماً نعوه فى مجلس سيف الدولة بحلب وهو بمصر :

بِمَ التَّعَلُّلُ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ ... وَلَا نَدِيمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنُ[٣]

وقد جعل غلاف البطيخة قشراً لها ، والخيزران قال ابن سيده : نبات لين القضبان ، أملس العيدان لا ينبت ببلاد العرب ، إنما ينبت ببلاد الروم ، ولذلك قال النابغة الجعدى :

أَتَانِي نَصْرُهُمْ وَهُمُ بَعِيدٌ ... بِلَادُهُمُ بِلَادُ الْخَيْزُرَانِ

وذلك أنه كان بالبادية ، وقومه الذين نصروه بالأرياف والحواضر ، وقيل أراد أنهم بعيد منه كبعد بلاد الروم ، وقيل هو شجر وهو عروق القناة . والخيزران : الرماح لتثنيها ولينها . قال العكبرى : والعرب تجعل العرق خيزرانة قال شاعرهم يصف حمامة :

هَتُوفٌ دَعَتْ أُخْرَى عَلَى خَيْزُرَانَةٍ ... يَكَادُ يُدَنِّيهَا مِنَ الْأَرْضِ لِينُهَا

هتفت الحمامة: ناحت ؛ وحمامة هتوف : كثيرة الهتاف » .

(١) وطن نفسه للأمر: ذللها ومهدها . يقول : مالى ولهذه البطيخة : إنى مشغول عنها وعن غيرها بتوطين نفسى للضرب والطعن يوم الطعن .

(٢) كل ــ بالرفع ــ عطف على توطينى ؛ ومن خفضه عطفه على الطعان ؛ والنجلاء الواسعة ، وصائك : لازق ــ صاك به الطيب يصيك : إذا لصق به ، قال الأعشى :

وَمِثْلِكِ مُعْجَبَةٌ بِالشَّبَابِ ... وَصَاكَ الْعَبِيرُ بِأَجْلَادِهَا

« أجلاد الإنسان وتجاليده : جسمه وبدنه، لأن الجلد محيط بهما ، وجمع الأجلاد : أجالد ، وهى الأجسام والأشخاص » . يقول : ويشغلنى كل طعنة واسعة يسيل منها دم يلصق بالمطعون ويخضب القناة من يدى إلى السنان .

(٣) بم : أى بماذا ، حذف « ما » لدخول الجار عليها ، وقد سبق أن بسطنا القول فى مثل ذلك . وتعلل بالشئ تلهى به . والسكن : الصاحب ، وكل ما تسكن إليه أما السكن ــ بسكون الكاف ــ فأهل الدار اسم لجمع ساكن كشارب وشرب ، أنشد الجوهرى لذى الرمة :

أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يُبَلِّغَنِي مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّمَنُ (١)
لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ مَادَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ (٢)
فَمَا يَدُومُ سُرُورٌ مَا سُرِرْتَ بِهِ وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتَ الْحَزَنُ (٣)

فَيَا كَرَمَ السَّكْنِ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا عَنِ الدَّارِ وَالْمُسْتَخْلَفِ الْمُتَبَدِّلِ (١)

يشكو الزمان يقول : بأى شئ أعلل نفسى وأنا بعيد عن أهلى ووطنى ، وليس لى شئ ألهو به ولا أحد أسكن إليه . قال العكبرى : وكتب رجل إلى امرأته من مصر، وهى ببغداد مستشهدا بهذا البيت ، فكتبت إليه : لست كما قلت ، وإنما أنت كما قال صاحب هذه القصيدة :

سَهِرْتُ بَعْدَ رَحِيلِي وَحْشَةً لَكُمُ ثُمَّ اسْتَمَرَّ مَرِيرِي وَارْعَوَى الْوَسَنُ (٢)

(١) يقول : إن همته أعلى من أن يكون فى وسع الزمان البلوغ إليها وهو يتمنى على الزمان أن يبلغه همته . قالوا . ويجوز أن يكون المعنى : أطلب من الزمان استقامة الأحوال والزمان لا يبلغ هذا من نفسه ، لأنه لا يثبت على حال ، ويجوز أن يريد أنه يطالب الزمان بأن يخليه من الأضداد ، والزمان ليس يبلغ هذا من نفسه ، فإن الليل والنهار كالمتضادين ، ويجوز أن يريد: إنى أقترح على الزمان الاستبقاء وهو لم ينل فى نفسه البقاء ، فيكون قد ألم بقول البحترى:

تُنَابُ النَّائِبَاتُ إِذَا تَنَاهَتْ وَيَدْمُرُ فِي تَصَرُّفِهِ الزَّمَانُ

(٢) يقول : مادمت حيا فلا تبال بالزمان وصروفه ونوائبه ، فإنها تزول ولا تبقى، والذى لا عوض منه إذا فات هو الروح فقط.

(٣) هذا توكيد للذى قبله . يقول : لا تبال بما يحدثه لك الدهر، فإن المفروح به لا يدوم فرحه ، لأنه لا يدوم ، والحزن على الغائب لا يرده إليك هذه رواية الواحدى، وتبعه العكبرى ، وعلى هذا فسرور : مضاف إلى ما بعده ، قال بعضهم: وهو من التجوزات المستقبحة فى الوزن ، ومن ثم قال ولعل الأظهر :

* فَمَا يُدِيمُ سُرُورٌ مَا سُرِرْتَ بِهِ *

---

(١) قوله فيا كرم : يتعجب من كرمهم ، والمستخلف المتبدل : قال ابن برى أى صار خلفا وبدلا للظباء والبقر.

(٢) انظر هذا البيت فى هذه القصيدة .

مِمَّا أَضَرَّ بِأَهْلِ الْعِشْقِ أَنَّهُمُ ... هَوُوا وَمَا عَرَفُوا الدُّنْيَا وَمَا فَطِنُوا(١)
تَفْنَى عُيُونُهُمُ دَمْعاً وَأَنْفُسُهُمْ ... فِي إِثْرِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهُهُ حَسَنُ(٢)
تَحَمَّلُوا حَمَلَتْكُمْ كُلُّ نَاجِيَةٍ ... فَكُلُّ بَيْنٍ عَلَيَّ الْيَوْمَ مُؤْتَمَنُ(٣)
مَا فِي هَوَادِجِكُمْ مِنْ مُهْجَتِي عِوَضٌ ... إِنْ مُتُّ شَوْقاً وَلَا فِيهَا لَهَا ثَمَنُ(٤)
يَا مَنْ نُعِيتُ عَلَى بُعْدٍ بِمَجْلِسِهِ ... كُلٌّ بِمَا زَعَمَ النَّاعُونَ مُرْتَهَنُ(٥)

قال : وهو ما يقتضيه التطابق بين شطرى البيت . يقول : المتنى سرورك بالشىء لا يديمه عليك ؛ لأن كل شىء زائل ، فكذلك حزنك عليه بعد زواله لا يرده، لأن مافات لا يعود .

(١) يقول : مما أضر بالمحبين أنهم أحبوا قبل أن يعرفوا الدنيا ويفطنوا لها ولأهلها وما طبعت وطبعوا عليه من الغدر وعدم الإسعاف والمؤاتاة، ولو هم فطنوا لذلك ما أحبوا ولا أضاعوا أيامهم وأضنوا أنفسهم فى سبيل من لا يستحق ذلك منهم . قال العكبرى : وهو من قول الحكيم : العشق ضرورة داخلة على النفس، والعاشق جاهل بتلك الضرورة وقول الواحدى: يعنى بأهل العشق الذين يعشقون الدنيا: تخصيص لا معنى له، وتعميمه أنسب.

(٢) دمعا مفعول لأجله ، وأنفسهم مبتدأ خبره مابعده ، والجملة حال. يقول يبكون حتى تفنى عيونهم بالبكاء وأنفسهم بالحزن على كل مستحسن فى الظاهر قبيح عند الاختبار . قال الواحدى ـ وتبعه العكبرى ـ : يريد بذلك الدنيا ومتاعها ، قال العكبرى : وأحسن من هذا كله قول أبى نواس :

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ ... لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

(٣) تحملوا : أى ارتحلوا . والناجية : الناقة المسرعة . والبين : البعد والفراق وعلى : متعلق بمؤتمن . قال ابن جنى : هذا التشبيب من يضمر فى نفسه عتباً وموجدة يقول : ـ لمن شبب بهم بعد الذى ذكره من حال العاشق والمعشوق : ارتحلوا عنى فإن الفراق اليوم ـ أى بعد اختبارى لأحوال الدنيا وأهلها ـ مؤتمن على ، أى أرضى بحكمه ولا تضرنى غائلته ، يعنى لا أحزن لفراقكم ، وقوله حملتكم كل ناجية دعاء بالبعد ، وفى الكلام تعريض لا يخفى .

(٤) الهودج : مركب النساء . والمهجة : الروح . يقول لستم أهلا لأن تبذل فيكم الأرواح شوقا إليكم ومحبة لكم . فلستم تعوضوننى روحا غيرها إذا أتلفتها :

(٥) الناعون : جمع ناع ، وهو الذى يأتى بخبر الميت . وأصله أن العرب كانت إذا

كَمْ قَدْ قُتِلْتُ وَكَمْ قَدْ مُتُّ عِنْدَكُمُ ثُمَّ انْتَفَضْتُ فَزَالَ الْقَبْرُ وَالْكَفَنُ (١)
قَدْ كَانَ شَاهَدَ دَفْنِي قَبْلَ قَوْلِهِمِ جَمَاعَةٌ ثُمَّ مَاتُوا قَبْلَ مَنْ دَفَنُوا (٢)
مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّيَاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ (٣)

مات منها من له قدر جليل ركب راكب فرسا وجعل يسير ويقول نعاء فلانا أى انعه، أى أظهر خبر وفاته، قال الكميت:

نَعَاءِ جُذَامًا غَيْرَ مَوْتٍ وَلَا قَتْلِ وَلَكِنْ فِرَاقًا لِلدَّعَائِمِ وَالْأَصْلِ (١)

يقول: إنى قد نعيت بمجلسكم على البعد وكل أحد مرتهن بالموت لابد له منه فلا يفرح أحد بنعى أحد.

(١) يقول: كم قد أخبرتم بموتى وتحقق ذلك عندكم، ثم بان الأمر بخلاف ذلك فكأنى كنت ميتا ثم خرجت من القبر؟

(٢) قوله قبل قولهم: أى قبل قول الناعين. يريد أن قوما نعوه قبل هؤلاء وأخبروا أنهم شاهدوا دفنه ثم ماتوا قبل المتنبى، أى فقد بان كذبهم فيما ادعوا.

(٣) يقول: إن أعدائى يتمنون موتى ولكنهم لايدركون مايتمنون، ثم ضرب لذلك مثل السفن قال: إن السفن — يعنى أهلها — تشتهى الرياح الموافقة لسيرها، ولكن الرياح كثيرا ماتجرى على غير ماتشتهى. هذا: ويجوز فى كل — كما قال العكبرى — الرفع والنصب، فالنصب بفعل مضمر، يريد مايدرك المرء كل مايتمنى، فلما أضمر الفعل فسره بقوله يدركه كقولك مازيداً ضربته فيختار النصب لأجل النفى ومضارعته، وهذا فى لغة تميم، لأن «ما» عندهم غير عاملة، فتجرى مجرى «لا» فى نحو قول زهير:

---

(١) يقول الكميت هذا منكراً على جذام انتسابها إلى عدى بن عمرو بن سبأ ومؤاخاتها للخم بن عدى بن عمرو والكميت من أسد بن خزيمة بن مدركة، وكان متعصبا لمضر وهاجيا لليمن، وجذام فيما يزعم بعض النسابين قبيلة من ولد أسد بن خزيمة لحقوا باليمن وانتسبوا إليهم فقال الكميت محققا لذلك: انع جذاما غير ميتين ولا مقتولين ولكن مفارقين لأصلهم من مضر ومنتسبين إلى غيرهم من اليمن

رَأيتُكُمْ لاَ يَصُونُ الْعِرْضَ جَارُكُمُ ... وَلاَ يَدِرُّ عَلَى مَرْعَاكُمُ اللَّبَنُ[(١)]

جَـزَاءُ كُلِّ قَرِيبٍ مِنْكُمُ مَلَلٌ ... وَحَظُّ كُلِّ مُحِبٍّ مِنْكُمُ ضَغَنُ[(٢)]

وَتَغْضَبُونَ عَلَى مَنْ نَالَ رِفْدَكُمُ ... حَتَّى يُعَاقِبَهُ التَّنْغِيصُ وَالْمِنَنُ[(٣)]

لا الدَّارُ غَيَّرَهَا بَعْدِي الأَنِيسُ وَلاَ ... بِالدَّارِ لَوْ كَلَّمَتْ ذَا حَاجَةٍ صَمَمُ[(١)]

أنشده سيبويه بنصب الدار لأجل حرف النفى ، وأما أهل الحجاز فيرفعون « كل » بـ« ما » ، لأنها عاملة عندهم كليس ، ويكون الخبر « يدركه » ، ومثله ما أنشده سيبويه لمزاحم العقيلي :

وقالوا تعرَّفْهَا الْمَنَازِلَ مِنْ مِـنًى ... وما كُلُّ مَنْ وَافَى مِنًى أنا عارف[(٢)]

أنشده بالرفع على إرادة الهاء ، وبنو تميم ينصبون « كل » على ماتقدم ؛ والقرآن قد جاء بالحجازية فى قوله تعالى « ماهذا بشرا » وفى قراءة السبعة « ماهن أمهاتهم » بكسر التاء .

(١) العرض : مايمدح به الرجل ويذم ، وقيل الحسب ، وقيل النفس . يقول : من جاوركم لايقدر على صون عرضه ، لأنه يشتم عندكم فلا تكترثون لشتمه ولاتحامون عنه ، وإذا رعت النعم فى أرضكم لم يدر لبنها على مرعاكم لوخامته . وهذا مثل ، يريد : أن نعمتكم مشوبة بالأذى فلا يهنأ آخذها حتى تزكو عنده بالشكر ، وكل هذا تعريض لسيف الدولة وهجاء مر له .

(٢) الضغن والضغن : الحقد يقول : من قرب منكم مللتموه وأبغضتموه ومن أحبكم حقدتم عليه ، أى لستم تجازون المحب ولا القريب بما يستحقانه .

(٣) الرفد : العطاء . والمنن : جمع منة اسم من امتن عليه إذا عدد له صنائعه يقول

---

(١) وصف زهير داراً خلت من أهلها ولم يخلفهم غيرهم فيها ، فيغيروا ماعهد من آثارها ورسومها . ويروى بعد الأنيس : أى هى باقية الآثار كما عهدتها لم يغيرها بعد من عهدت من الأنيس فيها . والأنيس : من يؤنس به من الناس ، ثم قال : وقفت بهـا فسألتها وناديتها بمقدار ما أسمعها لو أجابت ولكنها لم تجب فكأن بها صمما .

(٢) يقول : إنه اجتمع بمحبوبته فى الحج فجعل يتفقدها فقيل له تعرفها بالمنازل من منى — وهى حيث ينزلون أيام رمى الجمار فزعم أنه لايعرف كل من وافى منى حتى يسأله عنها لأنه لايسأل عنها إلا من يعرفه ويعرفها .

فَغَادَرَ الْهَجْرُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ يَهْمَاءَ تَكْذِبُ فِيهَا الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ (١)
تَحْبُو الرَّوَاسِمُ مِنْ بَعْدِ الرَّسِيمِ بِهَا وَتَسْأَلُ الْأَرْضَ عَنْ أَخْفَافِهَا الثَّفِنُ (٢)
إِنِّى أُصَاحِبُ حِلْمِي وَهْوَ بِي كَرَمٌ وَلاَ أُصَاحِبُ حِلْمِي وَهْوَ بِي جُبُنُ (٣)

لايخلو عطاؤكم من المن والأذى حتى يصير آخذه معاقبا بتنغيص ما أخذه ، وهذا كله تعريض — كما أسلفنا — بسيف الدولة .

(١) اليهماء : الأرض التى لايهتدى فيها ، يقال بر أيهم وفلاة يهماء ، يذكر شدة إبعاده فى الرحيل أنفة من الحال التى ذكرها . يقول : ترك الهجر بينى وبينكم فلاة بعيدة الأطراف مضلة المسالك ترى العين فيها من الأشباح وتسمع الأذن من الأصوات ما لا حقيقة له ، لكثرة مايخيل فيها من المخاوف : وقال سائر الشراح : يدعو بالبعد بينهم وبينه . يقول : ترك الهجر بينى وبينكم فلاة مترامية الأطراف ترى العين فيها من الأشباح وتسمع الأذن من الأصوات مالا حقيقة له ، وهو معلوم أن سالك المفاوز والقفار تخيل لعينه الأشياء ولسمعه الأصوات .

ومن هذا قول ذى الرمة :

إِذَا قَالَ حَادِينَا لِيَسْمَعَ نَبْأَةً صَهٍ لَمْ يَكُنْ إِلاَّ دَوِىُّ الْمَسَامِعِ

« النبأة الصوت ليس بالشديد »

(٢) حبا يحبو : مشى على بطنه ويديه ، والرواسم : الإبل التى سيرها الرسيم ، وهو ضرب من السير سريع والثفن : جمع ثفنة ، مثل كلم وكلمة وهى مامس الأرض من أعضاء البعير إذا برك كالركبتين والكركرة — الزور — وإنما سميت ثفنات ، لأنها تغلظ فى الأغلب من مباشرة الأرض وقت البروك ومنه ثفنت يده : إذا غلظت من العمل . يقول : لطول السير فى هذه اليهماء ومتابعته تبرى الأرض أخفاف الإبل فتحبو على ثفناتها بعد أن كانت تسير الرسيم ، وتقول الثفنات للأرض أين ذهبت الأخفاف حتى انتقل السير عليها — على الثفنات — بعد أن كان على الأخفاف ؟ وهذا تمثيل لطول السير وقوته : أى لو قدرت على السؤال لسألت .

(٣) يقول : أحلم عمن يؤذينى مادام حلمى يعد كرما ، فإذا كان يعد جبنا لا أحلم قال الفند الزمانى :

وبعضُ الحلمِ عِنْدَ الجهـلِ للذلّةِ إذعَانُ

وَلاَ أُقِيمُ عَلَى مَالٍ أُذِلُّ بِهِ ... وَلاَ أَلَذُّ بِمَا عِرْضِي بِهِ دَرِنُ[(١)]

سَهِرْتُ بَعْدَ رَحِيلِي وَحْشَةً لَكُمُ ... ثُمَّ اسْتَمَرَّ مَرِيرِي وارْعَوَى الْوَسَنُ[(٢)]

وَإِنْ بُلِيتُ بِوُدٍّ مِثْلِ وُدِّكُمُ ... فَإِنَّنِي بِفِرَاقٍ مِثْلِهِ قَمِنُ[(٣)]

أَبْلَى الأَجِلَّةَ مُهْرِي عِنْدَ غَيْرِكُمُ ... وَبُدِّلَ الْعُذْرُ بِالْفُسْطَاطِ وَالرَّسَنُ[(٤)]

عِنْدَ الْهُمَامِ أَبِي الْمِسْكِ الَّذِي غَرِقَتْ ... فِي جُودِهِ مُضَرُ الْحَمْرَاءِ وَالْيَمَنُ[(٥)]

---

(١) الدرن : الوسخ ، يقول : لا آخذ المال بالذل وكل مال يحصل لى بذل تركته ، ولا أستطيب شيئا يلطخ عرضى بأخذه .

(٢) أصل المرير : الحبل الشديد الفتل ، ويقال استمر مريره على كذا إذا استحكم أمره عليه وقويت شكيمته فيه وألفه واعتاده . وارعوى : انزجر وارتدع . والوسن : النعاس . يقول : لما فارقتكم استوحشت لفراقكم حتى امتنع رقادى ، أى لألفى إيا كم على جفائكم ، ثم قويت وتصبرت وعاد إلى النوم إذ سلوت .

(٣) بفراق مثله : أى بفراق مثل رحيلى عنكم . وقمن : خليق وجدير . يقول : إن كنت فى قوم آخرين فعاملونى معاملتكم فارقتهم كما فارقتكم ، وهذا تعريض بكافور ، يعنى إن بليت منه بود ضعيف مثل ودكم فارقته كما فارقتكم . قال الواحدى : ومثل هذه الأبيات ماأنشده المبرد :

لا تطْلُبِ الرِّزْقَ بامْتِهانِ ... ولاتَرِدْ عُرْفَ ذِي امْتِنانِ

واسْتَرْزِقِ اللهَ واستعِنْهُ ... فإنَّهُ خيرُ مُسْتَعانِ

أشدُّ مِنْ فاقَةٍ وَجُوعٍ ... إغْضاءُ حُرٍّ عَلَى هَوانِ

فإنْ نَبا منزلٌ بِقَوْمٍ ... فمِنْ مَكانٍ إلى مَكانِ

(٤) الجل : واحد الجلال ، وجمع الجمع : الأجلة ، وهو مايتجلل به الفرس . والعذر : جمع عذار ، وهو ما كان على خد الفرس من اللجام . والفسطاط : اسم لمصر . والرسن : الحبل . يقول : طال مقامى بمصر لإكرام مثواى هناك حتى بليت جلال فرسى وعذره ورسنه فأبدلت بغيرها . عبر عن طول المقام ببلى هذه الأشياء .

(٥) الهمام : العظيم الهمة . ومضر الحمراء — بالإضافة — هو مضر بن نزار وإنما قيل له ذلك لأن نزارا لما مات تحاكم أولاده — ربيعة ومضر وإياد وأنمار — إلى جرهم فى

وَإنْ تَأخَّرَ عَــنِّى بَعْضُ مَوْعِدِهِ　　فَمَا تَأخَّرُ آمَالِي وَلاَ تَهِنُ(١)
هُوَ الْوَفِيُّ وَلٰـكِــنِّى ذَكَرْتُ لَهُ　　مَوَدَّةً فَهْوَ يَبْــلُوهَا وَيَمْتَحِنُ(٢)

***

وقال بمصر ولم ينشدها كافورا :

صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَا　　وَعَنَاهُمْ مِنْ شَــأْنِهِ مَا عَنَانَا(٣)
وَتَوَلَّوْا بِغُصَّــةٍ كُلُّهُمْ مِنْــهُ　　وَإنْ سَرَّ بَعْضَهُمْ أَحْيَـــانَا(٤)

قسم ميراثه ، فأعطى ربيعة الخيل ، فسمى ربيعة الخيل فسموا ربيعة الفرس ، قال القائل :

قولُوا لِقَحْطَـــانَ مِنْ ذَوِى يَمَنٍ　　كَيْفَ وَجَدْتُمْ رَبِيعَةَ الْفَرَسِ

وأعطى إياد الإبل والغنم ، فسموا إياد النعم ، وإياد الشمط قالوا :

إِذَا ما إِيادُ الشَّمْطِ يوْماً تَجَشَّمَتْ　　ظَنَنْتَ لَهَا صُمَّ الْجِبَالِ تَمِيــدُ

وأعطى مضر الذهب وقبه حمراء فسموا بذلك ، قال قائلهم :

إذا مُضَرُ الْحَمْرَاءُ عَبَّ عُبَابُهَا　　فَمَنْ يَتَصَدَّى مَوْجَهَا حِينَ تَزْخَرُ

وأعطى أنمار الحمار والأرض وما شاكلها فسميت أنمار الحمار وأنشدوا :

فلوَ أنَّ أنمار الحمَــار تَنَاصرت　　لَكَانَ لهامِنْ بَيْنِ فَيدإلَى هَجَرْ

« فيد : منزل بطريق مكة ؛ وهجر : بلد بالبحرين » ، واليمن ليسوا من أولاد مضر يقول : إن كافورا عم جوده العرب جميعا .

(١) تأخر — بحذف إحدى التاءين — أى تتأخر . وبعض موعده : يروى بعض نائله وتهن : تضعف : يريد أن عداته زائدة على آماله . يقول : هو ينفذ آمالى ولا يتأخر عنى ما آمله ولا يضعف رجائى عنده وإن تأخر بعض موعده ، يشير إلى ما وعده به من خطة الولاية ، ثم ذكر عذر تأخره فى البيت التالى .

(٢) الابتلاء ، والامتحان : الاختبار . يقول : هو يفى بما وعد غير أنه يختبر ما ذكرت له من المودة والمحبة ، فلهذا يتأخر عنى ما وعدنى به

(٣) عناه الأمر : أهمه ، ومنه الحديث : « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه» أى لا يهمه . يقول : كل من صحب الزمان اهتم بشأنه كما نهتم نحن .

(٤) تولوا : ذهبوا . والغصة : ما غصصت به من هم وحزن ونحوها ، وأصلها الشجا

رُبَّمَا تُحْسِنُ الصَّنِيعَ لَيَالِيــــهِ وَلَـكِنْ تُـكَدِّرُ الإِحْسَانَا[١]
وَكَأَنَّا لَمْ يَرْضَ فِينَا بِرَيْبِ الـــدَّهْرِ حَـــتَّى أَعَانَهُ مَنْ أَعَانَا[٢]
كُلَّمَا أَنْبَتَ الزَّمَانُ قَنَاةً رَكَّبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاةِ سِنَانَا[٣]

يغص به فى الحرقدة ، تقول غصصت باللقمة وبالماء ، يقول : لم ينل أحد مراده من الدنيا ولم يبلغ أمله فمات بغصته وإن سر فى بعض الأحايين.

(١) يقول : ديدن الدهر أن يعطى ثم يرجع فيما يعطى ، ويحسن ولـكنه لا يتم الإحسان ، بل يعود فيكدره ويشوبه بما ينغصه ، كما قال الآخر :

أَلدَّهْرُ آخِذُ ما أَعْطَى مُـكَدِّرُ مَا أَصْفَى وَمُفْسِدُ مَا أَهْدَى لَهُ بِيَدِ

(٢) قال ابن جنى : فى « يرض » ضمير هو فاعل يرض ، يفسره « من أعانا » وأضمره قبل الذكر على شريطة التفسير ، أو تقول إن « من أعانا » فاعل يرض وأعانه على التنازع . ويروى لم ترض ـ بالتاء ـ والضمير لليالى . يقول: هذا الذى أعان على الدهر كأنه لم يرض بما يصيبنى من محنه حتى أعانه على ، كما قال الآخر :

أَعَانَ عَلَيَّ الدَّهْرَ إِذْ حَكَّ بَرْكَهُ كَفَى الدَّهْرُ لَوْ وَكَّلْتَهُ بِي كَافِيَا[١]

قال ابن جنى : هذا البيت — والذى قبله — أحسن ما قيل فى الزمان وأن طباعه الشر ، وفعل الزمان منسوب إلى القضاء ، فالزمان لا يفعل شيئا ، وإنما يفعل فيه ، وكذا قولهم : يوم سعيد . فاليوم لا يوصف بسعد ، ، وإنما يوصف به من يشتمل عليه اليوم

(٣) القناة : عود الرمح والسنان زجه الذى يطعن به . يقول : إذا انتدب الزمان للاساءة بما جبل عليه صارت عداوة المعادى مدداً لقصده نحوك ، فجعل « القناة » مثلا لما فى طبع الزمان ، وجعل « السنان » مثلا للعداوة . وعبارة ابن جنى ـ ونقلها الخطيب

---

(١) البرك : كلـكل البعير وصدره الذى يدوك به الشىء تحته . يقال حكه ببركه ، ومن المجاز حكت الحرب بركها بهم ، قال القائل يصف الحرب وشدتها :

فَأَقْعَصَتْهُمْ وَحَـكَّتْ بَرْكَهَا بِهِمِ وَأَعْطَتِ النَّهْبَ هَيَّانَ بْنَ بَيَّانِ

وحك الدهر بركه بهم ، ووضع عليهم بركه ، قال الجعدى :

وَضَعَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ بَرْكَهُ فَأَرَاهُ لَمْ يُغَادِرْ غَـــيْرَ فَلِّ

وَمُرادُ النُّفوسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ نَتَعادَى فِيهِ وَأَنْ نَتَفانَى(١)
غَيْرَ أَنَّ الفَتَى يُلاقِي المَنايَا كالِحاتٍ وَلاَ يُلاقِي الهَوانَا(٢)
وَلَوَ اَنَّ الحَياةَ تَبْقَى لِحَيٍّ لَعَدَدْنَا أَضَلَّنَا الشُّجْعانَا(٣)
وَإِذا لَمْ يَكُنْ مِنَ المَوْتِ بُدٌّ فَمِنَ العَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبانَا(٤)
كُلُّ مالَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ فِى الأَنْفُسِ سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كانَا(٥)

التبريزى ـ : الزمان إذا أنبت قناة إنما ينبتها بالطبع ولا يشعر لأى شىء تصلح. فيتكلف بنوآدم اتخاذ القناة توصلا إلى هلاك النفوس ، فالزمان يفعل ولا يشعر مايراد به .

(١) هذا نهى عن المعاداة والتحاسد لأجل مراد النفوس ، فإن ما تريده النفوس من جاه الدنيا وحطامها أقل وأحقر من أن يعادى بعضنا بعضا لأجله .

(٢) كالحات : عابسات يقول : إن الحر الكريم أحب إليه الموت الكريه من أن يلقى ذلا وهوانا .

(٣) يقول : لو كانت الحياة باقية لكان الشجاع الذى يتعرض للقتل أضل الناس ، يعنى أن الحياة لا تبقى . وإن جبن الإنسان ولزم عقر داره وحرص على البقاء ، ثم أكد هذا بالبيت التالى .

(٤) يقول : إذا كان الموت لا محيص عنه ولا ينجو منه شجاع ولا جبان ، فإن الجبن إذن ـ من ضعف الهمة وعجزها ، قال خالد بن الوليد لما حضره الموت : فى جسدى مائة طعنة وضربة ، وها أنا قد مت حتف أنفى ، فلا أقر الله أعين الجبناء ،

(٥) كل : مبتدأ ، ومن الصعب : خبرها ، وسهل : خبر ثان ، ويكن : تامة ، وكذا « كانا » ـ آخر البيت ـ . يقول : إنما يصعب الأمر على النفس قبل وقوعه ، فإذا وقع سهل وهان ، كما قال البحترى :

لَعَمْرُكَ ما المَكْرُوهُ إِلاَّ ارْتِقابُهُ وَأَبْرَحُ مِمّا حَلَّ ما يُتَوَقَّعُ

والأصل فى هذا قول أعشى باهلة :

لا يَصْعُبُ الأَمْرُ إِلاَّ رَيْثَ يَرْكَبُهُ وَكُلَّ أَمْرٍ سِوَى الفَحْشاءِ يَأْتَمِرُ

وبعد : فقد وفق المتنبى فى هذه القطعة كل التوفيق ، ولعل شيطانه ممن كانوا يسترقون السمع ، فتلق هذه الآيات من ذات الرجع — السماء — فكأنها المعنية بقول حسان بن ثابت :

وقال يذكر خروج شبيب العُقَيلي على الأستاذ كافور وقتله بدمشق سنة ثمان وأربعين وثلثمائة :

عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانِ ۞ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمَرَانِ (١)

وَلِلّٰهِ سِرٌّ فِي عُلَاكَ وَإِنَّمَا ۞ كَلَامُ الْعِدَا ضَرْبٌ مِنَ الْهَذَيَانِ (٢)

أَتَلْتَمِسُ الْأَعْدَاءُ بَعْدَ الَّذِي رَأَتْ ۞ قِيَامَ دَلِيلٍ أَوْ وُضُوحَ بَيَانِ (٣)

رَأَتْ كُلَّ مَنْ يَنْوِي لَكَ الْغَدْرَ يُبْتَلَى ۞ بِغَدْرِ حَيَاةٍ أَوْ بِغَدْرِ زَمَانِ (٤)

بِرَغْمِ شَبِيبٍ فَارَقَ السَّيْفُ كَفَّهُ ۞ وَكَانَا عَلَى الْعِلَّاتِ يَصْطَحِبَانِ (٥)

وَقَافِيَةٍ عَجَّتْ بِلَيْلٍ رَزِينَةٍ ۞ تَلَقَّيْتُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ نُزُولَهَا

فلله دره .

(١) القمران : الشمس والقمر . يقول : من عاداك دل بذلك على جهالته وسقطت منزلته عند الناس وعاداه كل أحد وذمه ، ولو كان القمران من أعدائك لصارا مذمومين مع عموم نفعهما وارتفاع منزلتهما . قال ابن جنى : هذا المدح ينعكس هجاء . يقول : أنت رذل ساقط ، والساقط لا يضاهيه إلا مثله ، وإذا كان معاديك مثلك فهو مذموم بكل لسان ، كما أنك كذلك ولو عاداك القمران .

(٢) الهذيان : التكلم بغير معقول ؛ قال ابن جنى : هو من فصيح كلام العرب ولم يذكره الجوهرى ولا ابن فارس فى مجمله . يقول : لله سبحانه سر فيما أعطاك من العلو والبسطة لا يطلع الناس على ذلك السر ولا يعلمون ماهو ، وما يخوض الأعداء فيه من الكلام إنما هو نوع من الهذيان بعد أن أراد الله فيك ما أراد . قال الواحدى : وهذا إلى الهجاء أقرب لأنه نسب علوه على الناس إلى قدر جرى به من غير استحقاق ، والقدر قد يوافق بعض الناس فيعلو ويرتفع على الأقران ، وإن كان ساقطا باتفاق من القضاء .

(٣) يقول : هل يطلب أعداؤك دليلا على سيادتك ، وعلى أن الله يريد أن يرفع قدرك على من يعاديك بعد الذى رأوه ؟ ثم ذكر ما رأوا فى البيت التالى :

(٤) يقول : رأى الأعداء كل من ينطوى لك على غدر أو يضمر لك خلافا غدرت به حياته ؛ فهلك قبل أن ينال منك مأربا ؛ أو غدر به الدهر فهلك بآفة تصيبه .

(٥) شبيب هذا : هو شبيب بن جرير العقيلى ، من قوم كانوا من القرامطة وكانوا مع سيف الدولة ، وولى شبيب معرة النعمان دهراً طويلا ، واجتمع إليه جماعة من العرب

كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِهِ ... رَفِيقُكَ قَيْسِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانِ [(١)]
فَإِنْ يَكُ إِنْسَـــانًا مَضَى لِسَبِيلِهِ ... فَإِنَّ الْمَنَايَا غَايَةُ الْحَيَوَانِ [(٢)]
وَمَا كَانَ إِلاَّ النَّارَ فِى كُلِّ مَوْضِعٍ ... تُثِــيرُ غُبَاراً فِى مَكَانِ دُخَانِ [(٣)]
فَنَالَ حَيَاةً يَشْتَهِيهَا عَـــدُوُّهُ ... وَمَوْتاً يُشَهِّى الْمَوْتَ كُلَّ جَبَانِ [(٤)]
نَفَى وَقْعَ أَطْرَافِ الرِّمَاحِ بِرُمْحِـــهِ ... وَلَمْ يَخْشَ وَقْعَ النَّجْمِ وَالدَّبَرَانِ [(٥)]

فوق عشرة آلاف ، وأراد أن يخرج على كافور وقصد دمشق لحاصرها ، فيقال إن امرأة ألقت عليه رحى فصرعته فانهزم من كان معه بعد أن هلك ، ويقال إنه حدث به صرع من شرب الخمر ، فتركه أصحابه ومضوا ، فأخذه أهل دمشق فقتلوه . يقول : إنه هلك ففارق سيفه كفه ، وكانا لايفترقان على العلات — أى على كل حال —

(١) قيس : من عدنان ، واليمن : من قحطان ، وكان بينهما شقاق وتنازع واختلاف يقول : كأن رقاب الناس أغرت ما بينه وبين سيفه — لكثرة قطعه إياها — لتفرق بينهما . وقالت لسيفه إن شبيبا الذى يصاحبك « قيسى » وأنت « يمنى » — والسيوف الجيدة تنسب إلى اليمن — ففارقه سيفه لما علم أنه مخالف له فى الأصل .

(٢) يقول : إن يك شبيب قد هلك ومات ، فإن الموت غاية كل حىّ فلا عار عليه من ذلك .

(٣) النار : خبر كان ، وتثير : حال من « النار » ، أو نعت لها على أن « أل » الجنسية لا تفيد تعريفا . يقول : كان شبيب فى كل موطن يلم به كالنار فى إيقاد الفتنة والشر ، غير أنه يثير بدل الدخان غبار الحرب ، قالوا : وهذا من قول الآخر :

مَاوِىَّ يَا رُبَّتَمَا غَارَةٍ ... شَعْوَاءَ كَاللَّذْعَـــةِ بِالْمِيسَمِ

« غارة شعواء : فاشية متفرقة ؛ والميسم : المكواة ، أو الشىء الذى يوسم به الدواب »

(٤) يقول : فنال حياة حياة طيبة يشتهى عدوه مثلها ، يعنى أنه عاش فى عز ومنعة ، ثم مات موتاً يشهى الموت إلى الجبناء ، لأنه كان موتاً فى عافية لم يتقدمه ألم ولا مرض . هذا : ويشهى لايتعدى إلى مفعولين إلا بحرف جر ، وقد حذفه وهو يريده ، فكأنه قال: يشهى الموت إلى كل جبان .

(٥) أراد بالنجم : الثريا ، وأراد : وقع قضاء النجم ، فحذف؛ والدبران : قال الجوهرى خمسة كواكب من الثور — والثور : برج من بروج السماء — وهو من منازل القمر

وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ الْمَوْتَ فَوْقَ شَوَاتِهِ ... مُعارُ جَنَاحٍ مُحْسِنِ الطَّيَرَانِ (١)
وَقَدْ قَتَلَ الْأَقْرَانَ حَتَّى قَتَلْتَهُ ... بِأَضْعَفِ قِرْنٍ فِي أَذَلِّ مَكَانِ (٢)
أَتَتْهُ الْمَنَايَا فِي طَرِيقٍ خَفِيَّةٍ ... عَلَى كُلِّ سَمْعٍ حَوْلَهُ وَعِيَانِ (٣)

وسمى كذلك لأنه يدبر الثريا ، أى يتبعه . يقول : نفى عن نفسه الرماح برمحه ، يعنى أنه كان شجاعا يقى نفسه برمحه ولكنه لم يجر فى حسبانه مناحس النجوم — والدبران من النحوس فى حكم المنجمين وزعمهم — والمعنى أنه دفع نحوس الأرض عن نفسه ولم يستطع دفع نحوس السماء التى قضت بحلول أجله ، قالوا : وهذا خلاف قول لبيد فى أخيه أربد:

أَخْشَى عَلَى أَرْبَدَ الْحُتُوفَ وَلَا ... أَرْهَبُ نَوْءَ السِّمَاكِ وَالْأَسَدِ (١)

(١) الشواة : جلدة الرأس ، وفوق شواته : خبر «أن » ؛ ومعار : خبر ثان وروى معار ومحسن : على أنهما حالان . يقول : ولم يدر أن الموت فوق رأسه كيفما توجه حتى لكأنه أعير جناحا يحوم به فوقه يقع عليه وعبارة الواحدى: ولم يدر أن الموت قد أعير جناحا فهو يرفرف فوق رأسه ليقع عليه من علو ، وذلك فيما يقال : إن امرأة أدلت على رأسه رحى من سور دمشق .

(٢) الأقران : جمع قرن — بكسر القاف — وهو الكفء فى الحرب . قال الواحدى : ذكر فى قصته أنه كان يحارب أهل دمشق ويريد الغلبة عليها فسقط على الأرض وثار من سقطته ، فمشى خطوات ، فلما سار سقط ميتا ولم يصبه شىء وكثر تعجب الناس من أمره حتى قال قوم إنه كان مصروعا وأصابه الصرع فى تلك الساعة فانهزم أصحابه ، وزعم قوم أنه شرب وقت ركوبه سويقا مسموما فلما حمى عليه الحديد عمل فيه السم . فهو قوله : حتى قتلته بأضعف قرن فى أذل مكان ، يعنى فى غير الحرب وميدان القتال ، قال ابن جنى : لما أنشد أبو الطيب هذا البيت بحضرة كافور قال كافور : لا والله إلا بأشد قرن فى أعز مكان ، فرواه الناس كقول كافور .

(٣) يقول : إنه مات فجاءة من غير أن يستدل أحد على موته بمرئى أو مسموع ، كما قال يزيد المهلبى :

جَاءَتْ مَنِيَّتُهُ وَالْعَيْنُ هَاجِعَةٌ ... هَلَّا أَتَتْهُ الْمَنَايَا وَالْقَنَا قِصَدُ

« قصد : أى قطع ، جمع قصدة ، وهى الكسرة ؛ وتقصدت الرماح : تكسرت »

---

(١) انظر الكلام على « الأنواء » فى لسان العرب — مادة « نوأ » والسماك : نجم معروف ، وهما سماكان رامح وأعزل ، والكلام على ذلك مبسوط فى مواضعه .

وَلَوْ سَلَكَتْ طُرْقَ السِّلَاحِ لَرَدَّهَا ... بِطُولِ يَمِينٍ وَاتِّسَاعِ جَنَانِ (١)
تَقَصَّدَهُ الْمِقْدَارُ بَيْنَ صِحَابِهِ ... عَلَى ثِقَةٍ مِنْ دَهْرِهِ وَأَمَانِ (٢)
وَهَلْ يَنْفَعُ الْجَيْشُ الْكَثِيرُ الْتِفَافُهُ ... عَلَى غَيْرِ مَنْصُورٍ وَغَيْرِ مُعَانِ (٣)
وَدَى مَا جَنَى قَبْلَ الْمَبِيتِ بِنَفْسِهِ ... وَلَمْ يَدِهِ بِالْجَامِلِ الْعَكْنَانِ (٤)
أَتُمْسِكُ مَا أَوْلَيْتَهُ يَدُ عَاقِلٍ ... وَتُمْسِكُ فِى كُفْرَانِهِ بِعِنَانِ (٥)

---

(١) سلكت : أى المنايا . والجنان : القلب . يقول : لو أتته المنايا من طريق السلاح لدفعها عن نفسه بطول يده وسعة صدره ، يعنى أن أعداءه لو حاولوا قتله لما قدروا على ذلك لأنه بطل لا يغالب .

(٢) تقصده : إما بمعنى قصده ، وإما بمعنى أقصده : أى قتله . والمقدار : القدر : والمراد : القضاء . والطرفان بعده : حالان من الهاء . يقول : قصده القضاء أو أهلكه وهو بين أصحابه واثق بالحياة آمن من الموت .

(٣) التفافه : فاعل الكثير ؛ وعلى غير : متعلق به ، والالتفاف : الاجتماع يقال التف عليه الناس : إذا ازدحموا حوله ؛ والاستفهام : للانكار . يقول : إن الجيش الكثير لا ينفع من لم يكن منصوراً من قبل الله سبحانه وتعالى معانا بتأييده كما لم ينفع شبيباً كثرة أصحابه .

(٤) ودى : من الدية ، أى أعطى الدية ، وهى ثمن الدم . والمبيت : اسم زمان يعنى الليل : والجامل : اسم لجماعة الجمال : كالباقر : اسم لجماعة البقر . والعكنان : الإبل الكثيرة العظيمة ونعم عكنان وعكنان : أى كثيرة ، قال أبو نخيلة السعدى :

هَلْ بِاللِّوَى مِنْ عَكَرٍ عَكْنَانِ ... أَمْ هَلْ تَرَى بِالْخَلِّ مِنْ أَظْعَانِ (١)

يقول : أدى بنفسه دية من قتل من الناس قبل دخول الليل عليه ولم يؤد الدية بالإبل يريد : أنه بهلاكه كأنه اقتص منه ، فكانت نفسه دية عن الذين قتلهم .

(٥) أوليته : أعطيته ، والضمير لشبيب ، والعائد إلى «ما» محذوف : أى أوليته إياه . وقوله وتمسك : لك أن تعطفه على تمسك فترفعه ، ولك أن تقول أن الواو للمصاحبة والفعل منصوب بإضمار « أن » ومثله ويركب — فى عجز البيت التالى — والضمير من « كفرانه »

---

(١) العكر . القطيع الضخم من الإبل ، والخل : الطريق النافذ بين الرمال المتراكمة .

وَيَرْكَبُ مَا أَرْكَبْتَهُ مِنْ كَرَامَةٍ ... وَيَرْكَبُ لِلْعِصْيَانِ ظَهْرَ حِصَانِ (١)

ثَنَى يَدَهُ الإِحْسَانُ حَتَّى كَأَنَّهَا ... وَقَدْ قُبِضَتْ كَانَتْ بِغَيْرِ بَنَانِ (٢)

وَعِنْدَ مَنِ الْيَوْمَ الْوَفَاءُ لِصَاحِبٍ ... شَبِيبٌ وَأَوْفَى مَنْ تَرَى أَخَوَانِ (٣)

قَضَى اللهُ يَا كَافُورُ أَنَّكَ أَوَّلٌ ... وَلَيْسَ بِقَاضٍ أَنْ يُرَى لَكَ ثَانِ (٤)

الموصول ـ فى صدر البيت ـ والعنان : سير اللجام . يقول : هل يمسك عاقل مثل النعمة التى أنعمت بها على شبيب ثم يمسك عنان فرسه فى كفران تلك النعمة لقتال من أنعم بها عليه ؟ والاستفهام معناه الإنكار والتوبيخ أى لا يفعل ذلك عاقل ، لأنه يعلم أن من قدر على الإنعام يقدر على الانتقام ، وعبارة الواحدى . إن العاقل لا يجمع بين إمساك ما أعطيته من النعم وإمساك العنان فى الكفران ، لأن من كان عاقلا لم يكفر نعمة المنعم عليه ، وهذا إشارة إلى أن « شبيبا » كفر نعمة كافور فصرعه شؤم الكفران حتى هلك وقال ابن جنى ، يقول : إذا كفر نعمتك من أحسنت إليه لم يقبض يده على عنانه تخاذلا وحيرة .

(١) البيت عطف على ما قبله ، فهو فى معناه . يقول : وهل يركب عاقل مثل الكرامة التى أركبتها شبيباً ثم يركب حصانه لعصيان من أكرمه ؟ أى لا يجتمع لأحد إكرامك ومعصيتك .

(٢) ثنى يده : ردها ، والبنان : أطراف الأصابع ، قال ابن جنى : ملئت يده بالإحسان حتى ثناها إلى ورائها كأنها كانت لما قبضت ما وهبت لم يكن لها بنان يطبقها على الموهوب فأرسلته ؛ وقال الواحدى : إحسانك إليه رد يده عما امتدت فيه حتى كأنها وهى مقبوضة لم تبسط فيما أراد كانت بغير بنان لأن القبض يحصل بالبنان فإذا كانت اليد بغير بنان لم يحصل القبض ، وكأنها مقبوضة حين لا تقدر على القبض والانبساط . ومن روى قبضت ـ بإسناد الفعل إلى اليد ـ كان المعنى أن يده ـ وإن كانت قابضة لما صرفت عما قصدت له ـ صارت كأنها بغير بنان وغير قابضة .

(٣) عند من : استفهام معناه الإنكار ، وهو خبر مقدم ، والوفاء : مبتدأ مؤخر : أى ليس عند أحد اليوم وفاء لصاحب . وشبيب : مبتدأ ، وأوفى عطف عليه ؛ وإخوان : خبر . يقول : ليس من يفى لصاحبه اليوم ؛ أى لا وفاء اليوم عند أحد ، فإن أوفى من ترى من الناس غادر كشبيب ، فهما فى ذلك أخوان فى الغدر .

(٤) قال الواحدى : هذا من أجود ما مدح به ملك ، يقول : قضى الله أنك أول

فَمَا لَكَ تَخْتَـــارُ الْقِسِيَّ وَإِنَّمَا عَنِ السَّعْدِ يَرْمِي دُونَكَ الثَّقَلَانِ (١)
وَمَالَكَ تُعْنَى بِالْأَسِنَّـــةِ وَالْقَنَا وَجَدُّكَ طَعَّانٌ بِغَــيْرِ سِنَانِ (٢)
وَلِمْ تَحْمِلُ السَّيْفَ الطَّوِيلَ نِجَــادُهُ وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْهُ بِالْحَــدَثَانِ (٣)
أَرِدْلِي جَمِيلاً جُدْتَ أَوْلَمْ تَجُدْ بِهِ فَإِنَّكَ مَا أَحْبَبْتَ فِيَّ أَتَانِي (٤)
لَوِ الْفَلَكَ الدَّوَّارَ أَبْغَضْتَ سَعْيَــهُ لَعَوَّقَهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوَرَانِ (٥)

فى المكارم والمعالى ولم يسبقك أحد إلى ماسبقت إليه ولم يقض أن يلحقك أحد أو يكون لك مثل فيكون ثانيك.

(١) القسى : جمع قوس ؛ والثقلان : الإنس والجن ، أنكر عليه اختيار القسى لرمى أعدائه بها ، يقول : لاحاجة لك باستجادة القسى لترمى بها أعداءك فإن أعداءك ـ أكانوا من الإنس أم من الجن ـ يرمون عن قوس سعادتك : أى أن قسى سعادتك ترميهم عنك فيهلكون بالآفات تصيبهم ، وإذن لاتحتاج إلى اتخاذ السلاح .

(٢) عنى بالشىء ـ بصيغة المجهول ـ اهتم به ، والأسنة :جمع سنان ؛ والقنا :الرماح والجد : الحظ . والبيت فى معنى البيت الأول ، يقول : لم تعنى بادخار الأسنة والرماح وحظك يطعن أعداءك فيقتلهم بغير سنان .

(٣) لم أى لماذا : وإسكان الميم خاص بالشعر والنجاد : حمالة السيف ونجاده : فاعل الطويل ، وإذا وصف النجاد بالطول دل على طول حامله . والحدثان : حوادث الدهر ونوائبه ، يقول : أنت مستغن بحوادث الدهر عن استعمال السيف فى قتل أعدائك ، يشير فى هذه الأبيات كلها إلى مصرع شبيب حين خرج عليه ، دون أن يكون هلاكه بشىء من السلاح.

(٤) يقول : إن المقدار جار بحكمك . فإذا أردت شيئاً كان ، وإذا أردت أن تعطينى شيئا وصل إلى وإن لم تجد به ، يعنى أن القدر موافق لإرادته ، فإذا أراد بهخيراً أتاه ذلك وإن لم يجد به عليه ، وهذا من قول أبى تمام :

* فالدهرُ يفعلُ صاغِراً ما تأمُرُهْ *

(٥) الفلك : يروى بالنصب والرفع ، والنصب أجود ، وهو منصوب بفعل محذوف بعد « لو » يؤخذ من لازم الفعل المذكور : أى لو استوقفت الفلك الدوار ونحوه . يقول : لو كرهت دوران الفلك لحدث له شىء يمنعه عن الدوران ، يريد المبالغة فى قوة

. . . .

سعده ومؤاتاة الأقدار لمراده ، وهو المعنى الذى تحور إليه أكثر هذه الأبيات ، قال الواحدى ؛ هذه الأبيات ليس فى معناها مثل لها هذا : وطردا لهذا الشرح على وتيرة واحدة ونزولا على حكم خطتنا فيه ـ أن نورد كل ما أورده الشراح ـ نذكر هنا ماقاله العكبرى النحوى الكوفى فى إعراب الفلك وإن كان يغنى عنه ما قلناه آنفا ، على أن أهم ما نقصد إليه من إيراد هذه المقاصد النحوية هو شرح ما يرد فيها من الشواهد وهى مزية تفرد بها شرحنا هذا ، قال العكبرى : يروى الفلك (بالرفع والنصب) ، والنصب أجود، لأن « لو » تقتضى الفعل فيجب أن تضمر له فعلا ينصبه، ويكون الفعل الذى نصب سعى المضاف إلى الضمير ، وهو « أبغض » تفسيرا للمضمر كقولك ؛ لوأخاك أكرمت غلامه لجازاك عنه ، وتقدير الفعل الناصب للفلك لو كرهت الفلك : أى دورانه لأنك تقول : أنا أكره زيداً وأنت تريد فعله « وأبغضت » مفسر فلا موضع له من الإعراب ، كقوله تعالى فى قراءة الكوفيين وابن عامر « والقمر » — بالنصب — قدّرناه » فقدرنا هو الناصب للضمير وهو مفسر فلا موضع له من الإعراب ، تقديره : قدرنا القمر . ومن رفع القمر فبالابتداء أو يضمر له فعل يرفعه فى معنى الظاهر ، والظاهر تفسير له كأنه قال : لو خالفك الفلك لعوقه شىء ، وصار « أبغضت » تفسيره ودليلا عليه كقول ذى الرمة :

إِذَا ابنُ أَبى مُوسَى بِلَالٌ بَلَغْتِهِ   فَقَامَ بِفَأْسٍ بَيْنَ أُذْنَيكِ جَازِرُ[1]

---

(١) أذنيك يروى عينيك ويروى وصليك مثنى وصل وهو كل عظمين يلتقيان ، وبلال هو ابن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى ، وكان ذو الرمة كثير المدح لبلال هذا ، يخاطب بهذا البيت ناقته صيدح ، وقد أخذ هذا المعنى من قول الشماخ : فى عرابة الأوسى يخاطب ناقته :

إِذَا بَلَّغْتِنِى وَحَمَلْتِ رَحْلِى   عَرَابَةَ فَاشْرَقِى بدَمِ الْوَتِين

وجاء بعدهما أبو نواس ، فكشف هذا المعنى وأوضحه بقوله فى الأمين محمد ابن الرشيد :

وَإِذَا الْمَطِىُّ بِنَا بَلَغْنَ مُحَمَّدًا   فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامُ

والأصل فى هذا المعنى قول الأنصارية المأسورة بمكة وقد كانت نجت على ناقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فلما وصلت إليه قالت له يارسول الله : إنى نذرت إن

ونظر يوما إلى كافور فقال :

لَوْ كَانَ ذَا الآكلُ أَزْوَادَنَا ضَيْفاً لَأَوْسَعْنَاهُ إِحْسَانَا[1]

أى إذا بلغ ابن أبى موسى ؛ ثم فسره ببلغته ، وهذا فيه خلاف بيننا وبين البصريين ، فإن أصحابنا يقولون فى الاسم المرفوع بعد « إن وإذا » الشرطيتين أنه يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل ، وذهب البصريون إلى أنه يرتفع بتقدير فعل ، والفعل المظهر تفسير له ، وحجتنا أن « إن » هى الأصل فى باب الجزاء ولقوتها جاز تقديم المرفوع معها فيرتفع بالعائد ، لأن المكنى المرفوع فى الفعل : الاسم الاول ، فينبغى أن يكون مرفوعا به كما قالوا : جاءنى الظريف زيد ، وإذا كان مرفوعا به لم يفتقر إلى تقدير فعل ؛ وقال البصريون : إنه لايجوز أن يفصل بين حرف الجزم وبين الفعل باسم لم يعمل فيه ذلك الفعل ، ولا يجوز أن يكون الفعل هنا عاملا فيه ، لأنه لايجوز تقديم مايرتفع بالفعل عليه ، فلولم يقدر مايرفعه لبقى الاسم مرفوعا بلا رافع : وذلك لايجوز ، فدل على أن الاسم ارتفع بتقدير فعل ؛ وقال الأخفش من البصريين: هو المرفوع بالابتداء .

(١) الأزواد : جمع زاد ، وهو طعام المسافر . وقوله لأوسعناه إحسانا : قال بعض الشراح : الأصل لأوسعنا له الإحسان : فعدى الفعل إلى الضمير ونصب إحسانا على التمييز . يقول : هذا الذى يأكل زادى لو كان ضيفاً لى لأكثرت من الإحسان إليه : أى لو أتانى وقصدنى ضيفاً لأحسنت إليه ،

وهذا كما قال أيضا :

* جَوْعانُ يَأْكلُ مِن زَادِي وَيُمسكنى *

قال الواحدى : ولأكل زاده وجهان : أحدهما أن المتنبي أتاه بهدايا وألطاف ولم يكافئه عنها ، والآخر أن المتنبي يأكل عنده من خاص ماله وينفق على نفسه مما حمله ، وهو يمنعه من الارتحال ، فكأنه يأكل زاده ، حين لم يبعث إليه شيئاً ومنعه من الطلب ؛

نجوت عليها أن أنحرها ، فقال صلى الله عليه وسلم : بئس ماجزيتها . ومعنى الأبيات الثلاثة . إنى لست أحتاج أن أرحل إلى غيرك فقد كفيتنى وأغنيتنى إلا أن الشماخ وعد ناقته بالذبح ، وذو الرمة دعا أيضا عليها بالذبح ، وأبو نواس حرم الركوب على ظهرها وأراحها من الكد فى الأسفار ، فهو أتم فى المقصود لكونه أحسن إليها فى مقابلة إحسانها إليه حيث أوصلته إلى الممدوح .

لَكِنَّنَا فِى الْعَـــــــينِ أَضْيَافُهُ يُوسِعُنَا زُورًا وَبُهْتَانَا(١)
فَلَيْتَهُ خَـــــــلَّى لَنَا سُبْلَنَا أَعَانَـــــــهُ اللهُ وَإِيَّانَا(٢)

* * *

وكتب إلى يوسف بن عبد العزيز الخزاعى فى بُلبيس يطلب منه دليلا فأنفذه إليه :

جَزَى عَرَبًا أَمْسَتْ بِبُلْبَيْسَ رَبُّهَا بِمَسْعَاتِهَا تَقرَرْ بِذَاكَ عُيُونُهَا(٣)

وقال قوم : كان الأسود قد جمع له شيئا من غلمانه وخدمه ثم أخذه ولم يعطه شيئا .

(١) يقول : نحن فى الظاهر أضيافه لأنا أتيناه ، غير أنه لا يعطينا قرى غير الزور والبهتان والمواعيد الكاذبة .

(٢) يقول متمنيا : ليته أطلقنا ! ثم قال : أعانه الله على تخلية طرقنا وإطلاقنا ؛ وأعاننا الله على الذهاب والرحيل من عنده . هذا : والسبل جمع سبيل ؛ والسبيل : الطريق ، يذكر ويؤنث ؛ وفى التنزيل العزيز : « وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا » فذكر ، وفيه « قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة » فأنث .

(٣) بلبيس : هو ذلك البلد الذى بمصر ؛ والمسعاة : المكرمة والمعلاة فى أنواع المجد والجود ، والعرب تسمى مآثر أهل الشرف والفضل : مساعى ، لسعيهم فيها كأنها مكاسبهم وأعمالهم التى أعنوا فيها أنفسهم ؛ وسعى : إذا عمل وكسب ، وكل من ولى شيئا فهو ساع ، ومنه السعاة ، وهم ولاة الصدقة وعمالها الذين يأخذونها من الأغنياء ويردونها فى الفقراء ؛ وسعى عليها : أى عمل عليها . قال عمرو بن العداء الكلبى فى عمرو بن عتبة بن أبى سفيان ـ وكان معاوية قد استعمله على صدقات كلب فاعتدى عليهم ـ :

سَعَى عِقَالاً فَلَمْ يَتْرُكْ لنا سَبَدًا فكَيْفَ لَوْ قَدْ سَعَى عَمْرٌو عِقَالَيْنِ
لَأَصْبَحَ الْحَىُّ أَوْبَادًا وَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَ التَّفَرُّقِ فِى الْهَيْجَا جِمَالَيْنِ(١)

---

(١) العقال : زكاة عام من الإبل والغنم ، ونصب « عقالا » على الظرف أراد مدة عقال ، والسبد : الوبر ؛ وقيل : الشعر ، والعرب تقول ماله سبد ولا لبد : أى ماله ذو وبر ولا صوف متلبد ، يكنى بهما عن الإبل والغنم ، والأوباد : جمع وبد ، ورجل وبد فقير سيء الحال . وقوله جمالين : يريد قطيعين من الجمال ، وأراد جمالا ههنا وجمالا ههنا ، وذلك أن أصحاب الإبل يعزلون الإناث عن الذكور .

كَرَاكِرَ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ سَاهِرًا   جُفُونُ ظُبَاهَا لِلْعُلَا وَجُفُونُهَا(١)

وتقرر جواب الدعاء ، وقال العكبرى : أراد لتقرر ، على الأمر ، فحذف اللام ، كبيت الكتاب :

مُحَمَّدُ تَفْدِ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ   إِذَا مَا خِفْتَ مِنْ أَمْرٍ تَبَالَا(١)

وكقول الآخر :

عَلَى مِثْلِ أَصْحَابِ الْبَعُوضَةِ فَاخْمُشِي
لَكِ الْوَيْلُ حُرَّ الْوَجْهِ أَوْ يَبْكِ مَنْ بَكَى(٢)

وقرت عينه تقر : هذه هى اللغة الأعلى ، أعنى فعلت تفعل وزان طربت تطرب ، ومعناها : بردت وانقطع بكاؤها واستحرارها بالدمع ، وذلك كناية عن السرور ؛ لأن دمعة السرور باردة ، ودمعة الحزن حارة . يقول : جزى رب العرب التى أمست بهذه البقعة جزاء يقابل مسعاتها لتقر عيونها بذلك الجزاء .

(١) كراكر : بدل من عرب ؛ والكراكر : الجماعات ، الواحد : كركرة ـ بكسر الكاف ـ وهى الجماعة من الناس . وقيس بن عيلان : قبيلة . وساهراً : نعت سببى لكراكر : وجفون ظباها فاعل ساهر ، والظبى : جمع ظبة ، وهى حد السيف ، والمراد السيوف أنفسها ؛ وجفون : جمع جفن وهو الغمد : يقول : هؤلاء العرب جماعات من قيس لاتزال جفونهم ساهرة فى طلب العلى وجفون سيوفهم خالية من نصالها ، لأن سيوفهم لاتزال مسلولة ، قال ابن جنى : لما وصف جفونهم بالسهر فى طلب العلى وصف جفون سيوفهم بالسهر لتجانس القول ، يريد أنها قد فقدت نصولها ، فكأنها

---

(١) التبال : سوء العاقبة . وهو بمعنى الوبال ، فكأن التاء بدل من الواو : أى إذا خفت وبال أمر أعددت له . وهذا البيت قيل لحسان بن ثابت ؛ وقيل لأبى طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل للأعشى ، وقيل قائله مجهول ، وعبارة سيبويه : واعلم أن هذه اللام قد يجوز حذفها فى الشعر وتعمل مضمرة ، وكأنهم شبهوها بـ«أن» إذا عملت مضمرة ، وأنشد هذا البيت والذى بعده ، قال الأعلم وهذا من أقبح الضرورات لأن الجازم أضعف من الجار وحرف الجار لا يضمر

(٢) البيت لمتمم بن نويرة ، والبعوضة هنا موضع بعينه قتل فيه رجال من قومه فحض على البكاء عليهم ، ومعنى اخمشى : الطمى : وقطعى ، وبابه ضرب ونصر ، وحر الوجه مفعول اخمشى ، وهو مابدا من الوجه ، أراد : ليبك ، فحذف اللام .

وَخَصَّ بِهِ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ يُوسُفٍ ... فَمَا هُوَ إِلَّا غَيْثُهَا وَمَعِينُهَا[1]
فَتًى زَانَ فِى عَيْنَىَّ أَقْصَى قَبِيلِهِ ... وَكَمْ سَيِّدٍ فِى حِلَّةٍ لَا يَزِينُهَا[2]

* * *

وقال يمدح عضد الدولة وولديه أبا الفوارس ، وأبا دلف ويذكر طريقه بشعب بوان :

مَغَانِى الشِّعْبِ طِيباً فِى الْمَغَانِى ... بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ[3]

ساهرة مع جفون عيونهم فى طلب المعالى والفخار ، فاستعار لها السهر لما ذكر جفون العين ؛ وقد ألم بهذا بعض المحدثين فقال :

وَطَالَمَا غَابَ عَنْ جَفْنِى لِزَوْرَتِهَا ... وَجَفْنِ سَيْفِى غِرَارُ السَّيْفِ وَالْوَسَنُ

(١) الضمير فى «به» يعود على الجزاء ؛والغيث : المطر ؛ والمعين : الماء الجارى . يقول : وخص بهذا الجزاء هذا الرجل الذى هو أفضلهم وسيدهم ، فهو بينهم كالغيث وكالمعين ، لاحياة لهم بدونه . وغيثها : رواها العكبرى «عينها » قال : والعين من الشىء خيره وأفضله .

(٢) القبيل : الجماعة ؛ والحلة : الجماعة يحلون بالمكان . يقول : هو زين عشيرته ورهطه وإن تباعدوا عنه فى النسب : أى أنه زين عشيرته ـ القريب منها والبعيد ـ أما غيره من السادة فليس بهذا الصفة .

(٣) المغانى : جمع مغنى والمغنى :المنزل الذى غنى — أقام — به أهله ثم ظعنوا عنه . والشعب : المنفرج بين جبلين ، والمراد هنا : شعب بوان ، وهو موضع عند شيراز ، كثير الشجر والمياه ، يعد من جنان الدنيا ، قال أبو بكر الخوارزمى : متنزهات الدنيا أربعة مواضع : غوطة دمشق ، ونهر الأبلة ، وشعب بوان ، وصغد سمرقند ، وطيبا : تمييز . يقول : منازل هذا المكان فى المنازل كالربيع فى الأزمنة ، يعنى أنها تفضل سائر الأمكنة طيباً كما يفضل الربيع سائر الأزمنة. هذا . وقد قال ابن جنى فى إعراب « طيباً » : الشاميون ينصبون طيبا بإضمار فعل : أى تزيد طيبا ، أو تطيب طيبا ، كقولك : زيد سيراً ؛ أى يسير سيراً ، والبغداديون يرفعونه ويمنعون من نصبه ، أومن نصبه فعلى التمييز ، لأنه ليس ثم فعل ، ولو كان ثم فعل لجاز تقديمه منصوبا ،

وَلٰكِنَّ الْفَتَى الْعَرَبِيَّ فِيهَا غَرِيبُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللسَانِ[١]
مَلَاعِبُ جِنَّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا سُلَيْمَانٌ لَسَارَ بِتَرْجُمَانِ[٢]

كقول الآخر :

أتهجُرُ سَلْمَى بالفِرَاقِ حَبِيبَهَا وَمَا كَانَ نَفْساً بِالْفِرَاقِ تَطِيبُ

قال : ووجه الرفع أن المعانى : مبتدأ ؛ وطيب : خبره.

(١) يعنى بالفتى العربى : نفسه . يقول : إنى بها عريب الوجه فى عيون أهلها ، إذ يعرفنى أحد هناك ، أو لأنه أسمر اللون ، إذ غالب ألوان العرب السمرة ، وأهل الشعب شقر الوجوه ، وغريب اليد : أى لا ملك له فى هذه البقعة ، فيده أجنبيه فيها ، أو لأن سلاحه الرمح وبده تستعمل الرمح ، أما أسلحة أهل الشعب التى يستعملونها بأيديهم فهى الرايات والمزاريق ، أو لأنه يكتسب بالعربية وهؤلاء يكتبون بالفارسية ، وغريب اللسان : لأن لغتى العربية وهؤلاء عجم لا يفصحون .

(٢) الجنة : الجن . وترجمان — بفتح التاء وضمها — قال الواحدى : جعل الشعب — لطيبه وطوب أهله — ملاعب ، وجعل أهله جنة — جنا — لشجاعتهم فى الحرب ؛ والعرب إذا بالغت فى مدح شىء نسبته إلى الجن ، كقول الشاعر :

* بِخَيْلٍ عَلَيْهَا جِنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ *

وأخبر أن لغتهم بعيدة عن الأفهام حتى لو أن سليمان أتاهم لاحتاج إلى من يترجم له عن لغتهم مع علمه باللغات وفهمه قول الحكل[١]

هذا : والترجمان — وهو الذى يفسر كلام غيره بلسانه — بفتح التاء وضمها ؛ والجمع : وتراجم ، مثل زعفران وزعافر ، وصحصحان وصحاصح ، قال نقاده الأسدى :

---

(١) الحكل من الحيوان : مالا يسمع له صوت كالذر والنمل ، قال :

وَيَفْهَمُ قَوْلَ الْحُكْلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تُسَاوِدُ أُخْرَى لَمْ يَفُتْهُ سِوَادُهَا

وقيل الحكل : العجم من الطيور والبهائم قال رؤبة بن العجاج ـ وكان قد نزل ماء من المياه فأراد أن يتزوج امرأة فقالت له المرأة . ماسنك مامالك ما كذا ! ؟ ؟ فأنشأ يقول

لَمَّا ازدرت نَقْدِى وَقَلَّتْ إبلى تَسْأَلُنِى عن السِّنِينَ كَمْ لِى
فَقُلْتُ لَوْ عُمِّرْتُ عُمْرَ الْحِسل أَوْ عُمْرَ نُوح زَمَنَ الْفِطَحْلِ

طَبَتْ فُرْسَانَنَا وَالْخَيْـــلَ حَتَّى خَشِيتُ وَإِنْ كَرُمْنَ مِنَ الْحِرَانِ[1]

وَمَنْهَلٍ وَرَدْتُهُ الْتِقَاطَا لَمْ أَلْقَ إِذْ وَرَدْتُهُ فُرَّاطَا

إِلَّا الْحَمَامَ الْوُرْقَ وَالْغَطَاطَا فَهُنَّ يُلْغِطْنَ بِهِ إِلْغَاطَا

* كَالتَّرْجُمَانِ لَقِيَ الْأَنْبَاطَا[1] *

(١) طباه يطبوه ويطبيه طبيا وطبوا : إذا دعاه . قال ذو الرمة :

لَيَالِيَ اللَّهْوُ يَطْبِينِي فَأَتْبَعُهُ إِنِّي ضَارِبٌ فِي غَمْرَةٍ لَعِبُ

[أى يدعونى اللهو فأتبعه] ويقال أطباه على افتعله فقلبت التاء طاء وأدغمت ، وفى حديث ابن الزبير : أن مصعبا أطبى القلوب حتى ماتعدل به : أى تحبب إلى قلوب الناس وقربها منه . وقال كثير :

لَهُ نَعَلٌ لَا يَطَّبِي الْكَلْبَ رِيحُهَا وَإِنْ وُضِعَتْ وَسْطَ الْمَجَالِسِ أُشْمِتِ[2]

والحران فى الدواب : أن تقف ولاتبرح المكان . يقول : إن هذه المغانى استمالت قلوبنا وقلوب خيلنا بخصبها وطيبها حتى خشيت عليها الحران وأن تقف بها فلا تبرح ميلا إليها وإن كانت خيلنا كريمة لايعروها هذا الداء — داء الحران —

وَالصَّخْرُ مُبْتَلٌّ كَطِينِ الْوَحْلِ أَوْ أَنَّنِي أُوتِيتُ عِلْمَ الْحِسْلِ

عِلْمَ سُلَيْمَانَ كَلَامَ النَّمْلِ كُنْتَ رَهِينَ هَرَمٍ أَوْ قَتْلِ

[السواد : السرار ، يقال منه ساودته مساودة وسوادا إذا ساررته : والحسل : ولد الضب ، وسئل رؤبة عن قوله زمن الفطحل فقال : أيام كانت الحجارة فيه رطابا ، قال أهل اللغة : الفطحل دهر لم يخلق الناس فيه بعد]

(١) يقال وردت الماء والشيء التقاطا : إذا هجمت عليه بغتة ولم تحتسبه ، وفراط القطا : متقدماتها إلى الوادى والماء ، والغطاط : ضرب من القطا . ولغط القطا والحمام بصوته وألغط وأصل اللغط : الصوت المبهم الذى لايفهم والأنباط جيل ينزلون سواد العراق :

(٢) حرك حرف الحلق من نعل لانفتاح ماقبله ، ففتحها ليس بلغة ، والنعل مؤنثة وهى الحذاء وقد سبق شرح هذا البيت .

غَدَوْنَا تَنْفُضُ الأغصَانُ فِيهَا عَلَى أعْرَافِهَا مِثْلَ الجُمَانِ (١)
فَسِرْتُ وَقَدْ حَجَبْنَ الشَّمْسَ عَنِّى وَجِئْنَ مِنَ الضِّيَاءِ بِمَا كَفَانِى (٢)
وَأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فى ثِيَابِى دَنَانِيراً تَفِرُّ مِنَ البَنَانِ (٣)
لَهَا ثَمَرٌ تُشِيرُ إِلَيْكَ مِنْهُ بِأَشْرِبَةٍ وَقَفْنَ بِلا أَوَانِى (٤)

---

(١) تنفض الأغصان إلى آخره : حال ؛ وأعرافها : جمع عرف ، وهو الشعر الذى على ناصية الفرس . والجمان : حب من فضة يشبه اللالىء ، يقول : سرنا بين أشجار هذه المغانى صباحا وقد تساقط الندى من أغصانها على أعراف خيلنا كأنه الجمان ، فكأن الأغصان تنفضه على أعرافها ، والذى يؤخذ من الواحدى — ويدل عليه البيت التالى — أن الذى يقع على أعراف الخيل من خلل الأغصان مثل الجمان هو ضوء الشمس لاالندى .

(٢) الضمير من حجبن : للأغصان ؛ يقول : إنه كان يسير فى ظل الأغصان وأنها تحجب عنه حر الشمس وتلق عليه من الضياء ما يكفيه . وقال ابن جنى : يريد أن الجمان الذى يقع على الخيل هو مايقع عليها من بين الأغصان من ضوء الشمس .

(٣) الشرق : المشرق ، وهو أيضا الضوء والشمس ، يقال طلع الشرق ولا يقال غرب الشرق ، وهو المراد هنا . والبنان : أطراف الأصابع . يقول :

كما قال التبريزى : إن هذا الشجر كثير الورق ملتف ، فضوء الشمس يدخل من خلله فيكون على الثياب كأنه الدنانير إلا أنه يفر من البنان وليست الدنانير كذلك .

وهو معنى لم يسبق إليه . وعبارة بعض الشراح : يريد بالدنانير مايتخلل الأغصان من ضوء الشمس فإنه يقع مستديرا ، يقول : لما طلعت الشمس من المشرق ألق الشرق بطلوعها دنانير لاتمسك باليد . فالشرق بمعنى المشرق .

(٤) أوانى : جمع آنية ، جمع إناء . يقول : إن ثمار هــذه الأغصان رقيقة القشر فهى تشير إلى الناظر بأشربة — جمع شراب — واقفة بلا إناء ، لأن ماءها يرى من وراء قشرها كما يرى الماء فى الزجاج ، يعنى أن هذه الثمار كأنها أشربة قائمة بنفسها ليس لها أوعية تمسكها ، وهذا المعنى منقول من قول البحترى :

يُخْفِى الزُّجَاجَةَ لَوْنُهَا فَكَأَنَّهَا فِى الكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إِنَاءِ

وَأَمْوَاهٌ تَصِـــلُّ بِهَا حَصَاهَا   صَلِيلَ الْحَلْيِ فِي أَيْدِي الْغَوَانِي (١)
وَلَوْ كَانَتْ دِمَشْقَ ثَنَى عِنَانِي   لَبِيقُ الثُّرْدِ صِينِيُّ الْجِفَانِ (٢)
يَلَنْجُـــوجِيُّ مَارُفِعَتْ لِضَيْفٍ   بِهِ النِّيرَانُ نَدِّيُّ الدُّخَانِ (٣)

---

(١) تصل : تصوت ؛ وحصاها : فاعل تصل ؛ وبها :أى بتلك الأمواه ، يعنى بجريها وروى ابن جنى لها : أى لأجلها أى لأجل جريها . والحلى : مايلبسه النساء من الذهب والفضة والجوهر . والغوانى : جمع غانية ، المرأة التى غنيت بحسنها شبه الأمواه ، فى اندماجها وصفاء لونها بمعاصم الحسان ، وما يصل بها من الحصى بالحلى الذى يلبس فى المعاصم — جمع معصم وهو موضع السوار .

(٢) يقال ثنى عنانه : إذا رده عن عزمه . والعنان — فى الأصل — سير اللجام . واللبيق : الحاذق الرفيق بما يعمله كاللبق . والثرد : جمع ثريد ، وهو الخبز يفت ويبل بالمرق . وروى ابن جنى بفتح الثاء على المصدر ، قال يريد به الثريد . والجفان : جمع جفنة ، وهى القصعة . وصينى الجفان : أى أن جفانه صينية . يقول : لو كانت هـذه المغانى الطيبة دمشق — أى لو كنت فى غوطة دمشق مكان شعب بوان — لثنى عنانى إليه رجل جيد الثريد ذو قصاع صينية ؛ يعنى لأضافنى هناك رجل ذو مروءة يحسن إلى الضيفان ، لأنها — دمشق — من بلاد العرب ، وشعب بوان من بلاد العجم . وقال ابن جنى — لو كانت هذه المغانى كغوطة دمشق فى الطيب لرغبت عنها ، وملت إلى هذا الممدوح الذى ثرده لبيق وجفانه صينية ، لأنه ملك ، وليس هو من أهل البادية . قال الواحدى : وليس الأمر على ماقال — أى ابن جنى — لأن البيت ليس بمخلص ، ولم يذكر الممدوح بعد . والمعنى : أنه يبين فضل دمشق وأهلها وإحسانها إلى الضيفان ، وخص دمشق من سائر البلدان لأن شعب بوان مضاه لغوطة دمشق فى الطيب وكثرة المياه والأشجار .

(٣) يلنجوجى : نسبة إلى اليلنجوج ، وهو العود الذى يتبخر به ؛ و«ما» موصولة ورفعت النار : شبت ؛ وبه : متعلق برفعت ، والضمير : لـ«ما» . وندى : نسبة إلى الند ، وهو ضرب من الطيب يدخن به : قال أبو عمرو بن العلاء : يقال للعنبر : الند ، وقال غيره : هو ضرب من الدخنة . يقول : إن هذا الرجل يوقد النيران للأضياف بالعود اليلنجوجى ، ودخانه طيب تشم منه رائحة الند :

تَحِـــلُّ بِهِ عَلَى قَلْبِ شُجَاعٍ وَتَرْحَلُ مِنْهُ عَنْ قَلْبِ جَبَانِ(١)
مَنَازِلُ لَمْ يَزَلْ مِنْهَا خَيَالٌ يُشَيِّعُنِي إِلَى النَّوْبَنْذَجَانِ(٢)
إِذَا غَنَّى الحَمَامُ الوُرْقُ فِيهَا أَجَابَتْهُ أَغَانِيُّ القِيَانِ(٣)

---

(١) اضطربت كلمة الشراح فى هذا البيت ، ولعل أحسنها ماذهب إليه الواحدى ، قال : تحل به أنت – أيها الرجل – أى تنزل بهذا الرجل الذى وصفه بما تقدم – على قلب شجاع جرىء على الإطعام والقرى غير بخيل – لأن البخل جبن – وهو خوف الفقر ، وترحل منه عن قلب جبان خائف فراقك وارتحالك ، وقال ابن جنى : المعنى : يسر بأضيافه فتقوى نفسه بالسرور ، فإذا ارتحلوا عنه اغتم ، فضعفت نفسه ، فالقلبان – على هذا وعلى ماذهب إليه الواحدى – قلبا المضيف ، وقال ابن فورجه : كأنه – أى ابن جنى – يظن أنهما قلبا عضد الدولة ؛ ولو أراد – المتنبى – ما قال لقال تحل به على قلب مسرور وترحل منه عن قلب مضموم ، فأما الشجاعة والجبن فلهما معنى غير ماذهب إليه – أى ابن جنى – وإنما يريد – المتنبى – أنك إذا حللت به كنت ضيفا له وفى ذمامه فأنت شجاع القلب لاتبالى بأحد ، وتفارقه ولا ذمام لك فأنت جبان تخشى من لقيك ، ومثله قوله :

* وَإِنَّ نفوساً أممتكَ منيعةٌ *

فالقلبان فى البيت : قلبا من يحل ويرحل – أى قلبا الضيف .

(٢) نوبنذجان : بلد بفارس ؛ ويشيعنى : يتبعنى . قال الواحدى : يريد أنه : يرى دمشق فى النوم وهو بفارس ، فخيال منازل دمشق يتبعه ، والمعنى أنه يحب دمشق ويكثر ذكرها ويحلم بها ، قال : ويجوز أن يريد خيال حبيب له بدمشق ونواحيها يأتيه فى منامه .

(٣) الورق : جمع ورقاء ، وهى التى فى لونها بياض إلى سواد ويقال للرماد : أورق ؛ وللحمامة والذئبة : ورقاء : قال رؤبة :

فَلَا تَكُونِى يَا ابْنَةَ الأَشَمِّ وَرْقَاءَ دَمَّى ذِئْبَهَا الْمُدَمِّى(١)

---

(١) الذئاب إذا رأت ذئبا قد عقر وظهر دمه أكبت عليه فقطعته وأنثاه معها وقيل الذئب إذا دمى أكلته أنثاه فيقول هذا الرجل لامرأته : لاتكونى إذا رأيت الناس قد ظلمونى معهم على فتكونى كذئبة السوء .

وَمَنْ بِالشِّعْبِ أَحْوَجُ مِنْ حَمَامٍ إِذَا غَنَّى وَنَاحَ إِلَى الْبَيَانِ (١)
وَقَدْ يَتَقَارَبُ الْوَصْفَانِ جِدًّا وَمَوْصُوفَاهُمَا مُتَبَاعِدَانِ (٢)
يَقُولُ بِشِعْبِ بَوَّانٍ حِصَانِي أَعَنْ هٰذَا يُسَارُ إِلَى الطِّعَانِ (٣)
أَبُوكُمْ آدَمٌ سَنَّ الْمَعَاصِي وَعَلَّمَكُمْ مُفَارَقَةَ الْجِنَانِ (٤)
فَقُلْتُ إِذَا رَأَيْتُ أَبَا شُجَاعٍ سَلَوْتُ عَنِ الْعِبَادِ وَذَا الْمَكَانِ (٥)

والقيان : جمع قينة ، وهى الجارية المغنية . يريد لطيبها اجتمعت أصوات الحمام والقيان بها يجاوب بعضها بعضا .

(١) يقول : إن أهل الشعب ـ شعب بوان ـ وقطانه أحوج إلى البيان من حمامه فى غنائه ونوحه ، لأنهم أعاجم لابيان لهم ولافصاحة ، فلا يفهم العرب كلامهم ؛ قال اليازجى : يريد التنظير بين غناء هؤلاء وغناء قيان دمشق وهو تفضيل آخر لدمشق على شعب بوان . هذا : وأخبر عن الحمام بالغناء والنوح لأن العرب تشبه صوت الحمام مرة بالغناء لأنه يطرب ، ومرة بالنوح لأنه يشجى ، ونوح الحمام وغناؤه مذكوران فى أشعارهم .

(٢) يقول : إن العجمة تجمع الحمام وأهل الشعب ، والموصوف بها مختلف ، لأن الإنسان غير الحمام ، فأهل الشعب بعدوا بالإنسانية عن الحمام ، ولكن وصفهما فى الاستعجام وعدم الإفصاح متقارب .

(٣) يقول : إن فرسى يقول لى حين رأى شعب بوان وطيب الإقامة به ـ منكرا على السير منه إلى الحرب ـ أعن هذا المكان يسار إلى الطعان والنزال ؟ والاستفهام معناه هنا الإنكار ، والمراد أن فرسه لو نطق لقال ذلك .

(٤) يقول : إنما تفعلون ذلك اقتداء بأبيكم آدم حين عصى ربه فأخرج من الجنة ، فهو الذى سن لكم ركوب المعاصى ومفارقة مواطن النعيم بسببها . قال الواحدى : وإنما ذكر هذا لكى يتخلص إلى ذكر الممدوح فيقول : هذا المكان وإن طاب فإنى لم أعرج به عما كان سبيلى إليه .

(٥) أبو شجاع : كنية عضد الدولة . يقول ـ مجيبا فرسه ـ : إنما أغادر هذا المكان لأنى أقصد أبا شجاع الذى متى رأيته نسيت الناس طرا ونسيت هذا المكان مع جماله وطيبه لأنى أجد عنده مايسليني عن كل شىء .

فَإِنَّ النَّاسَ وَالدُّنيَا طَرِيقٌ ... إِلَى مَنْ مَالَهُ فِى النَّاسِ ثَانِ (١)
لَقَدْ عَلَّمْتُ نَفْسِى القَوْلَ فِيهِمْ ... كَتَعْلِيمِ الطِّرَادِ بِلاَ سِنَانِ (٢)
بِعَضْدِ الدَّوْلَةِ امْتَنَعَتْ وَعَزَّتْ ... وَلَيْسَ لِغَيْرِ ذِى عَضُدٍ يَدَانِ (٣)
وَلاَ قَبْضٌ عَلَى الْبِيضِ الْمَوَاضِى ... وَلاَ حَظٌّ مِنَ السُّمْرِ اللِّدَانِ (٤)
دَعَتْهُ بِمَفْزَعِ الأَعْضَاءِ مِنْهَا ... لِيَوْمِ الْحَرْبِ بِكْرٍ أَوْ عَوَانِ (٥)

---

(١) يقول : إن الناس كلهم — والدنيا بأجمعها — طريق إليه لا يمسكنى شىء منهم ومنها حتى أبلغه .

(٢) الطراد : أن يحمل بعض الفرسان على بعض فى الحرب ، والسنان : نصل الرمح . يقول : علمت نفسى القول فى الناس بالشعر فى مدائحهم قبله كما يتعلم الطعان أولا بغير سنان ليصير المتعلم ماهراً بالطعان بالسنان ، كذلك أنا تعلمت الشعر فى مدح الناس لأتدرج إلى مدحه وخدمته . وعبارة بعض الشراح : يريد أنه لم يكن يقصد الجد فى مدح غيره ، وإنما كان يمرن نفسه على الشعر حتى يعرف كيف يمدحه حتى المدح متى انتهى إليه وقوله لقد علمت : يروى له علمت — أى لأجله — وذلك أظهر فى المعنى .

(٣) قال الواحدى: أى أن الدولة امتنعت بعضدها وعزت ولا يدلمن لاعضدله ولا يدفع عن نفسه من لا يد له ، والمعنى أنه للدولة يد وعضد ؛ به تدفع عن نفسها ، وعلى هذا يكون الضمير فى قوله « امتنعت » عائدا على المضاف إليه من قوله « بعضد الدولة » فهو على حد قولك : بغلام هند مرت : أى مرت هند بغلامها ، وهو ما تراه ، قال ابن جنى . يعرض بدولة غيره من الملوك التى لايذب عنها ولا يحميها ، وأودع كلامه رمزاً خفيا وتعريضا بجميع من لاعضد له دولة كان أو إنسانا بقوله « وليس لغير ذى عضد يدان » هذا : وعضد — بسكون الضاد — تخفيف عضد — بضمها —

(٤) البيض : السيوف . والمواضى : القواطع . والسمر : الرماح . واللدان : جمع لدن ، وهو اللين المتثنى . يقول : من لم يكن له يدان لم يقبض على السيوف ولم يطعن بالرماح لأنه لا يتأتى له ذلك ؛ يعنى أن غيره لا يقوم مقامه فى الدفع عن الدولة لأنه عضدها ومن لا عضد له لا يد له ، ومن لا يد له لم يضارب ولم يطاعن . هذا : وقوله « ولاحظ » يروى ولاحط — بالطاء المهملة — وهو خفض الرماح بالطعن .

(٥) قوله بكر : صفة لموصوف محذوف ، كأنه قال : ليوم الحرب حرب بكر أوعوان

فَمَا يُسْمِي كَفَنَّا خُسْرَ مُسْمٍ ... وَلاَ يُكْنِي كَفَنَّا خُسْرَ كَانِى (١)

وَلاَ تُحْصَى فَضَائِلُهُ بِظَنٍّ ... وَلاَ الإِخْبَارِ عَنْهُ وَلاَ العِيَانِ (٢)

أُرُوضُ النَّاسِ مِنْ تُرْبٍ وَخَوْفٍ ... وَأَرْضُ أَبِى شُجَاعٍ مِنْ أَمَانِ (٣)

والحرب العوان : التى قوتل فيها مرة ، كأنهم جعلوا الأولى بكراً . وقوله بمفزع الأعضاء رواها ابن جنى : بموضع الأعضاء ، وقال أى دعته السيوف بمقابضها والرماح بأعقابها لأنها مواضع الأعضاء منها ، وحيث يمسك الطاعن والضارب ؛ قال : ويحتمل أن يريد دعته الدولة بمواضع الأعضاء من السيوف والرماح . أى اجتذبته واستمالته؛ قال ابن فورجه هذا ما ذهب إليه ابن جنى — مسخ للشعر لا شرح له وما قال الشاعر إلا بمفزع الأعضاء يعنى دعته الدولة عضدا ؛ والعضد : مفزع — ملجأ — الأعضاء كأنه شرح قوله بعضد الدولة امتنعت وعزت ؛ قال الواحدى : وهو على ماقال — ابن فورجه — يريد أن الدولة سمته عضدها وهى — العضد — مفزع الأعضاء ، لأن الأعضاء عند الحرب تفزع إلى العضد ، والعضد هى الدافعة عنها الحامية لسائر الأعضاء ؛ وحاصل المعنى أن الدولة دعته بعضدها وهو ملجؤها الذى تدخره لأيام الحروب .

(١) أسماه وسماه : بمعنى . يقول : إنه لا نظير له ، فلا يدعى أحد باسم ولا بكنية هو مثله أو تقول : إذا ذكر أحد اسمه أو كنيته فقد ذكر من لا يماثله أحد . فالمسمى : الداعى بالاسم ؛ والكانى : الداعى بالكنية .

(٢) يقول : إن فضائله لا يحيط بها الظن — على اتساعه — ولا تستوفيها الأخبار ، ولا تستقصى بالمشاهدة والعيان لكثرتها . وقوله عنه : قال الواحدى كان حقه أن يقول « عنها » لكنه علقه به لإقامة الوزن . أراد : ولا الإخبار عنه بها .

(٣) أروض : جمع أرض ، قالوا : وهذا الجمع قياس — لا سماع — فقد نص سيبويه على أن العرب لا تجمع الأرض جمع تكسير ، قال : واستغنوا عن تكسيرها بأرضات وأرضين ، وحكى أبو زيد فى جمع أرض : أروض . والمراد بالناس ههنا : الملوك . يقول إن أرض غيره من الملوك مخلوقة من التراب والخوف معا ، لأن الخوف ملازم لها لا يفارقها فكأنها خلقت منه كما خلقت من التراب ، وهذا كقوله تعالى « خلق الإنسان من عجل » لما كان فى أكثر أحواله عجلا صار كأنه مخلوق من عجلة — وأرض الممدوح كأنها مخلوقة من الأمان ، للزوم الأمن لها ، والمعنى أن أحداً لا يعيث فى نواحى مملكته هيبة له وخوفا منه .

تُذِمُّ عَلَى اللُّصُوصِ لِكُلِّ تَجْرٍ وَتَضْمَنُ لِلصَّوَارِمِ كُلَّ جَانِي (١)
إِذَا طَلَبَتْ وَدَائِعُهُمْ ثِقَاتٍ دُفِعْنَ إِلَى الْمَحَانِي وَالرِّعَانِ (٢)
فَبَاتَتْ فَوْقَهُنَّ بِلَا صِحَابٍ تَصِيحُ بِمَنْ يَمُرُّ : أَمَا تَرَانِي (٣)
رُقَاهُ كُلُّ أَبْيَضَ مَشْرَفِيٍّ لِكُلِّ أَصَمَّ صِلٍّ أُفْعُوَانِ (٤)

---

(١) تذم : أى الأرض . وفى رواية يذم : أى الممدوح ، وأذم له أعطاه الذمام وهو العهد والجوار . والتجر : جماعة التجار كالشرب ، لكن المتنبي أجرى التجر مجرى الواحد ذهابا إلى أنه واحد التجار كما قال الآخر :

* تُسائِلُ عَنْ أَبِيها كُلَّ رَكْبٍ *

يقول : إن أرض هذا الممدوح تجير كل تاجر من اللصوص فلا يخافون اللصوص ، إذ لا يستطيعون العدوان على أحد ، هيبة وخوفا من الممدوح ، وهى تضمن لسيوف الممدوح كل من يجنى جناية أن يكون طعمة لها إذ لا ينجو من يده .

(٢) الثقات : الذين يوثق بهم . والمحانى : جمع محنية ، منعطف الوادى . والرعان : جمع رعن ، أنف الجبل ، والضمير فى « ودائعهم » : للتجر . يقول : إن ودائع التجار إذا تركت فى محانى الأودية ورعان الجبال فكأنها عند ثقات أمناء ؛ يعنى إذا تركوها فى هذه الأماكن أمنوا ولم يخافوا عليها أحداً ، لأن هيبة الممدوح تحميها فلا يجرؤ أن يمسها أحد .

(٣) يقول : باتت بضائع التجار فوق المحانى والرعان ظاهرة للناظرين وكأنها تقول لمن مر بها : أما ترانى ؟ لأنه يعرض عنها فلا يجسر أن يمد يده إليها يعنى أنها لا حرز دونها وليس هناك من يحفظها ويحرسها غير هيبته فلا يجسر من يمر بها أن يمد يده إليها وإن لم ير عندها أحداً . قال اليازجى : وكان الوجه أن يقول « ألا ترانا » لأنه حكاية قول الودائع ولكنه لما استعمل لهن ضمير الواحدة فى قوله تصيح أجرى فعل التكلم مجرى فعل الغيبة .

(٤) الرقى : جمع الرقية ؛ والأبيض : السيف . والمشرفى نسبة إلى مشارف ، وهى قرى من أرض العرب تدنو من الريف تنسب إليها السيوف . والصل : ضرب من الحيات خبيث يشبه بها الرجل إذا كان داهيا نكرا فيقال : إن فلانا لصل أصلال . والأفعوان ذكر الأفعى . جعل اللصوص كالأفاعى وجعل سيوفه رقى لتلك الأفاعى ، فكما أن الحية يدفع أذاها بالرقية : كذلك هو يدفع عادية اللصوص بسيوفه .

وَمَا تُرْزَقُ لُهَاهُ مِنْ نَدَاهُ ... وَلاَ المَالُ الكَرِيمُ مِنَ الْهَوَانِ (١)

حَمَى أَطْرَافَ فَارِسَ شَمَّرِيٌّ ... يَحُضُّ عَلَى التَّبَاقِ بِالتَّفَانِي (٢)

بِضَرْبٍ هَاجَ أَطْرَابَ المَنَايَا ... سِوَى ضَرْبِ المَثَالِثِ وَالمَثَانِي (٣)

كَأَنَّ دَمَ الجَمَاجِمِ فِي العَنَاصِي ... كَسَا البُلْدَانَ رِيشَ الحَيْقُطَانِ (٤)

---

(١) اللهى : جمع لهية ، وهى العطية . يقول : مع أنه يرق أموال التجار من أفاعى اللصوص فإن عطاياه لا ترق من جوده وبذله أى لا تحمى منه ،ولا ماله الكريم يرق من هوانه ،لأن جوده يبددها ويهب أمواله فتبتذل فى أيدى الناس.

(٢) شمرى : جاد مشيح فى الأمور، كثير التشمير والانكماش فيها. وأراد بالتباق البقاء ؛ وبالتفانى : الفناء . يقول : إن الممدوح رجل شمرى حمى بلاد فارس بعضائه . يقول لأصحابه أفنوا أنفسكم فى الحرب ليبقى ذكركم فكأنكم باقون ببقائه ،وقال العروضى إن المعنى : حمى فارس بقتل اللصوص فاعتبر غيرهم فلم يؤذوا الناس ولم يستحقوا القتل فبقوا ، يعنى أنه إذا قتل أهل العيث والفساد كان فى ذلك زجر لغيرهم فيصير ذلك حثا لهم على اغتنام التباق ، فيكون هذا من قبيل قوله تعالى « ولكم فى القصاص حياة » ولكن يدل على المعنى الأول : البيت التالى .

(٣) بضرب : متعلق بحمى . والأطراب : جمع طرب؛ والمثالث والمثانى : من أوتار العود ، جمع مثلث ومثنى ، وهما الوتر الثالث والثانى . يقول : حمى أطراف فارس بضرب يطرب المنايا فيحركها ، لكثرة من يقتله وذلك الضرب غير ضرب العود الذى من شأنه أن يطرب ويهيج الشوق ، يعنى أنه يضرب بالسيوف ولا يميل إلى ضرب العود وما إليه .

(٤) العناصى : جمع عنصوة ، وزان ترقوة ، وهى الشعر المتفرق فى الرأس قال أبو النجم :

إِنْ يُمْسِ رأسى أشمط العَنَاصِي ... كأنما فَرَّقَهُ مُنَاصِ

* عَنْ هَامَةٍ كالحجرِ الرَّبَّاصِ *

[مناص : لعله من أناص الشىء عن موضعه : أى حركه وأداره عنه لينتزعه . والرباص : البراق] والحيقطان : ذكر الدراج ، وهو طائر شبيه بالحجل وأكبر منه أرقط بسواد وبياض قصير المنقار . يقول : إن جماجم الأعداء الذين أعمل فيهم سيفه

فَلَوْ طُرِحَتْ قُلُوبُ الْعِشْقِ فِيهَا ... لَمَا خَافَتْ مِنَ الْحَدَقِ الْحِسَانِ (١)
وَلَمْ أَرَ قَبْلَهُ شِبْلَىْ هِزَبْرٍ ... كَشِبْلَيْهِ وَلَا مُهْرَىْ رِهَانِ (٢)
أَشَدَّ تَنَازُعًا لِكَرِيمِ أَصْلٍ ... وَأَشْبَهَ مَنْظَرًا بِأَبٍ هِجَانِ (٣)
وَأَكْثَرَ فِى مَجَالِسِهِ اسْتِمَاعًا ... فُلَانٌ دَقَّ رُمْحًا فِى فُلَانِ (٤)
وَأَوَّلُ رَأْيَةٍ رَأَيَا الْمَعَالِى ... فَقَدْ عَلِقَا بِهَا قَبْلَ الْأَوَانِ (٥)

كانت تطير وشعورها المتلطخة بالدماء تنتثر على وجه البلدان ، فكأن دماءهم قد كست البلدان ريش هذا الطائر الكثير الألوان.

(١) قلوب العشق : أى قلوب أهل العشق . يقول: إن الأمن عم بلاد فارس حتى لو كانت قلوب العشاق فيها لما خشيت سهام أحداق الحسان ، وهو معنى غريب :

(٢) الشبل . ولد الأسد ؛ والهزبر : من أسماء الأسد ؛ والمهر: الحدث من الخيل. والرهان : السباق . يقول : لم أر فى الناس مثل ولديه اللذين هما كشبلى أسد فى الشجاعة ومهرى رهان فى المسابقة إلى غاية الكرم .

(٣) أشد : صفة لمهرى رهان. والهجان : الخالص الكريم . يقول : لم أر قبلهما ولدين أشد تنازعا — أى تجاذباً — لأصل كريم ، يعنى أن كل واحدمنهما ينزع إلى أصله نزوعا شديداً حتى كأنهما يتنازعانه فيريد أن يكون أكرم من صاحبه ، بأن يكون حظه أوفر من حظ صاحبه فى الكرم . ولم أر ولدين أشبه منهما بأب كريم خالص النسب .

(٤) الضمير فى «مجالسه» : يعود إلى أب . وجملة « فلان دق رمحا فى فلان » : حكاية ، وهى مفعول الاستماع . يقول :ولم أر ولدين أكثر منهما استماعا فى مجالس أبيهما لمثل هذه العبارة ، وهى فلان دق ـ كسر — رمحا فى فلان : يعنى أنه لايجرى فى مجلس أبيهما غير ذكر الطعان والطراد فهما لايسمعان غير ذلك .

(٥) رأية : فعلة من الرأى ؛ ورأيا : صفة لرأية ، والعائد محذوف : أى رأياها . والمعالى : خبر أول . وعلقا بها : عشقاها . يقول: أول شىء رأياه هو المعالى ، فقد عشقاها قبل أوان العشق ، وروى ابن جنى . وأول داية ، والداية : الظئر التى ترضع المولود — فيكون المعنى : إن المعالى تولت تربيتهما فهما يميلان إليها ويحبانها حب الصبى من رباه .

وَأَوَّلُ لَفْظَةٍ فَهِمَا وَقَالَا ... إغَاثَةُ صَارِخٍ أَوْ فَكُّ عَانِ (١)
وَكُنْتَ الشَّمْسَ تَبْهَرُ كُلَّ عَيْنٍ ... فَكَيْفَ وَقَدْ بَدَتْ مَعَهَا اثْنَتَانِ (٢)
فَعَاشَا عِيشَةَ الْقَمَرَيْنِ يُحْيَا ... بِضَوْئِهِمَا وَلَا يَتَحَاسَدَانِ (٣)
وَلَا مَلَكَا سِوَى مُلْكِ الْأَعَادِي ... وَلَا وَرِثَا سِوَى مَنْ يَقْتُلَانِ (٤)
وَكَانَ ابْنَا عَدُوٍّ كَاثَرَاهُ ... لَهُ يَاءَيْ حُرُوفِ أُنَيْسِيَانِ (٥)
دُعَاءٌ كَالثَّنَاءِ بِلَا رِئَاءٍ ... يُؤَدِّيهِ الْجَنَانُ إِلَى الْجَنَانِ (٦)

---

(١) الصارخ : المستغيث ، وإغاثته : نصرته ، والعانى : الأسير يقول : وأول كلام فهموه هو إجابة من استصرخهم ونصرته وفك الأسير من وثاقه ، و« لفظة » : تروى كلمة .

(٢) تبهر : أى الشمس ، وبهره : غلبه وقوله فكيف الخ : أى فكيف تصنع مثلا يقول : كنت شمسا تبهر العيون ببهائك فكيف اليوم وقد ظهر معك من ولديك شمسان آخران ؟

(٣) يدعو لهما بأن يبقيا بقاء الشمس والقمر ، يحيا الناس بضوئهما ، وأن لا يكون بينهما تحاسد أو اختلاف .

(٤) هذا دعاء لأبيهما بالحياة يقول: لا ملكا ملكك بل ملك الأعادى، ولا ورثاك إنما ورثا من يقتلانه من الأعداء .

(٥) كاثراه : فاخراه بالكثرة . وياءى . خبر « كان » ، وأنيسيان : مصغر إنسان وهو من شواذ التصغير ؛ وإنسان : خمسة أحرف ، وهو مكبر ، فإذا صغرته وقلت « أنيسيان » زاد عدد حروفه وصغر معناه ، والبيت دعاء أيضا . يقول : عدوك الذى له ابنان وكاثرك بهما كانا زائدين فى عدده ناقصين من حسبه وفخره بأن يكونا ساقطين خسيسين كياءى أنيسيان : يزيدان فى عدد الحروف وينقصان من معناه ، وقال بعض الشراح : أى إذا فاخرا — أى ابنا الممدوح — عدوا بتكثيرهما عدد رهطك ، فليكن ابنا ذلك العدو : أى العدد الذى يقابلهما — عنده بمنزلة الياءين فى أنيسيان : أى آيلين إلى نقصه وخسته وإن زادا فى عدده ، وهذا المعنى الثانى أنسب وأقرب والسيق يدل عليه .

(٦) دعاء : أى هذا دعاء . والرئاء : التظاهر بغير مافى الباطن . والجنان القلب يقول . وهذا الذى ذكرته دعاء وهو ثناء عليك لا رئاء فيه ، لأنه إخلاص من القلب

فَقَدْ أَصْبَحْتُ مِنْهُ فِى فِرِنْدٍ وَأَصْبَحَ مِنْكَ فِى عَضْبٍ يَمَانِ (١)

وَلَوْلاَ كَوْنُكُمْ فِى النَّاسِ كَانُوا هُرَاءً كَالْكَلاَمِ بِلاَ مَعَانِى (٢)

إلى القلب يخرج من قلبى فتفهمه بقلبك ، وتعلم أنه إخلاص لايشوبه رثاء .

(١) فرند السيف : جوهره ووشيه : والعضب : السيف القاطع . واليمانى : نسبة إلى اليمن ، شبه الممدوح بسيف يمان وشبه شعره بفرند ذلك السيف : أى أن شعره زينة للممدوح ؛ كالفرند للسيف ، لأنه نوه بمناقبه ومحامده ، وقد نزل منه فى منزل هو أهل له كنزول الفرند من السيف اليمانى وهو أجود السيوف .

(٢) فى الناس : خبر كونكم : والهراء : الساقط من الكلام ، قال ذو الرمة .

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمُ الحواشِي لاَهُرَاءٌ ولا نَزْرُ (١)

يقول : بكم صار للناس معنى ،ولولا كم لكان الناس كاللغو من الكلام الذىلامعنى له ، وهذا كقوله :

* والدَّهر لفظٌ وأنتَ مَعْناه *

---

(١) ويحتمل أن يكون الهراء — فى البيت — بمعنى المنطق الكثير ، والنزر القليل التافه ، قال ابن منظور : يريد ذو الرمة أن كلامها مختصر الأطراف وهذا ضد الهذر والإكثار ، وذاهب فى التخفيف والاختصار ، فإن قال قائل وقد قال ولانزر فلسنا ندفع أن الخفر يقل معه الكلام وتحذف منه أحناء المقال لأنه على كل حال لا يكون ما يجرى منه وإن خف ونزر أقل من الجمل التى هى قواعد الحديث الذى يشوق موقعه ويروق مسمعه .

قافية الهاء

وذكر سيف الدولة جدّ أبي العشائر وأباه فقال :

أَغْلَبُ الحَيِّزَيْنِ مَا كُنْتَ فِيـهِ ... وَوَلِيُّ النَّمَاءِ مَنْ تَنْمِيهِ [1]

ذَا الَّذِي أَنْتَ جَـدُّهُ وَأَبُوهُ ... دِنْيَةً دُونَ جَـدِّهِ وَأَبِيهِ [2]

* * *

(١) الحيز : المكان الذى يحوز الشيء ، والمراد : حيز النسب ؛ والولى . هنا : الصاحب . وتنميه : ترفعه ، وكل شيء رفعته فقد نميته ومنه قول النابغة .

فَعَدِّ عَمَّا تَرَى إِذْ لاَ ارْتِجَاعَ لَهُ ... وَانْمِ القُتُودَ عَلَى عَيْرَانَةٍ أُجُدِ [1]

يقول : الجانب الذى أنت فيه هو أغلب الجانبين ، يعنى أن عشيرة تنسب إليها وتكون منها يغلبون بك غيرهم لدى المساماة ، ومن ترفعه أنت فهو كل يوم فى زيادة ورفعة . هذا ولنعد إلى الحيز ، فنقول : قال العكبرى . الحيز فيعل من حاز يحوز وهو المكان ، وسيبويه يجمعه حيايز ، والأخفش حياوز قال : وتحيز تحيزاً ، قال سيبويه : هو تفعل من حزت الشيء ، يريد أن وزن تحيز تفعل ، وكان أصله تحيوز ثم قلب وأدغم قال القطامى :

تَحَـيَّزُ مِنِّى خَشْيَةً أَنْ أُضِيفَهَا ... كَمَا انْحَازَتِ الأفعى مَخَافَةَ ضَارِبِ [2]

(٢) يقال هو ابن عمى دنية ودنيا — بالتنوين — أى أدنى — أقرب — بنى العم إلى . يقول : هـذا الذى أنت جده وأبوه — يعنى أبا العشائر — يعنى أنه ربيب نعمتك وغذى دولتك فأنت إذن جـده وأبوه دنية لا اللذان ولداه ، .

يقول : اتصاله بك فى القرابة يغنيه عن ذكر الجد والأب ، فهو بك يفتخر لابهما .

---

(١) القتود : جمع قتد — بالتحريك — اسم لأداة الرحل ، والعيرانة : الناقة الناجية فى نشاط ، أوهى التى شبهت بالعير — حمار الوحش — فى سرعتها ونشاطها ، وناقة أجد موثقة الخلق .

(٢) يقول : تتنحى هذه العجوز وتتأخر خوفا أن أنزل عليها ضيفا .

وأجمل سيف الدولة ذكره وهو يسايره فقال :

أَنَا بِالْوُشَاةِ إِذَا ذَكَرْتُكَ أَشْبَهُ ... تَأْتِى النَّدَى وَيُذَاعُ عَنْكَ فَتَكْرَهُ[(١)]
وَإِذَا رَأَيْتُكَ دُونَ عِرْضِى عَارِضاً ... أَيْقَنْتُ أَنَّ اللهَ يَبْغِى نَصْرَهُ[(٢)]

* * *

وقال يمدح أبا العشائر ويودعه وقد أراد سفراً :

أَلنَّــــاسُ مَالَمْ يَرَوْكَ أَشْبَاهُ ... وَالدَّهْرُ لَفْظٌ وَأَنْتَ مَعْنَاهُ[(٣)]
وَالْجُودُ عَـــيْنٌ وَأَنْتَ نَاظِرُهَا ... وَالْبَأْسُ بَاعٌ وَأَنْتَ يُمْنَاهُ[(٤)]

---

(١) الوشاة : جمع واش ، وهو النمام . يقول : أنت تجود على الناس وتسخو وتحب طى ذلك ، وتكره أن يذاع عنك لمكانك من النبل ، فإذا ذكرتك بالجود كنت من الوشاة الذين يذيعون ما يكره صاحبه أن يظهر .

(٢) العرض : مايمدح ويذم من الإنسان . وعارضا : أى معترضا ، حال لأن رؤية العين لاتتعدى إلا إلى مفعول واحد يقول : إذا رأيتك تدفع عن عرضى وتحمى دونه علمت يقينا أن الله يريد نصر ذلك الذى تذود عنه ـ يعنى المتنبي بهذا نفسه ، لأن سيف الدولة أجمل ذكره ، يريد أن الله سبحانه ينصرنى على حسادى وأعدائى إذا جعلك تمدحنى وتحسن القول فى ـ هذا : والروى ـ فى هذين البيتين ـ هو الهاء ـ لا الراء ـ وإن اتفقت القافيتان الأخيرتان فى التزامها ـ أى الراء ـ وقول من قال إن هاء الإضمار إذا تحرك ماقبلها لاتكون إلا وصلا مقيد بما إذا تكررت ، لئلا يكون من قبيل الإيطاء ، فإن لم تتكرر كما فى البيتين كانت كغيرها من الحروف .

(٣) يقول : الناس أشباه وأمثال بعضهم لبعض ، فإذا رأوك اختلفوا بك إذ لا نظير لك بينهم ، كما قال :

بَعْضُ الْبَرِيَّةِ فَوْقَ بَعْضٍ خَالِياً ... فَإِذَا حَضَرْتَ فَكُلٌّ فَوْقٍ دُونَا

ثم قال : وأنت معنى الدهر لأنه بك يحسن ويسىء ، وهذا منقول من قول ابن دريد .

وَاللهُ يَعْلَمُ وَالرَّاضِى وَشِيعَتُهُ ... أَنَّ الْوِزَارَةَ لَفْظٌ أَنْتَ مَعْنَاهُ

(٤) ناظر العين : إنسانها والبأس : الشجاعة . والباع : قدر مد اليدين ؛ وباع

أفدِي الّذِي كُلُّ مَأزِقٍ حَرِجٍ أغْـبَرَ فُرْسَانُهُ تَحامَاهُ[(١)]
أعْلَى قَنَاةِ الحُسَـيْنِ أوْسَطُهَا فِيهِ وَأعْلَى الكَمِيِّ رِجْلاهُ[(٢)]

الحبل يبوعه بوعا : مد يديه معه حتى صار باعا ، كما تقول شبرته ـ من الشبر ـ وربما عبر بالباع عن الشرف والكرم ، قال العجاج :

إذَا الكِرَامُ ابْتَدَرُوا البَاعَ بَدَرْ تَقَضِّيَ البَازِي إذَا البَازِي كَسَرْ[(١)]

وقال حجر بن خالد أحد بنى قيس بن ثعلبة :

نُدَهْدِقُ بَضْعَ اللَّحْمِ لِلْبَاعِ وَالنَّدَى وَبَعْضُهُمُ تَغْلِي بِذَمٍّ مَنَاقِعُهْ

« الدهدقة : دوران البضع الكثير فى القدر إذا غلت تراها تعلو مرة وتسفل أخرى ؛ والمناقع : القدور الصغار ، واحدها منقع ومنقعة » . يقول المتنبى : أنت من الجود بمنزلة الناظر من العين ، ومن البأس بمنزلة اليمين من الباع ، وهذا من قول على بن جبلة :

وَلَو جَزَّأَ اللهُ العُلَى فَتَجَزَّأَتْ لَكَانَ لكَ العَيْنَانِ وَالأذُنَانِ

(١) المأزق : المضيق ، يراد به ساحة الحرب ؛ والحرج : الضيق ؛ وكل : مبتدأ ؛ خبره : جملة « فرسانه تحاماه » ، والضمير فى فرسانه : يعود على المأزق ؛ وفى تحاماه ؛ يعود على الذى ؛ وأغبر : أى كثير الغبار ، صفة لمأزق ؛ وتحاماه — بحذف إحدى التاءين — أى تتحاماه . يقول : أفدى الذى تتحاماه الأبطال فى الحرب لأنها تكره ملاقاته لشجاعته .

(٢) فيه : أى فى ذلك المأزق ؛ والكمى : البطل المغطى بسلاحه . يقول : أفدى هذا الممدوح الذى يشهد كل مأزق ضيق تتأطر فيه — تنثنى وتعوج — قناة رمحه للينها حين يحمل قرنه برمحه فيصير أوسطه أعلاه ويكون الفارس الكمى منكسا ، كما قال امرؤ القيس :

* أرُجُلهم كالخشب الشائل *

قال ابن جنى : سألته — المتنبى — عن معنى هذا البيت ، فقال هو مثل البيت الآخر :

---

(١) كسر الطائر : ضم جناحيه حتى ينقض يريد الوقوع ، وتقضى البازى انقض وأصله تقضض ، فلما كثرت الضادات أبدلت من إحداهن ياء .

تُنشِدُ أثوابُنَا مَدائحَهُ ... بِألْسُنٍ مالَهُنَّ أفْواهُ(١)
إذَا مرَرْنَا عَلَى الأصَمِّ بِهَا ... أغْنَتْهُ عَنْ مِسْمَعَيْهِ عَيْنَاهُ(٢)
سُبْحانَ مَنْ خارَ لِلكَواكِبِ بالْـ ... بُعْدِ ولَوْ نِلْنَ كُنَّ جَدْوَاهُ(٣)
لَوْ كانَ ضَوْءُ الشُّمُوسِ فى يَدِهِ ... لَضاعَهُ جُودُهُ وَأفْنَاهُ(٤)

وَلَرُبَّما أطَرَ القَناةَ بِفارِسٍ ... وَثَنَى فَقَوَّمَها بآخَرَ مِنْهُمُ

(١) هنا زلت قدم ابن جنى وتبلد حماره ولج به عثاره إذ قال: يخلع عليهم ثيابا تنشد مدائحهم فيه بألسن مالهن أفواه تقعقع لجدتها والأصم يستغنى برؤيتها عن صوتها. قال العروضى: هذا كلام من لم ينظر فى معانى الشعر ولم يرو الكثير منه، وكنت أربأ بأبى الفتح عن مثل هذا القول، ألم يسمع قول نصيب.

فعاجُوا فأثْنَوْا بالذى أنتَ أهْلُه ... ولَوْ سكَتُوا أثنَتْ عليْكَ الحَقائِبُ

ولم يكن للحقائب جعجعة. إنما أراد أنهم يرونها ممتلئة، كذلك أراد المتنبى أنا نلبس خلعه وأثوابه فيراها الناس علينافيعلمون أنها من هداياه، فكأنها قد أثنت عليه وأنشدت مدائحه بألسن لاتتحرك فى أفواه لأنها لاتنطق فى الحقيقة إنما يستدل بها على جوده، فكأنها أخبرت ونطقت.

(٢) المسمع: الأذن. والبيت تأكيد للذى قبله. يقول: إذا مررنا على الأصم — الذى لايسمع — وهذه الأثواب علينا علم أن الممدوح قد أنعم بها فاستغنى برؤيتها عن أن تخبره بعطائه.

(٣) خار الله له كذا وبكذا: إذا اختار له ذلك؛ ونلن: أى كن مما ينال ويحرز. قال العكبرى: وهى بالكسر — أى كسر النون — أفصح من الضم وقال الواحدى: نلن: وزنه فعلن — بضم الفاء — مثل بعن، يستوى فيه فعلن وفعلن، ومنهم من يجعلها بين الضم والكسر — مثل قيل — لئلا يلتبس فعلن وفعلن — أى المعلوم بالمجهول — والجدوى: العطية. يقول: سبحان الله الذى اختار للكواكب البعد لأنها لونيلت وأحرزت لفرقها الممدوح فى جملة عطاياه.

(٤) صاعه: فرقه، يقال صاع الشجاع أقرانه: أى حمل عليهم ففرق جمعهم، وصاع الراعى ماشيته: أى فرقها فى المرعى وجمع الشمس على تقدير أن لكل يوم شمسا.

يَا رَاحِلاً كُلُّ مَنْ يُوَدِّعُـــهُ مُـــوَدِّعٌ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ(١)
إنْ كَانَ فِيمَا نَرَاهُ مِنْ كَرَمٍ فِيكَ مَزِيدٌ فَزَادَكَ اللهُ(٢)

* * *

وقال قوم لم يكنك أبو الطيب يا أبا العشائر وأنت تعرف بكنيتك فقال :

قَالُوا أَلَمْ تَكْنِهِ ؟ فَقُلْتُ لَهُمْ ذَٰلِكَ عِيٌّ إذَا وَصَفْنَاهُ(٣)
لاَ يَتَــوَقَى أَبُو الْعَشَائِرِ مِنْ لَبْسِ مَعَانِي الْوَرَى بِمَعْنَاهُ(٤)

---

(١) قال الواحدى : يريد أنه لادين إلا به ؛ لأنه يحفظه على الناس ، ولا دنيا إلا معه ، لأنه ملك ، فمن ودعه فقد ودعهما :

(٢) فيك : متعلق بـ«نراه» ؛ ومزيد : اسم «كان» . يقول: لامزيد على كرمك ، لأنه قد بلغ الغاية ، فإن كان يقبل الزيادة فزادك الله منه .

(٣) كناه : دعاه بكنيته . والعى : ضدالإفصاح . يقول: إنا إذا وصفناه كانذكر كنيته عيا منا ، لأن وصفه يغنى عن كنيته بكونه لايصلح إلا له فقد عرف بذلك، وإن لم يكن . هذا : ولابن جنى والواحدى هنا نقد دقيق ، قالا إن الاستفهام إذا دخل على النفى رده إلى التقرير ، كقوله تعالى « أليس فى جهنم مثوى للكافرين » أى فيها مثوى لهم ، وكقول جرير .

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

أى أنتم خير من ركب المطايا الخ . فعلى هذا يكون قوله « ألم تكنه »معناه كنيته والقوم ـ الذين لا حظوا على المتنبى — لم يريدوا هذا ، إنما أرادوا نفى الكنية ، فكان من حقه أن يقول — المتنبى — قالوا ولم تكنه ، ولا يأتى بحرف الاستفهام وابن فورجه يقول فى هذا إنه استفهام صريح ليس فيه تقرير ، كأن واحدا من القوم سأل أبا الطيب فقال :ألم تكنه ، أى هل كنيته ؟ هذا قوله — قول ابن فورجه ـ والاستفهام الصريح لا يكون بالنفى لأنك إذا استفهمت أحدا : هل فعل شيئاً قلت: أفعلت كذا ! ولم تقل : ألم تفعله ؟

(٤) اللبس : الالتباس . يقول : لا يحذر ولا يخشى أن تلتبس معانى الورى بمعناه أى أن تختلط صفاته ومعانى مدحه بصفات غيره ومعانيه — لأنه قد انفرد عن الناس بخصائص لا يشارك فيها ولا يوصف بها غيره ، وإذن لا يحتاج فى مدحه إلى ذكر كنيته

أفْرَسُ مَنْ تَسْبَحُ الجِيَادُ بِهِ   وَلَيْسَ إلاَّ الحَدِيدَ أمْوَاهُ(١)

***

وكان الأسود قد عمر داراً وانتقل إليها فمات له فيها خمسون غلاما ، ففزع من ذلك وخرج منها إلى دار أخرى ، فقال وأنشده إياها فى شهر المحرم سنة سبع وأربعين وثلاثمائة:

أحَقُّ دَارٍ بِأنْ تُسْمَى مُبَارَكَةً   دَارٌ مُبَارَكَةُ المَلْكِ الذى فِيهَا(٢)
وَأجْدَرُ الدُّورِ أنْ تُسْقَى بِسَاكِنِهَا   دَارٌ غَدَا النَّاسُ يَسْتَسْقُونَ أهْلِيهَا(٣)
هَـذِى مَنَازِلُكَ الأخْرَى نُهَنِّئُهَا   فَمَنْ يَمُرُّ عَلَى الأُولَى يُسَلِّيهَا(٤)

ولا يتوقى : رواها الواحدى : لا يتوفى ، قال ؛ ومعناه لا يستوفى هذه الكنية ، وهذا اللفظ رجلا يزيد معناه على معانى الورى كلهم ، لأن فيه من معنى الكرم والمدح ماليس فيهم ، وليست هذه الرواية بشىء .

(١) أفرس : أى هو أفرس ؛ وأفرس من الفروسية . والجياد : الخيل وسبحها: عدوها — جريها — حتى كأنها تسبح فى بحر . ونصب « الحديد » على أنه استثناء مقدم ، واسم « ليس» أمواه ، وخبرها محذوف ،والتقدير : وليس فى الأرض أمواه إلا الحديد . يقول : هو أفرس من تجرى به الخيل حالة كون الأسلحة والدروع من حوله كبحر من الحديد — لكثرتها ـ تسبح الخيل فيه ، لما ذكر سبح الجياد جعل الحديد أمواها .

(٢) الملك : تخفيف الملك . يقول : أحق الديار بأن تدعى وتسمى مباركة دار ملكها الذى فيها مبارك ، يعنى إذا كان صاحب الدار مباركا فداره أحق الدور بأن تدعى مباركة .

(٣) استسقاه : سأله السقيا . يقول : أجدر الدور وأحقها بأن تكون مسقية ببركة من يسكنها دار سكانها سقاة الناس ، يعنى إذا كان سكان الدار يسقون الناس وينفعونهم فتلك الدار أولى الديار بأن تكون مسقية بهم تشملها بركاتهم ومبراتهم .

(٤) يقول . هذه التى انتقلت إليها وعدت نهنئها بعودك إليها ، فمن الذى يأتى الدار التى فارقتها فيعزيها لما ألم بساحتها من الحزن لفراقك إياها ؟

إذَا حَلَلْتَ مَكَانًا بَعْدَ صَاحِبِهِ جَعَلْتَ فِيهِ عَلَى مَا قَبْلَهُ تِيهَا(١)
لاَ يُنْكِرُ الْعَقْلُ مِنْ دَارٍ تَكُونُ بِهَا فَإِنَّ رِيحَكَ رُوحٌ فِي مَغَانِيهَا(٢)
أَتَمَّ سَعْدَكَ مَنْ لَقَّاكَ أَوَّلَهُ وَلاَ اسْتَرَدَّ حَيَاةً مِنْكَ مُعْطِيهَا(٣)

* * *

ونزل أبو الطيب فى أرض جِشْمَى برجل يقال له وردان بن ربيعة الطائى فاستغوى وردان عبيد أبى الطيب : فجعلوا يسرقون له من أمتعته ، فلما شعر أبو الطيب بذلك ضرب أحد عبيده بالسيف فأصاب وجهه وأمر الغلمان فأجهزوا عليه كما تقدم — وقال يهجو وردان:

لَئِنْ تَكُ طَيِّئٌ كَانَتْ لِئَامًا فَأَلأَمُهَا رَبِيعَةُ أَوْ بَنُوهُ(٤)
وَإِنْ تَكُ طَيِّئٌ كَانَتْ كِرَامًا فَوَرْدَانٌ لِغَيْرِهِمِ أَبُوهُ(٥)

---

(١) تاه فلان تيها إذا تكبر وافتخر . يقول : إذا نزلت مكانا بعد أن ارتحلت عن مكان آخر تاه الثانى ـ الذى حللته — على الأول — الذى فارقته — وافتخر عليه بنزولك إياه .

(٢) لا ينكر العقل يروى «لا ينكر الحس» والمغانى جمع مغنى وهو المنزل والمسكن يقول : لا ينكر على الدار التى تحلها أن تكون ذات شعور تفرح بسكناك وتحزن بمفارقتك فإن ريحك روح لها .

(٣) يدعو له . ولقاك : يروى أعطاك .

(٤) و (٥) لئن تك يروى ، أن تك ، فيكون فيه خرم . وربيعة هو أبو وردان ، و«أو» من قوله أو بنوه : لك أن تبقيها على معناها ولك أن تجعلها بمعنى الواو . يقول : إن كانوا لئاما فألأمهم أبوه وبنو أبيه ، وإن كانوا كراما فأبو وردان ليس منهم ، أى هو دعى فيهم ، وقال العكبرى ؛ تعليقا على « وردان » . وردان مشتق من الورد، ولو سميت رجلا بوردان تثنية ورد : جاز لك فيه وجهان : أحدهما أن تجريه مجرى مروان فتعربه كإعرابه ولا تصرفه ؛ والثانى أن تلفظ التثنية ، تقول فى رفعه : جاءنى وردان ، وفى نصبه رأيت وردين ، وفى جره مررت بوردين .

مَرَرْنَا مِنه فى حِسْمَى بِعَبْدٍ يَمُجُّ اللُّؤْمَ مَنْخِرُهُ وَفُوهُ(١)
أَشَذَّ بِعِرْسِهِ عَنِّى عَبِيدِى فَأَتْلَفَهُمْ وَمَالِى أَتْلَفُوهُ(٢)
فَإِنْ شَقِيَتْ بِأَيْدِيهِمْ جِيَادِى لَقَدْ شَقِيَتْ بِمُنْصُلِى الوُجُوهُ(٣)

***

وقال يمدح عضد الدولة أبا شجاع فَنَّا خُسْرُوْ سنة أربع وخمسين وثلثمائة :

أَوْهِ بَدِيلٌ مِنْ قَوْلَتِى وَاهًا لِمَنْ نَأَتْ وَالْبَدِيلُ ذِكْرَاهَا(٤)

---

(١) مررنا منه بعبد : تجريد ، وحسمى موضع ، وقد مر . ومج الشراب والشىء من فيه يمجه مجا ومج به : رماه ولفظه ، وقد يستعمل فى الأعراض ، كما قال القائل :

لَدَدْتُهُمُ النَّصِيحَةَ كل لَدٍّ فَمَجُّوا النُّصْحَ ثُمَّ ثَنَوْا فقاءوا

(اللد : فى الأصل أن يؤخذ بلسان الصبى فيمد إلى أحد شقيه ويوجر فى الآخر الدواء فى الصدف بين اللسان وبين الشدق) يقول : مررنا فى هذا المكان من وردان بعبد قد أفعم لؤما حتى إن أنفاسه لؤم ، أى لا يتكلم إلا بما يدل على لؤمه .

(٢) شذ العبد : إذا هرب وأشذه غيره: هربه وأقصاه ، والعرس امرأة ، الرجل. يقول : فرق عنى عبيدى بسبب امرأته ، يعنى أغراهم بالفجور بها ودعاهم إلى ذلك فأتلفهم لأنه حملهم على الفجور ، وهم أتلفوا مالى لأنهم أتلفوه على امرأته .

(٣) الجياد : الخيل ، والمنصل : السيف . وقوله : لقد شقيت أراد فلقد شقيت . يقول : إن كانت خيلى قد شقيت بأخذهم إياها فقد شقى وجه الآخذ بسيفى ، يشير إلى العبد الذى ضربه بسيفه فأصاب وجهه ، وذلك أن عبدين له ركبا فرسين من خيله وأخذ أحدهما سيفا لأبى الطيب كان وردان قد طمع فيه وهربا . فأحس أبو الطيب بذلك ، فلحق أحد العبدين فقتله ونجا الآخر ، وقد تقدم ذلك فى قافية الفاء .

(٤) أوه : كلمة تعجب قال :

فَأَوْهِ لِذِكْرَاهَا إذا ما ذَكَرْتُهَا وَمِنْ بُعْدِ أَرْضٍ بَيْنَنَا وسماء

وواها : كلمة تعجب واستطابة ، قال أبو النجم .

* وَاهًا لِرَيَّا ثم واهًا واهًا *

أَوْهِ لِمَنْ لاَ أَرَى مَحَاسِنَهَا وَأَصْلُ وَاهاً وَأَوْهِ مَرْآهَا[1]
شَامِيَّةٌ طَالَمَا خَلَوْتُ بِهَا تُبْصِرُ فِي نَاظِرِي مُحَيَّاهَا[2]
فَقَبَّلَتْ نَاظِرِي تُغَالِطُنِي وَإِنَّمَا قَبَّلَتْ بِهِ فَاهَا[3]
فَلَيْتَهَا لاَ تَزَالُ آوِيَةً وَلَيْتَهُ لاَ يَزَالُ مَأْوَاهَا[4]

ونأت : فارقت وبعدت . يقول : كنت أتعجب من وصالها — الحبيبة — وأستطيب قربها فصرت الآن أتوجع لفراقها ، فصار التأوه بديلا من التعجب والاستطابة ، وصار ذكرى إياها بديلا منها لى بعد أن فارقتنى ، ويجوز أن يكون معنى والبديل ذكراها : أن هذا البديل الذى هو التوجع ذكرى لها أى كلما ذكرتها توجعت وقلت أوه ، فقوله لمن نأت : أى لأجل من نأت .

(١) يقول : أتوجع لأنى لا أرى محاسنها ولو لم أرها لم أستطب قربها ولم أتوجع لفراقها ، أى إنما أتانى هذان بسبب رؤيتها .

(٢) الناظر : العين أو إنسانها والمحيا الوجه . قال الواحدى : هذا يحتمل معنيين أحدهما : أنه يريد فرط قربها منه ، حتى أنها منه بحيث ترى وجهها فى ناظره ، وهذا عبارة عن غاية القرب ، والآخر : أنه أراد حبها إياه فهى تنظر إلى وجهه وتدنو منه لحبه حتى ترى وجهها فى ناظره .

(٣) قال ابن جنى : معنى البيت أن الناظر — وهو موضع البصر من العينين — كالمرآة إذا قابله شىء أدى صورته ، فهو يقول : أوهمتنى أنها قبلت عينى وإنما قبلت فاها الذى رأته فى ناظرى ، ألا تراه قال تبصر فى ناظرى محياها ؟

(٤) يقول : ليت ناظرى مأواها أبدا ، وليتها لا تزال تأوى إلى ناظرى . يريد أنه يتمنى دوام قربها الذى ذكره . قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى : أنه يرضى بأن يكون بصره مأواها من حبه إياها . يقول : لو أوت إلى ناظرى فاتخذته مأوى لها لكان ذلك مناى . هذا : وقوله « آوية » رواها ابن جنى آويه واحتج للتذكير بأنه أراد لا تزال شخصا آويه ، كما قال الآخر .

قَالَتْ وَتَبْكِيهِ على قَبْرِهِ مَنْ لى مِن بَعْدِكَ يَاعامر
تَرَكْتَنِي فى الدَّارِ ذا غُرْبَةٍ قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرُ

أى تركتنى شخصا ذا غربة .

كُلُّ جَرِيحٍ تُرْجَى سَــلامَتُهُ إلاَّ فُؤاداً دَهَتْــهُ عَيْناهَا(١)
تَبُلُّ خَــدَّىَّ كُلَّمَا ابْتَسَمَتْ مِنْ مَــطَرٍ بَرْقُهُ ثَنَايَاهَا(٢)
مَا نَفَضَتْ فِي يَدِي غَــدَائِرُهَا جَعَلْتَهُ فِي الْمُدَامِ أَفْوَاهَا(٣)
فِي بَلَدٍ تُضْرَبُ الْحِجَالُ بِهِ عَلَى حِسَانٍ وَلَسْــنَ أَشْبَاهَا(٤)

---

(١) دهته : أصابته ، ويروى رمته . يقول : من أصابته بعينها فتيمته لم ترج صلامته .

(٢) الثنايا : جمع ثنية ، وهى السن فى مقدم الفم . وهنا عثر ابن جنى عثرة يرحم لها ، قال : دل بهذا البيت على أنها كانت مكبة عليه وعلى غاية القرب منه ، قال ابن فورجه أيظنها وقفت عليه تبكى حتى سال دمعها عليه ؟ ومعنى البيت أن دموعى كالمطر تبل خدى، كلما ابتسمت بكيت ، فكأن دمعى مطر برقه بريق ثناياها إذا كان بكائى فى حال ابتسامها كقوله :

* ظلت أبكى وتبسم *

وكقول غيره :

أبكى وَيضحكُ مِن بكاى وَلن ترَى عجباً كحاضِر ضِحكهِ وَبُكائِى

ونحو هذا قول أبى بكر الخوارزمى :

عذيرِىَ مِن ضِحْكٍ غَدَا سَبَبَ الْبُـكَا وَمِن جَنَّةٍ قَدْ أَوْقَعَتْ فِى جَهَنَّمَ

(٣) الغدائر : الضفائر ، وهى الذوائب من الشعر ؛ والمدام الخمر . والأفواه أخلاط الطيب ، واحدها فوه — بضم الفاء — يقول : إن غدائرها لكثرة ماضمختها به من الطيب صار ينتفض منها الطيب ، وإذا نفضت غدائرها الطيب فى يدى طيبت به المدام .

(٤) فى بلد : هذه المحبوبة فى بلد النخ . والحجال : جمع حجلة ، بيت كالقبة يزين بالثياب والأسرة والستور ، ويكون له أزرار كبار وهى حجلة العروس . يقول : هى فى بلد فيه حسان كثيرات مخدرات لكنهن لا يشبهنها فى الجمال ، أى أنها تفضلهن فى الحسن والجمال . قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى أن كل واحدة منهن منفردة من الحسن بما لايشاركها فيه غيرها فلا يشبه بعضهن بعضا .

لَقِينَنَا وَالْحُمُولُ سَائِرَةٌ ... وَهُنَّ دُرٌّ فَذُبْنَ أَمْوَاهَا(١)
كُلُّ مَهَاةٍ كَأَنَّ مُقْلَتَهَا ... تَقُولُ إِيَّاكُمُ وَإِيَّاهَا(٢)
فِيهِنَّ مَنْ تَقْطُرُ السُّيُوفُ دَمًا ... إِذَا لِسَانُ الْمُحِبِّ سَمَّاهَا(٣)
أُحِبُّ حِمْصًا إِلَى خُنَاصِرَةٍ ... وَكُلُّ نَفْسٍ تُحِبُّ مَحْيَاهَا(٤)
حَيْثُ الْتَقَى خَدُّهَا وَتُفَّاحُ لُبْـ ... ـنَانَ وَثَغْرِي عَلَى حُمَيَّاهَا(٥)
وَصِفْتُ فِيهَا مَصِيفَ بَادِيَةٍ ... شَتَوْتُ بِالصَّحْصَحَانِ مَشْتَاهَا(٦)

---

(١) الحمول : الإبل عليها الهوادج أكان فيها نساء أم لم يكن ، وأمواها : حال يقول : إن هؤلاء الحسان لقيننا وقد سارت الركاب بهن وهن كالدر حسنا ونقاء وصيانة فصرن سرابا لما بعدن عنا ، وقال ابن جنى معنى : « فذبن أمواها » أجرين دموعهن أسفا علينا ، وبعبارة : بكين لفراقنا بدمع كثير حتى كأن أبدانهن قد ذابت وسالت دموعا . وقال الواحدى : يجوز أن يكون المعنى غبن عنا فإن الدر جامد ، والذوب يسيله ، وقال غيرهما : إن المعنى نزلن فى الوادى سائرات فاستحيين منا فذبن أمواها .

(٢) المهاة : البقرة الوحشية تشبه بها المرأة الحسناء لحسن عينيها . يقول : كل امرأة كأنها مهاة وكأن مقلتها تقول للناظرين إليها احذروا أن تصيدكم وتسبيكم ، يعنى أنها مهاة صائدة لامصيدة .

(٣) فيهن : أى فى كل مهاة . يقول : فيهن من هى منيعة لايجرؤ العاشق أن يذكرها ولو هو ذكرها لقطرت السيوف دما ، لكثرة من يمنعها ويغار عليها ويحفظها بسيفه أى إذا ذكرها العاشق وكان له عشيرة تنصره شبت الحرب بين قومه وبين قومها فسالت الدماء

(٤) حمص وخناصرة : بلدان بالشام . ومحياها : موطن حياتها . يقول : أحب حمص وما يليها إلى خناصرة لأنها موضع نشأتى وكل نفس تصبو إلى موطن حياتها وحيث نشأت .

(٥) الثغر : مقدم الفم . والحميا : الخمر أو سورتها . يقول : أحب هذين الموضعين حيث اجتمعت لى هذه الطيبات خد الحبيب وثغرى وتفاح الشام — وهو أحمر — وشرب المدام .

(٦) صفت : أقمت الصيف . وشتوت : أقمت الشتاء والصحصحان : الأرض

إنْ أعْشَبَتْ رَوْضَةٌ رَعَيْنَاهَا أوْ ذُكِرَتْ حِلَّةٌ غَزَوْنَاهَا(١)
أوْ عَرَضَتْ عَانَةٌ مُقَزَّعَةٌ صِدْنَا بِأُخْرَى الجِيَادِ أُوْلَاهَا(٢)
أوْ عَبَرَتْ هَجْمَةٌ بِنَا تُرِكَتْ تَكُوسُ بَيْنَ الشُّرُوبِ عَقْرَاهَا(٣)
وَالخَيْـلُ مَطْرُودَةٌ وَطَارِدَةٌ تَجُرُّ طُولَى القَنَا وَقُصْرَاهَا(٤)

المستوية الواسعة ، أو موضع . يقول : وأقمت بها صيفا كصيف أهل البادية ، وأقمت بالصحصحان شتاء كشتاء أهل البادية : أى على رسم أهل البادية وعادتهم فى الصيد والغزو ونحوها مما ذكره فى الأبيات التالية.

(١) الروضة : الأرض فيها بقل وعشب ؛ والحلة : اسم لبيوت وجماعة نزلوا بمكان وهذا البيت كالتفسير للذى قبله. يقول : إذا أعشب مكان رعينا ذلك المكان كعادة أهل البادية فى تتبع مساقط الغيث ، وإذا ذكر لنا قوم حلوا بمكان غزوناهم وأغرنا عليهم .

(٢) العانة : القطيع من حمر الوحش . ومقزعة : خفيفة مفرقة كالقزع ، وهى قطع السحاب ، ورواها ابن جنى مفزعة : يعنى أنها قد فزعت ، فهو أخف لها وأشد على قانصها . يقول : إذا ظهر لنا قطيع من حمر الوحش صدنا بآخر خيلنا أولاها ، يعنى أن خيلهم سريعة تلحق آخرها أول القطيع ، وحمر الوحش توصف بسرعة العدو — الجرى —

(٣) الهجمة : القطعة من الإبل من أربعين فما فوق، وكاس البعير يكوس : إذا مشى على ثلاث قوائم ، والشروب جمع شرب ، جمع شارب ، يريد الذين يشربون الخمر ، وعقراها جمع عقير — أى معقور — أى البعير الذى قطعت إحدى قوائمه لينحر ، يفعلون به ذلك لئلا يشرد عن النحر ، يقول : إذا مرّبنا قطيع من الإبل سطونا عليه فعقرناه يمشى بين الشاربين معرقبا .

(٤) يقول : والفرسان يتطاردون ويلعبون بالرماح ، فبعض خيلهم مطرود ، وبعضها طارد ، وهى تجر الطويل من الرماح والقصير منها ، هذا : والطولى: تأنيث الأطول ، والقصرى : تأنيث الأقصر ، قالوا : وفعلى إذا كانت تأنيث أفعل ،مثل طولى وقصرى لا يجوز استعمالها إلا مضافة أو معرفة بلام التعريف، وإن كان قد قرئ «وقولوا للناس حسنى» بغير تنوين فهو على إرادة الإضافة : أى حسنى القول ، وكذلك أتى فى شعر أبى نواس :

يُعْجِبُهَا قَتْلُهَا الْكُمَاةَ وَلاَ يُنْظِرُهَا الدَّهْرُ بَعْدَ قَتْلاَهَا(١)
وَقَدْ رَأَيْتُ الْمُلُوكَ قَاطِبَةً وَسِرْتُ حَتَّى رَأَيْتُ مَوْلاَهَا(٢)

كَأَنَّ صُغْرَى وكُبْرَى مِن فَقاقِعِها حصباءُ دُرٍّ عَلَى أرض مِن الذَّهَبِ

أراد صغرى وكبرى فقاقعها، على إسقاط حرف الجر.

(١) الكماة: جمع كمى، وهو البطل المغطى بسلاحه؛ وينظرها: يمهلها، أضاف القتل إلى الخيل، وهو يريد أصحابها، يقول: يعجب فرسان الخيل قتلهم الكماة: أى يسرون بقتلهم إياهم ولا يلبثون أن يقتلوا بعدهم لكثرة المغاورة وفشو الحرب وطلب الثأر: وقال ابن جنى: يجوز أن يكون المعنى على الإخبار عن الخيل ـ لا عن أصحابها ـ أى يعجب خيلنا قتل الكماة، ألا تراه يقول فى موضع آخر:

تَحْمى السُّيُوفُ على أعدائِهِ مَعَهُ كأنَّهُنَّ بَنُوه أو عشائِرُهُ

فإذا جاز أن توصف الجمادات بأنها تحمى فالحيوان الذى يعرف كثيراً من أغراض صاحبه أحرى، لأنه معلم مؤدب، قال ابن جنى: أما قوله « ولا ينظرها الدهر بعد قتلاها » فالمعنى أنه إذا قتل الفارس عقرت بعده فرسه، قال زياد الأعجم:

وإذا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فاعْقِرْ لَهُ كُومَ الهِجانِ وَكُلَّ طِرْفٍ سابِحِ(١)

ورد ابن فورجة على ابن جنى قال: ليس هذا بشىء لأنه يريد بقتلاها من قتلته وقتله أصحابها، فهو يريد خيل القاتلين لا خيل المقتولين، والمعنى: أن أصحابها يهلكونها بالتعب وكثرة الركض بعد الذين قتلوهم فلا بقاء لها بعدهم. وبعد: فالمعنى على هذا أن فرسانها يقتلون الكماة عليها ولكنهم لا يلبثون أن يقتلوا الخيل أيضا لأنهم يهلكونها بكثرة الركض فى الغارات أو لأنهم ينحرونها للأضياف.

(٢) قاطبة: أى جميعا حال، قال المعرى: إن سيف الدولة أنشد هذه القصيدة فلما بلغ إلى هذا البيت قال: ترى هل نحن فى الجملة ؟

---

(١) بعير أكوم وناقة كوماء: عظيمة السنام عاليته، والهجان: الإبل البيض الكرام، يستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع، يقال بعير هجان وناقة هجان والطرف، الفرس الكريم الأطراف، يعنى الآباء والأمهات، والسابح: السريع فى مشبه كأنه يسبح.

وَمَنْ مَنَايَاهُمُ بِرَاحَتِهِ يَأْمُرُهَا فِيهِمِ وَيَنْهَاهَا(١)
أَبَا شُجَاعٍ بِفَارِسٍ عَضُدَ الدَّوْلَةِ فَنَّاخُسْرُو شَهَنْشَاهَا(٢)
أَسَامِيًا لَمْ تَزِدْهُ مَعْرِفَةً وَإِنَّمَا لَذَّةً ذَكَرْنَاهَا(٣)
تَقُودُ مُسْتَحْسَنَ الْكَلَامِ لَنَا كَمَا تَقُودُ السَّحَابَ عُظْمَاهَا(٤)
هُوَ النَّفِيسُ الَّذِي مَوَاهِبُهُ أَنْفَسُ أَمْوَالِهِ وَأَسْنَاهَا(٥)

---

(١) يقول : ومن منا ياهم بكفه يصرفها فيهم كيف شاء ، فهو يحيى من شاء منهم — من الملوك — أى يبقى عليه ، ويميت من شاء .

(٢) أبا شجاع : بدلامن قوله مولاها ، وشهنشاه : أى ملك الملوك ، وهو لقب بنى بويه قال ابن جنى : هذا البيت على أنه قصير الوزن قد جمع فيه كنية الممدوح وبلده واسمه ونعته وسماه بملك الملوك وهو من أحسن الجمع والمدح .

(٣) الأسامى جمع الأسماء جمع الاسم ونصب أساميا بإضمار فعل كأنه قال ذكرت أساميا دل عليه قوله ذكرناها . يقول : هذه الأسماء التى ذكرتها لم تزده معرفة فوق شهرته فهو مستغن عن التعريف وإنما ذكرتها استلذاذا بلفظها وسماعها : قال ابن جنى : وهذا كلام النحويين فى أحد ضربى الوصف تناوله منثورا فنظمه ، وذلك أنهم يقولون إنما يذكر الوصف للاسم إما للايضاح كى يتميز عن غيره كقولك مررت بأبى محمد الكاتب وإما للاطناب والثناء كقولنا بسم الله الرحمن الرحيم ، فالوصف هنا لم يجىء للايضاح لأن اسم الله تعالى لايشركه فيه غيره فيحتاج إلى الوصف؛ وإنما ذكر للاطناب فى الثناء وكذلك قوله أساميا لأنه قال وسرت حتى رأيت مولاها ، فقد علم أنه لا يعنى إلا أبا شجاع فإنما هو ثناء وإطناب وليس يريد التعريف لانه مجهول ، وإنما هو كما قال ذكرته استلذاذا للثناء عليه .

(٤) السحاب : اسم جمع ، يذكر ويؤنث . وعظماها : أى معظمها . يقول : إذا ذكرنا هذه الأسماء قادت لنا مستحسن الكلام فى مدح صاحبها ، كما تقود السحابة العظمى سائر السحاب ، يريد أنها مشتملة على جل المعانى التى يثنى بها عليه ؛ لما فيها من الدلالة على شجاعة مسماها وشرف منزلته ، وعبارة الواحدى : هذه الأسامى محمولة على المعانى فهى ترجمتها تقود إذا ذكرت ما وضعت له فيحسن الكلام بها ؛ ويجوز أن يريد بقودها مستحسن الكلام أنها سبقت إلى الذكر فهى مقدمة معان أذكرها بعد وأصفها به ، كما يقود معظم السحاب سائره — باقيه —

(٥) كل شىء له قدر وخطر فهو نفيس : أى يتنافس فيه ويرغب ، وأسناها : أرفعها

لَوْ فَطِنَتْ خَيْلُهُ لِنَائِلِهِ لَمْ يُرْضِهَا أَنْ تَرَاهُ يَرْضَاهَا(١)
لَا تَجِدُ الْخَمْرُ فِى مَكَارِمِهِ إِذَا انْتَشَى خَلَّةً تَلَافَاهَا(٢)
تُصَاحِبُ الرَّاحُ أَرْيَحِيَّتَهُ فَتَسْقُطُ الرَّاحُ دُونَ أَدْنَاهَا(٣)

وأشرفها ، يقول : إنه يهب أفضل أمواله . قال ابن جنى: قال بعض خزان عضد الدولة إنه كان قد أمر له بألف دينار عدداً ، فلما أنشد هذا البيت أمر بأن تبدل بألف موازنة فأعطى ألف مثقال .

(١) يقول : لو علمت خيله بجوده وفطنت إليه لم يسرها أن يرضاها الممدوح وأن تعجبه لأنه إذا رضيها وأعجبته وهبها لزائريه مادام أنه يهب أفضل أمواله فتفارق مربطه وهى لا ترضى أن تتبدل به غيره .

(٢) انتشى : سكر . والخلة : الخصلة والثلمة ؛ وتلافاها ـ بحذف إحدى التاءين ـ أى تتلافاها : أى تتداركها . يقول : هو قبل الشرب جواد فلا تزيده الخمر جوداً ؛ وليس فى مكارمه خلة تتلافاها الخمر ، وأول هذا المعنى لعنترة :

وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أُقَصِّرُ عَنْ نَدًى وَكَمَا عَلِمْتِ شَمَائِلِى وَتَكَرُّمِى

وقريب من هذا قول زهير :

أَخُو ثِقَةٍ لَا تُهْلِكُ الْخَمْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ الْمَالَ نَائِلُهْ

وقول أبى نواس :

فتى لَا تَلُوكُ الْخَمْرُ شَحْمَةَ مَالِهِ وَلَكِنْ أَيَادٍ عُوَّدٌ وَبَوَادِى(١)

وقول البحترى :

تَكَرَّمْتَ مِنْ قَبْلِ الْكُئُوسِ عَلَيْهِمِ فَمَا اسْطَعْنَ أَنْ يُحْدِثْنَ فِيكَ تَكَرُّمَا

وألم الصابى ببيت المتنبى فى بعض محاوراته فقال: ولقد آن الله فى اقتبال العمر جوامع الفضل وسوغه فى عنفوان الشباب محامد الاستكمال ؛ فلا تجد الكهولة خلة تتلافاها بتطاول المدة وثلمة يسدها بمزايا الحنكة .

(٣) الراح : الخمر . والأريحية : الاهتزاز للكرم والنشاط للجود . يقول : إذا اجتمعت الراح مع أريحيته فأدنى أريحيته يجلب من السخاء مالا تجلبه الراح ، يريد أن فعل أريحيته فوق فعل الراح ، فلا تطيق الراح أن تسامى أريحيته فإذا سامتها سقطت دونها .

---

(١) لاتلوك : تروى « لاتذيب » ولاكه يلوكه : مضغه .

تَسُرُّ طَـرَبَاتُهُ كَـرَائِنَهُ ثُمَّ تُزِيلُ السُّرُورَ عُقْبَاهَا(١)
بِـكُلِّ مَوْهُوبَةٍ مُوَلْوِلَةٍ قَاطِعَةٍ زِيرَهَا وَمَثْنَاهَا(٢)
تَعُومُ عَـوْمَ الْقَـذَاةِ فِى زَبَدٍ مِنْ جُودِ كَفِّ الْأَمِيرِ يَغْشَاهَا(٣)
تُشْرِقُ تِيجَانُهُ بِغُرَّتِهِ إِشْرَاقَ أَلْفَاظِـهِ بِمَعْنَاهَا(٤)
دَانَ لَهُ شَرْقُهَا وَمَغْرِبُهَا وَنَفْسُـهُ تَسْتَقِلُّ دُنْيَاهَا(٥)

---

(١) طرباته : جمع طربة ، وهى المرة من الطرب ، وسكن راءها ضرورة ؛ والكرائن : جمع كرينة ، وهى الجارية المغنية . وقال ابن جنى : الكرائن : الأعواد . يقول : إذا طرب عند الشرب سر طربه جواريه المغنيات بما يفيض عليهن من الأموال والعطايا ؛ ثم تزيل عاقبة طربه سرورهن ، لأن أريحية الجود لا تزال به حتى يهب الجوارى أيضاً فيخرجن عن ملكه فيزول سرورهن لذلك لأنهن لايرضين فراقه .

(٢) بكل : متعلق بـ«تزيل» . والمولولة : الداعية بالويل من ثكل أوغيره والزير : الوتر الدقيق من أوتار العود . والمثنى : الوتر الثانى بعده يقول : يزيل سرورهن بكل جارية منهن يهبها وهى تولول حزناً على فراقه وتقطع أوتار العود غضباً وأسفاً لزوال ملكه عنها .

(٣) تعوم : تسبح . والقذاة : واحدة القذى : مايقع فى العين أو الشراب من تبنة ونحوها . والزبد : الرغوة تطفو على وجه الماء . ويغشاها : يعلوها . يقول : هذه الجارية التى وهبها تعد فى جملة عطاياه الجلة بمنزلة القذاة العائمة فى بحر مزبد يعلوها ويغلبها سائر مواهبه كما يعلو الزبد القذاة ، وروى ابن جنى زبد ـ بكسر الباء ـ وهو الكثير الزبد لكثرة مائه :

(٤) غرته: وجهه . يقول : إذا وضع التاج على رأسه أشرق تاجه بإشراق وجهه كما تشرق ألفاظه بمعانيها .

(٥) دان له : خضع وأطاع . والضميران فى شرقها ومغربها : يعودان على الدنيا وإن لم يتقدم لها ذكر ، لدلالة القرينة ، يقول : أطاعه أهل الشرق والغرب ودانوا له ونفسه تستقل جميع الدنيا ، قال الواحدى : وكذا كان يقول عضد الدولة : سيفان فى غمد محال ، يعنى أن الدنيا يكفى فيها ملك واحد وكان يقصد أن يستولى على جميع الدنيا .

تَجَمَّعَتْ فِي فُؤَادِهِ هِمَمٌ مِلْءُ فُؤَادِ الزَّمَانِ إِحْدَاهَا[1]
فَإِنْ أَتَى حَظُّهَا بِأَزْمِنَةٍ أَوْسَعَ مِنْ ذَا الزَّمَانِ أَبْدَاهَا[2]
وَصَارَتِ الْفَيْلَقَانِ وَاحِدَةً تَعْثُرُ أَحْيَاؤُهَا بِمَوْتَاهَا[3]
وَدَارَتِ النَّيِّرَاتُ فِي فَلَكٍ تَسْجُدُ أَقْمَارُهَا لِأَبْهَاهَا[4]

---

(١) يقول : قد اجتمع فى فؤاده همم لعظمها تملأ الزمان إحداها ، وإذا كان الزمان — مع سعته — لا يسع إلا إحداها لم يظهر باقى همه ، إلا أن يقع اتفاق ، كما ذكر فى البيت التالى ، هذا : والهمم جمع همة ، وأصل الهمة من الهميم ، وهو الدبيب ، وهمت الهوام ، على وجه الأرض : إذا دبت ، فالهم يهم فى القلب أى يدب ، قال ساعدة بن جؤية الهذلى يصف سيفا :

تَرَى أَثْرَهُ فِي صَفْحَتَيهِ كَأَنه مدارِجُ شبثان لهن هميم

[الشبثان جمع شبث ، وهو العنكبوت]

(٢) يقول : فإن أتى حظ همه بزمان أوسع مما ترى أظهر تلك الهمم ، يعنى أن همه يضيق عنها هذا الزمان فإن صدف وجود أزمنة أوسع من الزمان الذى نحن فيه أبداها فى تلك الأزمنة ، وقال ابن جنى ؛ الضمير فى « حظها » للدنيا أى أن الدنيا إن كان لها حظ فأتاها زمان أوسع من زمانها الذى هو فيه : أظهر هذا الممدوح همه .

(٣) الفيلق : الجيش ، وأنثه باعتبار الكتيبة والجماعة ، قال ابن جنى : أى شن الغارة فى جميع الأرض — عند إظهار تلك الهمم — نخلط الجيش ، فصارا — لاختلاطهما — كالجيش الواحد ، وتعثر الأحياء منهما بالموتى ، قال ابن فورجه يرد على ابن جنى — ليس أبو الطيب من ذكر الغارة وشنها فى شىء ، وإنما هو يقول قبل هذا البيت فى فؤاده همم إحداها أعظم من فؤاد الزمان ، فهو لا يبديها ، لأنه لا يجد زمانا يسعها ، فإن قضى لها وجاء حظها ونجتها بأزمنة أوسع من هذا فحينئذ يظهر تلك الهمم ويجتمع أهل هذا الزمان وأهل تلك الأزمنة ، ويصيران شيئاً واحداً وتضيق الأرض بهم حتى يعثر حيهم بميتهم للزحمة وكثرة الناس ، ومثل هذا فى ذكر الزحمة وقوله أيضاً :

سُبِقْنَا إلى الدُّنيا فَلَوْ عاشَ أهلُهَا مُنِعْنَا بِهَا مِنْ جَيْئَةٍ وذُهُوبِ

(٤) قال الواحدى : أراد بالنيرات والأقمار : ملوك الدنيا إذا عادوا واجتمعوا فى زمان

أَلْفَارِسُ الْمُتَّقَى السِّلَاحُ بِهِ الْمُـ ـثْنِى عَلَيْهِ الْوَغَى وَخَيْلَاهَا(١)
لَوْ أَنْكَرَتْ مِنْ حَيَائِهَا يَدُهُ فِى الْحَرْبِ آثَارَهَا عَرَفْنَاهَا(٢)
وَكَيْفَ تَخْفَى الَّتِى زِيَادَتُهَا وَنَاقِعُ الْمَوْتِ بَعْضُ سِيمَاهَا(٣)
أَلْوَاسِعُ الْعُذْرِ أَنْ يَتِيهَ عَلَى الدُّ نْيَا وَأَبْنَائِهَا وَمَاتَاهَا(٤)

واحد ، وأراد بأبهاها عضد الدولة ، ومعنى سجود الأقمار : خضوع الملوك له ، فحينئذ يبدى همه ، وعبارة ابن جنى : شبه الجيوش لما اختلط بعضها ببعض بفلك تدور فيه نجومه ، وشبه ملوك الجيوش بالأقمار ، وشبه عضد الدولة بالشمس ، لأنه أشرفهم وأشهرهم وتسجد : تذل وتخضع والضمير فى أبهاها يعود على النيرات.

(١) السلاح : نائب فاعل المتقى ؛ والوغى : الحرب ، وهى فاعل المثنى وخيلاها : تثنية خيل . يقول : هو الفارس الذى يتقى به السلاح ، أى يتوقى به جيشه سلاح الأعداء ، يريد أنه يتقدم الجيش إلى الأعداء ، ويدفع السلاح عنهم كما يروى عن على قال: كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان أقربنا من العدو . وتثنى عليه الحرب لما تشاهد من بأسه وحذقه ، وأراد بقوله خيلاها — أى خيل الوغى — : خيله وخيل العدو ، يعنى أن العدو أيضا يثنى عليه لانه يرى من شجاعته وإقدامه مالا يسعه إنكاره ، وقال ابن فورجه : يتقى به السلاح أى لا يعمل معه شيئاً .

(٢) يقول — كما قال الواحدى — لو أن يده أنكرت جراحاتها لعرفنا أنها من آثار يده لأن غيره لايقدر على مثلها — يريد أن ضرباته تعرف من ضربات غيره وكذا طعناته — والمراد باليد صاحبها ، لأن اليد لاتوصف بالإنكار ولا بالحياء .

(٣) قال الواحدى : المراد بالزيادة — ههنا — السوط ، وهو مأخوذ من قول المرار الفقعسى .

وَلَمْ يُلْقُوا وَسَائِدَ غَيْرَ أَيْدٍ زِيَادَتُهُنَّ سَوْطٌ أَوْ جَدِيلُ

والناقع من الموت الكثير ، والناقع الثابت . يقال سم ناقع : إذا كان ثابتاً فى نفس شاربه حتى يقتله . وسيماها علامتها . يقول : كيف تخفى اليد التى سوطها يقتل به فكيف سيفها ؟ يعنى كيف تخفى آثار يد سوطها والموت به من علاماتها ، أى أن من ضرب بسوطه قتله .

(٤) أى يتيه : أى فى أن يتيه ، وتاه : يتيه تكبر وتعظم . يقول : لو أنه تاه على

لَوْ كَفَرَ الْعَالَمُونَ نِعْمَتَهُ لَمَا عَدَتْ نَفْسُهُ سَجَايَاهَا(١)
كَالشَّمْسِ لَا تَبْتَغِى بِمَا صَنَعَتْ مَنْفَعَةً عِنْدَهُمْ وَلَا جَاهَا(٢)
وَلِّ السَّلَاطِينَ مَنْ تَوَلَّاهَا وَالْجَأْ إِلَيْهِ تَكُنْ حُدَيَّاهَا(٣)
وَلَا تَغُرَّنَّكَ الْإِمَارَةُ فِى غَيْرِ أَمِيرٍ وَإِنْ بِهَا بَاهَى(٤)
فَإِنَّمَا الْمَلْكُ رَبُّ مَمْلَكَةٍ قَدْ فَغَمَ الْخَافِقَيْنِ سَرِيَّاهَا(٥)

الدنيا وتكبر على أهلها لكان له العذر الواسع لظهور مزيته عليهم ، ولكنه لم يفعل ذلك ، وفى مثل هذا يقول الآخر :

وَمَا تَزْدَهِينَا الْكِبْرِيَاءُ عَلَيْهِمِ إِذَا كَلَّمُونَا أَنْ نُكَلِّمَهُمْ نَزْرَا

(١) كفر : جحد . وعدت :جاوزت : والسجايا : الطبائع والأخلاق يقول : لو أن إنعامه قوبل من الناس بالكفران ولم يشكروه له لم يترك الإحسان إليهم ولا تركت نفسه ما جبلت عليه من السجايا الكريمة لأنه لا يجود للشكر حتى إذا لم يشكر قطع العطاء وإنما يجود بطبعه كما قال بشار

لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَلِلْخَوْ فِ وَلَكِن يَلَذُّ طَعْمَ الْعَطَاءِ

(٢) ضرب له المثل بالشمس فإن أكثر منافع الدنيا إليها تحور ومنها تحصل ثم هى لا تبتغى ـ لا تطلب ـ بصنعها منفعة عند الناس ولا جاها وذلك أنها مسخرة لتلك المنافع. كذلك هو ـ للمدوح ـ مطبوع على الجود والكرم

(٣) حدياها معارضالها وهو فى الأصل اسم من تحداه إذا باراه ونازعه الغلبة ويقال أنا حدياك فى هذا الأمر أى ابرزلى فيه وحدك وجارنى قال عمرو بن كلثوم :

حُدَيَّا النَّاسِ كُلِّهِمْ جَمِيعاً مُقَارَعَةً بَنِيهِمْ عَنْ بَنِينَا

يقول : كل أمر الملوك إلى من يتولاهم ، أى لاتخدمهم ودعهم ومن يتولاهم ويخدمهم ويواليهم والجأ إلى الممدوح تكن مثل الملوك . وهذا من قول بعض الواعظين :يا عبدالله صانع وجها واحداً تقبل عليك الوجوه كلها .

(٤) فى غير أمير حال من الإمارة ، و«إن» وصلية ؛ والجملة حال من «غير» وباهى فاخر . يقول : لا يغرنك منصب الإمارة فيمن ليس بأمير حقيقة وإن فاخر بها ، أى فهو الأمير على الحقيقة ، أما من عداه فهو أمير مجازا.

(٥) الملك : بسكون اللام تخفيف ملك بكسرها ، ويقال فغمته الرائحة إذا ملأت

مُبْتَسِمٌ وَالْوُجُوهُ عابِسَةٌ سِلْمُ الْعِدى عِنْدَهُ كَهَيْجاها[1]
أَلنّاسُ كَالْعابِدِينَ آلِهَةً وَعَبْدُهُ كَالْمُوَحِّدِ اللَّهَ[2]

خياشيمه والخافقان : أفقا المشرق والمغرب ، والريا الريح الطيبة يقول : إن الملك على الحقيقة هو الذى ملأ ذكر مملكته الدنيا شرقا وغربا ، وشاع الثناء عليه فيها ، مثل الممدوح ، وفعم : يروى فعم أى ملأ ، ويقال أفعم المسك البيت أى ملأه بريحه، وفعمت المرأة فعامة وفعومة وهى فعمة : استوى خلقها وغلظ ساقها ، وساعد فعم ، ومخلخل فعم قال :

فَعْمٌ مُخَلْخَلُها وَعْثٌ مُؤَزَّرُها عَذْبٌ مُقَبَّلُها طَعْمُ السُّدافُوها[1]

وأفعمت الرجل : ملأته غضبا .

(١) كهيجاها : كحربها ، يقول : لشجاعته وثقته بقوته يحتقر أعداءه ، ولا يكترث لهول الحرب وشدتها ، فإذا كانت الوجوه عابسة لشدة الحال وضيق الأمر كان هو مبتسما ضاحكا ، وصلح الاعداء وحربهم عنده سواء

(٢) يعنى بعبده : نفسه . يقول : الناس فى خدمتهم لغيره كمن يعبد آلهة من دون الله لأنه هو الملك على الحقيقة وغيره من الملوك زور وأنا فى اقتصارى على خدمته دون غيره كمن يوحد الله ولا يشرك به ، وعبارة ابن جنى : الناس الذين فى طاعة غيره كأنهم يعبدون آلهة مختلفة ، وعبيده الذين يطيعونه كأنهم الموحدون لله لا يشركون به فلا يرجون سواه ومن يخدم سواه لم تنفعه تلك الخدمة كالذين يعبدون آلهة مختلفة .

(١) الوعث : اللين ، والسدا ههنا : البلح الأخضر ، واحدته : سداة وقيل هو العسل من قولهم سدت النحل تسدو سدا .

قافية الياء

وفارق أبو الطيب سيف الدولة ورحل إلى دمشق وكاتبه الأستاذ كافور بالمسير إليه ، فلما ورد مصر أخلى له كافور داراً وخلع عليه وحمل إليه آلافا من الدراهم ، فقال يمدحه وأنشده إياها في جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثلاثمائة :

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا ... وَحَسْبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا (١)

تَمَنَّيْتَهَا لَمَّا تَمَنَّيْتَ أَنْ تَرَى ... صَدِيقاً فَأَعْيَا أَوْ عَدُوّاً مُدَاجِيَا (٢)

إِذَا كُنْتَ تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ بِذِلَّةٍ ... فَلَا تَسْتَعِدَّنَّ الْحُسَامَ الْيَمَانِيَا (٣)

---

(١) كفى بك : معناه كفاك ؛ والباء زيدت ههنا في المفعول كما تزاد في الفاعل نحو كفى بالله : وداء : تمييز . وأن ترى : فاعل كفى ، والأماني : جمع أمنية ، الشيء الذي تتمناه ، والأصل فيها التشديد وتخفيفها لغة ، يقول مخاطباً نفسه — : كفاك داء رؤيتك الموت شافياً ، أي إذا أفضت بك الحال إلى أن تتمنى المنية — الموت — فذلك غاية الشدة وإن داء شفاؤه للموت أقسى الأدواء ، والمنية إذا صارت أمنية فهي غاية البلية ، وفاقرة الخطوب ، والمعنى كفاك من أذية الزمان ما تتمنى معه الموت :

(٢) تمنيتها : أي المنايا . وأعياه الأمر : أعجزه . والمداجي : المداري الساتر للعداوة واشتقاقه من الدجى : أي الظلمة . يقول : تمنيت المنية — الموت — لما حاولت الظفر بصديق مصاف فأعجزك أو عدو مداج فلم تظفر به ، وعند عدم الصديق المصافي والعدو المداجي يتمنى المرء المنية لأنها حالة من اليأس يصعب معها البقاء . قال الواحدي : هذا تفسير الداء المذكور في البيت الأول

(٣) استعده : حاول أن يتخذ عدة له ؛ والحسام : السيف القاطع . واليماني المنسوب إلى اليمن . يقول : — مخاطبا نفسه — إنما يتخذ السيف ليرفع به الذل ؛ فإذا رضيت أن تعيش ذليلا فما تصنع بالسيف اليماني تعده ؟ قال ابن جني : استعمل النهي موضع الاستفهام الذي استعمله غيره في قوله :

فَلِمْ طَالَ حَمْلِي جَفْنَهُ وَنِجَادَهُ ... إِذَا أَنَا لَمْ أَضْرِبْ بِهِ مَنْ تَعَرَّضَا

وَلاَ تَسْتَطِيلَنَّ الرِّمَاحَ لِغَارَةٍ وَلاَ تَسْتَجِيدَنَّ الْعِتَاقَ الْمَذَاكِيَا[١]
فَمَا يَنْفَعُ الْأُسْدَ الْحَيَاءُ مِنَ الطَّوَى وَلاَ تُتَّقَى حَتَّى تَكُونَ ضَوَارِيَا[٢]
حَبَبْتُكَ قَلْبِي قَبْلَ حُبِّكَ مَنْ نَأَى وَقَدْ كَانَ غَدَّارًا فَكُنْ أَنْتَ وَافِيَا[٣]

---

(١) الاستطالة والاستجادة بمعنى اختيار الطويل والجيد ، والعتاق : الخيل الكريمة والمذاكى : الخيل القرح التى قد تمت أسنانها . يقول : ولا تتخذن الرماح الطويلة للغارة ولا تتخذن الخيل الكرام ، أى إذا رضيت أن تعيش ذليلا ، لأن هذه إنما تتخذ لنفى الذل .

(٢) الطوى : الجوع . وتتقى : تحذر ، وضرى الكلب بالصيد : تعوده ولهج به ولم يكد يصبر عنه وروى عن عمر : إن للحم ضراوة كضراوة الخمر أراد أن له ـ للحم ـ عادة طلابة لأكله كعادة الخمر مع شاربها وذلك أن من اعتاد الخمر أسرف ، فى النفقة حرصا على شربها وكذلك من اعتاد اللحم لم يكد يصبر عنه فدخل فى باب المسرف فى نفقته وقد نهى الله عن الإسراف . وهذا البيت حث على الوقاحة والتجليح[١] وقد ضرب المثل بالأسد يقول : إن الأسد إذا لزم عرينه حياء ولم يصد لم يجد حياؤه وبقى جائعا غير مهيب وإنما يهاب ويتقى إذا كان ضاريا مفترسا حريصا على الصيد

(٣) قلبى : منادى ، ونأى : بعد . يقول ـ لقلبه ـ : أحببتك قبل أن تحب أنت هذا الذى بعد عنا ـ يعرض بسيف الدولة ـ وقد كان غدارا فلا تغدر بى أنت ، أى لا تكن مشتاقا إليه ولا محبا له ، أى فإنك إن أحببت الغدار لم تف لى ، وقال ابن جنى يعاتب قلبه على حنينه إلى من فارقه : « هذا » و « حببت » لغة فى أحببت ، يقال حبه يحبه ـ بالكسر ـ فهو محبوب قال الجوهرى وهذا شاذ لأنه لا يأتى فى المضاعف تفعل ـ بالكسر ـ إلا ويشركه يفعل بالضم إذا كان متعديا ما عدا هذا الحرف ، وأنكر بعضهم أن يكون هذا البيت لفصيح ، وهو قول غيلان بن شجاع النهشلى :

أُحِبُّ أَبَا مَرْوَانَ مِنْ أَجْلِ تَمْرِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْجَارَ بِالْجَارِ أَرْفَقُ
فَأُقْسِمُ لَوْلاَ تَمْرُهُ مَا حَبَبْتُهُ وَكَانَ عِيَاضٌ مِنْهُ أَدْنَى وَمُشْرِقُ[٢]

---

(١) التجليح : الإقدام الشديد ، والتصميم فى الأمر والمضى .

(٢) وكان عياض منه أدنى ومشرق : هى رواية أبى العباس المبرد وقد رواه غيره .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْبَيْنَ يُشْكِيكَ بَعْدَهُ ... فَلَسْتَ فُؤَادِي إِنْ رَأَيْتُكَ شَاكِيَا(١)
فَإِنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ غُدْرٌ بِرَبِّهَا ... إِذَا كُنَّ إِثْرَ الْغَادِرِينَ جَوَارِيَا(٢)
إِذَا الْجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلَاصًا مِنَ الْأَذَى ... فَلَا الْحَمْدُ مَكْسُوبًا وَلَا الْمَالُ بَاقِيَا(٣)

« وبعد » فإن الأكثر أحبه فهو محب وهو محبوب على غير قياس وقد قيل محب على القياس قال الأزهرى : وقد جاء المحب شاذا فى الشعر قال عنترة :

وَلَقَدْ نَزَلْتِ فَلَا تَظُنِّي غَيْرَهُ ... مِنِّي بِمَنْزِلَةِ الْمُحَبِّ الْمُكْرَمِ

(١) البين : البعد ، وأشكيت فلانا : إذا فعلت به فعلا يحوجه إلى الشكوى ، وأشكيته أيضا : إذا أعتبته وأزلت شكواه ، فهو من الأضداد قال الراجز يصف إبلا قد أتعبها السير فهى تلوى أعناقها تارة وتمدها أخرى وتشكى إلينا فلا نشكيها ، وشكواها ما غلبها من سوء الحال والهزال فيقوم ذلك مقام كلامها ، قال :

تَمُدُّ بِالْأَعْنَاقِ أَوْ تَثْنِيهَا ... وَتَشْتَكِي لَوْ أَنَّنَا نُشْكِيهَا

* مَسَّ حَوَايَا قَلَّمَا نُجْفِيهَا *(١)

والمراد هنا الأول . يقول ـ لقلبه ـ : اعلم أنك تشكو فراقه لإلفك إياه. ثم هدده فقال : إن شكوت فراقه تبرأت منك .

(٢) غدر : جمع غدور ؛ وأصله بضم الدال وإسكانها لغة ؛ وربها : صاحبها وإثر : أى فى إثر ، نصبه على الظرفية ، والغادرين : يروى الظاعنين . يقول : إذاجرت الدموع على فراق الغادرين كانت غادرة بربها ـ أى صاحبها ـ لأنه ليس من حق الغادر أن يبكى على فراقه ، فإذا جرت الدموع فى إثره وفاءله كان ذلك الوفاء غدر بصاحب الدموع، يريد لا ينبغى أن تفى لغادر .

(٣) يقول : إذا لم يتخلص الجود من المن به ـ وهو المراد بالأذى ـ لم يحصل الحمد

---

* ولا كان أدنى من عبيد ومُشرِق *

فيكون فيه إقواء

(١) الحوايا جمع حوية وهى كساء يحوى حول سنام البعير ثم يركب . وقلما نجفيها أى قلما نرفع الحوية عن ظهرها يقال جفا السرج عن ظهر الفرس وأجفيته إذا رفعته عنه

وَلِلنَّفسِ أَخْلَاقٌ تَدُلُّ عَلَى الفَتَى أَكَانَ سَخَاءً مَا أَتَى أَمْ تَسَاخِيَا(١)

أَقِلَّ اشْتِيَاقًا أَيُّهَا القَلْبُ رُبَّمَا رَأَيْتُكَ تُصْفِي الوُدَّ مَنْ لَيْسَ جَازِيَا(٢)

ولم يبق المـال ، لأن المال يذهب به الجود والأذى ـ أى المن ـ يبطل الحمد ، فالمنان بمـا يعطى غير محمود ولا مأجور ، وكأن هذا المعنى ينظر إلى قوله تعالى « لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى » و« لا » فى البيت عاملة عمل « ليس » ومن ثم نصب خبرها كما فى بيت سعد بن مالك :

من صـدَّ عن نيرانهـا فأنا ابنُ قيسٍ لا بَرَاحُ(١)

(١) التساخى : تكلف السخاء : وقوله أكان سخاء الخ : بدل اشتمال من الفتى ، وكان الوجه أن يقول : أسخاء كان ، على ما هو من حكم الاستفهام بالهمزة ، فقدم وأخر لضرورة الوزن . والسخاء وكذا السخاوة : الجود ، قال اللحيانى : يقال : سخا يسخو سخاء وسخوا وسخى سخاء وسخوة قال الجوهرى : وقول عمرو بن كلثوم :

مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ الحُصَّ فِيهَا إِذَا مَا المَـاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا(٢)

أى جدنا بأموالنا . يقول : إن أخلاق الإنسان تدل عليه فيعرف جوده أطبع هو أم تطبع ، قال ابن جنى : جمجم عما فى قلبه من إفراط العتب ولم يصرح به قال العكبرى وهذا من قول الحكيم : تغير الأفعـال التى تأتى غير مطبوعة أشد انقلابا من الريح الهبوب .

(٢) تصفى : تخلص . يقول ـ لقلبه ـ : لا تشتق إلى من فارقته ، فإنك تحب من ليس يجازيك بالحب ، كما قال البحترى :

لَقَدْ حَبَوْتُ صَفَاءَ الوُدِّ صَائِنَهُ عَنِّى وَأَقْرَضْتُهُ مَن لَا يُجَازِينِى

فقوله أقل اشتياقا وإن كان أمرا من الإقلال إلا أنه أراد به النهى عن الاشتياق : لا تقليله . هذا : ويجوز فى أقل فتح اللام وكسرها : فالفتح طلبا للخفة مع التضعيف ، والكسر لأجل كسرة القاف فأتبع الكسرة الكسرة .

---

(١) سعد بن مالك شاعر جاهلى والبيت من أبيات مذكورة فى الحماسة وقد تقدمت فى هذا الشرح مع تفسيرها

(٢) وقيل سخينا من السخونة ، نصب على الحال ، والبيت من معلقة عمرو وقد أسلفنا شرحه .

خُلِقْتُ أُلوفاً لَوْ رَحلْتُ إِلى الصِّبا ... لَفارَقْتُ شَيْبِى مُوجَعَ القَلْبِ بَاكِيا[1]

وَلٰكِنَّ بِالفُسْطَاطِ بَحْراً أَزَرْتُهُ ... حَيَاتِى وَنُصْحِى وَالهَوَى وَالقَوافِيا[2]

وَجُرْداً مَدَدْنا بَيْنَ آذانِها القَنا ... فَبِتْنَ خِفافاً يَتَّبِعْنَ العَوالِيا[3]

---

(١) رحلت : رواها بعضهم رجعت . قال الواحدى : هذا البيت رأس فى صحة الإلف ، وذلك أن كل أحد يتمنى مفارقة الشيب وهو يقول : لو فارقت شيبى إلى الصبا لبكيت عليه لإلفى إياه إذ خلقت ألوفا : قال ابن جنى : هذا شرح لما قبله ودليل على أنه فارق ذاما لأنه جعله كالشيب : أى لو فارقت الشيب الذميم برحيلى إلى الصبا وهو خير حياة الإنسان لكان ذلك الفراق موجعا لقلبى مبكيا لعينى .

(٢) الفسطاط : اسم مدينة مصر قديما ، وأصله البيت من الشعر وفيه لغات فسطاط وفستاط وفساط وكسر الفاء لغة فيهن : وأزرته : تعدية زار والهاء مفعول ثان مقدم وحياتى مفعول أول . ونصحى : إخلاصى . والقوافى القصائد يقول: ولكن فى الفسطاط بحرا ــ يعنى كافوراً ــ قد هون على فراق إلفى لما فيه من المحامد التى تنسيني من فارقته ، فزرته بحياتى : أى لقضاء باقى أيامى عنده وحملت إليه نصحى ومودتى وشعرى ، وعبارة الواحدى : ذكر فى البيت الأول أنه ألوف لما يصحبه فى أى حال وإن كانت مكروهة ثم استثنى فقال لكنى على هذه الحالة من الألفة قصدت مصر وحملت هواى والنصح والشعر على زيارة جواد هناك كالبحر .

(٣) جردا : عطف على حياتى ، يريد : خيلا ، قصار الشعر وهو مما يمدح فى الخيل والقنا : الرماح . والعوالى : جمع عالية وهى صدر الرمح مما يلى السنان يقول : وأزرته خيلا مددنا رماحنا بين آذانها فباتت تتبع عوالى الرماح فى سيرها ، كما قالت ليلى الأخيلية :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتَ الخَيْلَ قُبْلاً ... تُبارِى بِالخُدُودِ شَبا العَوالِى[1]

---

(١) الأقبل الذى كأنه ينظر إلى طرف أنفه ، وهذا البيت قالته ليلى فى فائض بن أبى عقيل وكان قد فر عن توبة يوم قتل وبعده :

نَسِيتَ وِصالَهُ وَصَدَدْتَ عَنْهُ ... كَمَا صَدَّ الأَزَبُّ عَنِ الظِّلالِ

الأزب الكثير شعر الذراعين والحاجبين والعينين ولا يكون الأزب إلا نفورا لأنه ينبت على حاجبيه شعيرات فإذا ضربته الريح نفر .

تَمَاشَى بِأَيْدٍ كُلَّمَا وَافَتِ الصَّفَا ... نَقَشْنَ بِهِ صَدْرَ الْبُزَاةِ حَوَافِيَا (١)
وَتَنظُرُ مِنْ سُودٍ صَوَادِقَ فِى الدُّجَى ... يَرَيْنَ بَعِيدَاتِ الشُّخُوصِ كَمَا هِيَا (٢)
وَتَنصِبُ لِلْجَرْسِ الْخَفِىِّ سَوَامِعاً ... يَخَلْنَ مُنَاجَاةَ الضَّمِيرِ تَنَادِيَا (٣)
تُجَاذِبُ فُرْسَانَ الصَّبَاحِ أَعِنَّةً ... كَأَنَّ عَلَى الأَعْنَاقِ مِنْهَا أَفَاعِيَا (٤)

---

(١) تماشى ـ بحذف إحدى التاءين ـ أى تتماشى . والصفا : الصخر . والبزاة : جمع باز ؛ وحوافيا : حال ، جمع حاف . يقول : إن هذه الجرد تمشى بأيد إذا وطئت الحجارة أثرت فيها مثل صدور البزاة ، وجعلها حوافى مبالغة فى وصف حوافرها بالشدة والصلابة ، يعنى أنها بلا نعال تؤثر فى الصخور بحوافرها ، وهذا منقول من قول الراجز :

يَرْفَعْنَ فى الرَّكْضِ أَمَامَ السُّبَّقِ ... حَوَافِراً كَالْعَنْبَرِ الْمُفَلَّقِ
* يَنْقُشْنَ فى الصَّخْرِ صُدُورَ الزُّرَّقِ *

[الزرق : البازى ، وقيل طائر بين البازى والباشق] .

(٢) وتنظر : ترى وينظرن . ومن سود : أى من عيون سود ، وصوادق : تريها الأشياء على حقيقتها ، والدجى : جمع دجية ، وهى ظلمة الليل يقول : إنها ترى الأشباح البعيدة عنها كما هى ـ لصدق نظرها ـ فى ظلمة الليل ، والخيل توصف بحدة النظر ، ولذلك قالوا : أبصر من فرس فى غلس . وعبارة الشراح : وتنظر هذه الجرد من عيون سود صوادق فيما تنظره فى ظلمة الليل فترى الشخص البعيد كهيئته من القرب وذلك بخلاف العادة ، لأن الشخص إذا أبصر من بعيد شيئاً صغر فى عينه .

(٣) الجرس : الصوت الخفى . وسوامعاً : أى آذانا ، جمع سامعة . ويخلن : يحسبن . والمناجاة : السرار والحديث الخفى . والتنادى : أن ينادى بعض القوم بعضاً . يصفها بحدة السمع كما وصفها فى البيت السابق بحدة النظر . يقول : ويصدق حس سمعها حتى تسمع الصوت الخفى فتنصب له آذانا ـ كعادتها إذا أحست بشىء ـ تكاد تلك الآذان تسمع ما يناجى به الإنسان ضميره ، فكأنه عندها كالمناداة ، لحدة حس آذانها .

(٤) يريد بفرسان الصباح : فرسان الغارة ، وذلك أن الغارة تقع عادة وقت الصبح أغفل ما يكون الناس فصار الصباح اسما للغارة . والأعنة : جمع عنان سير اللجام ، وهى

بِعَزْمٍ يَسِيرُ الْجِسْمُ فِي السَّرْجِ رَاكِباً ... بِهِ وَيَسِيرُ الْقَلْبُ فِي الْجِسْمِ مَاشِياً(١)
قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكَ غَيْرِهِ ... وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيَا(٢)

مفعول ثان لـ«تجاذب». يقول: إن هذه الخيل — لما فيها من القوة والنشاط — تجاذب فرسانها أعنتها ثم شبه أعنتها في طولها وامتدادها بالحيات وهذا منقول من قول ذي الرمة يصف ناقة.

رَجِيعَةُ أَسْفَارٍ كَأَنَّ زِمَامَهَا ... شُجَاعٌ لَدَى يُسْرَى الذِّرَاعَيْنِ مُطْرِقُ(١)

(١) بعزم متعلق بمحذوف: أي سرنا بعزم ونحو ذلك؛ وبه: أي بالعزم يقول: سرنا بعزم قوى كأن الجسم وهو مقيم في السرج يسبق السرج وكأن القلب وهو مقيم في الجسم يسبق الجسم لقوة العزم على السير وعبارة ابن جنى: لقوة العزم يكاد القلب يتحرك عن موضعه، ولو تحرك في الحقيقة لمات صاحبه، وفي معناه لأبي تمام:

مَشَتْ قُلُوبُ أُنَاسٍ فِي صُدُورِهِمِ ... لَمَّا رَأَوْكَ تُمَشِّي نَحْوَهُمْ قَدَمَا

وطريق أبي تمام أسلم، لأنه ذكر تحرك القلب في موضع الشدة المهلكة؛ ألا تراهم يقولون: انخلع قلبه فمات؛ والمعنى: لقوة عزمنا إذا سار الفارس في سرجه سار قلبه في جسمه؛ يعني ذكاءه وتيقظ فؤاده، فكأن قلبه ماش في جسده.

(٢) قواصد: حال من الجرد، والسواقي: جمع ساقية؛ وهي النهير الصغير يقول قصدنا بها كافوراً وتركنا غيره من الملوك؛ لأنه كالبحر وغيره كالساقية، وهذا من قول البحتري:

وَلَمْ أَرَ فِي رَنْقِ الصَّرَى لِيَ مَوْرِداً ... فَحَاوَلْتُ وِرْدَ النِّيلِ عِنْدَ احْتِفَالِهِ

«الصرى: نهر» روى أن سيف الدولة لما سمع بيت المتنبي هذا قال: له الويل! جعلني ساقية وجعل الأسود بحراً. قال العكبري: وإذا كان المتنبي قصد هذا فلقد أبان عن نقض عهد وقلة مروءة؛ لأنه مدح خلقاً فلم يعطه أحد ما أعطاه على بن حمدان — سيف الدولة — ولا كان فيهم من له شرفه وفضله لأنه عربي من سادات

---

(١) الرجيعة والرجيع من الإبل: مارجعته من سفر إلى سفر وهو الكال والشجاع: الأفعى.

فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانَ عَيْنِ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بَيَاضاً خَلْفَهَا وَمَآقِيَا[1]
نَجُوزُ عَلَيْهَا الْمُحْسِنِينَ إِلَى الَّذِى نَرَى عِنْدَهُمْ إِحْسَانَهُ وَالأَيَادِيَا[2]

تغلب عالم بالشعر ، ولم يمدح مثله فى الشرف والحسب إلا محمد بن عبد الله الكوفى الحسنى .

(١) إنسان العين : ناظرها . وهو المثال الذى يرى فى السواد . والمآقى جمع مأق والمأق والموق: طرف العين مما يلى الأنف، والملحاظ طرف: فيها مما يلى الأذن؛ قال الواحدى جعله إنسان عين الزمان كناية عن سواد لونه وأنه هو المعنى المقصود من الدهر وأبنائه وأن من سواه فضول لاحاجة بأحد إليهم فإن البصر فى سواد العين وما حوله جفون ومآق لامعنى فيها ، وعبارة التبريزى : شبه الناس ببياض العين لأنه لا ينتفع به فى النظر وجعل كافوراً إنسان العين لأن الخاصية فيه . قال ابن جنى : وهذا البيت فى معناه قول ابن الرومى :

أَكْسَبَهَا الْحُبَّ أَنَّهَا صُبِغَتْ صِبْغَةَ حَبِّ الْقُلُوبِ وَالْحَدَقِ[1]

ولأن الشىء يذكر بالشىء فمن بديع ما فضل به السواد على البياض قول ابن قلاقس :

رُبَّ سَوْدَاء وَهْىَ بَيْضَاءُ مَعْنًى نَافَسَ الْمِسْكَ عِنْدَهَا الْكَافُورُ
مِثْلَ حَبِّ الْعُيُونِ يَحْسَبُهُ النَّا ظِرُ سَوَادًا وَإِنَّمَا هُوَ نُورُ

هذا : وإذا أردت التوسع فى الكلام على الموق ومافيه من اللغات وتصريفه فارجع إلى لسان العرب .

(٢) نجوز : نتخطى ، وعليها : أى الخيل ؛ والأيادى : النعم ؛ ولعله يريد بالمحسنين سيف الدولة وعشيرته . يقول : هذه الخيل نتخطى عليها الذين أحسنوا إلينا إلى الذى

---

(١) من أبيات جيدة لابن الرومى فى وصف سوداء حسناء يقول فيها :

سَوداء لم تنتسب إلى برص الشـ قر ولا كلفة ولا بهق
ليست من العبس الأكف ولا القـ لح الشفاه الخبائث العرق
بل من بنات الملوك ناعمة تنشر بالدل ميت الشبق

إلى آخر الأبيات :

فَتًى مَا سَرَيْنَا فِى ظُهُورِ جُدُودِنَا إِلَى عَصْرِهِ إِلَّا نُرَجِّى التَّلَاقِيَا[١]
تَرَفَّعَ عَنْ عُونِ الْمَكَارِمِ قَدْرُهُ فَمَا يَفْعَلُ الْفَعَلَاتِ إِلَّا عَذَارِيَا[٢]
يُبِيدُ عَـــدَاوَاتِ الْبُغَاةِ بِلُطْفِهِ فَإِنْ لَمْ تَبِدْ مِنْهُمْ أَبَادَ الْأَعَادِيَا[٣]

يحسن إليهم وينعم عليهم ، يعنى كافورا ، يريد أنه فوقهم ، ومثل هذا مما يؤخذ على المتنبى إذ يدل على عدم وفائه فضلا أنه لم يكن للأسود على سيف الدولة ولا قومه إحسان ، وقال بعضهم : إنما أراد نتخطى عليها أناسا فى ولاية الأسود نرى عليهم إحسانه ـ خلعه وعطاياه ـ ولو أنه قال :

* نرى عنده إحسانهم والأياديا *

على معنى نتخطى سيف الدولة وعشيرته إلى الذى نرى عنده إنعامهم وإحسانهم إلى من يقصدهم ، أى نرى عنده إحسان الجميع : أى أن إحسانه هو وحده يغنى غناء إحسانهم مجتمعين ـ لكان عسى أن يكون مقبولا ولكان فى باب الشعر معسولا .

(١) السرى هنا : السير مطلقاً ، ونرجى ؛ فى موضع الحال : تقديره مرجين ، فصرفه إلى الاستقبال . قال الواحدى : يريد أنه كان نرجو لقاءه مذ قديم ، حين كان ينتقل فى أصلاب آبائه ، وقال بعضهم : مراده بالجدود : الحظوظ واستعار لها ظهوراً لأنه جعلها مكاناً يسرى فيه كما يسرى على ظهر الأرض ، أو أخذا من ظهر الدابة كأنه يقول ما قطعنا مسافات حظوظنا الماضية حتى انتهينا إلى عصر ملكه إلا ونحن نرجو أن نلقاه ونجعل تلك المسافات طريقا إليه . هذا ؛ و « فتى » قال العكبرى : يجوز أن يكون فى موضع جر بدل من قوله إلى الذى ، ويجوز أن يكون فى موضع رفع بتقدير « هو الذى » ويجوز أن يكون فى موضع نصب بدل من قوله : إنسان عين زمانه ؛ أو نقصد فتى .

(٢) العون : جمع عوان ، وهى خلاف البكر ، وهى التى بين السنين فوق البكر ودون الفارض ؛ والفعلات : جمع فعلة ، المرة من الفعل وسكن عينها للضرورة . والعذارى : جمع عذراء ، البكر التى لم يمسها بعل . يقول : هو أجل قدراً من أن يفعل فى المكرمات فعلا قد سبق إليه وإنما أتى بالمكارم ابتداعا واختراعا كما قال أيضا

يَمْشِى الْكِرَامُ عَلَى آثَارِ غَيْرِهِمِ وَأَنْتَ تَخْلُقُ مَا تَأْتِى وَتَبْتَدِعُ

(٣) البغاة : جمع باغ ، وهو المعتدى ؛ يقول . يسل سخائم الأعداء برفقه وتلطفه لهم فإن لم تذهب أحقادهم وعداوتهم أبادهم وأهلكهم .

أَبَا المِسْكِ ذَا الْوَجْهُ الَّذِى كُنتُ تَائِقاً إِلَيْهِ وَذَا الْوَقْتُ الَّذِى كُنتُ رَاجِيَا(١)
لَقِيتُ المَرَوْرَى وَالشَّنَاخِيبَ دُونَهُ وَجُبْتُ هَجِيراً يَتْرُكُ المَاء صَادِيَا(٢)
أَبَا كُلِّ طِيبٍ لَا أَبَا المِسْكِ وَحْدَهُ وَكُلَّ سَحَابٍ لَا أَخُصُّ الغَوَادِيَا(٣)
يَدِلُّ بِمَعْنًى وَاحِدٍ كُلُّ فَاخِرٍ وَقَدْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ فِيكَ المَعَانِيَا(٤)

---

(١) أبو المسك : كنية كافور لسواده . وذا — فى الشطرين — إشارة وهو مبتدأ خبره ما بعده ، وتاق إليه : نزع واشتاق . يقول : وجهك الذى أراه هو الوجه الذى كنت أشتاق إليه ، وهذا الوقت الذى أنا فيه هو الوقت الذى كنت أرجو إدراكه ؛ يعنى وقت لقائه .

(٢) المرورى : جمع المروراة ، وهى الفلاة الواسعة ، والشناخيب : جمع شنخوب وشنخاب ، وهى ناحية الجبل المشرفة ، وفيها حجارة ناتئة ، وقال الجوهرى : شناخيب الجبل : رءوسه ، وجبت : قطعت ، والهجير : حر نصف النهار والصادى : العطشان ، يذكر ما لقى من التعب فى الطريق إليه ، وما قاسى من حر الهواجر التى تيبس الماء ، والماء لا يكون صاديا لكنه مبالغة ، وإذا عطش الماء فحسبك به ، قال ابن جنى : هذا مما ينقلب هجاء ، لأن دونه ودون هذا الوجه ماذكر من الشدة ، فكأنه يريد عظم مشافره وغلظها ، ووجهه وقبحه كقولك لئن لقيت فلانا لتلقين دونه الأسد : أى مثل الأسد ، ويؤكده قوله لما هجاه « وأسود مشفره . . . البيت » وقلما يسلم له شعر من هذا .

(٣) كل سحاب : عطف على «أبا» أى ويا كل سحاب ؛ ولك أن تجره عطفا على كل الأول : أى ويا أبا كل سحاب ، والغوادى جمع غادية وهى السحابة التى تنتشر صباحا .

(٤) أدل عليه : وثق بمحبته فأفرط عليه ، وفلان يدل عليك بصحبته إدلالا ودلالا ودالة ، أى يجترئ عليك ، كما تدل الشابة على الشيخ الكبير بجمالها . يقول : كل ذى فخر إنما يفخر بمنقبة واحدة ، أما أنت فقد جمع الله لك جميع المناقب والمفاخر ، كما قال أبو نواس :

كَأَنَّمَا أَنْتَ شَيْءٌ حَوَى جَمِيعَ المَعَانِى

قال ابن جنى : لما وصلت إلى هذا البيت ضحكت وضحك المتنبى وعرف غرضى

إِذَا كَسَبَ النَّاسُ المَعَالِيَ بِالنَّدَى فَإِنَّكَ تُعْطِي فِي نَدَاكَ المَعَالِيَا[١]
وَغَيْرُ كَثِيرٍ أَنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ فَيَرْجِعَ مَلْكاً لِلْعِرَاقَيْنِ وَالِيَا[٢]
فَقَدْ تَهَبُ الجَيْشَ الَّذِي جَاءَ غَازِياً لِسَائِلِكَ الفَرْدِ الَّذِي جَاءَ عَافِيَا[٣]
وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مُجَرِّبٍ يَرَى كُلَّ مَا فِيهَا وَحَاشَاكَ فَانِيَا[٤]

---

(١) يقول : إنما يجود الجواد ليحصل له العلو والشرف بالجود ، وأنت تعلى من تعطيه وتشرفه بعطائك فالآخذ منك يكسب الآخذ شرفا ويعلى محله ، كما قال أبو تمام :

مَا زِلْتُ مُنْتَظِراً أُعْجُوبَةً زَمَناً حَتَّى رَأَيْتُ سُؤَالاً يَجْتَنِي شَرَفَا

قال الواحدى : ويجوز أن يريد بقوله « تعطى المعالى » أنه يهب الولايات والأمور التى يشرف بها الناس فالمعالى من عطاياه كما قال البحترى :

وَإِذَا اجْتَدَاهُ المُجْتَدُونَ فَإِنَّهُ يَهَبُ العُلَى فِي نَيْلِهِ المَوْهُوبِ

وقال ابن جنى ـ وكان يسىء الظن بمدائح المتنبى فى كافور ، ويحاول أن يحيلها هجاءً : المعنى : عطاؤك يعلى محل آخذه ، وهذا مما يمكن قلبه ، يريد : إذا اتفق لك كسب معلاة انسلخت منها . لأنك لا تحسن تدبيرها ، فكأنك قد سلمتها إلى من يحسن تدبيرها ، فهى تقيم عنده .

(٢) غير كثير : خبر مقدم عن المصدر المتأول بعده ؛ والراجل : الماشى على رجله والملك بسكون اللام تخفيف ملك بكسرها ، والعراقان : الكوفة والبصرة ، وقيل المراد عراق العرب وعراق العجم ، قال ابن جنى : هذا ظاهره أن من رآك استفاد منك كسب المعالى وباطنه أن من رآك على ما بك من النقص ـ وقد صرت إلى هذا العلو ـ ضاق ذرعه أن يقصر عما بلغته وأن لا يتجاوز ذلك إلى كسب المكارم ، وكذلك إذا رآك راجل لا يستكثر لنفسه أن يرجع واليا على العراقين لأنه لا يوجد أحد دونك وقد بلغت هذا ، وهكذا يأبى ابن جنى إلا أن يجعل لظاهر شعر المتنبى — الذى يمدح به كافورا باطنا وأن يحيل المدح هجاء ، وليس يبعيد على مثل أبى الطيب وهو من هو دهاء أن يكون ذلك مقصده وابن جنى أدرى الناس به وبمراميه .

(٣) العافى : السائل واحد العفاة . يقول : إذا غزاك جيش أخذته فوهبته لسائل واحد أتاك يسألك ، يصفه بالشجاعة والجود .

(٤) المجرب : ـ بالكسر — الذى قد جرب الأمور وعرفها وبالفتح الذى جربته

الأمور وأحكمته ، إلا أن العرب تكلمت به بالفتح ، وفانيا : مفعول ثان ليرى . يقول أنت تحتقر الدنيا احتقار من جربها فعرفها وعلم أن جميع ما فيها يفنى ولا يبقى ولذلك تهبها ؛ ولا تدخرها ، وقوله وحاشاك : استثناء مما يفنى ، ذكر هذا الاستثناء تحسينا للكلام واستعمالا للأدب فى مخاطبة الملوك ؛ قال العكبرى : « وحاشاك » من أحسن ما خوطب به فى هذ الموضع والأدباء يقولون هذه اللفظة حشوة ولكنها حشوة فستق وسكر ، ومثلها فى الحشوات قول عوف بن محلم :

إنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلِّغْتَهَـــا ... قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِى إِلَى تَرْجُمان (١)

---

(١) من أبياته التى يقال إنه ارتجلها حين دخل على عبد الله بن طاهر فسلم عليه عبد الله فلم يسمع وأعلم بذلك فارتجل هذه الأبيات:

يا ابْنَ الذى دانَ له المَشْرِقَانْ ... طرًّا وقدْ دانَ له المغْرِبانْ

وبعده : البيت وبعده :

وبدّلتْنِـــي بالشطاطِ انحنًا ... وكنْتُ كالصَّعْدَةِ تحت السنانْ

وبدّلتنِي من زماعِ الفتى ... وهمتِي همَّ الجبانِ الهِدَانْ

وقاربتْ مِنِّي خُطًا لم تكنْ ... مُقارَباتٍ وثنَتْ مِن عنانْ

وأنشأت بينِي وبين الوَرَى ... عِنانَةً مِنْ غير نسْج العَنانْ

ولمْ تَدَعْ فِيَّ لِمُسْـــتمتعٍ ... إلاَّ لِسانِى وبِحسبِي لسانْ

أدْعو به اللهَ وأثْـــنِي بهِ ... على الأميرِ المصْعَبِيِّ الهِجانْ

فقرِّبانِى بِأبِي أنْـــتما ... مِنْ وَطَنِى قبل اصْفرار البنانْ

وقبْـــلَ مَنعاى إلى نِسوَةٍ ... أوطانُهَـــا حرّانُ والرَّقّتانْ

« الشطاط : حسن القوام ، والصعدة : القناة المستوية ، والزماع : المضاء فى الأمر والهدان : الوخم الثقيل فى الحرب ، والعنان : السحاب واحدته عنانة يشير إلى ضعف بصره فكأنه يرى من وراء سحابة . والهجان : الكريم واصفرار البنان : كناية عن الموت » .

وَمَا كُنْتَ مِمَّنْ أَدْرَكَ المُلْكَ بِالمُنَى ... وَلَكِنْ بِأَيَّامٍ أَشَبْنَ النَّوَاصِيَا(١)
عِدَاكَ تَرَاهَا فِى البِلَادِ مَسَاعِيًا ... وَأَنْتَ تَرَاهَا فِى السَّمَاءِ مَرَاقِيَا(٢)
لَبِسْتَ لَهَا كُدْرَ العَجَاجِ كَأَنَّمَا ... تَرَى غَيْرَ صَافٍ أَنْ تَرَى الجَوَّ صَافِيَا(٣)
وَقُدْتَ إِلَيْهَا كُلَّ أَجْرَدَ سَابِحٍ ... يُؤَدِّيكَ غَضْبَانًا وَيَثْنِيكَ رَاضِيَا(٤)

(١) المنى : جمع منية ، وهى ما يتمنى . والنواصى : جمع ناصية شعر مقدم الرأس. والمراد بالأيام : الوقائع ومنه قول تعالى «وذكرهم بأيام الله» قال المفسرون: يريد وقائع الله فى الأمم الخالية . يقول : لم تدرك الملك بالتمنى والاتفاق ، ولكن بالسعى والجهد والوقائع الشديدة التى تشيب نواصى الأعداء وهذا من قول البحترى :

فَتًى هَزَّ القَنَا فَحَوَى سَنَاءً ... بِهَا لَا بِالأَحَاظِى وَالجُدُودِ

ومثله قول يزيد المهلبى :

سَعَيْتُمْ فَأَدْرَكْتُمْ بِصَالِحِ سَعْيِكُمْ ... وَأَدْرَكَ قَوْمٌ غَيْرُكُمْ بِالمَقَادِرِ

وله أيضاً :

إِذَا قَدَّمَ السُّلْطَانُ قَوْمًا عَلَى الهَوَى ... فَإِنَّكُمُ قُدِّمْتُمُ بِالمَنَاقِبِ

(٢) الضمير فى « تراها » للأيام . والمراقى جمع مرقاة وهى الدرج التى تكون فى السلم . قال ابن جنى : أى تعتقد فى المعالى أضعاف اعتقاد الناس فبحسب ذلك يكون طلبك لها وشحك عليها ، قال الواحدى : والمعنى — على ماقال ابن جنى — أن أعداءك يرون الأيام والوقائع مساعى فى الأرض لأنك تستفتح بها البلاد وتستضم الأطراف — وأنت تراها مراقى فى السماء ، لأنك بها تنال ذروة العلاء والمجد .

(٣) العجاج جمع عجاجة : وهى الغبرة . وكدر : جمع أكدر وهو من إضافة الوصف إلى الموصوف . يقول : لبست للحروب والوقائع عجاجا — غبارا — مظلما كأنما ترى صفاء الجو أن لا يصفو من الغبار ، أى أنت أبدا تثير غبار الحرب ، وكأنك إذا رأيت الجو صافيا رأيته غير صاف لكراهيتك لصفائه من الغبار .

(٤) كل أجرد : أى كل فرس أجرد — أى قصير الشعر — والسابح السريع العدو كأنه يسبح فى جريه . ويثنيك : يصرفك ويردك . يقول : وقدت إلى الحروب والوقائع كل فرس يوردك الحرب وأنت مغيظ محنق على العدو غضبان ويصدرك راضيا بما أدركت من المطلوب وظفرك بأعدائك .

وَمُخْـــتَرَطٍ مَاضٍ يُطِيعُكَ آمِراً
وَيَعْصِى إذَا اسْتَثْنَيْتَ لَوْ كُنْتَ نَاهِيَا(١)
وَأَسْمَرَ ذِى عِشْرِينَ تَرْضَاهُ وَارِداً وَيَرْضَاكَ فى إيرَادِهِ الخَيْلَ سَاقِيَا(٢)
كَتَائِبَ مَا انفَكَّتْ تَجُوسُ عَمَائِراً مِنَ الأَرْضِ قَدْ جَاسَتْ إلَيْهَا فَيَافِيَا(٣)

---

(١) مخترط : عطف على أجرد . وأراد بالمخترط السيف المنتضى المسلول وآمرا : حال من المخاطب . يقول : وحملت إليها كل سيف إذا أمرته بالقطع أطاعك فمضى فى الضريبة وإن نهيته واستثنيت أحدا من أعدائك أو نهيته عن قتلهم بعد الاستثناء منهم عصاك فلم يستثن ولم يكف حتى يأتى عليهم لسرعة نفاذه فى الضريبة .

(٢) وأسمر : يريد رمحا أسمر ذا عشرين كعبا أو ذراعا . ووارداً : حال من الهاء فى ترضاه وقوله فى ايراده الخيل . أى فى إيرادك إياه الخيل . يقول : وكل رمح إذا أوردته خيل الأعداء ترضاه وارداً لدمائهم ويرضاك ساقيا له منها فهو أهل لأن يرد الدماء وأنت أهل لأن توروده إياها . فكل منكما راض عن صاحبه . والمراد بالخيل فرسانها ، والبيت منقول من قول عبد الله بن طاهر فى السيف :

أَخُو ثِقَةٍ أَرْضَاهُ فِى الرَّوْعِ صَاحِباً وَفَوْقَ رِضَاهُ أَنَّنِى أَنَا صَاحِبُهْ

أى هو يرضى بى أيضا صاحبا فوق الرضا

(٣) كتائب : إما قرأتها بالرفع على تقدير لك كتائب ، أو ماانفكت لك كتائب وإما بالنصب على أنها بدل من قوله كل أجرد وما يليه لأن الكتائب تكون فيها هذه الأشياء . والكتائب : جمع كتيبة القطعة من الجيش . وتجوس تتخلل وتدوس . والعمائر : جمع عمارة والعمارة أصغر من القبيلة ، وقيل الحى العظيم الذى يقوم بنفسه ينفرد بظعنها وإقامتها ونجعتها ، وهى من الإنسان الصدر سمى الحى العظيم عمارة بعمارة الصدر قال الأخنس بن شهاب التغلبى :

لِكُلِّ أُنَاسٍ مِنْ مَعَدٍّ عِمَارَةٍ عَرُوضٌ إلَيْهَا يَلْجَأُونَ وَجَانِبُ(١)

---

(١) عمارة بدل من أناس ، والعروض الناحية ، يقال : أخذ فلان فى عروض ما يعجبنى أى فى طريق وناحية ، يقول : لكل حى حرز إلا بنى تغلب فإن حرزهم السيوف ومن رواه عروض – بضم العين – جعله جمع عرض وهو الجبل .

غَزَوْتَ بِهَا دُورَ الْمُلُوكِ فَبَاشَرَتْ سَنَابِكُهَا هَامَاتِهِمْ وَالْمَغَانِيَا(١)
وَأَنْتَ الَّذِى تَغْشَى الْأَسِنَّةَ أَوَّلاً وَتَأْنَفُ أَنْ تَغْشَى الْأَسِنَّةَ ثَانِيَا(٢)
إِذَا الْهِنْدُ سَوَّتْ بَيْنَ سَيْفَيْ كَرِيهَةٍ فَسَيْفُكَ فِى كَفٍّ تُزِيلُ التَّسَاوِيَا(٣)
وَمِنْ قَوْلِ سَامٍ لَوْ رَآكَ لِنَسْلِهِ فِدَى ابْنِ أَخِى نَسْلِى وَنَفْسِى وَمَالِيَا(٤)
مَدًى بَلَّغَ الْأُسْتَاذَ أَقْصَاهُ رَبُّهُ وَنَفْسٌ لَهُ لَمْ تَرْضَ إِلاَّ التَّنَاهِيَا(٥)

ومن الأرض : لك أن تجعلها حالامقدمة عن فيافيا . والفيافى : المفاوز والفلوات يقول : إن لك كتائب أو قدت كتائب لا تزال تتخلل وتدوس القبائل للغارة بعد أن قطعت إليها الفلوات البعيدة ، يعنى أن كتائبه لا تزال تأتى الأعداء للغارة عليهم .

(١) بها : أى بالكتائب . والسنابك : أطراف الحوافر . والهامات : الرءوس . والمغانى : جمع مغنى وهو المنزل يغنى – يقيم – به أهله . يقول : غزوت بهذه الكتائب ديار الملوك حتى قتلتهم ؛ فوطئت خيلك رؤوسهم وديارهم ، ودور الملوك يروى : دون الملوك ، فيكون الضمير فى هاماتهم للعمائر ويكون المعنى : غزوت العمائر دون الملوك لأن الملوك سواك لم تغزهم إذ ليس لهم إقدامك وشجاعتك .

(٢) تغشى : تأتى ، والأسنة : نصال الرماح ، وأنف من الشىء : استنكف واستكبر يقول : إنه أول من يأتى الحرب وأول من يبارز فيأتى الطعان سابقاً ، ويأنف أن يأتيه ثانياً لأول سبقه .

(٣) الكريهة : الشدة فى الحرب . يقول : إذا طبعت — صنعت — الهند سيفين فجعلتهما سواء فى الحدة والمضاء فالسيف الذى يصاحبك ويكون فى كفك يكون أمضى لأن كفك تزيل تساويهما بشدة الضرب .

(٤) سام : هو ابن نوح ، ويقال إن البيض من ولده ، وأن السود من ولد أخيه حام ، ومن قول خبر مقدم وفدى ابن أخى الخ . مبتدأ مؤخر وهو حكاية القول ، ولنسله صلة القول . يقول: لورآك سام بن نوح من لكان قوله لنسله فدى ابن أخى ولدى ونفسى ومالى ، أى أنه لنجابته وفضله لو رآه سام لفضله على نسله وجعل نفسه وإياهم فدى له .

(٥) المدى : الغاية . وهو خبر محذوف . يريد ما ذكره من محامده ، والأستاذ الرئيس . قال الجواليقى : واصطلحت العامة إذا عظموا الخصى أن يخاطبوه بالأستاذ وإنما أخذوا ذلك من الأستاذ الذى هو الصانع – وقد حرفت فى مصر إلى الاسطى –

دَعَتْهُ فَلَبَّاهَا إِلَى الْمَجْدِ وَالْعُلاَ وَقَدْ خَالَفَ النَّاسَ النُّفُوسَ الدَّوَاعِيَا(١)
فَأَصْبَحَ فَوْقَ الْعَالَمِينَ يَرَوْنَهُ وَإِنْ كَانَ يُدْنِيهِ التَّكَرُّمُ نَائِيَا(٢)

* * *

ودخل على كافور بعد إنشاده هذه القصيدة وابتسم إليه الأسود ونهض فلبس نعلا فرأى أبو الطيب شقوقاً برجليه وقبحاً، فقال يهجوه :

أُرِيكَ الرِّضَا لَوْ أَخْفَتِ النَّفْسُ خَافِيَا وَمَا أَنَا عَنْ نَفْسِى وَلاَ عَنْكَ رَاضِيَا(٣)
أَمَيْنًا وَإِخْلاَفًا وَغَدْرًا وَخِسَّةً وَجُبْنًا أَشَخْصًا لُحْتَ لِى أَمْ مَخَازِيَا(٤)

لأنه ربما كان تحت يده غلمان يؤدبهم كأنه أستاذ فى حسن الأدب . وأقصاه : أبعده، ونفس : عطف على ربه يقول : إن الذى ذكرته من مناقبه مدى بلغه الله غايته ونفسه التى تأبى فيما تطلبه إلا أن تبلغ نهايته .

(١) دعته : أى النفس ، و «إلى» متعلق بدعته أو لباها على طريق التنازع يقول دعته نفسه إلى المجد فلباها وأجابها ، أما غيره فإذا دعته نفسه إلى المجد فإنه لا يجيبها ؛ لأنه لم يأت ما يكسبه المجد والشرف من الجود والشجاعة والأخلاق الحميدة كما أتاها هو ، فغيره عاجز عن إدراك ما تدعوه إليه نفسه .

(٢) نائياً : أى بعيداً مفعول ثان ليرونه . يقول : إنه أصبح فوق الناس فهم يرونه بعيداً عنهم رتبة وإن كان تكرمه يقربه منهم كالشمس بعيدة أما ضوؤها فقريب .

(٣) الخافى : ضد الظاهر . يقول : لو أخفت النفس ما فيها من كراهتك لأريتك الرضى ، أى لو قدرت على إخفاء مافى نفسى من البغض لك والكراهة لقصدك لكنت أريك الرضى ولكنى لست براض عن نفسى فى قصدى إليك ، ولاعنك أيضاً لتقصيرك فى حقى .

(٤) المين : الكذب . والإخلاف : خلف الوعد ، وهذه المصادر كلها منصوبة بعوامل من لفظها محذوفة وجوباً ، أى أتمين مينا وتخلف إخلافا وتغدر غدراً ، وهلم جرا ، والمخازى : جمع مخزية : وهى الفعلة القبيحة يخزى صاحبها : أى يذل ، يقال : خزى الرجل يخزى خزياً : إذا وقع فى بلية وشر وشهرة فذل بذلك وهان ، ويقال فى الحياء : خزى يخزى خزاية وخزيت فلانا إذا استحييت منه ، ورجل خزيان وامرأة خزيا ، وهو الذى عمل قبيحا فاشتد لذلك حياؤه وخزايته ، قال تأبط شراً :

تَظُنُّ ابْتِسامَاتِى رَجاءً وَغِبْطَـــةً ... وَمَا أَنا إِلاَّ ضَاحِكٌ مِنْ رَجائِيَا(١)
وَتُعْجِبُنِى رِجْلاَكَ فى النَّعْلِ إنَّنِى ... رَأَيْتُكَ ذَا نَعْلٍ إذَا كُنْتَ حافِيَا(٢)
وَإنَّكَ لاَ تَدْرِى أَلَوْنُكَ أَسْوَدٌ ... مِنَ الجَهْلِ أَمْ قَدْصَارَ أَبْيَضَ صَافِيَا(٣)
وَيُذْكِرُنى تَخْيِيطُ كَعْبِكَ شَقَّهُ ... وَمَشْيَكَ فِى ثَوْبٍ مِنَ الزَّيْتِ عَارِيَا(٤)

فَخالطَ سَهْلَ الأَرْضِ لم يَكْدَحِ الصفا ... به كَدْحةً والموتُ خَزيان ينظرُ(١)

يقول : أتجمع بين هذه المخازى ؟ كما تقول العرب أحشفا وسوء كيلة : أى أتجمع بين سوء الكيلة وإعطاء الحشف ؟ ثم قال : أأنت شخص ظهرت لى أم مخاز ؟ أى كأنك مخاز ومقابح لاجتماعها فيك وحصولها منك .

(١) الغبطة : المسرة وحسن الحال . يقول : إذا ابتسمت ظننت ابتسامى رجاء لك وغبطة بقربك ، وإنما أنا أضحك من رجائى لمثلك ومثلك لا يرجى .

(٢) يقول : إنى أتعجب منك إذا كنت ناعلا لأنى أراك إذا كنت حافيا ذا نعل لغلظ جلد رجليك ، وقوله تعجبنى : استحسان تهكم ، فهومن التعجب يريد أنك تلبس النعال تشبها بالمترفين كأنك تتأذى من المشى بدونها مع أن لك من جلد رجليك نعالا ، وإنى : إما بكسر الهمزة على الاستئناف وإما بفتحها على معنى لأنى .

(٣) يقول : بعد أحرزت الملك لا تدرى لجهلك هل لونك أسود كما كنت تعرف أو صار أبيض ، أى ليس يبعد أن تتوهم أنك قد أشبهت البيض فى اللون كما توهمت أنك أشبهتهم فى الترف .

(٤) يقول : كلما رأيت تخييطك لكعبك ذكرنى الشقوق التى كانت بهوقت ما كنت مجلوبا ، وذكرنى الأيام التى كنت فيها تمشى عارياً ، وقوله فى ثوب من الزيت : فقد ذكروا أن مولاه كان زياتاً وأن الأسود كان يحمل الزيت عارياً ويمشى متلطخاً به فكأنه فى ثوب من الزيت ؛ وقال ابن فورجه : يعنى أنه كان أسود إلى لون الصفرة كلون الزيت وأهل العراق يسمون من كان غير مشبع السواد زيتيا ، أى أنت فى حال كونك عاريا فى ثوب من الزيت لأنك حبشى . هذا : وقد اعتسف الشراح فى إعراب هذا البيت اعتسافا أشفقنا عليهم منه ، وهو من الوضوح بحيث ترى فعاعل يذكر تخييط وشقه : مفعول ثان ليذكر ، ومشيك عطف عليه .

---

(١) من أبيات ، أنظرها فى حماسة أبى تمام .

وَلَوْلاَ فُضُولُ النَّاسِ جِئْتُكَ مَادِحاً ... بِمَا كُنْتُ فى سِرِّى بِهِ لَكَ هَاجِيا[١]
فَأَصْبَحْتَ مَسْرُوراً بِمَا أَنَا مُنْشِدٌ ... وَإِنْ كَانَ بِالإِنْشَادِ هَجْوُكَ غَالِيا[٢]
فَإِنْ كُنْتَ لاَ خَيْراً أَفَدْتَ فَإِنَّنِي ... أَفَدْتُ بِلَحْظِى مِشْفَرَيْكَ المَلاَهِيا[٣]
وَمِثْلُكَ يُؤْتَى مِنْ بِلاَدٍ بَعِيـــدَةٍ ... لِيُضْحِكَ رَبَّاتِ الحِدَادِ البَوَاكِيا[٤]

---

(١) الفضول : تعرض الإنسان لما لا يعنيه . يقول : أنا أهجوك فى سرى وإن مدحتك ظاهراً ؛ فلولا ما طبع عليه الناس من الفضول لأظهرت هجاءك وقلت إنى أمدحك به فكنت لاتفطن لذلك ولا تفرق بين المديح والهجاء ، ولكن الناس فيهم فضول فهم كانوا يقولون هذا الذى أتاك به هجاء لامديح .

(٢) هذا تفريع على البيت الذى قبله . يقول : كنت تسر بإنشادى هجاءك إذ تظنه مديحا وإن كان هجوك يغلو بالإنشاد ، أى أن الإنشاد كثير عليك لأنك أقل قدراً من أن تهجى وينشد هجاؤك .

(٣) مشفريك : أى شفتيك الشبيهتين بمشفرى البعير فى الغلظ ، وأفدت فى الصراع الثانى : إما بمعنى استفدت ، وإما على معنى أفدت نفسى فيكون المفعول الأول مقدراً . ولحظى : أى رؤيتى . يقول : إن كنت لم تفدنى خيراً فى مقامى عندك ولم تحسن إلى فإنى استفدت الملاهى برؤيتى شفتيك أو أفدت نفسى الملاهى بلحظى مشفريك ، وقوله لا خيراً أفدت : أى لا أفدت خيراً ، أدخل «لا» على الماضى من غير تكرار وهو مسموع فى الشذوذ .

(٤) ربات الحداد : أى الثاكلات اللابسات الحداد — وهى ثياب سود يلبسها النساء الثاكلات — حزنا ، وروى الواحدى : ربات الحجال . والحجال الستور. يقول إنك عجب من رآه ضحك ، ومثلك يقصد من البلاد النائية ليتعجب من غرابة منظره ، وتسلى به النساء الثاكلات لأنهن إذا رأينه غلبهن الضحك فلهون بذلك عن الحزن والأسى ، والبيت كما ترى يقرر به ماذكره فى الأبيات قبله. قال ابن جنى : وقد صرح فى هذا البيت بجميع ما كان أخفاه فى مدحه بقوله فى إحدى مدائحه الكافورية :

وَمَا طَرَبِى لَمَّا رَأَيْتُكَ بِدْعَـــةً ... لقد كُنْتُ أَرجو أَنْ أَراكَ فَأَطْرَبُ

تم الديوان والشرح بعون الله وتوفيقه

فهرس الجزء الرابع

من شرح ديوان المتنبي

تابع قافية اللام

مطلع القصيدة :

مطلع القصيدة : الصفحة

قافيـة النون

قافية الهاء

قافية الياء

استدراكات وتصحيحات

وهذه تصحيحات واستدراكات وزيادات بدت
لنا بعد الفراغ من هذا الشرح

جاء فى صفحة ١٤٣ ج أول هذا البيت لذى الرمة:

فجاءتْ بِنَسْج العنكبوت كأنه على عَصَوَيْها سابِرِىٌّ مُشَبْرَقُ

وهنا سقطت هذه الكلمة التى يجب أن توضع عقب هذا البيت بين قوسين هكذا « مشبرق : ممزق »

* * *

وجاء فى صفحة ١٣٩ ج أول:

ما زلت أسعى معهم وأختلط حتى إذا جاء الظلام المختلط

* جاءوا بِضَيْحٍ هل رأيت الذئبَ قط *

وقد فاتنا أن نعلق على هذا الرجز بما يأتى :

هذا الرجز لم ينسبه أحد من الرواة إلى قائله وقيل هو للعجاج وقد رواه المبرد فى الكامل على هذا الوجه :

بِتْنَا بِحَسَّانَ وَمِعْزَاهُ تَئِطْ مازِلتُ أَسْعَى بَيْنَهُمْ وَأَخْتَبِطْ
حَتَّى إذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَاخْتَلَطْ جَاءوا بمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطْ

وروى بعضهم بعد قوله بتنا بحسان ومعزاه تئط هذا البيت :

تَلْحَسُ أُذْنَيْهِ وحِيناً تَمتخِطْ فى سَمَنٍ مِنْهُ كثيرٍ وَأَقِطْ

وحسان : اسم رجل ، والمعزى : من الغنم : خلاف الضأن ، والضمير فيه لحسان وتئط : مضارع أط أى صوت جوفه من الجوع ، ويقال امتخط وتمخط أى استنثر ، وفى سمن : متعلق بقوله تتمخط ، والسمن بسكون الميم وفتحها هنا للضرورة والأقط: اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل ، والضمير فى بينهم لحسان باعتبار حيه وقبيلته ، وأسعى بينهم : أى أتردد إليهم ، وأختبط : أى أسأل معروفهم من غير وسيلة وهذا يدل على كمال شحهم حيث كان ضيفا عندهم لم يشبعوه مع أنه يعرض لمعروفهم ، أما أتبط فى

الرواية الأخرى فمعناه أعدو يقال التبط البعير إذا ضرب بقوائمه الأرض ، وقوله حتى «إذا جن الظلام واختط» غاية لقوله أسعى وألتبط ؛ يريد ستر الظلام كل شئ ، وصفهم بالشح وعدم إكرامهم الضيف وبالغ فى أنهم لم يأتوا بما أتوا به إلا بعدسى، ومضى جانب من الليل ثم لم يأتوا إلا بلبن أكثره ماء .

* * *

وجاء فى صفحة ١٧٣ ج أول هذا البيت هكذا :

أَكَرُّ وَأَحْمَى لِلحَقِيقَةِ مِنهُمُ ... وَأَضرَبُ مِنَّا بالسُّيُوفِ القَوانِسَا

وصحة البيت هكذا :

أَكَرَّ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمُ ... وَأَضْرَبَ مِنَّا بالسُّيُوفِ القَوَانِسَا

وهو من قصيدة للعباس بن مرداس الصحابى قالها فى الجاهلية قبل إسلامه ومطلعها :

لِأَسْماءَ رَسْمٌ أَصْبَحَ اليَوْمَ دَارِسَا ... وَأَقفَرَ إلَّا رَحْرَحَانَ فَرَاكِسَا

« رحرحان : موضع أو جبل قريب من عكاظ ، وراكس : واد » واختار منها أبو تمام فى الحماسة أربعة أبيات وهى :

فَلَمْ أَرَ مِثْلَ الحَىِّ حَيًّا مُصَبَّحًا ... وَلا مِثلَنَا يَوْمَ التَقَيْنَا فَوَارِسَا

أَكَرَّ وَأَحْمَى لِلحَقِيقَةِ مِنْهُمُ ... وَأَضرَبَ مِنَّا بِالسُّيُوفِ القَوانِسَا

إِذَا مَا حَمَلْنَا حَمْلَةً نَصَبُوا لَنَا ... صُدُورَ المَذاكِى وَالرِّمَاحَ المَداعِسَا

إِذَا الخَيْلُ جَالَتْ عَنْ صَرِيعٍ نَكُرُّهَا ... عَلَيْهِم فَمَا يَرْجِعْنَ إلَّا عَوَابِسَا

قال أبو عبيدة فى كتابه أيام العرب : غزت بنو سليم ـ ورئيسهم عباس بن مرادس مراداً ، فجمع لهم عمرو بن معد يكرب ، فالتقوا بتثليث من أرض اليمن بعد تسع وعشرين ليلة ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فقتل من كبار مرادستة ، وقتل من بنى سليم رجلان، وصبر الفريقان حتى كره كل واحد منهما صاحبه فقال عباس بن مرادس قصيدته التى على السين وهى إحدى المنصفات ... وقوله فلم أر مثل الحى الخ أراد بالحى المصبح بنى زبيد بن مراد قال المرزوقى : أى لم أر مغارا عليه كالذين صبحناهم ولا مغيرا مثلنا يوم لقيناهم فقسم الشهادة قسم السواء بين أصحابه ، وأصحابهم ، وتناول بالمدح كل فرقة منهم ، وانتصب حيا مصبحا على التمييز ، وكذلك فوارسا ، ويجوز أن يكونا فى موضع الحال . وقوله أكر وأحمى الخ فالمصراع الأول ينصرف إلى أعدائه وهم بنو زبيد والثانى إلى عشيرته

وأصحابه ، والمراد : لم أر أحسن كرا وأبلغ حماية للحقائق منهم ولا أضرب للقوانس بالسيوف منا ، والقونس أعلى البيضة ، وأكر : من كر عليه إذا صال عليه وأحمى : من الحماية وحقيقة الرجل ما يحق عليه حفظه من الأهل والأولاد والجار . قال ابن الحاجب قوله أكر وأحمى الخ تبيين لما ادعاه فيما تقدم فيجوز أن ينتصب بفعل مقدر لا صفة لما تقدم لئلا يفصل بين الصفة والموصوف بما هو كالأجنبى إذا جعل تمييزا ، ويجوز أن يكون صفة لما تقدم كأنها صفة واحدة ، وإذا جعلا غير تمييز كأنه قال جاءنى زيد وعمرو العاقل والعالم وذلك جائز ، فأكر وأحمى صفة لحيا مصبحا وأضرب منا صفة لفوارسا وقوله : إذا ما حملنا الخ يقول : إذا حملنا عليهم ثبتوا فى وجوهنا ونصبوا صدور الخيل القرح والرماح للعدة للطعن فالمراد بالمداعس الرماح الطاعنة، وفرس مذك : تم سنه وكملت قوته وقوله إذا الخيل جالت الخ أى إذا الخيل دارت عن مصروع منا كررنا عليهم لنصرع مثل ما صرعوا منا ، ويجوز أن يريد إذا جالت الخيل عن صريع ، منهم لا يقنعنا ذلك منهم بل نكرها عليهم لمثله وإن كرهت الكر لشدة البأس فلم ترجع إلا كوالح .

وجاء فى صفحة ٢٦٣ جزء أول من السطر الثانى هكذا :

قَطُّ لاَ يُدْفَعُ عَنْ سَبْقٍ عِرَاب

وصوابها :

غَيْرُ مُدفُوعٍ عَنِ السَّبقِ العِرابِ

وقد سقط من شرح هذا البيت بحث نحوى طريف يجب أن يوضع بعد تمام شرح البيت وهذا هو : هذا : وقد قال أبو حيان فى تذكرته إن هذا البيت فى الإعراب نظير بيت أبى نواس :

غَـــــيْرُ مَأْسُوفٍ عَلَى زَمَنٍ يَنْقَضِى بِالْهَمِّ وَالْحَزَنِ

قال ابن حيان : فـ «العراب» مرفوع بمدفوع، ومن جعله مبتدأ فقد أخطأ ، لأنه يصير التقدير ، العراب غير مدفوع عن السبق ، والعراب جمع فلا أقل من أن يقول غير مدفوعة لأن خبر المبتدأ لا يتغير تذكيره وتأنيثه بتقديمه وتأخيره . وإليك آراء النحاة فى إعراب غير ، قال ابن هشام فى المغنى: فيه ثلاثة أوجه أحدها أن غير مبتدأ لا خبر له بل لما أضيف إليه (١) مرفوع يغنى عن الخبر، وذلك لأنه فى معنى النفى ، والوصف بعده

(١) لـما : بكسر اللام وتخفيف الميم ، أى بل للاسم الذى أضيف إليه غير مرفوع وهو على زمن لأنه نائب فاعل مأسوف والمضاف والمضاف إليه كالشىء الواحد

مخفوض لفظا وهو فى قوة المرفوع بالابتداء فكأنه قيل مامأسوف على زمن ينقضى مصاحبا للهم والحزن ، فهو نظير مامضروب الزيدان والنائب عن الفاعل الظرف قاله ابن الشجرى وتبعه ابن مالك ، والثانى : أن غير خبر مقدم والأصل زمن ينقضى بالهم والحزن غير مأسوف عليه ثم قدمت غير وما بعدها ثم حذف زمن دون صفته فعاد الضمير المجرور بعلى على غير مذكور فأتى بالاسم الظاهر مكانه ، قاله ابن جنى وتبعه ابن الحاجب ؛ فإن قيل فيه حذف الموصوف مع أن الصفة غير مفردة وهو فى مثل هذا ممتنع ، قلنا : فى النثر وهذا شعر فيجوز فيه كقوله * أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * أى أنا ابن رجل جلا الأمور وقوله .

* تَرْمِى بِكَفَّىْ كانَ مِنْ أرْمِى البَشَرْ *

أى بكفى رجل كان والثالث : أنه خبر لمحذوف ، ومأسوف مصدر جاء على مفعول كالمعسور والميسور والمراد به اسم الفاعل والمعنى : أنا غير آسف على زمن هذه صفته ، قاله ابن الخشاب ، وهو ظاهر التعسف .

* * *

وجاء فى صفحة ٣٦٧ ج أول هذا البيت :

لَمْ يَكُ الحَقُّ سِوَى أنْ هاجَهُ   رَسْمُ دارٍ قَدْ تَعَفَّى بالسَّرَرْ

جاء فى شرحه أنه للحسن بن عرفطة وصوابه أنه لحسيل بن عرفطة وجاء فى شرحه أيضا هذا البيت هكذا :

بآية   ما وقفت   والركاب   وبين الحجون و بين السرر

وصوابه هكذا :

بآية   ما   وقفت   والركا   بِ بين الحجون و بين السرر

وإذن يجب أن ما يذكر فى شرح البيت هو هذا : وبعده:

غَـيَّرَ الجِدَّةَ مِنْ عِرْفانِهِ   خُرُقُ الرِيحِ وَطُوفانُ المَطَرْ

والبيتان لشاعر جاهلى يسمى حسيل بن عرفطة والمراد بالحق هنا الوجود بحسب مقتضى الحكمة ، أى ليس يليق بالعاشق أن يهيج حزنه الرسم الدائر ، وهاج هنا متعد بمعنى أثار ، والهاء مفعول مقدم ضمير العاشق فى بيت قبل هذين وهو على حذف مضاف أى هاج حزنه ووجده ، ورسم فاعل هاج وتعفى مبالغة عفا أى دثر ودرس ، والسرر موضع والجدة : مصدر جد الشىء يجد جدة خلاف القديم ، والعرفان المعرفة ، وخرق

فاعل غير جمع خريق وهى الريح التى تتخرق فى الجبال، وطوفان المطر كثرته . يقول غيرت كثرة الريح والأمطار ما استجددناه من معرفتنا لهذا الرسم .

***

وجاء فى صفحة ١٩ ج ثانى هذا البيت :

وقد أدركتنى والحوادثُ جَمَّةٌ ... أسِنة قومٍ لا ضعافٍ ولا عُزْلِ

وقد فاتنا التعليق عليه كوكدنا فى مثله ، وهذا هو التعليق الذى يجمل أن يوضع فى موضعه من هامش هاتيك الصفحة : « من أبيات قال ابن الأعرابى فى أوراقه إنها لرجل من بنى دارم أسرته بنو عجل ، فلما أنشدهم إياها أطلقوه وقبله » :

وقائلةٍ ما بالهُ لا يَزُورُنا ... وقد كُنتُ عن تِلكَ الزيارَةِ فى شُغلِ

وبعده .

لعلهم أن يُمطِرُونى بنِعمةٍ ... كما صابَ ماء المزْنِ فى البلدِ المَحلِ

فقد يُنعِشُ اللهُ الفتى بعد عَثرَةٍ ... وَتَصطَنِعُ الحُسنَى سراةُ بنى عِجلِ

***

وجاء فى صفحة ١٠٠ ج ثمان هذا البيت لعمر بن أبى ربيعة بدون شرح :

قلت إذ أقبلَتْ وزُهرٌ تهادَى ... كنِعاجِ الفلاَ تعسّفنَ رَمْلاَ

وهذا هو شرحه الذى يجب أن يوضع على هامشه : « من كلمة له يقولها فى حميدة جارية ابن ماجة ومطلعها :

حَمل القلبُ من حميدةَ ثِقلا ... إنّ فى ذاكَ لِلفؤادِ لَشغلاَ

وبعد بيت الشاهد :

قد تَنَقَّبنَ بالحريرِ وأبدين ... عيونا حُورَ المدامعِ نُجلا

والزهر : جمع زهراء وهى البيضاء المشرقة ، وتهادى : أى يمشين مشيا رويداً بسكون ، والنعاج : بقر الوحش ، شبه النساء بها فى سكون المشى فى الرمل ، وتعسفن : ركبن ، وإذا مشت فى الرمل كان أسكن لمشيها لصعوبة المشى فيه والفلا : تروى « الملا » وهى الفلاة الواسعة .

وجاء فى صفحة ٢٦٥ ج ثان هذا البيت :

يحسبه الجاهل ما لم يعلما شيخا على كرسيه مُعَمَّما

وإليك شرحه الذى فاتنا أن نضعه فى مكانه حتى إذا قدر لهذا الديوان : أن يعاد طبعه وضع هذا الشرح فى مكانه من هامش شرح الديوان : هذا البيت من قصيدة مرجزة أو ردها أبو محمد الأعرابى فى ضالة الأديب ـ كما ذكره البغدادى فى الخزانة ـ وأولها :

عَبْسِيَّةٌ لَمْ تَرْعَ قُفًّا أَدْرَمَا وَلَمْ تُعَجِّمْ عُرْفُطًا مُعَجَّمَا

كَأَنَّ صَوْتَ شَخْبِهَا إِذَا هَمَى بَيْنَ أَكُفِّ الحَالِبِينَ كُلَّمَا

شَدَّ عَلَيْهِنَّ البَنَانَ المُحْكَمَا سَحِيفُ أَفْعَى فِى خَشِىٍّ أَعْشَمَا

وَقَدْ حَلَبْنَ حَيْثُ كَانَتْ قُيَّمَا مَثْنَى الوِطَابِ وَالوِطَابَ الزُّمَّمَا

وَقِمَعًا يُكْسَى ثُمَالاً قَشْعَمَا يَحْسَبُهُ الجَاهِلُ مَالَمْ يَعْلَمَا

شَيْخًا عَلَى كُرْسِيِّهِ مُعَمَّمَا لَوْ أَنَّهُ أَبَانَ أَوْ تَكَلَّمَا

لَكَانَ إِيَّاهُ وَلَكِنْ أَعْجَمَا .... إلى آخر الأبيات

عبسية : أى لنا إبل عبسية : أى منسوبة إلى عبس أبى القبيلة ، ولم ترع ، من الرعى والقفف : ما ارتفع من الأرض وغلظ ولم يبلغ أن يكون جبلا ، وقفا : مفعول ترع ، والأدرم الذى لا نبات فيه ، ولم تعجم بالتشديد يريد لم تمضغ والعرفط كقنفذ شجر من أشجار البادية والمعجم المعضض ، وقوله كأن صوت شخبها الخ يصف حلب الناقة وشبه صوت درتها بصوت أفاع فى خشى ، والشخب مصدر شخب اللبن يشخب ويشخب إذا خرج من الضرع ، وهمى : سال ، وشد أى غنى وفاعله ضمير الشخب والبنان مفعوله على تقدير اللام وضمير عليهن للأكف ، وسحيف أفعى : خبر كأن والسحيف الصوت والأفعى : الحية ، والخشى : اليابس والأعشم : الشجر اليابس ، وقيما جمع قائمة والقياس قوم ، ومثنى الوطاب مفعول حلبن على حذف مضاف أى ملء مثنى الوطاب والمثنى هنا بمعنى المكرره كقولهم مثنى الأيادى أى يعيد معروفه مرتين وثلاثا والوطاب جمع وطب وهو سقاء اللبن خاصة . والزمم جمع زام من زم القربة ملأها ، والقمع آلة تجعل فى فم السقاء ونحوه ويصب فيها اللبن ونحوه ، والثمال الرغوة ، وكل شىء يكون ضخما فهو قشعم . وقوله يحسبه أى يحسب الثمال ، وما مصدرية ظرفية ، ويعلم بمعنى يعرف ومفعوله محذوف ضمير الثمال وشيخا مفعول ثان ليحسبه وما بعده صفتان له ، شبه الرغوة التى تعلو القمع بشيخ معمم جالس على كرسى ، وهو تشبيه ظريف ، ولم يصب الأعلم الشنتمرى

شارح شواهد سيبويه فى قوله : وصف جبلا قد عمه الخصب وحفه النبات وعلاه فجعله كشيخ مزمل فى ثيابه معصب بعمامته الخ ،فكأنه لم يقف على هذه الأبيات وقوله لو أنه أبان أى لو أن ذلك الثمال الذى يشبه الشيخ أبان أى أفصح عما فى نفسه لكان إياه أى لكان الثمال ذلك الشيخ « انظر خزانة الأدب للبغدادى ج ٤ ص ٥٦٩ ط أميرية » .

وجاء فى صفحة ٢٨٧ ج ثان هذا البيت المشهور :

* * *

بُغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاخاً ... وَأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلَاتٌ نَزُورُ

وقد فاتنا شرحه لشهرته ، وهذا هو شرحه الذى يجمل أن يوضع فى موضعه « البغاث : كل طائر ليس من جوارح الطير ، وقال ابن سيده : بغاث الطير وبغاثها : ألائمها وشرارها ومالا يصيد منها ، وقيل الضعيف من الطير والمقلات : التى لا يعيش لها ولد ، وقيل هى التى تلد واحداً ثم لا تلد بعد ذلك . يقال : أقلتت المرأة إقلاتافهى مقلت ومقلات والاسم القلت ، وكذلك كل أنثى إذا لم يبق لها ولد ، والنزور : القليلة الولد »

* * *

وجاء فى صفحة ٢٩٥ ج ٢ مايأتى :

« وأنشد الأخفش على هذه اللغة لشمر بن الحارث الضبى :

أَتَوْا نَارِى فقلت مَنُونَ أَنْتُمْ ... فقالوا الجنُّ قلتُ عِمُوا ظلاما

. . . . إلى آخر الأبيات

وصواب اسم قائل هذه الأبيات « سمير بن الحارث الضبى » لا « شمر » ويوضع فى الشرح ما يأتى :

« وقيل قائل هذه الأبيات تأبط شراً ، وقيل للفرزدق وقيل شمر الغسانى وأول هذه الأبيات :

وَنَارٍ قَدْ حَضَأْتُ بُعَيْدَ وَهْنٍ ... بدَارٍ لَا أُرِيدُ بِهَا مُقَاما

سِوى تَرْحِيل رَاحِلَة وَعَين ... أُكالئُها مَخافة أَنْ تَناما

أتوا نارى . . . . الأبيات

وبعدها :

أمِطْ عنّا الطعامَ فإنّ فيهِ لِآكِلِهِ النَّقاصَةَ والسَّقاما

يصف قائلها نفسه بالجرأة واقتحام المهالك . يقول : رب نار قد حضأتهـا — أى أوقدتها وسعرتها — وبعيد تصغير بعد، والوهن والموهن: نحو من نصف الليل — أى أوقدتها فى جوف الليل فى مفازة لا أريد إقامة بها سوى تجهيز ما يلزم لراحتى فى السفر ولأجل عين أكالئها — أى أحافظها — فأنا أحفظها من النوم وهى تحفظنى من العدو ، ومنون أنتم : استفهام وكان حقه من أنتم ، وعموا ظلاما : أى تنعموا فى وقت الظلام ، وإلى الطعام : أى هلموا أو أقبلوا إليه ، وفينا : أى علينا ، وأمط عنا : أى أزله عنا ، والنقاصة : مصدر كالنقص . وهذا كله من أكاذيب العرب .

***

وجاء فى صفحة ٣٣٤ ج ثان هذا المصراع :

* لِدُوا للمُوتِ وابنُوا للخرَابْ *

وقد فاتنا أن نعلق على هذا المصراع بما يأتى : « هذا المصراع من أبيات نسبت إلى سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه » وهى :

عَجِبْتُ لجازِعٍ باكٍ مُصَابْ بأهْلٍ أوْ حَبيب ذى اكْتِئابْ

شَقيقِ الجَيْبِ داعِى الوَيْلِ جهلاً كَأنّ المَوْتَ كالشىء العُجابْ

وَسَوّى اللهُ فِيه الخَلْقَ حتّى نَبىّ اللهِ عَنهُ لَمْ يُحَابْ

لَهُ مَلَكٌ يُنادى كُلَّ يَوْمٍ لِدُوا لِلمَوْتِ وَابنُوا للخَرابْ

ويحاب أى يحابى . يقال حاباه : أى خصه . قال البغدادى : ورأيت أيضاً فى جمهرة أشعار العرب لمحمد بن أبى الخطاب : قد روى أن بعض الملائكة قال :

لِدُوا للمَوْتِ وَابنُوا للخَرابْ فَـكُلُّـكُمُ يَصِيرُ إلى ذَهابِ

***

وجاء فى صفحة ٣٦٢ ج ثالث هذا البيت هكذا :

كَأنّ أيدِيهن بِالقَاعِ القَرِقْ أيدِى نِساء يتعاطَيْنَ الوَرِق

وصحة البيت :

كَأنّ أيْدِيهنّ بِالقَاعِ القَرِقْ أيْدِى جوَار يتَعاطَيْنَ الوَرِق

ويزاد فى شرحه مايلى : « وجوار : جمع جارية ، ويتعاطين : أى يناول بعضهن بعضا ، والورق : الدراهم ، وقال الشريف المرتضى فى أماليه : القرق الخشن الذى فيه الحصى ، وشبه حذف مناسمهن له بحذف جوار يلعبن بدراهم ، وخص الجوارى — الوليدات — لأنهن أخف يدا من النساء ، وقال آخرون : القرق هنا : المستوى من الأرض الواسع وإنما خص بالوصف لأن أيدى الإبل إذا أسرعت فى المستوى فهو أحمد لها وإذا أبطأت فى غيره فهو أجهد لها والبيتان قال ابن رشيق إنهما لرؤبة بن العجاج قال البغدادى : ولم أرهما فى ديوانه .
